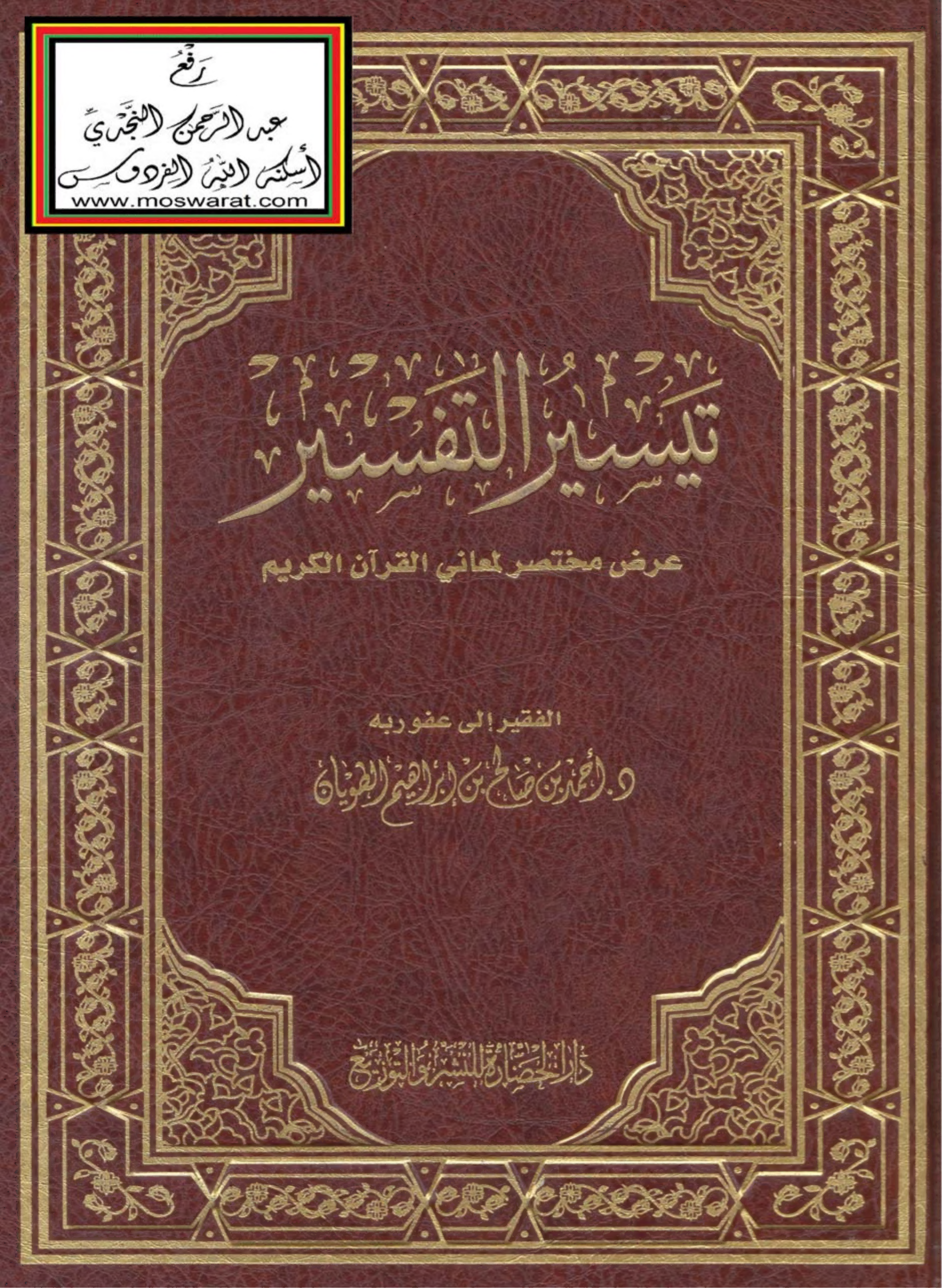
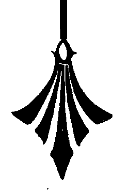


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
تيسير التفسير
عرض مختصر لمعاني القرآن الكريم
الفقير إلى عفو ربه
د. أحمد بن صالح بن إبراهيم الطويان
دار الحضارة للنشر والتوزيع


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



تيسير التفسير

عرض مختصر لمعاني القرآن الكريم

ح دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٣٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الطويان، أحمد صالح

تيسير التفسير./ أحمد بن صالح الطويان–ط٢ -الرياض ١٤٣٦هـ

ص ؛ ٠٠×٠٠ سم

ردمك: ٦ -٣٣٢ -٥٠٦ -٦٠٣ -٩٧٨

١ -القرآن–التفسير الحديث أ - العنوان

ديوي ٢٢٧,٦ ١٤٣٦/٤١٤٢

رقم الإيداع : ١٤٣٦/٤١٤٢

ردمك: ٦-٣٣٢-٥٠٦-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الثانية

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

دار الحضارة للنشر والتوزيع

ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥

هـاتف: ٢٤٩٦٥٥٥ - ٢٧٨٧٣٣٣ فاكس: ٢٤٨٣٠٠٤

المستودع تلفون: ٢٤١٦١٣٩ فاكس: ٢٤٢٢٥٢٨

الرقم الموحد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨



تيسير التفسير

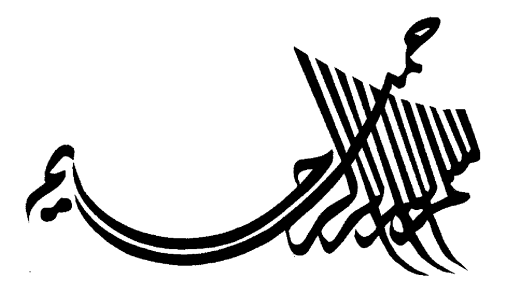
عرض مختصر لمعاني القرآن الكريم

الفقير إلى عفو ربه

أحمد بن صالح بن إبراهيم الطويان



دار الحضارة للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين

أما بعد

فإن أولى ما صرفت فيه نفائس الأيام والأوقات وأغلى ما بذلت فيه المهج والجهود، وأعلى ما خص بمزيد الاهتمام العناية بكتاب الله العزيز تدبرًا، وتفهمًا وتفسيرًا وعملا واهتداء، ففي القرآن العظيم الهداية، والعلم النافع فهو حبل الله المتين، والنور المبين والشفاء النافع وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم، عصمة من تمسك به ونجاة من تبعه، لا يعوج فيقوم، ولا تنقضي عجائبه، ولا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد، من ابتغى الهدى في غيره أضله الله، ومن أراد العزة بغيره أذله الله وهو العلم النافع، وقد اعتنى علماء الإسلام بتفسير القرآن الكريم فألفوا المؤلفات المتعددة في إيضاح كلام الله تعالى وتنوعت أساليبهم في التفسير والتوضيح، فأفادوا الأمة بمؤلفاتهم القيمة التي كان لها أعظم الأثر في فهم معاني القرآن، وكانت الأمنية في كتابة تفسير مختصر يقرب ما كتبه علماء الإسلام في إيضاح القرآن؛ ليكون سبيلا لتدبر كتاب الله، وليكون مشجعًا على قراءة كتب التفسير فاستخرت الله تعالى في كتابة تيسير التفسير معتمدًا تقريب معاني الآيات إجمالا دون التوسع في تفاصيل دقائق التفسير؛ لأن القصد تقريب المعاني لا تحليل الآيات، فاعتمدت التفسير على

المصحف كل وجه يقابله تفسيره دون زيادة أو نقصان، وقد حرصت على اعتماد كتب الأئمة الأعلام كإمام المفسرين أبي جعفر الطبري الذي كانت اختياراته هي الغالبة في هذا الكتاب، والحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير في تفسيره تفسير القرآن العظيم وهو العمدة في النقل والاختيار فقد ضمنت هذا الكتاب زبدة تفسيره بحروفه، والإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي في كتابه معالم التنزيل، والإمام عبدالرحمن بن الجوزي في كتابه زاد المسير والإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي في كتابه إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، والإمام أبي الحسن علي بن محمد الماوردي في كتابه النكت والعيون، والإمام محمد بن علي الشوكاني في كتابه فتح القدير والشيخ محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي في كتابه أضواء البيان، وتقريرات مشايخنا في العقيدة والتوحيد وبالأخص شيخنا العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز والعلامة الشيخ محمد الصالح العثيمين، فمن هؤلاء يرحمهم الله اقتبست وكتبت هذا المختصر..

الذي أسأل الله أن ينفع به الأمة وأن يجعل العمل خالصًا لوجه الكريم، كما أسأله سبحانه أن لا يحرمني شفاعة القرآن العظيم ووالديّ وأهلي وذريتي وجميع أقاربي والمسلمين.

وقد استغرقت في كتابة التفسير خمس سنوات عشتها مع القرآن العزيز في الحل والترحال فالحمد لله أولا وآخرا على التوفيق وما امتن به علي من الإنعام والإتمام، كما أسأل الله تعالى أن يغفر لأبي وأن يرفع درجاته في المهديين وأن يجعله من ورثة جنة النعيم الذي رباني على الخير والهدى، وأسأله تعالى أن يبارك لوالدتي في عمرها ويختم لها بخاتمة السعادة.



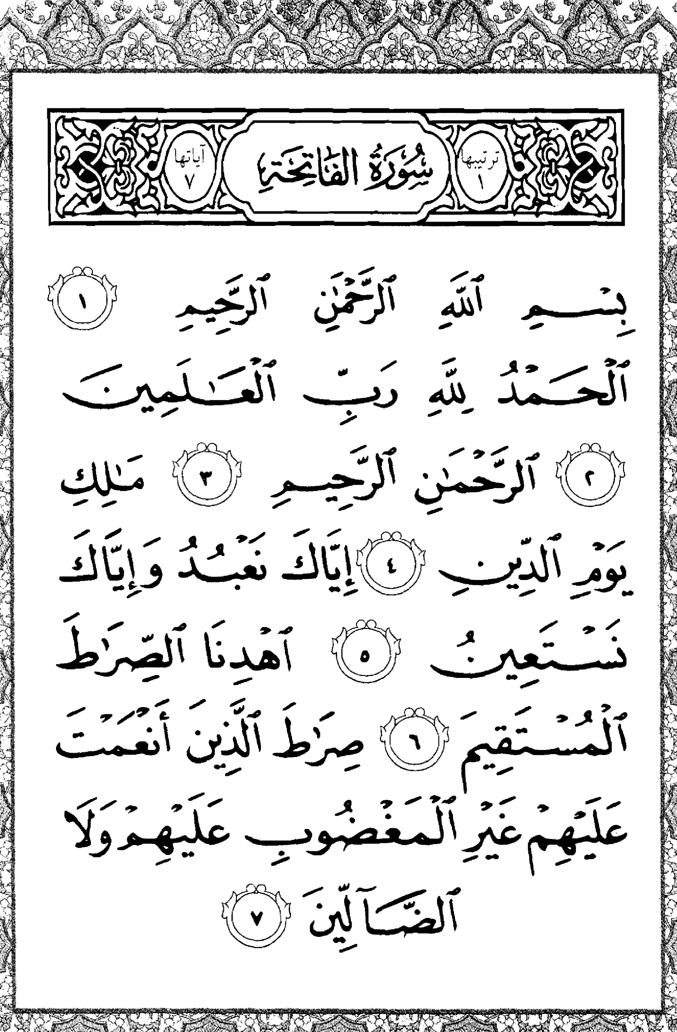
وأسأل الله تعالى أن يغفر لأخي في الله الشيخ سليمان بن حمد الكريداء يرحمه الله وأن يرفع درجاته في المهديين، الذي تكفل طباعة هذا الكتاب كما أسأله سبحانه أن يبارك في ذريته، وزوجاته ولا يحرمه ولا يحرمهم أجر نفع هذا الكتاب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وكتبه

الفقير إلى عفو ربه

أحمد بن صالح بن إبراهيم الطويان

المسجد الحرام قبالة الكعبة المشرفة



ترتيبها ١ — سُورَةُ الفَاتِحَةِ — آياتها ٧

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١
ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ
٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ
يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ
ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ
عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا
ٱلضَّآلِّينَ ٧



سورة الفاتحة

وهي سورة مدنية، سميت بالفاتحة لافتتاح القرآن بها

وهي أم الكتاب والشافية والرقية والكافية والصلاة وأم القرآن وهي السبع المثاني وهي أفضل سورة في كتاب الله.

والمشروع للمسلم عند قراءة القرآن أن يستعيذ بالله ويلتجئ به ويعتصم به من الشيطان وهو المبعَد عن رحمة الله الرجيم المطرود عن الخير كله فهو عدو لأولياء الله يدعوهم إلى النار، فَيُشرع للمسلم الاستعاذة منه، ومن المواطن التي يستعاذ من الشيطان فيها عند قراءة القرآن.

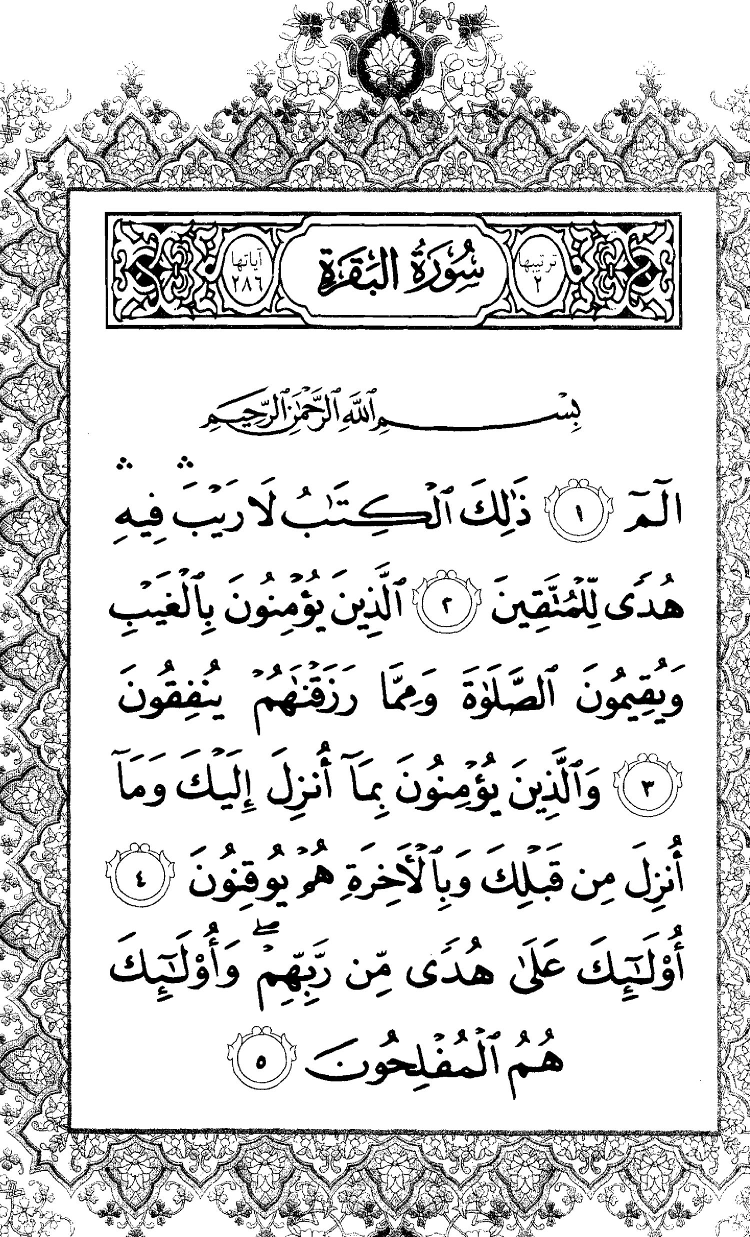
ويشرع للقارئ البسملة، وهي استعانة العبد بربه جلَّ وعلا في جميع أموره فهو يستعين بالله على قراءة كتابه العزيز، فالعبد لا عون له إلا من الله الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء وهو الرحيم بعباده المؤمنين المتقين، وهي جزء من آية من سورة النمل، والصحيح أنها ليست من آيات الفاتحة ولذلك لا يجهر بها في الصلاة.

والعبد مأمور بشكر الله وحمده والثناء عليه بما هو أهله ولذلك افتتح القرآن بالحمد، فالعبد يثني على الرب المالك المتصرف الذي أنعم على جميع المخلوقات وهي العالمين فكل ما سوى الله فهو عالَم، فمن رحمته بخلقه أن أنعم عليهم ورزقهم وأوجدهم فهو سبحانه الرحمن يرحم المخلوقات كلها وهو الرحيم يرحم المؤمنين، وهو سبحانه مالك يوم القيامة فلا مُلْك إلا لله ﷻ، وهو اليوم الذي تدان فيه الخلائق بأعمالهم، وهو يوم الجزاء والحساب لا يملكه إلا الله ﷻ.

ولذا يتوجب على العبد الإخلاص لله تعالى فلا يعبد إلا الله وحده لا شريك له فلا يصرف أي نوع من أنواع العبادة إلا لله، ومنها الاستعانة فلا يستعين إلا بالله ﷻ فهو سبحانه يعين عباده على تحقيق العبادة، فالعباد لا حول لهم ولا قوة لهم إلا بالله ولذلك يسأل العبد ربه الهداية لسلوك الصراط المستقيم وهو الإسلام والتوحيد فلا موفِّق لسلوك طريق الإسلام إلا الله ﷻ فالهداية بيد الله ﷻ..

فهو الذي يهدي عباده ويوفقهم ويلهمهم التزام الدين الذي هو طريق الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهو سبحانه الذي يعصم عباده من سلوك طريق اليهود الذين عرفوا الحق وتركوه وجحدوه وطريق النصارى الذين ضلوا فعبدوا الله عن جهل، فوقعوا في الشرك، فاليهود فقدوا العمل والنصارى فقدوا العلم وهذا يؤكد للمسلم أنه يجب عليه الحذر من طريقة اليهود والنصارى، فلا يتشبه بهم في الإعراض عن العلم الشرعي، ولا يواليهم ولا يوادُّهم بل يعتقد ضلالهم وانحرافهم وكفرهم وأنه لا طريق ولا نجاة إلا بالإسلام الدين الخالص الذي هو طريق الأنبياء ومن اقتفى أثرهم واستن بسنتهم.

اللهم أحينا عليه وأمتنا عليه..



ترتيبها ٢

سُورَةُ البَقَرَة

آياتها ٢٨٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ
هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ
وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ
﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ
أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾



سورة البقرة

وهي سورة مدنية، وسميت بذلك لذكر قصة البقرة فيها

وهي سورة عظيمة يفر الشيطان من البيت الذي تقرأ فيه ولا تستطيع عليها السحرة وأخذها بركة وهي تشفع لصاحبها يوم القيامة.

أنزل الله ﷻ هذا القرآن معجزة لمحمد ﷺ وهداية للبشرية فقد تحداهم الله ﷻ بالإتيان بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة، فلم يستطيعوا، والقرآن بلغتهم التي يتكلمون بها مكوَّن من حروف اللغة العربية الألف واللام والميم وغيرها ولذلك افتتحت بعض سور القرآن بتلك الحروف إظهارًا لعجز البشر أن يأتوا بمثل هذا القرآن

فهو كتاب الله تنزيلٌ من رب العالمين وهو كلام الله لا شك فيه نزل هداية للخلق أجمعين وموعظة وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين..

فهدى الله به قلوب المتقين الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه فآمنوا بالغيب بما أخبر الله به وما أخبر به رسوله ﷺ ولو لم يروه ولم يشاهدوه، وأقاموا الصلاة المفروضة في أوقاتها وأتوا بشروطها وأركانها وواجباتها، وتنافسوا بالنوافل، وأنفقوا مما رزقهم الله من الأموال ابتغاء وجه الله ﷻ، سرًا وعلانية يرجون تجارة لن تبور وأدوا زكاة أموالهم فلم يبخلوا بها، وصدَّقوا بما نزل على محمد ﷺ من الحق والهدى وما أنزل الله على الأنبياء قبله لا يفرقون بين أحد من رسل الله..

وأيقنوا بالبعث والنشور وما يكون يوم القيامة مما أخبر الله به وأخبر به رسوله ﷺ من الجنة والنار والحساب والميزان والصراط.

فهم على هداية من الله ونور وبصيرة وفقهم الله لذلك وما كانوا ليهتدوا لولا أن هداهم الله فكانوا من الفائزين الناجين من عذاب الله فكتب لهم الفوز والفلاح والنجاة.

فالإيمان بالغيب من صفة أهل الإيمان، وإقامة الصلوات والمحافظة عليها والاستزادة من نوافلها في جميع الأوقات هي قرة عيون المؤمنين، والإنفاق في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله تبارك وتعالى سرًا وعلانية من علامة الإيمان، والاستعداد للدار الآخرة واليقين بما أخبر الله ورسوله ﷺ بما يكون فيها صفة المهتدين المتقين الذين يعلمون أن الحياة ظل زائل وأن الآخرة هي دار القرار.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا
يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ
أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾
يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا
يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ
عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا
تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ
إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ
ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ
إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ
إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي
طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ
بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾



افترق الناس عند نزول القرآن فكان منهم المؤمنين الصادقين المتقين الذين آمنوا به وقد سبق ذكرهم، وكان منهم الذين كفروا الذين غطوا الحق وستروه فلم ينفعهم إنذار النبي ﷺ وتبليغه لهم فلم يؤمنوا مع بذله ﷺ من النصح والإشفاق والحرص على هدايتهم، لأن الله كتب عليهم الشقاوة، فقد طبع على القلوب فلا تقبل الحق ولا تؤمن به، وطبع على سمعهم فلا يسمعون الحق سماع قبول وإذعان وتسليم، فلهم قلوب لا يعقلون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها الحق فعليها غطاء ستر أبصارهم عن رؤيته، فلهم العذاب الأليم والشديد يوم القيامة لكفرهم وعنادهم، والفرقة الثالثة هم المنافقون الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر فهم يدَّعون بألسنتهم الإيمان وقلوبهم مصرة على الكفر كل ذلك خداعًا لله ولرسوله وللمؤمنين فهم يظنون أنهم يخادعون الله وما علموا أن الله خادعهم، فهم المخدوعون حقيقة، فقلوبهم المريضة بمرض النفاق والرياء هي التي قادتهم للمخادعة فزادهم الله نفاقًا وإعراضًا جزاءً وفاقًا وهم في الآخرة في الدرك الأسفل من النار لكذبهم ونفاقهم، وإفسادهم في الأرض بالكفر والعمل بالمعصية، وهم يدَّعون الإصلاح وما علموا أنهم هم الذين يفسدون في الأرض بموالاة الكفار وتوليهم، وتلك حال المنافقين في كل عصر ومصر، يدّعون لأنفسهم العلم والبصيرة فإذا دُعوا إلى الإيمان الصحيح رموا أهل الإيمان بالسفه والجهل وفي الحقيقة هم السفهاء الذين ضعفت عقولهم عن إدراك الحق فرأوا الباطل حقًا والحق باطلا وهم لا يعلمون بحالهم وجهلهم وذلك أشد وأبلغ العمى والبعد عن الهدى، ومن جهل المنافقين أنهم يظهرون الإيمان غرورًا للمؤمنين وإذا ذهبوا إلى سادتهم ورؤسائهم من أهل الشرك وأهل الكتاب اعترفوا ببقائهم على الكفر والشرك وإنما فعلوا ذلك استهزاءً بالمؤمنين.

وما علموا أن الله يستهزئ بهم فيملي لهم ليزدادوا إثمًا ونفاقًا ومجاوزة في الضلال حتى يكونوا في ضلالهم يترددون حيارى لا يجدون سبيلًا للخروج مما هم فيه فقلوبهم أصابها العمى، وهو عدم إبصار الحق وأنى لهم إبصار الحق واتباعه، فهم بنفاقهم اشتروا الكفر بالإيمان فبذلوا الهدى ثمنًا للضلالة وهم أهل التجارة الخاسرة والبضاعة الخبيثة فلا هداية لهم بل لهم النهاية المؤلمة الخاسرة.

مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ
ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّۢ
بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ
ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ
حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ
أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ
وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ
وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ
بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ
تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا
فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ
ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾

ضرب الله مثلًا للمنافقين في اشترائهم الضلالة بالهدى بمن أوقد نارًا وأشعلها فلما انتفع بنورها وأبصر ما حوله انطفأت النار وبقي حرها ودخانها وهم مع ذلك صم لا يسمعون الحق وبكم لا ينطقون بالحق وعمي فلا يبصرون الحق.

فهؤلاء المنافقون ذهب نور الإيمان من قلوبهم وبقوا في ظلمات الشك والكفر والنفاق لا يهتدون إلى حق.

وهم وإن عاشوا في الدنيا في نعيم وحُقنت دماؤهم وحفظت أموالهم بما أظهروا من الإسلام فهم في الآخرة لا نور لهم.

ومثلهم نوع آخر من المنافقين يعيشون الحيرة والشك بما في قلوبهم من مرض النفاق فهم في حالة من الشك والاضطراب والتقلب كمن يعيش في جو مطير أصاب الأرض ومعه الظلمة والرعد والبرق فهو يعيش حالة من القلق والرعب والخوف إذا أضاء له البرق مشى واستقامت حاله وإذا أظلم وقف حائرًا تائهًا، فهؤلاء المنافقون يتكلمون بما يخدع الناس في الظاهر وبواطنهم فيها النفاق فيبقون في تناقض وتذبذب وحيرة

والله ﷻ قادر على أن يأخذ سمعهم وأبصارهم فلا يسمعون ولا يبصرون، فهذه النعمة تستغل فيما يدل على الحق واتباعه.

فالله المنعم بها سبحانه وهو القادر على أخذها فالعباد يهتدون بنعم الله إلى عبادة الله وتوحيده ولذلك أمرهم بعبادته وحده لا شريك له فهو الذي خلقهم وأوجدهم من العدم وخلق جميع المخلوقات، فمن أراد النجاة فليعبد الله وحده لا شريك لـه الذي جعل الأرض فراشًا يتقلب العباد عليها وثبتها بالجبال الراسيات وجعل لهم السماء بناء وسقفًا محفوظًا وأنزل عليهم الماء من السماء فأنبت لهم الزروع والثمار، وكل ذلك دليل على وحدانيته فكل ما في الكون من المخلوقات تدل على الله وعلى استحقاقه للعبادة وحده لا شريك له، وهو سبحانه لا مثيل له ولا شبيه ولا كفو له فلا يجعل العبد لله شريكًا يصرف لـه شيئا من العبادة.

فلا معبود بحق إلا الله، فمن اعترف بتوحيد الربوبية لابد أن يعترف بتوحيد الألوهية.. وتلك هي العقيدة التي جاءت بها الرسل ودعت إليها..

فمن كان في شك وريبة من نبوة محمد ﷺ وما نزل عليه من التوحيد فليأت بمثل هذا القرآن أو بسورة من مثله ولن يستطيع ولو استعان بمن يصرف لهم العبادة ويدعوهم فلن ولن ولن يستطيع الإتيان بمثل هذا القرآن، فإن كانوا لا يستطيعون فعليهم الإيمان والإيقان أنه من عند الله فيسلموا ويؤمنوا حتى يكون إيمانهم سبب وقايتهم من النار التي وقودها مما يلقى فيها من الناس والحجارة وهي حجارة من الكبريت تزيد النار احتراقًا، تلك النار التي هيئت وأعدت لمن كفر بالله وجحد رسالة محمد ﷺ.

فهذه النار مخلوقة ومعدة الآن وهي عذاب الله وعقابه للكافرين..

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ
رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ
وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾
۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا
فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن
رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ
بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ
وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ
ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ
وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾
كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ
ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ
ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى
ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

ربع الحزب ١

لما ذكر الله ما أعد للكافرين، ذكر ما أعد للمتقين المؤمنين من النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول فيبشرهم ربهم بما أعده لهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من الجنات التي تجري تحتها الأنهار وفيها من الثمار الذي يتشابه في الشكل ويختلف في الطعم ويتشابه بالجودة والحسن ولهم فيها الحور العين التي طهرت من القذر والأذى وهم منعَّمون نعيمًا دائمًا لا انقطاع لـه وذلك تشويقًا لأهل الإيمان بالإعداد في هذه الحياة الدنيا، الذي يجعل المسلم يُسلم ويذعن فلا خِيَرَة عند أمر الله وأمر رسوله ﷺ.

فما ضُرب من الأمثال في القرآن فهو للعبرة والعظة سواء ما كان في صغير أو كبير فتلك الأمثال لا يعقلها إلا العالمون الذين يعلمون أنها حق من عند الله.

فالله سبحانه يضرب المثل في البعوضة والذباب والعنكبوت وغيرها لتكون هداية للمؤمنين وضلالًا للفاسقين.

فالكفار هم الذين يعترضون على كتاب الله وهم الذين خرجوا عن طاعة الله، ونقضوا العهد والميثاق وهو وصية الله لعباده بطاعته ونهيهم عن معصيته، وقطعوا أرحامهم التي أمر الله بوصلها والإحسان إليها فهم الخاسرون في الدنيا والآخرة؛ لأنهم أفسدوا في الأرض بالشرك بعد إصلاحها بالتوحيد، وكيف يكفر هؤلاء بالله ويشركون مع الله غيره وقد كانوا عدمًا فخلقهم وأوجدهم ورزقهم وأنعم عليهم فجحدوا نعمة الله، ثم أماتهم بعد حياتهم ثم يحييهم بعد المات ليوم البعث والنشور فيجازيهم بأعمالهم فإليه ﷻ المرجع والمآل، ومن نعمة الله على عباده أن خلق لهم ما يشاهدونه على وجه هذه الأرض حتى يستعينوا بذلك على طاعته، وخلق السماوات السبع وذلك دليل على قدرته وأنه المستحق للعبادة وهو العليم بكل شيء فعلمه وسع كل شيء فلا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

والعبد المؤمن إذا قرأ في كتاب الله ما أعد الله للمؤمنين استعد بالعمل الصالح واشتاقت نفسه إلى جنة عرضها السماوات والأرض.

فيعيش في هذه الحياة مستسلمًا لله بالتوحيد منقادًا إليه بالطاعة مخلصًا في عمله محافظًا على حدود الله يصل الرحم ويصلح في الأرض ولا يتبع سبيل المفسدين مستعينًا بنعم الله على طاعة الله ﷻ.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

ذكر الله ﷻ قصة آدم ﷺ فقد اقتضت حكمة أحكم الحاكمين أن يجعل في الأرض مِنْ خلقه مَنْ يعمرها بالطاعة والعبادة تتوالى أجيالهم في هذه الأرض إلى قيام الساعة، ولم يكن للملائكة علم عن حكمة ذلك فقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها بإراقة الدماء والقتال فيما بينهم ونحن نعبدك وننزهك عن النقائص ونسبحك كثيرًا ونذكرك كثيرا.

فقال تعالى إني أعلم ما لا تعلمون فسيكون منهم الأنبياء والرسل والصديقون والشهداء والصالحون والعباد والأولياء والعلماء، وشرف الله آدم بعد خلقه من تراب بالعلم فعلمه الأشياء كلها وما تسمى به وظهر علم آدم ﷺ عليهم إذ لم يعرفوها ولم يعلموا ما طلب منهم معرفته.

وكان من أدب الملائكة أن ردوا العلم إليه سبحانه فلا علم لهم إلا ما علمهم الله، فعلمهم آدم أسماء الأشياء التي لم يعلموها فظهر فضله وكرامته فالله ﷻ يعلم غيب السماوات والأرض وما تضمره النفوس وتخفيه وما تعلنه وتظهره، فهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وأراد الله إكرام آدم فأمر الملائكة بالسجود لـه فسجد الملائكة إلا إبليس الذي أيس من رحمة الله، لم يستجب كبرًا وعنادًا وحسدًا فطرد من رحمة الله فكان من الكافرين الضالين وهو إمام الضلالة.

وأكرم الله آدم وزوجته – وقد خُلقت من أحد أضلاعه لتكون زوجة له – واخبرهما أن الشيطان لهما عدو مبين فأسكنهما الله الجنة وأباح لهما كل شيء فيها ينعمون به وحرّم عليهما شجرة واحدة ابتلاء وامتحانًا لهما، فما أبيح للإنسان أكثر مما حرم عليه فيأبى إلا العصيان، فوسوس لهما الشيطان وأظهر لهما النصح والإشفاق والمحبة وأنه يريد لهما الخلد في الجنة والبقاء فيها وأمرهما بأكل الشجرة المحرمة..

فأكلا منها فكان ذلك سببًا في الخروج من الجنة أخرجهما من دار النعيم والراحة فأُهبطوا إلى الأرض جميعًا؛ إبليس وآدم وحواء لتكون العداوة بينهما إلى قيام الساعة فهذه الأرض قرار لهم فيها يرزقون ويحيون وفيها يدفنون بعد الموت إلى قيام الساعة..

فما كان من آدم من العصيان يستوجب للمسلم أن يخاف من المعصية ويتخذ الشيطان عدوا

والعبد حين يذنب يتوب ويستغفر اقتداء بأبيه آدم فدعا آدم ربه ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

فتاب الله عليه فهو سبحانه الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويفرح بتوبة العبد وهو كثير قبول التوبة من عباده وهو الرحيم بالمؤمنين التائبين الصادقين.

قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ
هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾
يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ
أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ
مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى
ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ
وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ
وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ
﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾
يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ
عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا
يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

نصف الحزب ١

بعد نزول آدم ﷺ إلى الأرض جعل الله لأهل هذه الأرض هداية ربانية بإرسال الرسل وإنزال الكتب لتكون لهم نورًا وهداية فمن اتبع هذه الهداية وصدق بها كانت نجاته وفلاحه فهو في الآخرة من الفائزين لا يخاف على ما يستقبله من أمر الآخرة ولا يحزن على ما فاته من الدنيا.

وأما الذين كفروا وكذبوا وجحدوا هذه الهداية وأنكروها فهم أهل النار الذين لا يخرجون منها مخلدين فيها أبد الآباد، ويذكر الله ﷻ ما عليه بنو إسرائيل من التكذيب والجحود لرسالة محمد ﷺ وإسرائيل هو يعقوب فهم من ذريته، ويمتن الله عليهم بذكر ما أنعم الله عليهم مما سيأتي ذكره ومما لم يذكر، فقد نقضوا عهد الله الذي أخذه عليهم من الإيمان بالرسل فقد وعدهم أنهم إن آمنوا برسل الله وضع عنهم الآصار والأغلال التي في أعناقهم وكفَّر عنهم سيئاتهم وأدخلهم الجنات، وهذا ترغيب لهم بالإيمان وتوعدهم إن لم يؤمنوا بإنزال العقوبة عليهم كما نزل على من كان قبلهم من المسخ وغيره.

ونهاهم الله أن يكونوا أول الكافرين برسالة محمد ﷺ من بني إسرائيل ولا يعتاضوا عن الإيمان بآيات الله وتصديق الرسل بالدنيا وشهواتها فإنها قليلة فانية.

وأمرهم بالتقوى فهي النجاة والمخرج لهم وذلك بالإيمان بالله وبرسوله ﷺ ونهاهم عن خلط الحق بالباطل وكتمان الحق وإظهار الباطل ونهاهم عن كتمان نبوة النبي ﷺ التي يقرؤونها في كتبهم وأوصافه التي ذكرت في كتبهم وأمرهم أن يسلموا ويؤمنوا فيصلوا مع المسلمين ويدفعوا الزكاة للنبي ﷺ وأن يكونوا من جماعة المسلمين في جميع أعمالهم.

ويوجه إليهم سؤال إنكار كيف تأمرون الناس بالخير وتحثونهم عليه فلما جاءتكم رسالة الإسلام نسيتم أنفسكم فلم تأمروها بقبول الحق والهدى وأنتم تعلمون في كتبكم من أوصاف النبي ﷺ وصدقه فإن العقل والرشد في اتباع الحق وعدم مخالفة الفعل للقول، وهذه الوصايا هي وصية لجميع المؤمنين أن يعترفوا بنعم الله ويشكروه عليها وأن يوفوا بالعهد والميثاق والالتزام بعهد الله وميثاقه والتزام التوحيد ولا يدفعهم الهوى والشهوة لرد الحق واتباع الباطل ولا تغرهم الحياة الدنيا، وعليهم بالتزام التقوى فهي النجاة والمخرج، وعلى المسلم ألا يخادع ولا يخلط الحق بالباطل ويلبس على الحق هوى وشهوة وعليه أن يلزم الصلاة ويحافظ عليها فهي النجاة والنور والبرهان يوم القيامة والزكاة حق يجب إخراجها وإعطاؤها مستحقيها ولزوم جماعة المسلمين وإمامهم من أهم المهمات والمسلم في الحياة يعيش في لأوائها وكبدها فيستعين على ذلك بالصبر على طاعة الله وعن معصية الله وعلى أقدار الله المؤلمة ويستعين بالصلاة فهي نعم العون للعبد يجد فيها المسلم الراحة والطمأنينة والسعادة والأنس واللذة.

وهي شاقة على المنافقين ولكنها على الخاشعين الخائفين المتواضعين المتذللين لله قرة عيونهم وأنس نفوسهم، فهم يستعدون بالصلاة ليوم تشخص فيه الأبصار، فهم يوقنون بيوم لا ريب فيه تجازى فيه الخلائق فاتخذوا الدنيا دار تزود واستعداد للدار الآخرة، فالعباد لا فضل لهم إلا بما فضلهم الله فإنّ أكرمهم عند الله أتقاهم، وإن ما كان فضلًا للأمم قبلنا إنما هو بما كان منهم من طاعة وعبادة لله فإذا عصوا وجحدوا فلا فضل لهم.

فهذه الأمة خيرها وفضلها في تمسكها بدينها وطاعتها لربها، فلا ينفع النسب ولا الجاه ولا المال فيوم القيامة يتبرأ الأخ من أخيه والابن من أبيه، فلا شفاعة لأحد إلا من أذن له بالشفاعة ورضى الله عن المشفوع ولا يستطيع أحد أن يفدي نفسه وليس له ناصر ولا معين فمن كفر فلا يقبل منه فدية ولا شفاعة ولا ينقذه من عذاب الله أحد.

وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

يمتن الله على بني إسرائيل بإنقاذهم من فرعون فقد كان يذبح أبناءهم ويبقي نساءهم خوفًا من أن يخرج منهم من يكون سببًا في زوال ملكه وكان يستعملهم في الأعمال الشاقة والرذيلة.

فأنجاهم الله من ذلك العذاب وكان من نعم الله العظيمة عليهم فهو بلاء بالنعمة يجب أن يشكروه بالإيمان بالله وبرسوله ﷺ.

ويمتن الله على بني إسرائيل بعفوه عنهم لما عبدوا العجل بعد ذهاب موسى لميقات ربه وقد كانت أربعين ليلة ذو القعدة بتمامه وعشر من ذي الحجة، وكان بعد نجاتهم من البحر.

ويمتن الله تعالى على بني إسرائيل بما أنزل على موسى من التوراة التي هي فرقانٌ بين الحق والباطل وهداية لبني إسرائيل ورحمة لهم.

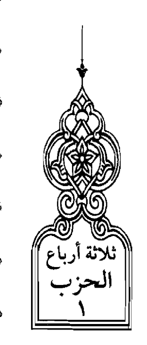
ويمتن الله على بني إسرائيل بقبول توبتهم بعد عبادتهم العجل، وكان من توبتهم أن يقتلوا أنفسهم فتاب الله عليهم وعفا عنهم ومن عفو الله وتوبته على بني إسرائيل إحياء الله لهم بعد الصعق فقد طلبوا من موسى عليه السلام أن يروا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة فأحياهم الله بعد الموت، وفي ذلك دلالة على قدرة البارئ جل جلاله على البعث بعد الموت، وقيام الناس من قبورهم للجزاء والحساب

ومن نعم الله على بني إسرائيل إظلال الله لهم بالسحاب الأبيض ليقيهم حر الشمس وهم في التيه وإنزال الطعام والشراب عليهم من السماء، والطيور التي تنزل عليهم كل سبت.

ولكن بني إسرائيل ظلموا أنفسهم بالعصيان والجحود والكفر ولم يشكروا نعمة الله عليهم، والعبد المؤمن يعترف بنعم الله عليه ويشكره على نعمه الظاهرة والباطنة ومن أعظم النعم على العبد أن يهديه الله للإسلام ويشرح صدره بالإيمان.

والواجب على المسلم تحقيق التوحيد وتجريد العبادة لله وحده لا شريك له، وعليه أن يخاف من الشرك والوقوع فيه، ويجتنب كل وسائله وطرقه الموصلة إليه، فالشرك ظلم عظيم يوصل إلى النار ويوجب الخلود فيها، وعلى المؤمن المسارعة إلى التوبة من كل ذنب، ومنها وسائل الشرك، وأنواعه، فالله يقبل التوبة من عباده، ويعفو عن السيئات.

وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾



لما قدم بنوا إسرائيل من مصر أمرهم موسى ﷺ بدخول الأرض المقدسة فلسطين وذلك بعد التيه أربعين سنة فأمروا أن يدخلوا باب البلد سجدًا لله سائلين الله أن يحط عنهم ذنوبهم وأن يغفر لهم خطاياهم فإن في الاستغفار زيادة من الله وعفو وغفران فبدلوا وغيروا واستهزءوا وقالوا حنطة في شعيرة مخالفة وعنادًا

فأنزل الله عليهم العقوبة من السماء لفسقهم وكفرهم وعنادهم وتركهم أمر الله تبارك وتعالى، وهذا مصير كل من عاند وكابر واستكبر، وقد امتن الله تبارك وتعالى على بني إسرائيل في استسقائهم وإخراج العيون لهم من الحجارة القاسية، فأمر الله نبيه وكليمه موسى ﷺ بضرب الحجر بعصاه فانفجرت من الحجر اثنتا عشرة عينًا على عدد أسباط بني إسرائيل كل سبط علموا قدر شربهم، وأبيح لهم رزق الله ونُهوا عن الفساد في الأرض، هذا هو الواجب على المسلم أن يستعمل نعمة الله عليه في طاعة الله.

ونعم الله لم تنقطع عن بني إسرائيل ولكنهم يجحدون وينكرون نعم الله فقد تضجروا من المنِّ والسلوى الذي ينزل عليهم من السماء وطلبوا أن يأكلوا من الأطعمة الدنيئة من العدس والبصل والبقل والثوم.

فاستبدلوا الرديء بالذي هو خير فطلبوا تبدل العيش الرغيد والطعام الهنيء بأطعمة دنيئة فقال لهم نبيهم موسى ﷺ أن ما طلبتموه موجود في كل مصرٍ وبلد.

فكانت الذلة والصغار عليهم بكفرهم برسالة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقتلهم الأنبياء وعصيانهم لأوامر الله ولاعتدائهم وعدوانهم.

فكانت الذلة عليهم بدفعهم الجزية لهذه الأمة وغضب الله عليهم وهذه عاقبة العصيان واستعمال نعم الله بمعصيته ونتيجة جحود النعم وكفرها، والمسلم المستجيب لأوامر الله الممتثل لما كُلف به من الأوامر والنواهي يعيش في هذه الحياة عزيزًا بطاعة الله، فالعزة والكرامة والمجد والسؤدد هي بالطاعة والعبادة، والذلة والمهانة والمسكنة بالمعصية والسيئة.

فليعتبر المسلم بما جرى لبني إسرائيل وكيف أنزل الله عليهم عقابه وغضبه بعصيانهم وكفرهم.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ
مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم
بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ
بَعْدِ ذَٰلِكَۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ
ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ
فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةًۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا
هُزُوًاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ
ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ
وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾
قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ
إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾



لما بين الله تعالى حال الذين خالفوا أمره وارتكبوا نهيه وتعدوا حدوده بين حال من اتبع هديه واتبع أمره وآمن بالنبي محمد ﷺ بأن لهم العاقبة في الدنيا والآخرة ولهم السعادة الأبدية فبعد بعثه هذا النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام لا يقبل الله دينًا غير الإسلام ولا يرضى من أحد إلا اتباع محمد ﷺ فلا نجاة لأحد إلا باتباعه والاهتداء بهديه عليه الصلاة والسلام فيجب على أهل الأرض الإيمان به وتصديقه.

فلا اليهود ولا النصارى ولا الصابئة وهم الذين بقوا على فطرتهم يقبل منهم إلا الإسلام فكل من لم يكن مسلمًا فهو من أهل النار، فلا حوار مع الأديان، إلا حوار دعوة إلى الإسلام

ثم يذكر الله تعالى منته ونعمه على بني إسرائيل لما رفضوا طاعة الله ونقضوا عهد الله رفع الله عليهم جبل الطور فرأوه فوقهم كالظلة كأنه سيقع عليهم فلما رأوه سجدوا لله فرحمهم الله وكشف عنهم.

وأمرهم الله أن يأخذوا التوراة بقوة وجد وحزم وأن يقرءوا ما فيها ويعملوا بها فتولوا وأعرضوا، ولكن فَضْل الله عليهم بقبول توبتهم وإرسال النبيين والمرسلين إليهم كانت سبب نجاتهم وإلا كانوا من الخاسرين بنقضهم الميثاق وعصيانهم أمر الله تعالى، ثم يذكر الله قصة أهل القرية الذي نهوا عن الصيد يوم السبت فتحايلوا على النهي فوضعوا شباكهم يوم الجمعة فوقع الصيد فيها فمسخهم الله قردة وخنازير فكان عقابهم آية وعبرة لغيرهم وموعظة لمن بعدهم من المتقين الذين يتقون غضب الله تبارك وتعالى، وقصة البقرة صورة من صور عناد بني إسرائيل، وفيها من صور إحياء الله الموتى، وقد كان في بني إسرائيل رجل لا يرثه إلا ابن أخيه فقتله واتهم به الآخرين وكادوا يقتتلون فجاءوا إلى نبي الله موسى ﷺ فأمرهم بأمر الله بأن يذبحوا بقرة وظنوا أنه يستهزئ بهم يسألونه عن القتيل ويأمرهم بذبح بقرة ولكنه أمر الله تبارك وتعالى، ليكون جزء من البقرة سببًا في إحياء القتيل وإخباره بمن قتله.

والمسلم يأخذ أوامر الله وأوامر رسوله ﷺ بالتسليم والإذعان ولو لم تظهر له الحكمة والعلة، ولا يتحايل على شرع الله ولا يرتكب النواهي بأدنى الحيل، ويأخذ كتاب الله العزيز بقوة فيعمل بما فيه من الأحكام بكل جد وحزم وقبول وإذعان.

قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ
تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ
ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذۡ
قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٧٢﴾
فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ
ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ
فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ
مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ
مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ
﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ
يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ
وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا
وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ
ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٧٦﴾



تعنتْ بني إسرائيل وكثرة أسئلتهم وتضيقهم على أنفسهم من أسباب تشديد الله عليهم، فلو ذبحوا أدنى بقرة لكفتهم، فأمرهم الله بذبح بقرة لا كبيرة هرمة ولا صغيرة بل هي بينهما على النصف بين الكبيرة والصغيرة وبين لونها أنها صفراء صافية اللون ليس فيها لون غير لونها وليست مذللة بالحراثة ولا معدة للسقي في السواني بل مكرمة حسنة صحيحة لا عيوب فيها.

فذبحوها بعد كثرة أسئلتهم وترددهم فوجدوها عند رجل ليس لـه بقرة غيرها فأخذوها بملء جلدها ذهبًا فذبحوها فضربوا بجزء منها القتيل فقالوا من قتلك فقال ابن أخي ثم مال ميتًا.

فأخرج الله القاتل وما كانوا يغيِّبون من أمره وهذا دليل وشاهد على إحياء الله الموتى سبحانه المحيي المميت.

ومع مشاهدة بني إسرائيل لإحياء القتيل ونطقه إلا أنهم لا يزالون على قسوة قلوبهم وتمردهم وعتوهم وعنادهم فكانت قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة من الحجارة.

فالحجارة تهبط من خشية الله وتسبح بحمد الله وتتصدع من ذكر الله ومن الحجارة ما تخرج منها العيون والماء، ولكن القلوب القاسية التي امتلأت معصية وإعراضًا وغفلة تكون أشد وأقسى فأبعد الناس من الله القلب القاسي.

فالقلب إذا امتلأ عنادًا وكبرًا اشتد قسوة وإعراضًا واسودادًا ويتوجه النداء للمؤمنين ألا يطمعوا بإيمان اليهود الذين شاهد آباؤهم البينات فلم تؤثر فيهم ولم تقدهم للإيمان والتسليم بل حرَّفوا الآيات وبدلوا كلام الله بعدما فهموه وخالفوه، وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا إنه نبي إليكم خاصة وإذا خلوا مع بعضهم قالوا لا تحدثوا العرب بأنه نبي وقد كنتم تخبرون أن النبي سيخرج آخر الزمان وقد أخذ عليكم الميثاق باتباعه والإيمان به فيحاجوكم بذلك ولا تخبروهم بما وقع لكم من العذاب والعقاب فيقولوا نحن أحب إلى الله منكم، والعبد المؤمن يكون على التسليم والقبول ويؤمن بقدرة الله ﷻ وأنه سبحانه محيي الموتى وهو على كل شيء قدير.

ويبتعد عن كل ما يقسي القلب ويأخذ بأسباب خشوع القلب ورقته ولا يكتم الحق بل يؤمن به ويُسلّم.

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾



الله تعالى يعلم ما تكنه الصدور وما تكتمه النفوس فهو سبحانه يعلم سر العباد ونجواهم فلا يخفى عليه خافية يعلم السر وأخفى.

ومن هؤلاء اليهود من لا يقرأ ولا يكتب ولا يعلم ما في كتبهم من الحق وإنما يعلمون الكذب والبهتان والافتراء.

ومنهم من يدعو إلى الضلالة بالزور والكذب على الله وأكل أموال الناس بالباطل ويكتبون كتبًا وينسبونها إلى الله فويل لهؤلاء مما كتبوا بأيديهم من الكذب وويل لهم مما أكلوا من تلك الأموال التي كسبوها من ذلك الكذب، وهم مع ذلك الباطل ادعوا لأنفسهم ما ليس لهم فقالوا لا تمسنا النار إلا أيامًا معدودة وهي مدة عبادة العجل أربعين يومًا فجاء الرد على كذبهم وافترائهم هل اتخذوا عند الله عهدًا، فلا يخلف الله وعده ولكنهم يقولون على الله ما لا يعلمون بل الأمر على خلاف ما ادعوه؛ فمن عمل سيئة ومات على خطاياه ولم يتب منها وليس له من الأعمال حسنة فهو من أهل النار وأما الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات فهم أهل الجنة خالدين فيها أبد الآباد.

وقد أمر الله بني إسرائيل بالتوحيد وتحقيق الإخلاص لله وحده لا شريك لـه وبر الوالدين والإحسان إليهم وصلة الأرحام وبالإحسان إلى اليتامى والإحسان إلى الفقراء والمساكين، وبإحسان الكلام وقول المعروف والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ثم تولوا وكفروا وأعرضوا عن أوامر الله وارتكبوا النهي.

والعبد المسلم يراقب الله ﷻ في جميع أموره فالله سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

ولا يسأل الله ما ليس لـه ولا يدعي ما ليس لـه بحق وليخلص العمل لله ويحقق التوحيد لله وحده لا شريك له ويحسن إلى والديه ويبرهما ويصل الرحم ويحسن الجوار ويحسن إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل ويطيب الكلمة ويحسن المعاملة ويحسن إلى الناس ويتعامل بالرفق واللين والإحسان وبالأخلاق الفاضلة.

ويقيم الصلاة على أكمل وجه وأحسن صورة ويؤدي زكاة ماله طيبة بها نفسه ليكون من المتقين.

وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ
أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٨٤﴾
ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا
مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ
وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ
إِخۡرَاجُهُمۡۚ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ
بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي
ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا
ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ
ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ
يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ
بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ
بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ
ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُواْ
قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾

أخذ الله على بني إسرائيل ألا يقتل بعضهم بعضًا ولا يخرج بعضهم بعضًا من ديارهم وأقروا بذلك وشهدوا على أنفسهم بالإقرار على ذلك ثم نقضوا ذلك العهد والميثاق فقتل بعضهم بعضًا وأخرج بعضهم بعضًا من ديارهم وذلك لما كانوا يشاركون حلفاءهم من الأوس والخزرج فكل طائفة تحارب مع حلفائها فيقع قتل اليهودي لليهودي وينتهبون بيوتهم وأثاثهم فإذا وضعت الحرب أوزارها فدوا أولئك الأسرى من الحرب لأمر التوراة لهم فأنكر عليهم أيؤمنون بفك الأسرى وفدائهم ولا يؤمنون بتحريم قتال بعضهم بعضًا.

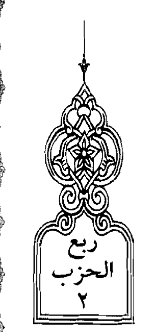
فمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض له الخزي في الحياة الدنيا من الذلة والصغار والهزيمة، وفي الآخرة من العذاب وهذه صفة من اشترى الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنه العذاب ولا يقل عنه ساعة وليس لهم ناصر ولا معين ينقذهم من ذلك العذاب، ويأتي وصف هؤلاء القوم بالعتو والاستكبار فلقد أُرسل إليهم موسى ﷺ وأُتبع بالرسل بعده وأرسل عيسى ابن مريم بالمعجزات الباهرات وأيده الله بجبريل ﷺ فكذبوا وعصوا وحاولوا قتل عيسى ﷺ وقتلوا غيره من الأنبياء وحاولوا قتل النبي ﷺ في عدة محاولات باءت بالفشل والخسران، وسحروا النبي ﷺ ووضعت المرأة السم في الشاة.

ووصفوا أنفسهم بعدم الفقه والفهم فرد الله عليهم بأن ذلك كان سبب كفرهم وعنادهم واستكبارهم فطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون وطردهم من رحمته فلا يؤمن منهم إلا القليل النادر.

وكل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه فلا يقتل المسلم أخاه المسلم ولا يظلمه ولا يُسلمه ولا يخذله فمن قتل مسلمًا فكأنما قتل نفسه، والمسلم لا يأخذ ببعض أحكام الشريعة ويترك بعضها بل يعمل بها جميعًا، فلا يأخذ من الشريعة ما يريد ويهوى ويترك الشريعة والعمل بها من أجل الهوى والشهوة والدنيا بل يكون وقَّافًا عند كتاب الله وسنة رسوله الله ﷺ.

فكل ما أمر به في شريعة الإسلام يجب الأخذ به والعمل به وكل ما نهي عنه في شريعة الإسلام يجب اجتنابه وتركه.

وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ
مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم
مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾
بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ
فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ
﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ
أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا
لِّمَا مَعَهُمۡۗ قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم
مُّؤۡمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ
ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾
وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ
مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا
وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ
بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٩٣﴾



كان اليهود قبل بعثة النبي ﷺ يتوعدون الأوس والخزرج بنبي يخرج آخر الزمان يقاتلون العرب معه قتال عاد وإرم ولكن لما بُعث النبي ﷺ من العرب وآمنت به الأوس والخزرج كفروا وكذبوا وجحدوا فطردهم الله من رحمته لأنهم من الكافرين الجاحدين لما كانوا من قبل يترقبونه وينتظرون بعثته فشروا الباطل وأخذوا به وكتموا ما يعرفونه عن النبي الأمي الذي يخرج آخر الزمان كل ذلك جحودًا وإعراضًا وحسدًا فبئس ما باعوا به أنفسهم فرضوا بالكفر عن الإيمان بالنبي ﷺ وتصديقه ونصرته

وقد كانوا يرجون أن يبعث الرسول الخاتم منهم فلما كان من العرب حسدوا وكفروا وكتموا.

فكان غضب الله عليهم وعقابه عليهم وعذابه الذي يهينهم ويخزيهم.

وإذا طُلب منهم الإيمان بالرسول ﷺ وتصديقه قالوا يكفينا ما أنزل الله علينا من التوراة والإنجيل ويكفرون بغيره، وما يكفرون إلا بالحق المبين وهو الوارد في كتبهم فتصديقه لما جاء في كتبهم من وصف النبي ﷺ والبشارة به، ولكنهم الكاذبون فقد قتلوا الأنبياء، وعبدوا العجل وظلموا أنفسهم بالشرك والكفر مع ما جاءهم به موسى عليه السلام من المعجزات والآيات الواضحات ولم تزدهم تلك الآيات إلا عصيانًا وجحودًا.

فقد أخذ الله عليهم الميثاق فلم يطيعوا ورفع فوقهم جبل الطور حتى ظنوا أنه واقع عليهم فنجاهم الله من ذلك فعصوا ولم يأخذوا التوراة بقوة وحزم وجد، وأحبوا الشرك من عبادة العجل، فكيف يدَّعون الإيمان وهم قد نقضوا ميثاق ربهم وعصوا أوامر الله وعبدوا العجل وكفروا بما أنزل على محمد ﷺ.

فيعلم المسلم حقيقة اليهود وتاريخهم في الكفر والشرك والظلم والعدوان وما يحملونه للمؤمنين من الحقد والكراهية والحسد، فتاريخهم مليء بالأفعال القبيحة من نقض المواثيق وقتل الأنبياء والكفر بآيات الله وهم على الكفر ومن أهل النار لأن من لم يؤمن بالنبي ﷺ فهو من أهل النار.

قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾



لما زعم اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى دعاهم النبي ﷺ بالدعاء على أنفسهم بالموت إن كانوا كاذبين، دعاهم إلى الدعاء على أكذب الطائفتين منهم أو من المسلمين فأبوا فدلّ أنهم يعلمون أنهم على الباطل وأن دين الإسلام هو الدين الصحيح ولكنه الحسد والكبر.

وهم مع ذلك يحبون البقاء في الدنيا لما يعلمون من مآلهم السيء وعاقبتهم عند الله الخاسرة فهم يودون لو تأخروا عن الآخرة وبقوا في الدنيا.

ولن ينجيهم من العذاب أن يعمروا في الدنيا فمآلهم إلى العقاب والعذاب المهين فأحبوا البقاء في الدنيا بما عملوا فيها من المعاصي والسيئات فحببت الخطيئة لهم طول العمر، والعبد المؤمن يحب البقاء لعمل الآخرة، وخير المؤمنين من طال عمره وحسن عمله، والمسلم يتعلق قلبه بالآخرة والعمل لها وينظر للدنيا على أنها دار ممر وليست دار مقر وأنها مزرعة للآخرة، ويستعد دائمًا للآخرة والرحيل إليها..

واليهود أعداء المؤمنين وأعداء الملائكة فكانوا يقولون إن عدونا جبريل عليه السلام فأظهر الله ﷻ مكانة جبريل عليه السلام وأنه هو الروح الأمين الذي نزل بالذكر الحكيم على قلب محمد ﷺ وأن من عاداه فقد عادى جميع الرسل لأنه الواسطة بين الله ورسله.

فهذا القرآن قد نزل به جبريل عليه السلام ليكون هداية وبشارة للمؤمنين

فمن عادى الله وملائكته ورسله من الملائكة ومن البشر فإن الله عدو للكافرين وقد أنزل الله ﷻ على محمد ﷺ آيات واضحات دالات على نبوته وهي هداية لمن اهتدى بها ولكن اليهود كفروا بها وما يكفر بها إلا من طمست بصيرته، فهم نقضة المواثيق والعهود إلى يوم القيامة لايفون بعهد ولا ميثاق وأكبر شاهد على ذلك نقضهم عهد الله الذي أُخذ عليهم بالإيمان بنبوة النبي الخاتم محمد ﷺ فلما جاءت رسالته أنكروها وجحدوها مع أن كتبهم مليئة بأخباره وأوصافه وعرفوا نبوته كما يعرفون أبناءهم ولكنهم حسدوا وحقدوا.

وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ
سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ
ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ
وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ
فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ
وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ
مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ
مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ
أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ
وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۖ لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ
١٠٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ
ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٠٤
مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ
أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ
بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥



اليهود من بهتهم وكذبهم نسبوا السحر إلى الله وأنه أنزله على سليمان ﷺ واتبع اليهود ما تنسبه الشياطين عن ملك سليمان وما تروي من الأخبار الكاذبة وتركوا نبوة محمد ﷺ وشريعته، وجاء القرآن بتكذيبهم بأن سليمان نبي من أنبياء الله ولم ينزل الله عليه السحر وأن السحر كفر مخرج من الملة.

وإنما أنزل الله الملكين هاروت وماروت لبيان أن السحر علم يتعلم وليس للساحر من خصائص الألوهية شيء، وكان نزولهما وتعليمهما الناس السحر ابتلاء وامتحانًا للخلق، والسحر له حقيقة يؤثر في نفس المسحور وهو أنواع منه الصرف والعطف وهو ما يفرق بين الزوج وزوجته وما يحبب المرأة إلى زوجها والزوج إلى زوجته، وتعلُّم هذا السحر كفر بالله تعالى ويخرج من الملة ويضر ولا ينفع ويضر بالآخرين ومن تعلمه فقد ضل ضلالًا بعيدًا وما له في الآخرة من نصيب ولا حظ واليهود اعتاضوا بالإيمان السحر وقد سحر لبيد بن الأعصم اليهودي رسول الله ﷺ.

وحد الساحر ضربة بالسيف لأنه كافر يصرف العبادة للشياطين، فلو أن السحرة آمنوا واتقوا وأطاعوا لكان خيرًا لهم وأحسن حالًا ومآلًا من حالهم في الكفر والسحر.

والسحر تغيير للحقائق وطمس لها ولذلك أُمر المؤمنون بأن لا يكونوا كاليهود يحرفون الكلم ويتكلمون بكلام ويقصدون غيره مثل قولهم راعنا إذا أرادوا أن يقولوا انظرنا فهم يقصدون الرعونة فنهي المسلمون عن مشابهتهم

وهذا نهي عن التشبه بالكفار وبأقوالهم وأفعالهم ولباسهم وأعيادهم وعبادتهم فهم يحسدون أهل الإيمان ولا يريدون أن ينعموا بالخير حسدًا وحقدًا وبغضًا للمؤمنين، والله سبحانه هو المنعم على عباده وهو سبحانه الذي يعطي ويمنع ويرزق من يشاء وهو الرزاق الكريم وهو الذي يتفضل على عباده بالنعم والخير ولا يمنع فضله وعطاءه أحد من الناس، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ولا ينفع ذا الجد منه الجد.

۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾



النسخ في القرآن أنواع؛ نسخ اللفظ والحكم جميعًا أو نسخ اللفظ وبقاء الحكم أو بقاء اللفظ ونسخ الحكم.

وما ينسخه الله من الآيات أو يؤخر نسخها فإنه يأتي بخير منها أو مثلها فالنسخ لِحكَم عظيمة فقد تكون الآية الناسخة لها خير للمكلفين وأرفق بهم وفيها تيسير عليهم وتخفيف.

فالله ﷻ لـه ملك السماوات والأرض ينسخ ما يشاء ويثبت ويأمر بما يشاء وفي ذلك رد على اليهود الذين أنكروا النسخ، فالله سبحانه خلق الخلق وهو سبحانه المدبر لهم فعلى العباد الطاعة والانقياد والقبول، فله سبحانه الخلق والأمر، والمسلم يمتثل ويذعن، ونهي المسلمون عن كثرة الأسئلة عن الأشياء قبل وقوعها أو السؤال على وجه التعنت والاختبار أو التكذيب والعناد فقد سأل بنو إسرائيل موسى أكبر وأعظم فقالوا أرنا الله جهرة، فمن اشترى الكفر بالإيمان فقد ضل الطريق المستقيم إلى الجهل والضلال وهي حالة كل من كذب الأنبياء والمرسلين وخالفهم من أهل الكتاب وغيرهم فأهل الكتاب يحملون الحسد والحقد ويودون كفر المؤمنين مثلهم لما رأوهم على الحق والهدى فهم يعلمون أن المؤمنين على الحق فحسدوهم وودوا لو يكفرون كما كفروا، فأُمر المؤمنون بالعفو والصفح عمن ظلمهم حتى جاء أمر الله بقتل المشركين حيثما وجدوا فكل مشرك محارب يجب قتاله أما المعاهد والذمي والمستأمن فلا يجوز قتلهم؛ لأنهم قد عصمت دماؤهم بالعقد والعهد، والميثاق، وأمر المؤمنون بإقامة الصلاة فهي سبب لقوتهم على أعدائهم، والإنفاق في سبيل الله من إيتاء الزكاة والصدقة والبذل، وما يقدم المسلم من شيء إلا سيجده ظلا يستظل به يوم القيامة.

فالمؤمنون يعتزون بإيمانهم وأعمالهم الصالحة وهي التي تميزهم عن غيرهم فإن الكرامة والشرف في الالتزام بتعاليم الإسلام.

أما اليهود والنصارى فإنهم يرون أنه لا يدخل الجنة إلا من كان يهوديًا أو نصرانيًا وتلك أماني يتمنونها ويدعونها بدون حق وبدون علم وبدون حجة ولا دليل ولكنها أماني يدعونها فاليهود قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة، ولكن الحقيقة الصحيحة أن العاقبة الحميدة لمن أسلم وجهه لله وأخلص العمل لله وعمل صالحًا فهو من المحسنين الذين يراقبون الله تعالى في جميع أعمالهم وأقوالهم.

والذين لهم الحسنى وزيادة فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمر الآخرة ولا هم يحزنون على ما يتركونه في الدنيا فلهم الأمن في الدنيا والآخرة.

وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ
لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ
ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ
لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ
وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ
فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿١١٥﴾
وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ
وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ
قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ
قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ
بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

أهل الكتاب من اليهود والنصارى متناقضون ومتباغضون ولكنهم يتحدون ضد الإسلام وأهله فاليهود يدعون أنهم على الحق والهدى وأن النصارى ليسوا على ذلك، والنصارى يدعون أنهم هم الذين على الحق وأن اليهود ليسوا على شيء، وهم بأيديهم كتبهم ويعلمون أن شريعة التوراة والإنجيل كل منهما قد كانت مشروعة في وقت ولكنهم تجاحدوا فيما بينهم عنادًا وكفرًا، وقال العرب الذي لا يعلمون مثل قولهم فقالوا محمد ليس على شيء.

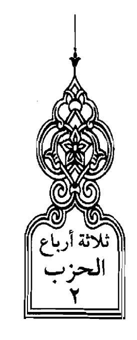
والله ﷻ الذي يقضي بينهم يوم القيامة ويظهر أهل الحق والهدى بأن تكون لهم العاقبة في الدارين.

والمساجد بيوت الله تعالى بنيت لذكره وإقامة الصلاة فيها فأشد الناس ظلمًا من منع إقامة ذكر الله فيها وإقامة الصلاة، وسعى بقطع الناس عن دخولها وارتيادها فالنصارى الذين خربوا بيت المقدس وسعوا في خرابه والمشركون الذين منعوا الرسول ﷺ من دخول مكة يوم الحديبية وغيرهم إلى قيام الساعة لهم خزي في الدنيا وفي الآخرة عذاب عظيم فهؤلاء وأمثالهم لهم الخوف في الدنيا والخزي والعذاب في الآخرة.

ومُن منع من دخول المساجد وأُخرج من بلده فلله المشرق والمغرب أينما صلى فهو يصلي لله تبارك وتعالى وله الصلاة في أي مكان يستقبل المسجد الحرام في صلاته، ويجوز له أن يصلي النافلة في السفر على أي اتجاه كما كان النبي ﷺ يفعله، فالله ﷻ مطلع على أعمال العباد في كل مكان عليم بأفعالهم وصلواتهم وحركاتهم وسكناتهم.

فالمسلم يعلم باطلاع الله عليه فيراقب الله في كل شيء وينزه الله عن النقائص ويسبحه ويقدسه، فهؤلاء اليهود والنصارى نسبوا لله الولد، والمشركون قالوا الملائكة بنات الله تعالى الله وتقدس عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا فالخلق عباد الله لـه يصلون ويسجدون ويركعون وله يقرون بالعبودية، خلق السماوات والأرض فأحسن خلقهما، وإنما أمره إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون، وهذا دليل قدرته سبحانه وهو على كل شيء قدير، ولكن المشركين الكافرين يجحدون نبوة النبي محمد ﷺ ويطلبون منه أن يخاطبهم الله ويكلمهم بنبوته أو يرسل آية تدل على صدقه، وهذه المطالب طالب بها اليهود والنصارى من قبلهم فقد تشابهت قلوب المشركين في الكفر والعناد والعتو والاستكبار، تلك القلوب التي لا تبصر الحق والهدى فقد أوضح الله سبحانه صدق رسله بالدلائل والبراهين والمعجزات ولكن لا يبصرها إلا أهل اليقين ممن اتبع الرسل وآمن بهم، فلقد أُرسل هذا النبي الخاتم ﷺ بالحق والهدى يبشر بالجنة وينذر من النار فعليه البلاغ ولن يُسأل عن حال أهل الجحيم الذين عصوا وكذبوا وجحدوا.

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾





مهما قدم المسلمون من تنازلات لليهود والنصارى فلن يرضيهم ذلك، ولن يرضوا إلا بالخروج من الدين الإسلامي ودخول اليهودية أو النصرانية لما يحملونه من حقد وكراهية للمسلمين، فهؤلاء تحمل قلوبهم الحقد والكراهية للمسلمين.

والأمة المسلمة يجب أن تعلم أن اليهود والنصارى لا يرضيهم إلا التخلي عن الإسلام، فجاء التوجيه للنبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه بأن اليهود والنصارى لن يرضوا عنه، ودين الإسلام خير الهدي وخير الأديان جعل الله فيه الخيرية والهداية فلن يجد أحد الهداية إلا عن طريق الإسلام، فمن اتبع أهواء أهل الكتاب فقد ضل سواء السبيل ومن استبدل الهداية بالضلالة فما لـه من دون الله من ولي ولا نصير، وأما المتمسكون بكتاب ربهم يقرؤونه ويتبعون ما فيه من الهداية فهم المؤمنون حقًا، أما من كفر به فهو الخاسر في الدنيا والآخرة، ويأتي التذكير لبني إسرائيل مرة أخرى بذكر النعم عليهم وتفضيلهم على أهل زمانهم فعليهم تقوى الله واتقاء عذاب يوم القيامة ذلك اليوم الذي تجزى فيه النفوس ولا يملك أحد لأحد نفعًا ولا ضرًا.

ويذكر الله شرف إبراهيم أبي الأنبياء وسيد الحنفاء ﷺ فقد كلف واختبر وامتحن فقام بما كلف به وفاز فيما امتحن به، ابتلي بشرائع وأوامر ونواهي فقام بها فكان من المؤمنين الصادقين حتى كان إمامًا في الحق والهدى جزاء بما قام به من الأوامر وترك الزواجر، فكان قدوة يقتدى به ويحتذى به وأسوة، وجعل الله من ذريته الصالحة أنبياء ورسل، أما من ظلم من ذريته وعصى الله فلا يكون كذلك.

وجعل الله البيت الحرام الذي بناه إبراهيم ﷺ وابنه إسماعيل مجتمعًا للناس يترددون عليه فلا يقضون منه حاجتهم ونفوسهم متعلقة بهذا البيت، يجدون فيه الأمن والأمان، أمنٌ للقلوب وللأبدان، فيه مقام إبراهيم معجزة خالدة وباقية وآية عظيمة، يقصد للصلاة خلفه ركعتي الطواف، ذلك البيت الذي طهر من الأذى والنجس، ومن الشرك والوثنية فهو طاهر بتطهير الله له على يد أنبيائه إبراهيم وإسماعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام، فبه يطوفون ويعتكفون ويركعون ويسجدون، وتلك دعوة إبراهيم ﷺ لهذا البيت بالأمن والأمان والسعة في الرزق والرغد في العيش وبركة في الطعام والشراب، تلك الدعوة للذين آمنوا وأخلصوا العمل لله أما من كفر فهو يتمتع فيها ويمهله الله في الدنيا وله في الآخرة العذاب الأليم.

وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ
مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ
لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا
مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ
وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرۡغَبُ عَن
مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ
وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ
قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ
وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ
ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ
إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا
وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا
مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٤﴾



أمر الله ﷻ خليله ونبيه إبراهيم عليه السلام أن يبني البيت الحرام بمكة فقد أسكن ابنه إسماعيل وأمه هاجر في ذلك الوادي الذي لا زرع فيه ولا ماء بأمر من الله.

ثم أمره الله ببناء البيت فرفع قواعد البيت ويساعده ابنه وفلذة كبده إسماعيل عليه السلام، فبناه بالحجارة فكانا يبنيان البيت ويدعوان الله بالقبول منهما، وأن يبارك في ذريتهما ويجعل فيها الإسلام والخيرّية ويجعل في هذه الذرية الإخلاص والتوحيد ودعوا الله أن يعلمهما المناسك، فعلّم الله إبراهيم مناسك الحج، وكان من دعائهما الدعوة لأهل هذا البيت الحرام ببعثة سيد المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام، فبعث الله من هذا البلد الحرام رسول الله ﷺ، فعلمهم القرآن والسنة، وكانت دعوته تزكية للعرب والعجم وهداية للبشرية، ودعوة محمد ﷺ هي أَوْلى الدعوات بدعوة إبراهيم عليه السلام فهي دعوة التوحيد فمن زهد في هذه الدعوة وهي ملة إبراهيم فقد ظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره حيث خالف طريق من اصطفى الله من عباده في الدنيا للهداية والرشاد، وإمامهم إبراهيم ومحمد ﷺ فإبراهيم إمام الحنفاء وقدوتهم أمره الله بالإخلاص لـه والاستسلام لـه فأجاب إلى ذلك شرعًا وقدرًا، وكانت وصيته لأبنائه بالتزام هذه الملة وهي الإسلام والحياة عليها والموت عليها فإن من التزمها في الحياة مات عليها بإذن الله تبارك وتعالى وثبته الله عند المات.

وتواصت ذريته من بعده على ذلك فيعقوب بن إسحاق بن إبراهيم وهو إسرائيل وصى بها بنيه عند الموت، وصاهم أن تكون نهايتهم على كلمة التوحيد لا إله إلا الله، وصاهم ليموتوا عليها فيبعثوا عليها، وهي أعظم وصية يوصى بها، وخير نهاية للحياة، فمن كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة.

اللهم أحينا عليها وأمتنا عليها وثبتنا عند قولها يا حي يا قيوم.

تلك الأمة العظيمة التي دعت إلى التوحيد وعاشت عليه وماتت عليه لها عملها وأجرها وثوابها ولكل عمله وأجره، فكل نفس لا تُسأل إلا عن نفسها، ولن تسأل عن غيرها.

فالعبد المؤمن يتعاهد نفسه وذريته بالوصية بالتوحيد والدعوة إليه والتذكير به جعلنا الله من أهل لا إله إلا الله.

وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ
حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ
أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ
مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾
فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا
هُمْ فِي شِقَاقٍۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ
﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةًۖ وَنَحْنُ لَهُۥ
عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ
وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ
تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾



ملة إبراهيم عليه الصلاة السلام هي الحنيفية وهي الهداية للبشرية، ولو ادعى اليهود والنصارى أن طريقتهم هي الهدى، فالهداية في توحيد الله وحده لا شريك لـه، فالحنيفية هي الميل عن الشرك إلى التوحيد وهي الاتباع لمنهج الرسل عليهم الصلاة والسلام وهي الإيمان بجميع الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم.

فإن أراد أهل الكتاب الهداية فليؤمنوا بجميع الرسل أولهم نوح وآخرهم محمد عليهم الصلاة والسلام ومنهم إبراهيم وابناه إسماعيل وإسحاق، ويعقوب بن إسحاق، والأسباط وهم أبناء يعقوب، وموسى وعيسى عليهما السلام فلا يفرقون بين أحد من رسل الله بل يؤمنون بهم جميعًا لأن من كفر برسول فقد كفر بجميع الرسل، والإيمان برسل الله يتضمن الإيمان بأنهم رسل مكرمون أرسلوا لهداية البشرية وحجة على عباد الله.

فمن آمن بهم فقد اهتدى ومن أعرض وكذب بالرسل فإنما هو مجادل ومعرض فسينصر الله نبيه والمؤمنين عليه، فعلى المسلم الالتزام بالتوحيد والعقيدة الصحيحة فهي النجاة من النار وهي سبب دخول الجنة والفوز بمرضاة الله تعالى، فبالتوحيد تحقيق العبودية لله ﷻ، فمن خاصمنا وناظرنا في التوحيد والإخلاص لله والانقياد له فهو ﷻ ربنا وحده لا شريك لـه وهو ربهم ولنا أعمالنا ولهم أعمالهم فنتبرأ مما عملوا من الشرك والوثنية والمعصية والتكذيب

ونحن على الإخلاص والتوحيد أما ادعاؤهم أن أنبياء الله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا من اليهود أو النصارى فالله سبحانه وتعالى أخبر وهو العليم أن إبراهيم لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا، فهل اليهود والنصارى أعلم أم الله.

ومن أعظم الظلم كتمان الشهادة والحقيقة هوىً وطمعًا فإن الله يعلم أعمال العباد وما هم عاملون، فلا ينفع الانتساب إلى أنبياء الله دون عمل ومتابعة، فلابد من الانقياد إلى ما جاءت به الرسل والعمل به وبالأخص دعوة سيد المرسلين نبينا محمد ﷺ، فمن أراد الشرف والمكانة والعز والتمكين فليؤمن برسالته وليكن من أتباعه حشرنا الله في زمرته وجعلنا من أتباعه.

۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

لله الحكمة البالغة فيما يأمر به ويشرعه لعباده وعلى العباد التسليم والقبول والإذعان، ومما ابتلى الله عباده به تحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام فكان فتنة وابتلاءً، فقد صلى النبي ﷺ بأمر الله إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا ثم أمر بالتحويل إلى استقبال المسجد الحرام.

فقال اليهود لا يدري محمد أين يتجه ترك قبلة الأنبياء قبله، وقال المشركون اليوم تحول إلى قبلتنا وسيتحول إلى ديننا، والمؤمنون قالوا سمعنا وأطعنا، فالله سبحانه له المشرق والمغرب يأمر عباده بما يشاء ولكن السفهاء الذين لا يعلمون هم الذين يعارضون أوامر الله عن جهل وعناد وإصرار.

فالله سبحانه يهدي عباده لما فيه خيرهم وصلاحهم فهو سبحانه الذي هداهم للإسلام وعلمهم الحكمة والقرآن، وجعل أمة الإسلام خير الأمم وجعل قبلتهم خيرَ قبلة إلى خير بقعة، لتكون شاهدة للأنبياء بالبلاغ لرسالاتهم لأن الله سبحانه أخبر في القرآن عن تبليغهم دعوة الله، فهي أمة العدل الوسط، ويكون نبيها محمد ﷺ شاهدًا عليها.

تلك الأمة الخيرة هي الأمة المستجيبة لأمر الله وأمر رسوله ﷺ وما كان تحويل القبلة إلا ليميز الله أهل الإيمان من أهل النفاق فالذين آمنوا وصدقوا يعلمون أنه الحق من ربهم وأما من في قلبه مرض كان ذلك سبب ارتداده عن الإسلام، ومن مات قبل تحويل القبلة فما كان الله ليضيع صلاتهم التي صلوها إلى بيت المقدس بل لهم أجرها وثوابها فمن رحمة الله بعباده ألا يكلفهم بما لا يطيقون ولا يستطيعون، ومن رحمته سبحانه ثوابه لعباده.

وكان النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه يحب أن يستقبل المسجد الحرام بعد هجرته، وكان ينظر في السماء فأمره الله بالتحويل من بيت المقدس إلى المسجد الحرام فإلى جهة الكعبة يصلي، وكانت أول صلاة صلاها صلاة العصر، وأمر المسلمون بالتوجه لاستقبال البيت الحرام في كل مكان من الأرض، وذلك أمر قد كتبه الله وقضاه، وأهل الكتاب من اليهود يعلمون ما في كتبهم من وصفه ﷺ ووصف شريعته الكاملة ولكنهم يكتمون الحق حسدًا وكفرًا وعنادًا.

ولذلك لن يستقبلوا قبلة النبي ﷺ فكما أنكروا نبوته سينكرون قبلته ولو أقيم لهم الدليل، فما كان النبي ﷺ ليتبع قبلتهم ويخالف أمر الله ﷻ، ونهى الله المؤمنين أن يتركوا الحق لمجرد الهوى فإن ذلك ظلم للنفس واتباع للباطل.

فالمسلم الحق هو الذي يمتثل ويقبل أمر الله ويسارع للعمل دون أن يتردد أو يشك به أو يجادل، وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ولذلك الصحابة لما أُخبروا بتحويل القبلة استداروا في الصلاة فكان أول الصلاة إلى بيت المقدس وآخرها إلى البيت الحرام.

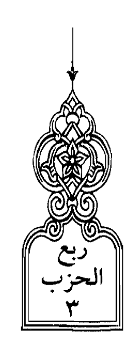
ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ
فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلۡحَقُّ مِن
رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ
فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٤٨﴾ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ
وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا
ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ
شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ
شَطۡرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ
مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ
تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ
يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ
وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذۡكُرُونِيٓ
أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾

أهل الكتاب يعرفون صدق نبوة النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم وهم يكتمون ما في كتبهم من صفة النبي ﷺ وهم يعلمون أنه الحق وأنه النبي الخاتم الذي كانوا يتمنون أن يكون منهم وهم متيقنون من صدقه وذلك تسلية للنبي ﷺ لأنه هو الحق الذي نزل به الروح الأمين على قلبه ليكون من المنذرين فلا يحصل له أدنى شك ولا ريبة برسالته وإن أنكرها اليهود، وإن رسالة النبي ﷺ خير الرسالات وأشرفها ولكل أمة من الأمم وجهة يتوجهون إليها ولكن هذه الأمة لا ترتبط بالأماكن ولا بالأزمان وإنما ترتبط بالأوامر الربانية وتتعلق بالالتزام في التسابق في ميدان الخيرات فإنه مضمار المؤمنين وسبيل المتقين، فالمؤمنون حقًا هم المسارعون والمتنافسون والمتسابقون في طريق الحق، فهذه الحياة ميدان للسباق والجميع تحت قدرة الله ومشيئته، وسيجمع الله الخلائق يوم القيامة، ويأتي التأكيد على استقبال البلد التي خرج منها النبي ﷺ مهاجرًا لبيان شرفها ومكانتها، ويتوجه إليها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها لتنقطع حجج اليهود الذين يعلمون في كتبهم أن قبلته الكعبة، وتنقطع حجة المشركين الذين يفخرون بالبيت ولكن الظلمة من اليهود والنصارى لا يقنعهم شيء، فهؤلاء وإن ظلموا وتجبروا وطغوا فالمسلم لا يخشاهم ويخافهم وإنما يخاف الله تبارك وتعالى، فإن من خاف الله واتقاه أتم الله عليه نعمة الإسلام والهداية إليه، فإن من أعظم النعم الهداية لهذا الدين فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ومن النعم على هذه الأمة إرسال هذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه، بعثه الله من العرب بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا جاء بالآيات البينات التي تطهر القلوب والنفوس من الرذائل ودنس الجاهلية ورجسها، ويعلمهم القرآن والسنة التي فيها العلم النافع الذي يزيل الجهل وينير للمسلم الطريق، فعلى المسلم شكر هذه النعمة وذكر الله تعالى سرًا وجهرًا فإن ذكر الله رأس الشكر، فالشكر يكون بالقلب وباللسان وبالجوارح، فمن ذكر الله ذكره الله في الملأ الأعلى، فيشكر المسلم ربه للهداية والتوفيق للصراط المستقيم والمنهج القويم فيستعمل نعمة الله في طاعته ومرضاته، ولا يكفر النعمة باستعمالها فيما حرم الله، فإن كفر النعم سبب لزوالها.

ويستعين المسلم على أمور دينه ودنياه بالصبر بأنواعه، الصبر على طاعة الله والصبر عن معصية الله والصبر على أقدار الله المؤلمة، ويستعين بالصلاة فهي النور والنجاة والبرهان والصلة بين العبد وربه، وهي تعين المسلم وهي قرة عين المؤمن يجد فيها المسلم السعادة والطمأنينة والراحة من كبد الدنيا وشدتها، فينعم بالأنس بالصلاة، لأنها مناجاة ودعاء وذكر وقراءة وابتهال، يتعلق فيها القلب فيطمئن ويأنس فمن استعان بها وجد فيها نعم العون.

فالصبر والصلاة سلاح للمؤمن في كل أزمة وكل شدة، فالله مع الذين صبروا يؤيدهم ويحفظهم.

وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن
لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ
وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ
﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ
﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ



فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ
بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ
لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ
﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ
عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ
كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ
﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ
﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾



الصبر لـه مجالاته المتنوعة ومن ذلك الصبر على أقدار الله المؤلمة ومنها فـراق الأحبـة، ففقـدهم يحتـاج إلى صبر ومصابرة سواء كان فقدهم في القتـال في سـبيل الله أو في غـيره، فالشرـف لمـن قتـل في سـبيل الله وحياتـه الأخروية تعزية لمن يحبه، فهو حي يرزق في حواصل طير خضر تأوي إلى قناديل تحـت العـرش، فالشـهداء لهـم نورهم وأجرهم عند الله، وإن انتقلوا من الدنيا إلى نعيم الآخرة يستبشرون بنعمـة الله علـيهم، ويمـتحن الله عباده المؤمنين بالخوف وعدم الأمن، فالأمن نعمة مـن الله تعـالى، والخـوف بـلاء وشـدة يبـتلي الله فيـه العبـاد، ويبتليهم بالجوع ونقص في الأموال والثمرات لعلهم يرجعون وينيبون ويتوبون ويستغفرون فـما نـزل بـلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة، ويمتحن الله تعالى عباده بفقد الأنفس من الأقـارب والأحبـاب والأصـحاب فتكـون البشرى بالأجر والثواب وبالفوز للصابرين وحدهم الذين إذا وقعت عليهم المصائب علموا أنهـا مـن عنـد الله وهي قضاؤه وقدره فيسلِّموا ويرضوا ويصبروا ويقولوا إنا لله وإنا إليه راجعون فكلهم تحت قـدر الله وقضـائه، وهم خلق الله وهم سينتقلون من هذه الدار وراجعون إلى ربهم فيجزيهم بصبرهم وإيمانهم فلهم ثناء الله علـيهم في الملأ الأعلى ولهم الرحمة منه سبحانه، ومن رحمتـه لهـم أن رزقهـم الصـبر والاحتسـاب، فهـم الـذين اهتـدوا وعرفوا الحق فجمعوا بين الإيمان بالقضاء والقدر وبين الصبر والاحتساب فكانت لهم العاقبة الحميـدة، ومثـال للصبر والمصابرة صبر هـاجر أم إسـماعيل ﷺ عـلى أقـدار الله المؤلمـة وسـعيها بالأخـذ بالأسـباب مـع الصـبر والتسليم فكانت لها العاقبة الحميدة والفرج القريب فكان سعيها بـين الصـفا والمـروة شـعارًا لـذلك، والصـبر تسليم وإذعان ومن تمام التسليم والمتابعة الاقتداء بالنبي ﷺ حيث سعى بين الصفا والمروة وقـال إن الله كتـب عليكم السعي فاسعوا، فالصفا والمروة من أعلام الدين الظاهرة التي يتعبد الله بالسعي بيـنهما فمـن قصـد هـذا البيت لحج أو عمرة فلابد أن يسعى بينهما ليكمل نسكه، ولا يتحرج أحد من المسلمين أن كانت الأصنام عليهـا تعبد من دون الله فقد زال ذلك وأمر الرسول صلوات الله وسلامه عليه بالسعي فالسـعي مـن الطاعـات التـي يتقرب بها الحاج والمعتمر وما يفعل أحد طاعة لله إلا كانت خيرًا لـه في الثواب والأجر والله ﷻ يقبل من عبـاده القليل ويثيب الكثير، وهو سبحانه الذي يعلم نياتهم، وهو ﷻ هو الذي علّم الإنسان ما لم يعلـم فقـد أنـزل الله البينات والهدى والعلم النافع لينير للناس طريقهم إليه، فمن حمله من أهل العلـم فيجـب عليـه تبليغـه ويحـرم عليه كتمانه فمن كتم علمًا ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة، فكتمان العلم سبب لغضب الله والطرد عـن رحمـة الله وسبب للعن الناس لأنه غش لهم، وتفريط في الأمانة، وعصيان لله وعصيان للرسول ﷺ، ومـن تـاب مـن كتمان العلم تاب الله عليه، فهو سبحانه يتوب على مـن تـاب ومـن علامـة التوبـة البيـان بعـد الكـتمان والقيـام بالمسئولية، ومن مات على الكفر فهو مطرود عن رحمة الله وهو من أهل النار تلعنه الملائكة والناس أجمعون، فلا يجوز الترحم عليه ولا تصحيح كفره فهو قد ختم لـه بالكفر نسأل الله السلامة والعافية كـما نسـأله المـمات عـلى هذا الدين، وعلى التوحيد الخالص، والذي يجب على كل مسلم اعتقاده أن الله وحده لا شريك لـه في الألوهيـة فهو متوحد في ذاته وأفعاله وأسمائه وصفاته، وهو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكـن لـه كفـوًا أحـد فمن مات على هذه العقيدةفهو من أهل الجنة فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله.

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ
وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا
مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ
بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ
ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ
ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾
إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ
لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ
أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم
بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾



التفكر في مخلوقات الله تبارك وتعالى عبادة يتعبد بها المسلم ربه، وهو يقود إلى التوحيد، فتلك المخلوقات تدل على استحقاقه للعبادة، فخلق السماوات في ارتفاعها واتساعها وكواكبها ونجومها. والأرض في بحارها وجبالها ووديانها ووهادها وعمرانها يعيش الناس على ظهرها قد خلق الله لهم ما على ظهرها من كل دابة، واختلاف الليل والنهار يذهب هذا ويجيء هذا يتعاقبان على الدوام واختلافهما في الطول والقصر والحرارة والبرودة والظلمة والنور، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون

وتلك السفن التي سخر الله لها البحر والرياح تحمل الناس وتحمل أرزاقهم وأثاثهم، وإنزال الماء من السماء فتحيا الأرض بعد موتها بأنواع النباتات فتأخذ الأرض زينتها وزخرفها من الجمال الذي يكسوها، وما انتشر على وجه الأرض من الدواب المختلفة منهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع ومنها الذي يحمل الناس ومنها ما يكون غذاء وطعامًا ومنها ما يكون جَمالًا كلها تجري بأمر الله وتسبح الله ﷻ، واختلاف الرياح فمنها الرياح الباردة ومنها الحارة ومنها ما يأتي من الشمال ومنها ما يأتي من الجنوب ومنها ما يأتي للرحمة ومنها ما يأتي للعذاب ومنها التي تقود السحاب، ومنها ما يؤلف بينه، ومنها ما يلقح السحاب، وذلك السحاب الذي يكون بين السماء والأرض يحمل المطر الغزير ينزل على العباد فيكون لبعضهم نعمة ولبعضهم نقمة، كل ذلك آيات لمن تدبرها وعقلها وتفكر فيها، فمن تأملها بحضور قلب قاده ذلك إلى الإيمان بالله ﷻ، فتلك الآيات الدالة على وحدانيته ﷻ قد حجبت عن عقول من اتخذ مع الله شريكًا يصرف العبادة له، أو نوعًا من أنواعها، فالمحبة مع الذل والتعظيم عبادة لا تصرف إلا لله ﷻ، فمن أحب غير الله كحب الله فقد أشرك، والمؤمنون الصادقون هم الذين يحبون الله ويحبهم ﷻ، فلا توجد حلاوة الإيمان إلا بحب الله ورسوله ﷺ فالحب مع الذل من ركائز العبودية أما الذين ظلموا أنفسهم بالشرك فإنهم إذا عاينوا العذاب يوم القيامة علموا علم اليقين أن الأمر لله والحكم له وحده لا شريك له، وأن القوة لله جميعًا وهو ﷻ شديد العقاب لمن أشرك معه غيره وهو أغنى الشركاء عن الشرك، وفي ذلك الموقف يتبرأ المتبَعون من الأتباع وتنقطع أسباب الوصل التي كانت بينهم في الدنيا، فليتبرأ المسلم من كل عمل لا يوافق شريعة الله وليحذر من الشرك ووسائله قبل أن يتبرأ من ذلك يوم القيامة فهاهو اليوم يستطيع أن يتبرأ قبل أن يتمنى ذلك ولا يستطيعه، وقبل أن يكون عمله ندامة يوم القيامة وحسرة، فلا نجاة له إلا بالتوحيد والبراءة من الشرك وأهله، لأن الله حرم الجنة على المشركين وأوجب عليهم الخلود في النار، فإن الله تعالى جعل ما في الأرض من الطيبات حلالًا طيبًا تستطيبه النفوس، فيأكل المؤمن من رزق الله ويستعين بذلك على طاعة الله وليحذر أن يتبع وساوس الشيطان وتزيينه ويسلك طرقه فإنه يدعو إلى المعاصي والسيئات خطوة خطوة ويأمر بالوقوع في الموبقات والإشراك بالله تعالى والقول على الله بغير علم.

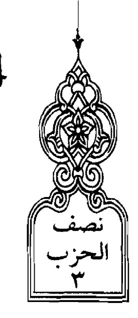
وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ
ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا
يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنْعِقُ
بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءًۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
﴿١٧١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ
وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ
عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ
لِغَيْرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ
فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِۚ فَمَآ
أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ
بِٱلْحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

التعصب للآباء والأجداد طريقة جاهلية وتقليد الأسلاف طريق الشيطان وسبيله، فمن اكتفى بالتقليد وزهد بالاتباع لسنة محمد ﷺ فهو من الخاسرين، ومثل من كانت تلك حالته كمثل البهائم تسمع صوت راعيها ولا تفهم معناه، فهم لا يفقهون ما يدعون إليه من الحق فهم لا ينتفعون لأنهم صم لا يسمعون الحق وعمي لا يبصرون الحق وبكم لا ينطقون بالحق فهم كالمجانين، فهذه الشريعة الغراء التي هي خير للبشرية جاءت بإباحة الطيبات وتحريم الخبائث وهذه من النعم التي تستحق الشكر لله تعالى، فإن الشكر من تمام العبادة، وما حرم الله على عباده من المحرمات من الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما ذبح لغير الله فإنه يباح عند الاضطرار دون تعد ولا مجاوزة للحد وإنما لدفع الضرر فهو سبحانه رحيم بعباده حرم عليهم ما يضرهم وأباح لهم المحرم عند اضطرارهم إليه وهو غفور لذنوبهم ولأكلهم الحرام حال الضرورة، ويتجدد الذم لأهل الكتاب الذين أنكروا نبوة النبي ﷺ ولم يصدقوه وكفروا بما جاء به وكتموا ما في كتبهم من صفته وأحواله، واستعاضوا بذلك الكفر والطغيان وقنعوا بالأموال مقابل الجحود والتكذيب طمعًا في الدنيا وإيثارًا لها على الآخرة فما يأكلون في بطونهم إنما هو قطعة من النار، وهذه حال كل من كتم الحق وباع الآخرة بالدنيا وكتم الحقائق بعرَض من الدنيا قليل، فلهم العقوبة في الدنيا بأن الله لا يكلمهم بل سخط عليهم ولم يطهرهم ولم يثن عليهم ويمدحهم بل يذمهم ويعذبهم عذابًا أليما فهم قد اشتروا الضلالة والغواية بالهداية، وهم كفروا وكتموا ولم يصدقوا ويذكروا ما في كتبهم من حقيقة النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام وتلك حالة كل من كتم فإنه يشتري الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فلم يطلبوا أسباب المغفرة بل طلبوا أسباب العذاب والنكال والعقاب فما أكثر ما يستكثرون من أسباب دخول النار من الكفر والشرك والمعاصي، فلن يصبروا على النار ساعة فكيف يستكثرون من أسبابها، وإنما استحق أهل الكتاب النار لأن الله أنزل على نبيه محمدًا ﷺ الكتاب ليكون للعالمين نذيرًا فاتخذوا آيات الله هزوا فكتبهم تأمرهم بالبيان وإظهار العلم فخالفوها فكتموا وكذبوا وجحدوا والنبي محمد ﷺ يأمرهم بالحق ويدعوهم إليه وهم يكذبون ويخالفون ويكتمون.

فهم في محادة لله ولرسوله ﷺ فكثر شقاقهم ومجادلتهم بالباطل.

والعبد المؤمن مأمور بالتزام الحق وعدم رد ه لمخالفته ما عليه الآباء والأجداد، بل ما عليه الآباء والأجداد يرد إذا خالف الكتاب والسنة.

ويحرص المسلم على كسب الحلال والبعد عن المكاسب الخبيثة، ويعلم أن فيما أحل الله غنية عن الحرام، وإنما حرم الحرام لمصلحة العباد، ويحذر من كتمان الحق بل يكون سببًا من أسباب نشر الحق والدعوة إليه.



۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾



البر اسم جامع لكل خصال الخير، وليس البر عند المسلم هو التوجه لأي جهة وإنما البر الامتثال لأمر الله، وتلك الآيات تشير إلى ما حصل عند تحويل القبلة فشق على بعض المسلمين معرفة الحكمة فبينت هذه الآيات أن الحكمة هي في طاعة الله وسرعة الاستجابة لأمر الله، واتباع ما شرع الله فهو البر والتقوى والإيمان، فالبر له أنواع كثيرة منها الإيمان بالله تعالى، ويتضمن الإيمان بالله الإيمان بربوبيته وأنه الخالق الرازق المحيي المميت والإيمان بألوهيته وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له، والإيمان بأسماء الله وصفاته وأنه له سبحانه الأسماء الحسنى والصفات العلا، والإيمان بوجود الله ﷻ، ومن الإيمان الإيمان باليوم الآخر الذي ليس بعده يوم، وهو يوم القيامة يوم تبلى السرائر وتجازى الخلائق، وما يكون فيه من البعث بعد الموت والنفخ في الصور والحشر والشفاعة والحوض والميزان والصراط ودخول أهل الجنة الجنة ودخول أهل النار النار، وما يسبق ذلك من الموت وعذاب القبر ونعيمه وعلامات الساعة الكبرى والصغرى وغيرها، والإيمان بالملائكة وأنهم من مخلوقات الله خلقهم من النور، خُلقوا للعبادة وأوكلت لهم أعمال منها ما نعلمها كالموكل بالوحي والقطر وبالجنة والنار وبالنفخ وبحفظ الأعمال وبحفظ بني آدم، ومنهم من نعلم اسمه كجبريل وميكائيل ورضوان ومالك وغيرهم، وليس لهم من خصائص الألوهية شيء، ومن البر إنفاق المال مع المحبة له والرغبة فيه، فأفضل الصدقة والإنسان صحيح شحيح، يأمل الغنى، ويخشى الفقر وأعظم الصدقة ما كانت على الأقارب فالصدقة على المساكين صدقة، وعلى ذوي الرحم ثنتان: صدقة وصلة، فهم أولى الناس بالإنسان وببره وإعطائه، ومن الصدقة التصدق على اليتامى وهم الذين مات آباؤهم وهم ضعفاء صغار دون البلوغ وليس لهم قدرة على التكسب، ومن الصدقة التصدق على المساكين وهم الذين لا يجدون ما يكفيهم في قوتهم وكسوتهم وسكناهم، فيعطون ما تسد به حاجتهم وخلتهم، ومن الصدقة التصدق على ابن السبيل وهو المسافر المنقطع فيعطى ما يوصله إلى بلده، ومن الصدقة التصدق على الذين يتعرضون للطلب فيعطون من الزكوات والصدقات، ومن الصدقة التصدق على المكاتبين من الأرقاء الذين لا يجدون ما يؤدونه في كتابتهم، ومن البر إتمام أفعال الصلاة في أوقاتها بركوعها، وسجودها، وطمأنينتها، وخشوعها على الوجه الشرعي المرضي، ومن البر إخراج الزكاة المفروضة لمستحقيها، ومن البر تزكية النفس، وتخليصها من الأخلاق الدنيئة، ومن البر الوفاء بعهد الله وعدم نقض الميثاق ومن البر الصبر حال الفقر، وفي حال المرض والأسقام، وفي حال القتال والتقاء الأعداء، فمن اتصف بهذه الصفات فهو من الذين صدقوا في إيمانهم؛ لأنهم حققوا الإيمان القلبي بالأقوال والأفعال، وهم الذين فعلوا الطاعات واجتنبوا المحرمات فاتقوا عذاب الله، وقد فرض الله العدل في القصاص بين عباده، الحر بالحر والعبد بالعبد، والأنثى بالأنثى، ولا يتجاوزون ويعتدون كما اعتدى من قبلهم، وغيروا حكم الله فيهم، فالأحرار في القصاص سواء فيما بينهم من العمد رجالهم ونساؤهم في النفس، وفيما دون النفس، والعبيد مستوون فيما بينهم من العمد في النفس وفيما دون النفس رجالهم ونساؤهم، فإن عفا ولي الدم وقبل الدية في العمد، فعلى المطلوب أداء الدية، وعلى المطالب بالدية أن يسلك طريق المعروف في أخذها، ومشروعية أخذ الدية في العمد تخفيف من الله على عباده ورحمة بهم، مما كان محتومًا على الأمم قبلهم من القتل أو العفو، فرحم الله هذه الأمة وأطعمهم الدية، ولم تحل لأحد قبلهم، فمن قتل بعد أخذ الدية أو قبولها، فله عذاب من الله أليم موجع شديد، وفي القصاص حكمة عظيمة، وهي بقاء المهج وصونها؛ لأنه إذا علم القاتل أنه يقتل انكف عن صنيعه، فكان في ذلك حياة للمؤمنين، ولا يفهم ذلك إلا أولو العقول السليمة، ومن البر الوصية للوالدين والأقربين وذلك قبل المواريث أما بعد المواريث فلا وصية لوارث فمن ترك مالًا فليأخذ بالوصية لنفسه ولمن لا يرث من أقربائه في حدود الثلث، وعلى من شهد هذه الوصية حفظها وعدم تبديلها وتحريفها فإن الله ﷻ سميع لمن بدل وحرّف، عليم به ومطلع عليه فليتق الله ولا يحرف ولا يبدل.

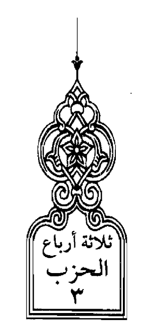
فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

الإصلاح والعدل وتصحيح الخطأ عمل صالح يقدّم للميت بعد موته، فمن رأى خطأ وجورًا وظلمًا في وصية فعليه نصح الموصي إن كان في حياته أو يصلح بين الموصى لهم والورثة بما فيه براءة الذمة للموصي حفاظًا على الحق وسيرًا على العدل، فإن فِعْل ذلك ليس من التبديل المحرم بل هو من الإصلاح والتصحيح فإن الله قد نفى الإثم في ذلك الفعل وغفر الله للمخطئ خطأ لم يقصده، وغفر الله للمصلح ما يقع منه من الخطأ من غير قصد والله رحيم بعباده جميعًا، ومن البر وفرائض الدين الصيام الذي فرضه الله على عباده تطهيرًا لهم وزكاة ففيه التقوى وهي ترك للمحرمات وفعل للطاعات، وهو أيام معدودة يسهل صيامها والمحافظة عليها، ودفعًا للمشقة وتيسيرًا على الأمة خفف عن المريض والمسافر فمن كان مريضًا يفطر ويقضي ومن كان مسافرًا يفطر ويقضي، وكان أول الإسلام أن جاء الصوم على التخيير من شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم عن كل يوم مسكينًا والصوم أفضل من الإطعام، ثم نسخ بفرضية صيام شهر رمضان فمن حضر الشهر وهو غير مريض ولا مسافر ويقوى على الصيام وجب عليه الصيام، أما الذي لا يطيق الصيام لكبر أو مرض لا يرجى برؤه فيطعم عن كل يوم مسكينًا، وأما المسافر والمريض والحامل والمرضع فلهم الفطر ويجب عليهم القضاء، كل ذلك من يسر الشريعة وسماحتها فالله ﷻ يسر على عباده، وكل ذلك خلال شهر كامل من أوله إلى آخره بإتمام رمضان ثلاثين أو برؤية الهلال فإذا تم الشهر أو رؤي الهلال يشرع التكبير ليلة العيد إلى صلاة العيد، شكرًا لله على إتمام النعمة ومن شكر الله إخراج زكاة الفطر.

وشهر رمضان شهر الخير والرحمات والبركات والدعوات الصادقات والاستغفار والتوبة والصدقة، فالله ﷻ أمر عباده بسؤاله ودعائه فللصائم دعوة لا ترد، والمسلم يدعو ربه دعاء عبادة ودعاء مسألة، والله قريب لعباده بعلمه وإحاطته وقريب بإجابة دعوة عباده فليستجيبوا وينقادوا لأوامر الله وليوقنوا أن الله يجيب دعوة الداعي إذا دعاه فإنه تعالى يجيب دعوتهم ويهديهم ويصلح بالهم ويوفقهم للخير.

فالدعاء عبادة يتقرب العبد بها إلى الله تبارك وتعالى، ويأخذ المسلم بأسباب إجابة الدعاء من التوسل المشروع بأسماء الله وصفاته أو بالأعمال الصالحة أو بدعاء حي قادر صالح، وليحذر من التوسل المحرم أو من أسباب رد الدعاء من أكل الحرام، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو الدعاء بالإثم وقطيعة الرحم، أو الاعتداء في الدعاء، والمسلم يتحين أوقات الإجابة كثلث الليل الآخر وآخر ساعة من يوم الجمعة وفي السجود وفي السفر وبين الأذان والإقامة وعند نزول المطر وفي يوم عرفة، والصائم والوالد والمظلوم لا ترد دعوتهم، وليحذر المسلم من الاستعجال في الدعاء واستبطاء الإجابة وليأخذ بآداب الدعاء من الوضوء واستقبال القبلة ورفع اليدين والصلاة على النبي ﷺ في أوله وآخره.

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ
لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ
أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ
وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ
ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ
إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِۗ
تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم
بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ
أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ
عَنِ ٱلْأَهِلَّةِۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ
بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ
وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ
وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾



كانوا في أول فرض الصيام يتحايلون في مباشرة النساء في ليالي رمضان فأباح الله ذلك تيسيرًا على هذه الأمة وتكثيرًا لنسلها وعددها، فالمرأة لباس للرجل والرجل لباس للمرأة لأن الزواج حفظ للنفوس من الوقوع في المحرمات، وكان يحرم على المسلم إذا نام من الليل أن يأكل شيئًا إلا بعد غروب الشمس من اليوم الثاني فأباح الله الأكل والشرب سائر الليل حتى طلوع الفجر الثاني ثم يمسك من طلوع الفجر إلى غروب الشمس تعبدًا لله تعالى، وهذا فرق ما بين صيامنا وصيام الأمم قبلنا.

وشرع للمسلم في رمضان الاعتكاف وهو لزوم المسجد تفرغًا للعبادة، وكان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان تحريًا لليلة القدر، ومن أحكام الاعتكاف تحريم مباشرة النساء فيه لأن المباشرة تخالف ما شرع له الاعتكاف من قطع العلاقة عن الخلائق والتفرغ لعبادة الخالق، وعلى الصائم التزام أحكام الصيام والقيام بهذه العبادة على أكمل وجه، فقد حد الله لعباده حدودًا من المحرمات فلا يقربوها حتى لا يقعوا فيها، فإن أحكام الشرع واضحة بينة فالحلال بيّن والحرام بيّن.

فالتقوى اجتناب ما حرّم الله وفعل ما أمر الله به، ومن المحرمات أكل أموال الناس بالباطل وادعاء أموال الناس وأخذها منهم من دون طيبة من نفوسهم، والتوصل إلى أخذها عن طريق المخاصمة بالباطل أو بالرشوة أو بغيرها، والمسلم يتعلم أحكام الشرع ليعمل بعلمه ويسأل عما يهمه من أمور دينه، ولما سأل السائل عن الهلال ما بال الهلال يبدو دقيقًا ثم يزيد حتى يمتلئ نورًا ثم يعود دقيقًا كما بدأ ولا يكون على حالة واحدة، فجاء الجواب في كتاب الله عما هو أهم، وهو أن هذه الأهلة مواقيت للناس في عباداتهم ومعاملاتهم ومواقيت لحجهم، وما شرع في الإسلام من العبادات إنما هو لتقوى الله ﷻ وتحقيق العبودية وقد كانت العرب إذا أحرموا لم يدخلوا البيوت من أبوابها تقربًا لله وبرًا، والحقيقة أن البر ليس بتعذيب النفس وفعل ما يشق على النفوس فعله، ولكن البر هو فعل ما يزيد التقوى ويقرب العبد إلى ربه، فالله ﷻ لم يكلف عباده ما لا يطيقون بل شرع لهم ما فيه اليسر والتيسير عليهم، فالفلاح هو بما شرع الله لا بما ابتدعه الناس من الأعمال واستحسنوها، ومن البر والعمل الصالح قتال المشركين الذين يصدون عن سبيل الله ويقاتلون أولياء الله، فيجب إقامة فريضة الجهاد في سبيل الله دون اعتداء وظلم وتسلط وغدر وخيانة، فإن هذه الفريضة جاءت بالعدل والإحسان، وما شرعت إلا لتبليغ دين الله، فإذا سلك طريق الدعوة قبل القتال فأسلموا أو دفعوا الجزية كف المسلمون عن قتالهم فإن أبوا قاتلهم المسلمون ولم يقتلوا الأطفال والنساء والشيوخ ولم يعتدوا في القتل والتمثيل وإفساد الممتلكات وإحراق الديار، إلا إذا كان في الإحراق والتقطيع تنكيلًا بالعدو فيجوز، فيما يأذن به الإمام، والجهاد يكون بإمام وراية يقود إمارة الجهاد ويرجع إليه الناس في قتالهم للعدو، وتحفظ به بيضة الإسلام وراية الجهاد.

وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

الجهاد والقتال لأعداء الله ذروة سنام الإسلام، وشرع القتال لإعلاء كلمة الله ونشر الإسلام، فإن ذلك من أعظم مقاصد الجهاد، وأُمِر المؤمنون بقتال الكفار المحاربين في أي مكان وفي أي زمان إذا لم يكن عهد ولا ميثاق، وأُمِر المسلمون بقتال مشركي العرب الذين أخرجوهم من مكة، وفتنوهم عن دينهم، فما عليه الكفار من الكفر والشرك والصد عن سبيل الله أشد وأعظم من القتل.

ومن تعظيم المسجد الحرام تحريم القتال فيه، وأذن الله للنبي ﷺ بالقتال إذا قاتله الكفار، وأحل الله له بيته في يوم الفتح، وفتح الله بيته الحرام وجعله منار الإسلام، فما جزاء الكافرين الذين يصدون عن سبيل الله إلا القتل فإن تركوا القتال في الحرم وأنابوا إلى الإسلام والتوبة فإن الله يغفر لهم ما سبق من العداوة للإسلام؛ لأن المقصود من القتال هو إظهار الدين وإعزازه فإن حصل بدون قتال كان المقصود، فالإسلام لا يتشوف لسفك الدماء وإزهاق الأرواح وإنما ليكون الدين لله وبدفع الشرك وهو الفتنة، فإذا كف المشركون عن القتال وأسلموا فإن الظالم هو المعتدي والظالم هو الذي كفر وأبى الدخول في الإسلام فله العذاب الأليم يوم القيامة، ومما كان في أول الإسلام تحريم القتال في الأشهر الحرم وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب فنسخ هذا التحريم، ولما صد المشركون النبي ﷺ يوم الحديبية وأشيع أن عثمان قد قتل بايع الصحابة بيعة الرضوان على القتال، وهم في شهر حرام، وهم قد بدءوا بالصد عن البيت فيكونون هم الذين قاتلوا في أول الأمر، فمن اعتدى على الحرمات والمحرمات اقتص منه بمثل فعله، فلئن كانت قريش صدت عن البيت فالنبي ﷺ أراد الاقتصاص منها، وعلى من اعتدي عليه أن يقتص دون زيادة فأمر الله تعالى بالعدل حتى مع المشركين، والله ﷻ مع من اتقى يؤيده وينصره ويثبته.

ومن التقوى الإنفاق في سبيل الله فلا يبخل المسلم عن الإنفاق في سبيل الله ولا يترك ما أمر الله ﷻ به من الواجبات البدنية والمالية، فمن رضي بالدنيا وأنس بها وترك أوامر الله وأقام على معصية الله فقد ألقى بنفسه للهلاك، فإهلاك النفس لا يقتصر على فعل ما يضر البدن ويزهق النفس بل إن إهلاكها فيما حرم الله أعظم وأشد وهو الهلاك الحقيقي، وضد إهلاك النفس الإحسان إليها بلزوم صراط الله المستقيم ولزوم الإحسان بجميع صوره في الإحسان في العبادة، والإحسان للخلق بالإنفاق في سبيل الله، وفي طرق الخيرات، والإحسان إلى الحيوانات، ولما صُد النبي ﷺ في عمرته عن البيت ذكرت أحكام الحج والعمرة والإحصار، فأمر الله تعالى بالحج والعمرة وقد فرضهما الله في العمر مرة واحدة ولابد من الإخلاص فيهما لله تعالى. ويلزم إتمامهما بالشروع فيهما ولابد من الإتيان بهما على جهة التمام بالأركان والواجبات والشروط إلا من مُنع عن المسجد الحرام وهو المحصر، فعليه إذا لم يكن قد اشترط عند إحرامه أن يذبح هديًا لإحلاله، ويحلق أو يقصر كما فعل النبي ﷺ في الحديبية فمن لم يجد هديًا فعليه الصيام عشرة أيام ومن كان يحتاج لإزالة شعر رأسه أو تقليم أظافره أو لبس مخيط، وهو محرم، فإن عليه فدية وهو مخير بين ذبح شاة أو إطعام ستة مساكين أو صيام ثلاثة أيام، وشرع للمسلمين في حجهم ثلاثة أنواع من النسك التمتع والقران والإفراد، وأفضلها التمتع فمن أتى بعمرة في أشهر الحج وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة وحج من تلك السنة ولم يرجع لأهله بعد العمرة فهو متمتع أو من أهلَّ بعمرة ثم حلَّ منها ثم أحرم يوم الثامن من ذي الحجة فهو متمتع فعليه هدي شكر لله تعالى أن يسر له عمرة وحجة في سفر واحد، ومثله القارن فمن لم يجد فعليه صيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله، أما من كان من أهل مكة أو قريب منها فلا هدي عليه، وكل تلك الشرائع والأنساك طريق التقوى وسبيل إليها، وعلى المسلم أن يحفظ حجه ولا يفرط فيه فإن الله تعالى شديد العقاب لمن ضيع وفرط وتهاون عن فعل المأمور أو في ارتكاب المحظور.

ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ
وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ
يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ
يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن
تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ
عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ
وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ
لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ
ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٩﴾
فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ
ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ
خَلَٰقٖ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا
حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾
أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾



أشهر الحج إلى بيت الله الحرام ثلاثة شوال وذو القعدة وذو الحجة فمن أحرم بالحج فيها فإنه ألـزم نفسه بإتمامها وإن كان نفلًا، والحج هو قصد البيت الحرام في وقت مخصوص وفعل أعمال مخصوصة، والحاج يجتنب الجماع ومقدماته والكلام فيه، ويجتنب المعاصي والذنوب والسيئات وما يثير الخصومات والنزاع في الباطل وفيما يخالف مقصود الحج، وذلك تأكيد لتعظيم هذه الشعيرة وتأديتها بكل تمام وكمال فلا يكون الحج مبرورًا حتى يفعل ما أمر به من المناسك والفرائض ويجتنب ما نهي عنه من المحرمات والمعاصي والمحظورات. وما يفعل المسلم من خير في كل وقت وفي أي مكان فإن الله به عليم يجزي به خيرًا فالدنيا دار للتزود بالأعمال الصالحة، ومن التزود التزود لرحلة الحج لئلا يكون الإنسان عالة على الآخرين، ويتزود بالعلم والفقه ويتزود بالمال، وخير الزاد فعل الأوامر واجتناب النواهي فمن كان صاحب عقل ولب فهو يدرك حقيقة التزود في هذه الحياة الدنيا للدار الآخرة، وليس على الإنسان إثم أن يتكسب ويعمل ويطلب الرزق فذلك أمر يحتاجه الإنسان ولا يخالف التزود للآخرة، حتى في رحلة الحج، لو باع واشترى وتاجر فإن الله تعالى نفى الحرج والإثم في ذلك، فدين الإسلام راعى جوانب الحياة كلها، ولكن المسلم لا ينسى ذكر الله تعالى ودعاءه وعبادته فإذا رجع من عرفة في اليوم التاسع من ذي الحجة بعدما وقف على أرضها ورجع إلى مزدلفة فليذكر الله بعد صلاة الفجر من اليوم العاشر حتى يسفر جدًا ثم يدفع إلى منى، ويكثر المسلم من شكر الله على الهداية لهذا الدين والتوفيق لهذه الرحلة العظيمة، فكل العباد ضال إلا من هداه الله تعالى فليطلب الهداية منه ﷻ ثم يفيض كما هي سنة النبي ﷺ إلى منى، ويحيي منى برمي جمرة العقبة ويكثر من الاستغفار، والاستغفار يشرع في نهاية الأعمال فإذا رمى الحاج جمرة العقبة قطع التلبية وشرع في التحلل، فإذا رمى العقبة حلَّ من إحرامه، وإن فعل اثنين من ثلاثة الرمي أو الحلق أو الطواف ومعه السعي فقد حلَّ التحلل الأول فيجوز لـه كل شيء حرم عليه إلا النساء، وإذا فعل الثلاثة كلها حل الحلَّ كله، وأمر الحاج بكثرة ذكر الله والتكبير في أيام منى وقد كان أهل الجاهلية يكثرون من ذكر مناقبهم ومناقب آبائهم فأمر الله المؤمنين بالإكثار من ذكره والناس في ذلك على أقسام فمنهم من يسأل الله خيري الدنيا والآخرة، ومنهم من يسأل الله الدنيا وليس له في الآخرة من نصيب.

فهؤلاء عباد الدنيا وعباد الدرهم والدينار، وللجميع نصيب من دعواتهم، فمن سأل الله من خيري الدنيا والآخرة فله الإجابة من الله تعالى ويعطيه من الخير في الدنيا والآخرة، ومن سأل الدنيا فسيوفى لـه منها ما كتب له، والمسلم الذي يقصد البيت الحرام لأداء هذه الفريضة العظيمة عليه أن يلتزم بما ورد عن النبي ﷺ من مناسك الحج، وليترك البدع فلا يعظم ما لم يعظمه الشرع ولا يبتدع زيارة مكان لم يشرع زيارته ولا يعتقد في مكان لم يرد فضله، وليتعلم من هذه الشعيرة الإخلاص والتوحيد وحفظ اللسان عما حرّم الله ﷻ والكف عما حرمه الله من المعاصي والسيئات، وليعظِّم بيت الله تعالى وليعلم أن السيئة فيه عظيمة عند الله كما أن الحسنة مضاعفة والصلاة فيه عن مائة ألف صلاة فيما سواه من البقاع وليكن حجه بداية عمل صالح إلى الممات.

۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٢١٠﴾



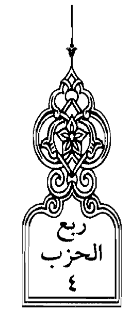
أيام التشريق الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة هي الأيام المعدودات فيها التكبير والتهليل، وهي عيد المسلمين أيام أكل وشرب وذكر لله، وهي أيام رمي الجمار وأيام الذبح والتكبير المطلق والمقيد، والحجاج يقضون فيها مناسكهم فمن أراد من الحجاج التعجل والاكتفاء برمي يومين والمبيت ليلتين فلا حرج عليه، فمن خرج من منى قبل غروب الشمس من اليوم الثاني عشر سقط عنه المبيت ليلة الثالث عشر والرمي يوم الثالث عشر، والتأخر أفضل وأكمل لأن فيه زيادة عبادة لله ﷻ والمسلم يحرص على أسباب التقوى والأخذ بها، تلك فضائل يحرص المسلم على اغتنامها واستغلالها وحفظ لسانه إلا ما فيه ذكر وعلم وتلاوة واستغفار ودعاء وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وليحذر المسلم ممن يتكلم بلسانه ويخالف بأفعاله، ويبدي ما لا يبطن ويدعي النصح والإشفاق وطلب الإصلاح وهو يغر الناس بكلامه الذي ظاهره النصح والإشفاق وباطنه الغش والخداع، وهو كثير الخصام والجدال يخاصم في إبطال الحق وإحقاق الباطل، وهو يسعى في الفساد في الأرض فيفسد الزروع والثمار والحيوانات ويدمر الممتلكات والبيوت والله ﷻ نهى عن الفساد في الأرض، والمفسد سيئ المقال والفعال ولا يقبل النصيحة والتذكير بل يتكبر ويتجبر ويرد الحق فمآله النار فبئس العذاب والمآل، وفي المقابل من عباد الله من باع نفسه طلبًا لمرضاة الله تعالى فالله رحيم رؤوف بهم يعمهم برحمته التي طلبوها وقصدوها، فبذلوا النفوس رخيصة ابتغاء ما يحبه الله تعالى، وقد أخذوا بالإسلام كله فعملوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه ما استطاعوا، وهذا هو الواجب على كل مسلم أن يأخذ الإسلام بقوة ولا يختار ما تريد نفسه وتهواه، وليحذر المسلم من دعوات الشيطان وخطاه التي يغوي بها الناس فهو يريد للناس الشر ويأمرهم بالمعاصي والسيئات ويتدرج بها حتى يوقعهم في الكفر والشرك فهو عدو للمؤمنين، فإن زلت بالمسلم القدم ووقع بحبائل الشيطان فليعد وليتب ولينب إلى ربه فإن أصر على اتباع الشيطان عن علم فقد توعده الله ﷻ بالعذاب الأليم، فالله ﷻ عزيز حكيم؛ عزيز في نقمته حكيم في أمره ونهيه فلا يعجزه أحد ولا يغلبه أحد حكيم في شرعه، والله ﷻ جعل لهذه الخليقة يوما تجازى فيه فيجازى كل عامل بما عمل فهل كل من خالف أمر الله قد استعد ليوم تشخص فيه الأبصار، يوم يأتي الله لفصل القضاء بين عباده وتأتي الملائكة في ظلل من الغمام، ويقضى بين الخلائق فيصير الناس إلى فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير، والله ﷻ يُرجع إليه الأمر كله، وإليه ترجع الخلائق وكلهم آتيه يوم القيامة فردًا، وهذا يدعو المسلم للاستعداد لهذا اليوم والخوف من سوء العاقبة فهو في هذه الدنيا في دار الامتحان والاختبار وقد ابتلي بالشيطان فليكن على حذر وتخوف أن يستحوذ عليه الشيطان فينسيه ذكر الله، والمسلم مصلح في أقواله وأفعاله لا يخالف فعلهُ قولَه، ولا قولُه فعلَه يقتدي بأشرف خلق الله نبي الله محمد ﷺ، يلتزم الإسلام في جميع أموره يعمل بجميع شرائعه الظاهرة والباطنة حتى يأتيه اليقين وهو على ذلك.

سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ
ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ
كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ
ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ
﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ
وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ
فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ
مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ
صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا
يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ
وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ
أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴿٢١٤﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ
مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ
وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٢١٥﴾



لقد رأى بنو إسرائيل من الآيات والمعجزات على يد نبي الله موسى ﷺ من فلْق البحر وضربه الحجر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى فبدلوا نعمة الله كفرًا واستبدلوا بالإيمان بها الكفر بها والإعراض عنها، فمن كانت تلك حالته فإن مآله إلى العذاب الشديد يوم القيامة، فهم آثروا الحياة الدنيا وأحبوها واطمأنوا إليها وجمعوا الأموال، وسَخِروا واستهزءوا بالمؤمنين الذين اشتروا الآخرة بالدنيا ولم تكن في قلوبهم وإنما كانت بأيديهم ينفقون ابتغاء وجه الله، ولسان حالهم إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورًا، إنا نخاف من ربنا يومًا عبوسًا قمطريرًا، فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورًا، فهم يوم القيامة في الدرجات العلا من الجنة، ويبقى المستهزئون الساخرون في الحسرة والندامة فهم يرون الذين سخروا منهم في الدنيا بالمقام الرفيع والحظ السعيد، فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون هل ثوِّب الكفار ما كانوا يفعلون، وقد كان الناس مجتمعين على الإسلام والتوحيد عشرة قرون بعد آدم إلى نوح ﷺ فاختلفوا فكان الشرك في قوم نوح فبعث الله نوحًا داعيًا إلى التوحيد ونبذ الشرك والوثنية، وتبعه الأنبياء فما من نبي إلا دعا قومه للتوحيد ونبذ الشرك، يبشرهم برحمة الله ورضوانه والجنة، ويحذرهم وينذرهم سخط الله وغضبه والنار، وأنزل الله الكتاب السماوي هداية للبشرية وحفظا لها من الغواية ولتكون مرجعًا لهم عند الاختلاف يحتكمون إليها وبما فيها من الهدى والنور، وما اختلف الذين من قبلنا إلا بسبب البغي والعدوان فيما بينهم فكانت الهداية للمؤمنين إلى الحق والهدى، هدى الله هذه الأمة لَمَّا ضل غيرها عن الحق، فالمسلم يسأل ربه الهداية للحق ويسأل ربه أن يرزقه اتباع الحق والتزامه وكان من دعائه ﷺ (**اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**)، فأهل الإيمان عند الاختلاف يلتجئون إلى الله بالدعاء وطلب الهدايه فيما اختلف فيه، فلا هداية للعباد إلا بتوفيق الله وهدايته جل وعلا والمسلم في هذه الحياة يُبتلى ويُمتحن وتمسه البلوى من الفقر والسقم والآلام والمصائب والنوائب والخوف من الأعداء وتضييق الأعداء، وقد نزلت هذه الآيات تسلية للمؤمنين الذين اجتمع الأحزاب عليهم من كل مكان حتى دعا المؤمنون بالنصر والتمكين فكان نصر الله قريب، فكما امتحن الرعيل الأول من هذه الأمة وأفضلها فإن المحن على آخرها أكثر وأشد فيتسلح المؤمن بسلاح الصبر والإيمان والمصابرة واحتساب الأجر والثواب لتكون العاقبة له وتكون له الدنيا والآخرة، فمتى حصلت الشدة والمحنة حصل الفرج والنصر، والمؤمنون الصادقون الذين يرجون تجارة لن تبور يتسابقون للإنفاق في سبيل الله ويسألون نبيهم عن مجالات الإنفاق المستحبة، فيأتي الجواب بأن النفقة على الوالدين والأقربين أفضل فهي تجمع بين الصدقة والصلة والبر، والإحسان إلى الأيتام والمساكين والمنقطعين عن بلدانهم كلها نفقة في مجال الخير والبر وما يفعل المسلمون من خير وطاعة وإحسان فإن الله يجازيهم ويثيبهم عليها.

كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾



فرض الله القتال لإعلاء كلمته وإعزاز دينه وإظهار الحق ومحو الباطل، والنفوس تكره مشاق الجهاد والتعرض للمهالك، ولكن قد يكون فيما يكره الإنسان خير لـه في دينه ودنياه، وقد يكون ما يحبه الإنسان من القعود والإخلاد للدنيا شرًّا لـه في عاجل أمره وآخره، فليس كل ما يكرهه الإنسان من أمور الحياة شرًّا بل قد يكون سببًا في حصول خير للإنسان وأجر وثواب، وما يحبه الإنسان وما يتشوق إليـه ويرجـوه قـد يكون شرًّا عليه، فالله ﷻ هو الذي يعلم ما سيكون وعواقب الأمور، والعبد لا يعلم ما الخير له إلا ما علَّمه الله ﷻ ولذلك شرع للإنسان الاستخارة فيرد العلم لله ﷻ، وكان في أول الإسلام تحريم القتال في الأشـهر الحرم ثم نسخ بآية السيف وقد قاتل بعض الصحابة سرية لقريش فقتلـوا رجـلًا مـنهم في الشـهر الحـرام فعابت قريش على النبي ﷺ وأصحابه كيف يقاتلون في الشهر الحرام فجاء الرد عليهم أن ما هم عليه من الصد عن سبيل الله وإخراج المسلمين من مكة أكبر من القتال في الشهر الحرام، وما يكون على أيديهم مـن فتنة المسلمين عن دينهم وإقامتهم على الشرك بالله أكبر وأعظم وأشد من القتل في الشهر الحرام، ولن يقفوا عند هذا الحد بل سيكون من قتال للمسلمين ومحاربة لهم، وقد وقع ذلك في مشاهد كثيرة منها بدر وأحـد والخندق وهدفهم من القتال الصد عن سبيل الله فهم يحاولون أن يطفئوا نور الله بحربهم للإسلام، وجـاء الوعيد لمن كفر بعد إيمانه فقد حبط عمله إن مات على الكفر، فمن مات على الكفر فقد ذهب عملـه هبـاءً منثورًا وهو من أهل النار المخلدين فيها لأنه مات على الشرك، وأما المؤمنون الصادقون الذين آمنوا برسول الله وهاجروا معه وتركوا أموالهم وبيوتهم ونساءهم لله ولرسوله وقاتلوا في سبيل الله وهم بذلك يحتسبون الأجر والثواب من الله فإن الله تعالى يغفر ذنوبهم ويكفر سيئاتهم ويرفع درجاتهم حتى ما حصل منهم من القتال في الشهر الحرام فإن الله قد غفر لهم، والمؤمن الصادق الذي هاجر وجاهد واتبع الرسول النبي الأُمِّيَّ عليه الصلاة والسلام وكان على صفات قبل الإسلام قد اعتـاد عليهـا فـإن الإسـلام تـدرج بـالمؤمنين في تحريمها، ومن ذلك تحريم الخمر فكان المسلمون يتحرَّجون من شرب الخمر فسألوا رسـول الله ﷺ عـن حكمها ومنافعها الدنيوية فكان البيان أن الخمر والميسر خبيثان وفيهما الإثم الكبير العظيم من ذهاب العقل وإيقاع العداوة والبغضاء وترك ذكر الله والصلاة، وفيها منافع دنيوية في البيع والشراء والاتجار ولكـن مـا يقع فيهما من المفاسد يغلب على منافعها الدنيوية وفي ذلك إشارة إلى خبثهما وفسادهما ثم نُهـي عـن شرب الخمر أوقات الصلوات ثم نزل تحريمها وأمر المسلمون باجتنابها والانتهـاء عنهـا، ويتكـرر السـؤال عـن الإنفاق فيسَّر الله عليهم بالإنفاق مما تيسر من الأموال دون تحديد لهم، فكل ينفق حسب طاقته وجهده، فلم يكلفوا ما لا يطيقون، وكل هذا البيان في القرآن إيضاح للمؤمنين بما يقودهم إلى العمل والتفكر بآيات الله الكونية والشرعية، والإعداد للآخرة باستعمال ما يقرب الإنسان إلى خالقه ورازقه.

فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ
خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ
ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٢٠﴾
وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ
مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ
يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ
يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ
وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسۡـَٔلُونَكَ
عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِۖ
وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ
أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾
نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ
وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٢٤﴾

اليتيم من مات أحد والديه وبالأخص الأب، واليتامى جزء من المجتمع يحتاج إلى الرعاية والنصح والشفقة ولذلك رغَّب النبي ﷺ في كفالة اليتيم ورعايته فقال ﷺ **(أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى)**

وكان الصحابة رضوان الله تعالى عنهم من أحرص الناس على الخير فكانوا يكفلون اليتامى فكأنهم تحرجوا في الوعيد الوارد في أكل اموال اليتامى، فجاءت الآية مبينة أن المقصود إصلاح أموال اليتامى في صيانتها والاتجار بها والمحافظة عليها أما مخالطة اليتيم في الأكل والشرب فلا حرج فيه، والله ﷻ يعلم من الذي قصده الإصلاح ومن الذي قصده الإفساد وأكل مال اليتيم، وهذا تيسير من الله ورحمة ولو شاء الله لشق علينا فلم يعف عن المخالطة في مال اليتيم فوقع الحرج والإثم ولكنها رحمة الله بعباده فهو ﷻ عزيز حكيم في شرعه وأمره، ومن حكمته أن حرم نكاح المشركات حتى يؤمنَّ لأن نكاح المشركات وإن كن أولات جمال ومال فإن إقامتهن على الشرك ودعوتهن إليه أقبح صفة تنفر المؤمن منهن لأنهن يَدْعون إلى النار وإن المملوكة من المؤمنات خير من الحرَّة المشركة وإن كانت ذميمة ودميمة في خِلقتها.

ونُهي عن تزويج المشركين لأن شركهم شر صفة اتصفوا بها، والعبد الأسود من المؤمنين خير منه لما يحمل من الإيمان وحب الله وحب رسوله ﷺ، ويكفي أن المشرك والمشركة يَدْعون إلى جهنم بأعمالهم وصفاتهم والله يدعو عباده للجنة والمغفرة ويرغب عباده بتحصيل أسبابها، وكل هذا البيان في آيات الله لمن أراد أن يذَّكَّر أو أراد شكورًا، ومن حكمته ﷻ ما خص به المرأة في طبيعتها من خروج دم الحيض الذي جبل الله النساء عليه وكتب عليهن ذلك لأن هذا الدم غذاء للجنين فالحامل في الغالب لا تحيض وكذلك المرضع لأن الدم ينقلب حليبًا بعد الولادة، فإن لم تكن المرأة حاملًا أو مرضعًا خرج الدم في أوقات معلومة من الشهر، وكانت اليهود تعتزل الحائض فلا تؤاكلها ولا تجالسها فسئل النبي ﷺ عن الحيض فجاء الجواب أن الحيض أذى فهو دم نجس فلا يجوز جماع الحائض وإنما يجوز مباشرتها دون الفرج والاستمتاع بها دون الفرج، وحرم إتيان الحائض حتى ينقطع حيضها وترى الطهر وهو القصة البيضاء وهو ماء أبيض يدفعه الرحم بعد انقطاع الحيض، فإذا اغتسلت الحائض حلَّت لزوجها في محل الجماع وهو في القبل لا في الدبر فقد أمر الله تعالى بذلك، ونهى عن ضد ذلك، فمن الطهارة التنزه عما حرم الله تعالى فالله ﷻ يحب المتطهرين من أرجاس المعاصي والسيئات، والمتطهرين حسيًا من النجاسات والأقذار، ويحب الذين يتوبون إليه ويُحْدِثون عند كل ذنب توبة، والزواج له أهدافه العظمى من تحقيق السكن والطمأنينة وتكثير نسل الأمة وحفظ الأعراض وقضاء الشهوة فيما أباح الله تعالى، فالمرأة سكن للرجل وهي مزرعة للولد، وللزوج الاستمتاع وجماع المرأة فيما أباح الله وله بذلك أجر وثواب، وفي تكثير الولد والنسل تقديم للنفس فالولد الصالح امتداد لحياة الإنسان، وإذا لازم المسلم التقوى في جميع أموره وبالأخص في التعامل الأسري وفي العشرة الزوجية كانت له السعادة في الدنيا والآخرة.

وليعلم المسلم أنه ملاقٍ ربه ومحاسبه عن كل شيء فمن كان من أهل التقوى فليبشر بالخير وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة.

لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

اليمين توكيد وتأكيد وهي لا تكون إلا بالله ولا يجوز الحلف بغير الله، والأيمان على ثلاثة أقسام يمين اللغو وهي التي يقولها الإنسان من غير قصد ولا نية فتجري على لسانه فهي يمين لاغية كقول الرجل لا والله وبلى والله وتكون على أمر ماضٍ، وهذه لا تجب فيها كفارة.

واليمين المنعقدة وهي التي تكون على أمر مستقبل ويقصد الحالف عقدها وهي التي يؤاخذ الإنسان عليها إذا خالفها فيجب فيها كفارة اليمين، عتق رقبة أو إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم فمن لم يستطع صام ثلاثة أيام، واليمين الثالثة اليمين الغموس والتي يقصد بها الحالف اقتطاع حق لأحد وسميت غموسًا لأنها تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار وهي أكبر من أن تكفَّر وتجب فيها التوبة، ورد المظالم لأهلها.

ومن الأيمان أن يحلف الرجل ألا يجامع امرأته على مدة تزيد على أربعة أشهر ويسمى الإيلاء، فيُحدد للزوج مدة أربعة أشهر فإن لم يجامع فيها كان للزوجة الحق في طلب الطلاق فَتُفْسَخُ منه، فإن وطئ خلال المدة المحددة وجب عليه كفارة يمين، والذي يرجع عن هذه اليمين ويتوب منها فإن الله يغفر له ذنبه، أما من استوفى يمينه ولم يرجع فهذا يدل عل عدم رغبته في الزوجة فيكون الفراق خير وسيلة لإنقاذ المرأة من إضرار الزوج فالله ﷻ سميع عليم بأفعال هذا الزوج وأقواله فليتق الله في هذه المرأة.

وعدة المطلقة ثلاث حيضات إن كانت تحيض أما إذا كانت صغيرة أو آيسة من المحيض فعدتها ثلاثة أشهر، ولا يحل للمرأة أن تكتم ما في رحمها من حيض أو حمل لأن ذلك يؤدي إلى اختلاط الأنساب وادعاء ما ليس لها من النفقة أو استعجال انتهاء العدة.

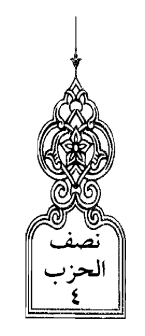
فالمرأة التي تؤمن بالله واليوم الآخر لا يحل لها أن تكذب بل تصدق في خبرها، والمطلقة الرجعية ما دامت في العدة فإنها تعتبر زوجة لمن طلقها طلاقًا رجعيًا، فهي أحق بمراجعته إن كانت في العدة، وهو أحق بمراجعتها إن رغب في عودة الحياة الزوجية، لكن إذا خرجت من العدة فلابد من عقد جديد ومهر جديد ورضًا جديد، وقد أمر الله ﷻ بمعاشرة المرأة بالمعروف ولها من الحقوق ما للزوج من الحقوق فيجب على الأزواج أن يؤدوا حقوق زوجاتهم والله تعالى جعل القوامة للرجل ورفع درجته الرجل على المرأة بما أنفق عليها وبما هو مختص به من حقه في الطلاق، وما يختص بالرجال من حق الولاية والإمارة دون النساء، وذلك من حكمة أحكم الحاكمين والله عزيز في انتقامه ممن عصاه وخالف أمره، حكيم في أمره وشرعه وقدره.

والطلاق الرجعي مرتان فبعد ذلك إمساك بالمعروف والعشرة الحسنة والمعاملة الطيبة، أو مفارقة بدون إضرار أو ظلم للمرأة أو بأخذ شيء من حقها، ولا يحق للزوج أن يطلب من مهره شيئًا أو يعلق طلاقه بذلك، فلا يضيق عليها لتفتدي نفسها منه، إلا إذا كرهت المرأة الرجل وأرادت الخلع وخشيت ألا تقوم بحق الزوجية فيجوز أخذ الزوج للمال ويسمى الخلع فتفتدي المرأة نفسها بمال، ولا يحل للزوج أن يتعدى حدود الله تعالى في ذلك بل يجب عليه العدل والإنصاف للمرأة ولو كرهته وأبغضته فيتقي الله في ذلك ولا يظلمها.

فإذا حصل الفراق بالخلع فليس له رجعة في العدة.

فإن كان الطلاق بائنًا وهي الطلقة الثالثة فلا تجوز الرجعة حتى تنكح المرأة زوجًا آخر برضاها ويحصل بينهما جماع، فإن طلقها الثاني عن اختيار ولم كان مقصوده التحليل للزوج الأول فيجوز للأول أن يرجع إليها عن رضا من المرأة إن كانا يعلمان قدرتهما على أداء كل منهما حق الآخر عليه ولا يجوز التحايل على حرمات الله تعالى أو قصد التحليل للزوج الأول.

وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ
سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ
ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذۡكُرُواْ
نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ
يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٣١﴾
وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ
أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ
مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ وَٱللَّهُ
يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ۞ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ
حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ
وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ
وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ
فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ
أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ
ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٢٣٣﴾



أمر الله ﷻ مَنْ طلق طلاقًا رجعيًا فقاربت مطلقته الانتهاء من العدة أن يمسك ويراجع بالمعروف والعشرة الطيبة، أو يتركها بدون رجعة ولا يراجعها ليضارَّ بها وليعتدي على حقوقها فإن ذلك ظلم للمرأة وظلم للنفس بارتكابها ما حرم الله تعالى، وليحذر المسلم من التلاعب في الطلاق والرجعة فإن عقد الزواج ميثاق عظيم وغليظ يجب احترامه وعدم امتهانه فالجد والهزل والمزاح بالطلاق أو النكاح والرجعة يؤاخذ به الإنسان.

فمن أعظم النعم تلك الأحكام الشرعية والدين القويم الذي أُرسل به نبينا محمد ﷺ وذلك الكتاب الكريم وسنة النبي ﷺ ففيهما صلاح البلاد والعباد وفيهما العظة والاعتبار وفيهما الوعد والوعيد والترغيب والترهيب، وإذا التزم المسلم ما فيهما فقد اتقى الله ﷻ والله عليم بمن اتقاه وأطاعه وأناب إليه.

ويوجه الخطاب لأولياء النساء المطلقات طلاقًا رجعيًا وقد خرجن من عدتهن وأراد الأزواج إرجاعهن فلا يمنعوا ذلك إذا حصل الرضا من المرأة والرغبة في عودة الحياة الزوجية، فلا يدفع الغضب والحمية الأولياء في الانتقام والتشفي بل عليهم الصفح والعفو، فمن يرغب فيما عند الله من الأجر والثواب ويخشى الله ويخاف وعيده وعذابه فعليه المسارعة إلى إتمام الزواج والرضا به، فإنه أطهر للقلوب وأبعد عن الحقد والكراهية، ففي اتباع الشرع خير وبركة والله ﷻ يعلم ما هو أصلح للزوجين وليس الولي، وهو دليل على اشتراط الولي في النكاح، والرضاعة تكون في الحولين فبعد الحولين لا تعتبر الرضاعة ولا تحرِّم، والأب عليه النفقة على المرأة وكسوتها سواء كانت في عصمته أو مطلقة حسب ما تعارف عليه الناس، فلا يكلف الفقير ما لا يطيق من النفقة بل حسب الاستطاعة، ولا تضار المرأة بولدها لتضر بأبيه فتدفعه إليه بدون إرضاع، ولا يضار الأب بالمرأة فينزع الولد منها إضرارًا بها، ويحرم على القريب أن يضار بقريبه وعليه الإنفاق على قريبه إذا لم يكن له أب ينفق عليه.

فإن أراد الأبوان فطام الرضيع عن رضا ومراعاة لمصلحة الطفل فلا إثم في فطامه قبل الحولين، فإن طلبوا مرضعة غير أمه فلا إثم عليهما إذا أعطيت الأم أجرة رضاعها وأعطيت المرضعة أجرة رضاعها، وتكون الأجرة بما تعارف عليه الناس، والله تعالى بصير بما يكون في القلوب من نية المضارَّة وكل هذه الأحكام في الرضاعة والحضانة هي حفظ لحقوق الطفل في شريعة الإسلام وحفظ لحقوق أمه، فإذا حصل الفراق بين الزوجين فقد حفظ الإسلام حق الطفل في الحضانة والرضاعة والتربية لينشأ نشأة صالحة وفي أحكام الطلاق والرجعة حفظ لحقوق المرأة في الإسلام وتحريم ظلمها أو عضلها سواء من الزوج أو وليها، وقد سبق الإسلام إلى إكرام المرأة وإعزازها الأنظمة كلها مؤكدًا على احترام شخصية المرأة وعدم امتهانها أو احتقارها، فلا تزوَّج إلا برضاها، ولا تراجَع بعد الخروج من العدة إلا برضاها، وكفل حقها في حضانة ابنها ورضاعته ولو طلبت أجرة على ذلك، وحقها في النفقة عليها وكسوتها، ومن حقوق المرأة تحريم التلاعب بالطلاق والرجعة والنكاح أو الهزل فيه، ومن أعظم النعم على المرأة انتماؤها للإسلام الذي حفظ كرامتها وكفل لها حقوقها.

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ
أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ
فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ
﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ
أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ
وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗاۚ
وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ
وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ
أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ
مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ
قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ
﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ
لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ
ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ
وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

للزوج حق عظيم على الزوجة ولذلك شُرع في الإسلام عدة الوفاة للمرأة إذا مات زوجها وتحاد في تلك العدة، والإحداد ترك الزينة والطيب والحلي، وقد كانت المرأة في الجاهلية تمكث سنة محادة على زوجها فكانت عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرة أيام سواء كانت المرأة قد دخل بها زوجها أو لم يدخل بها تبدأ من حين وفاته، وهذه العدة من غير الحامل أما الحامل فعدتها بوضع الحمل، فإذا انقضت عدتها فلا حرج عليها بالزينة والطيب والزواج وغير ذلك على وجه مشروع غير محرم.

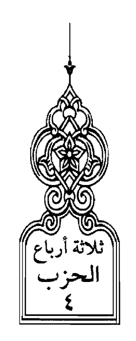
والمرأة المعتدة من الوفاة لا يجوز التصريح لها بالخطبة ولكن يجوز التعريض لها، وإضمار خطبتها في النفس بعد الانتهاء من عدتها، ولا يجوز أن يواعدها سرًّا أو يُعْلِمَها سرًّا لأنه يفضي إلى محرم إلا أن يقول قولًا معروفًا لوليها، ولا يجوز العقد عليها قبل انتهاء العدة المحددة شرعًا، والعقد باطل لو كان قبل انقضاء العدة، والله ﷻ يعلم ما في النفوس والنيات، فلا يقعْ في النفوس إلا الخير فمن أضمر شرًّا وسوءًا فإن الله به عليم، والله ﷻ غفور لمن أخطأ حليم به فلم يعاجله بالعقوبة فليرجع إلى ربه وليتب من فعلته.

وأباح الله ﷻ طلاق المرأة بعد العقد عليها وقبل الدخول بها وقبل تسمية المهر لها ولَمَّا كان في ذلك انكسار قلبها وحزنها فشرع تطييب خاطرها بالمتعة التي تدخل عليها السرور، كل بحسبه فالموسر يعطي ما يناسبه والمعسر بما يناسبه، فهي من أخلاق المحسنين، أما إن طلقها قبل الدخول وقد سمى لها المهر وحدده فيجب لها نصف مهرها المحدد إلا أن تتنازل عنه أو يتنازل عنه وليها، وإذا حصل أن يتنازل الزوج عن النصف الآخر كان أقرب للتقوى وأحسن فمن كان للعفو أقرب كان للتقوى أقرب، ولا ينس كل واحد منهما الفضل بينهما وبخاصة إذا حصل الفراق فقد تتشاحن القلوب ويحرش الشيطان بينهما فلا يُنسى الفضل والإحسان في هذه الحال.

والله عليم بعباده بصير خبير يعلم ما في النفوس ووساوس الصدور.

وفي تنظيم العلاقة الزوجية أكمل هدي وأعظم نظام للحياة الزوجية، وفي مشروعية عدة الوفاة إظهار للأسف على فراق الزوج وتعظيم قدره وحقه عليها، وحفاظ على الأنساب أن تختلط، وفي تنظيم خطبة المعتدة حفاظ على العدة وحق الزوج المتوفى فما أعظمه من نظام حفظ حقوق الأحياء والأموات، وفي مشروعية المتعة للمطلقة غير المدخول بها والتي لم يسم لها مهر تطييب للنفوس وإحسان إلى المرأة وإظهار لكرامتها وحقها، وفي وجوب نصف المهر للمطلقة غير المدخول بها وقد سمي لها المهر حفظ لحقها، ومشروعية التسامح فيما بينهما، لما يمتاز به دين الإسلام من إظهار العدل والإنصاف وتشريع العفو والإحسان سواء في محيط الأسرة الواحدة أو الأمة الواحدة، ولذلك رغب في العفو والصفح في مجالات الحياة كلها، لأن في هذا الخلق تقارب القلوب وتحابها وتآلفها وتصافيها، والاعتراف بالجميل وحسن العهد من الإيمان، وعدم نسيان أهل المعروف والإحسان والاعتراف بمعروفهم من الصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة التي رغب الإسلام بها وحث عليها، وقد كان النبي ﷺ يذكر خديجة في المدينة ويذكر فضائلها ويهدي إلى صديقاتها، ويكثر من ذكرها ويقول (**إن حسن العهد من الإيمان**)، وهذا هو الاعتراف بالفضل لأهل الفضل أما الذين ينكرون الفضائل ويجحدون الإحسان والمعروف ففيهم شَبَهٌ بالمنافقين.

حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾



الصلاة في الإسلام عمود الدين من حفظها فقد حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع وتركها جحودًا أو تهاونًا وكسلًا كفر مخرج من الملة، وأمر الله ﷻ بإقامة الصلاة والمحافظة عليها في أوقاتها المحددة شرعًا والإتيان بشروطها وأركانها وواجباتها وبالأخص الصلاة الوسطى صلاة العصر فمن تركها فقد حبط عمله ومن حافظ عليها مع الفجر دخل الجنة، فإن من صلى البردين دخل الجنة، والصلاة تؤدى كما شرع الله فلا يصلح فيها كلام المخلوقين إنما هي للتسبيح والتهليل وقراءة القرآن فيحرم الكلام فيها ففي الصلاة شغلًا، وهي تؤدى في وقتها سواء كان في حال الخوف أو الأمن فتصلى على حسب الحال سواء كان الإنسان ماشيًا أو راكبًا، فإذا ذهب الخوف ووجد الأمن فيأتي المصلي بالصلاة كما أمر في إتمام الركوع والسجود والقيام والخشوع.

فمِن شُكْرِ الله على نعمة الأمن المحافظةُ على الصلوات وذكر الله تعالى والاستكثار من الطاعات فإن الأمن من أعظم النعم ففي الأمن تؤدى الصلاة وتقام الجُمَع والجماعات.

وتأتي الرخصة للمرأة المتوفى عنها زوجها والتي يوصي زوجها أهله بعدم إخراجها من بيتهم ويحسنوا إليها فإن أحبت البقاء معهم أو الخروج بعد انتهاء عدتها فلا إثم عليها في ذلك لأنها فعلت الواجب بالعدة المحددة شرعًا.

ويتكرر التأكيد على متعة المرأة المطلقة ولم يسمَّ لها مهرٌ ولم يُدخل بها فهو حق مؤكد على المتقين.

والموت حق له ساعة محددة وقد ذكر الله في القرآن قصة بني إسرائيل الذين هربوا من الوباء خوفًا من الموت فأماتهم الله جميعًا ثم أحياهم بدعوة نبيهم وفي ذلك عبرة وعظة، فلن يغني حذر من قدر ولا ملجأ من الله إلا إليه فهم هربوا طلبا للحياة فجاءهم الموت سريعًا في آن واحد.

ولذلك أمر الله بالجهاد في سبيل الله وأن القتال لا يقرِّب أجلًا ولا يبعده بل الأجل والرزق مقدر لا يزاد فيه ولا ينقص، وأعظم ما يزيد المال إنفاقه في سبيل الله فمن أنفق فالله ﷻ يضاعف ماله وأجره وثوابه، وسيجد صدقته يوم القيامة عظيمة عند الله تعالى، والله سبحانه هو الذي يعطي ويمنع ويوسع على مَنْ يشاء ويضيّق في الرزق على مَنْ يشاء، فمن ينفق ويعطي فهو يعطي من عطاء الله ومن يقرض الله فهو يقرض من أعطاه المال واستخلفه عليه، والجميع راجعون إلى ﷻ فيوفيهم أجورهم يوم القيامة، والمسلم الحق الذي وهبه الله ﷻ المال ينفقه في ابتغاء مرضاة الله على الفقراء والمساكين واليتامى والأرامل، فالمال مال الله والعبد مبتلى بهذا المال، فمن أراد السعادة والنجاة وحسن المآل فليحسن إنفاقه، فنِعْم المال الصالح للرجل الصالح، وحين يعلم المسلم أن حياته في هذه الدنيا حياة ممر وأن الحياة نهايتها قريبة يدرك أن التزود بالعمل الصالح خير زاد للآخرة فالحياة في هذه الدنيا محددة لا تزيد ولا تنقص وإنما لكل أجل كتاب فلن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها، وإذا أنعم الله على العبد الهداية لهذا الدين والالتزام بأوامره والقيام بالحقوق الواجبة كانت له حسن العاقبة في الدارين.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟
لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ
هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ
قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا
مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟
إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ
لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ
قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ
مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ
عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ
يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾
وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ
ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا
تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

القصص في القرآن تسلية وتثبيت للنبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه وعبرة وعظة للمؤمنين الصادقين، ومن قصص بني إسرائيل التي فيها العبرة والعظة ما قصه الله عن بني إسرائيل. فقد طلب بنو إسرائيل من نبيهم شمعون أن يعينِّ لهم قائدًا ليجاهدوا في سبيل الله وليسترجعوا بلادهم وأبناءهم، وعلى المسلم ألا يتمنى لقاء العدو، ويسأل الله العافية، فإذا لقي العدو صبر وثبت، فبنو إسرائيل طلبوا القتال ثم تراجعوا عنه، فعيّن لهم طالوت ملكًا عليهم فاحتقروه لأنه ليس من بيوت ملوكهم وليس من أصحاب الجاه والمال فأخبرهم نبيهم أن اختياره لتميزه بالعلم وبالقوة، والله ﷻ له الحكمة البالغة يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء، والله يؤتي فضله من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، وكان من آية ملكه أن يردَّ الله عليهم التابوت الذي قد أخذ من بني إسرائيل وفي هذا التابوت آيات يعرفونها وفيها ما ترك آل موسى وآل هارون من التوراة وعصا موسى وعصا هارون وثياب موسى وثياب هارون ورضاض الألواح، فجاءت الملائكة تحمل التابوت بين السماء والأرض حتى وضعته بين يدي طالوت في بيت طالوت والناس ينظرون فآمنوا بنبوة شمعون وصدقوا وأطاعوا طالوت، وفي ذلك آية على صدق نبيهم وحسن اختياره لملكهم.

والمسلم لا يغتر بالمظاهر والشكليات وإنما يهتم بما جعله الشرع المطهر شرفًا وعزًا فالكرامة بالتقوى، والعز والشرف والرفعة بالعلم، فالعلم يرفع في الدنيا والآخرة، يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات، والله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، فرفع الله ﷻ طالوت على بني إسرائيل بالعلم الذي هو من مقومات القائد الناجح، وكذلك القوة والشجاعة والبسالة والإقدام فاصطفاء الله تعالى واختياره لطالوت لما كان فيه من زيادة العلم والقوة عليهم، ولهذا يحسن اختيار الأعلم الأقوى في الحق للقيادة، ومن مقاصد الجهاد والقتال استرجاع الديار والبلاد التي اغتصبها الأعداء، والإعداد لذلك بالقوة المعنوية والحسية التي أمر الله تعالى بإعدادها، فالأمة اليوم وهي مسلوبة الحقوق والأرض، يجدر بها أن تُعِد العدة لاسترجاع ما سُلب من حقوقها وأهين من كرامتها.

ويدل على أن الجهاد لابد له من قيادة وراية تقوم بأمر الجهاد ويرجع إليها الناس ولا يكون الجهاد باجتهادات فردية تخطئ وتصيب فلا يكون له شوكة ولا أثر.

فالقيادة للجهاد من أسس هذه الفريضة، وهذه القيادة يكون اختيارها وانتقاؤها على أساس العلم والقوة؛ لأن مسائل الجهاد في سبيل الله تحتاج إلى علم وفقه وإدراك حتى يتلافى القائد كثير من الأخطاء، وتحتاج إلى علم بسياسيات الحروب ومهارات القيادة الناجحة.

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم
بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ
مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا
مِّنۡهُمۡۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ
لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ
يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ
غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾
وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ
عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ
ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ
دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ
وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم
بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو
فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ
نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

لما خرج طالوت بالجيش الذي أطاعه وكانوا ثمانين ألفًا أخبرهم أن الله سيختبرهم بنهر بين الأردن وفلسطين وكانوا عطشى، مَنْ شرب مِنْ هذا النهر فلا يتبعه ولا يصحبه ومن لم يشرب منه شيئًا إلا غرفة قليلة واحدة فلا بأس عليه لأنه صادق الصبر والعزيمة، كل ذلك امتحان للعزائم والهمم فكانت النتيجة أن شربوا منه إلا قليل منهم وعدتهم ثلاثمائة وبضعة عشر كعدد أهل بدر فلما تراءى الجمعان والتقى الصفان اثاقلوا ورأوا أنهم أقل عددًا وأن لا طاقة لهم في مقابلة جيش جالوت فشجعهم العلماء العالمون وأخبروهم أن وعد الله حق وصدق وأن النصر من عند الله لا بكثرة العدة والعدد، وأن النصر لمن صبر وثبت فإن الله معه ومثبته وناصره ومؤيده، فلما تواجه الفريقان دعوا الله ﷻ واستنصروه فسألوا الله أن يصبرهم ويثبت أقدامهم في لقائهم مع عدوهم وأن ينصرهم على الكفار والمعتدين فكانت النصرة لهم والغلبة فغلبوهم وقهروهم بنصر الله لهم، وقتل داود جالوت وكان مع جيش طالوت فكان له الملك الذي بيد طالوت والنبوة بعد نبيهم واختصه الله ﷻ بالحكمة وفصل الخطاب، ودفع الله ﷻ بهذا الجيش عن بني إسرائيل تسلط الكفار عليهم، وتلك فضائل الجهاد أن يحفظ الله ﷻ به الدين ويرد به كيد الكافرين ويحفظ به بلاد المسلمين فيحصل فيها الأمن والأمان وتقام فيها الصلوات والجمع والجماعات.

والله ﷻ ذو فضل على المؤمنين بتشريعه الجهاد الذي تحفظ به حقوقهم وديارهم وتلك الآيات والقصص هي حق وواقع فيها العبرة والعظة، فالصبر مفتاح النصر والعزة والكرامة، والله ﷻ يبتلي عباده بالضراء والشدة فيواجهها المؤمن بالصبر والمصابرة والعزيمة الصادقة والهمة العالية، ويعد من سلاح الإيمان والتقوى زادًا له في مقابلة الأعداء والمسلمون لا يقابلون عدوهم بعدد ولا بعدة وإنما بعزيمة الإيمان وصدق اليقين، والمؤمنون يستنصرون ربهم ويدعون ويستغيثون به لينصرهم ويؤيدهم ويثبتهم، فهم لا طاقة لهم إلا به سبحانه ولا حول لهم ولا قوة لهم إلا بالله تعالى، فهو سبحانه الذي يربط على قلوبهم ويثبت أقدامهم وينصرهم على القوم الكافرين.

وإن القوة في الحق والثبات عليه من أسباب العزة والرفعة في الدنيا والآخرة، والشدائد تولد العزائم الصلبة والقوة العظيمة التي تلين أمامها كل المصاعب، والباطل مهما استأسد وتكبر وتجبر فإن مصيره إلى الزوال والنهاية المؤلمة، فما طغى من طاغ وتجبر من متجبر إلا كانت له ساعة، وعلى المسلم أن لا يتشاءم بل يتفاءل بنصرة الإسلام، وبظهور الحق، ويُعِدَّ نفسه بالصبر، والمصابرة، لينصر الحق بنفسه وأهله وماله وجهده، فإن المسلمين ذمتهم واحدة، وكل واحد منهم على ثغر من ثغور الإسلام، ومأمور بأن يكون من أنصار الله، بنصرة دين الله في كل مكان.

۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

الرسل هم أكرم الخلق وأفضلهم وقد فضّل الله بعضهم على بعض فأفضلهم أولوا العزم من الرسل، وأفضل أولو العزم محمد ﷺ، منهم من كلم الله وهم آدم وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ورفع الله بعضهم على بعض درجات، وقد رآهم النبي ﷺ ليلة المعراج على تفاوت في منازلهم، ولا يفاضل بين الأنبياء على جهة احتقار لأحدهم أو التفضيل بدون دليل، وعلى هذا يحمل قوله ﷺ **(لا تفضلوا بين الأنبياء)**، ومن هؤلاء الرسل عيسى ابن مريم عليه السلام فقد جاء بالحُجج والدلائل القاطعات وأيده الله بجبريل عليه السلام، ووقع الاختلاف فيه وفي دعوته، واختلفت الأمم فمنهم من آمن ومنهم من كفر، وكل ذلك بقضاء الله وقدره، ولا يحدث في الكون إلا ما قدره الله وقضاه فهو سبحانه يقضي ما يشاء بحكمه وإرادته.

ويأمر الله عباده المؤمنين بالإنفاق مما رزقهم الله من الأموال تقربًا إليه وابتغاء الأجر ما داموا في ساعة المهلة قبل أن ينتقلوا من هذه الدار ويصيروا إلى دار الجزاء ومن قبل أن يأتي يوم القيامة الذي لا يباع أحد من نفسه ولا يفادى بمال، ولا تنفعه صداقة ولا نسب ولا شفاعة، والكافرون هم الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك، فالشرك ظلم عظيم، وآية الكرسي هي أعظم آية في كتاب الله لما فيها من التوحيد وتعظيم الله تعالى وذكر أسماء الله الحسنى وصفات الله تبارك وتعالى فهو سبحانه الحي الذي لـه الحياة الكاملة وهو القيوم الذي قام بنفسه واستغنى عن خلقه فهو سبحانه لا يأخذه نعاس ولا نوم، وهما من صفات النقص نزه الله نفسه عنها، وسبحانه مالك ما في السماوات الأرض من المخلوقات والجميع عبيد لله تعالى فلا يشفع أحد إلا من بعد أن يأذن الله ويرضى، وهو ﷻ العليم بجميع المخلوقات، وسع كل شيء علما، يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، يعلم ما الخلق عاملون وما عملوه في السابق وما سيعملون في المستقبل، والعباد لا يحيطون به علما ولا يحيطون بشيء من علم الله إلا ما أعلمهم الله إياه وأطلعهم عليه مما نزلت به الكتب وأخبرت به الرسل، ولذلك أمرنا الله تعالى أن نستزيده من العلم، ومن عظمة الله أن كرسيه وسع السماوات والأرض، والكرسي هو موضع القدمين للرب جلَّ وعلا، والعرش لا يقدر قدره أحد، والله سبحانه لا يثقله حفظ السماوات والأرض ومن فيهما وما بينهما، بل ذلك يسير عليه وهو سبحانه القائم على كل نفس بما كسبت، وهو القاهر فوق عباده وهو العليم العظيم، فله علو الذات والقهر والقدر، ويأتي التذكير بعظمة هذا الدين وموافقته للفطرة التي فطر الله الناس عليها فهو دين واضح جلي لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله وشرح صدره بالإيمان دخل فيه، ومن أعمى الله بصيرته فلا يفيده دخوله في الإسلام قسرًا وكرهًا، والناس على فريقين منهم من استمسك بلا إله إلا الله التي هي قوة لمن تمسك بها ونجاة لمن التزم بها فلا انقطاع بمن كان من أهلها، وقسم كفر بالله وآمن بالطاغوت فهو من أهل النار، وهذه الآية هي معنى لا إله إلا الله فمن الكفر بالطاغوت وهو معنى (لا إله) ويؤمن بالله وهو معنى (إلا الله) ومن شروط لا إله إلا الله الكفر بالطاغوت والطاغوت هو الشيطان وكل من عُبِد من دون الله وهو راض.

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ
وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ
ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ
أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي
بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي
كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ
عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ
بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ
قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ
فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ
حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى
ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا
تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٥٩﴾

من اتبع رضوان الله تعالى وآمن به وبرسله فالله ﷻ وليه يحفظه ويؤيده وينصره، وقد أخرجه الله ﷻ من ظلمات الكفر والشرك والوثنية إلى نور الإسلام الحق، وأما الذين كفروا وجحدوا فإن أولياءهم الشياطين التي تؤزهم على الكفر والشرك فقد أخرجتهم شياطينهم من نور الفطرة وأبعدتهم عن نور الإسلام إلى ظلمة الكفر وظلمات الشرك فهم بشركهم وكفرهم من أهل النار الذين لا يخرجون منها بل هم مخلدين فيها أبد الآباد، والموحدون ثابتون على توحيدهم ولو كثرت عليهم الشبه في طريقهم، فإمام الموحدين والحنفاء إبراهيم ﷺ يحاور النمرود بن كنعان البابلي الذي ادعى الربوبية والألوهية واغتر بملكه الذي بلغ مشارق الأرض ومغاربها وأنكر وجود الله، فقال إبراهيم له إن الله يحيي ويميت، فقال أنا أحيي وأميت فدعا باثنين قد استحقا القتل فقتل أحدهما وأطلق الآخر تمويهًا ودجلًا ومكابرةً فقال لـه إبراهيم إن كنت تدعي الإحياء والإماتة فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فأخرس الطاغية وظهر عجزه فلم يتكلم وقامت عليه الحجة، والله ﷻ لا يوفق ولا يهدي من كفر وظلم نفسه بالشرك والكفر.

وهذه المناظرة دليل على انفراد الله تعالى بالإحياء والإماتة والتدبير ومن دلائل الخلق والإيجاد ما وقع لأحد الشاكين في قدرة الله على البعث لما مرَّ على بيت المقدس بعد تخريب بختنصر لها وقد خلت من أهلها فلما رأى خرابها وتدميرها، استبعد أن يحيي الله هذه البلدة بعد موتها وخرابها، فأماته الله مائة عام وعمرت البلدة بعد مضي سبعين سنة وتكامل ساكنوها ورجع إليها أهلها.

فبعثه الله بعد موته فأحيا الله عينيه لينظر كيف يحيي الله جسده فقال الملَك كم لبثت قال لبثت يومًا أو بعض يوم، فظن أنه مات أول النهار وبعث آخره وهو ينظر إلى الشمس فظن أنها شمس ذلك اليوم الذي مات فيه، فأخبره الملَك أنه مات مائة عام وهذا طعامه وشرابه لم يتغير وأمر أن ينظر إلى حماره الذي كان يركبه، كيف يحييه الله ويبعثه، وكانت عظام حماره حوله مترامية فأمرها الله أن تجتمع ثم ركبت العظام كل عظم في موضعه حتى صار حمارًا قائمًا على عظام، ثم كساه الله لحمًا وعصبًا وعروقًا وجلدًا، وبعث الله ملَكًا فنفخ بمنخري الحمار الروح فنهق الحمار فلما رأى ذلك المنظر أمامه قال أعلم أن الله ﷻ قادر على أن يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير، فكان آية وعبرة لقومه فهو آية من آيات الله في قدرته على البعث بعد الموت.

تلك الوقائع التي ذكرها الله ﷻ في كتابه العزيز لتدل على قدرة الله ولتقرب لمشركي العرب الذين كانوا ينكرون البعث والنشور، ولكن وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون فهم لو نظروا إليها لم يؤمنوا ولم يقبلوا هدى الله الذي جاء به رسول الله ﷺ، والمسلم الموحد الموقن بالبعث بعد الموت يزداد يقينًا وثباتًا وإيمانًا بقدرة الله ﷻ، لأن هذه الدلائل تزيد الإيمان وترسخه في القلوب.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَـٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾



أحب نبي الله وخليله أن يزداد إيمانه ويصل إلى اليقين فسأل ربه ﷻ أن يريه كيف يحيي الموتى، ولم يكن ذلك شكًّا من إبراهيم ﵇ بقدرة الله وقد قال النبي ﷺ نحن أحق بالشك من إبراهيم، فلو كان هناك شك لكنا أولى بالشك منه، فأمره الله ﷻ أن يأخذ أربعة من الطير ويوثقهن ويذبحهن ثم يجعل على كل جبل منهن جزءًا فأخذ أربعة من الطير فذبحهن وقطعهن ونتف ريشهن وخلط بعضهن ببعض ثم جزأهن أجزاءًا وأخذ رؤوسهن بيده ثم أمره الله أن يدعوهن فدعاهن كما أمره الله فجعل ينظر إلى الريش يطير إلى الريش والدم إلى الدم واللحم إلى اللحم والأجزاء من كل طائر يتصل بعضها إلى بعض حتى قام كل طائر على حدته وأتينه يمشين سعيًا وجعل كل طائر يجيء ليأخذ رأسه الذي بيد إبراهيم فإذا قدم لـه رأس غيره يأباه فإذا قدم إليه رأسه تركب في بقية جسده بحول الله وقوته، فسبحانه محيي الموتى، العزيز الذي لا يغلب ولا يمتنع عليه شيء، الحكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره.

وضرب الله مثلًا في تضعيف الثواب للمنفقين في سبيل الله والمبتغين مرضاته وأن الحسنة بعشر أمثالها بالحبة التي تنبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة وفي ذلك إشارة أن الأعمال الصالحة ينميها الله ويزيدها لأصحابها كما ينمي صاحب الزرع زرعه، فكل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فله أضعاف لا يعلم قدرها إلا الله.

والله ﷻ يزيد لمن يشاء أكثر من ذلك بحسب الإخلاص في العمل والنية الصالحة واحتساب الأجر والثواب وفضل الله ﷻ كثير فهو يعطي من يستحق ومن لا يستحق.

والذي ينفق ابتغاء وجه الله ولا يمن على أحد لا بقول ولا بفعل بل يرجو الله تعالى والدار الآخرة فأجره وثوابه عند الله تبارك وتعالى، وهو عند الموت لا خوف عليه فيما يستقبله من أهوال القيامة ولا يحزن على ما خلَّف من الأولاد ولا على ما ترك من زهرة الحياة الدنيا.

والقول الطيب والكلمة الطيبة والكلام الحسن والعفو عمن ظلم وتعدى هو خير وأفضل عند الله من الصدقة التي يتبعها الأذى، والله ﷻ غني عن خلقه يحلم على من أخطأ ويغفر له ويتجاوز عنه، ومن الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم المنان بما أعطى، والمن بالصدقة وإيذاء الفقير يبطل الصدقة، فثواب الصدقة لا يقابل خطيئة المن والأذى، فمن مَنَّ بصدقته فهو كالذي يرائي الناس بالصدقة ويطلب ثناءهم فالجميع أعمالهم باطلة، وضرب الله مثلًا للمرائي والمنان كمثل تراب على حجارة من الصفا وهو الصخر الأملس أصابه المطر فتركه أملس يابسًا قد ذهب التراب وبقي الصخر، فكذلك المرائين تذهب أعمالهم هباءً منثورًا لا يجدونها يوم القيامة فهم لا يجدون الثواب لها والجزاء يوم القيامة، بل يقال للمرائين يوم القيامة اذهبوا لمن راءيتم له، والله ﷻ لا يوفق من أشرك مع الله غيره، قال الله تعالى في الحديث القدسي: (**أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**).

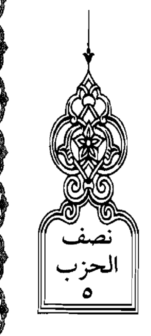
وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

المؤمنون الصادقون هم الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وهم يحتسبون الأجر والثواب من الله، ويوقنون أن الله سيثيبهم على ما قدموه، فهم ينفقون الأموال رجاء ما عند الله من الأجر والمثوبة وقد ضرب الله مثلًا للمؤمنين في إنفاقهم كمثل الجنة التي في مكان مرتفع يصيبها المطر الشديد فتخرج ثمرتها مضاعفة فإن لم يكن مطر شديد فهو رذاذ لين، وفي كلا الحالتين تكون كفايتها فذلك مثل عمل المؤمن لا يبور أبدًا بل يتقبله الله وينمّيه كل عامل بحسب نيته وجهده، وهو سبحانه لا يخفى عليه من أعمال عباده شيء، وضرب الله مثلًا بالذي يعمل الصالحات ثم تتبدل سيرته فيعمل المعاصي فيفسد ما قدّم من الصالحات كمثل من كانت لـه جنة من نخيل وأعناب وله فيها من كل الثمرات وقد أمضى عمره في إصلاحها وله ذرية صغار فأصابها ريح شديدة فاحترقت ثمارها وتقطعت أشجارها فكذلك من بدل حالًا إلى حال وضل بعد الهداية، وختم له بخاتمة الشقاوة، وهذا المثل بابٌ للتفكر في حال الإنسان فهو يسأل ربه دائمًا الثبات وقد كان ﷺ يكثر من قوله في سجوده (**اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك**)، والمتصدق يرجو ما عند الله من الأجر فلا يتصدق إلا بالطيب، فالله طيب لا يقبل إلا طيبًا، فلا يتصدق من كسب حرام بل من المكاسب الطيبة، ولا يختار رديء المال فيتصدق منه بل يختار الطيب الذي يقبله لو أعطي إياه، والصدقة والزكاة تخرج من أوسط المال، والصدقة بما يحب الإنسان سبب من أسباب نيل البر والإحسان

ونُهي المسلم عن التصدق برديء المال فإن الله غني حميد عن التصدق بالرديء من المال. ولا يستجيب المسلم للشيطان الذي يخوِّفه بالفقر ويأمره بعدم إخراج الصدقة ويوسوس في قلبه إن تصدق أن يخرج الخبيث من المال، ويأمر الإنسان بالمعاصي والسيئات والله يَعِدُ عباده المغفرة والخلف والفضل العظيم، والرزق الواسع الهنيء، ويثيب على ذلك الأجر والثواب الجزيل فهو سبحانه واسع العطاء لعباده يعطيهم الرزق في الدنيا، والمغفرة والثواب في الآخرة.

وأعظم كنز يحصِّله المسلم في الدنيا العلم النافع الذي يثمر العمل الصالح فمن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين ومن يؤت العلم فقد حاز المكارم والفضائل وكان من ورثة الأنبياء ومن أخذ العلم فقد أخذ بحظ وافر، وما يعقل ذلك إلا أصحاب العقول السليمة الذين يدركون فضائل العلم والعلماء ويدركون أهمية العلم، ومن أوتي علمًا وفقهًا فعليه بتعليم الناس وبثه والحرص على نشره؛ فلئن كان المنفقون للأموال لهم الأجر العظيم فإن معلم الناس الخير تصلي عليه الملائكة والحيتان في البحر، فالخير كل الخير في الإنفاق من العلم فإنه من أسباب حفظ العلم، وزيادته، فإن العلم بالإنفاق يزيد، ولئن جاء القرآن بإنفاق المال والعلم، فإن بذل العلم أعظم؛ لأن فيه حياة القلوب، وبالمال حياة الأجساد.

وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾



كل ما يعمل العباد فهو مكتوب في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى، والله يعلم ما العباد عاملون وهو سبحانه خلقهم وأعمالهم، فما يعمل العباد من النفقات والنذور فإن الله به عليم يثيبهم ويجازيهم بها ومن ظلم نفسه بأي أنواع الظلم فما له من نصير ينجيه من عذاب الله.

والصدقة إن أُظهرت من باب الاقتداء وحث الناس عليها فذلك من المقاصد الحسنة، ومن سن سنة في الإسلام حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، وإن أُخفيت وأعطيت الفقير فذلك خير للإنسان حتى يسلم من الرياء وثناء الناس وإطرائهم، وهذه الصدقات سبب لتكفير السيئات ورفعة الدرجات وهو سبحانه يعلم نيات العباد ومقاصدهم، وهداية التوفيق والإلهام من الله ﷻ، وأما هداية الدلالة والإرشاد فيستطيع عليها البشر، فهو ﷻ هو الذي يوفق للهداية ولذلك أُمر المسلمون أن يسألوا الله الهداية في كل ركعة من ركعات الصلاة، ومن ينفق فإنما ينفق على نفسه فهو عمل يقدمه أمامه فمن يعمل صالحًا فلنفسه، والمسلم لا ينفق إلا ابتغاء وجه الله لا يريد السمعة ولا الثناء وإذا أنفق المسلم لوجه الله واجتهد في اختيار المحتاج فلا عليه إذا أخطأ في الاختيار، وما ينفق الإنسان من خير فإنه سيجد ثوابه وأجره يوم القيامة كاملًا فلا يظلم ربك أحدا، فلا يُنقص من عمل الإنسان شيء، بل يزاد، و العبد إذا تصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبا تقبلها الله بيمينه فيربيها لـه حتى تكون مثل الجبل العظيم، والمتصدق يلتمس أهل الحاجات من الفقراء والمساكين كمثل المهاجرين الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم وسكنوا المدينة وليس لهم ما يكفيهم ولا يستطيعون السفر لطلب الرزق فهم من تعففهم يحسبهم الجاهل بأحوالهم أغنياء في لباسهم وحالهم ومقالهم، يُعرفون بعلامات أنهم يتعففون ولا يسألون، ويعرفهم أهل الفراسة والخبرة، ومثلهم في كل زمان ومكان فليس المسكين الذي تردُّه التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يُفطن لـه فيتصدق عليه ولا يسأل الناس شيئًا، ومن ينفق على مثل هؤلاء فلا يخفى على الله فسيجد ثوابه وأجره أحوج ما كان إليه يوم القيامة، فالذين آمنوا ينفقون أموالهم التي رزقهم الله واستخلفهم عليها في جميع الأوقات من ليل أو نهار، وفي جميع الأحوال في السر والعلن، وفي جميع أنواع النفقة على الأولاد والزوجة والوالدين والأقارب والمساكين وغيرهم، وسيجدون الأجر والجزاء الأوفى عند الله ولا خوف عليهم في الآخرة فالمرء في ظل صدقته يوم القيامة، ومن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، والمؤمنون لا يحزنون عند فراقهم الدنيا على ما فاتهم منها، فإن ما أمامهم من النعيم المقيم في الآخرة ينسيهم الدنيا، وفي هذا ترغيب للمؤمنين الصادقين أن يبذلوا في سبيل الله ويكنزوا لأنفسهم في الآخرة أعمالًا صالحة تسرهم يوم القيامة.

ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾



بعد ذكر الأبرار أهل الصدقات والزكوات وأهل البر والإحسان ذكر الله أحوال أكلة الربا وأموال الناس بالباطل، فذكر من حالهم يوم البعث والنشور أنهم يقومون من قبورهم كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان لـه، فهم جوزوا لأنفسهم أكل الربا واستحلوه واعترضوا على حكم الله في تحريمه، والله ﷻ أحل البيع لما فيه من المصالح للعباد، وحرم الربا لما فيه من المضار والمفاسد، فمن بلغه تحريم الربا فانتهى وكف عن التعامل به، فله ما سلف من المعاملة ويغفر لـه ما تعامل به من الربا قبل علمه بالتحريم، أما من كان عالمًا بالتحريم وتعامل به فليس له إلا رأس ماله والأموال الربوية يردها لأصحابها إن كان يعلمهم وإلا أخرجها بنية التخلص من المال الحرام، ومن عاد إلى الربا بعد علمه بالتحريم فقد استوجب العقوبة وقامت عليه الحجة وهو متوعَّد بالنار، وقد لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه كما نطق به النبي ﷺ.

والربا ممحوق البركة فلا ينتفع به صاحبه وإنما يذهب ويبقى إثمه ووزره، ويزيد الله الأموال بالصدقة فتكثر وتزيد بالإنفاق منها، والصدقة لا تنقص المال بل تزيده، والله ﷻ لا يحب كفور القلب أثيم القول والفعل، فالمرابي يجحد نعمة الله عليه ويترك المكاسب الطيبة ويعتاض بالمكاسب الخبيثة فهو جحود لما عليه من النعمة، ظلوم آثم يأكل أموال الناس بالباطل، وامتدح الله المؤمنين الذين عملوا الصالحات وأقاموا الصلوات المفروضة وأخرجوا الزكاة فأجرهم عند الله يوم القيامة ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ويأمر الله عباده المؤمنين بتقواه ويحذرهم من الوقوع في الربا، ويأمر الله تعالى عباده الذين يتعاملون بالربا أن يتركوا ما أخذوه من الربا من أموال الناس، فمن كان مؤمنًا صادقًا منهم فليدع التعامل بالربا، فمن أصر على التعامل بالربا فليعلم أنه يحارب الله ورسوله، ومن حارب الله ورسوله فهو الخاسر المفلس، فمن تاب من الربا فله رأس ماله لا يظلم الناس بأخذ الزيادة منهم ولا يُظلم بأخذ رأس ماله، والإسلام حرّم الربا لما فيه من أكل أموال الناس وظلمهم ولما فيه من الجشع والطمع وغياب الأخلاق الإسلامية من الرحمة والتعاون، والإسلام يدعو المسلم أن يُنْظِر المعسر ويصبر عليه حتى يجد وفاءً بخلاف ما عليه أهل الجاهلية من زيادة الربا، والصدقة بالدَّين على المعسر هو الخير في الدنيا والآخرة أو إسقاط بعض الدين، فالجميع يرجون ما عند الله ﷻ من الأجر والثواب، والجميع راجعون إلى ربهم ويوفيهم أعمالهم وهم لا يُظلمون، فكل نفس بما كسبت رهينة فمن كان ييسر على المعسرين ويتجاوز عنهم تجاوز الله عنه يوم القيامة، فهذه الدنيا وأموالها وزهرتها لها نهاية ويوم القيامة يوم توفى فيه النفوس ما كانت تعمل في هذه الدنيا، والعبد المسلم يُعد لهذا اليوم ويتزود للآخرة التي هي دار القرار، وكانت هذه الآية ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ وتوفي بعدها ﷺ بتسع ليال.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى
فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ
كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ
ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ
فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ
أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ
مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ
مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ
إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ
أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ
عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ
تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ
أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ
وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾

آية الدين هي أطول آية في كتاب الله فيها أحكام المداينات وإرشاد العباد في معاملاتهم المالية، فيرشد الله عباده المؤمنين إذا تعاملوا بمعاملات مؤجلة أن يكتبوها ليكون أحفظ لها، ولمقدارها وميقاتها وأضبط للشاهد فيها، ومن صفات الكاتب أن يكتب بالعدل فلا يكتب ما فيه ضرر على الدائن أو المدين ولا يمتنع من يعرف الكتابة إذا سئل أن يكتب لأن ذلك فيه أجر عظيم ونفع للمسلمين، ويملي المدين على الكاتب ما في ذمته من الدين وليتق الله في ذلك ولا يكتم من الدَّين شيئًا، فإن كان المدين محجورًا عليه بتبذيره أو صغيرًا أو مجنونًا أو لا يتكلم، فيملي وليه بالعدل، ويسن الإشهاد مع الكتابة لزيادة التوثيق، ويكون الشهود رجلان أو رجل وامرأتان، فالمرأة قد تنسى وتجهل فالاثنتان تقومان مقام الرجل الواحد ويشترط في الشهود العدالة، وإذا دُعي أحد من المسلمين للشهادة فعليه تحمل الشهادة ولا يجوز له ألا يشهد وإذا دعوا إلى النطق بالشهادة أن ينطقوا بها ولا يكتموها وليكتب الدين كله سواء كان صغيرًا أو كبيرًا ويكتب الأجل ليكون أعدل وأثبت للشهادة وأقرب إلى عدم الريبة، أما إذا كان البيع حاضرًا يدًا بيد فلا بأس بعدم الكتابة، ويسن الإشهاد على البيع، ولا يضار الكاتب فيكتب خلاف ما يملى عليه، ولا يضار الشاهد فيشهد بخلاف ما سمع أو يكتم الشهادة فمن خالف ذلك وضار في كتابته أو شهادته فهو خلاف أمر الله وفسق وخروج عن الطاعة، وليراقب الجميع الله ﷻ ويخافوه، والله ﷻ يعلِّم عباده أحكام الشرع ومن أسباب تحصيل العلم تقوى الله ﷻ، وهو ﷻ عالم بحقائق الأمور وعواقبها فلا يخفى عليه شيء بل علمه محيط بجميع الكائنات.

وقد تضمنت الآية من الأحكام الشرعية جواز المداينات من السَّلَم أو البيع المؤجل، ووجوب ذكر الأجل فإن لم يوجد أجل فهو محرم لأنه نوع من الغرر، وتأكيد كتابة المعاملات المالية لحفظ الحقوق واستحباب الإشهاد على المداينات، واستحباب أن يكون الشهداء رجلان أو رجل وامرأتان، وقبول شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل في المعاملات المالية، واعتبار الولاية على السفيه والمجنون ووجوب أداء الشهادة عند طلبها، وجواز ترك كتابة المبايعات الحاضرة وكتابتها أفضل وأولى، وتحريم مضارة الكاتب والشاهد، وشمول هذه الشريعة فمن مقاصدها حفظ أموال الناس.

والتقوى سبب للعلم والفقه في دين الله، وهي سبب للتفريق بين الحق والباطل، وسبب للفهم وسعة العلم، فإن العلم نور، ونور الله لا يؤتى لعاص، فالخوف من الله وخشيته صفة من صفات العلماء الراسخين؛ لأنه من كان بالله أعرف كان منه أخوف، فلا يجترئ على محارم الله إلا الجهال الذين لم يقدروا الله حق قدره.

۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

من أساليب توثقة الدين إذا لم توجد الكتابة الرهن، والرهن في الشرع توثقة دين بعين، ومن تمام الرهن أن يكون مقبوضًا عند المرتهن، فإذا ائتمن الدائنُ المدين فليتق الله المدين وليؤد الذي عليه ولا يكتم ولا يخون بل عليه أن يؤدي ويفي، ويحرم كتمان الشهادة فإن من كتمها فهو فاجر قلبه، لأن كتمان الشهادة ضياع لحقوق المسلمين، وأموالهم.

والله بما يعمل العباد عليم ومطلع على سرائرهم وأحوالهم، فهو سبحانه لـه ملك السماوات والأرض، يعلم الظواهر والسرائر والضمائر وهو محاسب عباده على كل ما فعلوه وأخفوه في صدورهم، ثم رخص الله لعباده ورحمهم فعفا عن أحاديث النفوس ما لم تعمل أو تتكلم، ومن أركان الإيمان الإيمان بالله والملائكة والكتب والرسل فيجب الإيمان بجميع الرسل، والكفر برسول واحد كفرٌ بجميع الرسل، فالمؤمنون لا يفرقون بين أحد من الرسل، بل يسمعون ويطيعون ويسألون الله المغفرة والرحمة فهو سبحانه لا يكلف أحدا من عباده فوق طاقته وهذا من لطفه سبحانه بعباده ورحمته، ومن يسر الشريعة وسماحتها، فلكل نفس ما كسبت من الخير وما اكتسبت من الشر، ويرشد الله عباده بدعائه وقد تكفل بإجابتهم، فالعبد يسأل ربه ألا يؤاخذه بالنسيان أو الخطأ أو الجهل وقد ثبت في الحديث أن الله تعالى قال: (قد فعلت)، فلم يؤاخذ عباده بالخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه، فقد عفا الله عن أمة محمد ﷺ الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه، ويسأل العبد ربه ألا يحمِّله ما لا يطيق من الأعمال الشاقة وما لا يستطيع أن يتحمله من التكليف والمصائب والبلاء.

ويسأل ربه العفو والعافية فما سئل الله بأحب أن يسأله عبده العافية والدعاء بالمغفرة وستر الذنوب ومحوها، وهذه من أعظم الأمنيات في الدنيا أن يغفر الله لعبده ويرحمه، وسؤال الله الرحمة اعتراف من العبد بالفقر والحاجة لربه جل في علاه، فهو ﷻ وليّ العباد المؤمنين وناصرهم ومؤيدهم وعليه التكلان ولا حول ولا قوة للعبد إلا بالله العلي العظيم وسؤال الله النصر والتأييد على الكفرة الذين كفروا وكذبوا وجحدوا، فالنصر على الأعداء وظهور المسلمين عز للأمة وتمكين، فانصرنا ربنا عليهم واجعل العاقبة للمتقين.

وقد ختمت سورة البقرة بهاتين الآيتين العظيمتين قال ﷺ **(من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه)**، وهي من كنز تحت العرش فاللهم اغفر لي ولوالدي ولوالديهم ومشايخي وجميع المسلمين.

سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ

ترتيبها ٣ — آياتها ٢٠٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٩﴾



سورة آل عمران

هي سورة مدنية وسميت بذلك لذكر آل عمران فيها وتفضيل الله لهم

سورة آل عمران لها فضائل منها ما رواه أبو أمامة عن النبي ﷺ أنه قال **(اقرءوا القرآن فإنه شافع لأهله يوم القيامة اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن أهلها يوم القيامة)** رواه أحمد ومسلم

وقد أنزل الله ﷻ كتابه معجزًا للعرب أن يأتوا بمثله فلم يستطيعوا مع فصاحتهم وبلاغتهم وهو مكون من الحروف التي يتكلمون بها، ولله ﷻ الأسماء الحسنى ومن أسماء الله الحسنى الاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى: (الحي القيوم) جل وعلا، فهو سبحانه لا إله إلا هو فلا معبود بحق إلا الله ﷻ لا شريك له ولا مثيل ولم يكن له كفوًا أحد، نزل على نبيه محمدًا ﷺ الكتاب حقًا لا شك فيه ولا ريب، والكتب السماوية السابقة تصدقه، وبشرت به وهو يصدقها، فالتوراة التي أنزلت على موسى ﵇ والإنجيل الذي أنزل على عيسى ﵇ كلها قد ذُكر فيها النبي محمدﷺ ورسالته، فأنزل الله عليه الفرقان الذي يفرق بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال، وهو هداية للبشرية جميعًا من كفر به وجحد ما فيه فله العذاب الشديد يوم القيامة، والله ﷻ ينتقم ممن يكذب به ويكفر برسله، فهو ﷻ يعلم غيب السماوات والأرض ولا يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء، فلا تخفى عليه خافية ﷻ، صَوَّر عباده في الأرحام كما يشاء من ذكر وأنثى، وحسن وقبيح، وشقي وسعيد، فهو ﷻ له الحكم والأمر والخلق وهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، نزل القرآن فمنه الآيات المحكمات البينات الواضحات ومنه الآيات المتشابهة التي يخفى على بعض الناس فهمها، فأصحاب الضلالة يأخذون المعاني الباطلة من الآيات المتشابهة للإضلال والتحريف ويستدلون بها على مذاهبهم الفاسدة الباطلة، وأما العلماء الراسخون الذين يعلمون ويفهمون ويردُّون المتشابه إلى المحكم فيؤمنون بالكتاب كله ويعملون به، والتأويل الذي يعلمه الراسخون في العلم التفسير والبيان، أما التأويل بمعنى حقائق الأمور وكنهها فلا يعلمه إلا الله، ولا يعقل ولا يتدبر المعاني على حقيقتها إلا أصحاب العقول السليمة والفهوم المستقيمة، والعبد يسأل ربه أن يثبت قلبه على الدين الصحيح وعلى الهدى ولا يجعله ممن في قلبه زيغ فيتبع المتشابه، ويسأل العبد ربه رحمة تجمع شمله ويزيد بها إيمانه ويقينه، فهو ﷻ يهب عباده المؤمنين الرحمة والغفران والثبات والرضوان، وكان من دعائه ﷺ **(اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)**، ومن دعاء المؤمن أن يسأل ربه الأمن يوم الخوف والنعيم المقيم يوم يجمع الله الخلائق ويفصل بينهم ويجزي كلا بعمله من خير وشر، وهو سبحانه لا يخلف وعده، فللعباد يومٌ للجزاء والحساب نسأل الله أن يؤمِّن فزعنا يوم البعث والنشور.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَاۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾



الكفار مهما نالوا من أموال وجاه وسلطان وأولاد وقوة فلن تغنيهم يوم القيامة، فلا ينفعهم ما كانوا عليه في الدنيا، ولا ينجيهم من عذاب الله وأليم عقابه فهم حطب النار تسجَّر بهم، فلا يغتر المسلم بما أوتي الكفار من زهرة الحياة الدنيا فهو نعيم زائل لا ينجيهم من عذاب الله.

فهذا فرعون ومن قبله من الأمم المكذبة للرسل جحدوا وكفروا فأتاهم العذاب، وأخذهم العذاب من حيث لا يشعرون، أخذهم أخذ عزيز مقتدر فهو سبحانه شديد الأخذ أليم العذاب، وأخذوا بعقاب الدنيا مع ما ينتظرهم من العذاب في الآخرة.

والكفار مهما أجلبوا بقوتهم على المسلمين فإن مآلهم إلى الهزيمة وسيهزمهم المسلمون وتكون النصرة لأهل الإيمان وهذه بشارة للنبي ﷺ وأمته من بعده في كل زمان ومكان أن الكفار سيهزمون في الدنيا وفي الآخرة يحشرون إلى النار فبئس فراشهم النار ومهادهم، وأعظم آية وعلامة على صدق النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه نصرة الله له في بدر على كفار قريش، فقد التقت فئة الإيمان والحق تجاهد في سبيل الله والتقت فئة الشيطان وأمة الكفر والشرك، وجعل الله الرعب في قلوب المشركين فرأوا المسلمين مثليهم في العدد، مع أن الكفار مثليهم في العدد وأمدَّ الله المؤمنين بألف من الملائكة، فأيد الله المؤمنين ونصرهم على الكافرين فكانت آية وعبرة للمعتبرين، والمؤمن في زمن تكالب الأعداء على أمته المسلمة يتذكر تلك الآية فيستلهم منها القوة والثبات ويستنصر ربه على الكافرين فلا ترهبه قوة الكفار ولا عتادهم، بل يتسلح بسلاح الإيمان ويستضيء بنور القرآن، ومن رحمته ﷻ بعباده أن أباح لهم ما فُطِروا عليه من محبة النساء والأولاد والأموال من الذهب والفضة والخيول الجميلة وسائر الأنعام والزراعة وما تشتهيه الأنفس مما أباح الله، ورغَّبهم بالآخرة وأن عنده سبحانه حسن المرجع والثواب فلا يغتر المسلم بزهرة الحياة الدنيا وزينتها فهي متاع زائل فليستعملها فيما يقربه إلى الله تعالى، فما عند الله تعالى خير للمؤمنين الصادقين المتقين الذين عملوا بمرضاة الله واجتنبوا ما نهى الله عنه فلهم في الآخرة جنات تجري بين جوانبها وأرجائها الأنهار من العسل واللبن والخمر والماء مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، يخلدون فيها أبد الآباد لا يبغون عنها حولًا، ولهم فيها من الحور العين التي طهرت من الأذى والخبث والحيض والنفاس ويحل الله عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبدًا، ومن أعظم ذلك رؤية الله ، وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة،وهو ﷻ يعطي عباده من النعيم برحمته وفضله وهو عالم بأعمالهم، وذلك يدفع المؤمن للعمل الصالح والتسابق في ميدان الآخرة وألا يغتر بزهرة الحياة الدنيا ونعيمها فهو في دار الممر فليعدَّ لدار المقر، فما يوجد في الدنيا من النعيم لا يساوي عند نعيم الآخرة شيئًا فهذه الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، فالدنيا بنعيمها وزهرتها وشهوتها هي للمؤمنين سجن لما ينتظرهم من النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول.

ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا
عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ
وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ
ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ
ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ
بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ
ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ
وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ
ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا
عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ
ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ
فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾

المتقون الأبرار أهل الجنة والنعيم من صفاتهم كثرة دعائهم لربهم فيتوسلون له بالإيمان وهو من التوسل المشروع فيتوسل العبد بالإيمان والعمل الصالح وبأسماء الله وصفاته أو بدعاء حي قادر، فيدعو المسلم ربه بطلب المغفرة والرضوان فإن الذنوب والمعاصي والسيئات إذا اجتمعت على المرء أهلكته ولذا كان النبي ﷺ يتوب ويستغفر في المجلس الواحد أكثر من مائة مرة، ودعاء الله ﷻ بالوقاية من النار والنجاة منها، وما استجار عبد من النار إلا قالت النار رب أجره مني، فتلك من صفات المتقين، ومن صفاتهم الصبر على البلوى والصبر على طاعة الله والصبر عن معصية الله، ومن صفاتهم الصدق في القول والفعل فالمؤمن لا يكذب، فالصدق منجاة ويهدي إلى الجنة، ومن صفات المتقين كثرة الطاعة ودوامها بخشوع وخضوع، ومن صفات المتقين كثرة الإنفاق في سبيل الله ومواساة أهل الحاجات وصلة الرحم والسعي على الأرملة والمسكين واليتيم، ومن صفات المتقين كثرة استغفارهم وتوبتهم وبالأخص في وقت السحر حين ينزل الله إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر فيقول: (هل من داع فأستجيب له، هل من مستغفر فأغفر له، هل من تائب فأتوب عليه)، ولزوم الاستغفار سبب للبركات وتنزل الرحمات وكثرة الأموال والبنين وسعة الرزق وتفريج الهم والكرب، ومن صفات المتقين توحيدهم الخالص لله تبارك وتعالى فقد شهد الله وأشهد الله نفسه الكريمة، والملائكة وأهل العلم على تفرده سبحانه بالعبادة فهو الله الذي لا إله غيره ولا معبود بحق سواه، وأنه سبحانه قائم بالعدل فلا يظلم ربك أحدًا، فشرَّف عباده العلماء بالشهادة على وحدانيته تنبيهًا على فضل العلم وأهله، ومن العدل التوحيد، وأعظم الظلم الشرك بالله تعالى، هذه العقيدة الصحيحة هي ملة الإسلام التي لا يرضى الله سبحانه دينًا سواها، فالدين الصحيح هو ما جاء به محمد ﷺ وشريعته ناسخة لجميع الشرائع فمن كفر بما جاء به رسول الله فهو من أهل النار، ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى اختلفوا في النبي ﷺ فمنهم من آمن ومنهم من كفر وجحد، حسدًا وظلمًا وعدوانًا ومن جحد ما أنزل الله من الحق فإن الله سيجازيه على ذلك، ويحاسبه على تكذيبه ويعاقبه على مخالفته رسالة النبي ﷺ، فمن يحاج ويخاصم ويجادل في التوحيد فإن مآله إلى الخسران الدنيوي والأخروي، والمسلم يعلن إسلامه وإيمانه وتوحيده، ويعتز بذلك، وهذا أمر للنبي ﷺ ولأمته من بعده أن يدعوا أهل الكتاب وغيرهم ممن ليس لهم كتاب من العرب وغيرهم للإسلام والإيمان، فإن أسلموا وأطاعوا وآمنوا فقد كتبت لهم الهداية والفلاح وإن اعترضوا وكفروا فإنما على الرسول البلاغ، وعلى كل داعية إلى الله البلاغ والبيان وحسابهم على الله تعالى، فالله أعلم بمن يستحق الهداية ومن يستحق الضلالة، فمن كفر وجحد وعاند وكابر وقتل الأنبياء والعلماء والدعاة والمصلحين والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر فله العذاب الأليم يوم القيامة، وإن كان المقصود في هذه الآية اليهود فإن من شابههم بأفعالهم فلهم من العذاب الأليم والعقاب الشديد مثلهم، وحبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصر ولا معين يوم القيامة.

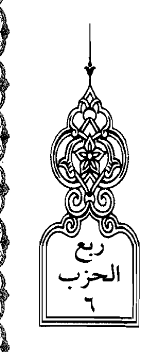
أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

اليهود والنصارى يدَّعون اتباع كتبهم والإيمان بما جاء فيها وإذا دُعوا إلى التحاكم بما فيها من طاعة الله فيما أمرهم به فيها من اتباع الرسول ﷺ تولوا وأعرضوا، ويدَّعون لأنفسهم النجاة من النار فهم يدعون أنهم لن يعذبوا في النار إلا سبعة أيام فاغتروا بذلك الزعم وحملهم على الثبات على باطلهم وخدعوا أنفسهم بهذا الزعم الباطل فتمسكوا بدينهم الباطل وكفروا بما جاء به الرسول محمد ﷺ فكيف سيكون حالهم يوم القيامة الذي لا شك فيه وقد افتروا على الله وكذبوا رسله وقتلوا أنبياءه والعلماء من قومهم، والله سبحانه سيسألهم عن كل ما عملوا ويجازيهم به وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، وما ظُلْمُهم لأنفسهم بجحد نبوة النبي ﷺ إلا حسدًا ألا تكون النبوة فيهم فالله ﷻ هو المتصرف في خلقه يفعل ما يشاء ويختار، نزع النبوة من بني إسرائيل وجعلها للنبي العربي القرشي خاتم الأنبياء وأفضل الرسل، فهو سبحانه المتفرد بتصريف الأمور وتدبير العالم يعطي من يشاء ويحرم من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء، فما أراده وقدره سيكون ليس لأحد اعتراض أو تدبير، بيده سبحانه الخير كله، فلا يأتي بالخير إلا الله وهو الذي قضى الشر وقدره ولكن ما قضاه الله من الشر وقدره يؤول إلى خير ونفع للإنسان في عاجل أمره وآجله، وهو سبحانه على كل شيء قدير فلا يعجزه شيء ولا يتعاظمه.

هو المتصرف بالزمان يدخل الليل على النهار ويدخل النهار على الليل ويزيد الليل وينقص النهار وينقص الليل ويزيد النهار.

يخرج الزرع من الحب والحب من الزرع والنخلة من النواة والنواة من النخلة والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة، ويعطي من يشاء من المال ما لا يعد ولا يحصى ويمنع آخرين بحكمته ومشيئته سبحانه، فهو سبحانه بيده مقاليد السماوات والأرض، فلا يتعلق قلب المؤمن بغير الله ولا يوالي أعداء الله لطمع في الدنيا أو هوى في النفس، فأعداء الله ورسوله والمؤمنين لا يُحَبُّون ولا يوادون بل يبغَضَون لكفرهم بالله ﷻ، فقد نهى الله عباده المؤمنين عن موالاة الكافرين ونهاهم عن اتخاذهم أولياء من دون المؤمنين يسرون إليهم بالمودة والمحبة فمن فعل ذلك فقد برئ من الله إلا من خاف شرهم وأظهر ما يتقي به شرهم، وقلبه على كرههم وبغضهم فيسالمهم ويهادنهم، ويحذر الله عباده نقمته وعذابه لمن والى أعداءه وعادى أولياءه والله إليه المرجع والمنقلب فيجازي كل عامل بعمله والله يعلم ما في السرائر والضمائر ولا يخفى عليه خافية، فمن أَسَرَّ محبة الكفار وموادتهم فإن الله به عليم، ويعلم سبحانه ما يكون في السماوات والأرض لا يغيب عنه مثقال ذرة ولا أصغر من ذلك في جميع أقطار الأرض والبحار والجبال وهو ﷻ القادر على عباده فلا يعجزه شيء فعلى العبد أن يخشى الله ويتقيه فيجتنب المحرمات ويفعل الطاعات والواجبات، ويعيش في هذه الدنيا وهو يراقب ربه في أعماله في كل صغير وكبير، يوالي المؤمنين ويعادي الكافرين.

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾





العبد المؤمن في هذه الحياة يُعِدُّ العدة للآخرة، فما عمل في هذه الدنيا من خير سيجده يوم القيامة بين يديه فمن رأى حسناته سره رؤيتها ومن رأى سيئاته تمنى أن يتبرأ منها وأن يكون بينه وبينها مسافة بعيدة، فها هو الإنسان يستطيع اليوم أن يتبرأ من السيئات ويتوب منها ويقلع عنها في دار الدنيا، ويستطيع أن يكنز الحسنات فلماذا لا يعد لذلك اليوم، فربنا يحذرنا من عقوبة السيئات ويرغب عباده برحمته فالله رحيم بعباده سهل لهم طرق الطاعات ونيل الحسنات وفتح لهم باب التوبة والاستغفار، فمن أراد أن ينظر إلى استقامته فلينظر هل هو صادق في محبة الله، والصدق في محبة الله يكون باتباع النبي ﷺ، فمتابعة النبي الكريم ﷺ طريق لمحبة الله فلا ينال العبد محبة الله إلا بتصديق النبي ﷺ وامتثال أمره واجتناب نهيه، وطريق غفران الذنوب وتكفير السيئات هي باتباع نهج محمد ﷺ فقد أمر الله بطاعته وطاعة رسوله ﷺ ومن كفر وتولى فإنه من الكافرين، ومن عباد الله الذين اختارهم وفضلهم وخصهم بالتكريم آدم أبو البشر كرمه الله وخلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد لـه ملائكته، واصطفى نوحًا فجعله أول الرسل ومن أولي العزم منهم، ودعا إلى الله سرًّا وجهرًا وليلا ونهارا فلم يؤمن بدعوته إلا القليل فدعا على قومه فاستجاب الله دعوته، فأغرق من في الأرض جميعًا إلا من ركب معه السفينة، واصطفى الله آل إبراهيم فمنهم الأنبياء والمرسلين وخيرهم وسيدهم محمد ﷺ، واصطفى آل عمران وعمران، والد مريم أم عيسى ﵇، وسألت أم مريم الله ﷻ الولد فاستجاب الله لها وهي حَنّة بنت فَاقُوذْ، فلما تبين حملها نذرت لله أن تجعل الحمل الذي في بطنها خادمًا لبيت العبادة وهو المسجد الأقصى، و دعت الله بالقبول فالله السميع لدعائها والعالم بنيتها، ولم تكن تعلم ما في بطنها ذكرًا أم أنثى، فلما وضعتها كانت أنثى وكانت تتمنى الذكر لقوته في العبادة والخدمة فسمتها مريم وأعاذتها وذريتها من الشيطان الرجيم، فاستجاب الله دعاءها، فما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخًا مِنْ مسه إياه إلا مريم وابنها، وتقبلها الله من أمها وأنبتها نباتًا حسنًا فكانت من أجمل النساء ويسر لها أسباب القبول وجعلها من الصالحين، ويسر الله لها تعلم الخير والعلم والدين وجعل كفالتها لزوج أختها زكريا ﵇ فتعلمت منه العلم والعمل، وكان إذا دخل عليها مكان عبادتها وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فيسألها زكريا من أين لها هذا فتقول من الله تعالى الذي رزقها وحفظها فهو يرزق عباده بدون حد ولا عد ﷻ، وإذا أراد الله حفظ عبد من عباده أو أَمَةٍ من إمائه حفظه ورزقه وهيأ لـه أسباب الرزق والحياة، ويسر له أسباب الثبات على الدين وفي ذلك آية وعبرة، فتلك المرأة التي نذرت أمها أن تجعلها خادمة لبيت المقدس، يسر لها أسباب السعادة والسيادة وخلق منها ابنها المسيح ابن مريم آية وعبرة وكرامة لها، والله يخلق ما يشاء ويختار جلّ وعلا، وهذا يدعو المسلم للتسليم بما يختار الله ويقضيه فتلك الأنثى كانت خيرًا لأمها ولعائلتها فنالت الشرف بها.

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

لما رأى زكريا ﷺ رزق الله لمريم دعا ربه أن يهبه ولدًا يرثه وكان شيخًا كبيرًا وامرأته عجوز لا تلد، دعا ربه بالذرية الصالحة نداء خفيًّا فسمع الله دعاءه فخاطبته الملائكة وهو قائم يصلي في محراب عبادته ومحل خلوته بالبشارة بالولد واسمه يحيى مصدقًا بعيسى ابن مريم، فهو أول من آمن بعيسى ابن مريم وسيدًا في الحلم والتقى والعلم محفوظًا عن السيئات والذنوب، ونبيًا من أنبياء الله فتعجب زكريا من وجود الولد مع كبره وكبر زوجته وكونها عاقرًا لا تلد، فكانت مشيئة الله فهو سبحانه إذا قضى أمرًا كان، فسأل زكريا ربه آية وجود الولد معه فكانت علامة ذلك ألا يستطيع الكلام ثلاثة أيام إلا إشارة مع كونه سويًّا صحيحًا وأمره بكثرة الاستغفار والذكر والتكبير والتسبيح، وتلك الوصية من الله لنبيه زكريا ﷺ، هي الوصية للأولين والآخرين من عباده، فإن التسبيح والذكر والتكبير سلاح المسلم في كل وقت، وهو أنسه وسعادته، يجد فيه الأنس والراحة والطمأنينة، ولا تقابل النعم إلا بالشكر والطاعة، فأعظم ابتهاج للنفوس في الفرح ذكر الله وتمجيده وتعظيمه.

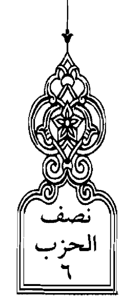
فكانت مريم سببًا في سؤال زكريا ربه الولد، تلك المرأة التي شرفها الله وطهرها واختارها لكثرة عبادتها وزهدها، فهي خير نساء الجنة، وأمرها الله بكثرة العبادة والطاعة بخشوع وتذلل وإكثار السجود والركوع فكانت قصة مريم مما قصه الله على نبيه وكانت تحت كفالة زكريا، فقد اختصموا في كفالتها واقترعوا فألقوا أقلامهم أيهم يثبت قلمه فهو كافلها فثبت قلم زكريا في الماء واحتمل الماء أقلامهم فكانت تلك علامة كفالته.

وبشرتها الملائكة بولد عظيم لـه شأن كبير يولد بكلمة من الله يقول لـه كن فيكون اسمه المسيح عيسى ابن مريم، لـه وجاهة ومكانة عند الله ﷻ في الدنيا فهو نبي من أنبياء الله ومن أولي العزم من الرسل، اصطفاه الله واختاره وجعل لـه المكانة في الدنيا بالنبوة والرسالة، ومكانته في الآخرة في شفاعته فيمن أذن الله له، فيقبل الله شفاعته وله المكانة في الآخرة في الجنة ..

وتلك كرامة الله لمريم كانت سببًا في دعاء زكريا فوهب الله لـه يحيى نبيًا ومن الصالحين وخلق الله عيسى ﷺ فقال له كن فيكون، فصبرت على ذلك وآمنت بكلمات ربها

فأكرمها الله بالثبات والإيمان ودوام الطاعة والعبادة فكانت أمًّا لرسول من رسل الله عيسى ابن مريم وكان برًّا بها، وبر الأم سبب للرفعة في الدنيا والآخرة، ولذلك كانت المكانة العليا للمسيح ﷺ عند الله تعالى أيده الله بالمعجزات فهو المسيح الذي إذا مسح على ذوي العاهات شفاهم الله بذلك، فهو عبد من عباد الله خلقه الله بكلمة منه، فمثل عيسى كمثل آدم قال الله له كن فكان.

وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ
ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾
وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾
وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡۖ
أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ
فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ
وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ
فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾
وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم
بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ
فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ
هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ
ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ
أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾



من المعجزات التي أيد الله بها نبيه عيسى عليه والسلام كلامه في المهد وهو تأييد لأمه وبراءة لها فقد كلم الناس وهو طفل في المهد وتلك معجزة وآية، وفي حال كهولته يدعو إلى الله وحده لا شريك له ومن الصالحين في قوله وفعله، فكان استغرابها أن يكون لها ولد ولم يمسها بشر فلم تتزوج ولم تمارس الزنا، فكان الجواب أن الله ﷻ يخلق ما يشاء إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون، وكانت البشارة لمريم تخفيفًا عليها بأن ابنها يعلمه الله الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، وسيكون رسولًا إلى بني إسرائيل يقول لهم قد جئتكم بآية من الله، فيصِّور من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه الروح بإذن الله ﷻ معجزة تدل على رسالته، ويشفي الله على يديه من ولد أعمى ويشفي على يديه الأبرص، فهذه معجزات باهرة في زمن الأطباء وعلماء الطبيعة بما لا سبيل لأحد إليها مؤيدًا من الله، بإحيائه الموتى وإخباره لهم بما في بيوتهم من دلالة على صدقه فيما جاء به من الشريعة التي توافق ما في التوراة وتحل ما حرم عليهم في التوراة، كل ذلك حجة ودلالة على صدق نبوته ورسالته التي يجب عليهم قبولها بطاعته، وعبادة الله وحده لا شريك له فالصراط المستقيم باتباع الرسل والإيمان بهم وبما جاءوا به من عند ربهم.

ولما استشعر عيسى من بني إسرائيل التصميم على الكفر والاستمرار على الضلال قال من يناصرني على دعوتي؟ قال الحواريون نحن أنصار الله، والحواري هو الناصر، فآمنوا به وناصروه وأيدوه وسألوا نبيهم أن يشهد على إسلامهم وإيمانهم به، فالإسلام الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد لـه بالطاعة والخلوص من الشرك، والإسلام لا يكفي أن يكون بالقلب بل لابد من ظهوره على الجوارح وأن تطبيق شعائره.

وتلك قصة عيسى منذ أن كان في المهد وحفظ الله لـه وتشريفه بالنبوة والرسالة وتأييده بالمعجزات الباهرات التي تشهد على صدق دعوته ورسالته، وتأييد الله لـه بالأنصار الذين أيدوه وآمنوا به وصدقوا، وكيف انقسم بنو إسرائيل بين مصدق ومؤمن به، وبين كافر جاحد معاند.

وكانت دعوة عيسى ؈ التوحيد وإفراد الله بالعبادة وحده لا شريك لـه وهي دعوة جميع الرسل من نوح إلى محمد عليهم الصلاة والسلام، إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم، فالصراط المستقيم هو تحقيق العبودية لله وحده لا شريك له، ولكن النصارى غلوا في عيسى واتخذوه إلهًا وقالوا المسيح ابن الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا، وهذه الأمة تؤمن بالمسيح وأنه كلمة الله إلى مريم، وروح منه، ونبي من الصالحين، رفعه الله إليه، وسينزل آخر الزمان، ويدين بدين الإسلام، ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ولا يرضى إلا الإسلام.

رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ
ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ
ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ
إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ
فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ
فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا
لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾
ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ
مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ
لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾
فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ
أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ
ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾

دعوة المؤمنين الصادقين الذين آمنوا بعيسى ﷺ وناصروه وأيدوه واتبعوه في دعوته سؤالهم ربهم أن يجعلهم مع أمة محمد ﷺ التي تشهد للأنبياء بالبلاغ وهم من الشاهدين بالوحدانية وللأنبياء بالرسالة والتبليغ لأممهم.

ولكن الذين كفروا بعيسى تمالؤوا عليه وهموا بقتله وصلبه، ودلهم عليه رجل منهم فألقى الله شبهه على ذلك الرجل فقتلوه وصلبوه وظنوا أنهم قتلوا عيسى وصلبوه.

ورفع الله عيسى ﷺ إلى السماء ونجاه الله من مكرهم، وسينزل آخر الزمان حكمًا عدلًا ويقتل المسيح الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويدين بدين الإسلام ويتوفاه الله ويدفن في آخر الزمان، وقد جعل الله كرامة من آمن به وصدقه الرفعة والمكانة في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وبعد بعثة محمد ﷺ كانت هذه الأمة هي أولى الناس به وهي المؤمنة به فأعزها الله وأكرمها أما من كان على النصرانية فلم يؤمن بالنبي ﷺ فليس من أتباع عيسى ﷺ لأن عيسى هو المبشر بمحمد ﷺ يجب على من أراد النجاة أن يؤمن بمحمد ﷺ ليكون مؤمنًا بجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام.

ويوم القيامة هو يوم الحكم العدل يحكم الله بين الخلائق ويجازيهم فمن كفر بالرسل وجحد رسالاتهم فلهم العذاب الشديد يوم القيامة وما لهم من ينجيهم من عذاب الله أو ينصرهم.

وأما الذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد من رسله وعملوا الأعمال الصالحات ابتغاء وجه الله تعالى واتباعًا لرسول الله ﷺ فلهم الأجور في الدنيا بالنصر والتمكين والظفر بالأعداء ولهم في الآخرة الجنات والنعيم المقيم، وهو ﷻ لا يظلم الناس شيئًا ولكن الناس أنفسهم يظلمون وتلك الآيات في كتاب الله التي فيها ذكر الأنبياء وأخبارهم حق وصدق، قصها الله على نبيه تأييدًا وتثبيتًا له، فما ذكر في القرآن من قصة عيسى ﷺ هو الحق الذي لا مرية فيه ولا اختلاف.

فخلْق عيسى كخلق آدم خلقه بقوله كن فكان، فكما خلق الله آدم من غير أب ولا أم وإنما من تراب خلق عيسى بكلمة منه، فمن أراد المجادلة فليجادل في خلق آدم الذي خلق من غير أب ولا أم، ومن ادعى أنه ابن لله تعالى الله عن ذلك فإن آدم لم يقل أحد أنه ابن الله، وهذا يدل على تناقض النصارى في ذلك، فمن جادل بعد هذا الحق وبيان القرآن فليدعَى إلى المباهلة وهي الملاعنة فتجعل لعنة الله على الكاذبين الذين كذبوا على الله وجعلوا لـه ولدًا، وقد أراد النبي ﷺ مباهلة وفد نصارى نجران لما أصروا على أن عيسى ابن الله، فلما دعاهم كما أمره الله امتنعوا وطلبوا المصالحة فأجابهم الرسول ﷺ بظهور الحق فامتناعهم دليل على كذبهم وعدم صدقهم وظهور باطلهم.

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

ما ذكره الله تعالى في القرآن من أخبار الأنبياء وقصصهم هو الحق والهدى والصدق الذي لا شك فيه، وما ذكر عن عيسى ابن مريم وأنه عبد الله ورسوله هو الحقيقة التي يجب الإيمان بها، فدعوة عيسى عليه السلام عبادة الله وحده لا شريك له، وما من إله غير الله وتلك دعوة التوحيد التي دعا إليها جميع الأنبياء والمرسلين وهو ﷻ العزيز بقدرته وقوته الحكيم في أمره وقضائه ..

فمن تولى عن التوحيد إلى الشرك والوثنية فالله سبحانه عليم بمن يفسد في الأرض بالشرك، وهذا هو الحق والتوحيد الذي دعا إليه محمد ﷺ وأمر بالدعوة إليه ودعا إليه أهل الكتاب بأن يجتمعوا على كلمة العدل والإنصاف، والحق وهو تحقيق العبودية لله تعالى ونبذ الشرك وأهله ولا يطيع البشر بعضهم بعضًا في تحليل الحرام وتحريم الحلال، ولا في الطاعة في معصية الله ..

فإن أعرضوا وتولوا عن تلك الدعوة فليشهدوا على ثبات هذه الأمة على توحيد الله ﷻ، وقد كتب النبي ﷺ بهذه الآية ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ إلى قيصر وكان يقرأ بها في الركعة الثانية من سنة الفجر لما فيها من الدعوة إلى التوحيد والثبات عليه، والدعوة إلى الاجتماع على التوحيد، وملة الإسلام هي الحق الذي يجب امتثاله فإن أراد العالَم اجتماعًا فليجتمعوا على التوحيد الخالص وبذلك يظهر بطلان من ينادي بتقارب الأديان.

وإبراهيم إمام الحنفاء وأبو الأنبياء داعية التوحيد، لم يكن من اليهود ولا من النصارى وإنما أنزلت التوراة والإنجيل من بعده، فليس لليهود ولا النصارى حجة أن إبراهيم منهم بل إن إبراهيم بريء منهم ومن شركهم وبريء من ولايتهم، والمحاجة بغير علم ولا هدى وإنما عن جهل وعناد واستكبار صفة ذميمة، والواجب على الإنسان ألا يخوض فيما لا علم له، بل عليه أن يعمل بما يعلم ويطبقه، فاليهود والنصارى لو أخذوا بما عندهم من العلم بنبوة النبي ﷺ وصدقوه وآمنوا لكان خيرًا وأقوم، فهذا النبي الخاتم هو أولى الناس بإبراهيم عليه السلام فإبراهيم لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا بل كان حنيفًا مسلمًا مائلا عن الشرك إلى التوحيد، ولم يكن من المشركين بل تبرأ من المشركين وطريقتهم، فمن كان موحدًا مخلصًا فهو من أتباعه، ومحمد ﷺ وأتباعه هم أحق الناس بشرف اتباع خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام، وهو ﷻ ولي المؤمنين برسله وينصرهم ويؤيدهم ويحفظهم، وأهل الكتاب يعلمون صدق النبي ﷺ وصحة رسالته ولكنهم جحدوا ذلك استكبارًا وعنادًا وحسدًا من عند أنفسهم، ولذلك حرصوا على إضلال المؤمنين والتلبيس عليهم، ومحاولة صدهم عن الهدى والحق، وما علموا أن ذلك ضلال لهم، فهم كفروا بآيات الله وهم يعلمون صدق الرسالة وصدق النبي عليه الصلاة والسلام وصدق القرآن.

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ
وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ
بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ
لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ
ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ
عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ
عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ
ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ



يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا
مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ
سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾
بَلَىٰۚ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا
خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٧﴾

من طرق إضلال أهل الكتاب للمؤمنين كتمانهم الحق وتلبيس الحق بالباطل، وهم يعلمون ما في كتبهم من صفة النبي ﷺ وصدق رسالته، ومن طرق إضلالهم أنهم آمنوا أول النهار وكفروا آخره، كيدًا منهم في الإضلال، وإذا سمع الناس برجوعهم عن الإسلام كان سببًا في تراجعهم عن الإسلام، لأنهم أهل كتاب يعلمون الحق من الباطل، ولم يعلم هؤلاء أن الإيمان إذا خالط بشاشة القلب تمكَّن، ويحذر بعضهم بعضًا بأن لا يظهروا ما عندهم من معرفة الحق للمسلمين فيحتجوا به عليهم.

وما علموا أن الهداية بيد الله ﷻ يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وإن كَتَم اليهود ما بأيديهم من صفة النبي ﷺ، وهو ﷻ يؤتي عباده فضله وإحسانه فهو سبحانه المعطي المانع يمن على من يشاء بالهداية والإيمان والعلم ويضل من يشاء فيعمي بصره وبصيرته ويختم على قلبه وسمعه ويجعل على بصره غشاوة فيختص برحمته من يشاء وهو يتفضل على عباده بالفضل الذي لا حد لحدوده ولا عدد.

وأهل الكتاب مع كفرهم وضلالهم يجوز التعامل معهم بالبيع والشراء فمنهم الأمناء الذين لو استأمنوا على الأموال الكثيرة لأدُّوها لأصحابها، وفيهم الخونة الذين حذر الله عباده من الاطمئنان إليهم فهم يسوغون لأنفسهم خيانة العرب وأن الله قد أحل لهم أموالهم فجمعوا بين الخيانة والكذب على الله تعالى، وقد أمرهم الله بالوفاء بأداء الأمانة العظمى، والعهد والميثاق الذي أخذه الله على بني إسرائيل من الإيمان بخاتم الأنبياء والمرسلين، وهو أعظم عند الله فهم خانوا الأمانة التي أُمِّنوا إياها في كتبهم من ذكر النبي ﷺ ورسالته وصدقه، وخانوا العهد والميثاق الذي أخذه الله عليهم فخيانتهم في الأموال والمعاملات أمر يسير.

فهم قد اشتروا الدنيا بالآخرة، واعتاضوا عما عاهدوا الله عليه من اتباع النبي ﷺ وذكر صفته للناس وبيان أمره بالأثمان القليلة الزهيدة من عروض الدنيا باتخاذ الأيمان الكاذبة وسيلة لكسب المال.

فلا نصيب لهم في الآخرة ولا حظ لهم فيها ولا يكلمهم الله كلام لطف ولا ينظر إليهم نظرة رحمة ولا يطهرهم من الذنوب بل يأمر بهم إلى النار ولهم العذاب الشديد يوم القيامة.

والمسلم المتبع لأمر ربه يتبرأ من صفات أهل الكتاب ويرعى الأمانة والعهد والميثاق ولا يستحل أموال المسلمين بالأيمان الكاذبة واليمين الغموس، فلا يأخذ مال امرئ مسلم إلا عن طيب من نفسه، فالدنيا متاع زائل فلا يغتر المسلم بها بل يرجو ما عند الله من الأجر والمثوبة ويخاف الله ويتقيه بالوفاء بالعهود والمواثيق وأداء الأمانات والديون ويعطي الناس حقوقهم فكل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه.

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

من صفات اليهود التحريف والتبديل في اللفظ والمعنى وتبديل كلام الله ليوهموا الجهلة أن ذلك من كتاب الله وينسبونه إلى الله وهو كذب على الله وهم يعلمون كذبهم وافتراءهم على الله.

فحرفوا العقائد السليمة وبدلوا في كتبهم فخانوا الأمانة التي ائتمنوها، ومن تحريفهم وعنادهم لما دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام قالوا أتريد يا محمد أن نعبدك، إنما نعبد الله فأنكر الله عليهم ذلك فنبيُّه عليه الصلاة والسلام الذي شرفه الله بالوحي والرسالة يستحيل أن يدعو الناس لعبادته بل هو ﷺ حمى جانب التوحيد وقال: (**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**) وقال لما قال له بعض الناس أنت سيدنا قال: (**إنما السيد الله**).

وإنما دعوته ﷺ تعليم الناس الدين من الكتاب والسنة فهو ﷺ يعلم الأمة ويفقهها ويبلغها البلاغ المبين فتخرَّج على يديه أصحابه البررة الأطهار الذين حملوا الدين والعلم عنه فعلموه الناس ونشروا دين الله في كل مكان.

فالإسلام جاء لإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد فنهى عن الأنداد والأوثان وعن عبادة الملائكة والأنبياء والبشر فذلك الشرك والكفر بالله، فرسالة النبي ﷺ رسالة التوحيد وكذلك جميع الرسل، فدين الأنبياء واحد وهو التوحيد.

وأخذ الميثاق على الأنبياء بأن يؤمنوا ببعض وينصروا بعضًا ويأخذوا على أتباعهم ذلك لأن الإيمان بجميع الرسل واجب فمن كفر برسول فقد كفر بجميع الرسل، وقال ﷺ: (**لو كان أخي موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي**).

ولذا فإن نبي الله عيسى ﷺ حين ينزل آخر الزمان يؤمن بدين الإسلام ويدين به، وتلك دعوة لأهل الكتاب بالإيمان بنبوة محمد ﷺ والدخول في الإسلام.

فميثاق الله الشديد العظيم المؤكد على الأنبياء بالإيمان بكل رسول أرسله الله يؤكد ذلك، فمن تولى عن هذا العهد والميثاق وكفر وجحد فهو من الفاسقين.

فدين الله الإسلام، أوجب سبحانه على عباده أن يدينوا به ويلتزموه، فكل ما في السماوات والأرض أسلم وجهه لله طوعًا وكرها، فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله، والكافر مستسلم لله كرها فإنه تحت التسخير والقهر والسلطان العظيم الذي لا يخالف ولا يمانع.

والجميع سيرجع إلى الله تعالى فمن كفر وجحد له العذاب الأليم ومن آمن وصدق واتبع كان له النعيم المقيم.

قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

من أركان الإيمان، الإيمان بالله تعالى والإيمان بالرسل جميعًا والإيمان بما أنزل الله عليهم من الكتب السماوية.

فالرسل يجب الإيمان بمن ذكر الله في القرآن وبمن لم يذكرهم، فمن الذين ذكرهم الله في القرآن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وأولاد يعقوب وهم الأسباط وموسى وعيسى، فشريعة الإسلام تحرِّم التفريق بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فالمؤمنون من هذه الأمة يؤمنون بكل رسول أرسله الله وبكل كتاب أنزل.

ذلك دين الله الذي ارتضاه لعباده ولم يرض لأحد غيره فمن ابتغى دينًا غير دين الإسلام فلن يقبل منه في الآخرة وهو من الخاسرين الضالين المكذبين المعاندين، فقد سد الله جميع الطرق إليه إلا طريق الإسلام.

وهذا يوجب للمسلم الاعتزاز بهذا الدين والافتخار على غيره من الأمم والملل والنحل، ويدل على بقاء هذا الدين إلى يوم القيامة وظهوره على الأديان كلها، ومن كتب الله له الضلالة والغواية فلا هادي له فمن عرف الحق وشهد بصدق النبي ﷺ وقامت عليه الحجة والبراهين على صدق ما جاء به النبي ﷺ ثم كفر وجحد ونكص على عقبيه فقد ظلم نفسه بالكفر والشرك ودخل في ظلمة الكفر بعد نور الإسلام فأولئك لهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، طردهم الله من رحمته فهم خالدون في النار لا يخفف عنهم العذاب ولا يفتر عنهم إلا من تاب وآمن ورجع إلى الحق والهدى وهذا من لطف الله بعباده ورحمته بهم فهو سبحانه يتوب على من تاب وأناب، فالتوبة تهدم ما كان قبلها والإسلام يهدم ما كان قبله.

أما من كفر بعد إيمانه واستمر على كفره إلى الممات فلا توبة له عند الموت، فالتوبة مقبولة حتى ينزل الموت بالإنسان، فمن لم يتب إلا عند نزول الموت به فلا توبة له، وهو من الضالين الذين تركوا الحق واتبعوا طريق الغي والضلال.

ولهم في الآخرة العذاب الشديد الأليم فلن يقبل منهم فدية من الأموال ولو أنفقوا ملء الأرض ذهبًا فداء لأنفسهم فلن ينجيهم ذلك من عذاب الله تعالى وما لهم من ينقذهم من العذاب الأليم يوم القيامة.

والمسلم الحق هو الذي يلتزم الإسلام ظاهرًا وباطنًا ويعتز به ويسأل الله الثبات عليه إلى الممات، وإن زلت به قدم سارع إلى التوبة والإنابة والندم على ما صدر منه، ولا يسوِّف ولا يؤجل التوبة بل يبادر عند كل ذنب بتوبة صادقة ناصحة تمحو ما سلف من الذنوب والمعاصي والزلات.

لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٩٢﴾ ۞كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾

الإنفاق مما يحبه الإنسان من الأموال الظاهرة والباطنة في سبيل الله، طريق إلى الجنة وعلامة الإيمان، فالنفقة مما يُحَبُّ دليل على تقديم محبة الله على محبة المال، واكتساب المال من الحلال وإنفاقه في مرضاة الله تعالى طريق إلى محبة الله للعبد، وما ينفق الإنسان من نفقة صغيرة ولا كبيرة فإن الله يعلمها ويثيب عليها.

ومن تناقض اليهود وعتوهم واستكبارهم ادعاؤهم أن الأنبياء لا يمكن أن يختلفوا في شرائعهم فبين الله تعالى كذبهم أن التوراة فيها تحريم ما لم يكن محرّمًا على بني إسرائيل، وقد كانت الأطعمة حِلًا لهم قبل نزول التوراة إلا ما حرّم يعقوب على نفسه لما مرض قبل نزول التوراة، وهذا يخالف ما ادعوه من عدم النسخ فالتوراة فيها نسخ كما أن في شريعة عيسى ما ينسخ ما في التوراة، وما جاء به محمد ﷺ ناسخ للتوراة والإنجيل، فمن كذب على الله وادعى أنه شرع لهم التمسك بالتوراة دائمًا وأنه لم يبعث نبيًا آخر يدعو إلى الله فهو من الظالمين، وما ذُكر في القرآن هو الصدق والهدى والبيان، ومن أصدق من الله حديثًا، وعلى عباد الله التزام ملة إبراهيم واتباعها فهي الحق الذي لا شك فيه ولا مرية وهي الطريقة الكاملة، وهي ملة التوحيد التي يجب على العباد الأخذ بها.

إبراهيم الذي بنى بيت الله الذي هو أول بيت وضع للناس للعبادة يطوفون به ويصلون إليه ويعتكفون عنده، بيت الله الذي بمكة التي تَبُكُ الجبابرة فما أرادها أحد بسوء إلا قصمه الله، فيه البركة والهداية لجميع العالمين، فيه الآيات البينات والدلائل الظاهرة على بناء إبراهيم لـه، وتعظيم الله لـه وتشريفه. فيه مقام إبراهيم حجرٌ يصعد عليه إبراهيم لبناء البيت فكانت آثار أقدامه عليه إلى اليوم شاهدًا لإبراهيم ببناء البيت، آية في بقائه إلى اليوم، ومن آياته الصلاة خلفه كما أمر الله وكما فعل رسول الله ﷺ، ومن آيات هذا البيت الأمن والأمان للبشر وللشجر والحجر والطير والحيوان، ومن آياته وجوب إتيانه للحج والعمرة لمن استطاع إلى ذلك سبيلا، فريضة من الله في العمر مرة واحدة فما زاد فهو تطوع، ومن جحد تلك الفريضة فقد كفر والله غني عنه وعن عبادته.

ذلك البيت الذي بعث في جنباته سيد الأنبياء والمرسلين، وقد بشرت به الكتب السماوية فكفر أهل الكتاب به عنادًا واستكبارًا وحسدًا وهم يعلمون صدقه ونبوته، فالله شهيد على صنيعهم ذلك بما خالفوا ما بأيديهم عن الأنبياء ومعاملتهم رسول الله ﷺ بالتكذيب والجحود.

فهم قوم بُهْتٌ يجحدون الحق ويصدون عن سبيل الله بباطلهم وكذبهم وهم يعلمون حقيقة الأمر، فالله مطلع على خبثهم وكفرهم وسيجازيهم بما كانوا يعملون، فعلى المسلمين أن يأخذوا حذرهم من أهل الكتاب ولا يأمنوهم ولا يغفلوا عن دسائسهم وأساليبهم في حرب الإسلام فهم لا يحملون إلا الحقد لهذا الدين، فالمسلم لا يطيعهم ولا يصدقهم ولا يثق بهم، فهم يقصدون إخراج المسلم من دينه وإضلاله، فهل يعي المسلمون اليوم ما يخططه أعداء الإسلام لهم.

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾

المسلم يحذر من أساليب الكفار في إغرائهم للمسلمين فهم يريدون كفر المسلم وخروجه من دينه، وكيف يكفر المسلم بعد ما ذاق طعم الإيمان وتأثر بآيات القرآن وعلم كلام المصطفى المختار عليه الصلاة والسلام، كيف يكفر المسلم وعنده كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولكن من يعتصم بالله ويلتجئ به ويستعين بالله ويتوكل عليه فيهديه إلى صراط مستقيم فهو سبحانه الهادي إلى طريق الرشاد، والمسلم لا حول له ولا قوة إلا بالله فيستعين بربه لمقابلة سموم أهل الكتاب ووسائلهم في حربهم للإسلام فيعد العدة بتقوى الله ﷻ حق تقاته بأن يُطاع فلا يعصى ويُذكر فلا ينسى ويُشكر ولا يكفر.

فيقوم بأمر الله حسب استطاعته وقدرته، ويعيش في حياته على طاعة الله وفي سبيل الله، في حال صحته ومرضه وفقره وغناه ويُسره وعسره ورخائه وشدته فيختم لـه بخير فيموت وآخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله. فمن عاش على شيء مات عليه وبعث عليه.

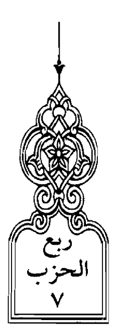
ومن تقوى الله ﷻ الاجتماع والاعتصام بعهد الله وعدم الفرقة والاختلاف والتنازع، فالجماعة رحمة والفرقة عذاب، فقد جمع الله بين قلوب المؤمنين في المدينة بالإسلام بعد ما كانوا متنازعين متحاربين فألّف الله بين قلوبهم وجمعهم على الهدى والإيمان فنعموا بنعمة الاجتماع وأخوّة الدين والعقيدة والتعاون على البر والتقوى.

فنقلهم الله من النار إلى الجنة، ومن الكفر إلى الإيمان، ونعمة الإيمان والتقوى أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده.

ومن تقوى الله ومن أسباب الاجتماع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من واجبات الدين، وهو سبب الفلاح والتمكين في الأرض، فقيام الأمة بهذا الركن العظيم يحفظ لها أمنها واستقرارها، ومن المعروف الاجتماع والائتلاف، ومن المنكر الفرقة والاختلاف فقد نهى الله عن الاختلاف والتفرق فهو طريق أهل الكتاب، تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واختلفوا وتفرقوا مع قيام الحجة عليهم، ويوم القيامة ينقسم الناس إلى فريقين فتبيض وجوه أهل السنة والجماعة والائتلاف وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة وتلك حال كل ضال كافر من المشركين والكافرين والمنافقين، فلهم العذاب الأليم الشديد بكفرهم وشركهم، وأما أهل الإيمان فلهم الجنة والرحمة والرضوان من الله خالدين أبد الآباد لا يبغون عنها حولا.

وتلك آيات الله توضح الحقيقة وما تكون عليه الخليقة في الدنيا والآخرة والله لا يظلم أحدًا بل يجازي كلًّا بعمله فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره، والمسلم يحرص على التزام الجماعة والأخذ بأسباب الألفة والمحبة بين المؤمنين ويحذر من أسباب الفرقة والاختلاف والتنازع لأنها طريق الخسارة الدنيوية والأخروية.

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ
﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوْ ءَامَنَ
أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ
وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًىۖ
وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ
عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ
وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُۚ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ
حَقٍّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُواْ سَوَآءًۗ



مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ
وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ
وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ
فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُواْ
مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

كل من في السماوات والأرض آتي الرحمن عبدًا فالجميع ملك له وعبيد له وإلى الله ترجع الخلائق فيجازيهم بأعمالهم.

وقد ميز الله أهل الإسلام والقرآن بأنهم خير الأمم بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وإيمانهم بالله تعالى.

فشرف الأمة بنبيها محمد ﷺ فهو أشرف الخلق وأكرم الرسل، وبكتاب ربها القرآن العظيم، وباتباع هذا الكتاب وهذا الرسول صلوات الله وسلامه عليه تظهر خيريتها على الناس.

فمن أراد أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها وذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولو أن أهل الكتاب آمنوا بما أنزل على محمد لكان خيرًا لهم وأقوم، ولدخلوا في الخير والإيمان، ولكنهم عصوا وجحدوا فأكثرهم أهل الضلالة والكفر والفسق والعصيان.

فقد كتب الله الغلبة والنصرة والتأييد لهذه الأمة فلن يضروا هذه الأمة إلا بأذى القول والفعل وسيمكِّن الله لهذه الأمة وينصرها على أهل الكتاب ويورثهم أرضهم وديارهم.

فأهل الكتاب أشد الناس خوفًا من الذين آمنوا، فقد ألزمهم الله الذلة والصغار أينما كانوا فلا يأمنون إلا بذمة وعقد الهدنة والأمان والعهد والميثاق فلزمهم غضب الله، وأُلزموا المسكنة بكفرهم وبغيهم وحسدهم وقتلهم الأنبياء وعصيانهم وجحودهم وذل الدنيا متصل بذل الآخرة.

فكما أن الذل والصغار عليهم في الدنيا فلهم في الآخرة العذاب الأليم الشديد.

أما من آمن من أهل الكتاب وصدق بالرسول ﷺ وقام بأمر الله وأطاع نبي الله ﷺ فأولئك المستقيمون على شريعة الله يتلون آيات الله آناء الليل وأطراف النهار يتهجدون ويكثرون من الصلاة، فسيؤتيهم الله أجرهم مرتين، فما عملوا من عمل فسيجدون أجره عند ربهم لا يضيع عليهم بل يجزيهم الله به أعظم الجزاء.

فهو ﷻ عليم بالمتقين من عباده لا تخفى عليه خافية ولا يضيع عنده عمل عامل من ذكر أو أنثى، وفي ذلك ترغيب للمؤمنين في العمل الصالح والمنافسة فيه والمسارعة في الخيرات والأعمال الصالحات، وفيه توجيه لهم إلى دعوة أهل الكتاب لهذا الدين، وقد دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام وأمر بدعوتهم وعرض الإسلام عليهم، فالدعوة هي أول ما يبدؤون به.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۚ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿١٢٠﴾ وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

الكفار ينفقون أموالهم وجهودهم في الصد عن سبيل الله والتسلط على المسلمين وإذلالهم وقهرهم وتلك الأموال تذهب هباء منثورا فلن تنفعهم تلك الأموال عند وقوع العذاب عليهم، ولن تصد عنهم بأس الله وأليم عقابه، ولن تنفعهم أولادهم ولا كثرتهم ولا عدتهم إذا أراد الله إهلاكهم فمصيرهم إلى نار جهنم خالدين فيها وبئس المصير، وستذهب أموالهم حسرة عليهم فتلك الأموال كمثل ريح شديدة باردة فيها نار أصابت زرعًا فأحرقته فتلك أموالهم تحرقهم كما تحرق الريح الشديدة الباردة الزروع والثمار وتفسدها، وما عملوا من الحسنات والأعمال في الدنيا فتذهب هباء منثورًا فيجازيهم الله بها في الحياة الدنيا ولهم العذاب الأليم في الآخرة، والمسلم يحذر من اتخاذ هؤلاء الكفار بطانة خاصة يطلعهم على أسرار المسلمين ويستشيرهم في أمور المسلمين، فهم يسعون جهدهم في مخالفة المسلمين والكيد لهم والمكر والخديعة لهم ويودون في أنفسهم عنت المسلمين ومشقتهم وقد ظهر على صفحات وجوههم وفلتات ألسنتهم من العداوة وما يخفون من البغضاء والعداوة أكبر وأعظم، حتى لو أظهر لهم المسلم المحبة والصداقة والمودة فهم لا يحبون المؤمنين مهما تنازلوا وقدموا لهم من الاحترام وذلك لما في قلوبهم من الحقد والكراهية للإسلام، وكذلك أولياؤهم من المنافقين فهم يحملون الكره للمسلمين مع محبة المسلمين لهم لإظهارهم الإيمان، فهم على دين أوليائهم من الكفار، فالواجب على المسلم أن يأخذ بمنهج الإسلام مع الكفار وهو بغضهم وعدم موالاتهم مع عدم ظلمهم والاعتداء عليهم، فهم لا يؤمنون بكتاب الله ولا برسالة محمد ﷺ فالفارق بين المؤمنين والكافرين كبير فهم لا يؤمنون، والمؤمنون يؤمنون بالرسل جميعًا وبما أُنزل إليهم من ربهم، وأما أهل النفاق فهم يظهرون الإسلام ويدَّعون الإيمان وإذا خلوا مع الكفار ومع أنفسهم أظهروا ما تكنه صدورهم من البغضاء والحقد والكراهية والحسد للمؤمنين فيعضوا أصابعهم من الغيظ والحقد كيف تكون العاقبة للمتقين، فهم يموتون بغيظهم لما يرون من إتمام الله لنوره ونعمته على عباده وأوليائه المتقين، فلهم الغيظ والذل في الدنيا والعذاب بالآخرة، جزاء وفاقًا، فما أمَّلوه في الدنيا من هزيمة للإسلام والقضاء على المسلمين لم ينالوا منه شيئًا والله أعلم بما في صدورهم من الغل والحقد، فهم في الدنيا يعيشون بحقدهم وبغضهم، وفي الآخرة عذاب شديد لأهل الكفر والنفاق، فهم في الدنيا يسوؤهم ما يصيب المسلمين من العز والكرامة والنصر والتمكين ووفرة النعيم ورغد العيش، ويفرحهم ما يصيب المسلمين من الابتلاء والامتحان من القتل والتشريد وتسلط الأعداء.

والمسلمون في السراء يشكرون وفي الضراء يصبرون ويتقون الله في جميع أحوالهم ويتوكلون على الله فهو سبحانه المحيط بأعدائهم وهو سبحانه ناصرهم ومؤيدهم وهازم أعدائهم، فبالصبر والتقوى يردُّ الله كيد الكافرين ويجعل تدبيرهم تدميرهم كما هي الحال في أُحُدٍ فقد ابتلي المؤمنون بالقتل وتسلط العدو، فصبروا حتى كانت العاقبة لهم، وقد خرج النبي ﷺ إلى وقعة أحد، بعد ما استشار الناس، وأخذ برأيهم، وذلك بعد ما صلى الجمعة، ولبس سلاحه، وسار ﷺ، في ألف من أصحابه، فلما كان بالطريق رجع عبد الله بن أُبِّي في ثلث الجيش واستمر رسول الله ﷺ سائرا حتى نزل الشعب من أحد في عَدْوة الوادي، وجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وتهيأ رسول الله ﷺ للقتال وهو في سبعمائة من أصحابه، وظَاهَر رسول الله ﷺ بين درعين، وبَيَّن منازل أصحابه فجعل الرماة فوق الجبل، وقسم الجيش إلى ميمنة وميسرة، والله سميع بأقوالهم، عليم بضمائرهم، وذلك يوم السبت، لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثلاث من الهجرة

إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى
ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ
أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ
أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ
هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ
﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا
ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا
مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ
مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ
﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ
﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

بعد خروج النبي ﷺ وأصحابه إلى أحد واستعدادهم للقاء العدو، همت طائفتان من المؤمنين وهم بنو سلمة وبنو حارثة أن يرجعوا عن القتال بعد رجوع المنافقين، لما رأوا كثرة العدو ولكن الله ثبتهم وربط على قلوبهم وعصمهم من الوقوع في الفشل.

والله سبحانه يثبت أولياءه وينصرهم ويؤيدهم بنصره إذا فوض المؤمن أمره إلى الله وتوكل على الله حق التوكل بعد فعل الأسباب مثلما نصر الله المؤمنين يوم بدر لما توكلوا على الله وطلبوا النصر منه جاءهم النصر والتمكين وهم قلة مستضعفون، فأيدهم الله بالملائكة بقيادة جبريل ﷺ فكان نصر الله للمؤمنين وتأييده لهم بخمسة آلاف من الملائكة لهم علامات يعرفون بها بشرى لهم وطمأنينة وتثبيتًا وتطييبًا لقلوب المؤمنين، والنصر من عند الله لو شاء لانتصر من أعدائه بدون المسلمين وبدون الملائكة، ولكن شرع الجهاد لحكم عظيمة لتحصل التضحية والاستشهاد وليهلك الله الكفار على أيدي المؤمنين أو يجعلهم أذلة صاغرين فيعيشوا حياة الذل والصغار بسبب كفرهم..

ولله الأمر من قبل ومن بعد فهو قادر على هداية هؤلاء الكفار إلى الإسلام بعد ظلمهم وعنادهم فالله سبحانه هو الذي يعلم من يستحق العقوبة والإهلاك والهزيمة ومن يموت على الكفر وليس لأحد من البشر القدرة على ذلك ولو كان نبي الله أفضل الخلق عليه الصلاة والسلام فإنه لا يملك لأقرب الناس إليه شيئًا كما قال ﷺ: (**يا فاطمة بنت محمد لا أملك لك من الله شيئًا**).

وفي ذلك بشارة بإيمان قريش ودخولها في الإسلام مع ما كانوا عليه من الإباء والاستكبار والصد عن سبيل الله، وهم يستحقون عذاب الله لظلمهم وعدوانهم ولكن الله رحمهم فدخلوا في دين الله وهو ما كان النبي ﷺ يؤمله كما قال (**لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك له**).

ولله ملك السماوات والأرض يغفر لمن يشاء من عباده ويهديه إلى الصراط المستقيم ويبدل الله سيئاته حسنات، ويعذب من يشاء لظلمه وعدوانه وهو سبحانه غفور رحيم بعباده، فالمسلم يرجو رحمة ربه ويخاف عقابه فيجتنب ما حرّم الله عليه ومما حرّمه الله أكل الربا والتعامل بالمعاملات الربوية كما كان يفعله أهل الجاهلية يتعاطون الربا أضعافًا مضاعفة فإذا حل أجل الدَّين إما أن يقضي أو يزيد، ومن تقوى الله ﷻ اجتناب الربا بجميع أنواعه وصوره، واجتناب الربا سبب للفلاح والفوز والبركة في المال والحال والمآل، والله توعد آكل الربا بالنار فإن كان مستحلًا له فهو كافر وإن كان مرتكبًا له مقرًا بحرمته فهو على خطر لأن الربا من الموبقات المهلكات، والمسلم يجتنب أسباب دخول النار التي أعدها الله للكافرين الجاحدين وتوعّد بها العصاة من المؤمنين وهي موجودة الآن وقد هيئت، وسبب النجاة منها طاعة الله تبارك وتعالى والسعي في مرضاة الله، لأن طاعة الله سبب لرحمته التي تدخل الجنة.

۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾

أمر الله عباده بالمسارعة والمسابقة إلى فعل الخيرات لينالوا أعلى الدرجات في الجنة التي عرضها كعرض السماوات والأرض قد أعدها الله للمؤمنين الصادقين والمسلم يسارع إلى الجنة بعمله الصالح لينال مرضاة الله تبارك وتعالى، وتقوى الله ﷻ من أسباب دخول الجنة والإنفاق في وقت الرخاء والشدة والمنشط والمكره والصحة والمرض وفي السر والعلانية من صفات المتقين الذين يرجون رحمة ربهم، ومن صفات المتقين الاتصاف بالأخلاق الفاضلة التي يتعاملون بها مع إخوانهم المسلمين يقابلون الإساءة بالإحسان يكتمون غيظهم وغضبهم فلا ينتقمون ممن أساء إليهم بل يعفون ويصفحون ويحبون أن يغفر الله لهم، ويحسنون إلى الناس وإن أساءوا إليهم، يحسنون بأقوالهم وأفعالهم لينالوا محبة الله للمحسنين، وإن قصروا وضعفت نفوسهم بطبيعتهم البشرية فأذنبوا تابوا إلى الله واستغفروا لذنوبهم لخوفهم من ربهم، فهم يستشعرون عظمة الله بقلوبهم فيطلبون المغفرة بألسنتهم وأفعالهم بإقلاعهم عن الذنوب وندمهم عليها والعزم على عدم العودة إليها، وهم يعلمون أن الله يقبل التوبة عن عباده ويغفر ذنوبهم ويتجاوز عن سيئاتهم فيلتجئون ويفرون إليه ﷻ، فهم في الدنيا على خوف ووجل من ذنوبهم يكثرون من التوبة والاستغفار، ومآلهم في الآخرة وجزاؤهم مغفرة من الله لذنوبهم التي كانوا يخافون من عقابها، ولهم الجنات التي فيها الأنهار من جميع أنواع المشروبات مخلدين فيها في النعيم المقيم، والجنة نعم دار المتقين العاملين في الدنيا بمرضاة الله تبارك وتعالى، والمؤمنون الصادقون يبتلون في هذه الحياة، فمنذ أن خلق الله الخليقة والصراع بين الحق والباطل قائم إلى قيام الساعة فقد جرى على الأمم قبلنا مثل الذي جرى لهذه الأمة من الصراع ولكن العاقبة للمتقين، وتلك آثار الأمم المكذبة تشهد على خزيهم في الدنيا والآخرة كيف نزلت بهم العقوبات وحلت بهم المثلات، ومن سار في الأرض للاعتبار والاتعاظ رأى تلك الآثار التي تؤكد بقاء الحق وزهوق الباطل، وفي هذا القرآن الكريم بيان لما جرى لتلك الأمم ففيه العظة البالغة لمن أراد أن يذكر ويعتبر، وفيه الهداية للقلوب المؤمنة والموعظة الحسنة التي تنفع المؤمنين الصادقين، فالمؤمنون الصادقون يجدون في القرآن أنفسهم وراحتهم وطمأنينة قلوبهم، فمهما أصابهم من الشدة والابتلاء يجدون في القرآن الفرح والتسلية والتقوية على تحمل الابتلاء، وتلك سنة الله في الحياة يبتلي عباده بعضهم ببعض والجميع معرض للابتلاءات، ولكن أهل الإيمان يمتازون بالصبر والاحتساب، فالجميع يُجرح ويُدمى ويُقتل ولكن النتيجة تختلف فالمؤمنون صبر وتمكين وثواب وأجر وغنيمة وشهادة، والكفار توبيخ وتبكيت وعقوبة وضلال وإضلال، والله قد يسلط الأعداء على المؤمنين لحكم عظيمة ابتلاء وتمحيصًا وليظهر أهل الإيمان على حقيقتهم ويتخذ الله من المؤمنين شهداء فالشهادة أعلى ما يتمناه المسلم وهي الحياة الحقيقة وما يصيب المؤمنين إنما هو تكفير لذنوبهم ورفعة في درجاتهم، وخير لهم في الدنيا والآخرة، وأما الكفار وإن ظهروا على المؤمنين وانتصروا فمآلهم إلى الهزيمة والهلاك والدمار فما على المسلم إلا الصبر والإعداد فإن الله ناصر دينه ومعلٍ كلمته وهازم أعداءه الكافرين.

وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

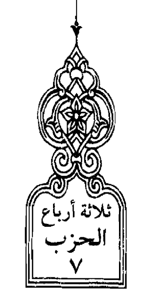
البلاء والابتلاء تمحيص للمؤمنين ومحق وهلاك للكافرين، والجنة طريقها محفوف بالمكاره والمصاعب والشدائد فليصبر المسلم وليحتمل الشدة والبلاء، فالبلاء تمحيص للمؤمنين ورفعة لهم وعلامة يظهر فيها صدق الإيمان، ويعلم الله به المؤمنين المجاهدين الصابرين، والمؤمنون الصادقون هم الذين يتمنون الشهادة بصدق ويقين فإذا قابلوا العدو صبروا وثبتوا، والجنة تحت ظلال السيوف.

وهذه الآيات توجيه وتثبيت للمؤمنين في أحد لما انهزموا، ولغيرهم من المؤمنين، فالدفاع عن هذا الدين يقتضي البذل والثبات والصبر، فالنبي محمد ﷺ وهو خير البشر قاتل وأوذي وجُرح فصبر وصابر وثبت، فعلى المسلم أن يسير على نهجه فهو ﷺ في حياته بلغ البلاغ المبين، وهو من جملة الرسل الذين بلَّغوا دين الله وماتوا وانقطعت حياتهم، ولكن دين الله باق فعلى المسلمين نصرة هذا الدين، وقد أشيع في المؤمنين يوم أحد أن النبي ﷺ قد قتل فنزلت تلك الآية التي تؤكد أن النبي ﷺ مبلغ عن ربه فلئن مات أو قتل فقد بلَّغ وعليكم أيها المؤمنون بالثبات على الدين وعدم الرجوع عنه، وعليكم باتباعه حيًا وميتًا.

وقد قرأ هذه الآية أبو بكر الصديق بعد وفاته ﷺ فكانت تثبيتًا للمؤمنين وتذكيرًا لهم بما يجب عليهم.

فالموت مكتوب على كل نفس ولن تموت نفس حتى تستكمل الأجل المحدد لها في كتاب لا يتقدم ولا يتأخر، فمن كان يريد الدنيا والعمل لها والسعي في جمع حطامها فسيأتيه ما كتب الله له منها ومن يرد الآخرة والعمل لها نال الآخرة وأتته الدنيا راغمة، وجعل الله غناه في قلبه وسيعطيه الله من فضله ورحمته في الدنيا والآخرة، ومن سنة الله في الحياة أن القتال قائم بين المؤمنين والكافرين فقد قاتل الأنبياء وأتباعهم والعلماء والعباد فثبتوا ولم يجبنوا عن لقاء العدو ولم يجزعوا بما أصابهم من الجراح والقتل ولم يضعفوا عن ملاقاة الأعداء ولم يخضعوا لهم ويذلوا لهم، بل سألوا الله ﷻ النصر والتمكين والثبات واستغفروا لذنوبهم لأن الذنوب من أسباب الهزيمة وألحُّوا على الله بالدعاء لأنه سلاح المؤمنين الصادقين الصابرين فأخذوا بأسباب النصر والتمكين من قوة الإيمان والثبات والاستعداد وقوة العزيمة والعزة على الكافرين والصبر والمصابرة، والتسلح بالدعاء والتخلص من أسباب الهزيمة من الذنوب والمعاصي، فكانت النتيجة ثواب الدنيا من النصر والظفر والعاقبة الحسنة والغنيمة وحسن ثواب الآخرة من النعيم المقيم في جنات النعيم، والمؤمن حين يتأمل تلك الآيات العظيمة يدرك أن هذا الصراع القائم بين الحق والباطل سنة من سنن الله، فلئن كان الأنبياء والصالحون من أتباعهم أصابهم ذلك فعلى المؤمن أن يستلهم الدروس والعبر ويأخذ بما أخذوا به من أسباب النصر والتمكين لتكون العاقبة للمؤمنين كما كانت للأوائل منهم والله ولي المتقين.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾
بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلۡقِي
فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ
مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۚ وَبِئۡسَ
مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ
وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ
وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم
مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم
مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ
وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
﴿١٥٢﴾ ۞ إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ
وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ فَأَثَٰبَكُمۡ
غَمَّۢا بِغَمّٖ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ
وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٥٣﴾





المؤمن الصادق هو الذي يتميز بالولاية للمؤمنين والبراءة من المشركين فلا يطيع الكفار فيما يدْعونه إليه من التنازل عن عقيدته أو شريعته أو آداب الإسلام وأخلاقه ولا يقلد الكفار في شعائرهم ولا في حياتهم ولا في مظاهرهم، ولا يصدق بما يدعيه الكفار من المحبة والسلام والمسالمة، بل يعتقد بغض الكافرين وعداوتهم للمسلمين ومع ذلك فإنه لا يظلمهم ولا يعتدي عليهم، بل يسعى لدعوتهم ويحرص على هدايتهم كما كان ﷺ، والخاسر من المسلمين من استجاب لدعوات الكفار وصدّق ما يدعونه إليه وكان عونًا لهم على المسلمين فذلك له الخسران المبين، والمؤمنون وليهم الله تعالى هو ناصرهم ومؤيدهم وهازم أعدائهم فالنصر منه ﷻ هو الذي ينصر أولياءه وعباده الصالحين مهما اجتمعت عليهم قوى الكفر والطغيان فإن النصر من الله، ومن نصر الله إلقاء الرعب في قلوب الكفار، وخوفهم من المسلمين بسبب كفرهم وشركهم بالله، وقد اختص الله هذه الأمة بأن نصرها بالرعب مسيرة شهر، وما كيد الكافرين وعدوانهم على المسلمين إلا مما في قلوبهم من الخوف من الإسلام أن يحكم الأرض، فالرعب الذي يعيشونه في قلوبهم جعلهم يبتدئون المسلمين بالعدوان ويئدون كل دعوة للحق خوفًا من انتشارها فيسعون لإطفاء نور الله، والله متم نوره ولو كره الكافرون، ولهم في الآخرة العذاب الأليم والنكال الشديد بشركهم وعدوانهم والنار مستقرهم ومسكنهم يوم القيامة، ومن نصر الله للمؤمنين ما وعدهم من النصر في يوم أُحُدٍ فقد سلط الله المؤمنين على الكافرين فقتلوا منهم حتى فرَّ الكفار وانهزموا ولكن لما وقع النزاع والفرقة والاختلاف بينهم حصل الفشل ووقعت المعصية بمخالفة أمر الرسول ﷺ كما حصل من الرماة ووقعت الهزيمة بعد ما رأوا النصر والظفر على الكفار وجمع الغنائم، لما كان في قلوب البعض من محبة الأموال والغنائم فوقع عليهم الابتلاء والامتحان وإن كان منهم من يريد الآخرة وإعلاء كلمة الله، ولكن كان الابتلاء عامًّا لجميع المسلمين فسلط الله عليهم الكفار فقُتل من قتل من الصحابة وجُرح النبي ﷺ وفرَّ من فرَّ من المسلمين وقد عفا الله عنهم وغفر لهم ما وقع منهم من الخطأ والزلل، والله يوالي فضله ونعمه ومغفرته ورحمته للمؤمنين، مع ما وقع منهم من الفرار من العدو والهروب من ملاقاة الأعداء لا يلتفت بعضهم على بعض من الخوف والذعر، والرسول ﷺ يدعوهم ويناديهم هلموا إليَّ عباد الله فثبت مع النبي ﷺ ثلة قليلة من المؤمنين وناضلوا عن رسول الله ﷺ حتى أجلوا الكفار الذين على الجبل، فوقع في قلوب المنهزمين الغم والكرب الشديد لما وقع من الهزيمة وفوات النصر، وكان الدرس والعبرة من هذه الموقعة في هذا الابتلاء فلا حزن على ما فات من النصر والغنائم ولا حزن على ما أصيبوا به من القتل والجراح والهزيمة، والله ﷻ يعلم ما في نفوسهم وما تكنه صدورهم، وفي ذلك درس للأمة بأن النزاع والفرقة والاختلاف وإرادة الدنيا والمعاصي سبب من أسباب الهزيمة.

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ
مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ
ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ
قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ
يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ
فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ
وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۗ
وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٥٤ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ
يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا
كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٥٥ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا
ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا
قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١٥٦ وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ
أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ١٥٧

بعد وقوع الهزيمة والغم والكرب أنزل الله على عباده المؤمنين الأمن والأمان والطمأنينة فكان النعاس دليلًا على الأمن الذي استقر في قلوبهم، وأما المنافقون فقد أهمتهم أنفسهم فقد ملئت قلوبهم جبنًا وخوفًا وقلقًا، ويظنون أن الله لن ينصر نبيه وأصحابه وأن المشركين سيبيدون المسلمين ويقولون هل لنا من الغنيمة شيء إذا انتصرنا وظهرنا على العدو، وما علموا أن النصر بيد الله، والله سبحانه له الأمر من قبل ومن بعد وهو الذي قضى وقدّر على عباده ولكنهم يخفون النفاق والكفر والتكذيب، ويظهرون السؤال الذي ظاهره الاسترشاد وباطنه الاستهزاء والتهكم والسخرية بالمؤمنين والاعتراض على أمر الله، فيقولون لو كان لنا رأي واختيار ما حصل القتل والجراح هاهنا وما علم المنافقون أن الله قضى وقدر الموت، فمن كتب عليه الموت فسيموت في البقعة التي قُدِّر أن يموت فيها فمن كُتِب عليه الموت في أُحد سيخرج ويقتل في مكانه الذي قضى الله وقدّر أن يقتل فيه..

ولكنه الابتلاء من الله تعالى في هذه الغزوة ليخرج الله ما في صدور المنافقين من النفاق والاعتراض على أمر الله والتكذيب، وليظهر ما في قلوب المؤمنين من الصبر والتسليم والرضا والاتعاظ والاعتبار والله ﷻ يعلم السرائر والضمائر.

وما حصل من المؤمنين من الفرار والانهزام إنما سببه تسليط الشيطان عليهم ببعض ذنوبهم السالفة وقد حصل لهم العفو والمغفرة من الله الغفور الرحيم والحليم بمن عصاه وتعدى أمره.

والموت والحياة بيد الله تعالى فلا يظن المسلم أن قتال الأعداء ومواجهة العدو هي سبب للموت، كما يظن أهل الجاهلية والكفر والنفاق، وأن الخروج من الأوطان وملاقاة العدو هي سبب الموت، وأن البقاء في الديار والجبن من أسباب السلامة وطول الحياة، فذلك اعتقاد يخالف ما أُمر به المسلم من الإيمان بالقضاء والقدر فمن ظن ظن الجاهلية فإن ذلك حسرة في قلبه على من فقدهم، ولكن الإيمان يقود المسلم إلى الصبر والتسليم والرضا بالقضاء والقدر، فالموت لا يتقدم ولا يتأخر والشهادة في سبيل الله من أسباب الرحمة والغفران وهي حياة لا موت، والموت للمؤمن انتقال إلى رحمة الله ورضوانه وهو خير من البقاء في الدنيا وجمع حطامها الفاني، فما عند الله لعباده المؤمنين من الرضوان والرحمة والغفران والجنان خيرٌ لهم من شدة الدنيا وكربها، ويبقى المؤمن مؤمنًا بقضاء الله وقدره فما يكون من شدة وبلاء إلا بعدها نصر وتمكين ورخاء فبعد الغم أمن وطمأنينة وتسليم ورضا، وبعد العسر يسر، فلا يسلك المسلم مسالك أهل النفاق والكفر في التسخط على أقدار الله والاعتراض على أمره، بل يكون سلاحه الصبر واليقين والثبات وحسن الظن بربه جلّ وعلا يفعل ما أمر به ويجتنب ما نهي عنه، صبر في الضراء وشكر في السراء، فاللهم اجعلنا عند البلاء من الصابرين وعند السراء من الشاكرين ولا تجعلنا ممن استهوته الشياطين.

وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ
ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ
فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ
فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ
فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ
بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن
يَغُلَّۚ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ
نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ
ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ
﴿١٦٢﴾ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿١٦٣﴾
لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ
يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ
وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾
أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ
قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٦٥﴾

الموت مكتوب على الإنسان وتعددت الأسباب والموت واحد فمن مات على فراشه ومن قتل في ساحة المعركة، ومن مات بعيدًا عن وطنه فإن الجميع مصيرهم ومرجعهم إلى الله ﷻ فيجزيهم بأعمالهم بذلك يوقن المؤمن أن النهاية واحدة فلا يجبن ولا يخاف بل يُقدم ويتقدم، ويعمل في هذه الحياة على منهج نبيه محمد ﷺ صاحب الخلق العظيم والأدب الرفيع، وصاحب القلب الرقيق الرحيم الرفيق والكلمة الطيبة التي تأسر القلوب، فقد كان رسول الله ﷺ لين الجانب، سهلًا ليس بفظ ولا غليظ يعفو عمن ظلمه واعتدى عليه ويستغفر للمؤمنين ويدعو لهم ويشاورهم في أحوالهم عزيز عليه مشقتهم حريص على هدايتهم بالمؤمنين رؤوف رحيم، وهكذا المؤمن هين ليّن طيب القلب طيب الفعل والقول يألف ويؤلف، يحب ولا يكره ويتمنى الخير للآخرين ويحبه لهم كما يحبه لنفسه، يعفو عمن ظلمه ويحسن لمن أساء إليه، ويدعو لإخوانه المؤمنين، وكذا كل من ولي من أمر المسلمين شيئًا فيرفق بهم ويحسن إليهم ويحوطهم بنصحه وشفقته ويشاورهم في أحوالهم، ويتوكل على الله في جميع أموره، فمن كانت تلك صفته نصره الله وأيده ومن ينصره الله فلن يغلبه أحد مهما اجتمع عليه من الأعداء والعدد والعدة، فالمؤمنون يطلبون النصر من الله وحده لا شريك لـه ولا يطلبونه من غير الله فمن خذله الله ولم يعنه على عدوه فلن يجد من ينصره، وتلك سنة الله التي لا تتغير ولا تتبدل فلو استلهم المسلمون تلك السنة الباقية، لم يرتموا بأحضان أعدائهم ليطلبوا منهم النصرة والتأييد، ولكنه الخذلان من الله لما تعلقوا بغير الله وَكَلَهم الله لأنفسهم ولمن تعلقت قلوبهم بهم.

والمؤمنون الصادقون يتبعون هذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه ويقتفون آثاره ومنهجه فهو النبي الأمين الذي أدى الأمانة وحذر من الخيانة ونصح للأمة، وما كان لهذا النبي أن يخون أمته فلم يغل ولن يغل ولم يأخذ المال من غير حله بل حذر أمته من الغلول، وهو أخذ المال من الغنائم أو من أموال المسلمين العامة، فمن أخذ من مال المسلمين سيأتي به يوم القيامة يحمله على ظهره وسيحاسب على جريمته وخيانته ولن يظلمه الله شيئًا، فلا يستوي الذين آمنوا وسعوا في مرضاة الله، والذين اتبعوا الشيطان وسعوا فيما يُسخط الله بارتكاب المعاصي والسيئات فالمعاصي بريد الكفر وشُعَبُه وهي من أسباب دخول النار وهؤلاء درجات فأهل الخير درجات وأهل الشر درجات، فهم متفاوتون في الأجر والوزر وفي الآخرة لأهل الجنة درجات ولأهل النار دركات والله سبحانه وحده هو العليم بما يعملون جميعًا وما يستحقون، وأعظم منة يمتن الله بها على عباده بعثة سيد المرسلين محمد ﷺ بعثه الله من العرب ليكون بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، يتلو آيات القرآن العزيز ويطهرهم بالتوحيد من الشرك ويحثهم على فعل الأخلاق الفاضلة ويحذرهم من الأخلاق السافلة، ويعلمهم القرآن والسنة فينير قلوبهم بهدي القرآن بعدما كانوا قبل في الضلال والظلام ضلال الشرك والوثنية، وما يصيب المسلم من مصائب فبما كسبت نفسه من المعاصي والسيئات ومن ذلك ما أصاب المؤمنين يوم أحد من القتل والهزيمة فهو بمخالفة أمر الرسول ﷺ، وقد كان لهم النصر يوم بدر وأصابوا من المشركين أكثر مما أصاب المشركون منهم..

وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾



۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

ما يكون في هذا الكون من خير أو شر أو نصر أو هزيمة إنما هو في كتاب وهو من قضاء الله وقدره على عباده وما وقع للمؤمنين يوم أحد حين التقى جمع الإيمان وجمع الكفر هو قضاء الله وقدره قضى وقدّر القتل والجراح والهزيمة، وله ﷻ الحكمة البالغة ليحصل الابتلاء والامتحان لأهل الإيمان وليظهر أهل الإيمان الحق وأهل النفاق والكفر والشك، فقد كشف الله أمر المنافقين الذين خذلوا المؤمنين ورجعوا عن القتال مع دعوة المؤمنين لهم بمشاركتهم وتكثير سواد المسلمين لكنهم رفضوا الدعوة لأنهم أقرب إلى الكفر وأهل الكفر، فهم يتمنون انتصار المشركين على المسلمين وإنما يظهرون الإسلام بألسنتهم وقلوبهم على الكفر والشك، والله سبحانه وحده الذي يعلم سرائرهم ويعلم ما يخفون في قلوبهم من البغض لأهل الإيمان ومحبة الكفار ومن كفرهم وشكهم وتكذيبهم قولهم لمن قُتل من المنافقين لو كانوا معنا ولم يخرجوا للقتال لم يصبهم القتل، وهذا دليل على عدم إيمانهم بالقضاء والقدر فإن كانوا صادقين فليردوا عن أنفسهم الموت إذا حضر أجلهم، وليعلم المنافقون وغيرهم أن من قتل في سبيل الله فهو حي لا يموت فالشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، يفرحون بنعيم الله لهم ويتمنون أن يقتلوا مرات كثيرة في سبيل الله لما رأوا من فضائل الشهادة في سبيل الله، ويتمنون لمن خلفوهم ممن تركوا من إخوانهم وأبنائهم أن يقتلوا في سبيل الله ليصيبوا ما أصابوا من الأجر والثواب والنعيم، فهم في نعيم مقيم فرحين بما آتاهم الله من الحياة الباقية في الجنة فلم يُضع الله أجرهم، والمستجيبون لله وللرسول لهم أجرهم عند ربهم ومنهم الذين استجابوا لأمر الرسول ﷺ بعد أحد للخروج لحمراء الأسد لتعقب الكفار ومطاردتهم مع ما هم فيه من الآلام والجراحات والشدة فقد وعد الله الذين أحسنوا منهم واتقوا أجرًا عظيمًا لا حد له، فهم المتوكلون على الله ﷻ لم يخفهم توعد الكفار لهم ولا عدتهم ولا سلاحهم ولا كثرتهم بل توكلوا على الله وحده، فقد أرسل أبو سفيان رسالة إلى النبي ﷺ أنهم أجمعوا على الرجوع إليهم واستئصالهم تخويفًا للمؤمنين فما كان من النبي ﷺ وأصحابه إلا أن قالوا: (**حسبنا الله ونعم الوكيل**) وهكذا المؤمن الصادق لا تخيفه جموع الكفار ولا دول الكفر ولا أسلحتهم فالله حسبه وكافيه وناصره ومؤيده ومن توكل على الله كفاه ونصره وأيده.

ووعيد الكفار لا يزيد المسلم إلا اعتزازًا بدينه وبعقيدته ولا يزيده إلا إيمانًا بالله وتمسكًا بدينه فهو ﷻ ولي المؤمنين فيثق بوعد الله بنصرة المؤمنين ومحق الكافرين، والمؤمن يزيد إيمانه بالطاعة وينقص بالمعصية، فيزيد إيمانه بالثبات على الحق وبحسن الظن بربه وباعتزازه بإسلامه.

فما أحوج المسلمين في وقت تكالبت عليهم الأعداء أن يعدُّو حسبنا الله ونعم الوكيل سلاحًا يتسلحون به ضد أعدائهم الذين لا يرقبون فيهم إلًّا ولا ذمة...

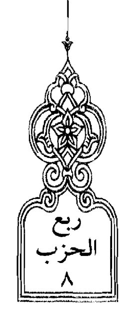
فَانقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

من توكل على الله ﷻ حق التوكل فإن الله يجعل عاقبته إلى خير، وقد رجع المسلمون من حمراء الأسد بنعمة الله وفضل وثواب وتأييد من الله فخذل عدوهم وانصرف المشركون هاربين إلى مكة، فقد قذف الله في قلوبهم الرعب، فكفى الله المؤمنين القتال وسلموا من أذى المشركين وكان عاقبة استجابتهم لله وللرسول رضوان الله تعالى عليهم، والله سبحانه يؤتي فضله من يشاء من عباده المؤمنين فقد وفّق عباده المؤمنين للاستجابة ونصرهم على عدوهم ولم يلتفتوا إلى تحذيرات المشركين وتوعدهم لهم فتلك كلها من الشيطان، يخوِّف المؤمنين من أوليائه المشركين، والمؤمنون لا يخافون إلا الله ولا يخشون أحدًا إلا الله، ولا يحزنهم مبادرة الكفار إلى المخالفة والعناد والشقاق فهم لا نصيب لهم في الآخرة، وإن كان لهم نصيب من الدنيا من القوة والسلطة والحضارة فهم في الآخرة من الخاسرين ولهم العقاب الأليم الشديد، وهم بكفرهم وعنادهم لن يضروا الله شيئًا وإنما يضرون أنفسهم لأنهم استبدلوا الكفر بالإيمان فحظ الآخرة للمؤمنين الصادقين الذين استجابوا لدعوة نبيهم ﷺ وسعوا إلى مرضاة ربهم ﷻ.

وأما الكافرون الجاحدون المكذبون وإن طالت أعمارهم وتمتعوا بمتاع الحياة الدنيا وكان لهم جاه وسلطان وقوة وطغيان فإنما هو استدراج لهم ليزدادوا إثمًا وظلمًا، فهم في الحياة الدنيا في غرور قد خدعهم إمهال الله لهم وإنعامه عليهم وتأخيره العقوبة لهم ليأخذهم أخذ عزيز مقتدر، وكذلك كل ظالم فالله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته وأما المؤمنون فيحصل لهم في الدنيا من الابتلاء والتمحيص ليتميز المؤمن من المنافق ويظهر الصادق من الكاذب، ويعرف المؤمن الصابر من المؤمن الفاجر وتلك سنة الله التي لا تتغير ولا تتبدل في الابتلاء والامتحان، فلا طريق لمعرفة المنافقين إلا بتلك الابتلاءات فمعرفتهم غيب لا يعلمه إلا الله، وقد يطلع الله من يشاء من رسله على الغيب كرامة لهم، فالمؤمنون يؤمنون بأن الابتلاء رحمة لهم وتكفيرٌ لسيئاتهم ورفعة لدرجاتهم فيزداد إيمانهم ويقينهم وثباتهم ويتسلحون في وقت البلاء بالإيمان والتقوى لينالوا الأجر والثواب من الله تعالى ويستعملون كل ما وهبهم الله تعالى من النعم الظاهرة والباطنة فيما أمرهم الله به فينفقون المال في ابتغاء مرضاة الله لعلمهم أن المال مال الله وقد استخلفهم عليه وابتلاهم به، فيؤدون الزكاة المفروضة ويتصدقون لينالوا بركة المال وزيادته، وأما من شَحَّ بالمال وبخل به وطمع بجمعه من حل أو من حرام ومنع زكاة ماله فسيكون هذا المال مضرة عليه في دينه وعقابًا لـه في الآخرة، فيكوى به يوم القيامة وإن كان المال من البهائم وطأته بأقدامها وأظلافها ويصور له ماله بصورة ثعبان عظيم يأخذ بشدقيه ويقول أنا مالك أنا كنزك، فالمؤمن يحذر من فتنة المال ويُهلِك هذا المال بالإنفاق والتقرب إلى الله، ومال الإنسان ما قدمه ومال وارثه ما أبقاه.

والله هو المنعم على عباده فهو سبحانه لـه ملك السماوات والأرض وهو عليم خبير بما يعمل العباد من خير أو شر.

لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾



لما أمر الله عباده بالإنفاق وحثهم على الصدقة والبذل والإحسان ليثيبهم وينعم عليهم ولما رغب عباده بالأجر والثواب الجزيل فطلب منهم القرض ليزيدهم في الأجر، قال اليهود افتقر ربك يا محمد فسأل عباده القرض..

وهذا من سوء أدبهم مع الله ومن كفرهم وجحودهم فالله هو الغني الحميد والعباد جميعًا فقراء إلى الله.

ولكن اليهود هم أهل الكفر والغدر فقد قتلوا الأنبياء وقالوا إن يد الله مغلولة ولكن مآلهم إلى عذاب النار التي تحرقهم ويذوقوا العذاب الأليم، جزاء وفاقًا لأعمالهم التي قضوا بها حياتهم من الكفر والشرك والتكذيب والظلم والطغيان والعناد، والله لا يظلم الناس شيئًا ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

ومن كذب اليهود وافترائهم على الله ادعاؤهم أن الله أوصاهم في التوراة ألا يصدقوا برسول الله حتى يأتيهم بمعجزة وهي أن يأتي بصدقة تنزل النار فتحرقها، كل ذلك من التعجيز والتشكيك فهم لم يؤمنوا بالأنبياء الذين جاءوا بمثل هذه المعجزة فقتلوا الأنبياء وكذبوهم وهؤلاء هم اليهود، كذبوا الرسل وجحدوا رسالتهم مع ما جاءوا به من الآيات الواضحات والمعجزات الباهرات والكتب السماوية التي فيها الهداية والنور المبين الذي ينير طريق الهدى والحق، فعلى كل داعية إلى الحق أن يتصف بالصبر والحلم والثبات فهؤلاء رسل الله كُذِّبوا وأوذوا وقُتلوا فلم يزدهم ذلك إلا ثباتًا واستمروا في الدعوة والبلاغ، فهذه الدنيا هي دار العمل والمسارعة إلى الخير فكل من عليها فان، وكل نفس فيها ستذوق الموت وتنتهي من الوجود، والسعيد من عمل في الدنيا في مرضاة الله لينال رحمة الله ورضوانه، والعباد كلهم مجزيون يوم القيامة بأعمالهم جليلها وحقيرها وكثيرها وقليلها وكبيرها وصغيرها، ولكن السعادة الحقيقية والفوز العظيم فيمن جُنِّب النار وأبعد عنها ونجا من عذابها وأدخل الجنة فتلك الكرامة وذلك هو الشرف، أما الدنيا فهي دنية حقيرة وضيعة فانية زائلة فهي تغر أهلها المحبين لها فيظنون أنهم سيخلدون فيها فيسعون لجمع حطامها والتنافس على ملذاتها، والمؤمن لا يغتر بصفائها ولا بزهرتها ولا بملذاتها، فإن أصابه من نعيمها شكر وإن أصابه من بلائها صبر، فتلك الحياة فيها من المصائب والابتلاءات في المال والنفس والولد وتسلط الكفار وإيذائهم للمؤمنين بالقول والفعل، فيتسلح المؤمن بسلاح الصبر والتقوى فهو مما يعزم المسلم على التمسك به فالصبر مفتاح الفرج والأجر والثواب، والتقوى سبب لتفريج الكربات وزوال الغموم والهموم.

فإذا اشتدت المحن وتسلط الأعداء تمسك المسلم بالصبر والتقوى فلا يضره كيد الكائدين ولا مكر المنافقين، ونَصَرَه الله على القوم الكافرين، ولا يؤتى المسلمون من قبل أعدائهم إلا بتفويت أحد الأمرين إما الصبر أو التقوى، فيتسلط عليهم العدو، فالتقوى وحدها لا تكفي ولا الصبر وحده، وعزيمة الأمر وطريق الرشد والرشاد التمسك بهما جميعًا لتكون العاقبة للصابرين المتقين.

وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ
وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا
قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ١٨٧ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ
بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم
بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨٨ وَلِلَّهِ مُلۡكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٨٩ إِنَّ فِي
خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ
لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا
وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١
رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ
أَنصَارٖ ١٩٢ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ
ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا
سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا
عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤

أخذ الله الميثاق على اليهود والنصارى بالإيمان برسالة النبي ﷺ، فالإخبار به وبرسالته في كتبهم ولكنهم كتموا وكذبوا وكفروا وجحدوا إيثارًا للدنيا العاجلة وحسدًا من عند أنفسهم فبئس ما اشتروا به وبئست البيعة بيعتهم، وكل من كتم ما علم ففيه شبه بهم فمن كتم علمًا ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة ومن فرح بكتمانه الحق وظن أنه استطاع أن يخفي الحقيقة فله العذاب الأليم يوم القيامة، وتلك صفات اليهود يفرحون بمكرهم وخداعهم وتضليلهم ويحبون أن يمدحوا بما لم يفعلوه، فهم يراءون الناس ويخدعونهم، ومن سلك طريقهم بادعاء ما ليس له وإظهار ما لا يبطن ففيه شبه بهم، فالجميع لن ينجوا من عذاب يوم القيامة فالله مالك الملك وهو على كل شيء قدير ولا يعجزه أحد في السماوات ولا في الأرض.

والمؤمن الحق هو الذي يظهر عجزه وضعفه وتواضعه لربه، فيقوده ذلك إلى الانقياد والطاعة، والتفكر في مخلوقات الله تعالى يزيد الإيمان واليقين، ففي خلق السماوات وارتفاعها واتساعها وما فيها من الآيات المشاهَدَة العظيمة وما في خلق الأرض وما فيها من الجبال والأشجار والبحار والحيوان والمعادن والمنافع واختلاف الليل والنهار وتعاقبهما واختلافهما في الطول والقصر في ذلك كله آيات باهرات لأصحاب العقول السليمة والفطر المستقيمة، ومع التفكر كثرة الذكر والاستغفار في جميع الأحوال والأوقات، فيجمعون بين الذكر والفكر، فطوبى لمن كان صمته فكرًا ونطقه ذكرًا ونظره عبرًا ومع التفكر والذكر يعلمون ما خلقت له تلك المخلوقات من الحكم العظيمة وما من أجله خلقت الخليقة.

ويبقى رجاء المؤمن ودعاؤه النجاة من النار فيسأل ربه بصدق النجاة من النار اللهم أجرنا من النار برحمتك يا أرحم الراحمين.

فمن أدخله الله النار لـه الخزي والهوان والذل وما له من مجير منها ولا محيد عنها، فيتوسل المؤمن بإيمانه بالله تعالى واتباع نبيه محمد ﷺ فيسأل ربه مغفرة الذنوب والسيئات وحسن الخاتمة ويسأل ربه أن يجعله من أولياء الله الصالحين في الآخرة..

ويسأل المسلم ربه ما وعد به عباده من النصر والتمكين للمؤمنين والتوفيق والهداية للمتقين.

وما وعد الله به الموحدين من النجاة من النار ودخول الجنة ويستعيذ المسلم من خزي وهوان يوم القيامة فإن خزي يوم القيامة هو أعظم الخزي والهوان، وأعظمه دخول النار عياذًا بالله من ذلك.

تلك آيات كان النبي المصطفى ﷺ يقرؤها إذا قام لتهجده آخر الليل فيفتتح المسلم يومه بالتفكر والذكر والدعاء والاستغفار والابتهال وإظهار الفقر والاحتياج، فويل لمن قرأ بتلك الآيات فلم يتفكر بها ولم تؤثر في نفسه معانيها العظيمة التي تلين القلوب القاسية وتفتح النفوس المستعصية فاللهم نور بالقرآن قلوبنا واشرح به صدورنا وارفع به درجاتنا واجعله لنا قائدًا وعن النار مخلّصًا برحمتك يا أرحم الراحمين.

فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن
ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟
مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ
عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾
لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ
ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟
رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا
نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ
أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ
أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا
قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟
وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

سُورَةُ النِّسَاءِ

ترتيبها ٤ — آياتها ١٧٦

المؤمن يدعو ربه وهو موقن بالإجابة، وهو ﷻ قريب من عباده يجيب دعوة الداع إذا دعاه، وما يضيع عند الله عمل فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره، وكل موفى بعمله من ذكر أو أنثى والجميع في الثواب سواء فالمهاجرون الذين تركوا بلاد الكفار ورحلوا عنها إلى بلاد الإسلام وتحملوا من الأذى والمشقة في سبيل الله وجاهدوا في سبيل الله وقتل منهم من قتل فلهم الجزاء الأوفى من تكفير السيئات والرفعة من الدرجات، ولهم الجنات العلا التي تجري من تحتها الأنهار مختلفة المشارب من اللبن والعسل والخمر والماء عطاء من الله وفضلًا، والله عنده حسن الجزاء لمن عمل صالحًا، وأما ما يتنعم به الكفار من ملذات الدنيا وشهواتها وما يعيشونه من البطر والأشر والاستعلاء فإنما هو متاع قصير زائل يعقبه عذاب جهنم هم فيها خالدون فبئس المهاد لهم جهنم وساءت مصيرا.

أما أهل التقوى والإيمان فمآلهم إلى الجنان وإن قُتلوا وعُذِّبوا وأوذوا في الحياة الدنيا واضطهدوا فإن لهم حسن العاقبة في الآخرة كرامة من الله وما عند الله من النعيم والجزاء العظيم خير للأبرار المتقين الذين عملوا البر وبروا بوالديهم وأحسنوا بعمل الصالحات والتقرب إلى الله بأنواع الطاعات.

ومن هؤلاء المؤمنين من آمن من أهل الكتاب وصدق برسالة محمد ﷺ مصدقين ما جاء في كتبهم من البشارة بمحمد ﷺ فآمنوا واخبتوا وتذللوا لله، فلم يدفعهم حب المال أن يجحدوا ولا ينكروا فأولئك لهم أجرهم مرتين يوم القيامة.

وهذا يؤكد على المسلمين الحرص على دعوة غير المسلمين من أهل الكتاب وإظهار صورة الإسلام التي شوهت لهم والاستعانة بالصبر في طريق الدعوة، والصبر والمصابرة في طريق الحق خلق عظيم يتصف به الدعاة المخلصون والمؤمنون الصادقون فيصبرون على ما يلقون من الأذى في طريق دعوتهم.

والمسلم يصبر استجابة لأمر الله تعالى فيصبر عن المعاصي ويصبر على فعل الطاعة ويصبر على أقدار الله المؤلمة..

ويرابط في الثغور إقامة للجهاد ومحاربة لأعداء الملة وإعلاء لكلمة الله وحفظًا لبلاد المسلمين فرباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، ومن المرابطة الرباط في طلب العلم وتحصيله، وتقوى الله خير شعار ودثار للمؤمنين وهي وصية الله للأولين والآخرين من عباده، وهي سبب الفلاح والفوز في الدارين، والفلاح مطلب لكل مؤمن فيسأل المسلم ربه أن يجعله من المفلحين في الدنيا والآخرة، ويأخذ بأسباب الفلاح الأخروي من الأعمال الصالحة التي تقربه إلى ربه ﷻ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾



سورة النساء

وهي سورة مدنية، سميت بذلك لذكر أحكام النساء فيها

افتتحت السورة بالأمر بتقوى الله ﷻ وهي عبادة الله وحده لا شريك لـه، فأعظم التقوى توحيد الله الذي هو سبب دخول الجنة والنجاة من النار وتحقيق التوحيد يكفر السيئات ويرفع الدرجات، فقد خلق الله ﷻ العباد لعبادته، خلقهم من أبيهم آدم ﵇ وخلق منه زوجته حواء خلقها من ضلعه الأيسر من خلفه وهو نائم فاستيقظ فرآها فأنس إليها وأنست إليه، وكان من نسلها الرجال والنساء باختلاف أصنافهم وصفاتهم وألوانهم ولغاتهم ونشرهم في أنحاء العالم، وجعل بينهم رَحِمًا ونسبًا، وأمرهم الله ﷻ بصلة تلك الأرحام وحذرهم من قطعها، فعلى المسلم أن يتقي الله الذي يعاقد به ويعاهد، ويتق الرحم أن يقطعها، ويبرها ويصلها والله مطلع على جميع أعمال عباده، ومن تقوى الله ﷻ الإحسان إلى اليتيم وحفظ ماله فإذا بلغ الرشد دُفِع إليه ماله ولا يُؤخذ منه شيء، فأموال اليتامى، حرام لا يجوز أن يستبدل المسلم ما أباح الله لـه من الحلال بما حرم عليه من الحرام من أموال اليتامى ولا يخلط أموالهم مع ماله ليأكل منه فإن ذلك من أسباب الإثم العظيم، وإن خاف المسلم ألا يعدل في مال اليتيم فلا يكفله ولا يرعى ماله، وكذلك اليتيمة إن خاف ألا يعدل في دفع مهرها المستحق لها إذا رغب في نكاحها فليتزوج بغيرها؛ لأن الزواج بها بمهر أقل من الظلم، ومن الظلم عدم العدل بين الزوجات، فالشريعة أباحت التعدد بشرط العدل والإنصاف وحرمت الشريعة الزيادة على أربع نساء فإن خاف عدم العدل فليقتصر على الواحدة منعًا للجور والظلم.

والإسلام أوجب العدل والقسم في المبيت والسكن والنفقة وذلك بين الزوجات الحرائر، وأما ما ملكت اليمين من الإماء فليس لهن قسم، ويجب إعطاء الزوجة مهرها كاملًا عن طيب نفس ولا يأخذ منه شيئًا إلا إن أعطته منه عن طيب نفس منها فهو من الحلال الطيب، ولا يجوز للولي أن يأخذ من مهر ابنته أو موليته إلا إذا طابت نفسها بشيء منه.

ولا يجوز ترك السفيه الذي لا يحسن التصرف يتلاعب بماله بل يحجر عليه ويحفظ له ماله لأن المال فيه قوام حياته ويعطى منه قدر حاجته من الطعام والكسوة والنفقة والسكن مع الكلام الطيب والوعد الحسن بدفع المال لـه عند رشده، واليتيم إذا بلغ سن الرشد وأحسن التصرف في ماله وذلك بامتحانه في طريقة البيع والشراء وحفظ المال فإذا تبين حسن تصرفه في ماله أعطي ماله من غير تأخير، ولا يجوز الإسراف في مال اليتيم حال صغره وإتلاف ماله بالتبذير قبل أن يكبر ويدرك، فإن كان ولي اليتيم غنيًا فلا يأخذ منه شيئًا ومن كان فقيرًا فليأخذ بالمقدار الذي يتعارف عليه الناس، ويسن الإشهاد على دفع مال اليتيم إليه حفظًا للحقوق وسلامة من الإنكار والله ﷻ هو العليم الخبير المطلع على السرائر وكفى بالله محاسبًا وشاهدًا ورقيبًا.

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ
مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا
مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ
وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا
﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا
خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى
بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ
فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً
فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا
ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن
كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ
فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى
بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ
نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

حفظ الله حقوق الورثة وأعطى كل ذي حق حقه، وقسم الله ﷻ المواريث بعد ما كان أهل الجاهلية لا يورثون المرأة ولا الصغار، فكان الورثة وهم أقارب الميت على قسمين منهم من يرث بالفرض وهو النصيب المقدر شرعًا ومنهم من يرث بالتعصيب، فإذا انفرد ولم يكن معه غيره أخذ جميع المال وإذا كان معه أصحاب فرض أخذ الباقي وإذا استغرقت الفروض التركة لم يكن لـه شيء، ومنهم من يرث بالفرض تارة وبالتعصيب تارة أخرى.

فللذكر نصيب مما ترك الأموات وللنساء نصيب مما ترك الأموات سواء كانوا صغارًا أو كبارًا حتى الحمل في بطن أمه فللجميع نصيب مقدر ومحدد كثيرًا كان أو قليلًا.

وإذا حضر قسمه الميراث من الصغار أو اليتامى أو المساكين فيعطونهم الكبار ما يطيّب نفوسهم من الكلام الطيب صدقة وإحسانًا ورجاء بركة المال، مع المحافظة على أموال الصغار من اليتامى فيتولى الوصي والولي حفظ أموالهم وليراقبوا الله في حفظها وليعاملوهم بالرحمة والعطف والإحسان كما يحبون أن يعامل به أبناؤهم فكما يحبون أن يُرحموا ويحسن إليهم بعد موتهم وتحفظ أموالهم فليحسنوا على من تولوا أمره من اليتامى.

وليتق الله الولي ولا يأكل مال اليتيم وينتفع به بأي أنواع الانتفاع فإن من أكل مال اليتيم فقد أتى كبيرة من الكبائر وإنما يأكل النار تتأجج في بطنه وله العذاب الأليم في الآخرة، ومِنْ أكْلِ مال اليتيم عدم القسمة الشرعية لـه من الميراث باعتبار صغره وعدم معرفته فقد كتب الله وأوجب المواريث فللذكر ضعف ما للأنثى من المال ولو كان صغيرًا، فأمر الله بالتسوية بين الذكر والأنثى في أصل الميراث وفاوت بينهما في المقدار وذلك لاحتياج الرجل إلى مؤونة النفقة والكلفة ومعاناة التجارة والتكسب وتحمل المشاق بخلاف المرأة فإنه لا يجب في مالها غير الزكاة، فإن لم يكن من أولاد الميت ذَكَر وإنما الجميع إناث فإن كن اثنتين أو أكثر فهن يشتركن في الثلثين وإن كانت واحدة فلها النصف وللأب السدس فقط مع وجود الابن والسدس مع الباقي مع وجود البنت أو البنات، والأم لها السدس مع وجود الذكر أو الأنثى، فإن لم يكن للميت أولاد فلأمه الثلث إن لم يكن له إخوة والأب له الباقي تعصيبًا، فإن كان اثنان من الإخوة فأكثر فإن الأم يكون لها السدس، كل ذلك بعد تقديم الحقوق المتعلقة بالتركة من تجهيز الميت وقضاء الديون وإنفاذ الوصية.

والعلم عند الله ﷻ فلا يدري أحد من هو الذي سينفع الميت بالدعاء والاستغفار والصدقة، ولكن تلك الأنصباء مقدرة من الله، والله ﷻ عليم بما ينفع عباده حكيم في شرعه وتقديره.

ونظام الإرث في الإسلام نظام رباني لم تستطع النظم الأرضية الإتيان بمثله ففيه العدل والإنصاف وإعطاء الحقوق، وكل شريعة الله حق وعدل لو أخذ المسلمون بها والتزموا بها لفازوا في الدنيا والآخرة.

۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾

علاقة الزوج بزوجته وعلاقتها بزوجها لا تنقطع بالموت فقد جعل الله من أسباب الإرث النكاح فيرث الزوج زوجته وترث الزوجة زوجها، فإذا ماتت الزوجة ولم يكن لها ولد من زوجها أو من زوج قبله فللزوج نصف مالها، فإن كان لها ولد سواء كان منه أو من غيره فله الربع من بعد قضاء الدَّين وتنفيذ الوصية التي أوصت بها.

وللزوجة نصيب من الإرث إذا توفي زوجها فإن كان له أولاد منها أو من غيرها فلها الثمن وإن لم يكن لـه ولد فلها الربع مما ترك من الأموال، وإن كن أكثر من زوجة فيشتركن في الثمن أو الربع بعد قضاء ديون الميت وتنفيذ وصيته.

وإن كان الميت لا والد لـه ولا ولد وكان لـه أخ أو أخت لأمه فلكل من الأخ والأخت السدس.

وإن كانوا أكثر من واحد فهم شركاء في الثلث بالتساوي لا فرق بين الذكر والأنثى منهم من بعد إنفاذ الوصية وقضاء الديون، ويحرم مضارة الورثة بوصية أكثر من الثلث أو الإقرار بدَيْن ليس عليه.

ويجب أن تكون الوصية على العدل لا على الإضرار والجور بأن يحرم بعض الورثة أو ينقصه أو يزيده على ما فرض الله فمن فعل ذلك فقد ضاد الله في حكمه وشرعه.

وتحرم الوصية لأحد من الورثة فإن الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث.

وهذه الفرائض والمقادير التي فرضها الله للورثة على حسب مراتبهم وقرابتهم من الميت هي حدود الله يحرم تعديها واستبدالها بأقل أو بأكثر أو بأنظمة بشرية.

ومن يلتزم بما قسمه الله من المواريث ويلتزم طاعة الله ﷻ في أوامره ونواهيه ويطع الرسول ﷺ في أمره ونهيه فله الأجر والثواب في الدار الآخرة من دخول الجنان التي تجري تحتها الأنهار خالدين فيها.

وهذا الفوز العظيم الذي لا يعادله أي فوز.

ومن خالف أمر الله وأمر رسوله ﷺ وارتكب ما نهاه الله عنه ونهى عنه رسوله ﷺ وارتكب ما حرّم تعالى من المحرمات والموبقات وضاد الله في حكمه وغيّر أحكام الله فإن مآله إلى النار وبئس المصير...

وهذا وعيد شديد لمن اجترأ على معاصي الله ﷻ ومن ارتكب المعاصي من الموحدين فهو تحت المشيئة إن شاء الله عذبه على قدر معاصيه وإن شاء غفر لـه وأدخله الجنة.

أما الكفار والمشركون فهم مخلدون في النار أبد الآباد، وأما الموحد فإن توحيده يخرجه من النار إن دخلها، وما ورد من الخلود في النار لمن عمل المعاصي إنما هو خلود إلى أمد لا إلى الأبد.

وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ
عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي
ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا
(١٥) وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا
وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا
(١٦) إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ
ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا (١٧) وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ
يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ
قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ
أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا (١٨) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ
لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ
مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ
أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا (١٩)

حفظ الإسلام الأعراض وحرّم الفواحش ورتب على ارتكابها العقوبات الرادعة التي تمنع من الوقوع فيها، وكانت عقوبة الزنا للمرأة في أول الإسلام إذا ثبت زناها حَبْسها في البيت حتى الموت، وثبوت الزنا يكون بأربعة شهود يصفون الزنا حقيقة، ثم نسخ هذا الحكم بالرجم للمحصنة وهي التي سبق لها نكاح صحيح، والجلد مائة لغير المحصنة وتغريب عام فكان سبيلًا لهما وعقوبة رادعة، وكان الأمر بالنسبة للرجال ممن ثبت عليه الزنا تكون بالشتم والضرب بالنعال والتعيير، فنسخ بالرجم للمحصن والجلد والتغريب لغير المحصن، والتوبة تَجُبُّ ما قبلها وتمحو ما سبقها من الذنوب إلا في حقوق العباد، والتوبة الصادقة هي التي يصحبها الندم على ما فات والعزم ألا يعود إلى الذنب، فالخطأ من طبيعة البشر فيقع منهم الطيش والسفاهة فيكون سببًا في وقوعهم فيما حرّم الله، ولكن السعيد من وفق للتوبة قبل نزول الموت والغرغرة، وقبل طلوع الشمس من مغربها فالتوبة الحقيقة التي تكون في زمن الصحة والقوة وفي وقت الإمهال، ومن مات على الكفر فهو في النار لا ينفعه الندم ولا التوبة ولا يقبل منه فدية، وأعظم النعم بعد الإسلام الموت عليه وأن يموت المسلم مؤمنًا موحدًا، والمؤمن يكون على وجل من سوء الخاتمة فمن كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة ومن عاش على شيء ختم له به فاللهم أمتنا على الإسلام واجعل آخر كلامنا من الدنيا لا إله إلا الله.

وهذا الإسلام العظيم بالعدل والإنصاف ورفع عادات الجاهلية وتقاليدها، ومن ذلك ما كانت المرأة تعيشه في الجاهلية من الظلم والاضطهاد فكانت تورَث وتوأد وتظلم وتعد من سقط المتاع، فكرّم المرأة وأعلى شأنها وجعل النساء شقائق الرجال، وأنصف المرأة، ومما أبطله الإسلام من عادات الجاهلية أنهم كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاءوا زوجوها وإن شاءوا لم يزوجوها فهم أحق بها من أهلها، فيمنعونها من الزواج حتى تموت أو ترد إليهم صداقهم، ومما كان في الجاهلية أن الرجل تكون لـه المرأة وهو كاره لها فيضيق عليها حتى تفتدي منه فترد إليه مهره، وهذا نهي عام لجميع المسلمين أن يفعلوا ذلك ويتصفوا بصفات أهل الجاهلية، وأباح الإسلام أن يسترجع الرجل مهره بالخلع إذا وقعت المرأة في الزنا أو عصت زوجها ونشزت عنه.

وأمر الله ﷻ الأزواج بحسن عشرة النساء بالقول والفعل وحسن الكلام والهيئة وأخذ الزينة كما كان النبي ﷺ جميل العشرة دائم البشر يداعب أهله ويتلطف بهم ويوسع عليهم بالنفقة ويكون في خدمة أهله.

ومن كريم العشرة الصبر على ما يقع من المرأة من أخطاء فإن كره منها خلقًا رضي بآخر وقد يكره الزوج البقاء مع زوجته فيجعل الله الخير باستمرار الزواج فيكتب لـه الذرية الصالحة والحال الحسنة.

فالمرء لا يعلم أين يكون الخير فقد يكون فيما يكرهه ويبغضه.

وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

من تكريم الله ﷻ للمرأة أن جعل المهر حقًا خالصًا لها لا يشاركها فيه أحد، وحرم الإسلام أن يأخذ الزوج مهره إذا طلَّق زوجته ولو كان المهر كثيرًا، ويحرم التحايل لأخذ المهر بالكذب والبهتان والافتراء على المرأة فإن ذلك من أعظم الإثم والوزر.

فهي قد استحقت المهر بما استحل من فرجها وبما حصل بينهما من جماع ومعاشرة، فهي لم تحل لزوجها إلا بهذا المهر وقد كان بينهما الميثاق الغليظ وهو عقد النكاح.

والواجب الإمساك بالمعروف أو التسريح بإحسان فقد أخذ المرأة بأمانة الله واستحل فرجها بكلمة الله وهي التشهد بالخطبة عند العقد، والمرأة المطلقة طلاقًا رجعيًا يحل مراجعتها في العدة والمطلقة طلاقًا بائنًا لا تحل إلا بعد زوج آخر.

ومن المحرمات بسبب المصاهرة إلى الأبد زوجة الأب، وتحريم زوجة الأب تكرمة للآباء واحترامًا لهم وحتى لا يمقت الابن أباه.

ومن المحرمات من أجل المصاهرة بنت الزوجة وهي الربيبة إذا دخل بأمها وأم الزوجة وزوجة الابن.

والزواج من المحارم من عادات الجاهلية ومن أعظم الفواحش وسبب لمقت الله وعذابه.

ومن المحرمات بالنسب الأم وإن علت من الجدات، والبنات وإن نزلن، والأخوات الشقيقات ولأب ولأم، والعمات وعمات الآباء والأمهات والخالات وخالات الآباء والأمهات.

وبنات الإخوة الأشقاء أو لأب أو لأم وبنات الأخوات الشقيقات أو لأب أو لأم، ومن المحرمات بسبب الرضاعة ما يحرم بسبب النسب فالرضاعة تحرِّم ما تحرِّم الولادة، والرضاع المحرم ما كان خمس رضعات فأكثر في الحولين، والمحرمية تنتشر في أصحاب اللبن لا أهل المرتضع، فتحرم الأم من الرضاعة والأخوات من الرضاعة وغيرهن من المحرمات في النسب كالعمات من الرضاعة والخالات من الرضاعة وبنات الأخ من الرضاعة وبنات الأخوات من الرضاعة، ومن المحرمات بسبب الجمع أخت الزوجة وعمتها وخالتها وبنت أخت الزوجة، أو بنت أخيها لأن ذلك سبب من أسباب القطيعة والبغضاء فيما بينهن.

وهذا التشريع من أسباب حفظ الأعراض وتنظيم الزواج والمحافظة على الترابط الأسري والاجتماعي..

وهو حفظ للنسل وبقاء للتواصل الاجتماعي، وتعظيم للرحم وتوكيد للأوامر فقد جاءت هذه الشريعة كاملة في تشريعاتها تلبي فطرة الإنسان وتهذب الأخلاق، وتبعد بالمسلم عن صفات الجاهلية من الظلم والاعتداء والقيود على المرأة وسلبها حريتها وكرامتها ولم يأت نظام أرضي بشري يكفل للمرأة حقوقها ويحفظ لها كيانها مثل ما جاء به الإسلام من العدل والإنصاف للمرأة، وإن نطق الأدعياء فاتهموا الإسلام زورًا وبهتانًا بظلم المرأة وتقييدها.

۞ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦﴾

ممن يحرم نكاحهن من الأجنبيات المتزوجات، فلا تنكح المرأة وهي تحت عصمة رجل، أو في عدتها من طلاق أو وفاة، إلا مَا ملكت اليمين فهي تملك بالسبي، أو الشراء ويستبرأ رحمها بحيضة.

وهذا التحريم كتاب كتبه الله على عباده، يلزم المسلم التزامه ولا يخرج عن حدود الله، ففي ذلك السعادة الأبدية، و ما عدا مَنْ ذُكرن من المحارم هن حلال، يجوز التزوج بهن إذا دفع إليهن المهر، وقصد من الزواج تحصين الفرج وابتغاء النسل، والابتعاد عن الوقوع في الفاحشة، فالمهر يجب لها مقابل ما يستمتع به الزوج من زوجته إلا إذا طابت نفسها بشيء منه للزوج جاز له أخذه والانتفاع به.

والله ﷻ عليم بما يشرعه وله الحكمة البالغة في تشريعات الزواج وغيرها من الأحكام.

والأصل في الزواج نكاح الحرائر فمن لم يستطع على مهر الحرة، وخشي على نفسه الوقوع في المحرم ولم يستطع الصبر جاز أن ينكح الأَمَة المملوكة ويشترط إيمانها، وإذن سيدها ويتولى عقدها سيدها.

فإن كان المالك امرأة، زوجها ولي السيدة من الرجال مع دفع مهرها، واشتراط عفتها عن الحرام، فلا يجوز نكاح الزانية التي لا تمتنع ممن أرادها بالفاحشة، ولا يجوز نكاح الزانية المعلنة بالزنا، ولا من تتخذ الأصدقاء من الرجال كل ذلك حفاظًا على الأعراض والأنساب، فإذا تزوجت الأمَة فوقعت في الفاحشة فإن عقوبتها نصف عقوبة الحرة وهي جلد خمسين جلدة، وليس على الأمة رجم، وإباحة نكاح الأمة دفعًا للضرورة وهي خشية الوقوع في الزنا.

والصبر عن الزواج بالأمة أولى، لما في نكاحها من مفسدة رق الأولاد، لأن الولد يتبع أمه في الحرية والرق إلا أن يشترط الزوج على السيد حرية أولاده، ولما في ذلك من الدناءة في العدول عن الحرائر إليهن، فإن اكتساب الصفات الوراثية من الأم يؤثر على الأولاد، فالعرق دسَّاس، وإن من حق الولد على أبيه أن يحسن اختيار أمه، فالبيت الطيب يثمر الطيب ومعالي الأخلاق.

والله يُرِيدُ أن يبين للمؤمنين ما أحل لهم وحرم عليهم، مما تقدم ذكره في هذه السورة وغيرها، ويهديهم الطرق الحميدة والمناهج المستقيمة للمؤمنين الذين سبقوهم بالإيمان.

ويريد الله أن يَتُوبَ عَلَى المؤمنين من الإثم والمحارم، التي ارتكبوها ثم تابوا منها.

فهو سبحانه يحب التوابين الذين يحدِثون عند كل ذنب توبة، ويفرح سبحانه بتوبة عبده، ورغب سبحانه عباده بالتوبة النصوح ووعدهم بقبولها إذا توفرت شروطها.

وهو سبحانه عِلِيمٌ حَكِيمٌ في شرعه وقدَره وأفعاله وأقواله.

وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ
عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن
تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا
وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ
يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ
عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾
وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ
نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ
وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ
عَلِيمٗا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ
وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ
نَصِيبَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

الله سبحانه يحب من عباده التوبة، ويفرح بتوبة عبده ورجوعه إليه، فمن طبيعة الإنسان الوقوع في الخطأ وخير الخطائين التوابون، ولكن أتباع الشياطين من اليهود والنصارى والزناة وأهل الفساد يتفنون في إغواء البشر وصدهم عن الحق إلى الباطل، يريد الله من عباده العفة والزواج وحفظ الأعراض ويريد الذين يتبعون الشهوات الزنا والفواحش والاختلاط ونزع الحجاب والتبرج والسفور، يريد الله من عباده البعد عن مواطن الحرام وطهارة الأعراض وصيانتها ويريد أهل الشهوات تدنيس الأعراض وحياة الحيوان وتأجيج الفتن، فالله سبحانه في تشريعاته رحيم بعباده لم يأمرهم بما يشق عليهم وإنما خَففَ عَنْهمْ في شرائعه وأوامره ونواهيه وما يقدره لهم، ولهذا شرع النكاح لأن الإنْسَان خُلِقَ ضَعِيفًا فمن فطرته الشهوة فشرع له ما يصرفها من الحلال، والإنسان ضعيف فكانت الشريعة سمحة ميسرة في أحكامها.

ومن ضعف الإنسان حبه للمال ولكن لا يكون حبه للمال طريقًا لأكل أموال الناس بالباطل، فيأكلها بأنواع المكاسب المحرمة، كأنواع الربا والقمار، وما جرى مجرى ذلك من سائر صنوف الحيل، وإن كان في ظاهر المعاملة أنها موافقة للحكم الشرعي مما يعلم الله أن متعاطيها إنما يريد الحيلة على الربا، لكن المتاجرة المشروعة التي تكون عن تراضٍ من البائع والمشتري فهي مما أباح الله في تحصيل الأموال، فإذا حصل الرضا بين المتبايعين، وكان البيع والشراء بصدق وأمانة كان من أطيب المكاسب، والتاجر الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء.

ومن المكاسب المحرمة بيع المسكرات والمخدرات التي تقتل الإنسان وتذهب عقله، فقتل النفس من أعظم الكبائر، فمن رحمته سبحانه بعباده أن حرم عليهم تعاطي ما يضرهم ويهلكهم، وحرم عليهم إهلاك أنفسهم

ومن قتل نفسه متعمدًا فهو متوعد بالنار، فقتل النفس من أكبر الكبائر، والكبائر هي ما تُوعِّد عليها بالنار أو بلعن أو غضب أو حد في الدنيا، فمن اجتنبها وتركها خوفا من الله كفر الله عنه صغائر الذنوب بما يفعله من الأعمال الصالحة التي تكفر الذنوب وبما يصيبه من البلاء، فإذا اجتنب كبائر الآثام كفر الله عنه صغائر الذنوب وأدخله الجنة.

والله سبحانه قضى وقدر وحكم فعدل فجعل لكل من الرجال والنساء خصائص وأحكام فلا يتمنى الرجال ما للنساء ولا النساء ما للرجال، ولا يتمنى الفقير ما عند الأغنياء فالكل بتقدير الله تعالى، وليسأل المسلم ما يفيده وينفعه فيسأل الله من فضله فهو سبحانه بيده مفاتيح الرزق وهو العليم بعباده يعلم ما ينفعهم وما يضرهم، فقد يكون الإنسان فقيرًا لأن الغنى يطغيه.

وقد جعل الله لكل الناس قرابات وأرحام يتوارثون فيما بينهم، فلا توارث إلا بأسباب الإرث وهي النسب والنكاح والولاء، وما كان في أول الإسلام من توارث المهاجرين والأنصار بالمؤاخاة التي آخى بينهم رسول الله ﷺ فقد نسخ، فيعطون حقهم من النصر والرفادة والنصيحة.

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ
عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ
قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ
نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ
وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴿٣٤﴾ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ
بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن
يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا
﴿٣٥﴾ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ
إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ
ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ
وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن
كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ
ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ
مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٣٧﴾

ربع الحزب ٩

جعل الله لكل من الرجل والمرأة خصائص تخصه، فالنساء شقائق الرجال، ولكن الله جعل المسئولية على الرجال، وجعل الرجل قيماً على المرأة مسئولاً عن رعايتها وصيانتها، وهذا من تكريم الله للمرأة، فالرجال ينفقون الأموال ويدفعون للنساء المهور، والمرأة الصالحة طائعة لزوجها حافظة لعرضها، وأما المرأة الناشز وهي المُرتفعة على زوجها، التاركة لأمره، المُعْرِضَة عنه، المُبْغِضَة له، متى ظهر منها النشوز فليعظْها زوجها وليخوّفها عقابَ الله في عصيانه فإن الله قد أوجب حق الزوج عليها وطاعته، وحرم عليها معصيته لما له عليها من الفضل، وقد قال رسول الله ﷺ: (**لو كُنْتُ آمرًا أحدًا أن يَسْجد لأحد لأمرتُ المرأة أن تَسْجُدَ لزوجها**)، من عِظَم حَقِّه عليها، وبعد الوعظ بالكلمة الطيبة والرفق واللين يأتي الهجر في المضجع، ولا يكون هجره لها يعلم به الجميع بل في حدود فراش الزوجية، والمرأة التي يهجرها زوجها ولا تستجيب قد عصت الله فاستحقت الضرب غير المبرح وهو شعار على عظم فعلها وليس إهانة لها أو تعذيب فالكثير من الأزواج يبدأ بالضرب وينتهي بالطلاق فلا يكون الضرب بسوط ولا يكون بقوة ولا يجرح ولا يكسر ولا يكون في الوجه، ويكون بعد الوعظ والهجران واستنفاذ كل الحلول وفي حدود ضيقة وليس في كل وقت وعند أدنى سبب، فقوامة الرجل ليست بالتسلط والإيذاء، فإذا حصلت الطاعة فليس للزوج عليها سبيلا لا بالهجران ولا بالضرب وعليه أن يؤدي إليها حقوقها، فمن ظلم وبغى بعد ذلك فالله عليم بظلمه وجوره وسيحاسبه عليه، فإن الله العلي الكبير وَلِّيهُنَّ وهو منتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن، فإن حصل النزاع والشقاق من الطرفين فعلى أقارب الزوجين أن يصلحا بينهما صلحًا والصلح خير، فيكون حَكَمًا من أهل الزوج وحكمًا من أهل الزوجة فينظرا أسباب الخلاف ويقربا بينهما ويسعيان في تقارب القلوب وإيجاد الحلول ومن كانت نيته الصلح يجعل الله التوفيق حليفه، والله عليم بالنيات وخفايا الأمور وذلك توجيه للأمة للحرص على استقرار الأسر وعدم تفرقها واختلافها، ومن أعظم ما تستقر به الأسر والمجتمعات أداء الحقوق وأعظم الحقوق حق الله تبارك وتعالى فقد أمر تبارك وتعالى بعبادته وحده لا شريك له؛ فإنه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه، فهو المستحق منهم أن يوحدوه، ولا يشركوا به شيئًا من مخلوقاته، ثم بعد حق الله حق الوالدين فقد أوصى الله بالإحسان إلى الوالدين، فقد جعلهما سببا لخروج الإنسان من العدم إلى الوجود، وكثيرًا ما يقرنُ الله سبحانه بين عبادته والإحسان إلى الوالدين، ثم بعد حق الوالدين حق القرابة والرحم، فالقرابات من الرجال والنساء، لهم حق الصلة والإحسان، ومن الحقوق بعد ذلك حق الأيتام، وهم من فقدوا من يقوم بمصالحهم، ومن ينفق عليهم، فأمر الله بالإحسان إليهم والحنو عليهم، ومن صور الإحسان الإحسان إلى المحاويج من ذوي الحاجات الذين لا يجدون ما يقوم بكفايتهم، فأمر الله بمساعدتهم بما تتم به كفايتهم وتزول به ضرورتهم، ومن الحقوق حق الجار، فالجار الذي تربط الإنسان به قرابة وهو مسلم له ثلاث حقوق، والجار المسلم له حقان، والجار غير المسلم له حق الجوار، ومن صور الإحسان الإحسان إلى الزوجة والرفيق في السفر والضيف، ومن انقطع به السبيل يحسن إليه حتى يصل إلى بلده، وما تحت يد الإنسان من المملوكين، فمن تكبر عن أداء الحقوق وتعالى على الناس فهو ممن يبغضه الله. وممن يبغض الله الذين يبخلون بأموالهم أن ينفقوها فيما أمرهم الله به، ولا يدفعون حق الله فيها، ويأمرون الناس بالبخل، ويكتمون نعم الله فلا تظهر عليهم ولا تبين، لا في أكلهم ولا في ملبسهم، ولا في إعطائهم وبذلهم، والبخيل يستر نعمة الله عليه ويكتمها ويجحدها، فهو كافر لنعم الله عليه.

وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾ يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾

البخل مذموم والإنفاق رياء وسمعة مذموم، فمن طلب مدح الناس وثناءهم ولم يقصد وجه الله تعالى في إنفاقه فهو من الخاسرين، وهذا طريق من أغواهم الشيطان وسول لهم، وحسن لهم طلب الثناء من الناس، ومن كان الشيطان جليسه وقرينه فلا يفلح أبدًا، لأن شياطين الإنس والجن لا يقودون إلا إلى الضلال والغواية، ولو أن الإنسان سلك طريق الحق بالإيمان وقصد وجه الله والدار الآخرة، وأنفق بإخلاص فإن الله عليم بما ينفق، ويعطيه سبحانه على القليل كثيرًا في الدنيا والآخرة، فهو سبحانه لا يضيع عنده عمل عامل من ذكر أو أنثى، والحسنات يضاعفها أضعافًا مضاعفة، ويعطي عباده الفضل العظيم والجزاء الجزيل يوم القيامة، يوم تشهد الرسل على أممهم وتشهد الجوارح وتنطق، ويأتي رسول الله ﷺ شهيدًا على أمته فحينئذ يود الذين كفروا أن يكونوا ترابًا يسوى بهم الأرض، فهم لا يستطيعون كتمان أعمالهم التي عملوها في الدنيا، وكيف يجحدون والرسول ﷺ عليهم شهيد، وجوارحهم تشهد عليهم فالأذن تشهد والرِّجل تشهد واليد تشهد والفرج يشهد والجلد يشهد.

فالمسلم يبقى خائفًا وجلا من ربه لا يرتكب نهيًا وهو يعلم أن جوارحه أول من يشهد عليه، فيعظم أوامر الله ونواهيه، ومما نهى الله عنه شرب الخمور وإزالة العقل بالمسكرات.

وقد جاء تحريم الخمر متدرجًا، فأول آية ذكر فيها أن الإثم في الخمر أعظم من منافع الدنيا التي يحصل عليها الناس من المتاجرة بالخمور، ثم نهوا عن شرب الخمور في أوقات الصلوات ليضيق وقت شربها، ثم نزلت آية التحريم والأمر بالانتهاء عن شرب الخمر، فالخمر يزيل العقل فلا يدري ما يتكلم الإنسان به وقد ينطق بالكفر، أو يتصرف بما لا يليق فنزهت المساجد عن ذلك في وقت التدرج في التحريم، ومما تنزه المساجد عنه دخول الجنب للمسجد والمكوث فيه والحائض إلا إذا كان يريد المرور فيه وليس اللبث فيه، ورخص للجنب إذا توضأ أن يمكث في المسجد لأن الوضوء يخفف الجنابة ولفعل الصحابة ﷺ، فإذا اغتسل الجنب وطهرت الحائض واغتسلت جاز لهما دخول المسجد والبقاء فيه، ومن يسر الشريعة وسماحتها مشروعية التيمم إذا فقد الماء أو لم يقدر الإنسان على استعماله لمرض أو برد فيتيمم للصلاة من الحدث الأصغر والأكبر بالتراب الطيب الذي له غبار إن استطاع أو بأي تراب، يضرب الأرض ضربة واحدة ثم يمسح وجهه وظاهر كفيه، وهذا من عفو الله ورحمته بعباده، وهو سبحانه الغفور لعباده مما يقع منه من تقصير في أداء ما أوجب عليهم، فإن لم يجد الماء ولا التراب أو لم يستطع استعمالهما جميعًا نوى رفع الحدث بقلبه، وهذا ما تميزت به الشريعة من اليسر، أما الأمم السابقة فقد شدد عليهم لما اتصفوا به من المكر والكذب والتحايل على أوامر الله ونواهيه، فهؤلاء اليهود يشترون الضلالة بالهدى ويعرضون عما أنزل الله على رسوله ﷺ ويتركون ما بأيديهم من العلم عن الأنبياء الأولين في صفة محمد ﷺ ليشتروا به ثمنًا قليلا من حطام الدنيا يودون لو يكفر المسلمون بما أنزل عليهم ويتركون ما هم عليه من الهدى والعلم النافع.

وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ﴿٤٥﴾
مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ
سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ
وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا
لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ
إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا
مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا
عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ
ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ
ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا
﴿٤٨﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ
وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ
وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا
مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ
لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾

الله ﷻ أعلم بأعداء المسلمين من أنفسهم ولذلك جاء القرآن محذرًا من أعداء الأمة من اليهود والنصارى والمشركين، فهم أعداء ولو تسموا بالأصدقاء، يكيدون للإسلام وأهله، والله ولي المؤمنين ينصرهم ويؤيدهم ويدافع عنهم ويرد عنهم كيد الأعداء، أما اليهود المكذبون المعاندون الذين يحرفون كلام الله ويبدلونه ويستهزئون بالنبي ﷺ يسمعون كلامه ويعصونه بالتكذيب والجحود، ويقولون للنبي ﷺ اسمع منا ولا نسمع منك ولا نقبل، ويظهرون كلامًا يقصدون به معنى غير ما يفهمه السامع، فيقولون راعنا يقصدون به الرعونة، والسامع يظن أن ذلك من المراعاة كل ذلك استهزاء وطعنًا في النبي ﷺ وفي دينه، ولو أنهم سمعوا وأطاعوا الرسول ﷺ، وتكلموا بالحق ولم يبطنوا الكفر والجحود والاستهزاء لكان ذلك خيرًا لهم في الدنيا والآخرة، ولكن طردوا عن رحمة الله بسبب كفرهم فلا يؤمن منهم إلا القليل، وقد أمروا بالإيمان برسالة النبي ﷺ كما جاء في كتبهم، وبشرت به رسلهم ولكنه الجحود والعصيان فقد صرفت قلوبهم عن الحق وطمست عيونهم عن رؤية الحق، وهذا من أعظم العقوبات في الدنيا، وتوعد الله من فعل مثل فعلهم بأن يطمس عينيه ويجعل عينيه من خلفه فيمشي على جهة قفاه ليكون عبرة لغيره، مع طردهم عن رحمة الله كما طرد من قبلهم من الذين اعتدوا في سبتهم بالحيلة على الاصطياد، فقد حرم عليهم الصيد يوم السبت فوضعوا الشباك يوم الجمعة وأخذوها يوم الأحد تحايلًا على النهي فمسخوا قردة وخنازير، وأمر الله إذا وقع لا يرده أحد.

فالكفر والشرك لا يرضاه الله ولا يغفره لأنه أعظم الذنوب وسبب للخلود في النار ويغفر الله ما دون الشرك من الذنوب، أما الشرك فلا يغفره الله لأنه افتراء على الله وظلم عظيم.

والواجب على المسلم الحذر من الشرك ووسائله وطرقه، والخوف من الوقوع فيه فقد خاف سادة الأولياء من الوقوع فيه فلا يزكي المسلم نفسه أو يدعي العصمة من الوقوع في الشرك وقد ذم الله اليهود الذين ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه، فلا يزكي المسلم نفسه ولا غيره فالله هو الذي يزكي من يشاء لأنه العليم بعباده، وإن كان لابد أن يزكي أحدًا فليقل أحسبه كذلك ولا أزكي على الله أحدًا، والله لا يظلم عباده مقدار الفتيل بل مثقال ذرة، فمن زكى نفسه كاليهود فقد افترى على الله كذبًا، فاليهود افتروا على الله لما قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه، وقولهم لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى، وكل ذلك كذب وبهتان واضح بين، ومن كذبهم وافترائهم إيمانهم بالشيطان وتوليهم له وفعلهم السحر وارتكابهم الشرك وكذبهم بأن طريقة المشركين خير من دعوة سيد المرسلين ﷺ.

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾
أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمۡ
يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ
ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ﴿٥٤﴾
فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا
﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ
جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ
لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ۞ إِنَّ
ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ
ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا
بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي
ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ
تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾

نصف الحزب ٩

اليهود شر عباد الله فهم إخوان القردة والخنازير وعبد الطاغوت يفضلون عبدة الأوثان على عباد الرحمن، طردهم الله من رحمته ومن يطرد من رحمة الله فلا نصير له ولا معين في الدنيا ولا في الآخرة، لأنهم إنما ذهبوا يستنصرون بالمشركين على المسلمين، ولو كان لهم التصرف في الملك والعطاء لما أعطوا المسلمين شيئًا ولو كان قطميرًا لا يساوي شيئًا وهو قشرة النواة، فهم يحسدون المسلمين على ما أعطاهم الله من الإيمان والنصر والغلبة، ويحسدون النبي ﷺ لما خصه الله من النبوة فهو من ذرية إبراهيم الذين وهبهم الله النبوة، وأنزل عليهم الكتب، وحكموا بالسنن وهي الحكمة، وجعل فيهم الملوك، ومع هذا فمن الناس من صدق بهذا الإيتاء وهذا الإنعام ومنهم من كفر به وأعرض عنه، وسعى في صد الناس عنه، وكفى بالنار عقوبة لهم على كفرهم وعنادهم ومخالفتهم كتب الله ورسله.

تلك النار يعاقب الله بها من كفر بآياته وصد عن رسله، يدخلهم الله النار دخولا يحيط بجميع أجرامهم، وأجزائهم، إذا أحرقت جلودهم بدلوا جلودًا بيضًا أمثال القراطيس، يجعل للكافر مائة جلد، بين كل جلدين لون من العذاب تنضجهم النار في اليوم سبعين ألف مرة، وفي المقابل الذين آمنوا وعملوا الصالحات مأواهم الجنات التي تجري من تحتها الأنهار من العسل والخمر واللبن يتنعمون فيها أبد الآباد لا يحولون ولا يزولون ولا يبغون عنها حولا ولهم فيها الحور العين المطهرات من الحيض والنفاس والأذى والأخلاق الرذيلة، والصفات الناقصة ومن كل سوء ومن كل أذى في ظلال الجنان الكثيرة الكثيفة، ومن صفات أهل الجنة أداء الأمانة في الدنيا، ويشمل ذلك جميع الأمانات الواجبة على الإنسان، من حقوق الله ﷻ على عباده من الصلوات و الزكوات، والكفارات والنذور والصيام، وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك مما يؤتمنون عليه، يؤدي المسلم الأمانة تقربًا إلى الله وتعبدًا له فهو ﷻ أمر عباده بأداء الأمانة، وبالعدل في الحكم بين الناس بأنواعه في الدماء والأموال والأعراض، وفي القليل والكثير، وعلى القريب والبعيد، والبر والفاجر، والولي والعدو؛ والعدل أساس الحكم، والله لا يأمر عباده إلا ما فيه صلاحهم في الدارين، فكل ما شرعه الله هو الحق، لأنه السميع البصير الذي لا تخفى عليه خافية، يعلم من مصالح عباده ما لا يعلمه العباد.

ومن مصالح العباد طاعة الله ورسوله ﷺ وطاعة ولاة الأمر من الحكام والعلماء فلا تستقيم حياة الناس إلا بطاعتهم، ولا تتم طاعة الله ورسوله إلا بطاعة ولاة الأمر، وما يحصل فيه الاختلاف فيجب الرجوع فيه إلى الكتاب والسنة ففيهما المخرج والنجاة، والتحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والرجوع في فصل النزاع إليهما خير وأحسن عاقبة ومآلا وأحسن جزاء وهداية.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

التحاكم للكتاب والسنة من صفات المؤمنين، والتحاكم إلى الطاغوت من صفات المنافقين وقد كان المنافقون على عهد النبي ﷺ يتركون التحاكم عند رسول الله ويطلبون حكمًا غير حكم الله، وهذا من إضلال الشيطان لهم فيبعدهم عن هداية الوحي وعن الحق، والواجب عليهم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، وإذا دعاهم المؤمنون إلى حكم الله ورسوله يعرضون إعراض المستكبرين عن الحق وهم إذا وقعت عليهم المقادير و المصائب بسبب ذنوبهم وإعراضهم عن حكم الله جاءوا إلى النبي ﷺ يعتذرون إليه ويحلفون له ما أردنا بذهابنا إلى غيرك وتحاكمنا إلى من سواك إلا المداراة والمصانعة والتوفيق بين المتخاصمين لا اعتقادًا منا بصحة حكمه، والتحاكم لغير الكتاب والسنة إن كان عن هوى ومحاباة فلا يكون كفرًا، والله يعلم ما في قلوب المنافقين من الكفر والضلال، فلا يعنفون عما في قلوبهم، فليس لأحد إلا الظاهر، فالمشروع الإعراض عنهم ودعوتهم بالموعظة والتذكير والرفق، ويكون الإنكار سرًا، ولا يظهر النزاع بين أوساط المسلمين حتى لا يتكلم غير المسلمين بما يقع بين المسلمين من الاقتتال والتنازع والاختلاف وقد ترك النبي ﷺ قتل المنافقين حتى لا يتكلم الناس أن محمدًا يقتل أصحابه، والواجب طاعة الرسول ﷺ والتحاكم إلى شريعته، والمذنب يفزع إلى التوبة والاستغفار والرجوع إلى العلي الغفار، وفي حياته ﷺ كانوا يأتون إليه ليستغفر لهم ويدعو الله لهم، وأما بعد وفاته ﷺ فليس لأحد ذلك ولا يؤتى لقبره، و إنما يفزع المسلم بالاستقامة بعد التوبة على سنته وهديه ﷺ، وهكذا كان أصحابه رضوان الله تعالى، والتوبة ليس دونها حجب وإنما الله ﷻ كثير قبول التوبة من عباده، رحيم بهم يفرح بتوبتهم ورجوعهم إليه.

والواجب على كل مسلم اتباع النبي ﷺ والتحاكم إلى شريعته في كل صغير وكبير وعليه الرضا بحكم الله والتسليم له دون اعتراض أو تحايل أو ممانعة أو مدافعة أو منازعة، فلا يجد المسلم في نفسه حرجًا بما حكمت به الشريعة، وينقاد له في الظاهر والباطن، فالتحاكم إلى الكتاب والسنة واجب، ومن صفات المسلمين والرضا بحكم الله من صفات المؤمنين والتسليم من صفات المحسنين، فلا صلاح للبشرية إلا بحكم الكتاب والسنة وعلى من ولاه الله أمر القضاء أن يجتهد ويتحرى الصواب وينظر في النصوص الشرعية ولا يجمد على الأقوال ويقرب الشريعة للأمة، ويكون في حكمه مجتهدًا متحررًا من التقليد والتبعية حتى لا ترمى الشريعة بالرجعية بسببه.

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾



أكثر الناس لو أمروا بما هم مرتكبوه من المناهي لما فعلوه ؛ لأن طباعهم الرديئة مجبولة على مخالفة الأمر، وهذا من علمه تبارك وتعالى بما لم يكن لو كان كيف يكون، ولو أنهم فعلوا ما يؤمرون به، وتركوا ما ينهون عنه كان خيرا لهم من مخالفة الأمر وارتكاب النهي، ولا يصبر على أوامر الله تعالى إلا المؤمنون الصادقون، ولو كان في ذلك سفك دمائهم و إخراجهم من ديارهم، وقد خرج أصحاب النبي ﷺ من مكة إلى الحبشة وإلى المدينة فرارًا بدينهم وقدموا أنفسهم رخيصة في سبيل الله، وقد قرن الله بين القتل والإخراج من الديار في المشقة، وهو يدل على أن حب البلاد كحب النفس مما فطر عليه الإنسان.

والاستجابة لأوامر الله من ثمراتها تثبيت الله للعبد وهدايته للصراط المستقيم في الدنيا والآخرة وحصوله على الأجر والفضل العظيم والفوز بالجنة ومرافقة الأنبياء الذين فضلهم الله على البشر بوحيه، واختصهم بإرسالهم إلى عباده، والصديقون وهم الذين كمل تصديقهم بما جاءت به الأنبياء، فعلموا الحق وآمنوا به وصدقوه بيقينهم، وقاموا به قولا وعملا، والشهداء الذين قاتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله فبذلوا أنفسهم في سبيل الله والصالحون الذين صلحت ظواهرهم وبواطنهم فصلحت أعمالهم وأقوالهم ونفوسهم فهم خير الرفقاء في الجنة يجتمعون في النعيم والقرب من رب العالمين

وهذا من فضل الله على عباده فهو الذي وفقهم لعمل الصالحات، وأعانهم عليها، وأعطاهم من الثواب والجزاء ما لم يبلغوه بأعمالهم، وهو العليم بمن يستحق الهداية والتوفيق.

ويأمر الله عباده المؤمنين بأخذ الحذر من عدوهم بالتأهب لهم بإعداد الأسلحة والعدد وتكثير العدد بالنفير في سبيله، فيخرجوا إليهم، جماعة بعد جماعة، وفرقة بعد فرقة، وسرية بعد سرية، أو يخرجوا إليهم جميعًا، وإقامة الجهاد يكون بأمر ولاة المسلمين وقيادتهم فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يخرجون إلا مع الرسول أو بأمر الرسول ﷺ، وحين يأتي الأمر بالخروج ومقابلة العدو لا يحل لأحد أن يخذل أو يتأخر عن الجهاد إذا كان واجبًا، فإن المثبطين عن ملاقاة الأعداء يظنون أنهم إذا لم يُقتلوا أو يُجرحوا أنهم غنموا الحياة والبقاء، وما علموا أن ما فاتهم من الأجر والثواب هو الخير لمن قُتل أو جُرح أو حصلت له المشقة، وفي المقابل إذا حصل النصر والغلبة والغنيمة تمنوا أنهم مع المؤمنين ليحصلوا على المال، فكأن هؤلاء ليسوا من المؤمنين الذين تكون بينهم المودة الحقيقة فيألمون لما أصاب إخوانهم من المصائب ويفرحون بما حصل لهم من النصرة والغلبة، ولكنهم يفرحون لما يصيب المؤمنين من المصائب ويحزنون لما يحصل لهم من النصر والغنيمة، والمؤمنون الصادقون هم الذين يقاتلون في سبيل الله لإعلاء كلمة الله طمعًا في ثواب الآخرة ونعيمها وابتغاء مرضاة الله، فإن قُتلوا فازوا، وإن غَلبوا فازوا بما عجل الله لهم من ثواب الدنيا، وثواب الآخرة أعظم وأفضل.

وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٧٩﴾

الجهاد شرع لإعلاء كلمة الله ودفع الظلم عن المستضعفين والمضطهدين، ولذا حث الله على الجهاد في سبيله وعلى السعي في استنقاذ المستضعفين بمكة من الرجال والنساء والصبيان الذين اضطهدوا في دينهم وضيق عليهم، فالمؤمنون أولياء بعض ينصرونهم ويناصرونهم، والمؤمنون يقاتلون في طاعة الله ورضوانه، والكافرون يقاتلون في طاعة الشيطان، وهو وليهم ومهما ظهر منهم من قوة فإن قوتهم إلى ضعف وكيدهم إلى هزيمة.

وكان المؤمنون في ابتداء الإسلام وهم بمكة مأمورين بالصلاة والزكاة لمواساة الفقراء منهم، وكانوا مأمورين بالصفح والعفو عن المشركين والصبر على أذاهم، وكانوا يودون لو أمروا بالقتال ليكيدوا أعداءهم، فلم يؤمروا بالجهاد لقلة عددهم وكثرة عدوهم، فلما صاروا إلى المدينة، وصارت لهم دار ومنعة وأنصار، أمروا بما كانوا يودونه من الجهاد، فجَزِع بعضهم من القتال وخافوا من مواجهة الناس خوفا شديدًا، وتضجروا من فرض القتال وودوا لو أن الله أخر فرضه، وخافوا من الموت، وقالوا لو أخرنا الله إلى أن نموت بآجالنا، وما علموا أن الجهاد لا يقدم الموت ولا يؤخره، وأن الدنيا متاع والآخرة هي دار القرار فهي الخير للمؤمنين المتقين، ويوم القيامة توفى كل نفس بما كسبت ولا تظلم شيئًا، والموت واقع على كل نفس ولو امتنعت عنه بالقصور الشاهقة والبروج المنيعة المزينة، والمؤمن بالقدر يتوكل على الله فالموت قد كتبه الله وقدره، والرزق وسائر النعم من الله والمصائب والابتلاء من الله، فهو سبحانه كتب مقادير الخلق كلها، فقضاء الله نافذ في البر والفاجر والمسلم والكافر، فما يصيب الإنسان من مصائب فبما كسبت يداه ويعفو الله عن كثير، فبسبب ذنوب العباد تقع عليهم المصائب، وقد تكون ابتلاءً وامتحانًا، فالمؤمن الذي يفهم حقيقة الإيمان بالقضاء والقدر يعلم أن جميع الأمور من الله ﷻ فلا يتطير بأن البلاء إنما أصابه لمَّا اتبع الحق والتزم به، فتلك من وساوس الشيطان ومداخله على الإنسان، بل هو مطمئن بما قضاه الله وقدره فكله له خير، فيؤمن بالقدر حلوه ومره، وذلك ركن من أركان الإيمان الستة من عقيدة الإسلام التي بعث بها محمد ﷺ المرسل للجن والإنس بشيرًا ونذيرًا، يبلغهم شرائع الله، وما يحبه الله ويرضاه، وما يكرهه.

والله شهيد بين نبيه ﷺ وبين عباده، وعالم بما يبلغهم النبي ﷺ به من الحق، وشهيد على ما يردُّون من الحق كفرًا وعنادًا.

مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ
عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ
عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ
مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا
﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ
فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ
أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي
ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ
ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾
فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ
عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا
وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ
نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ
بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾

طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله، ولا تتحقق طاعة الله إلا بطاعة رسوله ﷺ، فهو المبلغ عن رب العالمين وما ينطق عن الهوى، فمن أعرض عن طاعة الرسول ﷺ فهو الخاسر في الدارين، وما على الرسول إلا البلاغ، فمن تَبِعه سَعِد ونجا، وكان للرسول ﷺ من الأجر نظير ما حصل له، ومن تولى عن طاعة الرسول ﷺ خاب وخسر، وليس على الرسول ﷺ من أمره شيء، وأهل الإيمان يطيعون الرسول ﷺ في كل وقت، بخلاف المنافقين الذين يظهرون طاعته ويخالفونها اذا استتروا عن أعين الناس، وكان المنافقون يظهرون الموافقة والطاعة عند النبي ﷺ فإذا خرجوا من عنده وتواروا عنه واستتروا بالليل أظهروا المخالفة والله يعلم ما يفعلون وما يقولون وبما يضمرونه ويسرونه فيما بينهم، وما يتفقون عليه ليلًا من مخالفة الرسول وعصيانه، وإن كانوا قد أظهروا له الطاعة والموافقة، وسيجزيهم على ذلك، ويكتبه عليهم بما يأمر به حفظته الكاتبين، الذين هم موكلون بالعباد يعلمون ما يفعلون.

والواجب الإعراض عن المنافقين وعن أقوالهم والاشتغال بما ينفع الأمة من الدعوة ونشر الخير والتوكل على الله تعالى فهو سبحانه الذي يحفظ عباده وهو وليهم في الدنيا والآخرة، والاهتمام بكتاب الله وتدبره والعمل به فهو الضياء والمخرج من كل فتنة وبلية، فهو كتاب من عند الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فيه النور والهدى، ولو كان من عند غير الله لوجد فيه التناقض والاختلاف، ومن هداية القرآن الحفاظ على اجتماع الأمة وذلك بالكف عن الشائعات واستعجال الأمور قبل التثبت منها، والتعامل مع الأحداث بالرجوع لأهل العلم الذين يفهمون النصوص الشرعية ويحافظون على استقرر المجتمعات ويصدرون عن علم وبصيرة، واتباع هذا الطريق والتمسك به حفظٌ للمجتمعات من الاختلاف والتنازع والتفرق، وحفظ من سلوك طريق الشيطان وهو اتباع الأهواء واتباع الشائعات والإرجاف بالناس، وذلك من رحمة الله بعباده وفضله عليهم بسلوك طريق الصواب والبعد عما يضرهم.

وقد أمر الله نبيه محمدًا ﷺ بالقتال والحرص على الدعوة، وما على الإنسان إلا نفسه ويشجع المؤمنين على نشر الإسلام وقتال أعداء الله، فإذا بذل المسلم وسعه في طريق الحق فإن الله يجعل على يديه نصرة الحق ودحر الباطل، وهو سبحانه يرد كيد الأعداء وهو ذو القوة المتين العزيز القوي الذي لا يعجزه شيء سبحانه، والمسلم مع إخوانه المسلمين يبذل لهم المعونة والشفاعة التي ليس فيها أخذ لحقوق الناس، وفيها جلب النفع لهم، وهذا من أفضل الأعمال، وفي المقابل من كان تعاونه على الإثم والعدوان، وأخذ حقوق الناس فإن عليه من الوزر والإثم مثل شفاعته، والله لا يضيع عنده عمل عامل، يحفظ أعمال العباد جميعا، ومن أسباب تآلف المسلمين بذل السلام وهو من أسباب المحبة ودخول الجنة وهو من حقوق المسلم على أخيه المسلم، ويجب رده بمثله أو أحسن منه، والله يجزي عباده على السلام الأجر العظيم.

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ
وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾ ۞ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ
فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ
أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿٨٨﴾ وَدُّواْ لَوۡ
تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ
حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ
حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ
حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ
ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ
وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴿٩٠﴾
سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ
مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ
ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ
ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿٩١﴾

جعل الله للخليقة يوما يجمعها فيه وهو يوم القيامة، يوم الجزاء والحساب لا شك فيه، ولا ارتياب، ووعد الله حق وصدق، لا يخلف الله وعده.

والاختلاف في الأشخاص والمواقف يتكرر في كل زمانٍ، ففي يوم أحد اختلف أصحاب الرسول ﷺ في المنافقين الذين رجعوا عن الجيش فقال بعضهم نَقْتُلُهم، وقال بعضهم هم أظهروا الإسلام، واختلفوا في من أظهر الإسلام بمكة منافقًا ولم يهاجر فجاء القرآن ببيان حالهم وأنهم غير مهتدين ضالين أضلهم الله على علمٍ ولن يهتدوا أبدًا، فمن يضلل الله فلن تجد له هاديًا وليس له طريق للهداية، وأهل النفاق والكفر يودون للمسلمين الضلالة ليستووا هم وإياهم فيها، وما ذاك إلا لشدة عداوتهم وبغضهم للمسلمين، فنهي المسلمون عن مودتهم ومحبتهم حتى يهاجروا، وهجرة المنافقين بالخروج للجهاد إيمانًا واحتسابًا، وهجرة من كان بمكة إلى دار الإسلام، فإن تركوا الهجرة، وأظهروا الكفر فحكمهم حكم الكفار، يقتلون في كل مكان وليس لهم في قلوب المسلمين محبة ولا مودة، واستثني من القتال من كان بين المسلمين وبين قومهم ميثاق وعهد.

وكذلك يستثنى من تحَرَّج من قتل المسلمين وقتال قومه واعتزل القتال، وأما من يريد أن يأمن على نفسه فترك القتال ليس تحرجا من قتل المسلمين بل خوفا على نفسه، فقد ترك قتال قومه لأنه يريد الأمان من قومه، وهو مقيم على كفره وضلاله، ومقيم في الفتنة والاختلاف فازداد كفرًا ونفاقًا، وهو مع ذلك لو وجد فرصة لقاتل المسلمين فهذا وأمثاله حكمه إن لم يتضح أمرهم أن يقاتلوا، وقتلهم بأمر الله لاتضاح عداوتهم للمؤمنين.

وبهذا نعلم أن منهج الإسلام في التعامل مع من كف نفسه عن المسلمين أنه يكف عنه.

ومن طلب المسالمة يجاب إليها، حتى لا تكثر جبهات العداوات ضد المسلمين، وإن الحماس المتدفق من بعض الغيورين لا يدفعهم لاستعجال المواجهة مع العدو المتربص، لأن ذلك يفت في عضد المسلمين ويوهن قوتهم والإسلام لا يستعجل المواجهة مع الأعداء، فكل طريق يدعو لحقن الدماء وتعظيم حرمات الله يجاب إليها الأعداء كما فعل المعصوم ﷺ يوم الحديبية، مع احترام العهود والمواثيق مع غير المسلمين، والوفاء بالعهد.

وإن الواجب عند الاختلاف في الأشخاص والجماعات الرجوع للكتاب والسنة ليكون المرجع للأمة عند التنازع لتستبين الحجة وتقوم المحجة.

وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ وَمَن قَتَلَ
مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ
أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ
وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ وَإِن كَانَ
مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ
إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ
فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا
مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ
ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ
لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ
عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ
كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ
فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٩٤﴾

جاءت الشريعة بحفظ النفس وحقن الدماء المعصومة، فليس لمؤمنٍ أن يقتل أخاه المؤمن إلا خطـأ، فمن أخطأ في قتل أخيه المسلم بأن أزهق روحه بدون عمد فعليه الكفارة توبةٌ من الله وهي تحرير رقبة مؤمنة فإن لم يجد صام شهرين متتابعين، ودية تسلم لأوليائه عوضًا لهم عما فاتهم مـن قـريبهم، إلا إذا عفـوا عـن الدية، أما إذا كان القتيل مؤمنًا، ولكن أولياءه من الكفار أهل حرب، فلا دية لهم، حتى لا يستعينون بالمال على المسلمين، وعلى القاتل تحرير رقبة مؤمنة فإن لم يجد صام شهرين متتابعين.

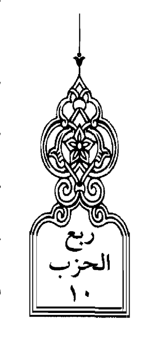
فإن كان للقتيل أولياء أهل ذمة أو هدنة، فلهم دية قتيلهم، فإن كان مؤمنًا فدية كاملة، وإن كان كافرًا فنصف دية المسلم، ، ويجب على القاتل تحرير رقبة مؤمنة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين لا يفطر بينهما الا بعذر يعذر به في رمضان، وهذه الكفارة توبةٌ من الذنب غير المقصود، والله سبحانه يعلم أعـمال العبـاد وقصدهم وهو سبحانه الحكيم في شرعه وتشريعه.

وأما قتل العمد فذنبٌ عظيمٌ وجرمٌ كبيرٌ، توعد الله من فعله بالعذاب العظيم والجزاء الأليم لمـا فيـه من الوحشية وسفك الدماء المعصومة، فجزاء من فعل ذلك الخلود في النار إلى أمدٍ حتى يمحَّص فيهـا ثـم يخرج منها إن كان موحدًا، وغضب الله على كل من سفك دم أخيه، وهو مطرودٌ من رحمة الله، مـا لم يتـب ويستغفر، والقصاص سببٌ للغفران.

ولا فرق في قتل المؤمن حتى ولو نطق بالشهادة في ساحة المعركة، فمـن قـال لا الـه الا الله وجـب الكف عنه، وقد قَتَل أسامة ﷺ الرجل بعد أن قال لا إله إلا الله فقال الرسول ﷺ أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله، كيف إذا جاءتك لا إله إلا الله تحاجك يوم القيامة، فـلا يطمـع المسـلم بالغنيمـة فيقتـل مـن نطـق بالشهادة، فما عند الله خير مما رغب فيه الإنسان من عرض الحياة الـدنيا الـذي حملـه عـلى قتـل مـن نطـق بالشهادة وأظهر الإيمان.

وليتذكر الإنسان أنه كان على مثل هذه الحال من الضلال فمنَّ الله عليه بالهداية، فعليه التبين والتثبت في جميع الأمور حتى لا يتهم الأبرياء ويقدم على أمر يندم عليه، وهي وصية للتثبت والتبين في جميع الأمور وترك العجلة والاندفاع، فالعجلة من الشيطان والتأني من الرحمن، وبالأخص بـما يتعلـق بـالآخرين ومـا يتعلق في أمر الدماء أشد وأعظم، أو إطلاق الكفر أو حكم الردة على أحد من المسلمين.

لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا ﴿٩٩﴾



۞ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴿١٠١﴾

الجهاد أنواعٌ متعددةٌ فمن لم يأخذ بأحد أنواعه فهو من القاعدين، الذين لم يبذلوا جهدًا ولم يجاهدوا بألسنتهم وأقلامهم وأموالهم وأنفسهم، ولم يجاهدوا أنفسهم على عمل الخير، فلا يستوي عند الله المجاهد والقاعد غير أصحاب الأعذار الذين عذرهم الله، فقد حاز الفضل والأجر الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في ساحات الجهاد الحسية والمعنوية فمنهم المجاهد بالسيف ومنهم المجاهد باللسان والقلم والبيان، ولكل من المجاهدين والقاعدين الأجر والثواب مع التفاوت وكلهم وعدهم الله الجنة ويدل هذا على أن الجهاد ليس فرض عين و إنما فرض كفاية وقد يكون مستحبًا حسب الأحوال.

وتفضيل الله للمجاهدين بالدرجات، في غرف الجِنَان العاليات، ومغفرة الذنوب والزلات، وحلول الرحمة والبركات، إحسانًا منه وتكريمًا، ورحمة منه ورضوانًا.

وقد يظلم المسلم نفسه بترك ما أمر به من الطاعة وأعظم الظلم أن يشرك بالله، ثم يكون على حسب المعصية، ومن ذلك ترك الهجرة وإظهار الدين والعمل بشرائع الإسلام وإقامتها، ولذلك أوجب الله الهجرة على القادرين وعفا عن المستضعفين، الذين حبسهم العدو، أو الأطفال والنساء الذين لا يقدرون على الهجرة وحدهم، فالله يغفر لهم ويعفو عنهم

ومن يخرج مهاجرًا إلى الله ورسوله فسيجد الأرض التي يتحصن بها من عدوه ويجد فيها المنعة والعز والتمكين، وسيجد الرزق والسعة والطمأنينة، ويثبت أجره بخروجه وإن لم يصل لأرض مهاجره، فمن مات في الطريق فهو من المهاجرين.

والخروج من الأوطان للسفر له أحكام تخصه في الشريعة من قصر الصلاة والجمع والإفطار والمسح ثلاثة أيام بلياليها، فالقصر يشمل كيفية الصلاة في قصر القراءة والتسبيح والأذكار وقصر الكمية في الرباعية، ويترخص بهذه الرخصة من صح أن يطلق عليه اسم المسافر، وهو من فارق بلده قاصدًا مكانًا يطلق عليه بالعرف سفرًا، ولم يكن ينوي إقامة أكثر من أربعة أيام غير يوم الذهاب والمجيء، ومن جاز له القصر جاز له الجمع والإفطار والمسح ثلاثة أيام بلياليها، وكان الغالب في أسفارهم الخوف ثم لما أمنوا لم يزل الرسول ﷺ يقصر وقال: (**صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته**)، ولذلك كان القصر في السفر أفضل من الإتمام، وعلى المسلم أن لا يدفعه الهوى والعجز أن يعد كل نزهة سفرًا يترخص بقصر الصلاة فيه، وبرخص السفر الأخرى، وليحتاط لدينه وأعظم الدين الصلاة.

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ
مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟
مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟
فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ
عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ
أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ
وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾
فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ
جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ
كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا۟
فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا
تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ
ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾

الصلاة عمود الدين لا تسقط بأي حال من الأحوال ما دام العقل باقيًا، وصلاة الجماعة واجبةٌ حتى في حال الخوف، فشرعت صلاة الخوف مع النقص في العدد والأركان للمحافظة على صلاة الجماعة، وتختلف صفة صلاة الخوف بحسب موقع العدو، ودرجة الخوف، ونوع الصلاة، وقد لا يقدرون على الصلاة فيأخرونها عن وقتها كما صلى النبي ﷺ العصر يوم الخندق بعد غروب الشمس، وكما صلى الصحابة الفجر بعد شروق الشمس في فتح تُسْتَر، ومن صفاتها انقسام الجيش إلى فرقتين فرقة تصلي مع القائد، وفرقة تحرس فيصلي بهم ركعة واحدة ثم يثبت لتقضي الفرقة الأولى ركعة ثم تنصرف فتأتي الفرقة الثانية فيصلي بهم ركعة ثم ينصرف وتقضي ركعة، وهم مع ذلك يحملون أسلحتهم في الصلاة أخذًا للحيطة من هجوم الكفار عليهم، فإن كان يشق عليهم حمل السلاح لمطر أو مرض فلا جناح عليهم في تركهم لسلاحهم مع أخذ الحيطة من الكفار، وبعد صلاتهم يكثرون من ذكر الله في جميع أحوالهم لأن من أسباب النصر والقوة كثرة ذكر الله، فإذا ذهب الخوف وحصلت الطمأنينة فالمشروع إقامة الصلاة كما أمر الله بحدودها، وخشوعها، وسجودها وركوعها، وجميع شئونها، فالصلاة يلزم الاتيان بشروطها وواجباتها ومن شروطها دخول الوقت، فلا يجوز الصلاة قبل وقتها ولا بعد وقتها إلا لمن نوى الجمع، والوقت أهم شروط الصلاة، فعلى المسلم المحافظة عليه فلا يتساهل في الجمع ولا بالتأخير والنوم عن الصلاة حتى يخرج وقتها.

والواجب الصبر على الطاعات، ومن ذلك الصبر في قتال الأعداء، فلا يضعف المسلم في طلب العدو فإن ما يحصل له من المشقة والألم، يصاب به الأعداء، ولكنهم لا يرجون من الله ما يرجوه المسلم من الأجر والثواب، والنصر والتأييد، فالمسلمون أولى بالجهاد منهم، وأشد رغبة في إقامة كلمة الله وإعلائها، والله يعلم بالنيات، حكيم بما يقدره ويقضيه من حصول المشقة للمؤمنين ليضاعف لهم الأجور.

وقد أنزل الله كتابه العزيز ليكون دستورًا للمسلمين، يتحاكمون إليه في جميع شئونهم وأحوالهم، ويتحاكمون إلى سنة النبي ﷺ، ومن كان خائنًا لدينه وأمته، ولأمانته فلا يدافع عنه بل له العذاب والجزاء في الدنيا لخيانته وغدره.

وقد نهي النبي ﷺ عن الدفاع عن الخائنين والأمر لأمته من بعده، لأن الخيانة بئست البطانة، والخائن مرتكب لذنب عظيم قد تشبه بالمنافقين.

وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ
عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ
خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ
مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ
عَنْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ
سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا
ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا
فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن
يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن
شَيْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

الاستغفار عبادة عظيمة تمحو الذنوب والآثام، وتفرج الكربات، وتزيد في الرزق والولد وتزيل الهم والغم، فليكثر المسلم من الاستغفار فإن الله يغفر الذنوب جميعًا، يرحم عباده ويدخلهم في رحمته، ورحمته سبحانه بالمؤمنين الصادقين، ولا يرحم الله إلا من كان رحيمًا، ولا يرحم إلا من يستحق الرحمة، أما الخائن الظالم فلا يدافع عنه ولا يرحم بل يلقى عقوبته التي حددت شرعا، فليس لأحد أن يدافع عن الخائنين الظالمين، فيبرر أعمالهم أو يدفع عنهم العقوبات، ومن صفات الخائنين أنهم يعظمون نظر المخلوق ومراقبته أعظم من الله، فيعملون أعمالًا بعيدًا عن أعين الخلق في ظلمة الليل ظنًّا منهم أنه لا يراهم أحد وما علموا أن الله معهم بعلمه واطلاعه عليهم، فهو سبحانه محيط علمه بجميع المخلوقات لا تخفى عليه خافية، ولئن دافع عنهم أحد في الدنيا وبرأهم من الذنب ودفع عنهم الفضيحة والعقوبة، فمن سيدافع عنهم في الآخرة حين تشهد عليهم جوارحهم، ومن الذي سيكون وكيلًا عنهم، والله سبحانه يقبل توبة التائب النادم على الذنب العازم على ألا يعود، فيغفر ذنبه ويمحو عنه إثمه، وإذا صدقت توبته بدل الله سيئاته حسنات، فالله يفرح بتوبة عبده، وكل صاحب ذنب إنما إثمه على نفسه إلا إذا كان قدوة للآخرين في معاصيه فعليه أوزار من تبعه، وإذا أعلن معاصيه ولم ينكر عليه نزلت العقوبة على الجميع، ومن عمل ذنبًا فاتهم غيره به فقد تحمل الكذب والبهتان والإثم العظيم

والواجب عدم التسرع في اتهام الآخرين والانسياق وراء الإشاعات المضللة، فعلى كل مسلم التأني وعدم العجلة حتى لا يضلل الآخرين في اتهام بريء وتبرئة خائن كاذب، وهذا توجيه للنبي ﷺ ولأمته من بعده لما طلب منه قوم أن يبرئ صاحبهم من السرقة وقد أخذوا المال المسروق ووضعوه في بيت رجل بريء، فنزلت الآيات مبينة حقيقة الأمر.

فإذا كان هذا هو النبي الذي أنزل الله عليه القرآن وتكلم بالسنة وعلَّمه الله ما لم يعلمه غيره وفضله بالمكانة والنبوة والرسالة، فكيف بغيره من آحاد الناس فالواجب الحذر وعدم التعجل في الاتهامات ولا التزكيات، وفي هذا درس للأمة من التسرع في إطلاق الأحكام والألقاب، دون تثبت ولا دليل، ودرس آخر أن يفكر المسلم بعقله لا بعقل غيره وعليه بالنظر والتفكير بالعواقب ولا يكن إمعة ينساق وراء كل دعاية، وعلى كل مسلم أن يخاف الله ولا يتهم المسلمين بلا دليل وعليه بإحسان الظن والبحث عن المعاذير فهو بذلك يسلم من الإضرار بنفسه لأن من اتهم الآخرين يضر نفسه قبل أن يضر غيره

۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

مجالس الناس ومنتدياتهم في الغالب لا تخلو من تعاون على الإثم والعدوان، فيتحدثون بما لا فائدة فيه من فضول الكلام، والبعض منهم قد يشتمل حديثهم على محرم من غيبة أو نميمة أو سخرية إلا من رحم الله ممن يحث على الصدقة والإحسان وتعليم العلم والذكر والتسبيح والتهليل وقراءة القرآن أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو إصلاح بين متخاصمين، وتقريب القلوب وإزالة ما في النفوس من الشحناء والبغضاء، فلا يتكلمون إلا في حق، فهؤلاء إذا صحت نيتهم وقصدوا بهذا العمل وجه الله والدار الآخرة فلهم الأجر والثواب الكثير العظيم في الآخرة، ومن الناس صنف آخر لا يريد الاجتماع والتآلف ولا يريد سلوك طريق المؤمنين ولا اتباع الرسول ﷺ، ولا سلوك طريق الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ، فهو في شق والشرع في شق، وذلك عن عمد منه بعدما ظهر له الحق وتبين له واتضح، ويخالف ما أجمعت عليه الأمة المحمدية، فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقًا، فإنه قد ضُمِنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ، تشريفًا لهم وتعظيمًا لنبيهم ﷺ، فإن جزاؤه في الدنيا أن يحسن له باطله استدراجًا له، فيزين له سوء عمله فيراه حسنًا عقوبة معجلة له، وهو في الآخرة من الخاسرين فالنار مصيره؛ لأن من خرج عن الهدى لم يكن له طريق إلا إلى النار يوم القيامة، ومن كانت النار مصيره فساء مصيره، ومن مخالفة منهج الرسول والشذوذ عن طريق المؤمنين الشرك بالله، فإن الشرك محبط للأعمال موجب الخلود في النار، وقد حرم الله الجنة على المشركين، والشرك أعظم الذنوب لا يغفره الله أبدًا، ويغفر ما سواه من الذنوب رحمة منه وفضلًا، وأعظم الضلال الإشراك بالله فكيف تجعل لله ندًا وهو خلقك وأوجدك ورباك بنعمه سبحانه فهو المستحق أن يعبد وحده لا شريك له، فالمشركون يدعون الأوثان التي سميت بأسماء الإناث، وهم يعبدون الشيطان بأفعالهم، فهو الذي تمرد على طاعة الله فطرده الله عن رحمته، فحمل على نفسه إغواء بني آدم ففي كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون نصيبًا له يغويهم، ويضلهم بالأماني والوعود الكاذبة، ويأمرهم بتغيير دين الله وتغيير م اخلقه في الحيوانات والإنسان فيعملون ما حرمه الله من النمص والوصل وحلق اللحى وتوفير الشوارب.

ومن كان الشيطان وليه وإمامه فهو الخاسر في الدنيا والآخرة لأنه يقود الى النار والعياذ بالله، فهو يعده ويمنيه مما يوقع في قلب الإنسان من طول العمر ونيل الدنيا، وقد يكون بالتخويف بالفقر فيمنعه من الإنفاق وصلة الرحم، وما وَعْدُ الشيطان إلا كذبٌ يغر به أولياءه ويتبرأ يوم القيامة منه فيقول وعدتكم فأخلفتكم، ويوم القيامة يشتركون معه في العذاب الشديد لا يجدون منه مفرًا ولا مهربًا.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ﴿١٢٦﴾ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ﴿١٢٧﴾

وعد الله عباده المؤمنين بالجزاء والثواب الجزيل، وعدهم بدخول الجنة التي تجري من تحتها الأنهار، يخلدون فيها أبد الآباد، ولا يتحولون عنها وعدًا من الله حقًّا ولا أصدق من وعد الله، فلا أصدق منه قولا وخبرًا، لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

ولا ينال هذا الجزاء والثواب إلا بالإيمان والعمل الصالح وليس بالأماني، ومن يعمل سيئة يجازى بها، والمؤمن يعرض له البلاء فيكفر عنه السئيات، وليس للعصاة ولي، ولا نصير يدفع عنهم العقوبة، إلا أن يتوبوا، أما المؤمن الذي يعمل الصالحات فله الجزاء الأوفى، وله النعيم المقيم في الجنة ولا ينقص من أعمالهم مثقال ذرة، وهي أقل من النقير وهي النقرة التي في ظهر نواة التمرة، فلا يوجد أحسن منهجًا ممن أخلص العمل لربه ﷻ، فعمل إيمانًا واحتسابًا واتبع في عمله ما شرعه الله له، وما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق، بأن يكون العمل خالصًا صوابًا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون متبعًا للشريعة فيصح ظاهره بالمتابعة، وباطنه بالإخلاص، فمن فقد العمل بأحد هذين الشرطين فسد عمله، فمن فقد الإخلاص كان منافقًا، وهم الذين يراءون الناس، ومن فقد المتابعة كان ضالًا جاهلًا، ومتى جمعهما فهو عمل المؤمنين، وهو متبع للتوحيد في كل شيء آخذ بملة إبراهيم وهي الحنيفية، وهي الميل عن الشرك إلى التوحيد، فإبراهيم إمام الحنفاء اتخذه الله خليلًا، واتخذ الله محمدًا ﷺ خليلًا،

وجميع المخلوقات ملك لله وعبيده، وهو المتصرف في جميع ذلك، لا راد لما قضى، ولا معقب لما حكم، ولا يسأل عما يفعل، لعظمته وقدرته وعدله وحكمته ولطفه ورحمته، وعلمه نافذ في جميع ذلك، لا تخفى عليه خافية من عباده، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر.

ومن رحمته سبحانه وصيتة لعباده في النساء في أداء حقوقهن والمحافظة على شعورهن، وبالأخص اليتيمة التي يكفلها الرجل ويرغب في نكاحها، فأباح نكاحها مع إعطائها كامل حقوقها من المهر وسائر الحقوق.

ولا يجوز حبسها عن الزواج بالآخرين حتى يرثها إذا ماتت، ويجب الإحسان إلى سائر الأيتام من الأطفال وغيرهم ويقام على كفالتهم بالعدل، ولا يجوز حرمانهم من الإرث، بل يحافظ على أموالهم، وأكل مال اليتيم من الموبقات، والله ﷻ عالم بجميع ذلك، وسيجزي عليه أوفر الجزاء وأتمه.

وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ
ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟
بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ
فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا
مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ
مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾
وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾
إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ
ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

الإسلام أوجب على الزوج حقوقا لزوجته، وأوجب له حقوقًا على زوجته وعلى كلا الزوجين القيام بهذه الحقوق، وقد يحصل الخلاف بينهما، فعليهما أن يحرصا على بقاء الحياة الزوجية ولو كان في ذلك تنازل عن بعض الحقوق الواجبة لتستمر العشرة وتدوم الألفة والمحبة، وعلى المرأة إذا رأت من زوجها علامات الإعراض عنها، أن تقابل ذلك بالصلح وتقديم ما يزيل ذلك الإعـراض، وعليهـا ألا تشـح في اسـتكمال حقوقها على زوجها رغبة في استمرار الحياة الزوجية، ومن تمام التقوى وكمال الإحسان أن يصبر الزوج في أداء حقوق زوجته ولو كره منها أمرًا أو خلقًا حفاظًا للعقد وحسنًا للعهد، وعلى الزوج اذا تـزوج بـامرأة أخرى العدل، ويحرم عليه الحيف والميل في القسم في المبيت والنفقة والسكنى، وعليـه أن يراقـب الله فـلا يدفعه ميل قلبه أن يميل بفعله وقوله، وعليه أن يحسن لزوجته وأن يصبر على غيرتهـا، وأن يراعـي طبـائع النساء كما كان سيد الخلق ﷺ يفعله، ويحرم عليه أن يسلبها حقوقها فيدعها معلقة ليست مطلقة ولا ذات زوج، ومن حرص على العدل واجتهد وبذل وسعه واتقى الله في نسائه وعمل بـما فيـه صـلاح معيشـتهن وحالهن فإن الله يغفر له ما يقع من النقص والتقصير غير المتعمد، وإن حصل الفراق بين الزوج والزوجـة فإن الله يكتب للمرأة الغنى والسعة ويبدلها حالًا خيرًا من الحالة الأولى، وكذا الزوج يفتح الله له من الحياة خيرًا، وعلى المرأة المطلقة أن تحسن الظن بربها وأن الله سيجعل لها بعد العسر يسرًا، فلا تبتئس بما وقـع لهـا وعسى أن تكره ذلك الأمر ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا، والله واسع العطاء يهب الحيـاة الطيبـة لعبـاده وهـو الحكيم بشرعه، شرع الطلاق لحكم عديدة قد تخفى على عباده وهو سبحانه الحكيم الخبير، وهـو سـبحانه مالك الملك له ما في السماوات والأرض فالعباد جميعًا تحت حكمه وملكه، فعليهم التزام وصيته وهي تقوى الله في السر والعلن وهي وصيته للأولين والآخرين من عباده، ومن أعرض وجحد واستكبر فلن يخرج من ملك الله ولا قضائه وقدره والله غني عن جميع خلقه، محمود في جميع ما يقدره ويشرعه، فأين يذهب العباد والسماوات والأرض ملك لله، وهو القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب الشهيد عـلى كـل شيء، وهـو قادر على إذهاب الناس وتبديلهم بغيرهم إذا عصوه، فما أهون العباد على الله إذا أضاعوا أمره، وهو القادر على ذلك جل وعلا، وما ذلك على الله بممتنع.

فيا أيها الذي ليس له هَمٌّ إلا الدنيا، عند الله ثواب الدنيا والآخرة، وإذا سألته من هذه وهذه أعطاك وأغناك وأقناك، فلا يقْتَصِر قاصر الهمة على السعي للدنيا فقط، بل لتكن همته سامية إلى نيل المطالب العالية في الدنيا والآخرة، فإن مرجع ذلك كله إلى الذي بيده الضر والنفع، وهو الله الذي لا إله إلا هو، قـد قسـم السعادة والشقاوة في الدنيا والآخرة بين الناس، وعدل بينهم فيما علمه فـيهم، ممـن يسـتحق هـذا، وممـن يستحق هذا، فهو السميع البصير، على ما يليق بجلال الله وعظمته.



۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ﴿١٣٩﴾ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

العدل قامت عليه السماوات والأرض، فبالعدل تستقيم أحوال الناس، فالمؤمنون قائمون بالعـدل، فلا يعدلون عنه يمينًا ولا شمالًا ولا تأخذهم في الله لومـة لائـم، ولا يصـرفهم عنـه صـارف، يتعـاونون ويتعاضدون ويتناصرون في إقامة العدل، ومن العدل القيام بالشهادة وأداؤها ابتغاء وجـه الله، ولـو عـاد ضررها على الإنسان، والمؤمن يقول الحق ولو كان مَضرة عليه، فإن الله سيجعل لمن أطاعه فرجًـا ومخرجًـا من كل أمر يضيق عليه، وإن كانت الشهادة على الوالدين أو القرابة، فلا تُراعهم فيها، بل اشهد بالحق وإن عاد ضررها عليهم، فإن الحق حاكم على كل أحد، وهو مقدم على كل أحد، ولا يراعـى في الشـهادة غنـي لغناه، ولا يشفق على فقير لفقره، فالله يتولاهما، و هو أولى بهما، وأعلم بما فيه صلاحهما، فلا يحمل الإنسان الهوى والعصبية وبغض الناس، على ترك العدل، بل يلزم العدل على أي حال كـان، ولا يحـرف الشـهادة ويغيرها، ويتعمد الكذب فيها أو يكتم الشهادة ويتركها، فمن فعل ذلك فإن الله عليم بما في قلبه وسيجازيه على سوء عمله، ومن العدل أن يسعى المسلم إلى استكمال جميع شرائع الإيمان وشـعبه وأركانـه ودعائمـه، وهو من تكميل الكامل وتقريره وتثبيته والاستمرار عليه.

ومن العدل الإيمان بالله ورسوله وهي الشهادتين، الإيمان بانفراد الله بالألوهية، فلا معبود بحـق إلا الله، والإيمان بالرسول ﷺ وأنه رسول الله حقًا بعثه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلـه، والإيمـان بالقرآن والكتب التي أنزلت من قبل كالتوارة، والإنجيل، والزبور، ومن يجحد هذه الأركان فهو في ضلال وخرج عن طريق الحق

ومن دخل في الإيمان ثم رجع عنه، ثم عاد فيه ثم رجع، واستمر على ضلاله، وازداد حتى مات، فإنه لا توبة له، ولا يغفر الله له، ولا يجعل له مما هو فيه فرجًا ولا مخرجًا، ولا طريقًا إلى الهدى؛ والمنـافقون مـن هذه الصفة فإنهم آمنوا ثم كفروا، فطبع على قلوبهم، و يتخذون الكافرين أولياء مـن دون المـؤمنين، فهـم معهم في الحقيقة، يوالونهم ويسرون إليهم بالمودة، ويقولون لهم إذا خلوا بهم إنما نحـن معكـم، إنـما نحـن مستهزئون، يبتغون العزة والمكانة من الكافرين وما علموا أن العزة كلها لله وحده لا شريك له، ولمن جعلها له.

والواجب على المسلم أن يطلب العزة من جناب الله، والالتجاء إلى عبوديته، والانتظام في جملة عباده المؤمنين الذين لهم النصرة في هذه الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد.

فعلى المسلم اجتناب المجالس التي يعلن فيها الكفر والاستهزاء بالإسلام وأهله والبعد عن مـواطن الشبه التي تثار ضد الإسلام، وعدم سماع شبه المبطلين وعقائدهم لأنها تورث في القلب الفتنة والشبه، فإن المنافقين والكفار مأوهم النار، فكما شاركوهـم في الكفر، شارك الله بينهم في الخلود في نار جهنم أبدًا، وجمع بينهم في دار العقوبة والنكال، والقيود والأغلال.

ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ﴿١٤٧﴾

المنافقون يتربصون بالمؤمنين دوائر السوء، وينتظرون زوال دولتهم، وظهور الكفر عليهم، وذهاب ملتهم فإذا كان للمسلمين نصر وتأييد وظَفَر وغنيمة قالوا نحن معكم، يتوددون إلى المؤمنين بهذه المقالة، وإذا انتصر الكفار على المؤمنين في بعض الأحيان، كما وقع يوم أُحد، قالوا نحن ساعدناكم في الباطن، وخذلنا المسلمين حتى انتصرتم عليهم، فهم يصانعون هؤلاء وهؤلاء؛ ليحظوا عندهم ويأمنوا كيدهم، وما ذاك إلا لضعف إيمانهم، وقلة يقينهم، ويوم القيامة لا تنفعهم ظواهرهم، بل هو يوم تبلى فيه السرائر ويُحَصَّل ما في الصدور.

ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلًا، فلا يُسَلَّطُون عليهم بالكلية، وإن حصل لهم ظفر في بعض الأحيان على بعض الناس، فإن العاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة، فلا يغتر المنافقون فيما أملوه وتربصوه وانتظروه، من زوال دولة المؤمنين، وفيما سلكوه من مصانعتهم الكافرين، خوفًا على أنفسهم منهم إذا هم ظهروا على المؤمنين فاستأصلوهم، وفي ذلك بشارة لأهل الإيمان بأن الله ناصرهم مهما استأسد الكفر وطغى، فإن الغلبة للمؤمنين.

والمنافقون يظنون أنهم لما خدعوا الناس أنهم يخادعون الله لجهلهم وقلة علمهم وعقلهم، يعتقدون أنهم كما خدعوا الناس وجَرَت عليهم أحكامُ الشريعة ظاهرًا، فكذلك يكون حكمهم يوم القيامة عند الله، وأن أمرهم سيخفى على الله، والله تعالى لا يُخادَع، فإنه العالم بالسرائر والضمائر، وما علموا أن الله يستدرجهم في طغيانهم وضلالهم، ويخذلهم عن الحق والوصول إليه في الدنيا وكذلك في يوم القيامة.

وهم يؤدون صلاتهم بكسل وتثاقل، فإذا قاموا إليها قاموا وهم كسالى؛ لأنهم لا نية لهم فيها، ولا إيمانَ لهم بها، ولا خشية، ولا يعقلون معناها، ولا يخلصون في أدائها، إنما يشهدون الصلاة مع الناس تقية من الناس ومصانعة لهم، وهم في صلاتهم لا يخشعُون، ولا يدرون ما يقولون، بل هم في صلاتهم ساهون لاهون، وعما يراد بهم من الخير معرضون.

وهم حائرون بين الإيمان والكفر، فلا هم مع المؤمنين ظاهرًا وباطنًا، ولا مع الكافرين ظاهرًا وباطنًا، بل ظواهرهم مع المؤمنين، وبواطنهم مع الكافرين، ومنهم من يعتريه الشك، فتارة يميل إلى المسلمين، وتارة يميل إلى اليهود والمشركين قد أضلهم الله عن سبيل النجاة فلا هادي لهم، ولا منقذ لهم مما هم فيه، فإنه تعالى لا مُعَقّب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، والمؤمن لا يتصف بصفات المنافقين من مودة الكافرين واتخاذهم أولياء من دون المؤمنين، فيصاحبهم ويصادقهم ويسر بالمودة إليهم، ويفشي أحوال المؤمنين الباطنة إليهم، فمن فعل ذلك حلت عليه العقوبة من الله، فالمنافقون في أسفل النار جزاء على كفرهم وعنادهم، ليس لهم من ينقذهم مما هم فيه، ويخرجهم من أليم العذاب إلا من تاب وبَدَّل الرياء بالإخلاص، فينفعه العمل الصالح وإن قل، فهم مع المؤمنين في الثواب والنعيم، والله لا يعذب عباده الا بسبب ذنوبهم فإذا آمنوا وأخلصوا ورجعوا إلى ربهم شكر الله لهم أعمالهم، فمن شكر شكر الله له، ومن آمن قلبه بالله علمه الله، وجازاه على ذلك أوفر الجزاء.

۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

الجهر بالسوء والكلام الرديء محرم، والكلام في أعراض الناس من سيء القول والعمل، لا يحبه الله ولا يرضاه، فلا يدعو أحد على أحد، ولا يظلم أحد أحدًا، إلا من ظُلم فإن الله أباح له الكلام بقدر مظلمته، والله يسمع كلام عباده على ما يليق بجلال الله وعظمته، ويعلم ما تكنه صدروهم فلا تخفى عليه خافية، فمن أظهر خيرًا، أو أخفاه، أو عفا عمن أساء إليه، فإن ذلك مما يقرب إلى الله ويجزل الثواب لديه، فإن من صفاته تعالى أنه يعفو عن عباده مع قدرته على عقابهم.

والإيمان بالرسل من أركان الإيمان، فمن كفر بنبي من الأنبياء، فقد كفر بسائر الأنبياء، فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض، فمن رد نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيمانًا شرعيًّا، إنما هو عن هوى وعصبية، فاليهود آمنوا بالأنبياء إلا عيسى ومحمدًا عليهما الصلاة والسلام، والنصارى آمنوا بالأنبياء وكفروا بخاتمهم وأشرفهم محمد ﷺ، والسامرة لا يؤمنون بنبي بعد يوشع خليفة موسى بن عمران، والمجوس يقال: إنهم كانوا يؤمنون بنبي لهم يقال له: زرادشت، ثم كفروا بشرعه، فرفع من بين أظهرهم، فهؤلاء كفار ولو ادعوا الإيمان برسول من الرسل، فكفرهم محقق لا محالة بمن ادعوا الإيمان به؛ لأنه ليس إيمانًا شرعيًّا، إذ لو كانوا مؤمنين به لكونه رسول الله لآمنوا بنظيره، وبمن هو أوضح دليلًا وأقوى برهانًا منه، فلهم العذاب المهين لاستهانتهم بأنبياء الله وخاتمهم صلى الله عليهم وسلم، فقد كفروا به بعد علمهم بنبوته، كما كان فعله كثير من أحبار اليهود في زمان رسول الله ﷺ حيث حسدوه على ما آتاه الله من النبوة العظيمة، وخالفوه وكذبوه وعادوه وقاتلوه، فسلط الله عليهم الذل الدنيوي الموصول بالذل الأخروي، أما المؤمنون من أمة محمد ﷺ فإنهم يؤمنون بكل كتاب أنزله الله وبكل نبي بعثه الله، فكان جزاؤهم أن أعد الله لهم الجزاء الجزيل والثواب الجليل والعطاء الجميل، على ما آمنوا بالله ورسله ويغفر للمذنبين منهم ويرحمهم، أما أهل الكتاب المتعنتين فقد سألوا رسولَ الله ﷺ أن ينزل عليهم كتابًا من السماء، كما نزلت التوراة على موسى مكتوبة، سألوه على سبيل التعنت والعناد والكفر والإلحاد، كما سألوا موسى عليه السلام أعظم من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة نراه بعيوننا فأهلكهم الله بالصواعق التي تحرقهم بسبب طغيانهم وعتوهم، وعبدوا العجل بعد ذلك وكفروا بربهم من بعد ما رأوا من الآيات الباهرة والأدلة القاهرة على يد موسى عليه السلام في بلاد مصر، وما كان من إهلاك عدو الله فرعون وجميع جنوده في اليمّ، وعفا الله عنهم بعد ذلك وأعطى موسى عليه السلام حجةً بينةً من المعجزات، وهي الآيات التسع، وامتنعوا عن الالتزام بأحكام التوراة، وظهر منهم إباء وعناد عما جاءهم به موسى، عليه السلام، فرفع الله على رؤوسهم جبلًا ثم ألزموا فالتزموا وسجدوا، وجعلوا ينظرون إلى فوق رؤوسهم خشية أن يسقط عليهم، وأمروا أن يدخلوا باب بيت القدس سجّدًا، وهم يقولون اللهم حط عنا ذنوبنا في تركنا الجهاد، فدخلوا يزحفون على أستاههم، وهم يقولون حنطة في شعيرة، فخالفوا ما أمروا به من القول والفعل، ووصاهم بحفظ السبت والتزام ما حرّم الله عليهم، ما دام مشروعًا لهم وأخذ منهم عهدًا شديدًا، فخالفوا وعَصَوْا وتحيلوا على ارتكاب مناهي الله ﷻ.

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ
بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ
فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ
بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ
رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ
وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟
حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ
بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ
ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ
أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

اليهود هم من أكذب الأمم فقد سبقت منهم الجرائم العظيمة، قبل تكذيبهم رسول الله ﷺ، من نقض العهود والمواثيق وكفرهم بالأنبياء وبالآيات المنزلة واعتدائهم على الأنبياء بالقتل والإيذاء، وردهم الحق لأن قلوبهم لا تفقه ما يدعون إليه من الحق، واتهامهم مريم بالزنا، وادعائهم صلب المسيح عيسى بن مريم، كل ذلك لأن الله طبع على قلوبهم وختم عليها فلا تعرف الحق ولا تقبله.

وهذه من الذنوب التي ارتكبوها مما أوجب لعنهم وطردهم وإبعادهم عن الهدى، وما علموا أنهم لم يقتلوا المسيح ولم يصلبوه بل رفعه الله إلى السماء، وألقي شبهه بالذي دلهم عليه، وسينزل آخر الزمان ويدين بدين الإسلام، وسيؤمن به بعض أهل الكتاب وسيكون شهيدًا يوم القيامة على من كفر وجحد، وبالأعمال التي شاهدها منهم قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله إلى الأرض.

وقد حرم الله الطيبات عليهم بسبب ظلمهم بما ارتكبوه من الذنوب العظيمة، وبصد الناس وصد أنفسهم عن اتباع الحق، وبتعاملهم بالربا وقد نهاهم الله عنه فتناولوه وأخذوه، واحتالوا عليه بأنواع من الحيل وصنوف من الشبه، وأكلوا أموال الناس بالباطل، فحرمت عليهم الطيبات في الدنيا، ولهم في الآخرة العذاب الأليم، لكن العلماء منهم الثابتون في الدين الذين رسخت أقدامهم في العلم النافع، والمؤمنون يؤمنون برسالة النبي ﷺ ويقيمون الصلاة ويزكون أموالهم ، وأنفسهم ويصدقون بأنه لا إله إلا الله، ويؤمنون بالبعث بعد الموت، والجزاء على الأعمال خيرها وشرها، فلهم الجزاء العظيم والأجر الكثير، والجنة.

ويتوجب على المسلم اجتناب صفات اليهود من الظلم والبغي و إيذاء الصالحين أتباع الأنبياء، وأكل الربا وأكل أموال الناس بالباطل، وعلى المسلم الحذر من مشابهة أهل الكتاب في أعمالهم وأقوالهم وعقائدهم، وظواهرهم وبواطنهم، وعلى المسلم الاستعداد ليوم المعاد والإيمان بما يكون فيه من الأحوال والأهوال، وما يسبق يوم القيامة من علامات الساعة الكبرى ومنها: نزول المسيح عيسى بن مريم حكمًا عدلًا يقتل الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام.

والاهتمام بإقامة فريضة الصلاة والمحافظة عليها جماعة مع المسلمين، وهي الفارقة بين الإسلام والكفر، وتزكية النفوس بالطاعة والعبادة، وأداء حق الله في المال، وهو الزكاة طيبة بها النفس من غير مَنٍّ، ولا بخل.

۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ
وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ
وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ
وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ
مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ
تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ
لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا
﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا
﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا
لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ
وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ
ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ
فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧٠﴾

لقد أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين، مبشرين بالتوحيد ومنذرين من الشرك، وأول الأنبياء آدم، وأول الرسل نوح عليه السلام، والنبي: هو الذي أوحي إليه ولم يبعث بشريعة، والرسول: من أوحي إليه بشريعة مستقلة.

والرسل الذين ذكروا في القرآن، هم: آدم وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وموسى، وهارون، ويونس، وداود، وسليمان، وإلياس، والْيَسَع، وزكريا، ويحيى، وعيسى عليهم الصلاة والسلام وكذا ذو الكفل عند كثير من المفسرين، وسيدهم محمد ﷺ.

وقد اختصوا بمكارم وفضائل، منهم موسى ﷺ اختص بتكليم الله له، واختصاص موسى بذلك لأنها هي المنقبة العظيمة له، وأما نبينا محمد ﷺ فقد كلمه الله، ولكن فضائله لا حصر لها ولم تختص بالكلام، وكلام الله على الحقيقة على ما يليق بجلال الله وعظمته من غير تكييف ولا تعطيل ولا تمثيل.

وهؤلاء الرسل أرسلهم الله بالبشارة بالتوحيد وتحقيق العبودية لله تبارك وتعالى، والنذارة من الشرك والتحذير منه، ليقيم الله بهم الحجة على عباده، فليس أحد أحب إليه العذر من الله ولذلك أرسل الرسل، ومن لم تبلغه دعوة نبي ولا رسول، يكون حكمهم كحكم أهل الفترة التي بين عيسى ومحمد ﷺ يمتحنون يوم القيامة.

ومن كفر بنبوة محمد ﷺ فالله يشهد بأن محمدًا رسوله الذي أنزل عليه القرآن العظيم الذي أنزل فيه علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه، من البينات والهدى والفرقان وما يحبه الله ويرضاه، وما يكرهه ويأباه، وما فيه من العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل، وما فيه من ذكر صفاته تعالى المقدسة، التي لا يعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب، إلا أن يُعْلِمَه الله به، والملائكة يشهدون بصدق ما جاء به محمد ﷺ وبوحي الله إليه، مع شهادة الله تعالى له بذلك.

والذين كفروا في أنفسهم فلم يتبعوا الحق، وسَعَوْا في صد الناس عن اتباعه والاقتداء به، قد خرجوا عن الحق وضلوا عنه، وبَعُدُوا منه بعدًا عظيمًا شاسعًا، فلا يغفر لهم ولا يهديهم سبيل الخير، وإنما مصيرهم النار خالدين فيها أبد الآباد، فعلى الناس أن يؤمنوا بما جاء به محمد صلوات الله وسلامه عليه من الهدى ودين الحق، والبيان الشافي من الله ﷻ فيؤمنون بما جاءهم به ويتبعونه فذلك خيرٌ لهم، وإن كفروا فإن الله غني عنهم وعن إيمانهم، ولا يتضرر بكفرهم، فله ملك السماوات والأرض وهو العليم بعباده الحكيم بقضائه وقدره وحكمه.

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ
عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ
ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ
وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ
وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ
ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ
وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ
إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ
ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا
يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ
قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾
فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ
فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾

حرم الله الغلو في الدين ونهى عباده عن الغلو، ونهى أهل الكتاب من النصارى عن الغلو والإطراء، فإنهم تجاوزوا حد التصديق بعيسى، حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه، فادَّعوْا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه، سواء كان حقًّا أو باطلًا أو ضلالًا أو رشادًا، أو صحيحًا أو كذبًا.

والمسيح عبد من عباد الله وخَلق من خلقه، قال له: كن فكان، ورسول من رسله، وكلمته ألقاها إلى مريم، فقد خَلقَه بالكلمة التي أرسل بها جبريل ﷺ إلى مريم، فنفخ فيها من روحه بإذن ربه ﷻ، فكان عيسى بإذن الله ﷻ وصارت تلك النفخة التي نفخها في جَيْب درعها، والجميع مخلوق لله ﷻ، وليس الكلمةُ صارت عيسى، ولكن بالكلمة صار عيسى، وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشريف، كما أضيفت الناقة والبيت إلى الله، فالواجب الإيمان بأن الله واحد أحد، لا صاحبة له ولا ولد، وأن عيسى عبدالله ورسوله والواجب إفراد الله بالعبادة، وأن لا يجعلوا عيسى وأمَّه مع الله شريكين، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

فالخير لهم الانتهاء عن التثليث والإيمان بالتوحيد تقدس الله عما يقولون، فالجميع ملكه وخلقه، وجميع ما في الأرض عبيده، وهم تحت تدبيره وتصريفه، وهو وكيل على كل شيء، فكيف يكون له منهم صاحبة أو ولد؟ ولن يستكبر المسيح عن عبوديته لله، ولا الملائكة ولا جميع الخلق، فالجميع سيجمعهم إليه يوم القيامة، ويفصل بينهم بحكمه العدل، الذي لا يجور فيه ولا يَحِيف، فالمؤمنون يعطيهم من الثواب على قدر أعمالهم الصالحة ويزيدهم على ذلك من فضله وإحسانه وسَعَة رحمته وامتنانه، ويدخلهم الجنة.

وأما الذين امتنعوا عن طاعة الله وعبادته واستكبروا عن ذلك فلهم العذاب الأليم يوم القيامة يذلون ويخزون في العذاب المهين لاستكبارهم على عبادة ربهم جل وعلا.

والخير والفضل بما أنزله على محمد ﷺ من البرهان العظيم، دليل قاطع للعُذْر، وحجة مزيلة للشبهة، وضياء واضحٌ على الحق، وهو القرآن العظيم.

فالذين جمعوا بين مقامي العبادة والتوكل على الله في جميع أمورهم، واعتصموا بالقرآن، فسيرحمهم الله فيدخلهم الجنة ويزيدهم ثوابًا ومضاعفة ورفعة في درجاتهم، من فضله عليهم وإحسانه إليهم، ويدلهم ويوفقهم طريقًا واضحًا قَصْدًا قَوَامًا لا اعوجاج فيه ولا انحراف، وهذه صفة المؤمنين في الدنيا والآخرة، فهم في الدنيا على منهاج الاستقامة وطريق السلامة في جميع الاعتقادات والأعمال، وفي الآخرة على صراط الله المستقيم المفضي إلى روضات الجنات.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾

سورة المائدة

ترتيبها ٥ — آياتها ١٢٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾

نصف الحزب ١١

قسم الله المواريث وأعطى كل ذي حق حقه، وسئل رسول الله صلى عليه وسلم عن الرجل يموت وليس له ولد ولا والد، وهي(الكلالة) وهي مأخوذة من الإكليل الذي يحيط بالرأس من جوانبه؛ فجاء الجواب بأن من مات وليس له ولد ولا والد وله أخت شقيقة أو لأب فإنها ترث النصف إلا أن تشاركها أخت أخرى، أو يوجد معصب لها وهو الأخ الشقيق أو لأب، والأخ يرث جميع ما لها إذا ماتت كلالة، وليس لها ولد ولا والد، فإن كانتا اثنتين ففرضهما الثلثان، وكذا ما زاد على الاثنتين في حكمهما، وإن وجد لهن معصب أعطي الذكر مثل حظ الأنثيين، يفرض الله لعباده فرائضه، ويحدّ لهم حدوده، ويوضح لهم شرائعه، لئلا يضلوا عن الحق بعد البيان، وهو عالم بعواقب الأمور ومصالحها وما فيها من الخير لعباده، وما يستحقه كل واحد من القرابات بحسب قربه من المتوفى.

سورة المائدة

وهي سورة مدنية ، سميت بذلك لذكر المائدة التي أنزلها الله على بني إسرائيل

أمر الله بالوفاء بالعهود والعقود بجميع أنواعها، عهد الله، وعقد الحلف، وعقد الشركة، وعقد البيع، وعقد النكاح، وعقد اليمين، والوفاء من أوجب الواجبات لما في ذلك من الأمانة والحياة الطيبة المطمئنة، فقد أحل الطيبات لعباده رحمة بهم وإحسانًا إليهم ومن ذلك بهيمة الأنعام من الإبل والبقر والغنم، واستثني ما حرمه الله من الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما لم يذكر اسم الله عليه، وحرم على المحرِم وهو ناوٍ الحج أو العمرة الصيد للحيوانات المتوحشة، فإن الله قد حكم بهذا وهو الحكيم في جميع ما يأمر به وينهى عنه، وعلى العباد تعظيم شعائر الله، وشعائر الله محارمه فلا يحلون محارم الله التي حرمها تعالى، ومن المحارم تحريم الشهر الحرام والاعتراف بتعظيمه، وترك ما نهى الله عن تعاطيه فيه، من الابتداء بالقتال وتأكيد اجتناب المحارم، ومن تعظيم شعائر الله الإهداء إلى البيت الحرام من بهيمة الأنعام، فإنها من تعظيم الحرم، والسنة تقليدها في أعناقها لتتميز به عما عداها من الأنعام، وليعلم أنها هدي إلى الكعبة فيجتنبها من يريدها بسوء، وتبعث من يراها على الإتيان بمثلها، ومن تعظيم شعائر الله عدم استحلال قتال القاصدين إلى بيت الله الحرام، الذي من دخله كان آمنا، وكذا من قصده طالبا فضل الله وراغبًا في رضوانه، فلا يصد ولا يمنع، ومن تعظيم شعائر الله تحريم صيد الحرم وتحريم الصيد حال الإحرام، وإذا فرغ المحرم من الإحرام وحل منه، فقد أبيح له ما كان محرمًّا عليه في حال الإحرام من الصيد، وعلى المسلم العدل فلا يحمله بغض قوم أن يعتدي عليهم بغير حق ومن ذلك: لما صد المشركون المسلمين عن الوصول إلى المسجد الحرام، وذلك عام الحديبية، نهوا عن أن يعتدوا في حكم الله فيقتصون منهم ظلمًا وعدوانًا، بل أمروا بالحكم بما أمرهم الله به من العدل في كل أحد، والواجب على المؤمنين التعاون على البر وهو فعل الخيرات والتعاون على التقوى وهي ترك المنكرات، ويتناهون عن التناصر على الباطل، والتعاون على المآثم والمحارم.

حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ
بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ
ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ
بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ
فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ
عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي
مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣﴾
يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم
مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ
عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ
﴿٤﴾ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ
لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ
مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ
بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾

حرم الله المحرمات على العباد لحكم عظيمة، فمن هذه المحرمات الميتة وهي: ما مات من الحيوان حَتْف أنفه، من غير ذكاة ولا اصطياد، وما ذاك إلا لما فيها من المضرة، لما فيها من الدم المحتقن، فهي ضارة للدين وللبدن فلهذا حرمها الله ﷻ، ويستثنى من الميتة السمك، فإنه حلال سواء مات بتذكية أو غيرها، وحرم الدَّمُ المسفوح؛ لما فيه من الجراثيم ولنجاسته، وحرم لَحْمُ الْخِنزِيرِ إنسيه ووحشيه، واللحم يعم جميع أجزائه حتى الشحم، لأنه مستقذر تعافه الفطرة، وتتضرر به الأجسام، وما ذبح فذكر عليه اسم غير الله، فهو حرام؛ لأن الله أوجب أن تذبح مخلوقاته على اسمه العظيم، فمتى عُدِل بها عن ذلك وذكر عليها اسم غيره من صنم أو طاغوت أو وثن أو غير ذلك من سائر المخلوقات، فإنها حرام بالإجماع، وَالْمُنْخَنِقَةُ: وهي التي تموت بالخنق إما قصدًا أو اتفاقا، فهي حرام، والْمَوْقُوذَةُ: وهي التي تضرب بشيء ثقيل غير محدد حتى تموت، و الْمُتَرَدِّيَةُ: وهي التي تقع من شاهق أو موضع عال فتموت بذلك، فلا تحل، والنَّطِيحَة: وهي التي ماتت بسبب نطح غيرها لها، فهي حرام وإن جرحها القرن وخرج منها الدم ولو من مذبحها، وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ: وهي التي عدا عليها أسد، أو فهد، أو نمر، أو ذئب، أو كلب، فأكل بعضها فماتت بذلك، فهي حرام وإن كان قد سالت منها الدماء ولو من مذبحها، فلا تحل بالإجماع، إلا مَا أدركت ذكاته، وفيه حياة مستقرة، فيحل أكله، وأما مَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وهي(الأصنام) وكانت النصب حجارة حول الكعبة، وهي ثلاثمائة وستون نصبا، كانت العرب في جاهليتها يذبحون عندها، وينضحون ما أقبل منها إلى البيت بدماء تلك الذبائح، ويشرحون اللحم ويضعونه على النصب، فنهى الله المؤمنين عن هذا الصنيع، وحرم عليهم أكل هذه الذبائح التي فعلت عند النصب حتى ولو كان يذكر عليها اسم الله لأن الذبح عند النصب من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، ومن المحرمات الاستقسام بالأزلام، واحدها زُلَم، وقد كانت العرب في جاهليتها يتعاطون ذلك، وهي عبارة عن قداح ثلاثة، على أحدها مكتوب افعل وعلى الآخر لا تفعل، والثالث ليس عليه شيء، فإذا أجالها فطلع السهم الآمر فَعَله، أو الناهي تَرَكه، وإن طلع الفارغ أعاد الاستقسام، والاستقسام مأخوذ من طلب القَسم من هذه الأزلام، وتعاطيه فسق وغي وضلال وجهالة وشرك، وقد أمر الله المؤمنين إذا ترددوا في أمورهم أن يستخيروه بأن يعبدوه، ثم يسألوه الخِيَرَة في الأمر الذي يريدونه بصلاة الاستخارة، والمشركون وقع في قلوبهم اليأس من مشابهة المسلمين، بما تميز به المسلمون من هذه الصفات المخالفة للشرك وأهله، فعلى المؤمنين أن يصبروا ويثبتوا في مخالفة الكفار، ولا يخافون أحدًا إلا الله فلا يخافون منهم في مخالفتهم وعليهم بخشية الله الذي نصرهم عليهم وأظفرهم بهم، وشفى صدورهم منهم، وجعلهم فوقهم في الدنيا والآخرة، وأتم عليهم دينهم وارتضاه لهم،وهي من أكبر نعم الله ﷻ على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم، صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه، فليرض المسلمون دينهم، فإنه الدين الذي رضيه الله وأحبه، ومن كمال هذا الدين أن من احتاج إلى تناول شيء من هذه المحرمات لضرورة ألجأته إلى ذلك، فله تناول ذلك، والله غفور رحيم له؛ لأنه تعالى يعلم حاجة عبده المضطر، وافتقاره إلى ذلك، فيتجاوز عنه ويغفر له، وقد أحل الله الذبائح الحلال الطيبة لعباده، التي ذكر اسم الله عليها والطيبات من الرزق، وأحل لهم ما اصطادوه بالجوارح المعلمة، وهي من الكلاب والفهود والصقور وأشباه ذلك، فمتى صاد الجارح المعلم وأمسك على صاحبه، وكان قد ذكر اسم الله عند إرساله حل الصيد، وإن قتله بالإجماع، ومن الطيبات ذبائح أهل الكتابين من اليهود والنصارى، لأنهم يعتقدون تحريم الذبح لغير الله، ولا يذكرون على ذبائحهم إلا اسم الله، وإن اعتقدوا فيه تعالى ما هو منزه عن قولهم، تعالى وتقدس، ويحل للمؤمنين إطعامهم من طعامهم وذبائحهم، ومما أباح الله وشرعه نكاح الحرائر العفائف من النساء المؤمنات، وكذلك يجوز نكاح نساء أهل الكتاب العفيفات مع إتيان المهر والقصد من الزواج العفة عن الحرام لا اتخاذ طريق العصاة من الزناة الذين يتخذون العشيقات ويرغبون بطريق الحرام عن الحلال، وليس تزوج المسلمين لهن بالذي يخرجهن من الكفر أو يغني عنهن شيئا، لأن أهل الكفر حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٦﴾ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٩﴾

الوضوء عبادة شرعية واجبة عند أداء الصلاة، والطواف ومس المصحف، وتستحب في أحوال أخرى، والوضوء يكفر الذنوب، ويحط الخطايا ويرفع الدرجات، وهو غسل الأعضاء الأربعة، وقد أمر الله بالوضوء عند القيام إلى الصلاة، و هو في حق المحدث على سبيل الإيجاب، وفي حق المتطهر على سبيل الندب والاستحباب

وتجب النية في الوضوء، ويستحب أن يذكر اسم الله تعالى على وضوئه، والتسمية واجبة مع الذكر.

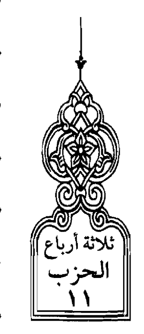
ويستحب أن يغسل كفيه قبل إدخالهما في الإناء ويجب عند القيام من نوم الليل، ويجب أن يتمضمض ويستنشق ويستنثر، ثم يغسل وجهه، وحَدُّ الوجه ما بين منابت شعر الرأس إلى منتهى اللحيين والذقن طولًا ومن الأذن إلى الأذن عرضًا، ويستحب للمتوضئ أن يخلل لحيته إذا كانت كَثَّة، ثم يغسل يديه مع المرافق، ثم يمسح رأسه يبدأ بمقدم رأسه ثم يذهب بهما إلى قفاه، ثم يردهما حتى يرجع إلى المكان الذي بدأ منه، ثم يغسل قدميه مع الكعبين، ويجب الترتيب والموالاة في الوضوء، وأما من كان حدثه حدثًا أكبر، فيجب عليه الغسل، ويكفيه عن الوضوء، ووجوب الوضوء والغسل رحمة بالأمة وتطهير لها، وليس تضييقًا وتشديدًا، فمن لم يقدر على استعمال الماء لمرض أو لفقد الماء في السفر أو الحضر، وهو محدث حدثًا أكبر أو أصغر فإنه يتيمم فيضرب التراب بيديه مرة واحدة ويمسح وجهه وظاهر كفيه، تيسيراً ورحمة، فإن لم يستطع استعمال التراب فإنه ينوي رفع الحدث، ويكفيه، وهذا مما امتازت الشريعة به من اليسر والسماحة في التشريع فعلى العباد شكر الله على تيسيره على عباده و إتمامه نعمته بتكفير السيئات بالوضوء

وليذكروا نعمتَه عليهم في شرعه لهم هذا الدين العظيم، وإرساله إليهم هذا الرسول الكريم، وما أخذ عليهم من العهد والميثاق في مبايعته على متابعته ومناصرته ومؤازرته، والقيام بدينه وإبلاغه عنه وقبوله منه، وعليهم ملازمة التقوى في كل حال.

فهو سبحانه يعلم ما يكون في الضمائر والسرائر من الأسرار والخواطر، وعلى المسلم القيام بالحق لله ﷻ، لا لأجل الناس والسمعة، شاهدًا بالعدل لا بالجور.

لا يحمله بُغْض قوم على ترك العدل فيهم، بل يستعمل العدل مع كل أحد، صديقًا كان أو عدوًا، فالعدل هو التقوى التي أمر الله بها، وهو سبحانه سيجزي العباد على أفعالهم التي عملوها، إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًا فشرًا، ويغفر لهم ذنوبهم ولهم الجنة التي هي من رحمته على عباده، لا ينالونها بأعمالهم، بل برحمة منه وفضل، وإن كان سبب وصول الرحمة إليهم أعمالهم، وهو تعالى جعلها أسبابًا إلى نيل رحمته وفضله وعفوه ورضوانه، فالكل منه وله، فله الحمد والمنة.

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾



من عدل الله تعالى وحكمته وحُكْمه الذي لا يجور فيه، بل هو الحَكَمُ العدل الحكيم القدير، أن كتب النار للكفار الأشقياء فهم مخلدون فيها أبد الآباد، فقد كفروا بالله وحاربوا رسول الله ﷺ، فقد همَّ اليهود بقتل النبي ﷺ فأخبر الله نبيه ﷺ بغدرهم فغدا إليهم فحاصرهم، حتى أنزلهم فأجلاهم، متوكلًا على ربه جل وعلا، ومن توكل على الله كفاه الله ما أهمه، وحفظه من شر الناس وعصمه، و من كفر اليهود أن الله ﷻ وعد موسى ﷺ أن يورثه وقومه الأرض المقدسة وهي الشام، وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون، فلما استقرت لبني إسرائيل الدار بمصر أمرهم الله تعالى بالسير إلى أريحاء من أرض الشام وهي الأرض المقدسة، وكانت لها ألف قرية في كل قرية ألف بستان، وقال الله (يا موسى إني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرج إليها وجاهد من فيها من العدو فإني ناصرك عليهم، وخذ من قومك اثني عشر نقيبا، من كل سبط نقيب يكون كفيلًا على قومه بالوفاء منهم على ما أمروا به)، فاختار موسى النقباء وسار موسى ببني إسرائيل حتى قربوا من أريحاء فبعث هؤلاء النقباء يتجسسون له الأخبار ويعلمون علمها فرأوا من قوتهم وجبروتهم ما أخافهم، فرجع النقباء وجعلوا يتعرفون أحوالهم، وقال بعضهم لبعض يا قوم: إنكم إن أخبرتم بني إسرائيل خبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموا، وأخبروا موسى وهارون فيريان رأيهما، وأخذ بعضهم على بعضهم الميثاق بذلك، ثم إنهم نكثوا العهد وجعل كل واحد منهم ينهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما رأى حتى تراجعوا عن دخول بيت المقدس وقد وعدهم الله أنه معهم بحفظه ونصره ما أقاموا الصلاة، وأدوا الزكاة المفروضة لمستحقيها، وصدَّقوا برسل الله فيما يخبرونهم به ونصروهم، وأنفقوا في سبيل الله، ولحصل لهم تكفير السيئات، ودخول الجناتِ التي تجري من تحت قصورها الأنهار، أما من جحد الميثاق منهم فقد عدل عن طريق الحق إلى طريق الضلال.

وهذا من ضلالهم فقد نقضوا الميثاقَ الذي أخذ عليهم فلعنهم الله، وأبعدهم عن الحق وطردهم عن الهدى، وجعل قلوبهم صلبة فلا يتعظون بموعظة، يحرفون كلام الله لفساد فُهومهم، فتأولوا كتاب الله على غير ما أنزله، وحملوه على غير مراده، وقالوا عليه ما لم يقل، عياذًا بالله من ذلك، وتركوا العمل به رغبة عنه، فلا قلوب سليمة، ولا فطر مستقيمة، ولا أعمال قويمة، ولا يزالون في طريق الطغيان يطلع الله نبيه ﷺ على مكرهم وغَدْرهم له ولأصحابه.

ويقابل النبي ﷺ المكر بالصفح والعفو، وهو عين النصر والظفر، وهذا هو الإحسان الذي يحبه الله ويحب أهله

وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾

أخذ الله الميثاق على النصارى بالتوحيد والنبوة، فأمرهم بمتابعة الرسول ومناصرته ومؤازرته واقتفاء آثاره، والإيمان بكل نبي يرسله الله إلى أهل الأرض، ففعلوا كما فعل اليهود، خالفوا المواثيق ونقضوا العهود؛ فألقى الله بينهم العداوة والتباغض لبعضهم بعضا، ولا يزالون كذلك إلى قيام الساعة.

فقد كذبوا على الله وعلى رسوله، وما نسبوه إلى الرب ﷻ وتعالى وتقدس عن قولهم علوًّا كبيرًا، من جعلهم له صاحبة وولدًا، تعالى الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كُفوًا أحد.

وقد أرسل الله رسوله محمدًا بالهدى ودين الحق إلى جميع أهل الأرض، عربهم وعجمهم، أميهم وكتابيّهم، وبعثه بالبينات والفرقان بين الحق والباطل، ويبين ما بدله النصارى وحرفوه وأولوه، وافتروا على الله فيه، ويسكت عن كثير مما غيروه ولا فائدة في بيانه.

فقد أنزل الله على نبيه الكريم القرآن الذي فيه الهدى والنور، يخرج الله به من الكفر إلى الإيمان، وفيه طرق النجاة والسلامة ومناهج الاستقامة ينجيهم الله به من المهالك، ويوضح لهم أبين المسالك فيصرف عنهم المحذور، ويحصل لهم أنجب الأمور، وينفي عنهم الضلالة، ويرشدهم إلى أقوم حالة.

ومن ضلال النصارى وكفرهم ادعاؤهم في المسيح ابن مريم - وهو عبدٌ من عباد الله وخلق من خلقه- أنه هو الله، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا.

وما علموا أن جميع الأشياء تحت قهره وسلطانه فلو أراد الله أن يهلك المسيح وأمه ومن في الأرض جميعًا، فمن ذا الذي يمنعه؟ أو من ذا الذي يقدر على صرفه عن ذلك؟

فله سبحانه ملك جميعُ الموجودات، وهو القادر على ما يشاء، لا يُسأل عما يفعل، لقدرته وسلطانه، وعدله وعظمته، وهذا رد على النصارى.

والله تعالى متفرد بصفات الربوبية والألوهية، فلا يشاركه أحد من خلقه، وما يوقع الناس في الشرك والضلال إلا الغلو في الأنبياء والصالحين، كما غلا النصارى في المسيح.

وأول سبب للشرك في الأرض هو الغلو في الصالحين كما حصل من قوم نوح ﷺ، فأرسله الله إليهم يدعوهم للتوحيد.

فالكون كله لله سبحانه، والخلق جميعًا بيده وحده، يخلق سبحانه ما يشاء، ويفعل ما يريد.

وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٩﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾

من كذب اليهود والنصارى ادعاؤهم أنهم أحباب الله وأن الله يحبهم وهم ينتسبون إلى أنبيائه وهم بنوه، ولم يدعوا لأنفسهم من البنوة ما ادعوها في عيسى ﷺ، وإنما أرادوا بذلك مكانتهم عند الله، فقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه.

ولكن هذا الادعاء باطل إذ لو كانوا كما يقولون، ما عذبهم الله في نار جهنم على كفرهم وكذبهم وافترائهم، بل هم كسائر البشر تجري عليهم أحكام العصاة والمعاندين والمكذبين، وهو تعالى الحاكم في جميع عباده، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، فعال لما يريد، لا مُعَقِّب لحكمه وهو سريع الحساب، و الجميع ملكه وتحت قهره وسلطانه، وإليه المرجع والمآب، فيحكم في عباده بما يشاء، وهو العادل الذي لا يجور، ويمتن الله على أهل الكتاب من اليهود والنصارى أنه قد أرسل إليهم رسوله محمدًا خاتم النبيين، الذي لا نبي بعده ولا رسول، بعد مدة متطاولة ما بين إرساله وعيسى ابن مريم، فقد كان بينهما ستمائة سنة، فكانت النعمة به أتم النعم، والحاجة إليه أمر عَمَم، فإن الفساد قد عم جميع البلاد، والجهل قد ظهر في سائر العباد، إلا قليلا من المتمسكين ببقايا من دين الأنبياء، حتى بعث الله محمدًا ﷺ، فهدى الخلائق، وأخرجهم الله به من الظلمات إلى النور، وتركهم على المحَجَّة البيضاء، والشريعة الغرَّاء، فلا يحتج البشر ويقولوا ما جاءنا من رسول يبشر بالخير وينذر من الشر، فقد جاءهم البشير النذير، والرحمة المهداة ﷺ، والله قادر على عقاب من عصاه، وثواب من أطاعه.

ويذكر الله منته على بني إسرائيل على لسان نبيه موسى بن عمران ﷺ فقد ذكرهم نعَمَ الله عليهم وآلاءه لديهم، في جمعه لهم خير الدنيا والآخرة، كلما هلك نبي قام فيهم نبي، من لدن أبيهم إبراهيم وإلى من بعده، و لا يزال فيهم الأنبياء يدعون إلى الله ويحذرون نقمته، حتى ختموا بعيسى ﷺ، ثم أوحى الله إلى خاتم الرسل والأنبياء محمد بن عبد الله عليه الصلاة و السلام، ومن نعم الله على بني إسرائيل أن أنعم عليهم في الدنيا، فحازوا ما يحوزه الملوك من المرأة والخادم والدار، فقد كان الرجل من بني إسرائيل إذا كان له الزوجة والخادم والدار، سمي مَلِكًا، وفضلهم، فكانوا أشرف الناس في زمانهم، ولكن عنادهم وإصرارهم على العصيان مستمر، ومن ذلك عصيانهم أمر موسى ﷺ بالجهاد والدخول إلى بيت المقدس، وبقتال أعدائهم مع أنه بَشَّرهم بالنصرة والظفر عليهم، فاعتذروا بأن في هذه البلدة التي أمرتنا بدخولها وقتال أهلها قومًا ذوي خلقة هائلة، وقوى شديدة، وإنا لا نقدر على مقاومتهم، ولا يمكننا الدخول إليها ما داموا فيها، فإن يخرجوا منها دخلناها وإلا فلا طاقة لنا بهم، فعوقبوا بالذهاب في التيه والتمادي في سيرهم حائرين، لا يدرون كيف يتوجهون فيه إلى مقصد، مُدّة أربعين سنة، عقوبة لهم على تفريطهم في أمر الله، فلما نكل بنو إسرائيل عن طاعة الله ومتابعة رسول الله موسى ﷺ حرضهم رجلان لله عليهما نعمة عظيمة، وهما ممن يخاف أمر الله ويخشى عقابه، وقالوا متى توكلتم على الله واتبعتم أمره؛ ووافقتم رسوله نصركم الله على أعدائكم وأيدكم وأظفركم بهم، ودخلتم البلدة التي كتبها الله لكم. فلم ينفع ذاك فيهم شيئًا.

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾



رفض بنو إسرائيل الدخول لبيت المقدس، ونكلوا عن الجهاد وقعدوا، ولكن ما أحسن ما قال الصحابة يوم بدر لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلًا إنا معكما مقاتلون، فلما نكل بنو إسرائيل عن القتال غضب عليهم موسى ﷺ، وقال داعيًا عليهم رب ليس أحد يطيعني منهم فيمتثل أمر الله، ويجيب إلى ما دعوتَ إليه إلا أنا وأخي هارون، فاقض بيني وبينهم، وافتح بيننا وبينهم، وافصل بيننا وبينهم؛ فاستجاب الله لنبيه ﷺ، فحكم الله عليهم بتحريم دخولها قدرًا مدة أربعين سنة، فوقعوا في التيه يسيرون دائمًا لا يهتدون للخروج منه، وفيه كانت أمور عجيبة، وخوارق كثيرة، من تظليلهم بالغَمام وإنزال المن والسلوى عليهم، ومن إخراج الماء الجاري من صخرة صماء.

وجاءت التسلية لموسى ﷺ عنهم، بأن لا يحزن عليهم ولا يتأسف فيما حكم الله عليهم به فإنهم يستحقون ذلك، وبعد أن ذكر الله بني إسرائيل -البغاة الحسدة، إخوان الخنازير والقردة وأمثالهم وأشباههم- ذكر خبر ابني آدم، وهما هابيل وقابيل على الحقيقة والأمر الذي لا لبس فيه ولا كذب، ولا وَهْم ولا تبديل، ولا زيادة ولا نقصان، موضحًا عاقبة البغي والحسد والظلم في خبر ابني آدم لصلبه كيف عدا أحدهما على الآخر، فقتله بغيًا عليه وحسدًا له، فيما وهبه الله من النعمة وتَقَبّل القربان الذي أخلص فيه لله ﷻ، ففاز المقتول بوضع الآثام والدخول إلى الجنان، وكان خبرهما، أن الله تعالى قد شرع لآدم ﷺ أن يزوج بناته من بنيه لضرورة الحال، ولكن قالوا: كان يُولَد له في كل بطن ذكر وأنثى، فكان يزوج أنثى هذا البطن لذكر البطن الآخر، وكانت أخت هابيل دَميمةً، وأخت قابيل وضيئةً، فأراد أن يستأثر بها على أخيه، فأبى آدم ذلك إلا أن يقربا قربانًا، فمن تقبل منه فهي له، فقربا فَتُقُبِّل من هابيل ولم يَتَقَبَّل من قابيل، فكان من أمرهما أن حسد قابيل أخاه في قبول قربانه وقال لأقتلنك.

فرد عليه أخوه إنما يتقبل الله ممن اتقى الله في فعله، لئن مددت يدك لتقتلني فلا أقابلك على صنيعك الفاسد بمثله، فأكون أنا وأنت سواء في الخطيئة، بل أخاف وعيد الله في جزاء من يقتل مؤمنًا بغير حق، فأمتنع من قتلك فتتحمل إثم قتلي وإثمك الذي عليك قبل ذلك. فيكون عليك خطيئتي ودمي، فتبوء بهما جميعًا.

وخوفه النار فلم ينته ولم ينزجر، فحسنَّت وسوّلت له نفسه وشجعته على قتل أخيه فقتله بحديدة في يده بعد هذه الموعظة وهذا الزجر.

فلما مات تركه بالعَرَاء، ولا يعلم كيف يدفنه، فسُقِط في يديه، وذلك أنه كان أول قتيل في بني آدم وأول ميت، فبعث الله غرابين أخوين، فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه، فحفر له ثم حثى عليه، فلما رآه ندم وظهر له عجزه وضعفه وقلة حيلته، فكان الغراب أعلم منه وأبصر في كيفية الدفن، فدفن جثة أخية وأصبح من النادمين على فعلته.

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

لما قَتْل ابن آدم أخاه ظلما وعدوانًا، شرع الله لبني اسرائيل والأمم بعدهم أن من قتل نفسًا بغير سبب من قصاص، أو فساد في الأرض، واستحل قتلها بلا سبب ولا جناية، فكأنما قتل الناس جميعًا؛ لأنه لا فرق عند الله بين نفس ونفس، ومن حرم قتلها واعتقد ذلك، فقد سلم الناس كلهم منه بهذا الاعتبار، فمن لم يقتل نفسًا حَرّمها الله، فهو كالذي أحيا الناس جميعًا، ومن استحل دمَ مُسْلِم فكأنما استحل دماء الناس جميعًا، ومن حرم دم مسلم فكأنما حرم دماء الناس جميعًا.

وقد جاءت بني إسرائيل الحجج والبراهين والدلائل الواضحة على أيدي الرسل فلم يلتزموا بما أمروا ولم يقفوا عند حدود الله، وإنما أسرفوا في القتل فيما بينهم، والإفساد في الأرض.

وجزاء من حارب الله ورسوله وسعى في الأرض الفساد حد الحرابة، فمن قتل وأخذ المال فجزاؤه القتلُ والصلب، حتى يشتهر ويرتدع غيرهم، وإن قتل ولم يأخذ المال فجزاؤه القتل فقط، وإن أخذ المال ولم يقتل فجزاؤه أن تقطع يديه وأرجله من خلاف، اليد اليمنى والرجل اليسرى، وإن أخاف الناس ولم يقتل، ولم يأخذ المال نفي من الأرض، فلا يترك يأوي في بلد حتى تظهر توبته، وهذه العقوبة عار عليهم في الدنيا، والآخرة فيها العذاب الشديد، ومن تاب قبل القبض عليه، امتنع من إقامة حد الحرابة عليه.

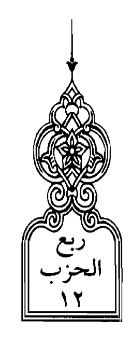
وعلى المسلم التزام التقوى والتمسك بالطاعة والكف عن المحارم وترك المنهيات، والتوسل الى الله بطاعته، وابتغاء مرضاته فيتقرب العبد إلى الله بالإخلاص والمتابعة والعمل الصالح.

ومن طاعته قتال الأعداء من الكفار والمشركين الخارجين عن الطريق المستقيم، التاركين للدين القويم، فقد أعد الله للمجاهدين في سبيله يوم القيامة، من الفلاح والسعادة العظيمة الخالدة المستمرة التي لا تَبِيد ولا تَحُول ولا تزول في الغرف العالية الرفيعة الآمنة، الحسنة مناظرها، الطيبة مساكنها، التي من سكنها يَنْعَم ولا ييأس، ويحيا ولا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه.

قد أعد الله لأعدائه الكفار العذاب والنكال يوم القيامة، ولو أن أحدهم جاء يوم القيامة بملء الأرض ذهبًا، وبمثله ليفتدي بذلك من عذاب الله الذي قد أحاط به وتيقن وصوله إليه ما تُقُبل ذلك منه بل لا مندوحة عنه ولا محيص له ولا مناص.

بل طلب منه في الدنيا أقل من ذلك فكذب وأبى، وبهذا نعلم أن الكفار لا نصيب لهم في الآخرة إلا العذاب الأليم.

يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٤١﴾



الكفار مخلدون أبد الآباد في النار التي لا تفنى ولا تبيد، يريدون الخروج مما هم فيه من شدة العذاب وأليم مسه، ولا سبيل لهم إلى ذلك، كلما رفعهم اللهب فصاروا في أعالي جهنم، ضربتهم الزبانية بالمقامع من الحديد، فيردونهم إلى أسفلها، وعذابهم دائم مستمر لا خروج لهم منها، ولا محيد لهم عنها.

وقد حفظت شريعة الإسلام أموال الناس، فشرع حد السرقة حفاظًا على أموال الناس فتقطع يد السارق من المفصل وتكون الكف اليمنى إذا سرق من حرز يحفظ المال بمثله وبلغ نصاب السرقة وهو ربع دينار.

وهذا الحد مجازاة على صنيع السارق والسارقة السِّيِئ في أخذهما أموال الناس بأيديهم، فناسب أن يقطع ما استعانا به في ذلك؛ تنكيلًا من الله بهما على ارتكاب ذلك والله عزيز في انتقامه حكيم في أمره ونهيه وشرعه وقدره، ومن تاب بعد سرقته وأناب إلى الله، فإن الله يتوب عليه فيما بينه وبينه، فأما أموال الناس فلا بد من ردها إليهم، والله هو المالك لجميع خلقه، الحاكم فيهم، لا مُعَقِّبَ لحكمه، وهو الفعال لما يريد، يغفر للتائبين والمستغفرين، ويعذب الكافرين المعاندين وهو قادر عليهم جميعًا.

وأما المنافقون المسارعون في الكفر، الخارجون عن طاعة الله ورسوله، المقدمون آراءهم وأهواءهم على شرائع الله ﷻ، الذين أظهروا الإيمان بألسنتهم، وقلوبهم خراب خاوية منه، وحلفاؤهم من أعداء الإسلام وأهله، هؤلاء كلهم لن يضروا الإسلام شيئًا، ولا نبي الإسلام ﷺ، فلا يستحقون حزن النبي ﷺ عليهم لأنهم يستجيبون للكذب، ويفتعلونه وينقلون كلام الرسول ﷺ لآخرين من أعداء الإسلام، ويتأولون الكلام على غير تأويله، ويبدلونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون.

ويغيرون أحكام الله التي نزلت في الكتب السابقة، ومن ذلك تغير حكم الرجم في التوراة ويقولون ائتوا محمدًا فإن أفتاكم بالتحميم، وهو(تسويد الوجه) والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا.

ومن أراد الله كفره وضلالته، و هلاكه، وعذابه، فلن يقدر أحد على دفع أمر الله فيه، لأن الله لم يرد قدرًا لهم الإيمان، وعقوبتهم في الدنيا الخزي، فخزي المنافقين الفضيحة وهتك الستر بإظهار نفاقهم، وخزي اليهود الجزية والقتل والسبي والنفي، ورؤيتهم من النبي ﷺ وأصحابه فيهم ما يكرهون، وفي الآخرة الخلود في النار.

سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾

اليهود من أخبث الخلق وهم في حكمهم يسمعون الكذب ويأكلون الرشوة، وقد خيّر الله تعالى رسوله ﷺ في الحكم بينهم إن شاء حكم وإن شاء ترك؛ لأنهم لا يقصدون بتحاكمهم إلى النبي ﷺ اتباع الحق، بل ما وافق هواهم، وإذا حكم بينهم، فليحكم بالحق والعدل وإن كانوا ظلمة خارجين عن طريق العدل.

ومن جهلهم و إعراضهم تركهم حكم التوارة، وهي التي يعتقدون صحتها و يزعمون أنهم مأمورون بالتمسك بها أبدًا، ثم خرجوا عن حكمها وعدلوا إلى غيرها، مما يعتقدون في نفس الأمر بطلانه وعدم لزومه لهم، فهذه التوراة فيها حكم الله تعالى من الرجم وغيره، وقد حكم بها النبيون الذين بعثوا من بعد موسى ﷺ، وقد أسلموا لحكم التوراة وحكموا بها، والعلماء من بعدهم، الذين وكل الله لهم حفظ التوارة، ولكن بعضهم غير وبدل، فالعلماء شهداء على الحق وعليهم خوف الله وخشيته، ولا يخافون الناس ويخشونهم، فلا تأخذهم في الله لومة لائم، فلا يحكمون بغير ما أنزل الله رغبة في الدنيا ومحاباة لأحد، فالحكم بغير ما أنزل الله من أعمال الكفار، وقد يكون كفرا يخرج من الملة، وذلك إذا اعتقد حله وجوازه وفضله على حكم الله، أو اعتقد أنه مساوٍ لحكم الله، وقد يكون كبيرة من كبائر الذنوب، إذا دفعه الهوى أو الرغبة في الدنيا أو محاباة أحد، وهو يعتقد حرمته.

ومما نزل من التوراة وجاءت شريعة الإسلام به، أن النفس بالنفس، فمن قَتل عمدًا قُتل قصاصًا، ومن فقأ عين أحد عمدًا فقئت عينه، ومن قطع أنف أحد قطع أنفه، و من قطع أذن أحد قطعت أذنه، ومن كسر سن أحد كسرت سنه، وما كان دون ذلك في الجراحات فيقتص من الجاني إذا أمن التعدي في القصاص، ومن لم يحكم بهذا الحكم وعدل عنه فهو ظالم لم ينصف المظلوم من الظالم في الأمر الذي أمر الله بالعدل والتسوية بين الجميع فيه.

والله ﷻ أنزل القرآن الكريم ليعمل به ويتحاكم إليه، ففيه تنظيم حياة الناس، وفيه مصدر عزهم ومكانتهم وسر قوتهم وانتصارهم على أعدائهم، ومتى تعلم الأمة أن التقدم والرقي هو بالكتاب العزيز، وبشرع الله المطهر، وبتحكيم الشريعة الغراء، ولم تتخلف الأمة وتهون، ويتسلط عليها أعداؤها إلا لما نبذت كتاب الله واستغنت بالقوانين الوضعية، وسعت تلهث وراء بريق الحضارات الزائفة، فلم تجن نصرًا، ولا رقيًا ولا تقدمًا، وإنما جنت الويلات والحروب الطاحنة والتفرق والتناحر والتباغض، أين الأمة من كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ؟ ففيهما المخرج من كل الفتن والمحن والمصائب، وفيهما الحياة الطيبة والسعيدة في ظل الشريعة السمحة، فيا ليت قومي يعلمون!.

وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ
ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ
يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلۡيَحۡكُمۡ
أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ
بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا
عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ
عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ
وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ
ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ
بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم
بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكۡمَ
ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

جاء نبي الله عيسى ﷺ بعد أنبياء بني إسرائيل، مؤمنًا بالتوراة، وحاكمًا بها فيها، وأنزل الله عليه الإنجيل هدى إلى الحق، ونورًا يستضاء به في إزالة الشبهات وحل المشكلات، متَّبعًا للتوراة غير مخالف لما فيها، إلا في القليل مما بين لبني إسرائيل بعض ما كانوا يختلفون فيه، وأحل الله لهم في الإنجيل ما حرم عليهم في التوراة.

وكان الإنجيل هُدًى يهتدى به، وزاجرًا عن ارتكاب المحارم والمآثم لمن اتقى الله وخاف وعيده وعقابه، والواجب الحكم بالإنجيل والإيمان بجميع ما فيه، والقيام بها أمروا به فيه، ومما فيه البشارة ببعثة محمد ﷺ والأمر باتباعه وتصديقه إذا وجد، ومن ترك حكم الله الذي أنزل على عباده فهو الخارج عن طاعة ربه، المائل إلى الباطل، التارك للحق، وكتاب الله القرآن هو خير الكتب وأشرفها، فقد أنزله الله بالصدق الذي لا ريب فيه وهو من عند الله، فالكتب المتقدمة تضمنت ذِكْرَه ومَدْحَه، وأنه سينزل من عند الله على عبده ورسوله محمد ﷺ، فكان نزوله كما أخبرت به، مما زادها صدقًا عند حامليها من ذوي البصائر، الذين انقادوا لأمر الله واتبعوا شرائع الله، وصدقوا رسل الله، فهو كتاب الله، أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، أنزله آخر الكتب وخاتمها، فكان أشملها وأعظمها وأحكمها حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره؛ فلهذا جعله شاهدًا وأمينًا وحاكمًا عليها كلها، وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة، وأُمر النبي ﷺ بالحكم بين الناس عَرَبِهم وعجمهم، أُميهم وكتابيِّهم بما أنزل الله إليه في هذا الكتاب العظيم، ولا يتبع آراءهم التي اصطلحوا عليها، وتركوا بسببها ما أنزل الله على رسوله، ولا ينصرف عن الحق الذي أمره الله به إلى أهواء هؤلاء من الجهلة الأشقياء، ولكل أمة سبيلًا وسنة، سبيلًا إلى المقاصد الصحيحة، وسنة طريقًا ومسلكًا واضحًا بينًا، ولو شاء الله لجمع الناس كلهم على دين واحد وشريعة واحدة، لا ينسخ شيء منها، ولكنه تعالى شرع لكل رسول شرْعة على حدَة، ثم نسخها أو بعضها برسالة الآخر الذي بعده حتى نسخ الجميع بما بعث به عبده ورسوله محمدًا ﷺ الذي ابتعثه إلى أهل الأرض قاطبة، وجعله خاتم الأنبياء كلهم، وشرع الله الشرائع مختلفة، ليختبر عباده فيما شرع لهم، ويثيبهم على طاعته، أو يعاقبهم على معصيته بما فعلوه أو عزموا عليه، وعلى العباد المسارعة إلى الخيرات والمبادرة إليها، فإلى الله المرجع والمعاد إليه يوم القيامة فيخبرهم بما اختلفوا فيه من الحق، فيجزي الصادقين بصدقهم، ويعذب الكافرين الجاحدين المكذبين بالحق، العادلين عنه إلى غيره بلا دليل ولا برهان، بل هم معاندون للبراهين القاطعة، والحجج البالغة، والأدلة الدامغة، وحذر الله نبيه ﷺ والتحذير لأمته من بعده أن يدلسوا عليه الحق فيما يُنْهُونه إليه من الأمور، فلا يغتر بهم، فإنهم كَذبة كَفَرة خونة فإن تولوا عما يحكم به بينهم من الحق، وخالفوا شرع الله فإن الله يصرفهم عن الهدى لما هم عليه من الذنوب السالفة التي اقتضت إضلالهم و نكالهم، وما أكثر الناس الخارجين عن طاعة ربهم، المخالفين للحق، ولكنهم يريدون حكم الجاهلية، وعن حكم الله يعدلون، ومن أعدل من الله في حكمه لمن عَقل عن الله شرعه، وآمن به وأيقن وعلم أنه تعالى أحكم الحاكمين، وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء، القادر على كل شيء، العادل في كل شيء.

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

الولاء للمؤمنين والبراءة من المشركين عقيدة ثابتة راسخة، لا تغيرها الأيام ولا الأعوام، وقد نهى الله تعالى عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى، الذين هم أعداء الإسلام وأهله، قاتلهم الله، وأخبر أن بعضهم أولياء بعض، والموالاة وهي المحبة والمودة من كبائر الذنوب، وأما التولي فهو مناصرة الكفار ضد المسلمين وهو كفر مخرج من الملة، فالمسلمون يوادُّون المؤمنين ويتبرؤن من المشركين، أما المنافقون الذين في قلوبهم شك وريب ونفاق يبادرون إلى موالاتهم ومودتهم في الباطن والظاهر، ويتأولون في مودتهم وموالاتهم أنهم يخشون أن يقع أمر من ظفر الكفار بالمسلمين، فتكون لهم أياد عند اليهود والنصارى، فينفعهم ذلك، فإذا جاء أمر الله فهزم المشركون وضربت الجزية على أهل الكتاب، حينئذ يندم الذين والوا اليهود والنصارى من المنافقين فلم يُجْد عنهم شيئًا، ولا دفع عنهم محذورًا، بل كان عين المفسدة، فإنهم فُضِحوا، وأظهر الله أمرهم في الدنيا لعباده المؤمنين.

فيقول الذين آمنوا حين يظهر نفاق المنافقين، أهؤلاء الذين حلفوا بالله أغلظ الأيمان إنهم مؤمنون؟ فقد بطل كل خير عملوه، وخسروا الدنيا بافتضاحهم، والآخرة بالعذاب وفوات الثواب، والله غني عن عباده فمن تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته، ورجع عن الحق إلى الباطل، فإن الله يستبدل به من هو خير للإسلام منه وأشد منعة وأقوم سبيلا.

ومن صفات المؤمنين أنهم أرقاء رحماء، على المؤمنين، يتواضعون لإخوانهم وهم مع الكفار أشداء غلاظ يعادونهم ويغالبونهم، يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ لا يخافون في الله لوم الناس، فلا يردهم عما هم فيه من طاعة الله، وقتال أعدائه، وإقامة الحدود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يردهم عن ذلك راد، ولا يصدهم عنه صاد، لا يؤثر فيهم لوم لائم ولا عذل عاذل.

وأما المنافقون فإنهم يراقبون الكفار ويخافون لومهم، وذلك من فضل الله على المؤمنين وتوفيقه لهم، والله واسع الفضل، عليم بمن يستحق ذلك ممن يَحْرمه إياه.

والمؤمنون وليهم الله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة- التي هي أكبر أركان الإسلام، وهي له وحده لا شريك له- ويؤتون الزكاة التي هي حق المخلوقين ومساعدة للمحتاجين من الضعفاء والمساكين، وهم متذللون لله تعالى خاضعون له، ومن كان الله وليه والمؤمنون فهو مفلح في الدنيا والآخرة ومنصور في الدنيا والآخرة.

فلا يتخذ أهل الإيمان الذين يتخذون دين الله هزوًا ولعبًا، ويستهزؤن بشعائر الإسلام، من اليهود والنصارى والمشركين أولياء، فمن التقوى اجتناب الكفار والبعد عن طرقهم.

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا
بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ
هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ
عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ
مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا
وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ
﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ
ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ
وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ
يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ
بِمَا قَالُواْۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا
مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًاۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ
وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُۚ
وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

الكفار من ضعف عقولهم، وجهلهم، يتسهزئون بدين الله، ومن ذلك فريضة الصلاة، وما علموا أن ذلك الدين هو صلاح قلوبهم وصلاح دنياهم، وما ينقم هؤلاء الجهال الخارجون عن الطريق المستقيم من اتخاذ الدين هزوًا ولعبًا، أيستهزئون بالدين الحق من الإيمان بالله والرسل؟ فهم أحق أن يستهزأ بهم فهم الضالون المتصفون بالإبعاد من رحمة الله واستحقاق غضب الله غضبًا لا يرضى بعده أبدًا، ومسخهم قردة وخنازير، ويصرفون العبادة للطواغيت، فهم في شر حالة في الدنيا والآخرة وأضل عن الصراط المستقيم، ويظهرون الإيمان نفاقًا ومكرًا، وهم لم يخرجوًا من الكفر.

والله عالم بسرائرهم وما تنطوي عليهم ضمائرهم وإن أظهروا لخلقه خلاف ذلك، وتزينوا بما ليس فيهم، فإن عالم الغيب والشهادة أعلم بهم منهم، وسيجزيهم على ذلك أتم الجزاء.

وهم يبادرون إلى تعاطي المآثم والمحارم والاعتداء على الناس، وأكلهم أموالهم بالباطل، فبئس العمل عملهم وبئس الاعتداء اعتداؤهم، ولو قام أهل العلم منهم بدورهم ونهوهم عن أفعالهم المحرمة، وأقوالهم الكفرية.

فقد وصفوا الله تعالى عن قولهم علوًا كبيرًا، بأنه بخيل، ووصفوه بأنه فقير وهم أغنياء، وعبروا عن البخل بأن يد الله موثقة، وقد رد الله ﷻ عليهم ما قالوه، وقابلهم فيما اختلقوه وافتروه، بأن أيديهم هي المغلولة، فإن عندهم من البخل والحسد والجبن والذلة، وستغل يوم القيامة.

وطردوا من رحمة الله وعُذِّبوا، فمُسخوا قردة وخنازير، وضربت عليهم الذلة والمسكنة في الدنيا وفي الآخرة بالنار.

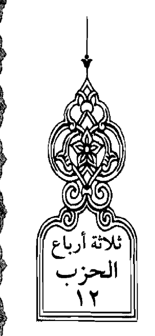
ويد الله صفة من صفاته كالسمع، والبصر والوجه، على ما يليق بجلال الله وعظمته من غير تكييف ولا تعطيل ولا تمثيل.

والله واسع الفضل، جزيل العطاء، كل شيء عنده خزائنه، وما بخلقه من نعمة فمنه وحده لا شريك له، الذي خلق لهم كل شيء مما يحتاج إليه العباد، في ليلهم ونهارهم، وحضرهم وسفرهم، وفي جميع أحوالهم، يرزق عباده، في جميع الأحوال والأزمان.

وأما الذين أضلهم الله كلما نزلت آية كفروا بها وازدادوا طغيانًا وكفرًا، ومن عقاب الله لهم أن جعلهم متباغضين متنازعين، كلما أجمعوا أمرهم ليفسدوا أمر الإسلام وأوقدوا نار المحاربة أطفأها الله، فردهم وقهرهم ونصر نبيه ودينه.

ومن صفاتهم السعي في الأرض الفساد، وإشاعة الفاحشة، وإفساد الخلق، وتلك مخططات اليهود

وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ
سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ
ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن
فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ
سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ
مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ
مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ
ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ
وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ
إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ
﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ
مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ
عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ
إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا
لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ ﴿٧٠﴾



أهل الكتاب لو أمنوا برسالة الإسلام وصدقوا النبي ﷺ، وعملوا بما في الكتب التي بأيديهم عن الأنبياء، على ما هي عليه، من غير تحريف ولا تغيير ولا تبديل، لقادهم ذلك إلى اتباع الحق والعمل بمقتضى ما بعث الله به محمدًا ﷺ، فإن كتبهم ناطقة بتصديقه والأمر باتباعه حتمًا لا محالة.

ولوجدوا بذلك كثرة الرزق النازل عليهم من السماء والنابت لهم من الأرض، من غير كَدٍّ ولا تعب ولا شقاء ولا عناء، فطاعة الله تستجلب بها النعم وتدفع بها النقم.

وأهل الكتاب منهم المتبعون لمنهج الأنبياء ومنهم من ضل عن منهج الأنبياء، ويأمر الله عبده ورسوله محمدًا ﷺ بإبلاغ جميع ما أرسله الله به، وقد امتثل صلوات الله وسلامه عليه ذلك، وقام به أتمّ القيام، وإلا لم يفعل ما أمر به، لم يبلغ رسالة ربه، والأمر للنبي ﷺ ولمن بعده من ورثته من العلماء الذين يبلغون شريعة الله، والله حافظ نبيه وناصره ومؤيده على أعدائه، فلن يصل أحد منهم إليه بسوء يؤذيه.

ومن عصمة الله ﷻ لرسوله حفْظُه له من أهل مكة وصناديدها وحسادها ومُعَانديها ومترفيها، مع شدة العداوة، ثم قيض الله له الأنصار فبايعوه على الإسلام، ولما صار إليهم حَمَوه من الأحمر والأسود، فكلما هَمَّ أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء كاده الله ورد كيده عليه، وبعد نزول هذه الآية لم يتخذ الرسول ﷺ الحرس.

وأما أهل الكتاب فإنهم ليسوا على شيء من الدين، حتى يؤمنوا بجميع ما بأيديهم من الكتب المنزلة من الله على الأنبياء، ويعملوا بما فيها، ومما فيها الأمر باتباع بمحمد ﷺ والإيمان بمبعثه، والاقتداء بشريعته، والإيمان بالقرآن العظيم، ولكنهم لم يزدادوا إلا كفرًا وعنادًا بآيات القرآن، فلا حزن عليهم لأن الله كتب لهم الضلالة

و كل فرقة من المسلمين أو اليهود أو النصارى أو المجوس آمنت بالله، و المعاد والجزاء يوم الدين، وعملت عملا صالحًا، لا يكون ذلك نافعا لها حتى يكون موافقًا للشريعة المحمدية بعد إرسال صاحبها المبعوث إلى جميع الثقلين فمن آمن بذلك فلا خوف عليه يستقبله، ولا حزن على ما يتركه وراء ظهره.

واليهود أخذ الله عليهم العهود والمواثيق، بالسمع والطاعة لله ولرسوله، فنقضوا تلك العهود والمواثيق، واتبعوا آراءهم وأهواءهم وقدموها على الشرائع، فما وافقهم منها قبلوه، وما خالفهم ردوه، فيقتلون فريقا ويكذبون فريقا من الرسل حسب أهوائهم.

وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾

من العقوبات العاجلة لليهود على أفعالهم في تكذيب الأنبياء وقتلهم أنهم عموا عن الحق وصَمُّوا، فلا يسمعون حقًا، ولا يهتدون إليه، وتاب الله عليهم ولكنهم لم يتركوا ما كانوا عليه من الإعراض فعوقبوا بالعمى والصمم من سماع الحق وقبوله، والله مطلع عليهم وعليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية، وأما النصارى فقد ادعوا بأن المسيح هو الله، تعالى الله عن قولهم وتنزه وتقدس علوًا كبيرًا.

والمسيح أخبرهم بأنه عبد الله ورسوله، وكان أول كلمة نطق بها وهو صغير في المهد أنه عبدالله، ودعاهم في حال نبوته، آمرًا لهم بعبادة الله ربه وربهم وحده لا شريك له، وترك الشرك الذي يحرم دخول الجنة ويوجب الخلود في النار.

ومن كفر النصارى وضلالهم عقيدة التثليث في جعلهم المسيح وأمه إلهين مع الله، فجعلوا الله ثالث ثلاثة، بل الله إله واحد لا شريك له، إله جميع الكائنات وسائر الموجودات.

فإن لم ينته النصارى عن هذا، فلهم العقوبة يوم القيامة، فالواجب التوبة من قولهم ومن غيره، وتوحيد الله وإفراده بالعبادة، والاعتراف برسالة محمد ﷺ كما أمرهم المسيح ﵇، والتوبة من الشرك من آكد الواجبات، لأن التوبة من الشرك تنقل الإنسان من النار إلى الجنة، والمسيح عيسى بن مريم ﵇ سينزل آخر الزمان ويدين بالإسلام، ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ولا يرضى إلا الإسلام، والمسيح مثل سائر الرسل المتقدمين عليه، وهو عبد من عباد الله ورسول من رسله الكرام، وأمه صدَّقت بآيات الله، مؤمنة بالمسيح مصدِّقة له، وهذا أعلى مقاماتها فدل على أنها ليست بنبيَّة، وليس لهما من خصائص الألوهية شيء، بل لهم خصائص البشر يحتاجان إلى الغذاء، وإلى خروجه منهما، فهما عبدان كسائر الناس وليسا بإلهين كما زعمت فرق النصارى.

والله سبحانه أوضح البراهين على بشرية المسيح وأمه، ومع ذلك لم يرجعوا عن قولهم بعد هذا البيان والوضوح والجلاء فهم يُصرفون عن الحق إلى الباطل، فهم يعبدون بشرا لا يستطيعون نفع أنفسهم، فكيف ينفعون غيرهم؟ ويَدَعون أحسن الخالقين الذي انفرد بالضر والنفع والعطاء والمنع، وهو الذي لا تخفى عليه خافية بجميع الأصوات باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات.

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾



الغلو وتجاوز الحد سبب للشرك، فالمبالغة في التعظيم، يخرج عن حَيِّز البشرية إلى مقام الإلهية، كما صنع النصارى في المسيح، وهو نبي من الأنبياء، فجعلوه إلهًا من دون الله، وما ذاك إلا لاقتدائهم بمن سلفهم ممن ضل قديمًا، وخرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال، إلى طريق الغواية والضلال، واتباع الأهواء سبب للضلال، وقد نهى النبي ﷺ عن إطرائه كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، وقال: إنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أصول الدين، ولا تستقيم الحياة إلا بهذا الأصل وقد طرد الله من رحمته الكافرين من بني إسرائيل، فيما أنزل على داود نبيه ﷺ، وعلى لسان عيسى ابن مريم، بسبب عصيانهم لله واعتدائهم على خلقه، كان لا ينهى أحد منهم أحدًا عن ارتكاب المآثم والمحارم، فبئس العمل عملهم في عمل المعاصي والسيئات وتركهم النهي عن المنكر، فإن المنكر إذا ظهر ولم ينكر عمت العقوبة ورُدَّ الدعاء ومن اليهود من يتولى المشركين، والمنافقون يتولون اليهود والذين أشركوا فبئس ما قدموا لآخرتهم موالاتهم للكافرين، وتركهم موالاة المؤمنين، التي أعقبتهم نفاقًا في قلوبهم، وجعلتهم في النار معهم يوم القيامة وأسخطت الله عليهم سخطًا مستمرًا إلى يوم معادهم؛ وسخط الله صفة من صفات الله الفعلية على ما يليق بجلال الله وعظمته من غير تكييف ولا تعطيل ولا تمثيل.

ولو أن اليهود والمنافقين آمنوا حق الإيمان بالله وبالرسول والفرقان لما ارتكبوا ما ارتكبوه من موالاة الكافرين في الباطن، ومعاداة المؤمنين بالله والنبي، وما أنزل إليه، ولكنهم خارجون عن طاعة الله ورسوله مخالفون لآيات وحَيْه وتنزيله.

و كفر اليهود عناد وجحود ورد للحق، وغَمْط للناس وتَنَقص بحملة العلم، ولهذا قتلوا كثيرًا من الأنبياء حتى هموا بقتل رسول الله ﷺ غير مرة وسحروه، وألَّبوا عليه أشباههم من المشركين، فهم أشد الناس عداوة لأهل الإسلام، فهم وأهل الشرك سواء في العداوة والبغضاء والكيد للإسلام وأهله.

وأما أتباع المسيح ومن على منهاج إنجيله، ففيهم مودة للإسلام وأهله في الجملة، وما ذاك إلا لما في قلوبهم، إذ كانوا على دين المسيح من الرقة والرأفة، فالغالب إسلامهم وإيمانهم، لكن الذين يدعون أنهم نصارى اليوم ليسوا أتباع المسيح لتحريفهم وتضليلهم، والنصارى فيهم الخطباء والعلماء، والعباد، وفيهم العلم والعبادة والتواضع، والانقياد للحق واتباعه والإنصاف.

وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

النصارى في زمن النبوة إذا سمعوا القرآن دمعت عيونهم لما فيه مما عندهم من البشارة ببعثة محمد ﷺ فآمنوا بالقرآن وشهدوا بصحته، وسألوا ربهم أن يجعلهم مع محمد ﷺ، وأمته، فهم الشاهدون، يشهدون لنبيهم أنه قد بلغ، وللرسل أنهم قد بلغوا، وبذلك نعلم ضلال النصارى اليوم وبعدهم عن دين المسيح الذي يأمر بالتوحيد، ويوجب الإيمان بخاتم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وسبب إسلام النصارى، أنهم عرفوا صدق خاتم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وفضله، فطمعوا أن يكونوا من أمته، فجازاهم الله على إيمانهم وتصديقهم واعترافهم بالحق جنات ساكنين فيها أبدًا، لا يحولون ولا يزولون، وآتاهم أجورهم مرتين وهذا ثواب الذين يتبعون الحق وينقادون له حيث كان، وأين كان، ومع من كان.

أما الأشقياء الذين كذبوا وجحدوا بآيات الله وخالفوها فجزاؤهم النار هم أهلها والداخلون

فيها، ودين الإسلام دين الفطرة، أحل الحلال وحرم الحرام، فيحْرُم على المسلم أن يتعدى فيحرِّم ما أحل الله أو يحل ما حرم الله، وليس من الإسلام ترك الطيبات تقربًا وعبادة، بل أن سنته ﷺ الوسطية في كل الأمور فلا اعتداء ولا غلو ولا تشدد ولا إفراط ولا تفريط، فإن التنطع سبب للهلاك، والتشدد في دين الله انحراف عن الوسطية، والتمتع بالمباح يعين على التقوى، ويقوي على الطاعة.

والواجب على المسلم لزوم التقوى في جميع أموره، وإتباع طاعة الله ورضوانه، وترك مخالفته وعصيانه، ومن تقوى الله حفظ اليمين، وقد عفا الله عن اليمين من غير قصد؛ كقول الرجل في الكلام من غير قصد، لا والله، بلى والله، فيمين اللغو لا كفارة فيها ولا إثم، والواجب حفظ اليمين المقصودة وهي التي أراد الحالف انعقادها على أمر مستقبل، فكفارتها إذا حنث الحالف إطعام عشرة مساكين، كل مسكين نصف صاع مما يأكله الناس من قوت البلد، أو كسوة عشرة مساكين مما يسترهم في الصلاة، أو عتق رقبة مؤمنة فإن لم يستطع على إحدى هذه الثلاث انتقل إلى صيام ثلاثة أيام، والواجب حفظ اليمين وتعظيمها والوفاء بها، إلا إذا كان غيرها خير منها فليأت الذي هو خير ويكفر عن يمينه، ولا يجوز الحلف بغير الله فمن حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك، ولا يجوز الحلف كاذبًا ليقتطع مال امريء مسلم، وتسمى الغموس لأنها تغمس صاحبها بالإثم ثم تغمسه في النار، وليس لها كفارة، ويجب فيها التوبة، وإرجاع المظالم لأهلها، فتكون الأيمان على أنواع ثلاثة، اليمين اللغو وهذه لا كفارة فيها، واليمين المنعقدة وهذه تجب فيها الكفارة إذا خالف الحالف ما حلف عليه، واليمين الغموس وتجب فيها التوبة والاستغفار.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ
مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ
ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ
وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ
ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ
رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ
﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ
أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ
ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ
وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ
يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ
مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا
سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

من تقوى الله اجتناب ما حرم الله من الخمر وهو ما خامر العقل وغطاه وهي أم الخبائث، ومما حرم الله الميسر وهو المغالبة والمخاطرة تذهب الأموال والأوقات والعقول، ومن تقوى الله اجتناب أعمال الجاهلية من تعظيم الأصنام والاستقسام بالأزلام وطلب الحظ منها والقَسْم، والمسلم مأمور بالاستخارة، وهي سنة نبوية ثابتة فيها الفلاح والنجاح، والفوز في ترك ما حرم الله واجتنابه، فإن الله لا يحرم على عباده إلا ما فيه ضرر عليهم في العاجل والآجل، فالمحرمات لها أضرارها الدنيوية والأخروية، والتي لم يزل العلم الحديث يظهر ما سبقهم إليه الإسلام من قرون، ولم تزل الحضارات الحديثة تتسابق في استخدامها وتتنافس في اقترافها، بل تشرع استعمالها، ولا يزال الشيطان يوقع العدواة والبغضاء بين المسلم وأخيه بأنواع الشرور، ومن أسباب وقوع العداوات شرب الخمور التي فيها زوال العقول، وفي الميسر ذهاب الأموال والعقول، ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة التي هي عماد الدين، فيجب الانتهاء عن شرب الخمر واللعب بالميسر لما فيهما من الأضرار الدنيوية والأخروية، فإن من طاعة الله ترك ما حرم الله والوقوف عند حدوده، وارتكابها تولٍ عن حكم الله ورسوله ﷺ، وشرب الخمر والمسكر كبيرة من كبائر الذنوب، وقد شرع الحد لمن شربها، ولكن من شربها قبل تحريمها فلا إثم عليه، ومن مات قبل تحريم الخمر فلا حرج عليه لأنه شرب ما هو مباح له، وعمل بطاعة مولاه وأحسن في عمله، ومات مؤمنا بالله فهو من المحسنين، ومن الإحسان وتقوى الله مراقبة الله في السر والعلن، ومن ذلك ما حرم على المحْرِم من الصيد فقد يبتلى به الإنسان يمر بين يديه ويدخل عليه في رحله، ويستطيع صيده بيده أو برمحه، فيرده امتناعه عما حرم الله عليه فإن المحْرِم يحرم عليه صيد حيوانات البر ما دام حال الإحرام، ليظهر من يراقب الله في الغيب والشهادة، وكذا المسلم في جميع أحواله يراقب الله ﷻ، ويستثنى من ذلك خمس فَواسِق يُقْتَلْنَ في الحِلِّ والحَرَم الغُراب والحدأة، والعَقْرب، والفأرة، والكلب العَقُور وغيرهن مما هو مؤذٍ، ومن قتل الصيد مع ذكره لإحرامه، فإن عليه الجزاء، والجزاء ما كان له ما يماثله من بهيمة الأنعام فيخرج جزاء له، وما كان ليس له مثل فإن كان قضى به الصحابة فبما قضى به الصحابة ﷺ، وان لم يقض به الصحابة فيحكم به أهل الخبرة، فإن لم يجد المحرم مثل ما قتل من النَّعَم أو لم يكن الصيد المقتول من ذوات الأمثال فيقوَّم ويخرج بقيمته طعامًا للفقراء، فإن كان لا يستطيع الإطعام صام عن كل صاع يوما، وجزاء الصيد، والإطعام يكون لفقراء الحرم، والجزاء عقوبة دنيوية، فقد أوجبت عليه الكفارة ليذوق عقوبة فعله الذي ارتكب فيه المخالفة، ويعفو الله على من تاب من قتل الصيد، ومن فعل ذلك بعد تحريمه في الإسلام وبلوغ الحكم الشرعي إليه فينتقم الله منه، ومن تعمد مرة أخرى فإن عقوبته أشد، أما الناسي والجاهل فيعفو الله عنه، لأن الله عفا عن عباده الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه، والله سبحانه منيع في سلطانه لا يقهره قاهر، ولا يمنعه أحد من الانتقام ممن انتقم منه، ولا من عقوبة من أراد عقوبته؛ لأن الخلق خلقه، والأمر أمره، له العزة والمنعة ﷻ.

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

ربع الحزب ١٣

صيد البحر مما أباحه الله للمحْرِم، وكذلك ميتة البحر مباحة للمحرم وغيره، وأما صيد البر فيحرم على المحرم اصطياده، ومثله صيد الحَرَم، فلا يصاد داخل الحرم ولوكان الصائد حلالًا.

وقد جعل الله البيت الحرام قوامًا للناس في أمر دينهم ودنياهم، أما الدِّين لأن به يقوم الحج والمناسك، وأما الدنيا فيما يجبي إليه من الثمرات، وكانوا يأمنون فيه من الثأر والغارة، فلا يتعرض لهم أحد في الحرم، وكذلك الأشهر الحرم وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، يأمن فيها الناس القتال، والهدي وهو ما يهدى للحرم من بهيمة الأنعام فإذا قلدت بالقلائد من النعال والجلود يأمن الناس فلا يتعرض لهم أحد، فذلك القوام فيه.

والله يعلم صلاح العباد كما يعلم ما في السموات وما في الأرض، والله سبحانه شديد العقاب لمن عصاه، وغفور رحيم لمن تاب وأناب، ومهمة الرسل البلاغ وهداية الدلالة والتبليغ، وهداية التوفيق بيد الله، والله يعلم ما يُسِرُّ العباد وما يعلنون

والحلال والحرام لا يستويان، فالحلال طيب والحرام خبيث والله لا يحرم على عباده إلا الخبيث الذي يضرهم ولا ينفعهم، والقليل الحلال النافع خير من الكثير الحرام الضار، والعبرة بما ينفع في الدنيا والآخرة وليس بالكثرة، والفلاح بالأخذ بالحلال وترك الحرام والقناعة بالحلال والاكتفاء به، ونهي الصحابة ﭫ عن السؤال تعنتًا وتعجيزًا، ونهوا عن السؤال عند نزول القرآن لأنها إن أظهرت لهم تلك الأمور ربما ساءتهم وشق عليهم سماعها.

فقد سأل هذه المسائل المنهي عنها قومٌ ممن سبق، فأجيبوا عنها ثم لم يؤمنوا بها، فأصبحوا بها كافرين، فلم ينتفعوا بها لأنهم لم يسألوا على وجه الاسترشاد، وإنما سألوا على وجه التعنت والعناد.

ومن تعنت أهل الجاهلية وابتداعهم، ما ابتدعوه في بهيمة الأنعام، فابتدعوا البحيرة وهي التي يُمْنَعُ درّها بل تكون للطواغيت، فلا يَحْلبها أحد من الناس، والسائبة وهي التي كانوا يسيبونَها لآلهتهم، لا يُحمل عليها شيء، والوصيلة وهي الناقة البكر، تُبَكّر في أول نتاج الإبل، ثم تُثَنّي بعد بأنثى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم، إن وصلت إحْدَاهما بالأخرى ليس بينهما ذَكَر. والحام وهو فحل الإبل يَضربُ الضرّابَ المعدود، فإذا قضى ضرابه تركوه للطواغيت، وأعفوه عن الحَمْل، فلم يُحْمَل عليه شيء، وسَمّوه الحامي، وكل ذلك ابتداع من عند أنفسهم، فافتروا على الله الكذب، وجعلوا ذلك دينًا وشرعًا لهم وقربة يتقربون بها إليه. وليس ذلك بحاصل لهم، بل هو وبال عليهم.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ
حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ
شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ
لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ
بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا
عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ
فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ
فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ ۙ
وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ
أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ
ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ
مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ
أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ
أَيۡمَٰنِهِمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

المشركون إذا دعوا إلى دين الله وشرعه وما أوجبه، وتَرْك ما حرمه، قالوا: يكفينا ما وجدنا عليه الآباءَ والأجداد من الطرائق والمسالك، ولو كان الآباء لا يفهمون حقًا، ولا يعرفونه، ولا يهتدون إليه، فكيف يتبعونهم فمن يتبعهم هو أجهل منهم، وأضل سبيلًا.

وعلى المسلم أن يصلح نفسه ويفعل الخير جهده وطاقته، ومن أصلح أمره لا يضره فساد من فسد من الناس، سواء كان قريبًا منه أو بعيدًا، إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه صلاح المجتمعات وحفظ لسفينة المجتمع من الغرق، وأمان من نزول العقوبات العاجلة

ومما شرعه الإسلام للمسلم الوصية، والاستعداد بها قبل نزول الموت ويُشهد على الوصية اثنان من ذوي العدالة، وإذا حضر الإنسان مقدماتُ الموت، فيتأكد له أن يوصي بوصيته، ويشهد عليها اثنان ذوي عدل ممن تعتبر شهادتهما، فإن لم يوجد أحد من المسلمين في حال كونه في سفر فيشهد من غير المسلمين، ويؤخذان ليؤكد عليهما الشهادة والقيام بها، ومن تعظيم الشهادة حبسهما بعد الصلوات التي يعظمونها ويقسمان بالصدق وأداء الشهادة بأمانة

ولا يكذبان فيها، لأجل عرض من الدنيا، ولا يراعيان قريبًا لأجل قرابته، ويؤديان الشهادة كما سمعاها وإن كتماها فهما من الآثمين، فإن وجد أولياء الميت من القرائن ما يدل على كذبهما وأنهما خانا، فليقم رجلان من أولياء الميت، وليكونا من أقرب الأولياء إليه، فيؤديان القسم أن الشاهدين كذبا، وغيرا وخانا، ويؤكدا ذلك بأنهما لم يظلما ولم يعتديا، ولم يشهدا بغير الحق، ويستحقان بعد ذلك ما يدعيانه.

والحكمة من تأكيد الشهادة، وردها إلي أولياء الميت حين تظهر من الشاهدين الخيانة حتى يقيما الشهادة بصدق وعدل، فإذا علما أنهما لا تقبل أيمانهما، ثم ترد إلى أولياء الميت، قاما بالشهادة بصدق وأمانة.

والمشروع للمسلم الاستعداد بالوصية ولا يؤخرها إلى قرب الموت بل لا ينام ليلة إلا ووصيته تحت رأسه، كما أمر بذلك النبي المعصوم ﷺ، والوصية تشتمل على تذكير الورثة بتقوى الله والأمر بطاعته، وذكر ما للإنسان من الحقوق عند الآخرين، وما للآخرين عليه من حقوق، حتى تبرأ ذمته،

وعلى المسلم أن يتقي الله في جميع أموره ويطيع الله في صغير وكبير، فمن عصى وخرج عن طاعة ربه فإن الله كتب عليه الضلال، وعليه العقاب يوم القيامة.

۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾

يوم القيامة، يوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين من عباده، ويخاطب الله به المرسلين يوم القيامة، عما أجيبوا به من أممهم الذين أرسلهم إليهم، فيقولون للرب ﷻ لا علم لنا، إلا ما علمتنا، فأنت أعلم بهم منا.

تأدبا مع الرب ﷻ فهم وإن كانوا يعرفون من أجابهم، لكن إنما يطلعون على الظواهر، ولا علم لهم ببواطنهم، وهو سبحانه العليم بكل شيء، المطلع على كل شيء.

وقد امتن الله على عبده ورسوله عيسى ابن مريم ﵇ مما أجراه على يديه من المعجزات وخوارق العادات، في خلقه من أم بلا ذكر، وجعله آية ودلالة قاطعة على كمال قدرة الله على الأشياء، وجَعله برهانًا على براءة أمه مما نسبه الظالمون الجاهلون إليها من الفاحشة، وأيده بجبريل ﵇، وجعله نبيًّا داعيًا إلى الله في صغره وكبره، فأنطقه في المهد صغيرًا، فشهد ببراءة أمه من كل عيب، واعترف لله بالعبودية، وأخبر عن رسالة الله له ودعوته إلى عبادة الله؛، وعلمه الله الخط والفهم والتوراة المنزلة على موسى بن عمران الكليم، ومن المعجزات التي أيد الله بها عيسى ﵇ تصويره وتشكيله للطين على هيئة الطائر بإذن الله فيكون طائرًا بإذن الله، بأن ينفخ في تلك الصورة التي شكلها بإذن الله، فتكون طيرًا ذا روح بإذن الله، ويمسح على الأعمى فيعود بصره، ويمسح على الأبرص فيعود جلده الحسن، ويدعوا الموتى فيقومون من قبورهم بإذن الله وقدرته، وإرادته ومشيئته، ومن نعمة الله على عيسى ﵇ أن كف الله عنه أذى اليهود إذ جاءهم بالبراهين والحجج القاطعة على نبوته ورسالته من الله إليهم، فكذبوه واتهموه بأنه ساحر، وسعوا في قتله وصلبه، فنجاه الله منهم، ورفعه الله إليه، وطهره من دنسهم، وكفاه شرهم، وهذا يدل على أن هذا الامتنان كان من الله إليه بعد رفعه إلى السماء الدنيا، أو يكون هذا الامتنان واقعًا يوم القيامة، وعبر عنه بصيغة الماضي دلالة على وقوعه لا محالة، وهذا من أسرار الغيوب التي أطلع الله عليها رسوله محمدًا ﷺ، ومن منن الله على عيسى ﵇ إلهامه الحواريين بالإيمان به ونصرته وتأييده، ومما امتن الله به على عبده ورسوله عيسى ﵇ إجابة دعائه بنزول المائدة، فأنزلها الله آية ودلالة معجزة باهرة وحجة قاطعة، فقد طلب أتباع عيسى ﵇ من عيسى فقالوا هل تستطيع أن تسأل ربك أن ينزل علينا مائدة، والمائدة هي الخوان عليه طعام، وسألوا ذلك لحاجتهم وفقرهم فسألوها في كل يوم يقتاتون منها، ويتقوون بها على العبادة، فأجابهم المسيح ﵇، قائلًا لهم اتقوا الله، ولا تسألوا هذا، فعساه أن يكون فتنة لكم، وتوكلوا على الله في طلب الرزق إن كنتم مؤمنين. فقالوا إنا محتاجون إلى الأكل منها، ونزداد إيمانًا بك وعلمًا برسالتك، ونشهد أنها آية من عند الله، ودلالة وحجة على نبوتك وصدق ما جئت به.

قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾

دعا عيسى عليه السلام ربه بأن ينزل عليهم المائدة ويتخذوا يوم نزولها عيدًا يعظمونه ويعظمه من بعدهم، ويكون نزولها دليلا على قدرته سبحانه على الأشياء، وعلى إجابته لدعوة نبيه عيسى عليه السلام، وهي رزق من الله هنيئًا بلا كلفة ولا تعب، فاستجاب الله دعوة نبيه عيسى عليه السلام لتكون آية لنبيه ومن كذب بها من أمة عيسى وعاندها فله العذاب الأليم الذي لا يعذبه الله أحدًا من عالمي زمانهم.

ويوم القيامة يوبخ الله النصارى الغلاة الذين اتخذوا المسيح وأمه إلهين من دون الله، فيخاطب الله تعالى عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام، قائلا له يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمه إلهين من دون الله، فيقول المسيح عليه السلام مسبّحًا الله ومنزهه عن تلك المقولة العظيمة ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق، فالربوبية حق لله تبارك وتعالى، وهذا الجواب في غاية التأدب مع الله.

وأظهر علم الله بكل شيء فقال إن كان صَدَرَ مني هذا فقد علمته يا رب، فإنه لا يخفى عليك شيء مما قلته ولا أردته في نفسي ولا أضمرته؛ ولم آمرهم إلا بتوحيد الله وتحقيق العبودية له وقد أعلم بأعمالهم لما كنت بين أظهرهم، ولما رفعت إلى الله كان المطلع عليهم الله تبارك وتعالى، والحفيظ عليهم.

وفي آخر الزمان إذا نزل المسيح عليه السلام يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام.

وفوض المسيح عليه السلام الأمر إلى ربه، إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز في الملك، الحكيم في القضاء لا ينقص من عزك شيء، ولا يخرج من حكمك شيء.

ويوم القيامة يوم ينفع المؤمنين أعمالهم الصالحة لهم الجنات التي تجري من تحتها الأنهار ماكثين فيها لا يَحُولون ولا يزولون، رضي الله عنهم ورضوا عنه.

وهذا هو الفوز الكبير الذي لا أعظم منه، ولله ملك السماوات والأرض وهو سبحانه الخالق للأشياء كلها، المالك لها، المتصرف فيها القادر عليها، فالجميع ملْكه وتحت قهره وقدرته وفي مشيئته، فلا نظير له ولا وزير، ولا عديل، ولا والد ولا ولد ولا صاحبة، فلا إله غيره ولا رب سواه.

سُورَةُ الأَنْعَام

ترتيبها ٦ آياتها ١٦٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾

سورة الأنعام

وهي سورة مكية، وسميت بالأنعام لذكر أنواع الأنعام فيها

نزلت سورة الأنعام جملة واحدة، وشَيَّعَها سبعون ألفًا من الملائكة، لهم زَجَلٌ بالتسبيح والتحميد، وقد بدئت السورة بالحمد والثناء على الله تعالى، فهو الذي خلق السموات والأرض وجعل الأرض قرارًا لعباده، وجعل الظلمات والنور منفعة لعباده في ليلهم ونهارهم ومع هذا كله كفر به بعض عباده، وجعلوا معه شريكًا وعدلا واتخذوا له صاحبةً وولدًا، تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا.

خلق الله أباهم آدم من طين الذي هو أصلهم ومنه خرجوا، فانتشروا في المشارق والمغارب.

وجعل لهم آجالًا من بين أن يخلقهم إلى أن يموتوا، وأجلًا عند الله لا يعلمه إلا الله من بين أن يموتوا إلى أن يبعثوا، وهم مع ذلك يشكون في أمر الساعة.

وهو سبحانه إله السموات والأرض، وهو المعبود الحق في السموات والأرض، وهو العلي يعلم سر العباد وجهرهم في الأرض، لا تخفى عليه خافية، ويعلم ما يعملون من الخير والشر.

والكفار مهما أتتهم الآيات الدالة على وحدانية الرب، ﷻ، وصدق رسله الكرام، فإنهم يعرضون عنها، فلا ينظرون فيها ولا يبالون بها، ويكذبون بالقرآن وبالنبي محمد ﷺ فسيعلمون أخبار استهزائهم وجزاءه إذا عذبوا يوم القيامة، أفلا يخافون أن يصيبهم من العذاب والنكال الدنيوي ما حل بأشباههم ونظرائهم من القرون السالفة الذين كانوا أشد منهم قوة، وأكثر جمعًا، وأكثر أموالًا وأولادًا واستغلالًا للأرض وعمارة لها، ولهم من الأموال والأولاد والأعمار، والجاه العريض، والسعة والجنود.

وأكثر الله عليهم أمطار السماء وينابيع الأرض، استدراجًا وإملاء لهم فأهلكهم الله بخطاياهم وسيئاتهم التي ارتكبوها، وخلق بعدهم جيلًا آخر ليختبرهم، فعملوا مثل أعمالهم فهلكوا كهلاكهم، فليحذر كل مكذب أن يصيبه مثل ما أصابهم، فما هو بأعز على الله منهم، والرسول الذي كذبه أكرم على الله من رسولهم، فهم أولى بالعذاب ومعاجلة العقوبة منهم، لولا لطفه وإحسانه.

ومن كفر المشركين وعنادهم ومكابرتهم للحق ومنازعتهم فيه، أنهم لو أنزل عليهم القرآن في قرطاس و عاينوه، ورأوا نزوله، وباشروا ذلك لادعوا أن ذلك سحر وليس بحق

ومن مكابرتهم أن طلبوا أن تكون الرسل من الملائكة فرد الله عليهم لو نزلت الملائكة على ما هم عليه من الكذب والجحود والعناد لجاءهم من الله العذاب.

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١٣

لو بعث الله إلى البشر رسولًا ملكيًا لكان على هيئة رجل لتُفْهَم مخاطبته والانتفاع بالأخذ عنه، ولو كان كذلك لالتبس عليهم الأمر كما يلبسون على أنفسهم في قبول رسالة الرسول البشري، فمن رحمة الله تعالى بخلقه أنه يرسل إلى كل صنف من الخلائق، رسلا منهم، ليدعو بعضهم بعضا، وليمكن بعضهم أن ينتفع ببعض في المخاطبة والسؤال.

ومع رد القرآن على مطالب المشركين المعاندين، تأتي التسلية للنبي ﷺ في تكذيب من كذبه من قومه، وما وعده الله والمؤمنين به من النصرة والعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة، وليفكر المكذبون ما أحل الله بالقرون الماضية الذين كذبوا رسله وعاندوهم، من العذاب والنكال، والعقوبة في الدنيا، مع ما ادَّخَر الله لهم من العذاب الأليم في الآخرة، وكيف نَجَّى الله رسله وعباده المؤمنين، وهو سبحانه مالك السموات والأرض ومن فيهن، و قد كتب على نفسه الرحمة، يرحم عباده المؤمنين، ويجمع الخلائق أجمعين يوم القيامة.

والكفار الذين خسروا الدنيا والآخرة يوم القيامة، لا يزالون لا يصدقون بالمعاد، ولا يخافون شر ذلك اليوم، فلم يعدوا لهذا اليوم عدته.

ولله سبحانه كل ما في السموات والأرض، وما يمر عليه الليل والنهار، فكل دابة في السموات والأرض عباده وخلقه، وتحت قهره وتصرفه وتدبيره، ولا إله إلا هو، وهو السميع لأقوال عباده، العليم بحركاتهم وضمائرهم وسرائرهم.

وهو سبحانه المستحق للعبادة دون سواه وهو خالق الخلق وموجدهم وهو الرزاق لخلقه من غير احتياج إليهم، فهل يتخذ أحد إلهًا سواه سبحانه وتقدس فهو الله لا اله إلا هو وحده لا شريك له يرزق عباده ولا يرزقونه.

فيعلن المسلم التوحيد اقتداء بأول المسلمين من هذه الأمة، نبيه محمد ﷺ، ويتبرأ من الشرك ووسائله وطرقه الموصلة إليه، وأهله، فإن من عصى الله له العذاب الأليم يوم القيامة، ومن يصرف عنه عذاب الآخرة فهو من المرحومين وكان من الفائزين، فسبحان الله مالك الضر والنفع، والمتصرف في خلقه بما يشاء، لا مُعَقِّب لحكمه، ولا رَادَّ لقضائه خضعت له الرقاب، وذلت له الجبابرة، وعنت له الوجوه، وقهر كل شيء ودانت له الخلائق، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وعظمته وعلوه وقدرته الأشياء، واستكانت وتضاءلت بين يديه وتحت حكمه وقهره، وهو حكيم في جميع ما يفعله، خبير بمواضع الأشياء ومحالها، فلا يعطي إلا لحكمة ولا يمنع إلا لحكمة.

قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا
ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ
ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا
تُشۡرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ
أَبۡنَآءَهُمُۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ
مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ
﴿٢١﴾ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ
ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ
رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ وَضَلَّ
عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ
قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ
لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ
إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ وَإِن
يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ
فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٧﴾

الله ﷻ أكبر شهيد على صدق دعوة محمد ﷺ، وهو العالم بما جاء به، والقرآن الكريم نذير لكل من بلغه، والمشركون يشهدون بالشرك زورًا، ودعوة سيد المرسلين تشهد بالتوحيد الذي أرسلت به الرسل، فأي الشهادتين حق، إنها شهادة التوحيد، وأهل الكتاب الجاحدون المكذبون يعرفون التوحيد، ورسالة نبي التوحيد ودعوته بما عندهم من الأخبار والأنباء عن المرسلين المتقدمين والأنبياء، فإن الرسل كلهم بَشَّروا ببعثة محمد ﷺ وصفته، وبلده ومُهَاجَرِه، وصفة أمته؛ والمشركون من أهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ولكنهم يخفون الحقيقة حسدًا ومكابرة، فخسروا بذلك الدنيا والآخرة لأنهم لم يؤمنوا بهذا الأمر الجلي الظاهر الذي بشرت به الأنبياء، ونوهت به في قديم الزمان وحديثه.

وأعظم الناس ظلمًا من تَقَوَّل على الله، فادعى أن الله أرسله ولم يكن أرسله، ثم لا أظلم ممن كذَّب بآيات الله وحججه وبراهينه ودلالاته، فلا يفوز عند الله المفتري ولا المكذب.

و يوم القيامة يحشر المشركون فيسألون عن الأصنام والأنداد التي كانوا يعبدونها من دون الله فتكون حجتهم، ومعذرتهم، إنكار الشرك، فإنهم إذا رأوا يوم القيامة مغفرة الله تعالى وتجاوزه عن أهل التوحيد قال بعضهم لبعض تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجوا مع أهل التوحيد، فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين، فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالكفر فكذبوا على أنفسهم، وعلى ربهم وما علموا أنه سيكون عليهم شهيدًا من أنفسهم.

و زال وذهب عنهم ما افتروه في الأصنام، بأنهم كانوا يرجون شفاعتها ونصرتها، فبطل صنيعهم كله في ذلك اليوم، وحين يحرم الإنسان من الانتفاع من الحق، لا يقبل ما يسمعه من الحق، وقد كان مشركو العرب يجيئون ليسمعوا قراءة النبي ﷺ، ولا تجزي عنهم شيئًا؛ لأن الله جعل على قلوبهم أغطية لئلا يفقهوا القرآن وفي آذانهم صممًا عن السماع النافع، ومهما رأوا من الآيات والدلالات والحجج البينات، لا يؤمنوا بها، فلا فَهْم عندهم ولا إنصاف، ويحاجون النبي ﷺ ويجادلون الحق بالباطل ويقولون هذا الذي جئت به، مأخوذ من كتب الأوائل ومنقول عنهم.

وينهون الناس عن اتباع الحق، وتصديق الرسول، والانقياد للقرآن، ويبتعدون عنه، فيجمعون بين الفعلين القبيحين لا ينتفعون ولا يتركون أحدًا ينتفع، وهم بذلك أهلكوا أنفسهم بهذا الصنيع، ولا يعود وباله إلا عليهم، وما يشعرون.

وهم يوم القيامة إذا وقفوا على النار، وشاهدوا ما فيها من السلاسل والأغلال، ورأوا بأعينهم تلك الأمور العظام والأهوال، تمنوا أن يُرَدُّوا إلى الدار الدنيا، ليعملوا عملًا صالحًا، ولا يكذبوا بآيات ربهم ويكونوا من المؤمنين.

بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾

يوم القيامة يظهر للكفار ما يخفون في أنفسهم من الكفر والتكذيب والمعاندة، وإن أنكروها، في الدنيا أو في الآخرة، ويظهر ما كانوا يعلمونه من أنفسهم من صدق ما جاءت به الرسل في الدنيا، وإن كانوا يظهرون لأتباعهم خلافه.

وحين يرون العذاب يتمنون الرجوع للدنيا، وهم يطلبون ذلك ليس رغبة ومحبة في الإيمان، بل خوفًا من العذاب الذي عاينوه جزاء ما كانوا عليه من الكفر، فسألوا الرجعة إلى الدنيا ليتخلصوا مما شاهدوا من النار؛ فهم كاذبون في تمنيهم الرجعة رغبة ومحبة في الإيمان.

فهم لو ردّوا إلى الدار الدنيا، لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمخالفة، ولقالوا ما هي إلا هذه الحياة الدنيا، ثم لا معاد بعدها؛ وحين يوقفون بين يدي الله فيقال لهم أليس هذا المعاد بحق وليس بباطل كما كنتم تظنون، فيقرون أنه حق فيقال لهم ذقوا العذاب الذي كنتم تكذبون به، ذوقوا اليوم مَسّه، فالخاسر من كذب بيوم القيامة، فيا خيبته إذا جاءته الساعة بغتة، ويا ندامته على ما فرط من العمل وما أسلف من قبيح الفعال، وهم يحملون أثقالهم وذنوبهم وسيئاتهم وآثامهم فبئس الحمل الذي يحملونه، و بئس العمل الذي يقابلون به ربهم، وهذه الحياة لعب ولهو وزينة لأهل الدنيا، وأما الدار الآخرة فهي لأهل التقوى الذين اتقوا ربهم وعملوا بمرضاته في الحياة الدنيا فلهم حسن العاقبة في الدار الآخرة، فالعقلاء هم الذين يؤثرون الآخرة على الدنيا ويعملون من أجلها، والداعية إلى الله الذي يعمل لنشر الخير والصلاح ويدعو للخير لا يضره ولا يحزنه ولا يفت في عضده كثرة المخالفين والمحاربين للخير، وأصحاب الأقلام المأجورة، ودعاة السوء، فقد أوصى الله نبيه محمدًا بعدم الالتفات إلى ما يقابله به الكفار من التكذيب، وعدم الحزن على مواقفهم فهم يكذبون الله ويكفرون بآيات الله، وهذا طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وتأتي التسلية للنبي ﷺ والتعزية له فيمن كذبه من قومه، والأمر له بالصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، ووعده الله بالنصر كما نصروا وبالظفر، حتى كانت لهم العاقبة، بعد ما نالهم من التكذيب من قومهم والأذى البليغ، ثم جاءهم النصر في الدنيا، كما لهم النصر في الآخرة؛ وهذه سنة الله التي كتبها، النصر في الدنيا والآخرة لعباده المؤمنين، وقد قص الله خبر الأنبياء كيف نُصِروا وأُيدوا على من كذبهم من قومهم، فللنبي ﷺ والدعاة من بعده فيهم أسوة وبهم قدوة، وكان رسول الله ﷺ يحرص على إيمان قومه أشد الحرص، وكانوا إذ سألوا آية أحب أن يريهم الله تعالى ذلك طمعًا في إيمانهم، فأخبره الله أنه لا يؤمن إلا من قد سبق له من الله السعادة، حتى لو اتخذ طريقًا تحت الأرض أو درجًا ومصعدًا يرقى به إلى السماء ليأتيهم بالآيات، فلن يؤمنوا لأن الله كتب عليهم الشقاوة، ولو شاء الله لأمنوا ولكن حكمة أحكم الحاكمين اقتضت أن يبقوا على الضلال.

۞ إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةٗ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٩﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾

الذين يستجيبون لنداء الحق هم أصحاب القلوب الحية، الذين يستمعون إلى الحق، استماع استجابة وإيمان، وأما موتى القلوب، فهم كموتى الأجساد لا يؤمنون، والجميع سيبعثهم الله يوم القيامة ليجازيهم بأعمالهم.

ويبقى المعاندون يسألون الرسول ﷺ الخوارق والمعجزات تعنتًا واستكبارًا

والله قادر على ذلك، ولكن حكمته تعالى تقتضي تأخير ذلك؛ لأن إنزالها وفق ما طلبوا، سيعاجلهم بالعقوبة إذا لم يؤمنوا كما فعل بالأمم السالفة.

وكل دابة تدب على الأرض وكل طائر يطير في السماء أمم أمثال بني آدم يفقه بعضهم عن بعض، وأمثالهم في الخلق والموت والبعث، وأمم أمثالهم في التوحيد والمعرفة، وأمم أمثالهم في الغذاء وابتغاء الرزق وتوقي المهالك، فقد قدر الله المقادير وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، والجميع يحشرهم الله يوم القيامة، البهائم والدواب والطير، وكل شيء فيؤخذ للجماء من القرناء، ثم يقول الله كوني ترابًا فحينئذ يتمنى الكافر ويقول يا ليتني كنت ترابا.

فالذين كفروا لا يسمعون الخير ولا يتكلمون به، فمثلهم في جهلهم وقلة علمهم وعدم فهمهم كمثل الأصم الذي لا يسمع، والأبكم الذي لا يتكلم، وهو مع هذا في ظلام لا يبصر، فكيف يهتدي مثل هذا إلى الطريق، فهم في ضلالات الكفر، فقد شاء الله ضلالهم، ومن شاء الله هدايته ثبته على الإسلام فهو الهادي سبحانه إلى صراط مستقيم

فهو سبحانه الفعال لما يريد، المتصرف في خلقه بما يشاء، لا مُعقِّب لحكمه، ولا يقدر أحد على صرف حكمه عن خلقه، بل هو وحده لا شريك له، الذي إذا سئل أجاب، يجيب من يشاء؛ فهؤلاء المشركون إذا نزلت بهم المحن لا يدعون غيره لعلمهم أنه لا يقدر أحد على دفعها سواه؛ فلو كانوا صادقين في اتخاذ الآلهة مع الله، فلماذا لا يَدْعونها في الشدائد، بل لا يدعون في وقت الضرورة أحدًا سوى الله وتذهب عنهم أصنامهم وأندادهم، والله سبحانه يبتلي عباده بالفقر والضيق في العيش والأمراض والأسقام والآلام ليرجعوا إلى ربهم، يدعون الله ويتضرعون إليه ويخشعون له.

فلو أن العباد إذا ابتلاهم الله بذلك تضرعوا إليه واستكانوا إليه لأجابهم ورحمهم، ولكن القلوب غافلة لم تخشع ولم تلن، وزين لهم الشيطان الشرك والمعاصي، وأغراهم بالتمادي والإعراض، فلما أعرضوا عن الله وتناسوه وجعلوه وراء ظهورهم، فتح الله عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون، وهذا استدراج منه تعالى وإملاء لهم، عياذا بالله من مكره؛ فلما فرحوا بالدنيا من الأموال والأولاد والأرزاق جاءهم العذاب على غفلة فإذا هم آيسون من كل خير.

فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾

إذا جاء العذاب بعد استدارج استأصل الله بالعذاب الأمة المكذبة فلم يبق منهم باقية، فيهلكهم عن آخرهم، وإهلاك المكذبين المعاندين نعمة تحتاج إلى شكر وثناء على الله، فأمر الله بحمده على كفايته شر الظالمين، وأهلاك المكذبين، ويبين الله آياته الدالة على التوحيد والنبوة للمعاندين المكذبين؛ فإذا أخذ الله سمعهم حتى لا يسمعوا شيئا أصلا، وأخذ أبصارهم فلم يبصروا شيئا، وغلف قلوبهم وغطاها فلا يفقهون شيئًا ولا يعرفون مما يعرفون من أمور الدنيا، فمن الذي يستطيع أن يرد عليهم ما أخذ الله منهم؟ فهل بعد هذا البيان يعرضون ويكذبون، وإذا جاءهم العذاب من حيث لا يشعرون به فيبغتهم ويفاجئهم، أو يأتيهم ظاهرًا عيانًا فلن يحيط إلا بظالمي أنفسهم بالشرك، وينجي الله الموحدين الذين يعبدون الله وحده لا شريك له، فإنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فالرسل مهمتهم البشارة والنذارة، مبشرين عباد الله المؤمنين بالخيرات ومنذرين من كفر بالله بالعقوبات، فمن آمن قلبه بما جاءت به الرسل وأصلح عمله باتباعه إياهم، فلا يخاف ما يستقبله، ولا يحزن على ما فاته وتركه وراء ظهره من أمر الدنيا، فالله وليه فيما خلفه، وحافظه فيما تركه، والذين كفروا بما جاءت به الرسل، وخرجوا عن أوامر الله وطاعته، وارتكبوا محارمه ومناهيه وانتهاك حرماته يصيبهم العذاب بسبب كفرهم وإعراضهم، والرسل بشر ليس لهم من خصائص الإلوهية ولا يملكون لأحد ضرًا ولا نفعًا إلا ما كتبه الله على أيديهم وليس بأيديهم خزائن السموات والأرض بل هي بيد الله، ولا يعلمون الغيب بل هو من علم الله ﷻ، لا يطلع إلا ما يطلع الله عليه أحدًا من رسله، والرسل ليسوا من الملائكة بل هم أفضل منهم، وهم بشر شرفهم الله بالنبوة وأفضلهم نبينا محمد ﷺ، وهم متبعون لما أوحي اليهم من الوحي لا يخرجون عنه، وإنما هم مبلغون عن رب العالمين، ولا يستوي عند الله من اتبع الحق وهُديَ إليه، ومن ضل عنه ولم ينقد له، فالمتبعون للرسل المهتدون بهدي القرآن لهم العاقبة الحميدة عند ربهم، أنذرهم القرآن بمواعظه وزواجره فكانوا من أخشى الناس لله، مشفقون خائفون من عذاب الله، يعدون ليوم الحشر والنشور الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا قريب، التقوى شعارهم ودثارهم يعملون في الدنيا عملًا ينجيهم الله به يوم القيامة من عذابه، ويضاعف لهم به الجزيل من ثوابه، يدعون ربهم بالليل والنهار، ويقيمون الصلوات المفروضات، ويخلصون بذلك لله تعالى، ويبتغون بذلك العمل وجه الله الكريم، فهم مخلصون فيما هم فيه من العبادات والطاعات.

وقد أمر الله النبي ﷺ بمجالسة أمثالهم، وإن لم يكن لهم من حطام الدنيا شيئًا، ولو كانوا فقراء وأرقاعح لمكانتهم عند الله، فنهي النبي ﷺ عن طردهم وإبعادهم إرضاء لسادة قريش، ويوجه الله نبيه بأنه لا يكلف أمرهم ولا يتكلفون أمره، وليس رزقهم عليه فيملّهم، بل الله مولاهم نعم المولى ونعم النصير

وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبۡتُم بِهِۦۚ مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوۡ أَنَّ عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۗ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾



۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾

يبتلي الله عباده بعضهم ببعض، فابتلى الغني بالفقير والشريف بالوضيع، وذلك أن الشريف إذا نظر إلى الوضيع قد سبقه بالإيمان امتنع من الإسلام بسببه فكان فتنة له، كبرًا وبطرًا واحتقارًا أن كان هؤلاء خير منهم والله أعلم بمن شكر الإسلام إذ هداه الله ﷻ إليه، وعرف نعمة الله عليه، وأحس بمنة الله عليه أن هداه للإسلام، ومن هؤلاء الذين نهى الله ﷻ نبيه عن طردهم، وكان النبي ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسلام، ومن رحمة الله لعباده أن قضى على نفسه الرحمة، ومن ذلك قبول توبة التائب فمن عمل معصية وآثرها على الطاعة ثم رجع عن ذنبه، وأخلص توبته، وندم على ذنبه فالله غفور للذنب رحيم بالتائب، وما بينه القرآن من الحجج والدلائل على طريق الهداية والرشاد، وذم المجادلة والعناد، إيضاح لطريق المجرمين المخالفين للرسل، حتى يجتنبها المؤمنون، ودعوة الأنبياء لبيان الحق والبلاغ، ودعوة سيد المرسلين ﷺ على بصيرة من شريعة الله التي أوحاها إليه، فلا يتبع أهواء المشركين وعاداتهم، فهي طريق الضلال، والنبي ﷺ يهتدي بنور الوحي، يبلغ دين الله، ولا يضره تكذيب المكذبين وعذاب الله الذي يستعجلونه إنما هو بيد الله إن شاء عَجَّل لهم، وإن شاء أنظرهم وأَجَّلهم؛ لما له في ذلك من الحكمة العظيمة، فالحكم لله فهو خير من فصل القضايا، وخير الفاتحين الحاكمين بين عباده.

ولو كان مرجع العذاب الذي يستعجلون به إلى النبي ﷺ، لأوقع بهم ما يستحقونه من ذلك لطلبهم ذلك، مع أنه لم يستعجل عليهم، بل قال لملك الجبال: (**أستانِ بهم لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك له**)، ولكن أمر العذاب إلى الله تعالى، وهو سبحانه عالم الغيب والشهادة، فعنده سبحانه مفاتح الغيب الخمسة، عنده علم وقوع الساعة وقيام القيامة، ولا يعلم وقت نزول الغيث ومكانه إلا الله، وما يخلق في الأرحام لا يعلمه إلا الله، وليس العلم بذلك مقصورًا على تحديد النوع بل الأمر أعظم من ذلك لا تحيط به العقول البشرية، وكسب الأرزاق لا يعلم تحديده إلا الله، ولا تعلم نفس أين ستموت، فهو سبحانه العليم الخبير، والعباد قاصرون في معرفة تلك المغيبات، وكل هذه المفاتح تتعلق بالحياة، فالساعة نهاية الحياة الدنيا، والغيث تحيى به الأرض والبلاد والعباد، وحياة الأجنة واستقرارها وخلقها بيد الله، والأرزاق فيها قوام حياة الناس، والموت نهاية كل حي، فمنذ أن خلق الله الجنين في بطن أمه وكتابة رزقه وإنزال ما فيه حياته من الغيث إلى نهاية حياته في الدنيا، إلى نهاية العالم الدنيوي بأسره، فعلمه إلى الله، وهو سبحانه محيط بكل شيء في المفاوز والقفار، والقرى والأمصار، لا يحدث فيها شيء إلا يعلمه، وفي لجج البحار، وما تسقط من أوراق وما ينبت وما لا ينبت، ولا حي ولا ميت، فالكل مكتوب في اللوح المحفوظ.

وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ
يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ
ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ
وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ
رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ
أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن
ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ
لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ
ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا
مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم
بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾
وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ
نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ
ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ
ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾

النوم وفاة صغرى، وهو نعمة عظمى، والعباد تحت قدرة الله، فهو القادر على إحيائهم وإماتتهم، ويعلم ما يكسبون من الأعمال بالنهار فعلمه تعالى محيط بخلقه في ليلهم ونهارهم، في حال سكونهم وفي حال حركتهم، وبعد النوم حياة إلى أجل الإنسان المحدد، نسأل الله أن يتوفانا مسلمين، ويوم القيامة يخبر الله عباده بأعمالهم ويجزيهم على ذلك إن خيرًا فخيراً، وإن شرًا فشرًاً، وهو سبحانه الذي قهر كل شيء، وخضع لجلاله وعظمته وكبريائه كل شيء، ويرسل من الملائكة من يحفظون الإنسان، وحفظة يحفظون عمله ويحصونه عليه

فإذا حضر الأجل واحتضر أخذت روحه الملائكة مع ملك الموت، يخرجون الروح من الجسد، فيقبضها ملك الموت إذا انتهت إلى الحلقوم، وهم لا يفرطون في حفظ روح المتوفى، بل يحفظونها وينزلونها حيث شاء الله ﷻ، إن كان من الأبرار ففي عليين، وإن كان من الفجار ففي سجين، عياذًا بالله من ذلك، وجميع الخلائق كلهم يردون إلى الله يوم القيامة، فيحكم فيهم بعدله، وهو سبحانه الذي ينجي عباده إذا استغاثوا به ودعوه جهرًا وسرًا وهم في لجج البحار، ويسألون ربهم لئن أنقذهم من هذه الشدائد آمنوا وأخلصوا، ولكنهم يرجعون إلى غيهم وباطلهم، وهو سبحانه القادر أن يرسل عذابًا من السماء أو من تحت الأرض، فيُرجمون بحجارة من السماء أو يخسف الله بهم الأرض، أو يجعلهم مختلفين متفرقين متنازعين يقتل بعضهم بعضًا، وهذا ما وقع لأمة محمد ﷺ فجعل بأسهم بينهم، وسلط بعضهم على بعض، فلو فقهت الأمة هذا الداء وحاولت بالعلاج والاجتماع، وأخذت بكتاب ربها وسنة نبيها ﷺ فإن ذلك طريق النجاة.

والرسول ﷺ ليس عليه إلا البلاغ، وليس موكل بهداية الناس، وقد كذبت قريش بالقرآن وهو الحق فما استطاع هدايتها، وما عليه إلا البلاغ، وعليهم السمع والطاعة، فمن اتبعه، سعد في الدنيا والآخرة، ومن خالفه، فقد شقي في الدنيا والآخرة، وسيعلمون حقيقة تكذيبهم يوم القيامة حين يرون العذاب.

ومن أسباب الضلالة مجالسة الضالين المكذبين، وقد نهي النبي ﷺ عن مجالسة الذين يخوضون بآيات الله ويستهزئون، والأمر له ولأمته ولكلّ فرد من آحاد الأمة، ألا يجلس مع المكذبين الذين يحرفون آيات الله ويضعونها على غير مواضعها، فإن جلس أحد معهم ناسيًا فلا يجلس بعد التذكر مع الذين ظلموا أنفسهم وظلموا غيرهم.

وكذلك مجالسة أهل البدع والضلال، أو سماع شبههم وأباطيلهم، فقد تورث فتنة في قلوب بعض المسلمين

وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

إذا أمر المسلم بالمعروف ونهى عن المنكر، وتجنب مجالس أهل الباطل، فلم يجلس معهم في باطلهم، فقد بريء من عهدتهم، وتخلص من إثمهم، والأمر بالإعراض عنهم تذكيرًا لهم عما هم فيه من الخطأ؛ لعلهم يتقون ذلك، ولا يعودون إليه.

فالذي اتخذ دينه لعبًا وهزوًا واغتر بطول الحياة الدنيا وزهرتها فإنه صائر إلى عذاب عظيم؛ وهذا مصير المكذبين المستهزئين، الذين ضلوا عن الصراط المستقيم، وتفرقت بهم السبل، والقرآن الكريم ذكرى، تذكر به النفوس المؤمنة، و يذكر به الناس، ويحذرون به نقمة الله وعذابه الأليم يوم القيامة، من قبل أن تحبس النفس بما عملت يوم القيامة، فلا ينفعها قريب ولا حبيب، ولو بذل كلّ مبذول ما قُبل منه، فلو أنفق ما في الأرض جميعًا لم يستطع أن يفتدي نفسه من العذاب، فهو من الهالكين الذين أيسوا من الخير، واحتبسوا بأعمالهم، وذلك بما عملوه في الدنيا من الكفر والإعراض، فلهم في النار شراب من ماء حار قد اشتد حره، يشوي وجوههم، ويقطع أمعاءهم، وذلك مصير مَنْ عَبَد غير الله، وصرف العبادة إلى ما لا ينفعه ولا يضره، والمسلم يعتز بالانتماء لهذا الدين، ويحمد الله أن هداه للإسلام، ويأخذ بأسباب الثبات، ويدعو ربه ألا يضله بعد الهداية، فنعمة الهداية للصراط المستقيم من أعظم النعم، والمسلم يخاف من الضلالة بعد الهداية، فإن مَثَل من ضل بعد الهداية كمثل رجل كان مع قوم على الطريق فَضَلَّ الطريق، فحيرته الشياطين، وأضلته في الأرض، وأصحابه على الطريق، فجعلوا يدعونه إليهم يقولون: ائتنا فَإِنَّا على الطريق، فأبى أن يأتيهم، فذلك مثل من يتبع المشركين بعد المعرفة بدين الإسلام وإتباع سيد الأنام ﷺ فهو الداعي إلى الطريق، والطريق هو الإسلام، ومن أسباب الثبات إقامة الصلاة المفروضة والتقرب إلى الله بنوافل الصلوات، وملازمة تقوى الله في جميع الأحوال، في السر والعلن والغيب والشهادة، وفي العسر واليسر، ويستعد المسلم بالعمل ليوم القيامة يوم يحشر الله الخلائق كلها، فله سبحانه وحده الحكم، خلق السموات والأرض بالعدل، فهو خالقهما ومالكهما، والمدبر لهما ولمن فيهما، وأمره كن فيكون، يكون أمره كلمح البصر أو هو أقرب.

وقوله الحق الذي لا مرية فيه، له ملك يوم القيامة، فلا ملك إلا للواحد القهار، يوم ينفخ إسرافيل في الصور، والنفخ في الصور ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث.

وهو سبحانه يعلم ما غاب عن العباد وما يشاهدونه، لا يغيب عن علمه شيء، والحكيم في أمره وحكمه، الخبير بعباده فلا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء

۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

إبراهيم ﷺ إمام الحنفاء وقدوة الأصفياء يدعو أباه آزر لعبادة الله وحده لا شريك له وقال له أتتأله لصنم تعبده من دون الله، فإن ذلك طريق الضالين التائهين الذين لا يهتدون أين يسلكون، بل في حيرة وجهل، وناظر إبراهيم ﷺ أباه وقومه في الكواكب التي يصرفون لها العبادة، فأري إبراهيم ﷺ ملكوت السموات والأرض وما فيها مما يزيد الإيمان من آيات الله العظيمة التي تدل على وحدانيته ﷻ، واستحقاقه للعبادة

فلما أظلم عليه الليل رأى كوكبًا مضيئًا، قال هذا ربي مناظرًا لهم، فهل يستحق هذا الربوبية، فلما غاب الكوكب قال هل يستحق العبادة من يغيب ويختفي، فإن الإله المعبود يكون قائمًا بمصالح العباد، فمن أين يستحق العبادة، وإن اتخاذه إلهًا من أسفه السفه.

فلما رأى القمر طالعًا، قال هذا ربي مناظرًا لهم، فهل يستحق هذا الربوبية، فلما غاب القمر قال هل يستحق العبادة من يغيب ويختفي، فإن الإله المعبود يكون قائمًا بمصالح العباد، فمن أين يستحق العبادة، ودعا ربه سائلًا الهداية، وعلم أنه إن لم يهده الله فلا هادي له.

فلما رأى الشمس مشرقة وهي أكبر من الكوكب ومن القمر، قال هذا ربي مناظرًا لهم، فهل يستحق هذا الربوبية؟ فلما غابت الشمس قال هل يستحق العبادة من يغيب ويختفي؟ فإن الإله المعبود يكون قائمًا بمصالح العباد، فقرر باليقين أن المستحق للعبادة هو الله وحده لا شريك له، وتبرأ من كل ما يعبد من دون الله.

وأعلن التوحيد وتوجه بقلبه لله وحده، مقبلًا عليه، معرضًا عن من سواه، وتبرأ من الشرك، وأقر بالتوحيد، ولما قرر شرك قومه وحاجهم، حاجُّوه على توحيده، فكيف يحاجون من هداه الله، ووصل إلى أعلى درجات التوحيد، وقد بصَّره ربه وهداه إلى الحق، فكيف يلتفت إلى أقوالهم الفاسدة وشبههم الباطلة، وهذه الآلهة التي يعبدونها لا تؤثر شيئًا، ولا تنفع ولا تضر، ولا يخاف منها، إلا إن شاء الله، فالنفع والضر بيد الله، وقد أحاط علمه بجميع الأشياء، فلا تخفى عليه خافية، فهل يعتبرون أن هذه الآلهة باطلة، فيتركوا عبادتها.

ويقرر إبراهيم ﷺ التوحيد بقوله كيف أخاف من هذه الأصنام التي تعبدون من دون الله، وأنتم تشركون بالله ما ليس لكم به حجة ولا برهان، وهو القاهر القادر على كل شيء، فأي منَّا أحق بالأمن، الذي عَبَد من بيده الضر والنفع، أو الذي عبد من لا يضر ولا ينفع بلا دليل، أيهما أحق بالأمن من عذاب الله يوم القيامة.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾

الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له، وانقادوا إلى الله بالتوحيد ولم يشركوا به شيئًا هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة؛ لأنهم تبرؤا من أعظم الظلم وهو الشرك بالله، وقد أعطى الله نبيه وخليله إبراهيم ﷺ الحجة والبرهان، حتى خصم قومه وغلبهم بالحجة، والله يرفع درجات من يشاء بالعلم والفهم والفضيلة والعقل، كما رفع درجات إبراهيم حتى اهتدى وحاجّ قومه في التوحيد، والله حكيم في أفعاله وأقواله، عليم بمن يهديه ومن يضله، وإن قامت عليه الحجج والبراهين.

ومن إكرام الله لخليله أن وهب له إسحاق، بعد أن طَعَن في السن، ومن بعد إسحاق يعقوب ووفقهم الله وأرشدهم وكرمهم بالنبوة، ومن قبل إبراهيم نوح ﷺ أول رسول أرسله الله بالتوحيد والتحذير من الشرك، ومن ذرية نوح ﷺ، داود بن أيشا، وسليمان بن داود، وأيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم، ويوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ﷺ، وموسى بن عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب، وهارون أخو موسى أكبر منه بسنة، وليس ذكرهم على ترتيب أزمانهم.

والله يجزي المحسن على إحسانه كما جازى إبراهيم على توحيده بأن رفع درجته ووهب له أولادًا أنبياء أتقياء، ومن الأنبياء زكريا بن إذن، ويحيى بن زكريا، وعيسى ابن مريم بنت عمران، وإلياس ياسين ابن فنحاص بن عيزار بن هارون بن عمران كلهم من الأنبياء الصالحين الذين بلغوا رسالات ربهم

وإسماعيل بن إبراهيم، واليسع بن أخطوب بن العجوز، ويونس بن متى، ولوط بن هاران بن أخي إبراهيم، كلهم من الأنبياء المفضلين الذين فضلهم الله بالنبوة.

وقد اختار الله من المفضلين بعض آبائهم، وبعض ذرياتهم، وإخوانهم اصطفاهم الله وأرشدهم إلى الصراط المستقيم، وهو هدى الله الذي يهدي به من يشاء

ولو أشرك أحد من الناس لحبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين، وأما أنبياء الله الذين أنزل الله عليهم الكتب وشرفهم بالرسالة والنبوة والعلم والفقه، ومن أوجب الله الإيمان بهم ومن كفر بنبوتهم فإن الله غني عنه وإن من عباد الله، فإن المؤمنين بالله يؤمنون برسل الله وأنبيائه، وهم الذين هداهم الله، فبسنتهم وسيرتهم يقتدي المؤمنون، والرسل تدعوا إلى الله ابتغاء الأجر والثواب وتبليغ رسالة الله، وأفضلهم نبينا محمد ﷺ لا يطلب على إبلاغ القرآن أجرة، وإنما ذكرى يتذكرون به فَيُرْشَدُون من العمى إلى الهدى، ومن الغي إلى الرشاد، ومن الكفر إلى الإيمان.

وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ
قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ
تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ
أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ٩١
وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ
أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ
وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩٢ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى
ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ
مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ
تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ
وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٩٣ وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ
كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ
وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ
لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٩٤

المكذبون من مشركي العرب ما عظموا الله حق تعظيمه، إذ كذَّبوا رسوله الذي أرسله إليهم، وقالوا كيف يبعث الله بشرًا رسولًا، فرد الله عليهم بما يؤمنون به من إرسال موسى إلى اليهود فقد أنزل الله على موسى بن عمران التوراة نورًا وهدى للناس، يستضاء بها في كشف المشكلات، ويهتدى بها من ظلم الشبهات.

تلك التوراة التي يجعلونها قِطَعًا يكتبونها من الكتاب الأصلي الذي بأيديهم ويحرفون فيها ما يحرفون ويبدلون ويتأولون، ويفترون على الله بما يحرفونه منها.

وأنزل الله القرآن الذي علّم الله فيه العباد خبر ما سبق، ونبأ ما يأتي مما لم يكونوا يعلمون ذلك هم ولا آباؤهم.

فالله أنزل التوراة والقرآن، وهم في جهلهم وضلالهم يلعبون، حتى يأتيهم من الله اليقين فسوف يعلمون ألهم العاقبة، أم لعباد الله المتقين.

فالقرآن أنزله الله بركة للمؤمنين، تُصَدَّق به الكتب السابقة، ليكون نذيرًا لأهل مكة ومن حولهم من أحياء العرب، ومن سائر طوائف بني آدم من عرب وعجم، فالمؤمنون يؤمنون بالقرآن وباليوم الآخر، ويقومون بما افترض عليهم من أداء الصلوات في أوقاتها، ويتخذون هذا القرآن دستور حياتهم، يتحاكمون إليه، ويعملون به، ويتدبرونه، ويستشفون به

ومن أعظم الظلم وأكذب الكذب من اتخذ مع الله شريكًا أو ولدًا، أو ادعى أن الله أرسله إلى الناس ولم يكن أرسله؛ ومن ادعى أنه يعارض ما جاء من عند الله من الوحي مما يفتريه من القول، فلهم العذاب الأليم يوم القيامة، وعند الموت من سكراته وغمراته وكُرُباته، والملائكة يضربونهم وينزعون أرواحهم أشد النزع، فإن الكافر إذا احتضر بشَّرته الملائكة بالعذاب والنَّكال، والأغلال والسلاسل، والجحيم والحميم، وغضب الرحمن الرحيم، فتتفرق روحه في جسده، وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم، قائلين لهم اليوم تهانون غاية الإهانة، كما كنتم تكذبون على الله، وتستكبرون عن اتباع آياته، والانقياد لرسله.

جاءوا وحدهم كما خلقوا أول مرة، وتركوا الدنيا وما جمعوه فيها من النعم والأموال

وتركوا الأنداد والأصنام والأوثان، التي كانوا يعتقدون أنها تنفعهم، فإذا كان يوم القيامة تقطعت الأسباب، وانزاح الضلال، وضل عنهم ما كانوا يفترون، لقد انقطع ما بينهم من الصلات والأسباب والوسائل، وذهب عنهم رجاؤهم بالأصنام.

۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١٤

مما يدل على ربوبية الله ووحدانيته أنه سبحانه يشق الحب والنوى في الثرى فتنبت الزروع على اختلاف أصنافها من الحبوب، والثمار على اختلاف أشكالها وألوانها وطعومها، فيخرج النبات الحي من الحب والنوى، الذي هو كالجماد الميت، ويخرج الميت من الحي يخرج الدجاجة من البيضة، والبيضة من الدجاجة، ويخرج الولد الصالح من الكافر، والكافر من الصالح، وهو الله وحده لا شريك له، فكيف يُصْرَف الناس عن الحق يعدلون عنه إلى الباطل فيعبدون مع الله غيره، الذي خلق الضياء والظلام، يفلق ظلام الليل عن غرة الصباح، فيضيء الوجود، ويستنير الأفق، ويضمحل الظلام، ويذهب الليل وظلماته، ويجيء النهار بضيائه وإشراقه، فهو سبحانه القادر على كل شيء خلق الأشياء المتضادة المختلفة التي تدل على كمال عظمته وعظيم سلطانه، جعل الليل ساجيًا مظلمًا تسكن فيه الأشياء، والشمس والقمر يجريان بحساب مقنن مقدر، لا يتغير ولا يضطرب، بل كل منهما له منازل يسلكها في الصيف والشتاء، فيترتب على ذلك اختلاف الليل والنهار طولًا وقصرًا، والجميع جار بتقدير العزيز الذي لا يمانع ولا يخالف، العليم بكل شيء، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، والنجوم جعلها الله زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر، كل تلك الآيات بينها الله لقوم يعقلون ويعرفون الحق ويجتنبون الباطل.

وهو سبحانه خلق الخلق من آدم ﷺ، وخلق من آدم زوجته حواء، وجعل النسل يتكون من ماء الرجل وماء المرأة فيستقر في الأرحام بعد أن كان مستودعًا في الأصلاب، وهم في هذه الحياة في دار الممر والمستودع، وفي الآخرة المستقر كل ذلك آيات لقوم يفهمون ويَعُون كلام الله ومعناه، ومن آياته إنزال الماء من السماء بقدر مباركًا، رزقًا للعباد وغياثًا للخلائق، رحمة من الله لخلقه فأخرج به نبات الأرض، من الزرع والشجر الأخضر، ثم بعد ذلك يخلق فيه الحب والثمر؛ ويركب بعضه بعضًا، ومن النخل يخرج عُذُوق الرّطب، قريبة من المتناول، ويخرج من الماء جنات من أعناب، وجنات من الزيتون والرمان يتشابه في الورق، قريب الشكل بعضه من بعض، ويتخلف في الثمار شكلًا وطعمًا وطبعًا.

فليتفكر العباد في قُدْرة خالقه من العدم إلى الوجود، بعد أن كان حَطَبًا صار عِنبًا ورطبًا وغير ذلك، مما خلق تعالى من الألوان والأشكال والطعم والروائح، فهل يعتبر بذلك الذين عبدوا مع الله غيره، وأشركوا في عبادة الله أن عبدوا الجن، فجعلوهم شركاء الله في العبادة، تعالى الله عن شركهم وكفرهم، فإنهم إنما عبدوا الأصنام طاعة للجن فقد أمروهم بذلك، واختلقوا وكذبوا، بأن وصفوا الله تعالى بأن له ولدًا، كما يزعم اليهود في عزير، و النصارى في المسيح والمشركون من العرب في الملائكة، أنهم بنات الله، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، وتقدس الله وتنزه وتعاظم عما يصفه هؤلاء الجهلة الضالون من الأولاد والأنداد، والنظراء والشركاء، فهو مبدع السموات والأرض وخالقهما ومنشئهما، وهو بكل شيء عليم، فكيف يكون له صاحبة من خلقه تناسبه، وهو الذي لا نظير له فأنى يكون له ولد، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١١٠﴾

الله الذي خلق كل شيء أمر عباده بعبادته وحده لا شريك له، والإقرار له بالوحدانية، وأنه لا إله هو، وأنه لا ولد له ولا والد، ولا صاحبة له ولا نظير ولا عديل وهو على كل شيء حفيظ ورقيب يدبر كل ما سواه، ويرزقهم ويكلؤهم بالليل والنهار، لا تدركه الأبصار في الدنيا، وهو يُرى في الآخرة، وهو لا يخفى عليه شيء ولا يفوته، وهو اللطيف بأوليائه الخبير بهم، وقد أنزل الله في كتابه العزيز البينات والحجج، وما جاء به الرسول ﷺ فمن اهتدى فلنفسه، ومن لم ينتفع بهذه البينات، فإنما يعود وبال ذلك عليه، والرسول ﷺ ليس بحافظ ولا رقيب، بل هو مبلغ والله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، والله يوضح الآيات ويفسرها ويبينها في كل موطن لجهالة الجاهلين، والمشركون والكافرون المكذبون يتهمون النبي ﷺ أنه دارَسَ أهل الكتاب وتعلم منهم، وتوضيح الآيات في القرآن لقوم يعلمون الحق فيتبعونه، والباطل فيجتنبونه.

ولله تعالى الحكمة البالغة في إضلال أولئك، وبيان الحق لهؤلاء، ويأمر الله رسوله ﷺ ومن اتَّبع طريقته باتباع الوحي، واقتفاء أثره، والعمل به؛ فإن ما أوحي إلى الرسول من ربه هو الحق الذي لا مِرْية فيه؛ لأنه لا إله إلا هو، وأمر الرسول ﷺ بالعفو عن المشركين والصفح عنهم، واحتمال أذاهم، حتى يفتح الله لنبيه وينصره عليهم، ولله الحكمة في إضلالهم، فإنه لو شاء لهدى الناس كلهم جميعا، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى، ولو شاء ما أشركوا، فله المشيئة والحكمة فيما يشاؤه ويختاره، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، وما الرسول ﷺ بحافظ يحفظ أعمالهم وأقوالهم، وليس موكل على أرزاقهم وأمورهم، فما عليه إلا البلاغ، ونهي النبي ﷺ والمؤمنون عن سب آلهة المشركين، وإن كان فيه مصلحة، إلا إنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين، وهو الله لا إله إلا هو، فقد زين الله لهؤلاء القوم حبّ أصنامهم والمحاماة لها والانتصار لها، ولله الحجة البالغة، والحكمة التامة فيما يشاؤه ويختاره، ثم إلى الله معادهم ومصيرهم، فيجازيهم بأعمالهم، إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًا فشرًا، ويقسم الكفار بالله أيمانًا مؤكدة، لئن جاءتهم معجزة ليصدقنها، وما علموا أن مرجع هذه الآيات إلى الله، إن شاء أجابهم، وإن شاء تركهم، وما يدري المؤمنين بصدقهم في هذه الأيمان التي يقسمون بها، فالغالب في أمرهم أنهم لا يؤمنون، ولما جحد المشركون ما أنزل الله لم تثبت قلوبهم على شيء ورُدَّت عن كل أمر، وحيل بينهم وبين الإيمان ولو جاءتهم كل آية، فلا يؤمنون، كما حال الله بينهم وبين الإيمان أول مرة، ويوم القيامة لو ردوا إلى الدنيا لحيل بينهم وبين الهدى، كما حيل بينهم وبينه أول مرة وهم في الدنيا، ويتركون في كفرهم وضلالهم يترددون.



۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾

الذين كتب الله عليهم الشقاء والكفر، لو نزلت عليهم الملائكة، تخبرهم بالرسالة من الله بتصديق الرسل، وبعث لهم الموتى فأخبروهم بصدق ما جاءتهم به الرسل، وعرضت عليهم الأمم كل أمة بعد أمة تخبرهم بصدق الرسل فيما جاءوهم به، لم يؤمنوا لأن الهداية إلى الله، لا إليهم، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وهو الفعال لما يريد، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، لعلمه وحكمته، وسلطانه وقهره وغلبته.

والكفار مع كفرهم وجحودهم أعداء للرسل يخالفونهم، ويعادونهم، وهم من الجن والإنس، مردوا عن طاعة الله وخرجوا عن عبادته، يلقي بعضهم إلى بعض القول المزين المزوق الذي يغتر به سامعه، فالشياطين أعداء للرسل وأتباعهم، وقد يغلب شياطين الإنس شياطين الجن في الإغواء والإغراء، ولو شاء الله ما سلطوا، ولم يكونوا أعداء للرسل وأتباعهم، ولكن لحكم عظيمة، أرادها الله، وكل شيء بقدر الله وقضائه وإرادته ومشيئته

والمسلم يستعين بالله ولا تضره عداوتهم ويتوكل على الله في عداوتهم، فإن الله كافيه وناصره عليهم، وقد يوجد من يميل قلبه وعقله وسمعه إلى شياطين الإنس والجن.

ويحبون ويريدون ما يلقونه من أساليب الغواية، ولا يستجيب لذلك إلا من لا يؤمن بالآخرة، فليكتسبوا من الذنوب ما هم عاملون.

والمسلم لا يرتضي بحكم الله وحكم رسوله محمد ﷺ بديلًا؛ لأنه خير الأحكام، أنزله الله واضحًا مبينًا في كتابه العزيز، وأوضحه نبيه ﷺ في سنته، واليهود والنصارى يعلمون صدق القرآن ورسالة سيد الأنام ﷺ بما عندهم من البشارات به من الأنبياء المتقدمين، ولا يوجد لدى المسلم شك ولا ريب أن الكفار يعلمون صدق رسالة الإسلام.

فكل ما أخبر به النبي ﷺ حق لا مرية فيه ولا شك، وكل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه، وكل ما نهى عنه فباطل، فإنه لا ينهى إلا عن مَفْسَدة، لأنه وحي يوحى، فليس لأحد أن يُعقِّبُ على حكم الله تعالى لا في الدنيا ولا في الآخرة، وهو السميع لأقوال عباده، العليم بحركاتهم وسكناتهم، الذي يجازي كل عامل بعمله.

والحق لا يعرف بكثرة الأتباع، فأكثر حال أهل الأرض من بني آدم ضلال، وهم في ضلالهم ليسوا على يقين من أمرهم، وإنما هم في ظنون كاذبة وحسبان باطل، والله أعلم بمن يضله فييسره للضلالة، وهو أعلم بمن يهديه فييسره للهداية، وكل ميسر لما خلق له.

ومن هداية الله لعباده إباحة الطيبات، وتحريم الخبائث ومن الطيبات ما ذكر عليه اسمه من الذبائح، أما من لم يذكر اسم الله عليه فيحرم أكله لأنه من الخبائث.

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

أباح الله تعالى لعباده المؤمنين أن يأكلوا من الذبائح التي ذكر عليها اسمه، ولم يبح التي لم يذكر اسم الله عليها، كما كان يستبيحه كفار المشركين من أكل الميتات، وأكل ما ذبح على النصب وغيرها، وقد بَيَّن الله لعباده ما حَرَّم عليهم ووضحه، حتى في حال الاضطرار، يباح لهم ما وجدوا، وهذا من يسر الشريعة وسماحتها، وإذا تركت التسمية عمدًا فلا تحل الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها، ولو كان الذابح مسلمًا.

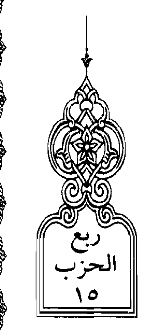
وأما المشركون فإن من آرائهم الفاسدة استحلالهم الميتات، وما ذكر عليه غير اسم الله تعالى، والله أعلم باعتدائهم وكذبهم وافترائهم، وإن كثيرًا من المضللين، إنما يضلون غيرهم بالأهواء والشهوات، ويعتدون على شرع الله بالتحليل لما حرم الله، فيضلون غيرهم بلا علم ولا هدى.

والمسلم يترك معصية الله في السر والعلانية قليلها وكثيرها، فمن اكتسب السيئات فسيجازى بها، وهو تحت مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له.

والشياطين من الجن والإنس، يوصي بعضهم بعضًا، بالمجادلة بالباطل، وإعمال العقل أمام الشرع، فيقولون نأكل مما قتلنا، ولا نأكل مما قتل الله، وهذا من استخدام العقل أمام النقل، فمن عدل عما أمره الله به وشرعه له إلى قول غيره فقدم عليه غيره فذلك من الشرك، والشياطين من الجن والإنس يوحون إلى أوليائهم بعض الحجج الشيطانية ليردوا بها شرع الله تعالى، وليلبسوا بها الحق، وأما المؤمن الذي أحياه الله بنور الوحي والرسالة بعدما كان هالكًا حائرًا، فأحيا الله قلبه بالإيمان، وهداه له ووفقه لاتباع رسله، وجعل له نورًا يهتدي به، فهو على نور من ربه وهداية فلا تضره أساليب الشياطين، وأما الكافر فهو في الجهالات والأهواء والضلالات المتفرقة، لا يهتدي إلى منفذ، ولا مخلص مما هو فيه، وقد عجل الله له العقوبة في الدنيا فزين له سوء عمله فرآه حسنًا، وتلك من العقوبات المعجلة.

ومكر الكفار وكيدهم لجميع الأنبياء وأتباعهم لا ينقطع، فرؤساء الشر ودعاة الكفر والصد عن سبيل الله، يدعون إلى الضلالة بزخرف من المقال والفعال، وما يعود وبال مكرهم وإضلالهم إلا على أنفسهم، وإذا جاءتهم آية وبرهان وحجة قاطعة قالوا لن نؤمن حتى تأتينا الملائكة من الله بالرسالة، كما تأتي إلى الرسل، والله أعلم حيث يضع رسالته ومن يصلح لها من خلقه، ومن تكبر عن اتباع رسله والانقياد لهم فيما جاؤوا به، فإنه سيصيبه يوم القيامة بين يدي الله الذلة الدائمة، لأنهم لما استكبروا أعقبهم ذلك ذُلًا، ولهم العذاب الشديد يوم القيامة جزاءً وفاقًا.

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ
أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ
فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا
ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ
وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا
يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم
مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ
أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ
رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا
بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ
رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ
يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا
وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ
أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾



الهداية من الله يهبها من يشاء من عباده فمن أراد الله له الهداية، يسرها له ونشطه إليها وسهلها عليه فيوسع قلبه للتوحيد والإيمان به، فينشرح له صدره وينفسح فينيب إلى دار الخُلُود، ويَتجَافى عن دار الغرور، ويستعد للموت قبل لقاء الموت، ومن أراد الله له الضلالة يجعل قلبه ضيقًا لا يتسع لشيء من الهدى، ولا يخلص إليه شيء مما ينفعه من الإيمان ولا ينفذ فيه، فليس للخير فيه منفذ، فيضيق بلا إله إلا الله، حتى لا تستطيع أن تدخله، كأنما يصعد في السماء من شدة ذلك عليه. فكما لا يستطيع ابن آدم أن يبلغ السماء، فكذلك لا يستطيع أن يدخل التوحيد والإيمان قلبه، حتى يدخله الله في قلبه.

وحاله حال من ضاق تنفسه كما ارتفع إلى السماء، وقد أثبت العلم التجريبي أن الإنسان كلما ارتفع ضاق تنفسه، ويسلط الله الشيطان عليه وعلى أمثاله ممن أبى الإيمان بالله ورسوله، فيغويه ويصده عن سبيل الله، وهذا الدين الذي شرعه الله لأمة محمد ﷺ بما أوحى إليه هذا القرآن، وهو صراط الله المستقيم، وحبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، قد وضح الله فيه الآيات وبينها، لمن له فهم ووعي يعقل عن الله ورسوله.

فلهم الجنة يوم القيامة. وهي دار السلام لسلامتهم فيما سلكوه من الصراط المستقيم، المقتفي أثر الأنبياء وطرائقهم، فكما سلموا من آفات الاعوجاج أفْضَوا إلى دار السلام.

والله وليهم، وحافظهم وناصرهم ومؤيدهم، وهو السلام ﷻ جزاء على أعمالهم الصالحة تولاهم الله وأثابهم الجنة، بمنّه وكرمه.

وأما الذين كفروا وكذبوا فسيحشرون يوم القيامة إلى ربهم، من الجن وأوليائهم من الإنس الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا، ويعوذون بهم ويطيعونهم، ويوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا، فقد استكثر الجن من إضلال الإنس وإغوائهم، واستمتع الإنس بالجن فيما يتعوذن بهم في الدنيا، وكان الرجل في الجاهلية ينزل الأرض، فيقول: "أعوذ بكبير هذا الوادي"، وأما استمتاع الجن بالإنس فإنه ما ينال الجنّ من الإنس من تعظيمهم إياهم في استعانتهم بهم، فيقولون: قد سُدْنا الإنس والجن، وقد بلغ الجميع أجلهم في الحياة الدنيا بالموت، وفي الآخرة مأواهم ومنزلهم النار هم وأولياؤهم، ماكثين مكثًا مخلدًا إلا ما شاء الله، وكما ولّى الله هؤلاء الخاسرين من الإنس تلك الطائفة التي أغْوَتهم من الجن، كذلك يفعل الله بالظالمين، يسلط بعضهم على بعض، ويهلك بعضهم ببعض، وينتقم من بعضهم ببعض، جزاء على ظلمهم وبغيهم، والله ﷻ أرسل للجن والإنس رسلًا يبلغونهم، وسيسألهم يوم القيامة عن ذلك فيجيبون، أقررنا أن الرسل قد بلغونا رسالاتك، وأنذرونا لقاءك، وأن هذا اليوم كائن لا محالة، ولكنهم فرطوا في حياتهم الدنيا، وهلكوا بتكذيبهم الرسل، ومخالفتهم للمعجزات، لما اغتروا به من زخرف الحياة الدنيا وزينتها وشهواتها، وأقروا يوم القيامة أنهم كانوا في الدنيا كافرين بما جاءتهم به الرسل، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب لتكون حجة على الخلق، لئلا يعاقب أحدٌ وهو لم تبلغه دعوة، وما عذب الله أحدًا إلا بعد إرسال الرسل إليهم، لينبهوهم على حجج الله عليهم، وينذرونهم عذاب الله يوم معادهم، ولم يكن بالذي يؤاخذهم غفلة.

وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا
يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ إِن يَشَأۡ
يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ
أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا
تُوعَدُونَ لَأٓتٖۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلۡ يَٰقَوۡمِ
ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ
مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ
﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ
نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ
فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ
وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ
سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ
لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ
شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ
وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

لكل عامل من طاعة الله أو معصيته منازل ومراتب من عمله يبلِّغه الله إياها، ويثيبه بها، إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًا فشرًا، والله عالم بأعمال العباد، يحصيها ويثبتها لهم عنده، ليجازيهم عليها عند لقائهم إياه ومعادهم إليه، والله الغني عن جميع خلقه من جميع الوجوه، وهو رحيم بهم وهم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، وهو القادر على عقوبتهم إذا خالفوا أمره، ويأتي بقوم آخرين، يعملون بطاعته فهو القادر على إهلاك الكفار والمخالفين، كما أذهب القرون الأوَل وأتى بالذي بعدها، وهو قادر على إذهاب هؤلاء والإتيان بآخرين، وما يوعد به العباد من أمر المعاد كائن لا محالة، ولا يعجز الله شيء، بل هو قادر على إعادة عباده، وإن صاروا ترابًا رفاتًا وعظامًا.

ولْيعملْ كل عامل على طريقته إن كان يظن أنه على هدى، والمؤمن باق على عمله لا يضره من خالفه ولا من عاده، وفي يوم القيامة يتبين من له العاقبة الحميدة، وقد أرى الله نبيه ﷺ حسن العاقبة في الدنيا، فقد أنجز له وعده، صلوات الله عليه، فإنه تعالى مكن له في البلاد، وحكمه في نواصي مخالفيه من العباد، وفتح له مكة، وأظهره على من كذبه من قومه وعاداه وناوأه، واستقر أمره على سائر جزيرة العرب، وكذلك اليمن والبحرين، وكل ذلك في حياته.

ونصر الله نبيه ﷺ على المشركين الذين ابتدعوا بدعًا وكفرًا وشركًا، وجعلوا لله جزءًا من خلقه، وهو خالق كل شيء ﷻ عما يشركون، فإذا حرثوا حرثًا، أو كانت لهم ثمرة، جعلوا لله منه جزءًا وللوثن جزءًا، فما كان من حرث أو ثمرة أو شيء من نصيب الأوثان حفظوه وأحصوه، وإن سقط منه شيء فيما سُمّي لله ردوه إلى ما جعلوه للوثن، وكانوا يحرِّمون من أموالهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، فيجعلونه للأوثان، ويزعمون أنهم يحرمونه لله، فما جعلوه لله من ذبْح يذبحونه، لا يأكلونه أبدًا حتى يذكروا معه أسماء الآلهة، وما كان للآلهة لم يذكروا اسم الله معه، فساء ما يقسمون، فإنهم أخطؤوا أولًا في القسمة، فإن الله تعالى هو رب كل شيء ومليكه وخالقه، وله الملك، وكل شيء له وفي تصرفه وتحت قدرته ومشيئته، لا إله غيره، ولا رب سواه. ثم لما قسموا فيما زعموا لم يحفظوا القسمة التي هي فاسدة، بل جاروا فيها.

ومن ضلالهم ما زينت الشياطين لهم من قتل أولادهم خشية الإملاق، ووأد البنات خشية العار، وما يفعل هؤلاء من الضلال واقع بمشيئة الله تعالى وإرادته واختياره لذلك كونًا، وله الحكمة التامة في ذلك، فلا يسأل عما يفعل وهم يُسألون، والله محاسبهم على ضلالهم وافترائهم.

وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾

نصف الحزب ١٥

من ضلال المشركين تقسيمهم الأنعام، وتحريمها على أنفسهم أو على بعضهم، فقد أوحت إليهم الشياطين بهذا التحريم، فحرموها على من يشاؤون

فحرموا ركوب البحيرة والسائبة والحام، ومن إبلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها، لا إن ركبوا، ولا إن حلبوا، ولا إن حملوا، كذبًا منهم على الله في إسنادهم ذلك إلى دين الله وشرعه، فإن الله لم يأذن لهم في ذلك ولا رَضيه منهم، وسيجزيهم الله على كذبهم، ومن ضلالهم وكذبهم على الله أنهم كانوا يحرِّمون اللبن على إناثهم، ويشربه ذكرانهم، وكانت الشاة إذا ولدت ذكرًا ذبحوه، وكان للرجال دون النساء، وإن كانت أنثى تركت فلم تذبح، وإن كانت ميتة فهم فيه شركاء، فنهى الله عن ذلك، وسيجزيهم وصفهم الكذب بتحريمهم الحلال وتحليلهم الحرام لأن الله حكيم في أفعاله وأقواله وشرعه وقدره، وعليم بأعمال عباده من خير وشر، وسيجزيهم على ذلك أتم الجزاء.

فقد خسروا في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا خسروا أولادهم بقتلهم، وضيقوا عليهم في أموالهم، فحرموا أشياء ابتدعوها من تلقاء أنفسهم، وأما في الآخرة فيصيرون إلى شر المنازل بكذبهم على الله وافترائهم، وكل ذلك بجهلهم وضعف عقولهم وتلك حالة من ابتدع وغلا في دين الله فهو في الضلال المبين، لأن التحليل والتحريم إلى الله، وهو سبحانه الخالق لكل شيء، من الزروع والثمار والأنعام التي تصرف فيها المشركون بآرائهم الفاسدة وقسَّموها وجَزَّؤوها، فجعلوا منها حرامًا وحلالًا فهو الذي أخرج الجنان من الزروع المعروشات مما عرش الناس، مثل العنب، وغيره مما خرج في البر والجبال من الثمرات، ومما خرج من النخيل من التمور ومما خرج من الأشجار من الزيتون والرمان، مما هو متشابه في المنظر، وغير متشابه في الطعم.

يأكل المسلم من رطبه وعنَبه، بلا سرف ولا تبذير، ويؤدي حق الله فيه من الزكاة المفروضة بلا إسراف في الإعطاء، فيعطي المعروف.

ومن نعم الله على عباده ما خلق لهم من الأنعام مما يحمل عليه كالإبل، ومما هو أصغر منه من الفرش من صغار الإبل ومن الغنم

يأكل المسلم مما أنعم الله عليه من الثمار والزروع والأنعام، فكلها خلقها الله وجعلها رزقًا لعباده، ولا يتبع طرائق الشيطان وأوامره، كما اتبعها المشركون الذين حرَّموا ما رزقهم الله، من الثمار والزروع افتراء على الله، فالشيطان عدو للإنسان ظاهر العداوة على المسلم أن يحذر من طرقه.

ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾

بين الله سبحانه أصناف الأنعام فمنها الغنم ومنها ما هو بياض وهو الضأن، وسواد وهو المعز ذكره وأنثاه، ومن الأنعام الإبل ذكورها وإناثها، والبقر كذلك، لم يحرم الله شيئًا منها ولا من أولادها، بل كلها مخلوقة لبني آدم، أكلًا وركوبًا، وحمولة، وحلبًا، وغير ذلك من وجوه المنافع.

فهل عند المشركين علم بما زعموا تحريمه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي ؟

كانوا حضورًا عند تحريم الله لها؟ فلما لم يمكنهم ذلك فقد كذبوا على الله، وأعظم الكذب، الكذب على الله لأنه إضلال لعباد الله عن سبيل الله، بغير برهان، والله لا يهدي من سلك طريق الظلم والكذب والبهتان.

وطريق التحريم إنما يكون بالوحي وقد أوحى الله إلى نبيه ﷺ بالمحرمات ومنها: الميتة والدم المسفوح الذي يخرج من عنق البهيمة إذا ذكيت، ولحم الخنزير لنجاسته، أو ما ذكر عليه اسم غير الله.

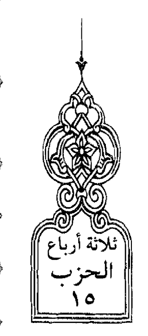
أما من اضطر إلى أكل شيء من المحرمات فيباح له أكلها عند الاضطرار بلا اعتداء ولا مجاوزة للحد، لأن الله رحيم بعباده فلم يحرم عليهم إلا ما فيه ضرر عليهم ولكن في وقت الاضطرار تدفع أدنى المفسدتين بارتكاب أخفهما، والله غفور لمن أكل المحرم عند الاضطرار.

ولما بغى اليهود فقتلوا الأنبياء وصدوا عن سبيل الله وأكلوا الربا واستحلوا أموال الناس بالباطل، حرم الله عليهم كل ذي ظفر وهو ما لم يكن مشقوق الأصابع من البهائم والطير مثل البعير والنعامة و الوز والبط.

وحرم عليهم من البقر والغنم شحوم الجوف: وهو الشحم الذي يكون على الكرش، وشحم الكليتين، إلا ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونها، والشحم الذي يحوي الأمعاء، وما اختلط بالعظم كشحم الإلية.

وما كان هذا التحريم على اليهود إلا بسبب ظلمهم وتعديهم في حقوق الله وحقوق عباده، والله صادق في حكمه وتشريعه، ومن أصدق من الله حديثًا، ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون، والمسلم الحق هو الذي يمتثل أوامر الله فلا يحل إلا ما أحله الله ولا يحرم إلا ما حرمه الله، ولا يبتدع في دين الله ما ليس فيه بل يكون متبعًا لمحمد ﷺ في كل شيء، فإن دين الإسلام دين الوسطية والاعتدال ودين اليسر والسماحة.

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾



رحمة الله تعالى بعبادة واسعة ولو خالفوا أمره وارتكبوا المحرمات وقد رغب عباده في ابتغاء رحمته الواسعة، واتباع رسوله، ومع رحمته فعقابه أليم لمن خالف أمره وعاند رسله وكذبهم وتعدى حدود الله وارتكب الجرائم، وله العقوبة في الدنيا والآخرة.

ومن أراد الله خذلانه احتج على الله بما لا يعلمه من مشيئة الله، فيحتج بالقدر على شركه ومعصيته وتحريمه ما أحل الله ظنًا منه أن ذلك ينجيه من العقوبة وتلك طريقة الأمم المكذبة يحتجون بفعلهم وقدر الله عليهم بأن الله راض عما يعملونه من عمل، فرد الله عليهم بأنهم لا علم عندهم بأن الله راض عنهم إنما هو الوهم والخيال، والاعتقاد الفاسد، والكذب على الله تعالى، والله سبحانه له الحجة البالغة على الناس، التي تنقطع عندها معاذيرهم، وتبطل شبههم، وظنونهم وتوهماتهم، بإنزاله الكتب، وإرساله الرسل، وما جاؤوا به من المعجزات، وله سبحانه الحكمة التامة، والحجة البالغة في هداية من هَدى، وإضلال من أضل، وكل ذلك بقدرته ومشيئته واختياره، وهو مع ذلك يرضى عن المؤمنين ويُبْغض الكافرين، فلا حجة لأحد عصى الله، ولكن لله الحجة البالغة على عباده.

ولا حجة لأحد في تحريم ما أحل الله ولو أتى بشهود على ذلك فهو من الكاذبين الذين يفترون على الله الكذب ويشركون بالله في عبادته اتباعًا لأهوائهم وطاعة لشياطينهم.

والمسلم ممتثل أمر ربه في الحلال والحرام والقرآن بين الحلال والحرام فأعظم المحرمات الشرك بالله تعالى لا يغفره الله أبدًا، وقد حرم الله الجنة على المشركين، فيحذر المسلم من الشرك ووسائله وطرقة الموصلة إليه، وحق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا.

وبعد حق الله حق الوالدين، والله تعالى كثيرًا ما يقرن بين طاعته وبر الوالدين، والبر بالإحسان والمعاملة الطيبة والطاعة والرحمة وخفض الجناح والتذلل والتواضع ولين الجانب والكلمة الطيبة والدعاء والاستغفار، ردًا للجميل واعترافًا بالتقصير وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا، فقد فطر الله الأبوين على رحمة الولد، ولذلك نهى الله عما يخالف هذه الفطرة من القتل خشية الفقر كما يفعل أهل الجاهلية فكانوا يئدون البنات خَشْيَة العار، وربما قتلوا بعض الذكور خيفةَ الافتقار فالله سبحانه الرازق لعباده يرزق الآباء والأولاد، فعلى المسلم أن يجتنب كل ما حرم الله من قتل الأبناء وسائر المحرمات فإنه لا أحد أغْيَر من الله، من أجل ذلك حَرَّم الفواحش ما ظَهَر منها وما بَطنَ، فلا يقرب الطرق الموصلة للفاحشة من الزنا وغيره، فإن الله إذا حرم شيئًا حرم الطرق الموصلة إليه فالاختلاط والخلوة بالأجنبية والسفور والنظرة المحرمة بريد إلى الحرام سواء كان ذلك سرًا أو علانية، ومن الفواحش قتل النفس المعصومة وهي نفس المؤمن والمعاهد والمستأمن والذمي فيحرم قتلها إلا بالحق، بما يبيح قتله من ردة أو قصاص أو زنا من محصن، وما أمر الله به ونهى عنه وصية لعباده لعلهم يعقلون أمر الله ونهيه.

وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ
وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا
وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ
ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾
وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ
تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ
أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ
رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ
وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ
عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ
﴿١٥٦﴾ أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ
فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ فَمَنۡ
أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ
يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

أمر الإسلام بالإحسان لجميع الناس وبالأخص من يحتاج إلى رعاية، ومنهم اليتيم الذي فقد أحد أبويه، فقد اهتم الإسلام بالإحسان إلى اليتيم حتى كان كافل اليتيم مع النبي ﷺ في الجنة، وتوعد الله في كتابه من اعتدى على اليتيم وعلى ماله إلا من كان محسنًا مجتهدًا في إصلاح مال اليتيم وحفظه وتنميته، فيشمل كل وجه من الوجوه التي فيها نفع لليتيم وزيادة في ماله من التجارة وغيرها إلى أن يبلغ اليتيم أشدّه، وهو أن يكون في تصرفاته بماله سالكًا مسلك العقلاء، لا مسلك أهل السفه والتبذير.

فإذا بلغ ذلك فيدفع إليه ماله، واليتيم أمانة في عنق وليه فعليه أن يربيه على الإسلام وأخلاقه ويغرس في قلبه مكارم الأخلاق والأدب الحسن، فالمحافظة على دينه أعظم الأمانة

ومال اليتيم أمانة في يد وليه فليتق الله وليؤد الأمانة عند رشد اليتيم، حفظًا لأموال المسلمين وصيانة لها، ومن حفظ المال الصدق في البيع والشراء بجميع أنواعه في المكاييل والموازين، فالصدق سبب البركة والنماء والزيادة والكذب سبب للمحق والخسارة، فالصدق في المعاملات التجارية هو العدل الذي أمر الله به، فيجتنب المسلم التعاملات التجارية المحرمة من بيوع الغرر والربا لأنها قائمة على أكل أموال الناس بالباطل وعلى الظلم، والبائع يستفرغ طاقته في تحري العدل والصدق في المعاملة، فإن أخطأ بعد ذلك فلا حرج عليه، والعدل يكون بالفعل والقول على القريب والبعيد، والشريف والوضيع والقوي والضعيف والله تعالى يأمر بالعدل لكل أحد، في كل وقت، وفي كل حال.

فيعدل المسلم، ويتحرّى الصواب، ولا يتعصب في ذلك لقريب ولا على بعيد، ولا يميل إلى صديق، ولا على عدو، ومن العدل الوفاء بالعهد وهو ما أخذه الله على عباده من عبادة الله وحده لا شريك له، ومن العهد ما يقع التعاهد به بين الناس، فيجب الوفاء به، ويحرم نقضه وقطعه، سواء كان بين المسلمين فيما بينهم أو كان بينهم وبين الكفار

وقد جاءت تلك الوصايا ذكرى للعباد بالمحافظة عليها والاهتمام بها وهي الصراط المستقيم الذي أمر الله باتباعه، فيجب التزام الإسلام في العقائد والعبادات والمعاملات في الأحكام والأخلاق والآداب، والأخذ بكتاب الله والتزام الجماعة، ويجب الحذر من اتباع غيره من سائر الملل والنحل وسبل الغواية، والاختلاف والفرقة.

ففي ما أنزل الله في كتابه الهداية للبشرية، والبركة في الدنيا والآخرة وهو سبب للرحمة في الدارين، والقرآن خير الكتب وأحسنها، ومما أنزله الله التوارة على موسى ﷺ هداية لبني إسرائيل، فيها تفاصيل الأحكام فجاء القرآن ناسخًا لها وللإنجيل وهداية للثقلين، وهو حجة على جميع الناس جاء بلغة العرب لئلا يحتجوا بعدم معرفتهم بالكتب السابقة، فقطع تعالى العذر بإنزال كتابه العزيز هداية للبشرية ورحمة لها فيه الآيات البينات والحجج الواضحات، وفيه بيان للحلال والحرام، وهدى لما في القلوب، ورحمة من الله بعباده الذين يتبعونه ويقتفون ما فيه، أما من ظلم نفسه بالشرك وتكذيب رسل الله والكفر بآيات الله وصرف الناس وصدهم عن الإسلام فله العذاب الأليم يوم القيامة.

هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴿١٦٥﴾

الحياة الدنيا هي دار التكليف والعمل فإذا جاء يوم القيامة انقطع التكليف، وإذا نزلت الملائكة لقبض روح عبد فقد قامت قيامته، وحينئذ وتنقطع التوبة وينقطع العمل، وكذلك إذا طلعت الشمس من مغربها ففي ذلك الوقت لا ينفع الإيمان ولا يقبل إيمان الكافر ولا توبة الفاسق.

والمسلم مأمور بالتزام الإسلام في حياته كلها، يتوب إلى الله ويستغفره في كل يوم ولا يؤخر التوبة، ومن مقاصد هذا الدين التزام الجماعة ونبذ التفرق والاختلاف، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق.

وهو الصراط المستقيم مما جاءت به الرسل من عبادة الله وحده لا شريك له والتمسك بشريعة الرسول الخاتم، وما خالف ذلك فضلالات وجهالات وآراء وأهواء، الرسل براء منها، والجميع مجزيون يوم القيامة فمن جاء بالحسنات فله أجرها مضاعفة، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا بها وهذا من عدل الله تعالى وإحسانه، فهو لا يظلم مثقال ذرة، فالله رحيم بعباده، فمن هَمَّ بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرًا إلى سبعمائة، إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له واحدة، أو يمحوها الله ﷻ، وهذا دين الإسلام، الدين الخالد الثابت القائم إلى قيام الساعة وهو الصراط المستقيم، الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف وهو الدين المائل عن كل دين غير مستقيم، فمن هداه الله إليه كان من الفائزين.

فالمسلم الذي يدين بالإسلام يعيش حياته كلها على الإسلام ويثبته الله حتى يموت مسلمًا موحدًا، فصلاته ودعاؤه وذبحه وجميع عبادته القولية والفعلية والقلبية لله وحده لا شريك له يحقق التوحيد، فلا يصرف شيئًا من العبادات لغير الله، وهذا طريق التوحيد الذي أمر المسلم باتباعة والسير عليه حتى يكون آخر كلامه من الدنيا لا اله إلا الله نسأل الله أن يميتنا عليها ويختم لنا بها ووالدينا وجميع المسلمين.

فالمسلم لا يطلب ربًّا سوى الله، هو رب كل شيء، يَرُبّيه ويحفظه ويكلؤه ويدبر أمره، فلا يتوكل إلا عليه، ولا ينيب إلا إليه، لأنه رب كل شيء ومليكه، وله الخلق والأمر.

فمن جزاء الله تعالى وحكمه وعدله، أن النفوس إنما تجازى بأعمالها إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًا فشرًا، وأنه لا يحمل من خطيئة أحد على أحد، وهذا من عدله تعالى، إلا من دعا إلى ضلالة فيتحمل أوزار من تبعه من غير أن ينقص من أوزارهم فلا يظلم أحد فيحمل عليه سيئات غيره، ولا يهضم أحد بأن ينقص من حسناته. فكل نفس مرتهنة بعملها السيئ إلا أصحاب اليمين، فإنه تعود بركات أعمالهم الصالحة على ذراريهم.

والجميع سيعرضون على ربهم، وينبئهم بأعمالهم، وهم في الدينا يعمرون الأرض جيلًا بعد جيل، وقَرْنًا بعد قرن، وخَلَفًا بعد سَلَف وقد فاوت الله بينهم في الأرزاق والأخلاق، والمحاسن والمساوي، والمناظر والأشكال والألوان، ليختبرهم في الذي أنعم به عليهم وامتحنهم به، ليختبر الغني في غناه ويسأله عن شكره، والفقير في فقره ويسأله عن صبره.

وهو سبحانه سريع العقاب ممن عصاه وخالف رسله وغفور رحيم لمن والاه واتبع رسله فيما جاؤوا به من خير.

سورة الأعراف

ترتيبها ٧ آياتها ٢٠٦

الحزب ١٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾



سورة الأعراف

وهي سورة مكية سميت بذلك لذكر أصحاب الأعراف فيها

افتتحت هذه السورة بالحروف المقطعة إشارة إلى أن القرآن يتألف من مثل هذه الحروف وقد عجز العرب عن الإتيان بمثله فظهر بذلك أنه كلام الله المعجز، أنزله الله على قلب رسوله محمد ﷺ ليبلغه للعالمين فلا يتحرج في إبلاغه والإنذار به فهو نذارة للمشركين، ورحمة وتذكير للمؤمنين الذين يتبعون ما أنزل فيه من الآيات والأحكام ويعملون به، ويتبعون آثار النبي الأمي الذي جاءهم بكتاب أنزل إليهم من رب كلّ شيء ومليكه، ولا يخرجون عما جاءهم به الرسول إلى غيره، ولا يعدلون عن حكم الله إلى حكم غيره.

وهؤلاء هم القلة القليلة الذين يتحاكمون إلى القرآن ويعملون به ويتدبرونه، وأكثر الناس به كافرون جاءتهم الرسل فخالفوا الرسل وكذبوهم، فأعقبهم ذلك خِزْيُ الدنيا موصولًا بذُلِّ الآخرة، جاءهم العذاب في ليلهم وهم نائمون أو في قائلتهم وهم غافلون، فاعترفوا بذنوبهم ولكن لم ينفعهم الاعتراف، وكان حاصل أمرهم الاعتراف بالجناية حين لا ينفع الاعتراف.

ويوم القيامة يسألهم ربهم عما عملوا فيما بلغتهم الرسل، وبما أجابوا المرسلين ويسأل الرسل عن الإبلاغ، وليأتينهم بالذي ينطق عليهم بأعمالهم وهو كتاب الأعمال، والله مطلع على عباده لا تخفى عليه خافية وهو العالم بخائنة الأعين وما تخفي الصدور يعلم عن الرسل فيما بلغوا، وعن الأمم فيما أجابوا.

ويوم القيامة الوزن العدل للأعمال وللأشخاص ولصحف الأعمال، فالفوز والفلاح لمن ثقلت موازينه بالحسنات والخسارة لمن خفت موازينه بالسيئات، وقد أنعم الله على عباده في الحياة الدنيا فجَعَل الأرض قرارًا، وجعل فيها الجبال الرواسي والأنهار، وجعل لهم فيها منازل وبيوتًا، وأباح منافعها، وسَخَّر لهم السحاب لإخراج أرزاقهم منها، وجعل لهم فيها مكاسب وأسبابًا يتجرون فيها، ويتسببون أنواع الأسباب، وأكثرهم مع هذا قليل الشكر على ذلك، مع ما شرفهم الله به على خلقه بتكريم أبيهم آدم وأمر الملائكة بالسجود له تكريمًا له فسجدوا له إلا إبليس فليحذر بنو آدم من عدوهم إبليس، وما هو مُنْطَوٍ عليه من الحسد لهم ولأبيهم آدم ﷺ.

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ
وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ
فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ
﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ
صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ
وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ
ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ
أَجۡمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ
شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسۡوَسَ
لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ
مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا
مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾
فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا
عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾

الكبر خلق ذميم يقود صاحبه إلى النار، وإبليس أبى السجود وعصى رب العالمين افتخارًا بأصل خلقته متعاليًا على آدم بأنه خير منه، فكان مآله الطرد والإبعاد عن رحمة الله وإنزاله إلى الأرض وهو من الصاغرين، وجعله عدوًا لبني آدم في الحياة الدنيا وأنظره الله إلى يوم الدين، وجعل له من السلطان على بني آدم فهو يجري من آدم مجرى الدم، وحمل إبليس على عاتقه إغواء بني آدم بكل أسلوب، من بين أيديهم من قِبَل الدنيا يزينها لهم، ومن خلفهم من قبل الآخرة يثبطهم عنها، وعن أيمانهم من قبل الحق يصدهم عنه، وعن شمائلهم من قبل الباطل يزينه لهم، حتى يخرجهم عن دينهم ويحرفهم عن عقيدتهم، فكان مصيره الإبعاد والطرد، وجعل له من المداخل على بني آدم ما يكون سببًا في إغوائهم فيكون مصيره ومن أطاعه النار.

فبدأ الشيطان إغواءه لآدم ﷺ فقد أباح الله لآدم ﷺ، ولزوجته حواء الجنة يأكلا منها من جميع ثمارها إلا شجرة واحدة، فسعى إبليس في المكر والخديعة والوسوسة ليُسلبا ما هما فيه من النعمة واللباس الحسن، وقال لهما كذبًا وافتراء نهاكما ربكما عن أكل هذه الشجرة لئلا تكونا ملكين، أو خالدين في الجنة ولو أنكما أكلتما منها لحصل لكما ذلك، وأقسم لهما بالنصح وأغراهما بزخارف القول، حتى أكلا الشجرة فلما أكلا منها أخذتهما العقوبة، والعقوبة أن تهافت عنهما لباسهما حتى أبصر كل واحد منهما ما ووري عنه من عورة صاحبه، وكانا لا يريان ذلك فاستحيا، وأقبلا وجعلا يرقعان ويصلان عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين حتى صار كهيئة الثوب.

وناداهما رب العالمين موبخًا ومعاتبًا لم اقترفتما ما نهاكما الله عنه وأطعتما عدوَّكُما؟ وفي قصة آدم عبرة وعظة للمؤمنين بأن يحذروا من كيد الشيطان ويحترزوا من خطواته المضلة، وأن يستعيذوا بالله ويتحصنوا من الشيطان بما شرع لهم من التحصينات والتعويذات، التي تحفظ المسلم من كيد الشيطان، وليحذر من شياطين الجن والإنس الذين يزينون لأوليائهم فعل المنكرات وترك الطاعات وارتكاب الموبقات واتباع الشهوات

ويحذر المسلم من الصفات الإبليسية من الكبر والحسد، فالكبر قاد إبليس إلى الكفر والخروج من ملكوت السماء، فلا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر، والغرور بالنفس والاعتزاز بالأصل والتعالي على الخلق صفات شيطانية نهى عنها الإسلام وحرمها.

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

التوبة والاستغفار طريق المؤمنين، وتوبة آدم كلمات اعتراف وإخبات وتذلل وانكسار بين يدي الله تعالى، ربنا فعلنا بأنفسنا من الإساءة إليها بمعصيتك وخلاف أمرك، وبطاعتنا عدوَّنا وعدوَّك، فيما لم يكن لنا أن نطيعه فيه، من أكل الشجرة التي نهيتنا عن أكلها وإن أنت لم تستر علينا ذنبنا فتغطيه علينا، وتترك فضيحتنا به بعقوبتك إيانا عليه وترحمنا، بتعطفك علينا، وتركك أخذنا به لنكونن من الهالكين، فقبل الله توبة آدم وحواء وقضى بإنزال آدم وزوجته وإبليس إلى الأرض لتكون حياتهم عليها إلى أن يقضي الله بانتهاء الدنيا.

فعلى ظهرها يعيشون، وبعد الممات يدفنون فيها، ويوم القيامة يبعثون من قبورهم، وأنعم الله على عباده في هذه الحياة بما يسترون به عوراتهم ويتزينون ويتجملون به أمام الآخرين من أنواع الزينة واللباس.

وتقوى الله هي خير لباس للمسلم يتجمل بها ويستتر بها من عذاب الله.

فالعفاف وخشية الله ومراقبة الله في السر والعلن هي الجمال الذي يتزين به المسلم.

والمسلم يحذر دائمًا من كيد الشيطان، ويتذكر عداوته القديمة لأبي البشر آدم ﷺ، في سعيه في إخراجه من الجنة التي هي دار النعيم إلى دار التعب والعناء، والتسبب في هتك عورته بعدما كانت مستورة عنه، وما هذا إلا عن عداوة أكيدة، وقد أوتي من السلطان على بن آدم، فهو يرى بني آدم، هو وجنوده وولده، والجن والشياطين، والإنسان لا يراه وإنَّ عدوًّا يراك ولا تراه لَشديد الخصومة والمؤونة إلا من عصم الله، والشياطين قرناء وأعوان للكافرين يزينون لهم الفواحش وهي اسم لكل فعل قبيح بلغ النهاية في القبح، وينسبون فعل الفواحش بأمر الله لهم ويتعبدون الله بفعلها وذلك بإظهار عوراتهم، وهذا أقبح من فعل الفاحشة لأنه افتراء على الله، وقول على الله بغير علم، وإنما يأمر الله بالعدل وهو التوحيد وإقام الصلاة وإخلاص العمل لله تعالى والاستقامة على الدين، وسيكون الناس فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير، وكما خلقهم من العدم سيعيدهم يوم البعث والنشور وسيجازيهم بأعمالهم وكل ميسر لما خلق له فأهل السعادة ييسرون لعمل أهل السعادة وأهل الشقاوة ييسرون لعمل أهل الشقاوة.

ومن اتخذ الشياطين أولياء وأطاعهم فهم من الذين حقت عليهم الضلالة، لهم النار وإن كانوا في الدنيا يظنون أنهم على الحق، فليس كل من أدعى أنه على الحق كان من أهله

فكثير ممن كتب عليهم الضلالة يظنون أنهم يحسنون صنعًا قد زينت لهم أعمالهم السيئة فظنوها حسنة نسأل الله الهداية والثبات عليها إلى الممات

۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ
وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ
ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ
فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ
لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا
بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ
سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ
فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٤﴾
يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ
ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ
كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ
بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ
رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ
قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾

أخذ الزينة والتجمل من صفات المؤمن، وكمال الزينة في أداء العبادة من تعظيم شعائر الله، فلما كان أهل الجاهلية يتعبدون الله بكشف عوراتهم في الطواف، أمر المسلمون بأخذ الزينة وستر العورة، فيستحب التجمل عند الصلاة، ولا سيما يوم الجمعة ويوم العيد، والطيب لأنه من الزينة، والسواك لأنه من تمام ذلك، ومن أفضل الثياب البياض، والتزين والتجمل يكون باعتدال، بلا سرف ولا مخيلة، وفي المآكل والمشارب كذلك يحرم الإسراف والخيلاء والبطر، فالله لا يحب المتعدين حَدَّه في حلال أو حرام، الغالين فيما أحل أو حَرّم، بإحلال الحرام وبتحريم الحلال، ولكنه يحب أن يحلل ما أحل الله، ويحرم ما حرم الله وذلك العدل الذي أمر به.

فمن حَرَّم شيئًا من المآكل أو المشارب أو الملابس، من تلقاء نفسه من غير شرع من الله فقد افترى على الله وتشبه بالمشركين الذين يحرمون ما يحرمون بآرائهم الفاسدة وابتداعهم، فالله خلق لعباده الطيبات وأباحها لهم، فهي مخلوقة لمن آمن بالله وعبده في الحياة الدنيا، وإن شاركهم فيها الكفار حسًّا في الدنيا، فهي للمؤمنين خاصة يوم القيامة، لا يَشْرَكهم فيها أحد من الكفار، فإن الجنة محرّمة على الكافرين، تلك آيات الله يبينها للمؤمنين الذين ينتفعون بها فصله الله، فيعقلون معناها ويفهمون مرادها فيمتثلون ويستسلمون، فلا يحرمون ما حرم الله ولا يحلون ما حرم الله لأن الحلال والحرام من الله فقد حرم الله الذنوب الصغائر والكبائر ما ظهر منها وما خفي، وجميع أنواع الاعتداء على الآخرين في أموالهم وأعراضهم ودمائهم، وحرم الله الشرك بالله، وحرم القول على الله بغير علم والكذب والافتراء على الله، والكلام في شريعة الله بغير علم من القول على الله بغير علم، والمسلم يعيش حياته وفق منهج الإسلام فكل إنسان له عمره المحدد الذي يقضيه في هذه الحياة، وكل جيل له ميقاته المقدر له، لا يتقدم ولا يتأخر، تأتيهم الآيات والنذر والشرائع فمن أطاع الله و ترك المحرمات فله الفوز والرضا فلا خوف عليه في الدنيا والآخرة، ولا يحزن على ما خلف في الدنيا من الأهل، أما الذين كذَّبت قلوبهم بآيات الله، واستكبروا عن العمل بها فهم في النار ماكثون فيها مكثًا مخلدًا.

فهم من أظلم الناس لافترائهم على الله وتكذيب الرسل والتكذيب بآيات الله، وسينالهم ما كتب عليهم، وقد كتب على من افترى على الله أن وجوههم مسودة يوم القيامة وهم يعيشون في الحياة الدنيا ينالون فيها ما كتب لهم من الأرزاق.

فإذا جاء الأجل فإن الملائكة تفزعهم عند الموت وقَبْض أرواحهم إلى النار، يقولون لهم أين الذين كنتم تشركون بهم في الحياة الدنيا وتدعونهم وتعبدونهم من دون الله؟ يقولون لهم ادعوهم يخلصوكم مما أنتم فيه، فيقولون ذهبوا عنا فلا نرجو نفعهم، ولا خيرهم فأقروا واعترفوا على أنفسهم بالكفر.

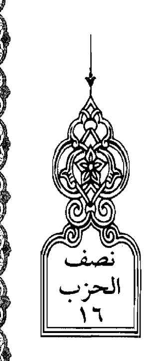
قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾

أصحاب النار من المشركين والكافرين يقال لهم يوم القيامة ادخلوا النار مع من هم مثلكم في العصيان والكفر، ومن هم على صفاتكم من الأمم السالفة الكافرة من الجن والإنس، فكلما دخلت جماعة لعنت أختها في الدين لا في النسب، فتلعن اليهود اليهود والنصارى النصارى، وكل فرقة تلعن أختها ويلعن الأتباع القادة حتى إذا تداركوا وتلاحقوا واجتمعوا في النار دعا آخراهم دخولا النار وهم الأتباع، بأن يضاعف على الذين أضلوهم العذاب، وهم في الحقيقة أعظم عذابا وأشد لأنهم يحملون أوزار الذين اتبعوهم، فلكل صنف منهم ضعف من العذاب بحسب من تبعه، ولكن لا يعلم الأتباع ما للقادة ولا القادة ما للأتباع من العذاب، فحينئذ يقول المتبوعون للذين اتبعوهم أنتم مثلنا في الكفر والعذاب، لأنكم كفرتم كما كفرنا فنحن وأنتم في الكفر سواء وفي العذاب سواء.

والكفار لا تفتح لهم أبواب السماء لأدعيتهم ولا لأعمالهم، ولا لأرواحهم لأنها خبيثة لا يصعد بها بل يهوى بها إلى سجين، إنما تفتح أبواب السماء لأرواح المؤمنين وأدعيتهم وأعمالهم، ولا يدخلون الجنة لأنها محرمة عليهم حتى يدخل البعير في ثقب الإبرة،، فهم لا يدخلون الجنة أبدًا لأن الشيء إذا علق بما يستحيل كونه يدل على تأكيد المنع، وهذا جزاء المجرمين، إنما لهم من النار فرش ولحاف يفترشونها ويلتحفونها وظلال يستظلون بها و هذا يدل على إحاطة النار بهم من كل جانب.

أما أهل الإيمان والعمل الصالح، الذين آمنت قلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم، ضد أولئك الذين كفروا بآيات الله، واستكبروا عنها، فلا تكليف عليهم في دينهم، فالإيمان والعمل به سهل، فلهم في القيامة الجنة لا يتحولون عنها ليس في قلوبهم حقد ولا غش ولا حسد، إخوانًا على سرر متقابلين، نجوا من النار بعفو الله، وأدخلوا الجنة برحمة الله، واقتسموا المنازل وورثوها بالأعمال الصالحة، يحمدون الله على هدايته لهم بإنزال الكتب وإرسال الرسل -أسأل الله ألا يحرمنا رحمته ووالدي وأهلي وذريتي والمسلمين- وفي ذلك استثارة للنفوس أن تشتاق للجنة وتعمل الصالحات وتسارع وتسابق وتنافس في ميدان التنافس، ويحمل ذلك المسلم في هذه الحياة على أن يتخلق بأخلاق أهل الجنة، فإن حسن الخلق من أكثر ما يدخل الناس الجنة مع تقوى الله، يتخلق بسلامة الصدر وحب الخير للمسلمين، والرحمة والشفقة والرفق، وينظر المسلم للحياة أنها مزرعة للآخرة فيعد نفسه غريبًا، أو عابر سبيل فإذا أصبح لا ينتظر المساء، وإذا أمسى لا ينتظر الصباح، ويأخذ من صحته لمرضه ومن حياته لموته، ومن دنياه لأخرته.

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾



إذا استقر أهل الجنة وأهل النار في منازلهم، ينادي أهل الجنة أهل النار وذلك على وجه التقريع والتوبيخ أن قد وجدنا ما وعدنا الله من النعيم فهل وجدتم ما وعدكم ربكم من العذاب فنادى مناد أسمع الفريقين أن لعنة الله وغضبه على الكافرين، الذين كانوا يصدون الناس عن اتباع سبيل الله وشرعه وما جاءت به الأنبياء، ويبغون أن تكون السبيل معوجة غير مستقيمة، حتى لا يتبعها أحد، وهم بلقاء الله في الدار الآخرة جاحدون مكذبون بذلك لا يصدقونه ولا يؤمنون به، فلهذا لا يبالون بما يأتون من منكر من القول والعمل؛ لأنهم لا يخافون حسابًا عليه، ولا عقابًا، فهم شر الناس أعمالًا وأقوالًا.

وبين الجنة والنار حجاب يسمى الأعراف، وهو حاجز يمنع من وصول أهل النار إلى الجنة

وعليه قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، فوقفوا هناك حتى يقضي الله فيهم ما يشاء، ثم يُدخلهم الجنة بفضله ورحمته، وهم آخر من يدخل الجنة، يقفون على الأعراف، فيعرفون أهل الجنة بعلاماتهم وأهل النار بصفاتهم، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا سلام عليكم، وهم يطمعون أن يدخلوا معهم، وإذا صرفوا أبصارهم إلى يسارهم نظروا إلى أصحاب النار وتعوذوا بالله من منازلهم، فيرى أهل الأعراف رجالًا من صناديد المشركين وقادتهم، في النار فيعرفونهم بعلاماتهم ويقولون لهم: لم تغن عنكم كثرتكم، ولا جموعكم من عذاب الله، بل صرتم إلى ما صرتم فيه من العذاب والنكال، ألم تكونوا في النعيم والمظاهر العالية في الحياة الدنيا؟

فلما قال أصحاب الأعراف لهم الذي قضى الله أن يقولوا لهم، قال الله لأهل التكبر عن الإقرار بوحدانية الله، والإذعان لطاعته وطاعة رسله، الجامعين في الدنيا الأموال مكاثرة ورياء، أيها الجبابرة أهؤلاء الضعفاء الذين كنتم في الدنيا أقسمتم لا ينالهم الله برحمة؟ قد غفرت لهم ورحمتهم، فبفضلي ورحمتي، ادخلوا يا أصحاب الأعراف الجنة لا خوف عليكم بعدها من عقوبة تعاقبون بها على ما سلف منكم في الدنيا من الآثام والإجرام، ولا أنتم تحزنون على شيء فاتكم في دنياكم، وينادي أهل النار أهل الجنة أن أطعمونا و أسقونا من الجنة، فيجيبونهم أن الله حرم طعام الجنة وشرابها على الكافرين، الذين اتخذوا الدين لهوًا ولعبًا، واغتروا بالدنيا وزينتها وزخرفها عما أمروا به من العمل للدار الآخرة، فاليوم يعاملهم الله معاملة من نَسيهم؛ يقول الله للعبد يوم القيامة: "ألم أزوجك؟ ألم أكرمك؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل؟ وأَذَرْك ترأس وتَرْبَع، فيقول: بلى. فيقول: أظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول الله: فاليوم أنساك كما نسيتني"

وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

لما أخبر الله عما صار إليه المشركون من الخسارة في الدار الآخرة، ذكر الله أنه قد أزاح عللهم في الدار الدنيا، بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، فقد أرسل الله الرسول إليهم بالكتاب المفصل المبين، فكذبوا وجحدوا، وما أنزل هذا الكتاب إلا رحمة للبشرية وهداية للإنسانية، ولا يصيب من رحمته إلا من آمن وعمل صالحًا ثم اهتدى، ولكن الكفار لا ينتظرون بعد كفرهم إلا ما وُعِدَوا به من العذاب والنكال، ويأتي يوم الحساب، فيدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فيتحقق تأويل الكتاب فيبحثون حينئذ عن الشفعاء أو يتمنوا الرجوع للدنيا ليعملوا، ولكنهم لن يعملوا وخسروا أنفسهم بدخولهم النار وخلودهم فيها، و ذهب عنهم ما كانوا يعبدون من دون الله فلا ينصرونهم، ولا يشفعون لهم ولا ينقذونهم مما هم فيه.

والله سبحانه هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، خلق هذا العالم سماواته وأرضه، وما بين ذلك في ستة أيام، ثم استوى على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه، يصرِّف هذا الكون بمشيئته وإرادته، يذهب ظلام الليل بضياء النهار، وضياء النهار بظلام الليل، وكل منهما يطلب الآخر طلبًا سريعًا لا يتأخر عنه، بل إذا ذهب هذا جاء هذا، وإذا جاء هذا ذهب هذا، وجميع الكواكب تحت قهره وتسخيره ومشيئته، له الملك والتصرف، له الملك كله، وله الحمد كله، وإليه يرجع الأمر كله، هو المستحق للعبادة وإليه يفزع العباد بالدعاء والاستغاثة والاستعانة يدعونه لما فيه صلاحهم في دنياهم وأخراهم، يدعونه تذللًا واستكانة، بخشوع القلوب وصحة اليقين بوحدانيته وربوبيته فيما بينهم وبينه، لا جهارًا ومراءاة، يدعون الله وهم متأدبون بآداب الدعاء فلا يسألون ما ليس لهم ولا يدعون بإثم وقطيعة رحم، يعمرون الأرض بالتوحيد والعبادة ولا يفسدونها بالشرك والمعصية مع دعائهم لله والتضرع إليه والتذلل لديه خوفًا مما عنده من وبيل العقاب، وطمعًا فيما عنده من جزيل الثواب، لعلمهم أن رحمته مُرْصَدة للمحسنين، الذين يتبعون أوامره ويتركون زواجره، وهو سبحانه الرزّاق، فيرسل الرياح مبشرات بالخير تبشر العباد بالأمطار وتحمل السحاب الثقال بما فيها من الماء الكثير، فيسوقه رب العالمين إلى أرض ميتة، مجدبة لا نبات فيها، فيخرج به النبات، فكما أحيا الله هذه الأرض بعد موتها، كذلك يحيي الأجساد بعد صيرورتها رَمِيمًا يوم القيامة، ينزل الله ﷻ ماء من السماء، فتمطر الأرض أربعين يومًا، فتنبت منه الأجساد في قبورها كما ينبت الحب في الأرض.

وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١٦

أنزل الله الهداية إلى عباده فكانوا فريقين منهم من انتفع، ومنهم من لم يقبل هدى الله الذي جاء به رسوله ﷺ، فمثل المؤمن مثل البلد الطيب، يصيب المطر الأرض الطيبة فيخرج نباتها سريعًا حسنًا، ومثل الكافر كالأرض السبخة التي لا يخرج نباتها إلا بعسر وعناء ومشقة، فالمؤمن إذا سمع القرآن وعاه وعقله وانتفع به، والكافر يسمع القرآن فلا يؤثر فيه، كالبلد الخبيث الذي لا يتبين أثر المطر فيه.

فالله سبحانه يرسل الرسل مبشرين ومنذرين ليكونوا حجة على عباده وأول الرسل نوح ﷺ، فإنه أول رسول إلى أهل الأرض بعد آدم ﷺ، وقد كان بين آدم إلى زمن نوح عليهما السلام عشرة قرون كلهم على الإسلام، وكان أول ما عبدت الأصنام أن قومًا صالحين ماتوا، فبنى قومهم عليهم مساجدَ، وصوروا صور أولئك فيها، ليتذكروا حالهم وعبادتهم، فيتشبهوا بهم، فلما طال الزمان، جعلوا تلك الصور أجسادًا، فلما تمادى الزمان عبدوا تلك الأصنام وسموها بأسماء أولئك الصالحين "ودًّا وسواعًا ويَغُوث وَيَعُوق ونسرًا"، فلما تفاقم الأمر بعث الله ﷻ رسوله نوحًا يأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، لأن التوحيد سبب للنجاة من النار ولكنهم كذبوه وقال السادة والقادة والكبراء منهم إنك في ضلال في دعوتك إيانا إلى ترك عبادة هذه الأصنام التي وجدنا عليها آباءنا، فيرد عليهم نوح ﷺ ما أنا ضال، ولكني رسول من رب كل شيء ومليكه، أبلغكم برسالة ربي، أبشركم بالتوحيد وأنذركم الشرك، بكل نصح وأمانة، ولا تعجبوا من هذا، أن كان الرسول بشراً، فإن هذا ليس بعجب وإنما هو رحمة بالناس ولطفٌ وإحسانٌ إليهم، لينذرهم من الشرك، وليتقوا نقمة الله، ولا يشركون به شيئًا، ولتكون دعوته لهم رحمة، ولكنهم تمادوا في تكذيبه ومخالفته، وما آمن معه منهم إلا قليل، فأنجاه الله وأصحاب السفينة، وأغرق البقية لأنهم عموا عن الحق، لا يبصرونه ولا يهتدون له، فانتقم الله لأوليائه من أعدائه، وأنجى رسوله والمؤمنين، وأهلك أعداءهم، وهذه سنة الله في عباده في الدنيا والآخرة، أن العاقبة للمتقين والظفر والغلب لهم، كما أهلك قوم نوح ﷺ بالغرق ونجى نوحًا وأصحابه المؤمنين.

وتمضي قوافل المكذبين ويبعث الله في عاد نبيه هودًا ﷺ، وقد كانت مساكنهم باليمن بالأحقاف، وهي جبال الرمل وكانوا من أشد الناس خلْقًا وقوة فشُدِّد على قلوبهم، وكانوا من أشد الأمم تكذيبًا للحق؛ دعاهم هود ﷺ إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وإلى طاعته وتقواه، فقال السادة والقادة منهم: إنك في ضلالة حيث دعوتنا إلى ترك عبادة الأصنام، والإقبال إلى عبادة الله وحده لا شريك له فنفى هود ﷺ عن نفسه السفاهة وقال: بل جئتكم بالحق من الله الذي خلق كل شيء، فهو رب كل شيء ومليكه وأنصح لكم وأؤدي رسالة ربي بكل أمانة.

أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةًۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

مهمة الرسل البلاغ والنصح وأداء الرسالة، وهم بشر ليس لهم من خصائص الألوهية شيء، أرسلهم الله إلى العباد رحمة وهداية، ونفى الله تعجب الأمم بإرسال الرسل من البشر كما في قصة قوم عاد، فقد بعث الله إليهم رسولا من أنفسهم لينذرهم أيام الله ولقاءه، فليحمدوا الله على ذلك، وليذكروا نعمة الله عليهم إذ جعلهم من ذرية نوح، الذي أهلك الله أهل الأرض بدعوته، لما خالفوه وكذبوه، وزاد في طولهم على الناس بسطة، فقد جعلهم الله أطول من أبناء جنسهم، فليذكروا نعم الله ومنَنه عليهم، ولكنهم كذبوا نبي الله هودًا ﷺ وتمردوا وطغوا وعاندوا وأنكروا دعوة التوحيد وقد كانوا يعبدون الأصنام، فقال هود ﷺ قد وجب عليكم بمقالتكم هذه من ربكم رجس وغضب، أتحاجوني في هذه الأصنام التي سميتموها أنتم وآباؤكم آلهة؟ وهي لا تضر ولا تنفع، ولا جعل الله لكم على عبادتها حجة ولا دليلًا؛ وهددهم بانتظار العذاب، فأرسل الله عليهم الريح العقيم، ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم، وأنجى الله هودًا ﷺ ومن آمن معه.

وتمضي دعوة الرسل إلى التوحيد فيرسل الله إلى قبيلة ثمود نبيه صالحًا ﷺ وكانت ثمود بعد عاد، ومساكنهم مشهورة فيما بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله، وقد مر رسول الله ﷺ على قراهم ومساكنهم، وهو ذاهب إلى تبوك سنة تسع من الهجرة، وأمرهم بالإسراع في ديارهم وعدم الاستسقاء منها.

فدعاهم صالح ﷺ إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وهكذا دعوة الرسل يدعون إلى التوحيد والنذارة من الشرك، وجاءهم صالح ﷺ بحجة من الله على صدق ما أرسل به، وكانوا هم الذين سألوا صالحًا أن يأتيهم بآية، واقترحوا عليه أن تخرج لهم من صخرة صماء عَيّنوها بأنفسهم، وهي صخرة منفردة في ناحية الحِجْر يقال لها الكَاتبة، فطلبوا منه أن يخرج لهم منها ناقة عُشَراء تَمْخَضُ، فأخذ عليهم صالح العهود والمواثيق لئن أجابهم الله إلى سؤالهم وأجابهم إلى طُلْبتهم ليؤمنن به وليتبعنه، فلما أعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم، قام صالح ﷺ، إلى صلاته ودعا الله ﷻ، فتحركت تلك الصخرة ثم انصدعت عن ناقة جَوْفاء وَبْرَاء يتحرك جنينها بين جنبيها كما سألوا، وأمرهم أن يتركوها تأكل وتشرب ولا يمسوها بعقر ولا أذى، لأن مسها سبب لعذابهم وهلاكهم.

وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ
فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ
ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ
مُفۡسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن
قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ
أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ
مُؤۡمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ
ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ
أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ
جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ
رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ
﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم
بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ
شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿٨١﴾

من نعمة الله على ثمود أن جعلهم خلفاء لقوم عاد وأسكنهم الأرض، فكانوا ينقبون في الجبال البيوت ففي الصيف يسكنون بيوت الطين، وفي الشتاء بيوت الجبال، فلم يشكروا نعمة الله عليهم فكذبوا رسولهم صالحًا ﷺ.

وقال الأشراف والقادة الذين تعاظموا عن الإيمان بصالح للأتباع المؤمنين: أتعلمون أن صالحًا من مرسل من ربه استهزاء وتهكمًا، وقالوا إنا جاحدون برسالة صالح.

فنحروا الناقة وعصوا الله وتركوا أمره في الناقة، وكذبوا نبيهم، وتحدُّوا نبيهم بأن يأتيهم بالعذاب فأوعدهم صالح بثلاثة أيام يتمتعون بها، ويتنعمون ويتلذذون ثم يعقبهم العذاب.

فبعد الثلاثة أيام تزلزلت الأرض بهم وأهلكوا بالصيحة والرجفة، فأصبحوا خامدين ميتين، قد سقطوا على وجوههم موتى عن آخرهم، فأعرض صالح ﷺ عنهم، وقال لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم وهذا تقريع من صالح ﷺ لقومه لما أهلكهم الله بمخالفتهم إياه، وتمردهم على الله، وإبائهم عن قبول الحق، وإعراضهم عن الهدى إلى العَمى قال لهم صالح ذلك بعد هلاكهم تقريعًا وتوبيخًا وهم يسمعون ذلك.

وتتنوع المعاصي والسيئات فيرسل الله إلى أهل "سَدُوم" وما حولها من القرى لوطًا ﷺ وهو ابن هاران بن آزر، وهو ابن أخي إبراهيم الخليل ﷺ ، وكان قد آمن مع إبراهيم ﷺ ، وهاجر معه إلى أرض الشام، فنزل إبراهيم فلسطين ونزل لوط الأردن، وقوم لوط كانوا خليطًا من الكنعانيين وممّن نزل حولهم، فبعثه الله فيهم، يدعوهم إلى الله ﷻ، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم والمحارم والفواحش التي اخترعوها، ولم يسبقهم بها أحد من بني آدم ولا غيرهم، وهو إتيان الذكور، وهذا شيء لم يكن بنو آدم تعهده ولا تألفه، ولا يخطر ببالهم، حتى صنع ذلك أهل "سَدُوم"، عدلوا عن النساء، وما خلق الله لهم منهن إلى الرجال، وهذا إسراف منهم وجهل؛ وتجاوز عن الحلال إلى الحرام، وكل من ترك الحلال وارتكب الحرام فهو مسرف على نفسه بالعصيان، وقد وصفهم بالإسراف؛ لأنهم قوم تمكّن منهم الإسراف في الشّهوات فلذلك اشتهوا شهوة غريبة لما سئموا الشهوات المعتادة، وهذه عادة الاسترسال في الشّهوات حتّى يصبح المرء لا يشفي شهوته شيء.

وأقبح الفواحش اللواط فهو انتكاس في الفطرة وشذوذ، وجريمة عاقب عليها الشرع بالموت بأبشع الصور؛ لأنها جريمة خطيرة تنشر الأمراض، وتقطع النسل وتورث الذل، وهو نجاسة ومهانة وقبح، وحيوانية بهيمية.

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن
قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ
إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم
مَّطَرٗاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾
وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبٗاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ
مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٞ مِّن
رَّبِّكُمْۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ
ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ
إِصْلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٞ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ
﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجٗاۚ
وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمْۖ وَٱنظُرُواْ
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ
مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمْ يُؤْمِنُواْ
فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾

حين تنتكس الفطر يُزَيَّن للإنسان عمله فيراه حسنًا، فقوم لوط لما نهاهم نبيهم عن هذه الجريمة هَمُّوا بإخراجه ونفيه ومن معه من المؤمنين من بين أظهرهم؛ لأنهم يتطهرون من أدبار الرجال وأدبار النساء، وهذا اعتراف منهم بخبث عملهم، فأخرجه الله تعالى سالمًا، وأهلكهم في أرضهم صاغرين مهانين، وأنجى الله لوطًا وأهله، ولم يؤمن به أحد منهم سوى أهل بيته فقط، إلا امرأته فإنها لم تؤمن به، بل كانت على دين قومها، تمالئهم عليه وتُعْلمهم بمن يَقْدم عليه من الضيوف بإشارات بينها وبينهم؛ ولهذا لما أُمِر لوط ﷺ أن يَسْري بأهله، أُمِر ألا يُعْلم امرأته ولا يخرجها من البلد، فرفع جبريل ﷺ قرى اللوطية حتى سمع الملائكة نباح كلابهم ثم قلبها عليهم وأُمطروا بحجارة من النار، وتلك عاقبة من ارتكب معاصي الله وكذّب رسله، فقرر بعض العلماء أن اللوطي يلقى من شاهق، ويُتْبع بالحجارة كما فُعِل بقوم لوط، وذهب بعض العلماء إلى أنه يرجم سواء كان محصنًا أو غير محصن، وقال بعضهم هو كالزاني، فإن كان محصنًا رجم، وإن لم يكن محصنًا جلد مائة جلدة، وأما إتيان النساء في الأدبار فهو اللوطية الصغرى، وهو حرام بإجماع العلماء، وأرسل الله نبيه شعيبًا ﷺ إلى أهل مدين، وهو مدين بن إبراهيم خليل الرحمن ﷺ وهم أصحاب الأيكة، وكانوا أهل كفر وبخس للمكيال والميزان، ومواطنهم بين الحجاز وخليج العقبة بقرب ساحل البحر الأحمر، وتنتهي أرضهم من الشّمال إلى حدود مَعان من بلاد الشّام، وإلى نحو تبوك من الحجاز، وتسمّى بلادهم الأيْكَة. دعاهم شعيب ﷺ إلى التوحيد عبادة الله وحده لا شريك له، وجاءهم بالحجج والبينات على صدق ما جاءهم به، ثم وعظهم في معاملتهم الناس بأن يوفوا المكيال والميزان، ولا يبخسوا الناس أشياءهم، فلا يخونون الناس في أموالهم ويأخذونها على وجه البخس، وهو نقص المكيال والميزان خفْية وتدليسًا، ونهاهم عن إفساد الأرض بالشرك بعد إصلاحها بالتوحيد، ونهاهم شعيب ﷺ عن قطع الطريق الحسي والمعنوي، فلا يتوعدون الناس بالقتل إن لم يعطوهم أموالهم، ولا يتوعدون المؤمنين الذين آمنوا بشعيب فيصدوا عن سبيل الله ويودُّون أن تكون سبيل الله عوجًا مائلة، بعدما أنعم الله عليهم بالكثرة بعدما كانوا مستضعفين لقلتهم فصاروا أعزة لكثرة عَدَدهم، ولينظروا إلى الأمم الخالية والقرون الماضية، ماذا حل بهم من العذاب والنكال باجترائهم على معاصي الله وتكذيب رسله، فإن اختلفوا على نبيهم فصاروا فرقتين مكذبين ومصدقين فلينتظروا حتى يفصل الله بينهم وبينه، وهو سبحانه خير الحاكمين، سيجعل العاقبة للمتقين، والدمار على الكافرين.

۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

الرسل عليهم الصلاة والسلام حين يدعون إلى التوحيد يقابَلون بالأذى والتكذيب والإخراج من بلادهم، فهذا نبي الله شعيب ومن معه من المؤمنين يتوعدهم المستكبرون بالنفي من القرية، أو الإكراه على الرجوع في مِلَّتهم والدخول معهم فيما هم فيه من الشرك، فقال لهم نبيهم: أَوَ أنتم فاعلون ذلك؟ ولو كنا كارهين ما تدعونا إليه فإنا إن رجعنا إلى ملتكم ودخلنا معكم فيما أنتم فيه فقد أعظمنا الفِرْية على الله في جعل الشركاء معه أندادًا، ولكنا ملتزمون بعبادة الله وحده لا شريك له إلا أن يشاء الله، فإنه يعلم كل شيء، وقد أحاط بكل شيء علمًا، توكلنا على الله في جميع أمورنا ما نأتي منها وما نذر، ودعا الله أن يفصل بينه وبين قومه، وأن ينصره عليهم، فهو سبحانه خير الحاكمين، فاشتد كفر قوم شعيب وتمردهم وعتوهم، وما هم فيه من الضلال، وما جبلت عليه قلوبهم من المخالفة للحق، واعتقدوا أن الخسارة في اتباع شعيب، فأخذتهم الرجفة كما أرجفوا شعيبًا وأصحابه وتوعدوهم بالجلاء، أصابهم عذاب يوم الظلة، وهي سحابة أظلتهم فيها شرر من نار ولَهَب ووهَج عظيم، ثم جاءتهم صيحة من السماء ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم، فزهقت الأرواح، وفاضت النفوس وخمدت الأجساد، كأنهم لما أصابتهم النقمة لم يقيموا بديارهم التي أرادوا إجلاء الرسول وصحبه منها، فهم الذين خسروا الدنيا والآخرة، فتولى عنهم "شعيب" ﷺ بعد ما أصابهم ما أصابهم من العذاب والنقمة والنكال، وقال مقرِّعًا لهم وموبِّخًا قد أديتُ إليكم ما أُرْسِلْت به، فلا أسفة عليكم وقد كفرتم بما جئتكم به.

وهذه حال الأمم الماضية، التي أُرسل إليها الأنبياء، اختُبِروا بالبأساء والضراء بما يصيبهم في أبدانهم من أمراض وأسقام، وما يصيبهم من فقر وحاجة لعلهم يدعون ويخشعون ويبتهلون إلى الله تعالى في كشف ما نزل بهم فما فعلوا شيئًا من الذي أراد الله منهم، فقلب الحال إلى الرخاء ليختبرهم فيه؛ فتحول الحال من شدة إلى رخاء، ومن مرض وسقم إلى صحة وعافية، ومن فقر إلى غنى، ليشكروا على ذلك، فما فعلوا حتى كثروا وكثرت أموالهم وأولادهم، فما نَجَح فيهم لا البأساء، ولا الرخاء، ولا انتهوا بالضراء ولا بالنعمة بل قالوا قد مسنا البأساء والضراء، ثم بعده الرخاء مثل ما أصاب آباءنا في قديم الدهر، وإنما هو الدهر تارات وتارات، ولم يتفطنوا لأمر الله فيهم، ولا استشعروا ابتلاء الله لهم في الحالين، فأخذهم الله بالعقوبة بغتة وفجأة وعدم شعور منهم، وهذا بخلاف حال المؤمنين الذين يشكرون الله على السراء، ويصبرون على الضراء.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾

أرسل الله الرسل حجة على عباده، أرسلهم هداية للناس، ولكن لم يؤمن منهم إلا القليل، فيأتي النبي ومعه الرهط والرهيط والرجل والرجلان ويأتي النبي وليس معه أحد، وماذا على الناس لو آمنوا وصدَّقوا المرسلين، واتقوا الله بفعل الطاعات وترك المحرمات، إذًا لأنزل الله عليهم قطر السماء وفجر لهم بركات الأرض، ولكنهم كذبوا رسلهم، فعاقبهم الله بالهلاك على ما كسبوا من المآثم والمحارم.

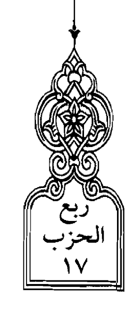
أفأمنوا مكر الله أن ينزل عليهم العذاب والنكال ليلًا وهم نائمون أو غافلون أو يأتيهم العذاب في النهار وهم في شغلهم وغفلتهم؟ أفأمنوا بأس الله ونقمته وقدرته عليهم وأخذه إياهم؟ فلا يأمن إلا الخاسرون في الدنيا والآخرة، وهذه حال الفجار يعملون بالمعاصي وهو آمنون، أما المؤمنون يعملون بالطاعات وهم مُشْفِقون وَجِلون خائفون.

وقد بين الله لعباده كيف نزلت العقوبة بالأمم المكذبة؟ فليأخذ العبد العظة والعبرة أن يؤاخَذ مثلهم، ومن لم ينته ويعتبر وهو يعلم ما حل بالمكذبين فقد خُتم على قلبه، فلا ينتفع بموعظة ولا تذكير.

فقد أرسل الله الرسل عليهم السلام بالحجج على صدقهم فيما أخبروا أممهم به، وأيدهم بالمعجزات والآيات الباهرات، فكذب أقوالهم بالحق وجحدوا واستكبروا، فأهلكهم الله وأنجى المؤمنين، فهم لم يراعوا عهدًا ولا ميثاقًا، فقد أخذ الله العهد عليهم بما جبلهم عليه وفطرهم عليه من التوحيد، وأخذ عليهم الميثاق وهم في الأصلاب أنه ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو، فأقروا بذلك، وشهدوا على أنفسهم به، ثم خالفوه وتركوه وراء ظهورهم، وعبدوا مع الله غيره بلا دليل ولا حجة، لا من عقل ولا شرع، فكان أكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة والامتثال.

ومن تلك الأمم: فرعون وقومه، فقد أرسل الله موسى عليه السلام بالآيات والمعجزات، والدلائل البينة إلى فرعون ملك مصر في زمن موسى، فجحدوا الآيات والمعجزات وكذبوا بها، وكفروا بها ظلمًا منهم وعنادًا، وظلموا أنفسهم بالكفر والشرك، جحدوا ربوبية الله وألوهيته بألسنتهم واستيقنوا بقلوبهم أن ذلك هو الحق، ولكنه التكبر على الحق والصد عن سبيل الله، فقد جاءهم موسى عليه السلام بالرسالة من رب العالمين وبالحق المبين الواضح.

حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾



الرسل أمناء الله على وحيه، لا يخبرون عن الله إلا الحق، وقد جاء موسى ﷺ إلى فرعون بالحق والهدى يدعوه إلى التوحيد، وقد أيده الله بالحجج القاطعة دليل على صدقه بما جاء به من الرسالة، وطلب منه إطلاق بني إسرائيل من أسْره وقهره، وتَرْكهم يعبدون ربه وربهم؛ فإنهم من سلالة نبي كريم، وهو إسرائيل، (يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن عليهم الصلاة والسلام)، فقال فرعون له: لست بمصدقك فيما قلت، ولا بمطيعك فيما طلبت، فإن كانت معك حجة فأظهرها لنراها إن كنت صادقًا فيما ادعيت، فألقى عصاه فتحولت إلى حية عظيمة فاتحة فاها، مسرعة إلى فرعون، فلما رآها فرعون أنها قاصدة إليه سقط عن سريره، وخاف منها واستغاث بموسى أن يكفها عنه، فأخذها موسى ﷺ فعادت عصًا في يده، ثم أخرج يده من درعه بعد ما أدخلها فيه فخرجت بيضاء تتلألأ من غير بَرَص ولا مرض، ثم أعادها إلى كمه، فعادت إلى لونها الأول، فقال السادة من قوم فرعون موافقين لقول فرعون فيه: إن هذا لساحر، فتشاوروا في أمره، وماذا يصنعون في أمره، وكيف تكون حيلتهم في الصد عن دعوته، وتخوفوا من أن يستميل الناس بسحره فيما يعتقدون فيكون ذلك سببًا لظهوره عليهم، وإخراجه إياهم من أرضهم فاتفق رأيهم على حبسه، ويبعث فرعون في الأقاليم ويُحشر له السحرة من سائر البلاد ويُجمعون، وكان السحر في زمانهم قد ظهر وانتشر فظنوا أن ما جاء به موسى ﷺ، من السحر؛ فجمعوا له السحرة ليعارضوه بنظير ما أراهم من البينات، فجاء السحرة الذين استدعاهم لمعارضة موسى ﷺ فاشترطوا: إن غلبوا موسى ليثيبنهم وليعطينهم عطاء جزيلًا، فوعدهم ومناهم أن يعطيهم ما أرادوا ويجعلهم من جلسائه والمقربين عنده.

فقالوا لموسى بعدما اجتمع الناس: إما أن تبدأ، وإما أن نبدأ، فقال لهم موسى ﷺ: ألقوا أنتم أولًا قبلي، ليرى الناس صنيعهم ويتأملوه، فألقوا حبالًا غلاظًا وخشبًا طوالًا، فأقبلت تسعى يُخَيَّل إليه من سحرهم، فخيلوا إلى الأبصار أن ما فعلوه له حقيقة في الخارج، ولم يكن إلا مجرد صنعة وخيال.

فأوحى الله إلى عبده ورسوله موسى ﷺ في ذلك الموقف العظيم الذي فَرّق الله تعالى فيه بين الحق والباطل، يأمره بأن يلقي ما في يمينه وهي عصاه، فإذا هي تأكل ما يلقونه ويوهمون أنه حق، وهو باطل، فجعلت لا تَمُرّ بشيء من حبالهم ولا من خُشُبهم إلا التقمته، فعرفت السحرة أن هذا أمر من السماء، وليس هذا بسحر، فخروا سجدًا لله تعالى معلنين الإيمان بدعوة نبي الله موسى ﷺ

قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ
فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ
فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ
أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٢٤﴾
قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا
بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ
﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ
نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ
ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن
يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا
مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ
أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ
فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ
بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾

السحر كفر وشرك ووثنية وطاعة للشيطان ولما رأى سحرة فرعون آيات الله البينات علموا أنه الحق من ربهم فآمنوا بالله الذي خلقهم ورزقهم، آمنوا برب موسى وهارون، فقال فرعون حين آمنوا أصدَّقتم موسى من غير أمري إياكم؟ إن هذا صنيع صنعتموه أنتم وموسى لتستولوا على مصر، وستعلمون عاقبة صنعكم هذا، وسوء مغبته، لأقطعنَّ الرجل اليمنى واليد اليسرى، أو الرجل اليسرى واليد اليمنى ثم أصلبكم على جذوع النخل، وأتركَكم عليها مصلوبين.

ولكنه الإيمان بالله فلم يخيفهم تهديد ولا وعيد فهم بإيمانهم تحقق لهم أنهم إلى الله راجعون، وعذابه أشد من عذاب فرعون ونكاله، وسألوا الله الصبر على الأذى، والثبات على الدين إلى الممات.

وقال الوجهاء من قوم فرعون: أتدع موسى وأتباعه ليفسدوا في الأرض بالدعوة إلى عبادة ربهم دونك، فلا يعبدك أحد؟ فأمر فرعون بقتل الأبناء وإبقاء النساء قهرًا لبني إسرائيل وإذلالًا لهم، وقد كان نكل بهم به قبل ولادة موسى ﷺ، حذرًا من وجوده، فجاء الأمر على خلاف ما أراد.

نصرهم الله عليه وأذله، وأرغم أنفه، وأغرقه وجنوده.

فشكا بنو إسرائيل إعادة القتل على أبنائهم، فأمرهم موسى ﷺ بالاستعانة بالله والصبر على ما يُفعل بهم فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده وهو وعد من موسى أن يعطيهم الله أرض فرعون وقومه بعد إهلاكهم، والعاقبة في الدنيا النصر والظفر، وفي الآخرة الجنة لعباد الله المتقين.

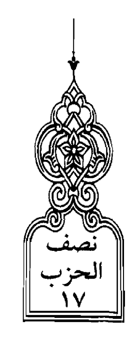
فقال بنو إسرائيل: قد جرى علينا مثل ما رأيت من الهوان والإذلال من قبل ما جئت يا موسى، ومن بعد ذلك، فقال لهم بروح المتفائل والواثق بما عند الله من النصر سيهلك الله عدوكم وستكونون خلفاء في الأرض فماذا أنتم صانعون؟ فحثهم على العزم على الشكر عند حلول النعم وزوال النقم.

وقد اختبر الله قوم فرعون وامتحنهم وابتلاهم بالجدب والقحط وسِنِي الجوع بسبب قلة الزروع والآفات والعاهات في الثمار لعلهم يتعظون؛ وذلك لأن الشدة ترقق القلوب وترغبها فيما عند الله ﷻ، ولكنه العصيان والطغيان، ومن يضلل الله فما له من هاد.

فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ
يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ
أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ
لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ
ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ
فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ
ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن
كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ
إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ
هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ
فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾
وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ
ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ
ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ
يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

حين يكون القلب غافلًا معرضًا عن الآيات والنذر لا يعتبر ولا يتعظ، وهذا الذي حصل من قوم فرعون، فإنهم لما جاءهم الخصب والسعة والعافية، قالوا: نحن أهلها ومستحقوها على العادة التي جرت لنا في سعة أرزاقنا ولم يروها تفضلًا من الله ﷻ فيشكروا الله عليها، ولما أصابهم الجدب والبلاء ورأوا ما يكرهون، تشاءموا بنبي الله موسى ﷺ ومن معه من المؤمنين وقالوا: ما أصابنا البلاء حتى رأيناكم، ولم يعلموا أن الخير والشر كله من الله، ولكن إنما جاءهم الشؤم بكفرهم بالله، ولا يعلمون أن الذي أصابهم من الله، والمسلم الموحد لا يتشاءم لا بأيام ولا طيور ولا بأبراج ولا طوالع وإنما يتوكل على الله الذي قدر المقادير وقضاها، ويعلن قوم فرعون العصيان والكفر والعناد والتمرد والإصرار على الباطل، فقالوا: مهما تأتينا بآية ودلالة وحجة فلن نقبلها منك، ولا نؤمن بك، فبعث الله عليهم الطوفان، (وهو الماء) فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم ومن جلس منهم غرق، ولم يدخل بيوت بني إسرائيل من الماء قطرة، وركد الماء على أرضهم لا يقدرون أن يحرثوا ولا يعملوا شيئًا، ودام ذلك عليهم سبعة أيام، فقالوا لموسى: ادع لنا ربك يكشف عنا المطر فنؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل. فدعا ربه فرفع عنهم الطوفان، فأنبت الله لهم في تلك السنة شيئا لم ينبته لهم قبل ذلك من الكلأ والزرع والثمر، فقالوا: ما كان هذا الماء إلا نعمة علينا وخصبًا، فلم يؤمنوا؛ فبعث الله عليهم الجراد فأكل عامة زروعهم وثمارهم وأوراق الشجر ولم يصب بني إسرائيل شيء من ذلك فعجوا وضجوا، وقالوا: يا موسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا العذاب لنؤمنن لك، وأعطوه عهد الله وميثاقه، فدعا موسى ﷺ فكشف الله عنهم الجراد بعدما أقام عليهم سبعة أيام، وكانت قد بقيت من زروعهم وغلاتهم بقية، فقالوا: قد بقي لنا ما هو كافينا فما نحن بتاركي ديننا، فلم يفوا بما عاهدوا، وعادوا لأعمالهم السيئة، ثم بعث الله عليهم القمل فتتبع ما بقي من حروثهم وأشجارهم فأكله، وكان يدخل بين ثوب أحدهم وجلده، وكان أحدهم يأكل الطعام فيمتلئ قملا، ومنعهم النوم والقرار فصرخوا وصاحوا إلى موسى إنا نتوب فادع لنا ربك يكشف عنا البلاء، فدعا موسى ﷺ الله فرفع الله القمل عنهم بعدما أقام عليهم سبعة أيام، فنكثوا وعادوا إلى أخبث أعمالهم، وقالوا: ما كنا قط أحق أن نستيقن أنه ساحر منا اليوم، فأرسل الله عليهم الضفادع فامتلأت منها بيوتهم وأفنيتهم وأطعمتهم وآنيتهم، فلا يكشف أحد إناء ولا طعامًا إلا وجد فيه الضفادع، وكان الرجل يجلس في الضفادع إلى ذقنه، ويهم أن يتكلم فيثب الضفدع في فيه، وكانت تثب في قدورهم فتفسد عليهم طعامهم وتطفئ نيرانهم، وكان أحدهم يضطجع فتركبه الضفادع فتكون عليه ركاما حتى ما يستطيع أن ينصرف إلى شقه الآخر، ويفتح فاه لأكلته فيسبق الضفدع أكلته إلى فيه، فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا ذلك إلى موسى، وقالوا: نتوب ولا نعود، فأخذ عهودهم ومواثيقهم، ثم دعا ربه فكشف عنهم الضفادع بعدما أقام سبعًا ثم نقضوا العهد وعادوا لكفرهم، فدعا عليهم موسى فأرسل الله عليهم الدم، فسال النيل عليهم دمًا وصارت مياههم دمًا وما يستقون من الآبار والأنهار إلا وجدوه دمًا عبيطًا أحمر، فشكوا إلى فرعون وقالوا: ليس لنا شراب، فقال: إنه سحركم، فقالوا من أين سحرنا ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئًا من الماء إلا دمًا عبيطًا؟ فمكثوا في ذلك سبعة أيام لا يشربون إلا الدم، وشكوا ذلك إلى موسى، فأخذ عهودهم ومواثيقهم، ثم دعا ربه فكشف عنهم، فنقضوا العهد وعادوا لما هم عليه من الكفر والجحود؛ فأغرقهم الله في البحر بسبب كفرهم، وأورث الله القوم الذين كانوا يُقهرون ويُستذلون بذبح الأبناء واستخدام النساء -وهم بنو إسرائيل- أرضهم وديارهم في مصر والشام وأتم الله وعده لبني إسرائيل بالنصر والتمكين في الأرض، بسبب صبرهم على دينهم وعلى عذاب فرعون وأهلك فرعون وقومه وما كان يصنعون من العمارات، ويبنون من البيوت والقصور.

وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۖ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿١٤١﴾ ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾



لما أهلك الله فرعون وقومه بالغرق واجتاز موسى ﷺ وبنو إسرائيل البحر يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه صامه موسى شكرًا لله ﷻ، فمروا على قوم يقيمون على أوثان يعبدونها من دون الله يجهلون عظمة الله وجلاله، وما يجب أن ينزه عنه من الند والمثيل

فقالت بنو إسرائيل لما رأوا ذلك: اجعل لنا شيئًا نعظمه ونتقرب بتعظيمه إلى الله ﷻ، وظنوا أن ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم بعظمة الله، فلقد شاهدوا من آيات الله ما يزجر من له أدنى علم عن طلب عبادة غير الله، ولكن هؤلاء القوم أشد خلق الله عنادًا وجهلًا وتلوّنًا.

فقال لهم موسى ﷺ: إن هؤلاء هالك ما هم فيه، فعبادة الأصنام باطلة وأعمالهم مع هذا الشرك لا تقبل؛ لأن الشرك محبط للأعمال، موجب للخلود في النار، وموسى ﷺ داعية التوحيد يدعو إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، الذي ينعم على عباده بنعمه الكثيرة، ومن نعمه على بني إسرائيل تفضيله لهم على الناس في وقتهم، وإنقاذهم من عذاب فرعون العظيم، فقد كان يذبح الأبناء ويستبقي الإناث للخدمة، ولله تعالى له العبادة الخالصة

وقد كان موسى ﷺ وعد بني إسرائيل وهم بمصر أن الله إذا أهلك عدوهم أتاهم بكتاب فيه بيان ما يأتون وما يذرون، فلما فعل الله ذلك بهم سأل موسى ربه الكتاب، فأمره الله ﷻ أن يصوم ثلاثين يومًا، فلما تمت ثلاثون وهي شهر ذي القعدة، فأمره الله تعالى أن يصوم عشرة أيام من ذي الحجة، فكانت فتنتهم في العشر التي زادها (وهي عبادة العجل) وكان موسى قبل ذهابه للطور لمناجاة ربه قال لأخيه هارون: كن خليفتي فيهم وأصلح أمر بني إسرائيل بحسن سياستهم، والرفق بهم، وتفقد أحوالهم ولا تسلك سبيل العاصين، ولا تكن عونًا للظالمين.

ولما جاء موسى ﷺ في الوقت الموعود وأسمعه الله كلامه من غير واسطة، قال موسى ﷺ لربه، أرني نفسك أنظر إليك سأله النظر إليه اشتياقًا إلى رؤيته لما أسمعه كلامه ولكن الله قضى أنه لا يراه في هذا الوقت الذي طلب رؤيته فيه لأنه ما دام الرائي حيًّا في دار الدنيا فلن يرى ربه، وأما رؤيته في الآخرة فهي ثابتة للمؤمنين؛ لأن النفوس لا تحتمل رؤية الله في الدنيا فإن الجبل وهو أقوى صلابة لا يثبت لرؤية الله فكيف بالبشر الضعيف؛ فلما ظهر نور الله للجبل، صار دكا وترابا، وكان الذي ظهر مثل سم الخياط، وحجاب الله تعالى النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

فالجبل حين كشف الغطاء ورأى النور، صار مثل الهباء المنثور، وسقط موسى مغشيًا عليه لما رأى الجبل صار ترابًا، ولما أفاق موسى من صعقته ورجع إليه عقله عرف أنه قد سأل أمرًا لا ينبغي له، سأل ربه التوبة من سؤاله الرؤية وعلم أن الله لا يرى في الدنيا.

قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي
فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا
لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ
شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ
دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ
فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ
بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ
سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا
وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ
ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ
عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ
سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ
فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا
رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

كرم الله موسى ﷺ باصطفائه على عالمي زمانه برسالاته وبكلامه تعالى فهو كليم الرحمن، وأمره الله تعالى أن يأخذ من الكلام والوحي والمناجاة ما يعمل به، ولا يطلب ما لا طاقة له به من رؤية الله.

فإن الله كتب له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلًا لكل شيء، فيها المواعظ والأحكام المفصلة المبينة للحلال والحرام، وكانت هذه الألواح مشتملة على التوراة، فأمره الله بأخذها بجد واجتهاد، وبقوة القلب وصحة العزيمة، ويأمر قومه بالعمل بها، فيحلوا حلالها، ويحرموا حرامها، ويتدبروا أمثالها، ويعملوا بمحكمها، ويقفوا عند متشابهها، فيأخذوا بأحسن الأمرين في كل شيء كالعفو فهو أحسن من القصاص، والصبر أحسن من الانتصار، والأخذ بذلك يورث العز والتمكين، أما من خالف أمر الله، وخرج عن طاعته فإن مصيره إلى الهلاك والدمار؛ لأن الله منع عنهم فَهْم الحجج والأدلة على عظمته وشريعته وأحكامه، فالمتكبرون عن طاعة الله يذلهم الله بالجهل، فينزع الله عنهم فهم القرآن، ويصرفهم عن تدبر الآيات، وتلك من العقوبات المعجلة، فهم لا يؤمنون بآية ولا يتعظون بموعظة، صم بكم عمي لا يسمعون الحق ولا يرونه ولا ينطقون به، ولو ظهر لهم طريق النجاة لا يسلكوه، وإن ظهر لهم طريق الهلاك والضلال يتخذوه طريقًا، فهم إذا وجدوا طريقًا من طرق الرشد تركوه وتجنبوه، وإن رأوا طريقًا من طرق الغيّ سلكوه واختاروه لأنفسهم، لأنهم كذبوا بالآيات لما في قلوبهم من الكبر والإعراض والغفلة، وفي الآخرة مأواهم ومصيرهم النار، فشركهم وكفرهم أحبط أعمالهم، والجزاء من جنس العمل، فبسبب كفرهم وشركهم كان جزاؤهم العذاب الأليم.

ومن صور الضلال: ضلال من ضل من بني إسرائيل في عبادتهم العجل الذي اتخذه لهم السامري من حلي القبط الذي كانوا استعاروه منهم، فشكل لهم منه عجلًا ثم ألقى فيه القبضة من التراب التي أخذها من أثر فرس جبريل ﷺ، فصار عجلًا جسدًا له خوار، وهو صوت البقر؛ لأنه يدخل فيه الهواء فيصوِّت كالبقر، فعبدوا العجل، وتركوا عبادة خالق السماوات والأرض وربّ كل شيء ومليكه، فوقعوا في الشرك أو عبدوا مع الله عجلًا جسدًا له خُوَار لا يكلمهم، ولا يرشدهم إلى خير، ولكن غَطَّى على أعيُن بصائرهم عَمَى الجهل والضلال، ولما تبين لهم أنهم قد ضلوا باتخاذهم العجل، وأنهم قد ابتلوا بمعصية الله سبحانه، ندموا على ما فعلوا، وذلك بعد مرجع موسى ﷺ من ميقات ربه وإنكاره عليهم عبادة العجل، فدعوا الله واستغاثوا به ليرحمهم ويغفر ذنوبهم.

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾

رجع موسى ﷺ من مناجاة ربه فرأى قومه قد عبدوا العجل، فاشتد غضبه وحزن حزنًا شديدًا لما فعله قومه من الشرك وعبادة غير الله، فقال لهم: بئس ما عملتم بعد ذهابي، أسبقتم وعد ربكم الذي وعدكم؟ وألقى الألواح التي فيها التوراة من شدة الغضب وكان حاملًا لها، وأخذ برأس أخيه هارون، أخذ بذوائبه ولحيته خوفًا أن يكون قد قَصَّر في نهيهم، فقال له هارون ﷺ: لا تلمني، ولا تخلطني معهم في الذنب لأنهم هموا وقاربوا أن يقتلوني، فلا تفرحهم علي في مؤاخذتك لي، ولا تجعلني بغضبك عليّ في عداد القوم الظالمين، وهم الذين عبدوا العجل.

فلما تبين لموسى ﷺ موقف هارون ﷺ طلب المغفرة لنفسه أوّلًا، ولأخيه ثانيًا ليزيل عن أخيه ما خافه من الشماتة، وطلب المغفرة من الله مما فرط منه في جانبه، ثم طلب المغفرة لأخيه إن كان قد وقع منه تقصير فيما يجب عليه من الإنكار عليهم وتغيير ما وقع منهم، ثم طلب إدخاله وإدخال أخيه في رحمة الله التي وسعت كل شيء، وأما عبدة العجل فعليهم غضب الله تعالى فلم يقبل لهم توبة، حتى قَتَل بعضهم بعضًا، وهم في الدنيا يعيشون ذل المعصية والسيئة، فقد كتب الله الذلة على أهل المعاصي إلى قيام الساعة، ولو عاشوا في نعيم وسلطان، فذل المعاصي على وجوههم، فعلى كل عاص الرجوع إلى ربه بالتوبة والإنابة فهو يقبل توبة عباده من أي ذنب كان، حتى ولو كان من كفر أو شرك أو نفاق فهو سبحانه الغفور الرحيم بعباده.

ولما سكن موسى ﷺ من غضبه على قومه أخذ الألواح التي كان ألقاها من شدة الغضب على عبادتهم العجل غيرةً لله وغضبًا له، ووجد فيها هدى ورحمة، والهدى ما يهتدون به من الأحكام، والرحمة ما يحصل لهم من الله عند عملهم بما فيها من الرحمة الواسعة وهي للخائفين من ربهم المعظمين له.

وأمر الله ﷻ موسى ﷺ أن يختار من قومه سبعين رجلًا فاختارهم وبرز بهم ليدعوا ربهم ويعتذروا إليه من عبادة العجل فكان فيما دعوا أن قالوا: اللهم أعطنا ما لم تعطه أحدًا قبلنا، ولا تعطه أحدًا بعدنا، فكره الله ذلك من دعائهم، فأخذتهم الرجفة، وقيل: إن القوم لما رأوا تلك الهيبة أخذتهم الرعدة وقلقوا ورجفوا، حتى كادت أن تَبِيْنَ مفاصلهم، فلما رأى موسى ذلك رحمهم وخاف عليهم الموت، فاشتد عليه فقدهم، وكانوا له وزراء على الخير، سامعين مطيعين، فعند ذلك دعا وبكى وناشد ربه، فكشف الله عنهم تلك الرجفة، فاطمأنوا وسمعوا كلام ربهم. وكان من دعاء موسى ﷺ أتهلكنا بما فعل السفهاء من عبادة العجل وهي اختبارك وابتلاؤك، أضللت بها قومًا فافتتنوا، وهديت قومًا فعصمتهم حتى ثبتوا على دينك، فأنت ناصرنا وحافظنا فاستر ذنوبنا برحمتك التي وسعت كل شيء وأنت غافر الذنب وقابل التوب.

ثلاثة أرباع الحزب ١٧

۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

من خير الدعاء: الدعاء بخيري الدنيا والآخرة، وكان ذلك من دعاء موسى عليه السلام أن دعا بحسنة الدنيا (النعمة والعافية) وبحسنة الآخرة (المغفرة والجنة)، والاعتراف بالذنب وإعلان التوبة والإنابة والرجوع إلى الله من أسباب الإجابة، والمذنب تحت مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء رحمه وغفر له، فإن رحمة الله وسعت كل شيء، وسعت رحمته في الدنيا البر والفاجر، وهي يوم القيامة للمتقين خاصة، ورحمة الله عامة لجميع الخلق، وله رحمة خاصة بالمؤمنين الذين يجتنبون المعاصي والسيئات ويعملون بالطاعات ويخرجون الزكوات المفروضة يؤمنون بآيات الله ويعملون بها، وهي لجميع الأمم السابقة المصدقة بأنبيائها المؤمنة برسالاتهم، وأما بعد بعثة النبي الخاتم فلا رحمة إلا لأتباعه فمن لم يتبعه فلا رحمة له؛ لأن الله أخبر عنه في الكتب السابقة في التوراة والإنجيل بصفته أنه نبي أُمِّي لا يقرأ ولا يكتب، يأمر بالمعروف وهو ما تعرفه القلوب، ولا تنكره من الأشياء التي هي من مكارم الأخلاق، وينهى عن المنكر وهو ما تنكره القلوب ولا تعرفه مما كان من مساوئ الأخلاق والأفعال.

ويحلّ لهم ما حرّم عليهم من الأشياء التي حرّمت عليهم بسبب ذنوبهم، ويحل للعرب ما كانوا يحرمونه في الجاهلية من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي ويحرم عليهم كل خبيث فكل ما حرم الله فهو خبيث لنجاسته ولخبثة ولمضرته، ويضع عنهم التكاليف الشاقة الثقيلة التي كلفوا أنفسهم بها، وما كان عليهم من التكاليف مثل قتل الأنفس في التوبة، وقطع الأعضاء الخاطئة، وقرض النجاسة عن البدن بالمقراض، وتعين القصاص في القتل وتحريم أخذ الدية، وترك العمل في السبت.

فقد كتب الله الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة لمن آمن بالنبي محمد ﷺ وعظمه ووقره، وعمل بالقرآن والوحي الذي جاء به مبلغًا إلى الناس، فرسالة النبي ﷺ عامة لجميع الثقلين الجن والإنس، جاءت للأحمر والأسود، والعربي والعجمي وهي ناسخة لجميع الشرائع السابقة فقد سد الله الطرق إلى الجنة إلا عن طريقه، فالهداية في الدنيا والفلاح في الآخرة باتباعه فقد جاء بما جاءت به الأنبياء قبله من التوحيد والإيمان بجميع الرسل، وهو يصدق ما جاءت به الرسل قبله بالإخبار عن بعثته، والبشارة برسالته ويصدق فعله قوله.

فالواجب على جميع الأمم اتباعه، ومن بني إسرائيل طائفة يتبعون الحق، ويهتدون به ويستقيمون عليه، وبالحق يحكمون وبالعدل يقومون.

وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۚ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡغَمَٰمَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

جعل الله بني إسرائيل قطعًا متفرّقة، وميز بعضهم عن بعض، حتى صاروا أسباطًا كل سبط معروف على انفراده، ولكل سبط نقيب، والأسباط ذرية الاثني عشر من أولاد يعقوب.

وقد كانوا في التيه في سيرهم حائرين، لا يدرون كيف يتوجهون فيه إلى مقصد مُدّة أربعين سنة عقوبة لهم على تفريطهم في أمر الله لما رفضوا دخول الأرض المقدسة.

فسألوا موسى الماء فجُعِل بين ظهرانيهم حجر مربّع فضربه موسى ﷺ بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا، في كل ناحية منه ثلاث عيون، وأَعْلَم كل سبط عَيْنَهم، يشربون منها لا يرتحلون من مكان إلا وجدوا ذلك معهم، وهو من نعم الله على بني إسرائيل.

وظللهم الله بالغمام يسترهم من حر الشمس وأنزل عليهم من السماء الحلوى، ولحم طير السلوى، كل ذلك راحة لهم وطمأنينة، ولكنهم لم يشكروا الله، ولم يقوموا بما أوجب الله عليهم فقابلوا النعمة بالكفران والجحود، فظلموا أنفسهم بالكفر والجحود واستحقوا العقوبة، ومن ظلمهم لأنفسهم ما أمرهم الله به من دخول بيت المقدس وسؤال الله المغفرة لذنوبهم ودخولهم بيت المقدس سجدًا لله قائلين حطة، وهو سؤال لأن يحط الله خطاياهم وقد وعدوا بالمغفرة والزيادة من الفضل ولكنهم دخلوا يزحفون على مقاعدهم، وبدّلوا وقالوا: حبة في شعيرة.

وهذا غاية ما يكون من المخالفة والمعاندة؛ ولهذا أنزل الله بهم بأسه وعذابه بفسقهم، وهو خروجهم عن طاعته، ومن ظلم بني إسرائيل اعتداؤهم بالصيد يوم السبت وقد نهوا عن ذلك ابتلاء من الله لهم وكانوا في قرية من قرى الشام على ساحل البحر، وقد كانت الحيتان يوم السبت تكثر وتظهر وفي اليوم الذي بعده تختفي فابتلوا بتحريم صيد يوم السبت فاحتالوا فوضعوا الشباك يوم الجمعة وأخذوها يوم الأحد، والسبب في هذا الابتلاء مخالفتهم أمر الله وخروجهم عن طاعته.

وفي هذا توجيه للمسلم ألا يترکب محارم الله بأدنى الحيل، فلا يحتال على الأوامر ولا النواهي، بل يكون معظمًا لشرع الله، فتعظيم الشرع من تقوى القلوب.

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

انقسم أهل القرية من بني إسرائيل إلى ثلاث فرق، فرقة ارتكبت المحذور واحتالوا على اصطياد السمك يوم السبت، وفرقة نهت عن ذلك وأنكرت عليهم واعتزلتهم، وفرقة سكتت فلم تفعل ولم تنه، ولكنها قالت للمنكرة لم تنهون هؤلاء وقد علمتم أنهم هلكوا واستحقوا العقوبة من الله؟ فقالت لهم المنكرة: لَمْ نأمرهم إلا ليكون لنا عذر عند ربنا فيما أخذ علينا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولعلهم بهذا الإنكار يتقون ما هم فيه ويتركونه، ويرجعون إلى الله تائبين، فإذا تابوا تاب الله عليهم ورحمهم، فهذا هو الواجب في الإنكار أن تبرأ ذمة المنكر وليكون عظة وسببًا لإقلاع الواقع فيما حرم الله، فلما أبى الفاعلون المنكر قبول النصيحة، أهلكهم الله بعذاب شديد وهو مسخهم قردة وخنازير وبقوا على ذلك ثلاثة أيام ثم ماتوا وأنجى الله الذين أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر.

وقد كتب الله على اليهود الذلة والصغار بسبب عصيانهم ومخالفتهم أوامر الله وشرعه واحتيالهم على المحارم.

وسلط عليهم من يذلهم ويقهرهم فكانوا في قهر الملوك ثم صاروا في قهر النصارى وإذلالهم، وأخذهم منهم الجزية والخراج، ثم جاء الإسلام ومحمد عليه أفضل الصلاة والسلام فكانوا تحت صغاره وذمته يؤدون الخراج والجزية، وآخر أمرهم أن يخرجوا أنصارًا للدجال، فيقتلهم المسلمون مع عيسى ابن مريم ﷺ وذلك آخر الزمان، فهم وإن كان لهم صولة وجولة إلا أن مآلهم إلى الصغار والخذلان، والله سبحانه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وشرعه، وغفور رحيم لمن تاب إليه وأناب.

ولهذا قَرَن للرحمة مع العقوبة لئلا يحصل اليأس فيقرن الله تعالى بين الترغيب والترهيب؛ لتبقى النفوس بين الرجاء والخوف.

وفرق الله بني إسرائيل في الأرض أممًا، طوائف وفرقًا، فيهم الصالح وغير ذلك، واختبرهم بالرخاء والشدة، والرغبة والرهبة، والعافية والبلاء، فخلف من بعد ذلك الجيل خلف آخر لا خير فيهم، وقد ورثوا دراسة التوراة يعتاضون عن بذل الحق ونشره بعَرَض الحياة الدنيا، ويسرفون على أنفسهم ويعدونها بالتوبة، وكلما لاح لهم مثل الأول وقعوا فيه، لا يشرف لهم شيء من الدنيا إلا أخذوه، حلالًا كان أو حرامًا، ويتمنون المغفرة، وإن يجدوا عَرَضًا مثله يأخذوه، وقد أُخذ عليهم العهد في التوراة أن لا يقولوا على الله الباطل، وهو تمنيهم المغفرة مع الإصرار على الخطيئة، وقرأوا ما في التوارة وعلموه، ولو عقلوا لعلموا أن ثواب الله وما عنده من الخير لمن اتقى المحارم، وترك هوى نفسه، وأقبل على طاعة ربه، هو خير له من عَرَض الدنيا، والذين تمسكوا بكتاب ربهم واعتصموا به واقتدوا بأوامره، وتركوا زواجره لهم أجرهم ونورهم عند الله فتمسكهم يقودهم إلى اتباع رسوله محمد ﷺ كما هو مكتوب عندهم في التوراة.

۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

لما سار موسى ﷺ ببني إسرائيل متوجهًا نحو الأرض المقدسة، وأخذ الألواح بعد ما سكت عنه الغضب فأمرهم بالذي أمره الله تعالى به أن يبلغهم من الواجبات، فثقلت عليهم، وأبوا أن يقربوها، فأوحى الله إلى الجبل فانقلع فارتفع في السماء، حتى إذا كان بين رؤوسهم وبين السماء قال لهم موسى: ألا ترون ما يقول ربي ﷻ، لئن لم تقبلوا التوراة بما فيها لأرمينكم بهذا الجبل، فلما نظروا إلى الجبل خر كل رجلٍ ساجدًا على حاجبه الأيسر، ونظر بعينه اليمنى إلى الجبل، خوفًا من أن يسقط عليه، فأمرهم الله بأخذ ما في الكتاب بجد واجتهاد والعمل به ليكون فيه نجاتهم وفوزهم؛ لأن تحقيق العبودية لله وحده لا شريك له، هو الذي من أجله خلق الثقلين، والله قد أخذ الميثاق على بني آدم بالتوحيد، فإن الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، فنثرها بين يديه، ثم كلمهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى شهدنا فأخذ عليهم العهد والميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وتكفل لهم بالأرزاق، ثم أعادهم في صلب آدم، فلا عذر لأحد في إنكار التوحيد بعد دعوة الرسل، وقد خلق الله عباده حنفاء فاجتالتهم الشياطين، فهم على الفطرة والملة والهداية إلى التوحيد والحق، وهي نعمة عظيمة من نعم الله على عباده، على المؤمن المحافظة عليها وسؤال الله الثبات، فعلى المؤمن أن يبقى وجلًا خائفًا على نفسه، وقد قص الله قصة بلعام بن باعوراء، وكان قد حفظ بعض الكتب المنزلة، وكان مجاب الدعوة، بعثه نبي الله موسى إلى ملك مَدْين يدعوه إلى الله، فأقطعه وأعطاه، فتبع دينه وترك دين موسى ﷺ، فاستحوذ عليه الشيطان وغلبه على أمره، فمهما أَمَرَه امتثل وأطاعه، فكان من الهالكين الحائرين، وكان الأولى أن يشكر نعمة الله عليه بالإيمان، ولو شاء الله لرفعه من التدنس عن قاذورات الدنيا بالآيات التي آتاه إياها، ولكنه مال إلى زينة الدنيا وزهرتها، وأقبل على لذاتها ونعيمها، وغرّته كما غرت غيره من غير أولي البصائر والنهى، فصار مثله في ضلاله واستمراره فيه وعدم انتفاعه بالدعاء إلى الإيمان كالكلب في لهثه في حالتيه، إن حملت عليه وإن تركته، هو يلهث في الحالين، فكذلك هذه حالة من لم ينتفع بالموعظة والدعوة إلى الإيمان ولا عدمه، وتلك القصة عبرة وعظة فيما جرى لبلعام في إضلال الله إياه وإبعاده من رحمته، بسبب أنه استعمل نعمة الله عليه في غير طاعة ربه، وهذه سنة الله فيمن يخالف أمر ربه فمثلهم كالكلاب التي لا همة لها إلا في تحصيل أكلة أو شهوة، فمن خرج عن حَيِّز العلم والهدى وأقبل على شهوة نفسه، واتبع هواه، صار شبيهًا بالكلب، وبئس المثل مثله، وهؤلاء هم الذين ظلموا أنفسهم بإعراضهم عن اتباع الهدى، وطاعة المولى، إلى الركون إلى دار البلى، والإقبال على تحصيل اللذات وموافقة الهوى فلم يظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون، والهداية من الله تعالى، فمن هداه الله فإنه لا مضل له، ومن أضله فقد خاب وخسر وضل لا محالة، فإنه تعالى ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

لما استخرج الله ذرية آدم من صلبه جعلهم فريقين، أصحاب اليمين وأصحاب الشمال وقال: هؤلاء للجنة ولا أبالي، وهؤلاء للنار ولا أبالي، فخلق الجنة، وخلق لها أهلًا وهم في أصلاب آبائهم، وخلق النار، وخلق لها أهلًا وهم في أصلاب آبائهم"، وكل مخلوق ميسر لما خلق له، فهو سبحانه علم ما هم عاملون قبل خلقهم.

فأهل النار لهم قلوب لا يعقلون بها الخير والهدى، ولهم أعين لا يبصرون بها طريق الحق وسبيل الرشاد، ولهم آذان لا يسمعون بها مواعظ القرآن فيتفكرون فيها ويعتبرون بها، فهم كالأنعام في همتهم في الأكل والشرب والتمتع بالشهوات، بل هم أضل لأن الأنعام تميز بين المضار والمنافع، فلا تقدم على المضار، وهؤلاء يقدمون على النار معاندة مع العلم بالهلاك، وأما أهل الجنة فهم يعظمون ربهم وخالقهم فلا يصرفون العبادة إلا لله وحده، ويدعونه رغبًا ورهبًا، فهو سبحانه له الأسماء الحسنى والصفات العلا، له الأسماء البالغة في الحسن والكمال وتتضمن صفات لله تبارك وتعالى، وهذه الأسماء لا حصر لها منها ما أنزل في القرآن ومنها ما علَّمه النبي ﷺ أمته، ومنها ما استأثر الله به في علم الغيب، فهم يؤمنون بهذه الأسماء وما دلت عليه من الصفات والمعاني الصحيحة ولا يميلون للمعاني الباطلة أو ينفونها عن ربهم وخالقهم أو يجردونها من الصفات كما هي طريقة أهل النار، وأهل الجنة خلقهم ربهم قائمين بالحق، قولًا وعملًا، يقولونه ويدعون الناس إليه، وبه يعملون ويقضون، ومن أهل الجنة الأمة المحمدية الذين هم نصف أهل الجنة، وأما أهل النار ولو نعموا في الحياة الدنيا وفتحت لهم أبواب الرزق ووجوه المعاش في الدنيا، فإنما هو استدراج لهم، حتى يغتروا بما هم فيه ويعتقدوا أنهم على شيء، ويوهبون الحياة الرغيدة ويتركون يسعون في الأرض الفساد، ليزدادوا إثمًا وبغيًا فيأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، وقد جاء النبي ﷺ بدعوة الحق لقريش المكذبين فاتهموه بالجنون والسحر والشعر فكذبهم القرآن، وأثبت نبوته ورسالته فقد أرسله ربه الذي له ملك السماوات والأرض الذي خلقهما وخلق فيهما من كل شيء، فليتدبروا ذلك ويعتبروا به، وليعلموا أن ذلك لمن لا نظير له ولا شبيه، ومِنْ فِعْل من لا ينبغي أن تكون العبادة إلا له، والدين الخالص إلا له. فيؤمنوا به، ويصدقوا رسوله، وينيبوا إلى طاعته، ويخلعوا الأنداد والأوثان، ويحذروا أن تكون آجالهم قد اقتربت، فيهلكوا على كفرهم، ويصيروا إلى عذاب الله وأليم عقابه.

فقد جاءهم نبي الله ﷺ بالنذراة من الشرك والتخويف من النار، فهل بعد تحذير رسول الله ﷺ وترهيبه، الذي أتاهم به من عند الله في آي القرآن يصدقون؟ إن لم يصدقوا بهذا الحديث الذي جاءهم به محمد من عند الله ﷻ، فمتى يؤمنون ويصدقون؟ولكنها الضلالة فمن كُتِب عليه الضلالة فإنه لا يهديه أحد، وهؤلاء المكذبون يسألون رسول الله ﷺ عن وقت الساعة، استبعادًا لوقوعها، وتكذيبًا بوجودها؛ فأمر الله تعالى نبيه ﷺ إذا سئل عن وقت الساعة، أن يرُدَّ علمها إلى الله تعالى؛ فإنه هو الذي يعلم جلية أمرها، ومتى يكون على التحديد، ثقل علمها على أهل السماوات والأرض، فلا يعلم قيامها حين تقوم ملك مقرب، ولا نبي مرسل، يسألونه كأنه عالم بها.

قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾

ربع الحزب ١٨

بعث الله رسوله ﷺ، وشرفه بالرسالة والنبوة، وهو لا يملك لنفسه الضر والنفع ولا لمن يحب وأخبر عن نفسه أنه لا يعلم الغيب، ولا له اطلاع على شيء من ذلك إلا بما أطلعه الله عليه.

فلو كان يعلم الخصب والجدب لاستكثر من المال لسنة القحط وما مسه الضر والفقر والجوع، إنما هو نذير وبشير، نذير بالعذاب، وبشير للمؤمنين بالجنات.

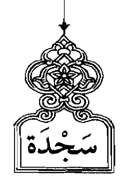
والله خلق جميع الناس من آدم ؏، وخلق منه زوجه حواء، ثم انتشر الناس منهما، خلق الله حواء من آدم لتكون زوجته يألفها ويسكن إليها، وهذا سر الزواج في ذريته.

وجعل الزواج سكنًا وأمنًا، وهو من نعم الله، لتعمر الأرض، ففي الزواج تعاقب الأجيال، وقضاء الشهوة بما أباح الله، وفيه بقاء الإنسان، وهذه النعمة تحتاج إلى شكر وحمد من العباد، فخلق الجنين في بطن أمه بعد اتصال الرجل بالمرأة، فيخلق من ماء الرجل والمرأة وهو في بدايته خفيفًا، لا تجد المرأة له ألمًا، إنما هي النُّطفة، ثم العَلَقة، ثم المُضغة، وتستمر في حمله، والزوجان مشفقان خائفان يدعوان الله بسلامته وصحته وصلاحه، فإذا ولدا بشرًا سويًا على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، أو يجعلانه وثنيًا مشركًا، كل ذلك كفر بالنعمة وجحود لنعمة الخالق جل وعلا.

فكيف يعبدون مع الله غيره؟ من الأنداد والأصنام والأوثان، وهي مخلوقة لله مربوبة مصنوعة، لا تملك شيئًا من الأمر، ولا تضر ولا تنفع، ولا تنصر ولا تنتصر لعابديها، بل هي جماد لا تتحرك ولا تسمع ولا تبصر، وعابدوها أكمل منها بسمعهم وبصرهم وبطشهم فهذه الأصنام لا تسمع دعاء من دعاها، وسواء لديها من دعاها، ومن لم يدعها فهي عبيد مثل عابديها، مخلوقات مثلهم، بل الأناسي أكمل منها، لأنها تسمع وتبصر وتبطش، وتلك لا تفعل شيئًا من ذلك.

فليعبدوا هذه الأصنام وينظروا، هل تثيبهم أو تجازيهم؟ فالقدرة للمخلوقين تكون بهذه الجوارح والآلات، وليست للأصنام هذه الآلات، فالبشر مفضلون عليها بالأرجل الماشية والأيدي الباطشة والأعين الباصرة والآذان السامعة، فكيف يعبد البشر من دونهم من الجمادات؟ وهذا خطاب للعقول لتفكر أن الشرك ظلم عظيم.

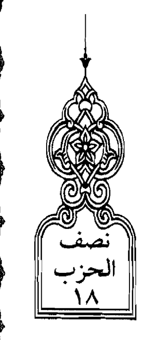
إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ۩ ﴿٢٠٦﴾



الله ولي المؤمنين وهو حسبهم وكافيهم، وناصرهم وعليه يتوكلون، وإليه يلتجئون، فهو وليهم في الدنيا والآخرة، نصر عبده ورسوله وأظهر أمره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره، نزل عليه الكتاب وأيده بالحجة والبرهان، وذلك تأييد من الله لعبده ورسوله وللمؤمنين به، أما المشركون فهم يعبدون ما لا ينصرهم، ولا يحفظهم فهم لا يستطيعون نصر أنفسهم فكيف ينصرون من يدعوهم، فهم جمادات وأموات، لا يسمعون من دعاهم، ولو سمعوا ما استجابوا، ولو ظن أهل الشرك سماعهم وإبصارهم لهم فهم في الحقيقة لا يملكون ذلك.

وأمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يأخذ العفو من أخلاق الناس، وذلك مثل قبول الاعتذار والعفو والمساهلة وترك البحث عن الأشياء، والأمر بالمعروف، وهو كل ما يعرفه الشرع، وأعلاه قول لا إله إلا الله، وأمر بالإعراض عن الجاهلين الذين يجهلون على الناس بظلمهم وبغيهم وعدوانهم وذلك بالحلم والصفح وليس المقصود عمن جهل الحق الواجب من حق الله، ولا بالصفح عمن كفر بالله وجهل وحدانيته وهو للمسلمين حرب، والأمر للنبي ﷺ وأمته من بعده، والشيطان يعتري الانسان بالوسوسة فيدفعه لترك المعروف وفعل المنكر فأُمر المؤمن أن يستجير بالله من نزغه، فهو سبحانه يسمع كلام عباده ويعلم ما تكن صدورهم فالمؤمن يستعيذ بربه من الشيطان في جميع أموره، والمؤمنون إذا اعتراهم ضعف ولَمّ بهم وسواس من الشيطان فأغراهم بالمعاصي والذنوب تذكروا عقاب الله وجزيل ثوابه، ووعده ووعيده، فتابوا وأنابوا، واستعاذوا بالله ورجعوا إليه من قريب، وأما الكفار فإن الشيطان يمدهم، بالإغواء والإغراء حتى يستمروا عليه ليزدادوا في الضلالة، فالشياطين لا تكف عن الإغواء، ولا الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات، وشياطين قريش تطلب من النبي ﷺ المعجزات، والخوارق، والنبي يتبع ما أمره الله به، ويتبع ما يوحى إليه، وهو سبحانه هو الذي يرسل الآيات والمعجزات، والقرآن هو أعظم المعجزات، وأبين الدلالات، وأصدق الحجج والبينات، وهو الهدى والرحمة، والواجب الإنصات عند تلاوته إعظامًا له واحترامًا، لا كما كان يعتمده كفار قريش من اللغو عند سماع القرآن، وأمر تعالى بذكره أول النهار وآخره كما أمر بعبادته في هذين الوقتين، ويذكر الله في نفسه رهبة ورغبة، وبالقول، فيستحب أن يكون الذكر وسطًا، لا نداء ولا جهرًا بليغًا.

فالملائكة لا يتكبرون عن عبادة ربهم وينزهونه ويذكرونه ويسجدون له، والمؤمنون يقتدون بهم، فيسجدون عند سماع آيات السجدة في القرآن، والسجود سنة مؤكدة، وهذه أول سجدة في القرآن مما يشرع لتاليها ومستمعها السجود بالإجماع.



سورة الأنفال

ترتيبها ٨ — آياتها ٧٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾



سورة الأنفال

وهي سورة مدنية، سميت بذلك لورود أحكام الأنفال فيها وهي الغنائم

شرع الله الجهاد في سبيله لإعلاء كلمته، والمؤمنون يجاهدون في سبيل طلبًا للأجر والثواب، وقد كانت الأمم قبل أمة محمد ﷺ يحرم عليهم أخذ الغنائم، وإنما تنزل نار من السماء فتحرقها فأباحها الله لهذه الأمة زيادة على أجرهم وثواب الله لهم، وقد اختلف الصحابة في غنائم بدر، فأنزل الله في كتابه أن الغنائم لله ورسوله جوابًا لسؤالهم عن حكم الغنيمة، وقد بيّن الله مصارفها في هذه السورة وأمر الله المسلمين بالتقوى والطاعة وإصلاح الحال بينهم بترك المنازعة والمخالفة، وتسليم أمر الغنيمة إلى الله والرسول ﷺ وملازمة طاعة الرسول ﷺ.

والمؤمنون الصادقون في إيمانهم هم الذين إذا تلوا آيات الله أو سمعوها خافت نفوسهم وفرقت قلوبهم، وإذا خُوِّفوا بالله انقادوا خوفًا من عقابه، تزيدهم الآيات تصديقًا ويقينًا فيفعلون الأوامر، ويتركون الزواجر.

ويفوضون إلى الله أمورهم ويثقون به ولا يرجون غيره ولا يخافون سواه، يقيمون الصلاة فيحافظون على شروطها وأركانها وواجباتها، وينفقون النفقة الواجبة والمستحبة.

وتلك صفات المؤمنين الذين كمل إيمانهم، وعلت درجاتهم، فلهم المنازل العالية ولهم الخير والكرامة والشرف، غفر الله لهم ذنوبهم وأكرمهم الله بواسع فضله، وفائض جوده.

والله يدبر عباده على ما فيه صلاحهم، فهم في يوم بدر، كرهوا الخروج إلى الأعداء وقتال ذات الشوكة وهم النفير الذين خرجوا لنصرة دينهم، وإحراز عيرهم فكان عاقبة كراهتهم للقتال بأن الله قدَّره عليهم، وجَمَع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد فكان نصرًا وفتحًا، فأنجز الله الوعد بالنصر والظفر.

فالله سبحانه الذي قضى وقدر إظهار الدين وإعزازه، وأراد استئصال الكفر وأهله حتى لا يبقى منهم أحد، وهو الذي أراد أن يجمع بين المسلمين وعدوهم، ليُظْفِرَهم بهم ويظهرهم عليهم، ويظهر دينه، ويرفع كلمة الإسلام، ويجعله غالبًا على الأديان، وهو أعلم بعواقب الأمور، وهو الذي قضى وقدر، وإن كان العباد يحبون خلاف ذلك فيما يظهر لهم، فكان ذلك إحقاقًا للحق وإبطالًا للباطل دحرًا للكفر ولأهله.

إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ٩ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١٠ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ١١ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ١٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٣ ذَٰلِكُمۡ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦

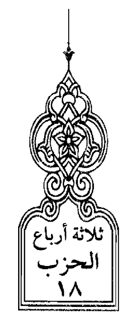
نظر النبي ﷺ إلى أصحابه يوم بدر وهم ثلاثمائة، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف، فاستقبل النبي ﷺ القبلة، ثم مد يديه وعليه رداؤه وإزاره، ثم قال: "اللهم أين ما وعدتني؟ اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبدًا"، فما زال يستغيث ربه ﷻ ويدعوه حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فرده، ثم التزمه من ورائه، ثم قال يا رسول الله: كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فاستجاب الله دعاءه فأمده الله بألف من الملائكة يَرْدفُ بعضُهم بعضًا، متتابعين، نجدة للمؤمنين، وبُشرى، وتطمين لهم، وإلا فهو تعالى قادر على نصرهم على أعدائهم، فهو سبحانه الناصر لعباده، ومن ذلك ما أنعم به عليهم من إلقائه النعاس عليهم أمانًا من خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عَدُوِّهم وقلة عَدَدهم، وأنزل الله عليهم مطرًا شديدًا، فشرب المسلمون وتطهروا، وأذهب الله عنهم رجز الشيطان، ولَبَّد لهم الأرض، وربط على قلوب المؤمنين بالصبر والإقدام على مجالدة الأعداء، وثبت أقدامهم أمام عدوهم، ومن نصر الله وحيه إلى الملائكة الذين أنزلهم لنصرة نبيه ودينه وحزبه المؤمنين، أوحى إليهم أن يثبتوا الذين آمنوا بتقوية أنفسهم على أعدائهم، ومن نصره إلقاء الرعب والمذلة والصغار على من خالف أمره، وكذب رسوله، ومن نصره أمره الملائكة بضرب هام المشركين، وقطع الرقاب، وقطع الأطراف منهم، وهي أيديهم وأرجلهم، وكان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة ممن قَتلوا هم بضرب فوق الأعناق وعلى البنان مثل سمة النار قد أحرق به.

وذلك جزاء الذين خالفوا الله، وكذبوا الرسول ﷺ، وهذا عذاب الدنيا، وعذاب الآخرة أشد وأبقى.

والمؤمنون في قتالهم لأعدائهم ثابتون صامدون لا يفرون من لقائهم ولا مواجهتهم؛ لأن الفرار كبيرة من كبائر الذنوب فقد أُمروا إذا لقوا أعداءهم ألا ينهزموا إلا من قصده طلب من العدد وهو يريد الكرة، أو منضمًّا إلى جماعة من المؤمنين يريد العود إلى القتال، وعقوبة الانهزام الرجوع بالغضب من الله، ومصيره ومنقلبه يوم معاده النار.

وفي ذلك حث للمؤمنين على الثبات والصبر ورجاء الثواب، وليس الانهزام خاصًّا في أرض المعركة بل يلحق به كل انهزام أمام العدو يوهن صف المسلمين ويقوي الكفار عليهم، فإن الانهزام الداخلي في النفوس أشد على الأمة من انهزام أمام عدوها في ساحة المعركة، وانهزام الفكر والشعور بالضعف أمام الأعداء من أعظم الأخطار التي تواجه الأمة.

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ
وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ
فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ
تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ
لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ
وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ
وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾



المسلمون في ساحات المعارك لا نصر لهم ولا تمكين إلا بالله تعالى هو الذي يسدد رميهم ويربط على قلوبهم ويمدهم بالصبر والقوة، فلم يقتلوا عدوهم بحولهم وقوتهم، مع كثرة عدوهم وقلة عددهم، بل الله هو الذي أظفرهم، وهو سبحانه الذي سدد رمي النبي ﷺ يوم بدر لما رمى بالحصباء فدخلت في عين كل واحد منهم لِيُعَرِّف المؤمنين من نعمته عليهم، ومن ذلك إظهارهم على عدوهم مع كثرة عدوهم، وقلة عددهم، ليعرفوا بذلك حقه، ويشكروا بذلك نعمته، وهو سبحانه سميع الدعاء، عليم بمن يستحق النصر والغلبة.

وهو سبحانه مُضْعِفُ كيد الكافرين فيما يستقبل، مُصَغِّرًا أمرهم، كل مآلهم في تبار ودمار، ولله الحمد والمنة.

وكان المشركون حين خرجوا من مكة إلى بَدْر، أخذوا بأستار الكعبة فاستنصروا الله وقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين، وأكرم الفئتين، وخير القبيلتين، فنصر الله نبيه محمدًا ﷺ عليهم، فكان الفتح والنصر لخير الجندين، والهزيمة والصغار للمشركين، وذلك مصير كل كافر معاند فإن تاب ورجع وآمن فالفلاح له وإن عاد للكفر والعداوة للمؤمنين سلط الله عليه أولياءه من المؤمنين، ونصرهم عليه، ولا تغني عن المشركين كثرتهم وعدتهم؛ لأن الله مع أوليائه ومن كان الله معه، فهو المنصور، ومن كان الله عليه، فهو المخذول، فالواجب على المؤمنين ملازمة طاعة الله، وطاعة رسوله، وليحذروا من مخالفة أوامر الله، والتشبه بالكافرين به المعاندين له.

وعلى المسلم الاستجابة لأمر الله ولا يعرض ولا يتولى، وهو يسمع القرآن ومواعظه، ولا يكون كالذين يقولون بألسنتهم: سمعنا بآذاننا وهم لا يتعظون ولا ينتفعون.

وشر من وطىء الأرض ودرج عليها، من وهبهم الله عقولًا وأفهامًا وسمعًا وبصرًا، فلم ينتفعوا بها، فهم كالأنعام لا يعقلون الحق ولا يسمعونه سماع انتفاع ولا يبصرون الحق، ولو كان فيهم خير لسمعوا وأبصروا الحق والهدى ولكن الله أعمى بصائرهم وأصم أسماعهم، ولو أسمعهم الله لم ينتفعوا؛ لأنه قد سبق في علمه أنهم لا يؤمنون.

وأما المؤمنون فهم المستجيبون لأمر الله وأمر رسوله ﷺ والحياة الحقيقة بالاستجابة لأمر الله وأمر رسوله ﷺ فهي حياة القلوب التي يَسأل المسلم ربه الثبات عليها؛ لأن القلوب بيد الله يقلبها كيف شاء سبحانه، فيبقى المؤمن على وجل من سوء الخاتمة لأن الله يحول بين المرء وقلبه، فنسأل الله أن يثبت قلوبنا على طاعته، ويبقى المسلم قائمًا بأمر ربه آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، فالمنكر إذا شاع وظهر ولم ينكر نزل العذاب فعم الجميع، لأن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة.

وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿٣٣﴾

من نعم الله على عباده المؤمنين وإحسانه إليهم أنهم كانوا قليلين فكثَّرهم، ومستضعفين خائفين فقوَّاهم ونصرهم، وفقراء عالة فرزقهم من الطيبات، وهذا كان حال المؤمنين بمكة قليلين مستخفين مضطرين يخافون أن يتخطفهم الناس من سائر بلاد الله؛ لقلتهم وعدم قوتهم، فلم يزل ذلك دأبهم حتى أذن الله لهم في الهجرة إلى المدينة، فآواهم إليها، وقَيَّض لهم أهلها، فآووا ونصروا يوم بدر وغيره وواسَوا بأموالهم، وبذلوا مُهَجهم في طاعة الله وطاعة رسوله، فمن شكر هذه النعمة القيام بأمر الله والمحافظة على الأمانة التي اؤتمن عليها الإنسان، وهي الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد من الفرائض. ولا يخون المسلم الله ورسوله بترك أوامره، وارتكاب معصيته، والله سبحانه يبتلي عباده بالسراء والضراء والخير والشر ومن ذلك الابتلاء بالولد، فهم اختبار وامتحان من الله لعباده؛ إذ أعطاهم ليعلم أيشكرونه على هذه النعمة ويطيعونه فيها، أو يشتغلون بها عنه؟

وثواب الله وعطاؤه وجناته خير للمؤمنين من الأموال والأولاد، بل حب الله ورسوله مقدم على الأولاد والأموال والنفوس، ومَن لازم التقوى بفعل أوامر الله وترك زواجره وفق لمعرفة الحق من الباطل، فكان ذلك سبب نصره ونجاته ومخرجه من أمور الدنيا، وسعادته يوم القيامة، وتكفير ذنوبه، وسببًا لنيل ثواب الله الجزيل، وإمام المتقين محمد ﷺ جعل الله له الفرج والمخرج لما تآمر عليه كفار قريش ليقتلوه أو يوثقوه أو يخرجوه ن فحفظ الله نبيه منهم وخرج من بينهم يوم الهجرة ولم يمسوه بأذى وأعزه الله ونصره وأيده.

وقد هاجر النبي ﷺ إلى المدينة لما رأى عتو المشركين وعنادهم فكانوا إذا تليت آيات الله قالوا: قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا، إن هي إلا أخبار الأمم الماضية وأسماؤهم وما سطر الأولون في كتبهم.

وكان القائل النضر بن الحارث فقال له عثمان بن مظعون ﷺ: اتق الله فإن محمدًا يقول الحق، قال: فأنا أقول الحق، قال عثمان: فإن محمدًا يقول لا إله إلا الله، قال وأنا أقول لا إله إلا الله، ولكن هذه بنات الله، يعني الأصنام، ثم قال: اللهم إن كان هذا الذي يقول محمد هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء كما أمطرتها على قوم لوط، أو عذبنا ببعض ما عذبت به الأمم، فقُتل يوم بدر صبرًا.

وقد جعل الله العصمة لهذه الأمة ألا ينزل عليها عذاب يعمها وفيها نبيها ﷺ، وما كان الله ليعذبها وهم يستغفرون من الذنوب والسيئات.

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةًۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

أهل الشرك والصد عن سبيل الله مستحقون لعذاب الله لما ارتكبوا من القبائح، ولبغيهم وعدوانهم على المسلمين من الصد عن سبيل الله والصد عن بيته الحرام، الذي يزعمون ولايته، وما أولياؤه إلا أهل الإيمان الذين يتقون الشرك، وهم الذين يعمرون البيت الحرام بالتوحيد والعبادة الصحيحة الخالصة لوجه الله والموافقة لسنة رسول الله ﷺ.

أما أهل الشرك فإن عبادتهم التصفيق والصفير، فقد كانوا يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون، وأما أموالهم فينفقونها بالصد عن سبيل الله وبمحاربة أولياء الله فسيفعلون ذلك، ثم تذهب أموالهم، وتكون عليهم ندامة، حيث لم تُجْدِ شيئًا؛ لأنهم أرادوا إطفاء نور الله وظهور كلمتهم على كلمة الحق، والله متم نوره ولو كره الكافرون، وناصر دينه، ومُعْلٍ كلمته، ومظهر دينه على كل دين، فهذا الخزي لهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب النار، فمن عاش منهم رأى بعينه وسمع بأذنه ما يسوؤه، ومن قُتِل منهم أو مات فإلى الخِزْي الأبدي والعذاب السَّرْمَدِيّ.

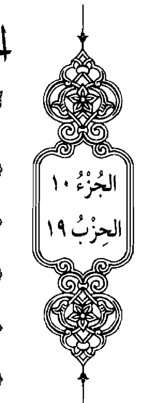
ويوم القيامة يظهر أثر الإنفاق الخبيث في سبيل الشيطان من الإنفاق الطيب في سبيل الله، ويميز أهل السعادة من أهل الشقاء، ويظهر العمل الخبيث من العمل الصالح الطيب، فيثيب على الأعمال الصالحة الجنة، وعلى الأعمال الخبيثة النار، فيجمع الخبيث وأهله في دركات النار عياذًا بالله.

ومن رحمة الله لعباده قبول توبتهم، فالكفار إن تركوا ما هم فيه من الكفر والمشاقة والعناد ودخلوا في الإسلام والطاعة والإنابة، يغفر لهم ما قد سَلَف من كفرهم وذنوبهم وخطاياهم، فمن أحْسَن في الإسلام، لم يُؤاخَذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام، أخذ بالأول والآخر، وإن استمروا على ما هم فيه، من الكفر والعناد ومحاربة المؤمنين فإن سنة الله في الأولين أن يعاجلهم بالعذاب والعقوبة.

لأن الدين لله والأرض يورثها عباده الصالحين، فشرع الله الجهاد حتى يكون التوحيد خالصًا لله، ليس فيه شرك، ويخلع ما دونه من الأنداد، فلا يتحكم أهل الكفر في مصائر الناس وحتى يأمن الناس على أنفسهم، فلا يصرفون عن دينهم الحق.

فإذا كف الكفار بقتال المؤمنين لهم، عما هم فيه من الكفر، وأسلموا، كف أهل الإيمان عنهم وإن لم يعلموا بواطنهم، ويكلون سرائرهم إلى الله.

وإن استمروا على خلاف المؤمنين ومحاربتهم، فإن الله مولى المؤمنين وناصرهم على أعدائهم، فنعم المولى ونعم النصير، ومن تولاه الله فاز ومن نصره الله غلب.



۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن
كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ
يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤١ إِذۡ
أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ
أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ ۙ
وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ
هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ
لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ٤٢ إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ
وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۗ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٤٣ وَإِذۡ
يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ
فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ
تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٤٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ
فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥

خص الله الأمة الشريفة، من بين سائر الأمم المتقدمة بحل المغانم، وهي المال المأخوذ من الكفار بالقتال والحرب، والغنيمة تقسم خمسة أخماس، أربعة أخماسها لمن قاتل عليها، والخمس لخمسة أصناف كما ذكر الله ﷻ، للرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، وذكر خمس الله هنا على سبيل التبرك وإضافة هذا المال إلى نفسه لشرفه، وليس المراد منه أن سهمًا من الغنيمة لله منفردًا، فإن الدنيا والآخرة كلها لله ﷻ، وسهم الرسول الله ﷺ له في حياته، وبعده لمصالح المسلمين وما فيه قوة الإسلام، ولذي القربى وهم أقارب النبي ﷺ، ولليتامى، واليتيم له سهمٌ في الخمس وهو الصغير المسلم الذي لا أب له إذا كان فقيرًا، وللمساكين وهم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين، ولابن السبيل وهو المسافر المنقطع عن ماله، فهذا مصرف خمس الغنيمة ويقسم أربعة أخماس الغنيمة بين الغانمين الذين شهدوا الوقعة، للفارس منهم ثلاثة أسهم، وللراجل سهم واحد، وقد أنزل الله أحكام الغنائم يوم بدر فيجب على المسلمين امتثال ما شرعه الله لعباده من الخمس في الغنائم، فقد كان يوم الفرقان يوم نصر الله لعباده وأوليائه وقد فَرَق الله به بين الحق والباطل وأعلى فيه كلمة الإيمان على كلمة الباطل، وأظهر دينه ونصر نبيه وحزبه، لما التقى حزب الله وحزب الشيطان، وكان يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من رمضان، إذ نزل بعدوة الوادي الدنيا القريبة إلى المدينة، والمشركون نزلوا بالعدوة البعيدة التي من ناحية مكة، والعير التي فيها أبو سفيان بما معه من التجارة مما يلي سيف البحر، ولو كان ذلك عن ميعاد بين المسلمين والمشركين، ثم بلغهم كثرة عدوهم وقلة عددهم ما لقيهم المسلمون، ولكن ليقضي الله ما أراد بقدرته من إعزاز الإسلام وأهله، وإذلال الشرك وأهله عن غير موعد منهم، ففعل ما أراد من ذلك بلطفه، ليصير الأمر ظاهرًا، والحجة قاطعة، والبراهين ساطعة، ولا يبقى لأحد حجة ولا شبهة، فحينئذ يستمر في الكفر من استمر فيه على بصيرة من أمره لقيام الحجة عليه فيكون من الهالكين، ويؤمن من آمن عن حجة وبصيرة، والإيمان هو حياة القلوب، فكانت استجابة الله لدعاء عباده وتضرعهم واستغاثتهم به فهو السميع لدعاء من دعاه، العليم بمن يستحقون النصر على أعدائهم الكفرة المعاندين، ومن نصر الله لعباده يوم الفرقان أن أرى الله نبيه ﷺ في منامه المشركين قلة، فأخبر النبي ﷺ أصحابه فكان تثبيتًا، وأرى الله المؤمنين قلة المشركين، حتى قال القائل من المسلمين لآخر أتراهم سبعين، قال: هم نحو المائة، وقلل المسلمين في أعين المشركين حتى قال قائلهم : إنما هم أكلة جزور، وكان هذا قبل القتال، فلما شرعوا فيه كثر الله المسلمين في أعين المشركين، ووجه تقليل المسلمين في أعين المشركين هو أنهم إذا رأوهم قليلًا أقدموا على القتال غير خائفين، ثم يرونهم كثيرًا فيفشلون، وتكون الدائرة عليهم، ويحلّ بهم عذاب الله وسوط عقابه، ليلقي بينهم الحرب للنقمة ممن أراد الانتقام منه، والإنعام على من أراد تمام النعمة عليه من أهل ولايته، فهم الثابتون عند اللقاء الصابرون عند القتال الذاكرون الله كثيرًا، يلحون على ربهم بالدعاء فيكتب لهم النصر والفلاح في الدنيا والآخرة.

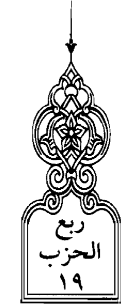
وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ
وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ
خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ
ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ
ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ
عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ
إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ
ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْۗ
وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾
وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ
وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾
كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ
فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾

من آداب لقاء العدو وطريق الشجاعة عند مواجهة الأعداء وعوامل النصر الثبات عند القتال، والصبر، وطاعة الله ورسوله ﷺ، والحذر من البطر والرياء والبغي، وترك التنازع والشقاق والاختلاف فهو سبيل الفشل وذهاب القوة والجبن والضعف، وهو سبحانه مع الصابرين في مواجهة الأعداء، والذين يرجون أن تكون كلمة الله هي العليا لم يخرجوا رياءً وسمعةً وأشرًا وبطرًا كما خرجت قريش يوم بدر بخيلائها وفخرها وطغيانها تحاد الله وتكذب رسوله، وتصد عن سبيل الله فكانت نهايتها أن سقوا كؤوس المنايا مكان الخمر، وناحت عليهم النوائح مكان القيان، فانعكس ذلك عليهم أجمع؛ لأنهم لما وردوا ماء بدر وردوا به الموت، ورُمُوا في بئر بدر مهانين أذلة، صاغرين أشقياء، فالله عالم بما جاءوا به وله، ولهذا جازاهم على ذلك شر الجزاء، كل ذلك من تزيين الشيطان لهم، أطمعهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس، ونفى عنهم الخشية من أن يؤتوا في ديارهم من عدوهم بني بكر فقال أنا جار لكم، سار بهم إبليس برايته وجنوده، وألقى في قلوب المشركين، أنه لا غالب لهم، فلما التقوا، ونظر الشيطان إلى إمداد الملائكة، رجع مدبرًا، وقال: إني أرى ما لا ترون، لأنه يرى الملائكة، وكان قوم من المستضعفين بمكة قد أسلموا، وحبسهم أقرباؤهم من الهجرة، فلما خرجت قريش إلى بدر، أخرجوهم كرهًا، فلما نظروا إلى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا، وقالوا غرَّ هؤلاء دينهم، فقتلوا جميعًا، فكان اعتماد المؤمنين على ربهم طريق نصرهم فهو سبحانه العزيز الذي لا يُضام من التجأ إليه، وهو الحكيم في أفعاله، لا يضعها إلا في مواضعها، فينصر من يستحق النصر، ويخذل من هو أهلٌ لذلك، وكان المشركون إذا أقبلوا بوجوههم إلى المسلمين ضربت الملائكة وجوههم بالسيوف، وإذا ولَّوا أدركتهم الملائكة فضربوا أدبارهم، وعند الموت تضرب الملائكة وجوه الكفار وأدبارهم بسياط النار، ويوم القيامة يضربون وجوههم إذا واجهوهم، وأدبارهم إذا ساقوهم إلى النار.

كل ذلك بسبب ما كسبوا من المعاصي، واقترفوا من الذنوب وأشدها الكفر والشرك، وأقام الله عليهم الحجة ببعثة الرسل وإنزال الكتب، وأوضح لهم السبيل، وهداهم النجدين فظلموا أنفسهم بالشرك.

وتلك سنة الله في فرق الكافرين فقد عذب هؤلاء لسنة الله الماضية في تعذيب طوائف الكفر، كما فعل بفرعون وقومه لما كفروا بآيات الله، أخذهم الله سبحانه بالعذاب أخذ عزيز مقتدر، ولقد وهبهم الله من نعمه، ورزقهم من فضله، ومكن لهم في الأرض، ابتلاءً منه وامتحانًا، لينظر أيشكرون أم يكفرون، ولكنهم كفروا بالرسل ولم يشكروا النعم؛ وطغوا وبغوا بما أُعطوا، فكانت النعمة والقوة نقمة عليهم فصاروا جبابرة وطواغيت كفروا بآيات الله، فحقت عليهم سنة الله في أخذ الكافرين بعد ما قامت عليهم الحجة.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟
مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ
فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم
بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾
إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾
ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ
وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم
مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن
قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ
﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾
وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ
تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ
لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟
لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾



من تمام عدل الله، وقسطه في حكمه، بأنه تعالى لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه، فلا يسلب الله نعمته التي وهبها عباده إلا بعد أن يغيروا نواياهم، ويبدلوا سلوكهم، ويستحقوا أن يغير ما بهم مما أعطاهم إياه للابتلاء والاختبار من النعمة التي لم يقدروها ولم يشكروها.

كصنعه بآل فرعون وأمثالهم حين كذبوا بآياته، أهلكهم بسبب ذنوبهم، وسلبهم تلك النعم التي أسداها إليهم من جنات وعيون، وزروع وكنوز ومقام كريم، ونعمة كانوا فيها فاكهين، وما ظلمهم الله في ذلك بل كانوا هم الظالمين.

وشر ما دب على وجه الأرض الذين كفروا فهم لا يؤمنون، الذين كلما عاهدوا عهدًا نقضوه، وكلما أكدوه بالأيمان نكثوه، ولا يخافون من الله في شيء ارتكبوه من الآثام.

وهم يهود بني قريظة، نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ، وأعانوا المشركين بالسلاح على قتال النبي ﷺ وأصحابه، فأمر الله نبيه ﷺ إن ظفر بهم في حرب أن ينكل بهم، وأن يغلظ عقوبتهم ويثخنهم قتلًا، ليخاف من سواهم من الأعداء، من العرب وغيرهم، ويصيروا لهم عبرةً، والخيانة في الإسلام محرمة حتى ولو في حق الكافرين، فإذا كان بين المسلمين وأعدائهم مواثيق وعهود، فخافوا من الأعداء الخيانة، فليعلموهم بنقض العهد، حتى يبقوا على علم بأنه لا عهد بينهم وبين المسلمين.

والكفار والمشركون تحت قهر قدرة الله وفي قبضة مشيئته فلا يعجزون الله، فلئن أفلتوا من معركة ونجوا منها، فإنهم لا يعجزون الله، بل هم واقعون في عذاب الله في الدنيا أو في الآخرة، والواجب على أمة الإسلام إعداد القوّة للأعداء، والقوّة كل ما يتقوّى به في الحرب، وذلك حسب الطاقة والإمكان والاستطاعة، فالأمة تأخذ بأسباب القوة المادية والمعنوية، لتكون عزيزة أمام أعدائها، يخاف أعداؤها منها، وذلك بقيام شعيرة الجهاد بشروطها، بلا خيانة ولا نقض للعهود ولا قتل للمستأمنين والمعاهدين فإن ذلك ليس من الجهاد في شيء، والنفقة في سبيل الله يضاعَف ثوابها إلى سبعمائة ضعف، ويوفى للمنفق أجره يوم القيامة، وإذا طالب الأعداء المسالمة والمصالحة والمهادنة، فتجوز مصالحتهم ومهادنتهم، وفي الصلح من المنافع من حقن الدماء ونشر الإسلام وسماع الكفار بالدين، وقد ورد أن من دخل في الإسلام زمن صلح الحديبية أكثر ممن دخل من أول الإسلام إلى الصلح.

وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٧﴾ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٩﴾

الصلح بين المسلمين والكفار جائز، ولو ظهر منهم تبييت الخيانة، إذا رئي أن مصلحة المسلمين في الصلح، فإن الله حافظ أولياءه المتوكلين عليه وهو حسبهم وكافيهم ومؤيدهم، وقد أمر الله نبيه بقبول الصلح وقد ظهرت أمارات غدرهم، فحفظ الله نبيه من مكرهم وغدرهم وأيده بالمهاجرين والأنصار، وجمع الله قلوبهم على الإيمان، وعلى طاعة الرسول ومناصرته ومؤازرته، وألف بين قلوب الأنصار، فقد كان بين الأوس والخزرج إحن وثارات في الجاهلية، فصيرهم الله إخوانًا بعد أن كانوا أعداء، فكانوا عدة ونصرًا للإسلام، وأما أعداء الله فيشرع دعوتهم وتقديم الإسلام لهم والالتزام بما التزمه المسلمون معهم من عهود ومواثيق مع الإعداد للجهاد مع المحاربين منهم فإن الله تعالى حرض نبيه صلوات الله وسلامه عليه، والمؤمنين على القتال ومناجزة الأعداء، وأخبرهم أنه حسبهم وكافيهم وناصرهم ومؤيدهم على عدوهم، وإن كثرت أعدادهم وترادفت أمدادهم، ولو قل عدد المؤمنين، وأمر الله نبيه صلوات الله وسلامه عليه بحث المؤمنين على قتال الأعداء، والصبر على ذلك، وأوجب على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من الكافرين، فثقل ذلك على المؤمنين، فخفف الله عنهم، وأوجب على الرجل الواحد من المؤمنين قتال اثنين منهم، فإن كان المسلمون على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم أن يفروا، وإذا كانوا دون ذلك، لم يجب عليهم قتالهم، وجاز لهم أن يتحوزوا عنهم، فإذا صبر المسلمون واحتسبوا وثبتوا في قتالهم فإن الله ناصرهم، فإن المشركين يقاتلون على غير احتساب ولا طلب ثواب، ولا يثبتون إذا صدقهم المسلمون في القتال، وكان في بداية الإسلام وفي أسارى بدر الأمر بالقتل والإكثار منه والمبالغة فيه، إظهارًا لعزة الإسلام هو أولى من الأسر والفداء.

وعاتب الله نبيه ﷺ على أخذ الفداء؛ لأن الله أراد للمؤمنين ثواب الآخرة بقهرهم المشركين ونصر دين الله ﷻ، وهم أرادوا أخذ الفداء، ولكن الله قضى في أم الكتاب أن المغانم والأسرى حلال للمسلمين فعفا الله عنهم فيما أخذوا من الفداء، ولم ينزل عليهم العذاب من السماء، فلما كثر المسلمون واشتد سلطانهم، جعل الله ﷻ نبيه ﷺ والمؤمنين في أمر الأسرى بالخيار إن شاءوا قتلوهم وإن شاءوا استعبدوهم، وإن شاءوا فادوهم، وإن شاءوا أطلقوهم.

وأباح الله للمؤمنين الغنائم وهي خاصة لهذه الأمة وهي من أطيب المكاسب؛ لأن الله جعلها لنبيه ﷺ فهي الحلال الطيب، وهي طعمة للمؤمنين رحمهم الله بها، وكانت غنائم الأمم قبلنا تنزل نار من السماء فتأكلها إذا كانت مقبولة، ولكن الإسلام لا يتشوف إلى الأموال ولا للقتل وإنما للهداية، فما شُرع الجهاد إلا لإعلاء كلمة الله ونشر دين الله ودخول الناس في دين الله أفواجًا، ولم يكن الإسلام سيفًا إلا على المعاندين المكابرين الذين يصدون عن سبيل الله من آمن، ويفتنون الناس عن دينهم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٧١ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥

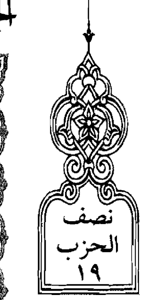
الإسلام جاء بالهداية والرحمة فكان الخطاب لقلوب الأسرى يحيي فيها الرجاء، ويظهر فيها الأمل والنور، ويعلق القلوب بحياة أكرم مما كانوا فيه، حياة الإيمان وبمكاسب أربح بدخول دين الإسلام، مع الوعد بالمغفرة والرحمة من الله، وأما من عاند وكابر واستمر على كفره وعناده، فقد كفروا بالله من قبل فأمكن منهم المؤمنين حتى قتلوهم وأسروهم، وهذا تهديد لهم إن عادوا إلى قتال المؤمنين ومعاداتهم.

والمؤمنون على أقسام، مهاجرين خرجوا من ديارهم وأموالهم، وجاءوا لنصر الله ورسوله، وإقامة دينه، وبذلوا أموالهم وأنفسهم في ذلك، وأنصار، وهم: المسلمون من أهل المدينة إذ ذاك، آووا إخوانهم المهاجرين في منازلهم، وواسوهم في أموالهم، ونصروا الله ورسوله بالقتال معهم، فهؤلاء بعضهم أولى ببعض، فكلٌ منهم أحق بالآخر من كل أحد؛ ولهذا آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، كل اثنين أَخَوَان، فكانوا يتوارثون بذلك إرثًا مقدمًا على القرابة، فكانت ولاية توارث وتكافل في الديات وولاية نصرة وأخوة قامت مقام علاقات الدم والنسب والقرابة حتى نسخ الله تعالى ذلك بالمواريث، وصنف ثالث من المؤمنين، وهم الذين آمنوا ولم يهاجروا، بل أقاموا في بَوَاديهم وديارهم فما لهم من النصرة والإعانة، والمغانم والميراث، ولو كانوا من القرابة لعدم وقوع الهجرة منهم .

فإن طلبوا النصرة لهم على المشركين فيجب على المؤمنين النصر إلا أن يستنصروهم على قوم بينهم وبين المسلمين عهد وميثاق، فلا ينصرهم المسلمون ولا ينقضوا العهد الذي بينهم وبين أولئك القوم حتى تنقضي مدته، وهذا من احترام الإسلام للعهود والمواثيق، فلا يجوز نقض عهد وهدنة لنصر بعض المسلمين لأن ذلك خيانة يحرمها الإسلام، والكفار بعضهم أولياء بعض ينصر بعضهم بعضًا ويتولون بعضهم في أمورهم، ويرثونهم إذا ماتوا، وفي ذلك توجيه للمسلمين بأن لا يناصروا الكفار ولا يتولونهم، فإن لم تكن موالاة المؤمنين ومناصرتهم والبراءة من الكافرين تقع الفتنة في الناس، وهو التباس الأمر، واختلاط المؤمن بالكافر، فيقع بين الناس فسادٌ منتشرٌ طويلٌ عريضٌ في الدين والدنيا.

والمهاجرون المجاهدون في سبيل الله والأنصار الذين آووا من هاجر إليهم ونصروهم، هم الكاملون في الإيمان، لهم المغفرة والصفح عن ذنوبهم، والرزق الكريم، الحسن الكثير الطيب الشريف، الدائم المستمر، ومن تبعهم في الدنيا على ما كانوا عليه من الإيمان والعمل الصالح فهم معهم في الآخرة.

وأما القرابات من المؤمنين فلهم الرحم التي يتواصلون بها، ويتوارثون بينهم في حكم الله ﷻ، وهذا نسخ للتوارث بين المهاجرين والأنصار ورد الميراث إلى ذوي الأرحام، والله هو العليم بما يصلح عباده، فشرع لهم من الأحكام ما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة.



ترتيبها ٩ — آياتها ١٢٩

سُورَةُ التَّوبَةِ

بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١
فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي
ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢ وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ
إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ
وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ
أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ
شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ
مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٤ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ
فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ
وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥
وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ
كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ٦



سورة التوبة

وهي سورة مدنية سميت بذلك لذكر توبة الله على المخلفين

هذه السورة من أواخر ما نزل على رسول الله ﷺ ومن أسمائها براءة وسورة العذاب، وسورة البَحوث، لأنها بحثت عن سرائر المنافقين، والفاضحة، لأنها فضحت المنافقين، والمبعثِرة، لأنها بعثرت أخبار الناس، وكشفت عن سرائرهم، والمثيرة، لأنها أثارت مخازي المنافقين ومثالبهم، والحافرة، لأنها حفرت عن قلوب المنافقين، وسبب ترك التسمية في أولها، لأن قصتها شبيهة بقصة الأنفال، وقُبِض رسول الله ﷺ ولم يُبيِّن للصحابة أنها منها،، فقرن الصحابة بينهما، والشبه الذي بينهما أن في الأنفال ذكر العهود، وفي براءة نقضها، ولأنها نزلت بالسيف وإن «بسم الله الرحمن الرحيم» أمانٌ، والتسمية رحمة، والرحمة أمان، وهذه السورة نزلت في المنافقين، والمشركين، والبراءة من المشركين من عرى الإيمان، وقد جاء الإسلام بجواز العهود والمواثيق بين المؤمنين والكافرين، ولا يعتبر ذلك مخالف للبراءة منهم، وقد تبرأ الله من عهود المشركين بعد غزوة تبوك لنقضهم العهود وخيانتهم للمؤمنين، وحد الله للذين عاهدوا رسوله أربعة أشهر، يسيحون في الأرض حيثما شاءوا، وأَجَّل أَجَل من ليس له عهد انسلاخَ الأشهر الحرم، من يوم النحر إلى انسلاخ المحرم، فهذه خمسون ليلة، فإذا انسلخ الأشهر الحرم أمر الله نبيه ﷺ بأن يضع السيف فيمن لا عهد له، فكان النبذ من المسلمين لعهد المشركين بعد وقوع النقض منهم، وبعث رسول الله ﷺ أبا بكر أميرًا على الموسم سنة تسع، وبعث عليًّا بن أبي طالب بثلاثين آية أو أربعين آية من سورة براءة، فقرأها على الناس، يوم عرفة، وهي إعلام من الله ورسوله وإنذار إلى الناس يوم النحر الذي هو أفضل أيام المناسك بالبراءة من المشركين، ثم دعاهم إلى التوبة إليه مما هم فيه من الشرك والضلال، ففي الإيمان الخير لهم، فإن استمروا على ما هم عليه فإن الله قادر عليهم، وهم في قبضته، وتحت قهره ومشيئته، ولهم في الدنيا الخزي والنَّكال، وفي الآخرة العذاب والأغلال، واستثني من ضرب مدة التأجيل بأربعة أشهر، من له عهد مطلق ليس بمؤقت، فأجله إلى مدته المضروبة التي عوهد عليها، بشرط ألا ينقض المعاهد عهده، ولا يمالئ على المسلمين أحدًا، فيوفى له بذمته وعهده إلى مدته؛ فإذا انقضت الأشهر الأربعة التي حرم على المسلمين فيها قتالهم، وأجل المشركون فيها، فحيثما وجدوهم من الأرض فليقتلوهم؛ ويأسروهم، ويقصدوهم بالحصار في معاقلهم وحصونهم، والرصد لهم في طرقهم ومسالكهم حتى يضيقوا عليهم الواسع، ويضطروهم إلى القتل أو الإسلام؛ فإن طلب أحد منهم الأمان لسماع القرآن وللتعرف على الإسلام، فيعطى الأمان لعل الإسلام يدخل قلبه وإن لم يسلم فيرجع إلى بلاده وداره ومأمنه، وإنما شرع أمان مثل هؤلاء ليعلموا دين الله، وتنتشر دعوة الله في عباده، ومن قدم من دار الحرب إلى دار الإسلام في أداء رسالة أو تجارة، أو طلب صلح أو مهادنة أو حمل جزية، أو نحو ذلك من الأسباب فطلب من الإمام أو نائبه أمانًا، أعطي أمانًا ما دام مترددًا في دار الإسلام، وحتى يرجع إلى مأمنه ووطنه، ولا يجوز الاعتداء عليه ولا على ماله وأهله.

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ
رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا
ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ
﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا
وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ
فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟
عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ
فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾
فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ
فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟
أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟
أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ
﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟
بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ
أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

الكفار المعاندون الذين بربهم يعدلون لا عهد لهم ولا ميثاق فهم جحدوا وحدانية الله واستحقاقه للعبادة، وهم لا عهد لهم مع المسلمين لما هم عليه من الخيانة الكبرى والظلم العظيم، ولكن إذا عاهد المسلمون منهم أحدًا وجب الوفاء به ولو كانوا فجرةً كفرةً، وقد عاهد رسول الله المشركين في الحديبية وأمر المسلمون بالتمسك والوفاء بالعهد، وقد فعل رسول الله ﷺ ذلك والمسلمون، استمر العقد والهدنة مع أهل مكة من ذي القعدة في سنة ست، إلى أن نقضت قريش العهد وما لأوا حلفاءهم بني بكر على خزاعة أحلاف رسول الله ﷺ فقتلوهم معهم في الحرم، فعند ذلك غزاهم رسول الله ﷺ.

وهؤلاء الكفار لو كان لهم ظهور على المسلمين فلن يراعوا فيهم قرابة، ولا رَحِمًا، ولاحَلِفًا، ولا عهدًا، لما في قلوبهم من الحقد على المسلمين، يظهرون المودة بألسنتهم خلاف ما في قلوبهم، وتأبى قلوبهم الإيمان.

استبدلوا بآيات القرآن ما آثروه من حطام الدنيا، وأعرضوا عن سبيل الحق، وصرفوا غيرهم عنه، وجاوزوا الحلال إلى الحرام ونقضوا العهد والميثاق، وتمردوا على الحق، وحملوا في قلوبهم الحقد للمسلمين، ولكنهم إن تابوا عن الشرك والتزموا أحكام الإسلام، فهم من المسلمين لهم أخوة الدين، فمن حقق التوحيد وأقام الصلاة وأدى الزكاة فهو من المسلمين له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين.

ومن نكث العهد من المشركين وانتقص دين الله وعابه فيجب قتاله حتى ينتهوا من عيبهم للإسلام لأنهم لا عهد لهم ولا ميثاق، وهذا دليل على قتل من سب الرسول صلوات الله وسلامه عليه، أو من طعن في دين الإسلام.

فالكفار الذين ينقضون العهود والمواثيق ويسعون في الأرض فسادًا ويقتلون الصالحين ويخرجونهم من ديارهم، وقد أخرجوا رسول الله عليه وسلم من مكة وبدؤوا المسلمين بالقتال هم الأحق بالقتل ولا يخاف المسلم من كثرة عددهم وسلاحهم، فالله هو الأحق بالخشية، فإنه الضارّ النافع في الحقيقة، ومن خشيته له أن يقاتلوا من أمرهم بقتاله.

فالمؤمن لا يخشى أحدًا من الناس، لا يخشى إلا الله، لا يخشى الجيوش الجرارة ولا الأسلحة الفتاكة، وإنما في قلبه خشية الله التي تجعله يفكر في إعلاء كلمة الله وحده لا شريك له، وأن يأخذ المسلم بالأمور المعينة على النصر، ويأخذ بالأسباب فإنها من التوكل وقد ظاهر النبي ﷺ بين درعين يوم أحد أخذًا بالأسباب، فليس من الشجاعة التهور والمجازفة والإلقاء بالنفس في التهلكة، وليس التعقل والأخذ بالحزم والعزم من خشية الكفار بل هو من خشية الله الذي أمر بالإعداد والاستعداد.

قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١٩

أمر الله ﷻ عباده المؤمنين بقتال الكفار المحاربين الذين يصدون عن سبيل الله من آمن، فالله يقتل الكفار بأيدي المؤمنين، ويذلهم بالأسر والقهر، وينصر المؤمنين على الكافرين فيكون في النصر راحة لقلوب أهل الإيمان الذين لاقوا الأذى من هؤلاء الكافرين، ويُذهب بالنصر ما وقع في قلوب أهل الإيمان من الحرج والمشقة والظلم والاضطهاد، وأما مَّنْ مَنَّ الله عليه بالهداية من الكافرين فله ما للمؤمنين من الحقوق.

وقد شرع الله الجهاد لعباده وبين أن له فيه حكمة، وهو اختبار عبيده من يطيعه ممن يعصيه، وهو تعالى العالم بما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، فالتكاليف الشرعية امتحان واختبار ليظهر فيها أهل العزم الصادق من الكاذب، ليظهرمن يواد المسلمين وينصح لهم، ممن يميل إلى الكفار ويتخذ منهم جلساء وأصدقاء يخبرهم بأخبار المسلمين وهم الوليجة، وهي البطانة من غير المسلمين، وهو أن يتخذ الرجل من المسلمين دخيلًا من المشركين وخليطًا ووادًّا، وأصله من الولوج، وكل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة، والرجل يكون في القوم وليس منهم فهو وليجة فيهم، وهو سبحانه العالم بخفايا الصدور والعليم بالخائنين.

والمؤمنون الصادقون هم القائمون بأمر الله تعالى ويقومون بشرائع الإسلام، ومنها عمارة بيوت الله الحسية والمعنوية، فيبنون المساجد ويرفعونها بالذكر والعبادة وإقامة الصلاة، وهم الأحق بها من غيرها، وأعلى المساجد شأنًا المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى، وهي التي تشد لها الرحال، وتقصد للعبادة، أما المشركون فليسوا من عمار المساجد، لا حسًّا ولا معنى، بل هم يعمرون المساجد بالشرك والأصنام، وهم يعلنون ذلك ويفتخرون بشركهم ويسجدون للأصنام، فقد نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد، وكانوا يطوفون بالبيت عراة، كلما طافوا شوطًا سجدوا لأصنامهم، ولم يزدادوا بذلك من الله تعالى إلا بُعْدًا.

وكذلك كل من يدعي الإسلام ويعظم القبور ويبني عليها المساجد أو يجعل القبور في المساجد، فهو يهدم المساجد بالشرك، فإذا كان القبر قبل بناء المسجد هدم المسجد وأما إذا كان بناء المسجد قبل القبر نبش القبر وأخرج، ويحرم الصلاة في مسجد فيه قبر، وعمار المساجد هم أهل التوحيد الخالص الذين يقومون لله فيها، ولا يدعون مع الله أحدًا، هم أهل الايمان الذين يحافظون على صلاة الجماعة ويؤدون الزكاة المفروضة، ولا يخافون الله تعالى فذلكم الذين كتب الله لهم الهداية في الدنيا والآخرة، والأعمال الصالحة إن لم تكن مع الإيمان فهي هباء منثورٌ، فما يفتخر به المشركون من صيانة المسجد الحرام وإطعام الحجاج وسقايتهم لا تساوي شيئًا أمام الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيل الله، فلا تساوي بين المؤمنين والكافرين، فالجامعون بين الإيمان والهجرة والجهاد بالأموال والأنفس أفضل عند الله وهم المختصون بالفوز بالنعيم المقيم.

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا
نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ
وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ
وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن
كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ
تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ
فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى
ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ
كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ
تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ
بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا
وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾

المؤمنون لهم البشارة برحمة الله في الدنيا وعند نزول الموت وفي الآخرة، فقد كتب الله لهم رضوانه الذي هو أعظم نعيم الجنة، فلهم النعيم الذي لا يحول ولا يزول لا يبغون عنه حولا، يخلدون فيه أبد الآباد، وذلك الأجر الكثير الذي وعدهم الله به، فقد آثروا مرضاته على كل أحد ولو كان أقرب قريب، قدموا مهج نفوسهم رخيصة في سبيل الله، وهكذا المسلم لا يحب ما يبغض الله، ولا يواد الكفار ولو كان الكافر أباه أو أمه أو أخاه أو قريبه؛ لأن العلاقة هي الإيمان فمن أحب الكفر فإنه لا يُحب، فمن أحب الكفار فقد ظلم نفسه وتعرض لغضب الله، فالمؤمنون الصادقون هم الذين لا يجدون في قلوبهم محبة للكفار ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم، وهم الذين يقدمون ما يحبه الله على ما يحبون من الآباء والأبناء والأزواج والعشيرة والأموال والمساكن.

فمن رضي بالديار والأهل والعشيرة والتجارة والمساكن وترك ما أمره الله به من الهجرة والجهاد وشرائع الإسلام فهو متوعد بالعذاب الأليم الذي ينتظره، فلا يقدم على أمر الله أحدًا، فكيف يرضى مسلم رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا ورسولًا أن يقدم الدنيا على الآخرة، والفاني على الباقي، وفضل الله وإحسانه على المؤمنين عظيم، ومنه نَصْرُه لهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسوله ﷺ وأن ذلك من عنده تعالى، وبتأييده وتقديره، لا بعددهم ولا بعدتهم فالنصر من عند الله، سواء قل الجمع أو كثر، فيوم حنين أعجبتهم كثرتهم، وقالوا: لن نغلب اليوم عن قلة، فما أجدى ذلك عنهم شيئًا فولوا مدبرين إلا القليل منهم مع رسول الله ﷺ، ثم أنزل الله نصره وتأييده على رسوله وعلى المؤمنين الذين معه، أنزل الله الملائكة يقاتلون مع المؤمنين ويثبتونهم، حتى رد الله كيد الكافرين، ومعركة حنين تظهر نتيجة الانشغال عن الله، والاعتماد على قوة غير قوته، فكثرة العدد ليست بشيء، إنما هي قوة العقيدة، وإن الكثرة تكون أحيانًا سببًا في الهزيمة، فلقد قامت دولة الإسلام بالصفوة المختارة من أصحاب النبي ﷺ، ولم تقم بالكثرة التي هي الزبد الذي يذهب جفاء، وهي الهشيم الذي تذروه الرياح، وكان من حكمة أحكم الحاكمين أن أذاق المسلمين أولًا مرارة الهزيمة والكسرة مع كثرة عددهم وعدتهم وقوة شوكتهم، لتخضع الرؤوس لربها وخالقها وتتواضع لربها، فلما انكسرت قلوب المؤمنين أرسلت إليها خلع الجبر، مع بريد النصر، وقد اقتضت حكمته أن خلع النصر وجوائزه إنما تفيض على أهل الانكسار.

ولقد كانت غزوة بدر نصرًا للمؤمنين على قلتهم، وحنين عبرة لمن اغتر بالكثرة، وقد افتُتح غزو العرب بغزوة بدر، وخُتم غزوهم بغزوة حنين؛ ولهذا يقرن بين هاتين الغزوتين بالذكر، وإن كان بينهما سبع سنين والملائكة قاتلت بأنفسها مع المسلمين في هاتين الغزوتين، والنبي ﷺ رمى في وجوه المشركين بالحصباء فيهما، وبهاتين الغزاتين طفئت جمرة العرب لغزو رسول الله ﷺ والمسلمين، فالأولى خوفتهم وكسرت من حدتهم، والثانية استفرغت قواهم، واستنفدت سهامهم، وأذلت جمعهم، حتى لم يجدوا بدا من الدخول في دين الله.

ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾

باب التوبة مفتوحٌ حتى تطلع الشمس من مغربها والله يفرح بتوبة العبد، وقد تاب الله على من فر يوم حنين لما صدقت توبتهم، وتاب على هوازن لما جاءوا رسول الله ﷺ تائبين، والمسلم إذا أذنب ذنبًا رجع وتاب وأناب، فالتوبة تجبُّ ما كان قبلها، فلا يأس ولا قنوط من رحمة الله.

والمؤمن الطاهر النقي هو الذي يقاطع أهل الشرك والأوثان، فهم نجسٌ في أفعالهم، وأقوالهم، ومعتقداتهم، وأخلاقهم

وقد نهى الله عن دخول المشركين إلى بلده الحرام، لما تلبسوا به من الشرك والوثنية، ولو كان في دخولهم نفع دنيوي من التجارة معهم، ومن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه، وقد وعد الله المؤمنين بالعوض مما يصيبونه من الكفار من التجارة، وهذا يدل على جواز التعامل مع الكفار في التجارة في غير الحرم والله عليم بما يصلح عباده، وحكيم فيما يأمر به وينهى عنه؛ لأنه سبحانه الكامل في أفعاله وأقواله، العادل في خلقه وأمره تبارك وتعالى، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى لما كفروا بمحمد ﷺ لم يبق لهم إيمان صحيح بأحد من الرسل، ولا بما جاءوا به، وإنما يتبعون آراءهم وأهواءهم وآباءهم فيما هم فيه؛ لأنهم لو كانوا مؤمنين بما بأيديهم إيمانًا صحيحًا لقادهم ذلك إلى الإيمان بمحمد، صلوات الله وسلامه عليه؛ لأن جميع الأنبياء بشروا به، وأمروا باتباعه، فلما جاء كفروا به، فأمر الله بقتالهم لأنهم كفار، فهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر كإيمان المؤمنين، ولا يدينون الدين الحق الذي ارتضاه الله لنفسه، ولا يطيعون الله تعالى طاعة أهل الحق، وهم اليهود والنصارى، فيقاتَلون حتى يسلموا، أو يدفعوا الجزية وهي الخراج المضروب على رقابهم، يدفعونها عن قهر وذل.

ومن شرك اليهود قولهم عزير ابن الله، وقول النصارى المسيح ابن الله، قالوا ذلك بلا دليل ولا برهان وإنما افتراء واختلاق، يشابهون قول من قبلهم من الأمم، ضلوا كما ضل هؤلاء لعنهم الله، كيف يضلون عن الحق، وهو ظاهر، ويعدلون إلى الباطل، ومن ضلالهم طاعتهم للأحبار والرهبان في التحليل والتحريم، حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام، فاتبعوهم فتلك عبادتهم فجعلوا العلماء أربابًا والمسيح ربًّا يعبدونه.

وقد أمروا بعبادة الله وحده لا شريك له، تنزه الله وتقدس عن الإشراك في طاعته وعبادته، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، والتعصب للأشخاص والتسليم في قبول قولهم ولو كان يخالف الكتاب والسنة مما حرمه الإسلام، فلا عصمة لأحد إلا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فالرجال يُعرفون بالحق ولا يُعرف الحق بالرجال، وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله عليه الصلاة والسلام؛ لأنه المبلغ عن رب العالمين.

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾



الكفار يسعون لإطفاء نور الله، فيحاربون الإسلام بجميع جهودهم، بالقول والفعل والقوة والخداع والإغواء والإغراء، ولكن اقتضت حكمة الله إعزاز هذا الدين وأهله فأتم الله نوره، وأتم الحق الذي بعث به محمدًا ﷺ ولو لوكره الكافرون، فقد أرسل الله نبيه ﷺ بدين الحق وهداية البشرية ليكون ظاهرًا على الأديان كلها وليعبد الله وحده لا شريك له ولوكره أهل الشرك والوثنية، فإن دين الله باق إلى قيام الساعة ومن ابتغى غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه ولا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام إما بعز عزيز أو ذل ذليل، إما يعزهم الله فيجعلهم من أهله، فيعتزون به، أو يذلهم فيدينون له.

ومن ضلال أهل الكتاب أن العلماء والقراء منهم يأخذون الرشوة في أحكامهم، ويحرفون كتاب الله، ويكتبون بأيديهم كتبًا يقولون، هذه من عند الله، ويأخذون بها ثمنًا قليلًا من سفلتهم، ويصرفون الناس، عن دين الله ﷻ وعن اتباع الحق، ويلبسون الحق بالباطل، ويظهرون لمن اتبعهم من الجهلة أنهم يدعون إلى الخير، وليسوا كما يزعمون، بل هم دعاة إلى النار، وفي ذلك تحذير من علماء السوء وعباد الضلال، والتحذير من التشبه بهم في أحوالهم وأقوالهم؛ لأنهم يأكلون الدنيا بالدين.

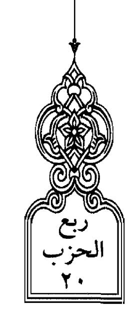
والمسلم الحق هو الذي يجتنب الكسب الحرام ويؤدي ما أوجب الله عليه في الأموال من الزكاة، فقد توعد الله الذين يكنزون الأموال ويمنعون الزكاة، فكل مال أديت زكاته فليس بكنز، وأيما مال لم تؤد زكاته فهو كنز يكوى به صاحبه، فما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل يوم القيامة صفائح من نار يكوى بها جنبه وجبهته وظهره، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين الناس، ثم يُرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار، وخصّت الجباه والجنوب والظهور بالكي، لأن الغني صاحب الكنز إذا رأى الفقير قبض وجهه، وزوى ما بين عينيه، وولاه ظهره، وأعرض عنه بكشحه، وتجب الزكاة بمضي الحول وهو سنة كاملة، والسنة اثنا عشر شهرًا في حكم الله تعالى، وهي المحرم وصفر وربيع الأول وربيع الثاني وجمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة، وهي الشهور الهلالية، وهي الشهور التي يعتد بها المسلمون في صيامهم وحجهم وأعيادهم وسائر أمورهم، ومن هذه الشهور أربعة حرم وهي، رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، واحد فرد وثلاثة سرد، ذلك الحساب المستقيم، وهي عمر الإنسان فهو سنوات متتابعة فلا يظلم نفسه بالمعاصي والسيئات بل عليه أن يعمرها بعمل الصالحات وقتال المشركين المحاربين مشروع في كل وقت، وبالأخص إذا اعتدوا على المسلمين، والأشهر الحرم لا يحرم القتال فيها، وكان ذلك في بداية الإسلام ثم نسخ في هذه الآية وغيرها.

إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ
فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ
لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ
إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ
فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾
إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا
غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ
قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ
يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ
ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا
وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ
وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

من ضلال المشركين تصرفهم في شرع الله بآرائهم الفاسدة، وتغييرهم أحكام الله بأهوائهم، وتحليلهم ما حرم الله وتحريمهم ما أحل الله، فقد استطالوا مدة الأشهر الثلاثة في التحريم المانع لهم من قضاء مرادهم من قتال أعدائهم، فكانوا قد أحدثوا قبل الإسلام بمدة تحليل المحرم وتأخيره إلى صفر، فيحلون الشهر الحرام، ويحرمون الشهر الحلال، ليواطئوا عدة الأشهر الأربعة، وكان جنادة بن عوف الكناني، يوافي الموسم في كل عام، فينادي، ألا إن أبا ثمامة لا يحاب ولا يعاب ألا وإن صفر العام الأول حلال فيحله للناس، فيحرم صفر عامًا، ويحرم المحرم عامًا، فيحل ما حرم الله، ويحرم ما أحل الله، وقد زين لهم الشيطان الأعمال السيئة التي يعملونها، ومنها النسيء، وقد كتب الله عليهم الضلالة فلا يهديهم هداية توصلهم إليه، وأما المؤمنون فهم المستجيبون لله ولرسوله في جميع أوقاتهم في عسرهم ويسرهم ورخائهم وشدتهم، وقد عاتب الله من تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، حين طابت الثمار والظلال في شدة الحر، فقد دعاهم الله إلى الجهاد في سبيل الله، فتكاسلوا ومالوا إلى المقام في الدعة وطيب الثمار، رضًا بالدنيا بدلا من الآخرة، فالدنيا ما مضى منها وما بقي منها عند الله قليل، فمن ترك الخروج مع رسول الله ﷺ توعده الله بعذاب شديد مؤلم، ويجعل غيرهم ممن يستجيب لله والرسول وينصر نبيه ويقيم دينه بدلًا منهم، ولا يضرّون الله بترك امتثال أمره ولا بتوليهم عن الجهاد، وتثاقلهم عنه، ولا يضرّون رسول الله بترك نصرته والنفير معه شيئًا، فإن الله ناصره ومؤيده وكافيه وحافظه، كما تولى نصره في الهجرة، لما هم المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه، فخرج من مكة مهاجرًا مع صاحبه أبي بكر بن أبي قحافة ﷺ، فلجأ إلى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم، ثم يسيران نحو المدينة، فجعل أبو بكر، رضي الله عنه، يجزع أن يطلع عليهم أحد فيخلص إلى الرسول، عليه الصلاة والسلام منهم أذى، ويقول لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه، فقال الرسول، عليه الصلاة والسلام "يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما".

لقد حفظ الله نبيه ﷺ وصاحبه فلم يصل إليهما أحد وأيدهما بالسكينة، والملائكة والجند الذي لا يراها أحد، من نسج العنكبوت على وجه الغار، فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب حاذق سريع الفهم، فيخرج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة، كبائت فيها، فلا يسمع أمرًا يُكَادَانِ به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فُهَيْرَةَ، مولى أبي بكر مِنْحَةً من غنمٍ، فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان يشربان من لبن طري حتى ينادي بها عامر بن فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث، واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلا من بني الدِّيل، وهو من بني عبد بن عدي هاديًا ماهرًا، وهو على دين كفار قريش فَأَمِنَاهُ، فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما، وانطلق معهما عامر بن فُهَيْرَةَ والدليل فأخذ بهم على طريق الساحل.

ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾



أمر الله تعالى المؤمنين بالنفير مع الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، عام غزوة تبوك، لقتال أعداء الله من الروم الكفرة من أهل الكتاب، وحتم على المؤمنين الخروج معه على كل حال في المنشط والمكره والعسر واليسر، شبابًا وشيوخًا، وأغنياء ومساكين، نِشاطًا وغير نشاط، ورغبهم في النفقة في سبيله، وبذل المهج في مرضاته ومرضاة رسوله، فهو خير لهم في الدنيا والآخرة، ويخلف عليهم نفقتهم في الجهاد بما يغنمونه من أموال عدوهم في الدنيا، مع ما يدخره الله لهم من الكرامة في الآخرة، وعاتب الله الذين تخلفوا عن النبي ﷺ في غزوة تبوك، وقعدوا عن النبي ﷺ بعد ما استأذنوه في ذلك مظهرين أعذارًا ولم يكونوا كذلك، ولو كانوا يرجون غنيمة قريبة، وسفرًا قريبًا هينًا لكانوا مع النبي ﷺ، ولكنهم بعدت عليهم المسافة إلى الشام، وسيحلفون للنبي ﷺ إذا رجع إليهم لو لم تكن لنا أعذار لخرجنا معكم، يهلكون أنفسهم بالأيمان الكاذبة، والله يعلم كذبهم في أيمانهم وإيمانهم؛ لأنهم كانوا مستطيعين، وعفا الله عن نبيه ﷺ إذنه لهم بالقعود لأنهم كاذبون في أعذارهم، وسيقعدون عن الخروج ولو لم يأذن لهم رسول الله ﷺ بالقعود، أما المؤمنون بالله واليوم الآخر فلا يستأذنون في القعود عن الغزو؛ لأنهم يرون الجهاد قربة، ولما ندبهم الله إليه بادروا وامتثلوا، إنما يستأذن في القعود من لا عذر له من الذين لا يرجون ثواب الله في الدار الآخرة على أعمالهم، وشكوًّا في صحة ما جاء به رسول الله ﷺ، فهم في شكهم متحيرون،، ليست لهم قدم ثابتة في شيء، فهم قوم حيارى هلكى، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلًا.

ولو كان المنافقون صادقين في الجهاد مع رسول الله ﷺ لتأهبوا له، وأعدوا القوة من السلاح ولكن الله كره أن يخرجوا مع نبيه عليه الصلاة والسلام قدرًا وشرعًا، فأخرهم ومنعهم وحبسهم عن الخروج، وألهموا أسباب الخذلان ليقعدوا مع المرضى والنساء والصبيان وأصحاب الأعذار؛ لأنهم لو خرجوا لم يزيدوا المسلمين إلا الفساد والشر، بإيقاع الجبن والفشل بين المؤمنين وتهويل الأمر، وإيقاع الاختلاف والأراجيف وإظهار الشائعات؛ لأنهم جبناء مخذولون، ولأسرعوا السير والمشي بين المؤمنين بالنميمة والبغضاء والفتنة، وفي المسلمين مطيعون لهم ومستحسنون لحديثهم وكلامهم، يستنصحونهم وإن كانوا لا يعلمون حالهم، فيؤدي هذا إلى وقوع شر بين المؤمنين وفساد كبير، فالنفوس الضعيفة والقلوب الحائرة تبث الضعف في صفوف المؤمنين، والنفوس الخائنة خطر على الأمة؛ وأهل الفتن والفوضى والفساد شرهم على الأمة أعظم من شر العدو لاختفاء أمرهم وحالهم على الناس، فقد ينخدع الناس بكلامهم وإشاعاتهم وأراجيفهم، فَيُشَق الصف وتضعف الأمة ويعظم الخطر، فالإسلام لا ينظر إلى الكثرة الهالكة، وإنما للصفوة الثابتة.

لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ
جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾
وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ
سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ
﴿٤٩﴾ إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ
مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ
وَّهُمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ
ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ
﴿٥١﴾ قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ
نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ
أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلۡ
أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡۖ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ
قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ
إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ
إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾

أهل النفاق أشد خطرًا على الأمة من عدوها الظاهر إذ هم عدوها الباطن فهم يخططون بأفكارهم وآراءهم في كيد الإسلام وكيد أهله وخذلانهم وإخماد نور الإسلام، وذلك أول مقدم النبي ﷺ المدينة رمته العرب عن قوس واحدة، وحاربته يهود المدينة ومنافقوها، فلما نصره الله يوم بدر وأعلى كلمته، قال عبد الله بن أبي وأصحابه، هذا أمر قد توجه، فدخلوا في الإسلام ظاهرًا، وهم كلما رأوا عزَ الله للإسلام وأهله غاظهم وساءهم؛ فهم يسعون بالتخذيل عن دين الله وبتشتيت أمر المسلمين وإضعاف قوتهم وذلك بالتخلي عن الجهاد معهم، فمنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني بالخروج معك، بسبب الجواري من نساء الروم، وما علموا أنهم قد سقطوا في الفتنة بقولهم هذا لخلافهم أمْرَ الله وأمر رسوله، فموعدهم النار التي تطبق عليهم ويجتمعون بها.

فهم إن رأوا نصرًا وغنيمة، وفتحًا، أحزنهم ذلك، وإن رأوا قتلًا وهزيمة، قالوا قد أخذنا بالحزم في القعود عن الغزو من قبل هذه المصيبة، وهم مسرورون بما نال المسلمين من المصيبة.

وهم يأخذون بظواهر الأمور، ويظنون أن البلاء شرٌ في كل حال، ويعتقدون أنهم يحققون لأنفسهم الخير بالتخلف والقعود عن القتال؛ لأن تلك القلوب خلت من التسليم لله، والرضا بقضاء الله وقدره، والمسلم الحق هو الذي يبذل جهده ولا يخشى إلا الله، معتقدًا أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطاءه لم يكن ليصيبه.

فالمنافقون ما علموا أن كل ما يصيب الإنسان إنما هو من القدر المحتوم الذي كتب في اللوح المحفوظ، والله سبحانه ولي المؤمنين وناصرهم وحافظهم، وهو أولى بهم من أنفسهم في الموت والحياة، وهم عليه يعتمدون، وماذا ينتظر المنافقون بالمؤمنين، إما النصر والغنيمة أو الشهادة والمغفرة.

فهي الحسنى على كل حال، النصر الذي تعلو به كلمة الله، فذلك جزاؤهم في الحياة الدنيا، أو الشهادة في سبيل الله تعلو بها الدرجات عند الله، ولكن أهل الإيمان ينتظرون وعد الله في المنافقين أن يصيبهم الله بقارعة من عنده أو بأيدي المؤمنين، بسبي أو بقتل، فلينتظر كلا الفريقين العاقبة.

وقد كتب الله للمؤمنين النصر، ووعدهم به، فما يصيبهم من الشدة وما يلاقون من الابتلاء هو إعداد للنصر الموعود، ليناله المؤمنون بعد تمحيص، وبسنة الله التي اقتضاها، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلًا، نصرًا يعز الله به الإسلام وأهله.

والمنافقون مهما أنفقوا بطواعيتهم أو كرهًا منهم ورياء فلن يقبل منهم لأنهم كفارٌ، والأعمال إنما تصح بالإيمان، فالصلاة التي يصلونها ليس لهم فيها قصد صحيح، ولا همة في العمل، والنفقة التي يخرجونها إنما يخرجونها عن كره ورياء.

فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم
بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٥٥
وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ
قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ٥٦ لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ
أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ ٥٧ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ
فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا
هُمۡ يَسۡخَطُونَ ٥٨ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ
وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ
وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ٥٩ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ
لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ
وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ
فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠ وَمِنۡهُمُ
ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ
لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ
ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦١

نصف الحزب
٢٠

ينعم الله على المنافقين بالأموال والأولاد استدراجًا لهم في الحياة الدنيا، مع ما يصيبهم من التعذيب بالمصائب الواقعة في المال والولد، فيعذبهم في الأموال في الدنيا بأخذ الزكاة منها والنفقة في سبيل الله، وبالتعب في جمعه، والوجل في حفظه، والكره في إنفاقه، والحسرة على تخليفه عند من لا يحمده، ويموتون على الكفر، ومن مكر المنافقين حلفهم بالأيمان المؤكدة أنهم على دين الإسلام وأنهم من المؤمنين، ويخافون أن يظهروا على حقيقتهم، والحقيقة أنهم ليسوا من أهل الإيمان، وليسوا من أهل الجهاد والقتال والشجاعة بل قوم يخافون، لو يجدون حصنًا يتحصنون به، وحرزًا يحترزون به، أو مغارات في الجبال، أو نفقًا في الأرض لأسرعوا في ذهابهم عن المؤمنين؛ لأنهم إنما يخالطونهم كرهًا لا محبة، ؛ ولهذا لا يزالون في هم وحزن وغم؛ لأنهم يرون أن الإسلام وأهله لا يزالوان في عز ونصر ورفعة؛ فهم يعيبون الإسلام وشرائعه ونبي الإسلام عليه الصلاة والسلام ومن ذلك عيبهم للنبي ﷺ في قسمة الصدقات لأنهم يرون أن العدل هو إعطاؤهم من الصدقات فإن لم يعطوا منها غضبوا ولمزوا النبي بالحيف والظلم، فإن أعطوا منها رضوا، يسعون لمصالحهم، وحظوظ أنفسهم، ولو أنهم رضوا بما أُعطوا وبما قُسِم لهم، ورغبوا بما عند الله من الفضل لكان خيرًا لهم، لكن جبلت نفوسهم على الجشع والطمع والأنانية والأثرة، وحب الذات، فوكلهم الله إلى أطماعهم وملأ قلوبهم هلعًا وجشعًا وطمعًا، وما علم المنافقون الجهلة أن الله هو الذي قسم الصدقات وبيّن حكمها، وتولى أمرها بنفسه، ولم يكل قسمتها إلى أحد غيره، فجزأها لهؤلاء الأصناف، وهم الفقراء والفقير المحتاج الذي كسرت الحاجة فقار ظهره، والمسكين الذي ضعفت نفسه وسكنت عن الحركة في طلب القوت، والعاملون عليها وهم السعاة الذين يتولون قبض الصدقات من أهلها ووضعها في حقها، فيعطون من مال الصدقة، فقراء كانوا أو أغنياء، يعطون أجر المثل، والمؤلفة قلوبهم وهم قسمان، قسم مسلمون، وقسم كفار، فأما المسلمون ممن دخلوا في الإسلام ونيتهم ضعيفة فيه، فكان النبي ﷺ يعطيهم تألفًا، أو أسلموا ونيتهم قوية في الإسلام، وهم شرفاء في قومهم، فكان يعطيهم تألفًا لقومهم، وترغيبًا لأمثالهم في الإسلام، وأما الكفار من المؤلفة، فهم من يخشى شرهم، أو يرجى إسلامهم، فيريد الإمام أن يعطي هؤلاء حذرًا من شرهم، أو يعطيهم ترغيبًا لهم في الإسلام، والصنف الخامس هم الرقاب، وهم الأرقاء المكاتبون، والصنف السادس هم: الغارمون، وهم قسمان: قسم أدانوا لأنفسهم في غير معصية الله، فإنهم يعطون من الصدقة إذا لم يكن لهم من المال ما يفي بديونهم، وقسم أدانوا في المعروف وإصلاح ذات البين فإنهم يعطون من مال الصدقة ما يقضون به ديونهم، وإن كانوا أغنياء والصنف السابع الغزاة، فلهم سهم من الصدقة، يعطون إذا أرادوا الخروج إلى الغزو، وما يستعينون به على أمر الغزو من: النفقة، والكسوة، والسلاح، والحمولة، وإن كانوا أغنياء، والصنف الثامن: هم أبناء السبيل، وهم المسافرون الذين انقطعوا في سفرهم فيعطون ما يوصلهم إلى بلادهم وإن كانوا أغنياء.

ومن المنافقين قومٌ يؤذون رسول الله ﷺ بالكلام فيه ويقولون من قال له شيئًا صَدَّقه، ومن حدثه فينا صدقه، فإذا جئنا وحلفنا له صدقنا، وما علموا أن رسول الله ﷺ أُذُنُ خير، يعرف الصادق من الكاذب، ويصدق المؤمنين، ويكذب المنافقين ورحمة للمؤمنين، وحجة على الكافرين.

يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ
أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ
مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ
ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ
أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟
إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ
لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ
وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم
بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ
بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ
بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ
إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ
فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

اجتمع نفرٌ من المنافقين، فوقعوا في النبي ﷺ وقالوا إن كان ما يقول محمد حقًا فنحن شر من الحمير، وكان عندهم غلام من الأنصار يقال له عامر بن قيس،، فغضب الغلام وقال: والله إن ما يقول محمد حق وأنتم شر من الحمير، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره، فدعاهم وسألهم رسول الله ﷺ، فحلفوا أن عامرًا كاذب، وحلف عامر أنهم كذبة فصدقهم النبي ﷺ فجعل عامر يدعو ويقول: اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب، فأنزل الله كذبهم فهم يحلفون على الكذب ليرضى عنهم الرسول ﷺ رياء، ألم يتحققوا ويعلموا أنه من شاق الله وحاربه وخالفه، فإن له نار جهنم مهانًا معذبًا فيها وهو الذل العظيم، والشقاء الكبير.

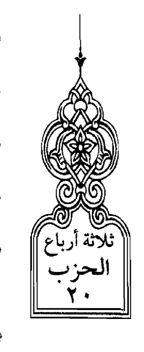
ويخشى المنافقون، أن تنزل على المؤمنين آيات من القرآن تخبر بما في قلوبهم من الحسد والعداوة للمؤمنين، وكانوا يقولون فيما بينهم ويسرون ويخافون الفضيحة بنزول القرآن في شأنهم، فهم يسرون العدواة والاستهزاء بالله وبرسوله وبالمؤمنين وقد قال رجل منهم في غزوة تبوك في مجلس ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء، أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء فقال رجل: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن، قال عبد الله بن عمر: "وأنا رأيته متعلقًا بناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة وهو يقول يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب"، فهم قد أظهروا الكفر بما وقع منهم من الاستهزاء بعد إظهارهم الإيمان، مع كونهم يبطنون الكفر، فمن تاب وأخلص الإيمان، وترك النفاق، تاب الله عليه، ومن أصرّ على النفاق، ولم يتب فله العذاب الأليم، والمنافقون، ذكورهم وإناثهم متناهون في النفاق والبعد عن الإيمان، يأمرون بكل قبيح عقلًا أو شرعًا وينهون عن كل حسن عقلًا أو شرعًا، فهم متشابهون في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، ويشحون فيما ينبغي إخراجه من المال في الصدقة والصلة والجهاد، فقد تركوا دين الله فتركهم الله عن علم وعمد، وهذا المعنى من النسيان ثابت لله تعالى ﷻ، وتركه سبحانه للشيء صفة من صفاته الفعلية الواقعة بمشيئته التابعة لحكمته فالمنافقون يُتْرَكون كما تَركوا دين الله في الدنيا لأنهم خارجون عن طاعة الله إلى معاصيه، فهم الكاملون في الفسق، ومآلهم النار مخلدين فيها هي كافيتهم لا يحتاجون إلى زيادة على عذابها، وطردهم الله وأبعدهم من رحمته ولهم عذاب دائم لا ينفك عنهم.

وأهل النفاق في كل عصر وفي كل مصر متصفون بهذه الصفات، إدعاء الصدق والإصلاح، وإظهار الخير، وإبطان الشر والتواصي على المنكر والنهي عن المعروف والتعاون في سبيل المنكرات وإشاعتها وإظهارها، مع الاستهزاء بدين الله وبالمؤمنين، مع الخداع والتمويه عما في نفوسهم من الحقد على أمة الإسلام.

كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ
أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ
كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ
كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا
وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ
نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَقَوۡمِ
إِبۡرَٰهِيمَ وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ أَتَتۡهُمۡ
رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن
كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ
أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ
وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾
وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا
ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ
وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

المخالفون المعاندون من أهل النفاق والكفر أصابهم عذاب الله في الدنيا والآخرة كما أصاب من قبلهم، وقد كانوا أشد منهم قوة وأكثر أموالًا وأولادًا، فقد أخذوا نصيبهم الذي قدّره الله لهم من ملاذِّ الدنيا وتمتعوا في الحياة الدنيا وخاضوا في الكذب والباطل والكفر والجحود والعصيان فما كان لهم إلا حياتهم الدنيوية، أما في الآخرة فقد خسروها لكفرهم وعنادهم، فما عملوا في الدنيا من عمل فلا يقبل عند الله، فقد أهلك الله الأمم المكذبة، فقوم نوح أصابهم الغرق العام لجميع أهل الأرض إلا من آمن بعبده ورسوله نوح ﷺ، وعاد أهلكوا بالريح العقيم لما كذبوا هودًا ﷺ، وثمود أخذتهم الصيحة لما كذبوا صالحًا ﷺ وعقروا الناقة، وقوم إبراهيم نصره الله عليهم وأيده بالمعجزات الظاهرة عليهم، وأهلك ملكهم النمروذ بن كنعان وأصحاب مدين وهم قوم شعيب ﷺ أصابتهم الرجفة والصيحة وعذاب يوم الظلة، والمؤتفكات وهم قوم لوط أهلكهم الله عن آخرهم بتكذيبهم نبي الله لوطٍ ﷺ، وإتيانهم الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحدٌ من العالمين، كذبوا الرسل الذين جاءوهم بالحجج والدلائل القاطعات، وما ظلمهم الله بإهلاكهم فقد أقام عليهم الحجة بإرسال الرسل، ولكنهم ظلموا أنفسهم بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم الحق، فصاروا إلى ما صاروا إليه من العذاب والدمار وأما المؤمنون المصدقون فإنهم يتناصرون ويتعاضدون في الدين واتفاق الكلمة والعون والنصرة، يأمرون بعضهم بالإيمان والطاعة والخير، وينهون عن الشرك، ويطيعون الله ويحسنون إلى خلقه، ويحافظون على الصلاة المكتوبة ويؤدون الزكاة المفروضة، ويطيعون الله ورسوله فيما أمر، وترك مانهى عنه وزجر، فأولئك كتب الله لهم الرحمة والعزة والكرامة فهو سبحانه عزيز، من أطاعه أعزه، فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وعدهم الله بالخيرات والنعيم المقيم في جنات تجري من تحتها الأنهار ماكثين فيها أبدًا، ومساكن حسنة البناء، طيبة القرار، في جنة عدن وهي أعلى درجة في الجنة، وفيها عين التسنيم، والجنان حولها، محدقة بها، وهي مغطاة من حين خلقها الله تعالى حتى ينزلها أهلها من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ومن شاء الله، وفيها قصور الدر واليواقيت والذهب، فتهب ريح طيبة من تحت العرش فتدخل عليهم كثبان المسك الأذفر الأبيض، ورضا الله عنهم أكبر وأجل وأعظم مما هم فيه من النعيم، فإن الله ﷻ يقول لأهل الجنة: "يا أهل الجنة، فيقولون لبيك يا ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول هل رضيتم، فيقولون وما لنا لا نرضى يا رب، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك، فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك، فيقولون: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك، فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا"، وفيه دليل على أنه لا شيء من النعم وإن جلت وعظمت يماثل رضوان الله سبحانه، وإن أدنى رضوان منه لا يساويه شيء من اللذات الجسمانية، وإن كانت على غاية ليس وراءها غاية، اللهم ارض عنا وعن والدينا وأهلينا وذرياتنا والمسلمين، رضًا لا يشوبه سخط، ولا يكدّره نكد، يا من بيده الخير كله دقه وجله.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾



أمر الله تعالى رسوله ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم، وأمره بأن يخفض جناحه لمن اتبعه من المؤمنين، وأخبره أن مصير الكفار والمنافقين إلى النار في الدار الآخرة، وبعث رسول الله ﷺ بأربعة أسياف، سيف للمشركين، وسيف للكفار أهل الكتاب، وسيف للمنافقين، وسيف للبغاة، والمنافقون يؤذون الله ورسوله والمؤمنين بالاستهزاء بهم وبدين الإسلام فإذا انكشف أمرهم جاءوا يحلفون أنهم ما قالوا شيئًا وهم قد قالوا كلمة الكفر التي تظهر كفرهم، وإن كانوا كفارًا في الباطن، وهموا بقتل رسول الله ﷺ ليلة العقبة في غزوة تبوك، وقد جاءوا إلى النبي وهو في العقبة ومعه حذيفة وعمار، فاعترضوا النبي الله ﷺ فيها، فصرخ بهم النبي ﷺ فولوا مدبرين، فقال رسول الله ﷺ: هل عرفتم القوم، قالوا لا يا رسول الله، قد كانوا متلثمين، ولكنا قد عرفنا الركاب، قال هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة، وهل تدرون ما أرادوا، أرادوا أن يزحموا رسول الله في العقبة، فيلقوه منها، وما للرسول عندهم ذنب إلا أن الله أغناهم ببركته ويمن سفارته، ولو تمت عليهم السعادة لهداهم الله لما جاء به، وكانوا قبل قدوم النبي ﷺ في ضنك من العيش، فلما قدم عليهم النبي ﷺ استغنوا بالغنائم، فالخير لهم أن يتوبوا من نفاقهم وكفرهم، فإنهم إن بقوا على نفاقهم لهم العذاب الأليم في الدنيا بالخزي، وفي الآخرة بالنار، ومن المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه لئن أغناه الله من فضله ليصدقن من ماله، وليكونن من الصالحين، فما وفى بما قال، ولا صدق فيما ادعى، فأعقبهم هذا الصنيع نفاقًا سكن في قلوبهم إلى يوم يلقون الله ﷻ يوم القيامة، والله يعلم السر وأخفى، وهو عالم بضمائر المنافقين وإن أظهروا أنه إن كانت لهم أموال تصدقوا منها وشكروا الله عليها، فالله أعلم بهم من أنفسهم؛ لأنه تعالى علام الغيوب، يعلم كل غيب وشهادة، وكل سر ونجوى، ويعلم ما ظهر وما بطن، والنفس البشرية ضعيفةٌ شحيحةٌ إلا من عصم الله، ولا يطهرها من الشح إلا الإيمان، فتترفع عن شهوات النفس والهوى، وتؤمل بما عند الله من الخير والفضل، فلا تخشى الفقر بسبب الإنفاق، فما عند البشر ينفد، وما عند الله باق، وأما حين يخلو القلب من الإيمان فإن الشيطان يَعِده الفقر فيبقى سجين شحه وخوفه بلا أمن ولا استقرار.

ومن صفات المنافقين أنه لا يسلم أحد من عيبهم ولمزهم في جميع الأحوال، حتى المتصدقون لا يسلمون منهم، إن جاء أحد منهم بمال جزيل قالوا هذا مراء، وإن جاء بشيء يسير قالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا، سخرية بالمؤمنين، فجازاهم على ما فعلوه من السخرية بالمؤمنين، أن سخر الله منهم يوم القيامة، مقابلة لهم على سوء صنيعهم واستهزائهم بالمؤمنين؛ لأن الجزاء من جنس العمل، انتصارًا للمؤمنين في الدنيا، وأعد لهم في الآخرة عذابًا أليمًا.

ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ
فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ
وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ
بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ
وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ
أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا
جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ
مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن
تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ
مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ
عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ
﴿٨٤﴾ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم
بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ
أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ
أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾

لقد جُبل النبي ﷺ على الرحمة فكان يستغفر للمنافقين، ووقف على قبر رأس المنافقين ابن أبي وأخرجه من قبره وألبسه قميصه واستغفر له، والمنافقون ليسوا أهلًا للمغفرة لكفرهم ونفاقهم فإنهم لو استغفر لهم النبي ﷺ سبعين مرة فإن الله لا يغفر لهم، وسبب عدم المغفرة هو كفرهم بالله وبالرسول ﷺ، والمغفرة محرمة على الكافرين الخارجين عن طاعة الله الذين يفرحون بترك الطاعة ويسرون بمخالفة الرسول ﷺ، ومن ذلك فرحهم بالتخلف عن غزوة تبوك وكراهيتهم الجهاد مع رسول الله ﷺ، وتقدمهم شهواتهم بالجلوس في الظلال وعند الثمار، وفرارهم عن الحر اليسير إلى العذاب الشديد في السعير فلو كانوا يفهمون لقدموا الصبر على حر الدنيا توقيًا لحر الآخرة، فسيضحكون قليلًا بما يظنونه هروبًا من المشقة في الدنيا، ويبكون كثيرًا في الآخرة، فإنهم وإن فرحوا قليلًا في هذه الدنيا الفانية بمقعدهم خلاف رسول الله ولَهْوهم عن طاعة ربهم، فإنهم سيبكون طويلًا في جهنم مكانَ ضحكهم القليل في الدنيا بسبب ما كانوا يكسبونه من المعاصي، وأمر الله رسوله عليه الصلاة والسلام بعد رجوعه من غزوة تبوك ألا يأذن للمتخلفين عن الجهاد بالخروج للجهاد معه؛ لأنهم رضوا بالتخلف عن تبوك فكان أن حرمهم الله من الخروج مع النبي عليه الصلاة والسلام تعزيرًا لهم وعقوبة، وأمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يبرأ من المنافقين، وألا يصلي على أحد منهم إذا مات، وألا يقوم على قبره ليستغفر له أو يدعو له؛ وذلك بعدما صلى على رأس المنافقين ابن أبي، والسبب في النهي عن الصلاة عليهم لأنهم كفروا بالله ورسوله، وماتوا عليه، وهذا حكمٌ عامٌ في كل من عُرِف نفاقه، فهم وإن أعطوا الأموال والأولاد في الدنيا، فليس ذلك لكرامتهم على الله، وإنما ذلك إهانة منه لهم؛ لأنهم يتعبون في تحصيلها، ويخافون من زوالها، ويعانون الشدائد والمشاق في سبيل تحصيلها، وتلهيهم عن الله والدار الآخرة، حتى ينتقلوا من الدنيا وهم كافرون.

فهم إذا جاءهم الأمر في القرآن بالإيمان والجهاد استأذنوا الرسول في القعود، مع غناهم وسعة رزقهم كل ذلك خوفًا على أنفسهم أن يقتلوا أو يصيبهم ضرر في الخروج مع رسول الله ﷺ.

وإن تلك النفوس الضعيفة تختار الذل والمهانة هربًا من التكاليف الصعبة، وتحرص على الحياة فتعيش ذليلة حقيرة، لتنعم بشهواتها وملذاتها فتعيش عيشة البهائم.

رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾



المنافقون من أحرص الناس على الحياة يرضون لأنفسهم بالعار والقعود في البلاد مع النساء، ولا يخرجون لملاقاة العدو فقد ختم الله على قلوبهم لتخلفهم عن الجهاد والخروج مع الرسول عليه الصلاة والسلام في سبيل الله، فلو كانوا يفهمون لأدركوا ما في الجهاد من قوة وكرامة وبقاء كريم وعز وتمكين، وما في التخلف من ضعف ومهانة وفناء وذلة وقلة، ولكن الله أعز دينه بجند الإيمان الذين جاهدوا بأنفسهم وأموالهم وباعوا نفوسهم رخيصة في سبيل الله فلهم خيرات الدنيا والآخرة، في الدنيا لهم العزة والكرامة والبقاء والشرف والمكانة والعلو والظهور، ولهم المغنم، وفي الآخرة لهم الجزاء الأوفى، والنعيم المقيم، ولهم رضوان الله الكريم، ولهم الفلاح في الدنيا بالعيش الكريم القويم والفلاح في الآخرة بالأجر العظيم.

وأهل الأعذار في ترك الجهاد، على أقسام، منهم الذين جاءوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه، ويبينون له ما هم فيه من الضعف، وعدم القدرة على الخروج، وهم من أحياء العرب ممن حول المدينة، ومنهم الذين قعدوا عن المجيء للاعتذار، وهم المنافقون فأولئك لهم العذاب الأليم، وقسم عذرهم الله ونفى عنهم الإثم وهم الضعفاء من كبار السن والعجزة والصبيان والنساء والمرضى والفقراء، إذا أخلصوا الإيمان والعمل لله وبايعوا الرسول ﷺ، ونصحوا في حال قعودهم، ولم يرجفوا بالناس، ولم يثبطوهم، وهم محسنون في حالهم.

وممن عذر الله الذين حزنوا أن في جلوسهم عن الجهاد، ولا يجدوا نفقة ولا محملًا، فلما رأى الله حرصهم على محبته ومحبة رسوله أشركهم مع المجاهدين في الأجر والثواب.

وإنها لصورة مؤثرة لرغبة هؤلاء الأبطال في الجهاد، وإنه الألم الصادق لفقد لذة الطاعة، وإنها لدموع المحبين لله والرسول ﷺ كيف يحرمون من الخير وهم يريدونه ويطلبونه فلا نامت أعين الجبناء، كيف تدمع قلوب هؤلاء من الحرمان، وتفرح نفوس بالتخلف والقعود.

وطريق العقوبة والمؤاخذة في التخلف عن الجهاد لمن يجد المال والقدرة على الخروج ويرضى لنفسه أن يتخلف مع النساء والذرية فأولئك الذين ختم الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ما فيه من الربح لهم واختاروا التخلف على ما فيه الخسر.

وإن حب الدعة والكسل وإيثار السلامة يورث دنو الهمة، وذلة النفس، وضعف العزيمة، والرضا بالدون والهوان في الدنيا والآخرة.

يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن
نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى
ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ
وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحۡلِفُونَ
بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ
عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ
يَكۡسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن
تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ
﴿٩٦﴾ ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ
حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ
ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ
عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ
ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ
مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ
لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٩﴾

المنافقون على عادتهم بالكذب واختلاق الأعذار وقد أخبر الله سبحانه عنهم بأنهم يعتذرون إلى المؤمنين بالباطل والكذب والبهتان، فنهاهم الله عن الاعتذار بالباطل؛ لأن النبي ﷺ لن يصدقهم، فقد أعلمه ربه بكذبهم، وأعمالهم ستظهر خبث نفوسهم، فإن كانوا صادقين في الاعتذار فماذا ستكون أعمالهم المستقبلية، هل يقلعون عما هم عليه من الشرّ أم يبقون عليه، والله مطلع على أعمالهم والرسول ﷺ يرى أعمالهم وأهل الإيمان، ويوم القيامة يردون إلى عالم الخفيات الذي لا تخفى عليه خافية، يظهر فيه كذبهم، ومن علامة كذبهم في الدنيا تأكيدهم ما جاءوا به من الأعذار الباطلة بالحلف حتى يعرض المؤمنون عنهم، فلا يوبخونهم ولا يؤاخذونهم بالتخلف، ويظهرون الرضا عنهم، فأُمر المؤمنون بالإعراض عنهم، لأنهم في أنفسهم رجس لكون جميع أعمالهم نجسة، وإن رضوا عنهم بحلفهم لهم، فإن الله لا يرضى عن القوم الخارجين عن طاعته وطاعة رسوله ﷺ.

والأعراب فيهم الكفار والمنافقون والمؤمنون، وإن كفرهم ونفاقهم أعظم من غيرهم وأشد، وهم أحرى ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله من الشرائع؛ لأنهم أقسى قلوبًا وأغلظ طباعًا وأجفى أقوالًا، وأبعد عن سماع كتب الله، وما جاءت به رسله، والأعراب هم من سكن البوادي.

فمنهم من يعتقد أن الذي ينفقه في سبيل الله غرامة وخسران، ولكنه ينفقه للرياء والتقية، ويتمنى على المسلمين الهزيمة والفشل، وينتظر بهم الحوادث والآفات ولكن الله سيجعل الهزيمة عليهم، فعليهم تدور الدوائر، فهو سبحانه سميع لدعاء عباده، عليم بمن يستحق النصر ممن يستحق الخذلان.

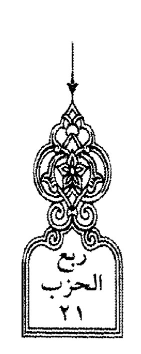
ومن الأعراب، من يتخذ ما ينفق في سبيل الله قربةً يتقرب بها عند الله، ويبتغي بذلك دعاء الرسول له، فهي قربةٌ له وطاعة يكتبها الله له، وسيدخلهم الله في جنته، فهو سبحانه الغفور الرحيم، يقبل التوبة، ويتقبل النفقة، ويغفر ما كان من ذنب، ويرحم من يبتغون الرحمة.

والأعراب كالحاضرة، ذم الله بعضهم، ومدح بعضهم فمن شابههم بصفاتهم المذمومة فهو مثلهم ولو كان من الحاضرة ومن ذلك الجهل بشريعة الله والبعد عن أنوار الوحي، والتثاقل في أداء الحقوق والقيام بالأوامر، وكره ما جاء به رسول الله ﷺ.

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

أصحاب رسول الله ﷺ خير الناس ﷺ فهم الذين سبقوا بالإيمان، من المهاجرين الذين هجروا قومهم وعشيرتهم وفارقوا أوطانهم، والأنصار الذين نصروا رسول الله ﷺ على أعدائه من أهل المدينة وآووا أصحابه، لهم شرف الصحبة، والمكانة العالية اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، والذين جاءوا من بعدهم من الأمة إلى يوم القيامة، واتبعوهم بإحسان في الأفعال والأقوال اقتداء منهم بالسابقين الأوّلين، وأهل السنة يترضون عمن رضي الله عنه، ويوالون من يوالي الله، ويعادون من يعادي الله، وهم متبعون لا مبتدعون، فهم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنون، والرضا من صفات الله الثابتة له بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف، وأهل السنة يثبتون الرضا لله تعالى من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهو رضًا حقيقي يليق بالله تعالى، وإذا كتب الله للعبد رضوانه كان أعظم نعيم له في الدنيا والآخرة، والمنافقون في المدينة وفي غيرها متفرقون يجمعهم الحرب على الإسلام، ففي أحياء العرب ممن حول المدينة منافقون، وفي المدينة منافقون تمرنوا على النفاق واستمروا عليه، وقد أطلع الله نبيه ﷺ على بعضهم، وأظهر صفاتهم يُعرفون بها، وقد أعد الله لهم عذاب الدنيا والآخرة، عذاب في الدنيا في الأموال والأولاد وما يدخل على قلوبهم من غيظ في ظهور الإسلام، وعذاب في القبر ثم العذاب العظيم الذي يُردون إليه، وعذاب الآخرة والخلد فيه في الدرك الأسفل من النار، وأما المؤمنون الذين تلبسوا بالمعاصي فهم تحت المشيئة؛ إن شاء الله غفر لهم وإن شاء عذبهم على قدر ذنوبهم ومحصوا في النار ثم يدخلون الجنة، فمن كانت له ذنوب أقر بها واعترف فيما بينه وبين ربه، وله أعمال أخر صالحة، خلط هذه بتلك، فهو تحت عفو الله وغفرانه، والصدقة سبب لتكفير السيئات ورفعة الدرجات وتفريج الكربات، وأعظمها فريضة الله الزكاة وهي طهرة للإنسان وللمال، وأُمر النبي ﷺ بالدعاء لمن دفع الزكاة، لأن دعاءه رحمةٌ، والصدقة باب من أبواب الخير فمن تصدق بصدقة من كسب حلال فإن الله تعالى يتقبلها بيمينه فيربيها لصاحبها، حتى تصير التمرة مثل أُحدٍ، والصدقة تقع في يد الله ﷻ قبل أن تقع في يد السائل، والتوبة والصدقة تحطان الذنوب، فمن تاب إلى الله تاب عليه، والله يفرح بتوبة عبده، وهي الندم والإقلاع عن الذنب والعزم ألا يعود، وإن كانت في حقوق العباد يتحللهم ويرد المظالم إلى أهلها، والله مطلع على أعمال عباده، وستظهر الأعمال يوم القيامة يوم تظهر السرائر، وقد يظهر ذلك للناس في الدنيا، ورؤية النبي ﷺ للأعمال المؤمنين بالوحي، ورؤية المؤمنين بإيقاع المحبة في قلوبهم لأهل الصلاح، والبغضاء لأهل الفساد، والتوبة قد تُعجَّل، وقد تؤخر كما أخرت للثلاثة الذين خلفوا لحكم الله ﷻ فيهم، وقد تخلفوا عن غزوة تبوك، وهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، وقفهم رسول الله ﷺ خمسين ليلة ونهى الناس عن مكالمتهم ومخالطتهم، حتى شقهم القلق وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وكانوا من أهل بدر فجعل أناس يقولون: هلكوا، وآخرون يقولون: عسى الله أن يغفر لهم، فصاروا مؤخرين لأمر الله لا يدرون أيعذبهم أم يرحمهم، حتى نزلت توبتهم بعد خمسين ليلة.

وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ
وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ
﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ
يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ
وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ
عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ
عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي
ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ
فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾



۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم
بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ
وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ
وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ
بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾

المنافقون في المدينة اتخذوا معقلًا لهم والباعث لذلك، الضرار لغيرهم، والكفر بالله والمباهاة لأهل الإسلام، فأرادوا ببنائه تقوية أهل النفاق، والتفريق بين المؤمنين؛ لأنهم أرادوا أن لا يصلوا في مسجد قباء، فتقلّ جماعة المسلمين، وفي ذلك من اختلاف الكلمة وبطلان الألفة، والإعداد لمحاربة الله ورسوله، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء، فبنوه وأحكموه، وفرغوا منه قبل خروج النبي ﷺ إلى تبوك، وجاءوا فسألوا رسول الله ﷺ أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم، ليحتجوا بصلاته ﷺ فيه على تقريره وإثباته، وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية، فعصمه الله من الصلاة فيه فقال: "إنا على سفر، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله".

فلما رجع ﷺ إلى المدينة من تبوك، ولم يبق بينه وبينها إلا يومٌ أو بعض يومٍ، نزل عليه الوحي بخبر مسجد الضرار، وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم مسجد قباء، الذي أسس من أول يوم على التقوى، فبعث رسول الله ﷺ إلى ذلك المسجد مَنْ هدمه قبل مقدمه المدينة، وأمر رسول الله ﷺ بالصلاة في مسجد قباء الذي أسس من أول يوم بنائه على التقوى، وهي طاعة الله، وطاعة رسوله، وجمعًا لكلمة المؤمنين ومعقلًا وموئلًا للإسلام وأهله؛ والمصلون فيه تطهروا من الشرك والنفاق والمعاصي، وتطهروا لصلاتهم فأحسنوا الاستنجاء والوضوء للصلاة، وفي ذلك استحباب الصلاة في المساجد القديمة المؤسسة من أول بنائها على عبادة الله وحده لا شريك له، وعلى استحباب الصلاة مع جماعة الصالحين، والعباد العاملين، المحافظين على إسباغ الوضوء، وبالأخص مسجد قباء فإن صلاة ركعتان فيه تعدل عمرة، فكيف تستوي الصلاة في مسجد أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان، وبين مسجد بُني ضرارًا وكفرًا وتفريقًا بين المؤمنين، وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله من قبل، فإنه بنيان على شفير جهنم، والله لا يصلح عمل المفسدين، ولا يزال بنيانهم يزيدهم شكًّا ونفاقًا، وأورثهم نفاقًا في قلوبهم، إلى موتهم، ولا يزال هدم بنائهم حزازة وغيظًا في قلوبهم، والله عليم بأعمال خلقه، حكيم في مجازاتهم عنها من خير وشر.

وأما المؤمنون الصادقون فهم الذين باعوا نفوسهم وأموالهم رخيصة في سبيل الله بأن لهم الجنة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه، سواء قَتلوا أو قُتلوا، أو اجتمع لهم هذا وهذا، فقد وجبت لهم الجنة؛، وقد كتب الله على نفسه الكريمة هذا الوعد، وأنزله على رسله في كتبه، وهي التوراة المنزلة على موسى ﷺ، والإنجيل المنزل على عيسى ﷺ، والقرآن المنزل على محمد صلوات الله وسلامه عليه.

ولا أحد أعظم وفاء بما عاهد عليه من الله فإنه لا يخلف الميعاد، فليستبشر من قام بمقتضى هذا العقد ووفى بهذا العهد، بالفوز العظيم، والنعيم المقيم.

ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ
ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ
وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ
وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن
يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ
مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ
ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ
فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ
﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ
يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ
لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى
ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي
سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ
مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾

وصف الله أهل الجنة بأنهم التائبون الذين تابوا من الشرك وبرئوا من النفاق، والعابدون وهم المطيعون الذين أخلصوا العبادة لله ﷻ، والحامدون الذين يحمدون الله على كل حال في السراء والضراء، والسائحون وهم الصائمون، وسمي الصائم سائحًا لتركه اللذات كلها من المطعم والمشرب والنكاح، والراكعون الساجدون وهم المصلون، والآمرون بالمعروف وأعظم المعروف الإيمان والتوحيد، والسنة، والناهون عن المنكر وأعظم المنكر الشرك بالله، والبدعة، فهم ينفعون خلق الله، ويرشدونهم إلى طاعة الله بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، والحافظون لحدود الله وهم القائمون بأوامر الله، فليستبشر من اتصف بهذه الصفات

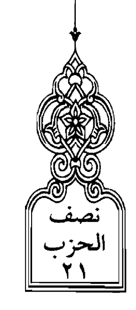
وأهل الإيمان يقطعون صلتهم بالكفار، ولو كانوا من أقرب الناس لهم، ولذلك جاء تحريم الاستغفار لهم، والدعاء؛ لأنهم ماتوا على الشرك.

وأما استغفار إبراهيم لأبيه، فكان لأجل وعد من إبراهيم لأبيه بالاستغفار له، ولكنه ترك ذلك وتبرأ منه لما تبين له أنه عدوٌّ لله، وأنه غير مستحق للاستغفار، وقد كان إبراهيم كثير الدعاء حليمًا عمن ظلمه وأناله مكروهًا؛ ولهذا استغفر لأبيه مع شدة أذاه، ولذلك لم يستغفر النبي ﷺ لأمه وأبيه وعمه، وزار قبر أمه فاستأذن ربه بالدعاء لها فلم يؤذن له.

والله أقام الحجة على عباده بإنزال الكتب وإرسال الرسل فلا يضل قومًا حتى تقوم عليهم الحجة بهداية الدلالة والإرشاد، والله سبحانه لا يؤاخذ العباد على فعل محرم جهلوه، أو لم يتبين لهم حرمته، فعذر الله عباده بالجهل.

والله سبحانه مالك الملك، له ملك السموات والأرض يحيي من يشاء ويميت من يشاء، هو ولي المؤمنين وناصرهم ومؤيدهم، نصرهم في مواطن كثيرة، ومنها غزوة تبوك فقد كتب الله لهم النصر والمغفرة، فقد خرجوا إليها في شدة من الأمر في سنة مجدبة وحر شديد، وعسر من الزاد والماء، وفي لهبان الحر، حتى إن كان الرجل ليذهب يلتمس الماء، فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع، وحتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه، ويجعل ما بقي على كبده، أصابهم فيها جهد شديد، حتى إن الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما، وكان النفر يتداولون التمرة بينهم، يمصها هذا، ثم يشرب عليها، ثم يمصها هذا، ثم يشرب عليها، ثم يمصها هذا، ثم يشرب عليها، حتى وقع في قلوب بعض المسلمين الزيغ عن الحق والشك في دين رسول الله ﷺ، وارتاب بالذي نالهم من المشقة والشدة في سفرهم، ثم رزقهم الإنابة إلى ربهم، والرجوع إلى الثبات على دينه، فتاب الله عليهم وأرجعهم من غزوتهم بالنصر والأجر برحمة منه وفضل.

وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ
بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ
مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم
مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ
عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ
وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ
ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم
بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢٠﴾
وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ
وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ
فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ
وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴿١٢٢﴾



تاب الله على الثلاثة الذين خلفوا في التوبة وهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، الذين أوقفهم رسول الله ﷺ خمسين ليلة، ونهى الناس عن مكالمتهم ومخالطتهم، قال كعب بن مالك: (نهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا نحن الثلاثة، من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا، حتى تنكرت لي في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي كنت أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة. فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أَشَبَّ القوم وأجلدهم، فكنت أشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف بالأسواق فلا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ وهو في مجلسه بعد الصلاة فأسلم، وأقول في نفسي: حرك شفتيه برد السلام علي أم لا، ثم أصلي قريبًا منه، وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي، فإذا التفت نحوه أعرض، حتى كمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا، ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى منا: قد ضاقت علي نفسي، وضاقت علي الأرض بما رحبت سمعت صارخًا أوفى على جبل سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك، أبشر، فخررت ساجدًا وعرفت أن قد جاء فرج، فآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قِبَل صاحبي مبشرون، وانطلقت أؤم رسول الله ﷺ، يلقاني الناس فوجًا فوجًا يهنئوني بالتوبة، يقولون: ليهنك توبة الله عليك. حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ جالس في المسجد حوله الناس، فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال وهو يبرق وجهه من السرور: (**أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك**)، فقلت: أَمِن عندك يا رسول الله أم من عند الله، قال: (**لا بل من عند الله**)، فأنجاهم الله بالصدق، فالمسلم يلزم الصدق ويكون مع أهله ففيه النجاة من المهالك ويجعل الله فيه الفرج والمخرج.

وعاتب الله المتخلفين عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك من أهل المدينة ومن حولها من أحياء العرب، ورغبتهم بأنفسهم عن مواساته فيما حصل من المشقة، فإنهم حرموا أنفسهم من الأجر؛ لأنهم لا يصيبهم العطش والتعب والمجاعة ولا ينزلون منزلًا يرهب عدوهم، ولا ينالون منه ظفرًا وغلبة عليه إلا كتب الله لهم بهذه الأعمال التي ليست داخلة تحت قدرتهم، وإنما هي ناشئة عن أفعالهم، أعمالًا صالحة وثوابًا جزيلًا، ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديًا في السير إلى الأعداء إلا كتب لهم الأجر والثواب من الله.

ومن الجهاد الخروج لطلب العلم، والتفقه في الدين، والفقه: هو العلم بالأحكام الشرعية وبما يتوصل به إلى العلم بها، فيجب على الأمة أن يتخصص منها جماعة بالعلم بالشرع المطهر، والغرض تعلم العلم وتعليمه، فمن كان غرضه بطلب العلم غير هذين، فهو طالب لغرض دنيوي لا لغرض دينيّ، فيجب على العالم بذل العلم فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ
وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾
وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ
إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ
﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا
إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوۡنَ
أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ
لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ
سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ
ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ
﴿١٢٧﴾ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ
عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ
رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

سُورَةُ يُونُسَ

ترتيبها ١٠ — آياتها ١٠٩

أمر المسلمون بقتال الأقرب فالأقرب إليهم في الدار والنسب، ولهذا بدأ رسول الله ﷺ بقتال المشركين في جزيرة العرب، فلما فرغ منهم وفتح الله عليه مكة والمدينة، والطائف، واليمن واليمامة، وهجر، وخيبر، وحضرموت، وغير ذلك من أقاليم جزيرة العرب، ودخل الناس من سائر أحياء العرب في دين الله أفواجًا، شرع في قتال أهل الكتاب، فتجهز لغزو الروم الذين هم أقرب الناس إلى جزيرة العرب، وأولى الناس بالدعوة إلى الإسلام لكونهم أهل الكتاب، فبلغ تبوك ثم رجع لأجل جهد الناس وجدب البلاد وضيق الحال، وكان ذلك سنة تسع من هجرته ﷺ، ثم عاجلته المنية صلوات الله وسلامه عليه فاختاره الله لما عنده.

وقام بالأمر بعده وزيره وصديقه وخليفته أبو بكر ﷺ، فثبت الله الدين به، فوطد القواعد، وثبت الدعائم، ورد شارد الدين وهو راغم، ثم شرع في تجهيز الجيوش الإسلامية من العباد، وأنفق كنوزهما في سبيل الله، وكان تمام الأمر على يدي وصيه وولي عهده الفاروق الأواب، شهيد المحراب، فأرغم الله به أنوف الكفرة الملحدين، وقمع الطغاة والمنافقين، وظهر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وعلت كلمة الله وظهر دينه وبلغت الأمة الحنيفية مشارق الأرض ومغاربها، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، فإن المؤمن الكامل هو الذي يكون رفيقًا بأخيه المؤمن، غليظًا على عدوه الكافر، والله المسئول المأمول أن يمكن المسلمين من نواصي أعدائه الكافرين، وأن يعلي كلمته في سائر البقاع.

والمؤمنون تزيدهم آيات القرآن إيمانًا، يفرحون بها في القرآن من الوعد الصادق لهم بالأجر والثواب وأما المنافقون فلا يزدادون عند نزول القرآن إلا كفرًا إلى كفرهم، فعند نزول كل سورة ينكرونها يزداد كفرهم بها، ولا يزال الابتلاء فيهم فلا يتوبون من ذنوبهم السالفة، ولا هم يذكرون فيما يستقبل من أحوالهم، وأما المؤمنون فإنهم يرون الابتلاء تذكيرًا لهم فيرجعون وينيبون، بخلاف المنافق الضال فهو في غيه يتخبط وقد وصف الله حالهم عند نزول القرآن، أنهم ينظر بعضهم إلى بعض هل يراهم أحدٌ ثم يتولون عن الحق وينصرفون عنه، وهذا حالهم في الدين لا يثبتون عند الحق ولا يقبلونه ولا يقيمونه، فقد أضل الله عقولهم وقلوبهم فهم لا يفهمون عن الله خطابه، ولا يقصدون لفهمه ولا يريدونه، بل هم في شده عنه ونفور منه فلهذا صاروا إلى ما صاروا إليه.

ولقد أنعم الله على الأمة ببعثة سيد المرسلين منهم، يعرفون نسبه وحسبه ومن أشرفهم وأفضلهم، شديد عليه دخول المشقة والمضرة على أمته حريصٌ على إيمانها وصلاحها، رءوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين، فهو رحمة مهداة، فمن أعرض عن الإيمان به فإن الله حسبه وكافيه وناصره، الله لا إله إلا هو عليه يتوكل المتوكلون، وهو رب العرش العظيم الذي هو سقف المخلوقات وجميع الخلائق من السموات والأرضين وما فيهما وما بينهما تحت العرش مقهورون بقدرة الله تعالى، وعلمه محيط بكل شيء، وقدره نافذ في كل شيء، وهو على كل شيء وكيل.

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا
أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ
أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا
لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ
فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ
إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ
يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ
أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ
ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ
وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ
لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ
ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾



سورة يونس

وهي سورة مكية، وسميت بذلك لذكر قوم نبي الله يونس بن متَّى ﷺ فيها

افتتحت السورة بالحروف المقطعة التي ترمز إلى إعجاز القرآن، المعجز بآياته وسوره، فهو الكتاب الحكيم المحكم بالحلال والحرام، والحدود والأحكام، حكم الله فيه بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وبالنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي، وحكم فيه بالجنة لمن أطاعه، وبالنار لمن عصاه، أنزله على رسوله ﷺ بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، بعثه الله من العرب لينذر الناس الشرك ويبشرهم بالتوحيد، ويبشر المؤمنين بالعاقبة الحسنة، والمقام الصدق الذي لا زوال له، ولا بؤس فيه، وأبى الظالمون الكافرون إلا جحوداً واستكبارًا، ورموه بالسحر والكذب والكهانة، وهو مؤيد من رب العالمين رب العالم جميعًا، الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استوى إلى العرش، والعرش أعظم المخلوقات وسقفها، يدبر أمر الخلائق، لا يشغله شأن عن شأن، ولا تغلطه المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين ولا يلهيه تدبير الكبير عن الصغير، في الجبال والبحار والعمران والقفار، لا يشفع أحد إلا بإذنه وبرضاه عن المشفوع، ذلكم هو الله المستحق للعبادة وحده لا شريك له، فكيف يعبد المشركون معه غيره، وهو المتفرد بالخلق والإيجاد، إليه مرجع الخلائق يوم القيامة، لا يترك منهم أحدًا حتى يعيده كما بدأه، فكما بدأ الخلق كذلك يعيده، ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالعدل والجزاء الأوفى، والذين كفروا يعذبون يوم القيامة بأنواع العقاب بسبب كفرهم، في سموم وحميم وظل من يحموم.

والله سبحانه خلق الشمس والقمر وجعل الشعاع الصادر عن جرم الشمس ضياء وشعاع القمر نورًا، وهما من الآيات الدالة على كمال قدرته، وعظيم سلطانه، وجعل سلطان الشمس بالنهار، وسلطان القمر بالليل، وقدر القمر منازل، فأول ما يبدو صغيرًا، ثم يتزايد نوره وجرمه، حتى يكمل إبداره، ثم يشرع في النقص حتى يرجع إلى حاله الأول في تمام شهر، فبالشمس تعرف الأيام، وبسير القمر تعرف الشهور والأعوام.

ما خلق الله ذلك إلا بالحق، لم يخلق ذلك عبثًا بل له حكم عظيمة، وحجج بالغة، فتلك الآيات والأدلة، تدل على وحدانيته، ومن ذلك تعاقب الليل والنهار آيات من آيات الله، إذا جاء هذا ذهب هذا، وإذا ذهب هذا جاء هذا، لا يتأخر عنه شيئًا، ومن الآيات الدالة على عظمته تعالى ما خلق الله في السموات والأرض من الآيات وما يعقلها إلا أصحاب العقول السليمة التي تخاف عقاب الله، وسخطه، وعذابه، تلك القلوب التي تتفكر في مخلوقات الله ربنا ما خلقت هذا باطلًا سبحانك فقنا عذاب النار.

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾



الأشقياء هم الذين كفروا بلقاء الله يوم القيامة ولا يرجون في لقاء الله شيئًا، ورضوا بهذه الحياة الدنيا واطمأنت إليها أنفسهم، هم الذين غفلوا عن آيات الله الكونية فلا يتفكرون فيها، والشرعية فلا يأتمرون بها، فمأواهم يوم معادهم النار جزاء على ما كانوا يكسبون في دنياهم من الآثام والخطايا والإجرام، مع ما هم فيه من الكفر بالله ورسوله واليوم الآخر، وأما السعداء الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين، وامتثلوا ما أمروا به فعملوا الصالحات، هداهم ربهم بإيمانهم، فتُمثل لهم أعمالهم في صورة حسنة وريح طيبة في قبورهم وإذا قاموا من قبورهم، تلازمهم وتبشرهم بكل خير، يقولون لهم نحن أعمالكم، فتجعل لهم نورًا، من بين أيديهم حتى تدخلهم الجنة، وقولهم وكلامهم ودعاؤهم في الجنة تنزيه الله من كل سوء، يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس، والتسبيح علامة بين أهل الجنة والخدم في الطعام، فإذا أرادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فأتوهم في الوقت بما يشتهون على الموائد، ويحيي بعضهم بعضًا بالسلام، وتحييهم الملائكة بالسلام، يفتتحون كلامهم بالتسبيح، ويختمونه بالتحميد، لما يرون من تضاعف نعم الله عليهم، فتكرر وتعاد وتزاد، فليس لها انقضاء ولا أمد، فلا إله إلا هو ولا رب سواه، وهو سبحانه المحمود أبدًا، المعبود على طول المدى؛ ولهذا حمد نفسه عند ابتداء خلقه واستمراره، وفي ابتداء كتابه، وعند ابتداء تنزيله، المحمود في الأول وفي الآخر، في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وفي جميع الأحوال.

ومن رحمة الله بعباده وحلمه ولطفه أنه لا يستجيب لهم إذا دعوا على أنفسهم أو أموالهم أو أولادهم في حال ضجرهم وغضبهم، لأنه يعلم منهم عدم القصد، كما يستجيب لهم إذا دعوا لأنفسهم أو لأموالهم وأولادهم بالخير والبركة والنماء، فلو استجاب الله لهم كل ما دعوه به في ذلك، لأهلكهم، ولذلك نهي الإنسان أن يدعو على نفسه وولده وماله، والإنسان فطر على صفات وطبائع، منها أنه إذا أصابه الضر والشدة قلق لها وجزع منها، وأكثر الدعاء عند ذلك، فدعا الله في كشفها وزوالها عنه في حال اضطجاعه وقعوده وقيامه، وفي جميع أحواله، فإذا فرج الله شدته وكشف كربته، أعرض ونأى بجانبه، وذهب كأنه ما كان به من ذاك شيء، وهذه حال المجاوزين الحد في الكفر والمعصية زينت لهم أعمالهم السيئة.

أما من رزقه الله الهداية والسداد والتوفيق والرشاد، إن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، والمكذبون للرسل مآلهم إلى الخسران، كما أحل الله بالقرون الماضية من العقوبات، في تكذيبهم الرسل فيما جاءوهم به من البينات والحجج الواضحات، ثم استخلف الله من بعدهم آخرين، وأرسل إليهم رسولًا لينظر طاعتهم له، وإتباعهم رسوله فكذبوا وعصوا فنزل بهم من العقوبة ما نزل بمن قبلهم.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

لقي رسول الله ﷺ الأذى والمشقة من تعنت الكفار من مشركي قريش، فكان إذا قرأ عليهم كتاب الله وحججه الواضحة قالوا له: رُدَّ هذا وجئنا بغيره ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة، وليس فيه عيبها، وإن لم ينزلها الله فقل أنت من عند نفسك، أو اجعل مكان آية العذاب آية الرحمة، أو مكان الحرام الحلال أو مكان الحلال الحرام، وما علموا أنما هو عبد مأمور، ورسول مبلغ عن الله، وإنما جاء به عن إذن الله له في ذلك ومشيئته وإرادته، وهم يعلمون صدقه وأمانته منذ نشأ بينهم إلى حين بعثه الله ﷻ، فهذا القرآن ليس من قول البشر لعجزهم عن معارضته، والإتيان بمثله، فهل لهم عقول يعرفون بها الحق من الباطل؛ ويفرقون بها الصدق من الكذب، وهم يعلمون صدق النبي ﷺ ولكنه الجحود والعصيان

فإنه لا أحد أظلم ولا أشد إجرامًا ولا أعظم ظلمًا ممن تقوَّل على الله، وزعم أن الله أرسله، ولم يكن كذلك، ومثل هذا لا يخفى أمره على الأغبياء، فكيف يشتبه حال هذا بالأنبياء، وكذلك من كذب بالحق الذي جاءت به الرسل، وقامت عليه الحجج، لا أحد أظلم منه فإن الشرك ظلم عظيم، فالمشركون الذين عبدوا مع الله غيره، ظانين أن تلك الآلهة تنفعهم شفاعتها عند الله، والواقع أنها لا تنفع ولا تضر ولا تملك شيئًا، فهل هم يخبرون الله بما لا يكون في السماوات ولا في الأرض، تنزه الله عن شركهم وكفرهم، وهذا الشرك حادث في الناس، كائن بعد أن لم يكن، وكان الناس كلهم على دين واحد، وهو الإسلام؛ كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على الإسلام، ثم وقع الاختلاف بين الناس، وعبدت الأصنام والأنداد والأوثان، فبعث الله الرسل بآياته وبيناته وحججه البالغة وبراهينه الدامغة، ولولا ما تقدم من الله تعالى أنه لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه؛ وأنه قد أجل الخلق إلى أجل معدود لقضى بينهم فيما اختلفوا فيه، فأسعد المؤمنين، وأعنت الكافرين.

ومن تعنت الكفار طلبهم آية كما أعطى الله ثمود الناقة، فأردوا أن يحوِّل الله لهم الصفا ذهبًا، أو يزيح عنهم جبال مكة ويجعل مكانها بساتين وأنهارًا، ونحو ذلك مما يقدر الله عليه ولكنه حكيم في أفعاله وأقواله، فإن من سنة الله في خلقه أنه إذا آتاهم ما سألوا، فإن آمنوا وإلا عاجلهم بالعقوبة، ولهذا لما خُيِّر رسول الله عليه الصلاة والسلام بين أن يعطى ما سألوا فإن أجابوا وإلا عوجلوا وبين أن يتركهم وينظرهم، اختار إنظارهم، كما حلم عنهم غير مرة، صلوات الله وسلامه عليه؛ فالأمر كله لله، وهو يعلم عواقب الأمور، فإن كانوا لا يؤمنون حتى يشاهدوا ما سألوا فلينتظروا حكم الله فيهم، ولو علم الله منهم أنهم إنما سألوا ذلك استرشادا وتثبتا لأجابهم، ولكن علم أنهم إنما يسألون عنادًا وتعنتًا.

وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ
ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ
﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ
وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ
وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ
ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ
ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ
ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٣﴾
إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ
نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ
زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ
أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ
بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ
يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾

شكر النعم من صفات المؤمنين وجحودها من صفات الكافرين، وأكثر الناس إذا جاءتهم الرحمة بعد الضراء، والرخاء بعد الشدة، والخصب بعد الجدب، والمطر بعد القحط، لا يشكرون، بل يكفرون بنعمة الله، وينسبون النعمة إلى غير الله وما علموا أن ذلك استدراجًا وإمهالًا من الله، حتى يظن الظان من المجرمين أنه ليس بمعذب، وإنما هو في مهلة، ثم يؤخذ على غرة منه، والله أعجل عقوبةً وأشد أخذًا وأقدر على الجزاء،، والكاتبون الكرام يكتبون وعلى الإنسان جميع ما يفعله، ويحصونه عليه، ثم يعرض على عالم الغيب والشهادة، فيجازيه على الحقير والجليل والنقير والقطمير.

وهو سبحانه الذي يحفظ عباده في البر والبحر ويكلؤهم بحراسته، فهم إذا ركبوا في الفلك وجرت بهم بريح لينة وفرحوا بها جاءتها ريح شديدة وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم هلكوا أخلصوا الدعاء لله ولم يدعوا معه صنمًا ولا وثنًا، بل يفردونه بالدعاء والابتهال، ودعوا ربهم بالنجاة والإخلاص بالعبادة فلما كشف ما بهم، إذا هم يشركون ويبغون، والعبد إنما يذوق وبال هذا البغي ولا يضر الله شيئًا، وهو في هذه الحياة الدنيا الدنيئة الحقيرة يتمتع بشهواتها ثم مصيره ومآله إلى الله فيجد أعماله قد وفيت إليه في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

فهذه الحياة الدنيا في زهرتها وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها، كالنبات الذي أخرجه الله من الأرض بما أنزل من السماء من الماء، مما يأكل الناس من زرع وثمار، على اختلاف أنواعها وأصنافها، وما تأكل الأنعام، يخرج في جميع الأشكال والأنواع فيفتن بزيته ونضرته وجماله، وغلب على ظن أهل الأرض قدرتهم على جذاذها، وحصادها فبينا هم كذلك إذ جاءتها صاعقة، أو ريح بادرة، فأيبست أوراقها، وأتلفت ثمارها؛ فصارت يابسة بعد الخضرة والنضارة، كأنها ما كانت حسناء قبل ذلك، فهل يعتبر أهل العقول بهذا المثل في زوال الدنيا من أهلها سريعًا مع اغترارهم بها، وتمكنهم منها، وقد ضرب الله مثل الحياة الدنيا بنبات الأرض، في غير ما آية من كتابه العزيز.

وحين ترتفع النفس عن الدنايا وتعلو عن الشهوات وتنظر إلى الدنيا بعين العاقل تجدها هباء منثورًا سرعان ما تذروها الرياح فتمضي أيامها ولياليها وشهواتها وملذاتها فلا يبقى فيها إلا غصصها وندمها وويلاتها، والمسلم الحق هو الذي يعد للآخرة الباقية ولا يركن إلى الدار الفانية، يرغب في الجنة دار السلام فهي سالمة من الآفات، والنقائص والنكبات، ويسأل ربه الجنة ويعمل لها فهو سبحانه يدعو عباده إلى الجنة وهو الذي يهدي عباده إلى الصراط المستقيم وهو الإسلام، فنسأل الله الجنة ووالدينا ووالديهم والمسلمين، ونسأله الهداية إلى الصراط المستقيم وأن يتوفانا مسلمين وأن يلحقنا بالصالحين غير خزايا ولا ندامى ولا مفتونين.

۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ
وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ
كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ
ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ
أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ
جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا
بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾
هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ
ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ
ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ
فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ
فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ
حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

المحسنون لهم الجزاء الأوفى والنعيم المقيم، الذين أحسنوا الاعتقاد، وأحسنوا العمل، وأحسنوا إلى الخلق لهم الجنة وهي الحسنى، والزيادة أفضلها وأعلاها النظر إلى وجه الله الكريم، فإنها أعظم من جميع ما أعطوه من نعيم الجنة.

وهم ناجون من كربات يوم الحشر، ومن أهوال الموقف قبل أن يفصل في أمر الخلق فلا يغشى وجوههم قتام وسواد في عرصات المحشر، كما يعتري وجوه الكفرة الفجرة من القترة والغبرة والانكسار والمهانة، بل نضرة في وجوههم، وسرور في قلوبهم، جعلنا الله منهم بفضله ورحمته آمين، أما حال الأشقياء، فإن الله يجازيهم على السيئة بمثلها، لا يزيدهم على ذلك، وفي يوم القيامة تعتريهم وتعلوهم ذلة من معاصيهم وخوفهم منها، ما لهم من الله من مانع ولا واق يقيهم العذاب، وجوههم مسودة كأنها ظلام الليل عليها الغبرة والمهانة فهم أهل النار مصيرهم إليها ومستقرهم فيها، وفي يوم القيامة حين تحشر الخلائق، من إنس وجن وبر وفاجر، يميز الله أهل الإيمان عن أهل الشرك وعبدة الأوثان، فيقال لأهل الشرك الزموا مكانًا معينًا، وامتازوا فيه عن مقام المؤمنين، ويفرق بين المشركين وشركائهم، ويقطع ما كان بينهم من التواصل في الدنيا، وذلك حين يتبرأ كل معبود من دون الله ممن عبده، ويقول الشركاء ما كنا نشعر بعبادتكم ولا نعلم بها، وإنما أنتم كنتم تعبدوننا من حيث لا ندري بكم، والله شهيد بيننا وبينكم أنّا ما دعوناكم إلى عبادتنا، ولا أمرناكم بها، ولا رضينا منكم بذلك، وفي هذا تبكيت عظيم للمشركين الذين عبدوا مع الله غيره، ممن لا يسمع ولا يبصر، ولا يغني عنهم شيئًا، ولم يأمرهم بذلك ولا رضي به ولا أراده، بل تبرأ منهم في وقت أحوج ما يكونون إليه، وقد تركوا عبادة الحي القيوم، السميع البصير، القادر على كل شيء، العليم بكل شيء وقد أرسل رسله وأنزل كتبه، آمرًا بعبادته وحده لا شريك له، ناهيًا عن عبادة ما سواه، ففي موقف الحساب يوم القيامة تختبر كل نفس وتعلم ما أسلفت من عملها من خير وشر، فيعلم الإنسان بما قدم وأخر، ورجعت الأمور كلها إلى الله الحكم العدل ففصلها، وأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وذهب عن المشركين ما كانوا يعبدون من دون الله افتراء عليه، وقد أمروا بالتوحيد وإفراد الله بالعبادة ولكنهم اختاروا الشرك مع اعترافهم بربوبية الله فهم إن سئلوا من ذا الذي ينزل من السماء ماء المطر، فيشق الأرض شقًّا بقدرته ومشيئته، فيخرج منها الزروع والثمار، ومن الذي وهبهم هذه القوة السامعة، والقوة الباصرة، ومن الذي يخرج الحي من النطفة والنطفة من الحي بقدرته العظيمة، ومن الذي بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، وهو المتصرف الحاكم الذي لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فسيقولون الله، فهم يعلمون ذلك ويعترفون به، فلماذا يشركون معه غيره بآرائهم وجهلهم، فالذي اعترفوا أنه الخالق لذلك كله هو ربهم وإلههم الحق، الذي يستحق أن يفرد بالعبادة، فكل معبود سواه باطل، لا إله إلا هو وحده لا شريك له، فكيف يصرفون العبادة إلى ما سواه، وهم يعلمون أنه الرب الذي خلق كل شيء، والمتصرف في كل شيء، ولكن حقت كلمة الله أنهم أشقياء وأنهم من أهل النار.

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾

الذين أشركوا بالله غيره، وعبدوا الأصنام والأنداد، يعلمون أن ما عبدوه من الأصنام والأنداد لا تخلق ولا تعيد الخلق ولا تهدي الضال، فكيف يتركون طريق الرشد إلى الباطل، ولكنها العقول الضالة، ألا يعبدون الذي خلق الخلق ثم يعيده وحده لا شريك له، وهو الذي يهدي الحيارى والضلال، ويقلب القلوب من الغي إلى الرشد، الله الذي لا إله إلا هو، أفيتبع العبد الذي لا يهدي إلى شيء إلا أن يهدى، لعماه وبكمه، أم الله الذي يهدى إلى الحق ويبصِّر بعد العمى، فكيف تذهب العقول، كيف يسوى بين الله وبين خلقه، ويعدلون به غيره، هلا أفردوا الرب ﷻ المالك الحاكم الهادي من الضلالة بالعبادة وحده، وأخلصوا إليه الدعوة والإنابة.

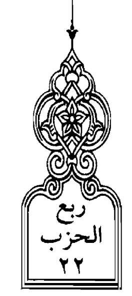
ولكنه اتباع الظن والتوهم والتخيل بلا دليل ولا برهان ولا حجة لهم، وسيجازيهم الله على ذلك أتم الجزاء.

ولو اتبعوا هدي القرآن لقادهم إلى الفلاح فهو كلام الله، فمثل هذا القرآن لا يكون إلا من عند الله، ولا يشبه هذا كلام البشر، وتصدقه الكتب المتقدمة، وهو المهيمن عليها، والمبين لما وقع فيها من التحريف والتأويل والتبديل، وفيه بيان الأحكام والحلال والحرام، بيانًا شافيًا كافيًا حقًّا لا مرية فيه من الله رب العالمين، ومن إعجاز القرآن أنه لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله، ولا بعشر سور، ولا بسورة من مثله؛ لأنه بفصاحته وبلاغته ووجازته وحلاوته، واشتماله على المعاني العزيزية النافعة في الدنيا والآخرة، لا يكون إلا من عند الله الذي لا يشبهه شيء في ذاته ولا صفاته، ولا في أفعاله وأقواله، فكلامه لا يشبه كلام المخلوقين؛

فإن ادعوا وافتروا وشكوا في هذا القرآن، فليأتوا بسورة من جنس القرآن، وليستعينوا على ذلك بكل من قدروا عليه من إنس وجان، فلن يستطيعوا مع أن الفصاحة كانت من سجاياهم، وأشعارهم ومعلقاتهم إليها المنتهى في هذا الباب، ولكن جاءهم من الله ما لا قبل لأحد به، ولهذا آمن من آمن منهم بما عرف من بلاغة هذا الكلام وحلاوته، وجزالته وطلاوته، وإفادته وبراعته، فكانوا أعلم الناس به، وأفهمهم له، وأتبعهم له وأشدهم له انقيادًا، وانتفعوا برسالة النبي ﷺ، ومنهم من كذب بالقرآن، ولم يفهموه ولا عرفوه، ولم يحصلوا على ما فيه من الهدى ودين الحق، فكذبوه جهلًا وسفهًا فمثلهم كمثل الأمم السالفة كذبوا فأهلكهم الله بتكذيبهم الرسل، وسيموتون على الضلالة، والله أعلم بمن يستحق الهداية فيهديه، ومن يستحق الضلالة فيضله، وهو العادل الذي لا يجور، بل يعطي كلًّا ما يستحقه، تبارك وتعالى وتقدس وتنزه، لا إله إلا هو.

وهؤلاء المكذبون يُتبرأ منهم ومن عملهم، فهم يسمعون الحق ولا يستجيبون له؛ لأن الله أراد إضلالهم فلا يستطيع أحد إسماعهم الحق فهم كالصم والبكم عن سماع الحق، ومن يضلل الله فما له من هاد.

وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ ۚ آلْآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ۖ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾



الكفار ينظرون إلى النبي ﷺ وإلى ما أعطاه الله من التؤدة، والسمت الحسن، والخلق العظيم، والدلالة الظاهرة، على نبوته ولا يحصل لهم من الهداية شيء مما يحصل لغيرهم من أولي البصائر والنهى، فالمؤمنين الذين ينظرون إليه بعين الوقار، والكفار ينظرون إليه بعين الاحتقار.

والله لا يظلم أحدًا شيئًا، وقد هدى برسوله ﷺ من هدى من الغي وبصر به من العمى، وفتح به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا، وأضل به عن الإيمان آخرين، فهو الحاكم المتصرف في ملكه بما يشاء، الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، لعلمه وحكمته وعدله؛ وهو سبحانه إليه المرجع والمآب يوم يقوم الناس لرب العالمين، يوم يحشرهم من أجداثهم إلى عرصات القيامة، كأنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من النهار لقصر الحياة الدنيا في الدار الآخرة، في ذلك يعرف الأبناء الآباء، والقرابات بعضهم لبعض، كما كانوا في الدنيا، ولكن كل مشغول بنفسه، ففي ذلك اليوم يخسر من كذب بالآخرة، لأنهم خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين، فهذه هي الخسارة العظيمة، ولا خسارة أعظم من خسارة من فرق بينه وبين أحبته يوم الحسرة والندامة.

والله سبحانه هو الحكيم العليم هو الذي ينزل بأسه على القوم المجرمين وينتقم منهم في حياة رسوله ﷺ لتقر عينه منهم، أو بعد وفاة رسوله ﷺ فإلى الله مصيرهم ومتقلبهم، والله شهيد على أفعالهم بعد النبي ﷺ.

وكل أمة تعرض على الله بحضرة رسولها، وكتاب أعمالها من خير وشر موضوع شاهد عليهم، وحفظتهم من الملائكة شهود أيضًا أمة بعد أمة، وهذه الأمة الشريفة وإن كانت آخر الأمم في الخلق، إلا أنها أول الأمم يوم القيامة يفصل بينهم ويقضى لهم، والكفار يستعجلون العذاب ويسألون عن وقته، مما لا فائدة فيه لهم، فهو واقع بهم لا محالة، وإن لم يعلموا وقته، والرسول ﷺ لا يعلم متى الساعة، ولا يقول إلا ما علمه ربه، ولا يقدر على شيء مما استأثر الله به إلا أن يطلعه عليه، فهو عبد الله ورسوله، ولكل قرن مدة من العمر مقدرة فإذا انقضى أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وعذاب الله سيأتي المكذبين بغتة ليلًا أو نهارًا، والعذاب مكروه تنفر منه القلوب، وتأباه الطبائع فما المقتضى لاستعجالهم له، أبعد ما يقع عذاب الله عليهم، ويحلّ بهم سخطه وانتقامه، يؤمنون حين لا ينفع الإيمان شيئًا، ولا يدفع عنهم ضرًّا. ويوم القيامة تقول لهم الملائكة، تبكيتًا وتقريعًا ذوقوا العذاب الدائم الذي لا ينقطع وذلك بما كسبت أيديهم في الحياة من الكفر والمعاصي، وهم في الحياة الدنيا يستخبرون النبي ﷺ على جهة الاستهزاء به والإنكار، أحق ما تعدنا به من العذاب في العاجل والآجل، فأمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يقول لهم هذه المقالة جوابًا عن استفهامهم الخارج مخرج الاستهزاء، قل لهم يا محمد غير ملتفت إلى ما هو مقصودهم من الاستهزاء إي وربي إنه لحق، أي نعم، وربي إن ما أعدكم به من العذاب لحق ثابت كائن لا محالة.

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۗ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

إذا قامت القيامة يود الكفار لو يفتدون من عذاب الله بملء الأرض ذهبًا، وأظهروا الندامة، ووجدوا ألم الحسرة في قلوبهم وبدى على وجوههم الانكسار، وقضى الله بين المؤمنين وبين الكافرين، وبين الرؤساء والأتباع، وبين الظالمين من الكفار والمظلومين، وأنزلت العقوبة عليهم بالعدل، ولم يظلم أحدًا منهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، فالله سبحانه الملك العدل فالعالم على اختلاف أنواعه، ملكه يتصرّف به كيف يشاء، يهب الحياة لمن يشاء ويسلبها ممن يشاء، وإليه يرجع الجميع في الدار الآخرة، فيجازي كلًا بما يستحقه، ووعد الله ووعيده كائن لا محالة، ولكن الكفار لا يعلمون ما فيه صلاحهم، فيعملون به، وما فيه فسادهم فيجتنبونه، ولو آمنوا بالقرآن وما جاء فيه من الهداية لأفلحوا في الدنيا والآخرة فقد أنزل الله القرآن العظيم على رسوله الكريم زاجرًا عن الفواحش، وشفاء من الشبه والشكوك، وإزالة ما في النفوس من رجس ودنس، فيه الهداية والرحمة من الله تعالى للمؤمنين به والمصدقين الموقنين بما فيه، فبهذا القرآن يفرح المؤمنون وبهذا الدين وبهذه الهداية، والفرح بذلك أعظم وأولى من الفرح بما يجمع الإنسان من حطام الدنيا وما فيها من الزهرة الفانية الذاهبة لا محالة.

يفرح المسلم بانتمائه للإسلام الذي هو دين الفطرة، ويفرح بأن أنقذه الله من الكفر والشرك الذي هو دين التناقض فقد كان المشركون يحرمون ويحلون من الأنعام كالبحيرة، والسائبة، والوصيلة والحامي، كل ذلك كذب على الله، فالتحليل والتحريم من الله ولم يأذن الله لهم في ذلك، فسيعاقبهم الله على كذبهم عليه ويؤاخذهم على تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم بمجرد الآراء والأهواء، التي لا مستند لها ولا دليل عليها، فإليه مرجعهم يوم القيامة.

وله سبحانه الفضل على الناس فيما أباح لهم مما خلقه من المنافع في الدنيا، ولم يحرم عليهم إلا ما هو ضار لهم في دنياهم أو دينهم، ولكن أكثرهم يحرمون ما أنعم الله به عليهم، ويضيقون على أنفسهم، فيجعلون بعضًا حلالًا وبعضًا حرامًا.

والله سبحانه يعلم جميع أحوال عباده، في كل ساعة وآن ولحظة، وأنه لا يعزب عن علمه وبصره مثقال ذرة في حقارتها وصغرها في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر منها ولا أكبر إلا في كتاب مبين، فهو يعلم حركة الأشجار وغيرها من الجمادات وكذلك الدواب السارحة، فإذا كان هذا علمه بحركات هذه الأشياء، فكيف بعلمه بحركات المكلفين المأمورين بالعبادة، مما يجعل العبد يستشعر مراقبة الله في جميع حركاته وسكناته، في غيبه وشهادته وسره وعلانيته، والمؤمن يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فالله سبحانه يراه ومطلع عليه لا تخفى عليه خافية.

أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٠﴾

أولياء الله هم الذين آمنوا وكانوا يتقون، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور، فيجلسهم عليها، يفزع الناس ولا يفزعون، هم الذين إذا رُؤوا ذُكِرَ الله من أثر العبادة والطاعة، لهم البشرى في الحياة الدنيا وهي الرؤيا الصالحة يراها المسلم، أو ترى له، وبشرى الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة والمغفرة، وفي الآخرة الجنة، وهذا الوعد لا يبدل ولا يخلف ولا يتغير، بل هو مقرر مثبت كائن لا محالة، والمؤمن يعمل بطاعة الله ملتمسًا رحمة ربه لينال شرف الولاية، ولا يهمه من يكيد له من المشركين وما يلقاه من آذاهم القولي والفعلي؛ لأن الله وليه يستعين به عليهم، ويتوكل عليه؛ وكيف يخاف أولياء الله أو يحزنون والله معهم في كل شأن وفي كل عمل وفي كل حركة وسكون، معهم بعلمه وحفظه لهم، فإن العزة لله جميعًا، فجميع العزة له ولرسوله وللمؤمنين، وهو السميع لأقوال عباده، العليم بأحوالهم.

له ملك السموات والأرض، والمشركون يعبدون أصنامًا، لا تملك شيئًا، لا ضرًا ولا نفعًا، ولا دليل لهم على عبادتها، بل إنما يتبعون في ذلك ظنونهم وتخرصهم وكذبهم وإفكهم.

وهو الذي جعل لعباده الليل يستريحون فيه من نصبهم وكللهم وحركاتهم، والنهار مضيئًا لمعاشهم وسعيهم، وأسفارهم ومصالحهم، وفي ذلك آيات لمن يستمعون هذه الحجج والأدلة، فيعتبرون بها، ويستدلون على عظمة خالقها، ومقدرها ومسيرها.

وهو سبحانه الغني عن كل ما سواه، وكل شيء فقير إليه، تنزه عن الولد، وكل شيء مملوك له، عبد له، خلق ما في السماوات وما في الأرض، ولكن المشركين يدعون الكذب والبهتان ويقولون على الله ما لا يعلمون فهم لا يفلحون في الدنيا ولا في الآخرة.

فأما في الدنيا فإنهم إذا استدرجهم وأملى لهم متعهم قليلًا ثم يضطرهم إلى عذاب غليظ، وفي يوم القيامة العذاب الموجع المؤلم، بسبب كفرهم وافترائهم وكذبهم على الله، فيما ادعوه من الإفك والزور.

ومتاع الحياة الدنيا وشهواتها وملذاتها قليل بالنسبة للآخرة، فليتمتع الكفار في حياتهم الدنيا، فهي جنتهم لما ينتظرهم من عذاب الآخرة إن ماتوا على الكفر، وأما المؤمنون فهم في الدنيا مهما أوتوا من النعيم بالنسبة لما ينتظرهم من نعيم الآخرة في سجن، نسأل الله أن يحسن ختامنا وأن يتغمدنا برحمته.

۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾

الأمم المكذبة حل بها من العقوبات ما فيه نذير لكل مكذب، وقد أمر الله تعالى نبيه صلوات الله وسلامه عليه أن يقص على كفار مكة الذين كذبوه وخالفوه، خبر نوح مع قومه الذين كذبوه، كيف أهلكهم الله ودمرهم بالغرق أجمعين عن آخرهم، ليحذر هؤلاء أن يصيبهم من الهلاك والدمار ما أصاب أولئك، فإن نوحًا ﷺ قال لقومه إن كان عظم عليكم بقائي بين أظهركم ودعوتي لكم بالحجج والبراهين، فإني لا أكف عن دعوتكم، ولا أبالي بتهديدكم، فإني متوكل على الله تعالى وهو ولي المؤمنين ينصرهم ويؤيدهم، فاجتمعوا أنتم وشركاؤكم الذين تدعون من دون الله، من صنم ووثن، ولا تجعلوا أمركم عليكم ملتبسًا، بل افصلوا حالكم معي، فإن كنتم تزعمون أنكم محقون، فاقضوا إلي ولا تؤخروني ساعة واحدة، فإني لا أبالي بكم ولا أخاف منكم، لأنكم لستم على شيء، وإن كذبتم وأدبرتم عن الطاعة، فإني لم أطلب منكم على نصحي إياكم شيئًا، فأنا ممتثل ما أمرت به.

فكذبوه فنجاه الله ومن آمن به في السفينة، وجعلهم الباقين في الأرض، يخلف بعضهم بعضًا، وأغرق المكذبين.

ثم بعث الله من بعد نوح رسلًا إلى قومهم، فجاءوهم بالحجج والأدلة والبراهين على صدق ما جاءوا به، فما كانت الأمم لتؤمن بما جاءتهم به رسلهم، بسبب تكذيبهم إياهم أول ما أرسلوا إليهم.

فقد طبع الله على قلوب هؤلاء، فما آمنوا بسبب تكذيبهم، وختم على قلوبهم، فلا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم، فهو سبحانه أهلك الأمم المكذبة للرسل، وأنجى من آمن بهم.

ثم بعث الله من بعد تلك الرسل موسى وهارون ﷺ إلى فرعون وقومه، بالحجج والبراهين، فاستكبروا عن اتباع الحق والانقياد له، واتهموه بالسحر فأنكر عليهم موسى ﷺ، كيف يصفون الحق بالسحر، فالسحر لا يستهدف هداية الناس وإنما إغوائهم، والسحرة كفار وعملهم كفر وشرك فلا فلاح لهم في الدنيا والآخرة، فإن الساحر يصرف العبادة للشياطين لكي يطيعوه ويأتمروا بأمره، وذاك حكم الإسلام في الساحر ضربة بالسيف ولا تقبل له توبة إذا قُدِر عليه.

وما كان الساحرون ليأتوا إلا بالإفساد والتفريق بين المؤمنين والشرك والوثنية، وإيذاء الخلق وعبادة الشياطين.

وظن فرعون وقومه أن موسى جاء بهذه الدعوة لتكون له الرئاسة والعظمة، وكيف يستبدلون دين آبائهم بالتوحيد الذي جاء به موسى ﷺ، وتلك حجة المكذبين التمسك بما عليه الآباء والأجداد والتعصب له ورد الحق من أجله، والكبر والتعالي على الخلق صفة تمنع من الإيمان وقبول الحق.

وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ
مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ
عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ
ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ
خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ
ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ
تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا
بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ
أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ
وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ
رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ
وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

أراد فرعون أن يضلل على الناس، ويعارض ما جاء به موسى ﷺ من الحق المبين بزخارف السحرة والمشعوذين، فانقلب الأمر عليه، وظهرت البراهين الإلهية في ذلك المحفل العام، فقد أمر بجمع السحرة من كل مكان ووعدهم بالتقريب والعطاء الجزيل، فأراد موسى أن تكون البداءة منهم، ليرى الناس ما صنعوا، ثم يأتي بالحق بعده فيدمغ باطلهم؛ فأبطل الله سحرهم، فإنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى، فلما رأى السحرة الحق خروا لله ساجدين وقالوا آمنا برب العالمين، رب موسى وهارون، فظن فرعون أن يستنصر بالسحر على رسول رب العالمين، فخاب وخسر الجنة، واستوجب النار، فأظهر الله الحق وبينه بالحجج والبراهين ولوكره آل فرعون، أهل الإجرام والآثام.

ولم يؤمن بموسى ﷺ مع ما جاء به من الآيات البينات والحجج القاطعات والبراهين الساطعات، إلا قليل من قوم فرعون، من الذرية وهم الشباب على وجل وخوف منه ومن ملئه، أن يردوهم إلى ما كانوا عليه من الكفر؛ لأن فرعون كان جبارًا عنيدًا مسرفًا في التمرد والعتو، وكانت له سطوة ومهابة، تخاف رعيته منه خوفًا شديدًا، وأما بنو إسرائيل فإنهم كلهم آمنوا بموسى ﷺ، واستبشروا به، وقد كانوا يعرفون نعته وصفته والبشارة به من كتبهم المتقدمة، وأن الله تعالى سينقذهم به من أَسْر فرعون، فكل الذين آمنوا آذاهم فرعون أشد الأذى، وقالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا، فأمرهم موسى ﷺ بالتوكل على الله فإن الله كاف من توكل عليه، وكثيرًا ما يقرن الله بين العبادة والتوكل، وامتثل بنو إسرائيل ذلك، فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تظفرهم بنا، لا تسلطهم علينا فيظنوا أنهم إنما سلطوا لأنهم على الحق ونحن على الباطل، ولا تسلطهم علينا فيفتنونا، وخلصنا برحمة منك وإحسان، من الذين كفروا بالحق وستروه، ونحن قد آمنا بك وتوكلنا عليك، فأمر الله موسى وهارون عليهما السلام أن يتخذا من بيوت بني إسرائيل مساجد يصلى فيها، فأمرهم بكثرة الصلاة؛ لأنها سبب للفرج وليبشروا بالثواب والنصر القريب، ودعا موسى ﷺ على فرعون وملئه، لما أبوا قبول الحق واستمروا على ضلالهم وكفرهم معاندين جاحدين، ظلمًا وعلوًّا وتكبرًا وعتوًا، قال ربنا إنك آتيت فرعون وملأه من أثاث الدنيا ومتاعها أموالًا جزيلة كثيرة في الحياة الدنيا ربنا ليفتتن بما أعطيتهم من شئت من خلقك، ليظن من أغويته أنك إنما أعطيت هؤلاء هذا لحبك إياهم.

ربنا أهلك أموالهم واجعل قلوبهم قاسية واطبع عليها حتى لا تلين ولا تنشرح للإيمان، وأمتهم على الكفر، فصارت أموالهم وحروثهم وزروعهم وجواهرهم حجارة.

وهذه الدعوة كانت من موسى عليه السلام غضبًا لله ولدينه على فرعون وملئه، الذين تبين له أنه لا خير فيهم، ولا يجيء منهم شيء كما دعا نوح عليه السلام على قومه.

قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ
فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ
ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ
وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ
مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ
خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ
فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ
فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ
ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ
﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ
﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

استجاب الله تعالى لموسى ﷺ في بني إسرائيل هذه الدعوة، التي أَمَّن عليها أخوه هارون، وأمرهما الله أنه كما أجيبت دعوتكما فاستقيما على الرسالة والدعوة، وامضيا لأمر الله إلى أن يأتيهم العذاب، ومكث فرعون بعد هذه الدعوة أربعين سنة، وتنفيذًا لإجابة هذه الدعوة أُمر موسى ﷺ بالخروج ببني إسرائيل من مصر، وكان عددهم ستمائة ألف مقاتل سوى الذرية، وقد كانوا استعاروا من القبط حليًّا كثيرًا، فخرجوا بها معهم، فاشتد حنق فرعون عليهم، فأرسل في المدائن حاشرين يجمعون له جنوده من أقاليمه، فركب وراءهم في أبهة عظيمة، وجيوش هائلة لما يريده الله تعالى بهم، ولم يتخلف عنه أحد ممن له دولة وسلطان في سائر مملكته، فلحقوهم وقت شروق الشمس، فلما انتهوا إلى ساحل البحر، وأدركهم فرعون، ولم يبق إلا أن يتقاتل الجمعان، وألح أصحاب موسى ﷺ عليه في السؤال كيف المخْلص مما نحن فيه، قال موسى ﷺ كلا إن معي ربي سيهدين، فأمره الله تعالى أن يضرب البحر بعصاه، فضربه فانفلق البحر، فكان كل فرق كالجبل العظيم، وصار اثني عشر طريقًا، لكل سبط واحد، وأمر الله الريح فنشفت أرضه، وتخرق الماء بين الطرق كهيئة الشبابيك، ليرى كل قوم الآخرين لئلا يظنوا أنهم هلكوا، وجازت بنو إسرائيل البحر، فلما خرج آخرهم منه انتهى فرعون وجنوده إلى حافته من الناحية الأخرى، وهو في مائة ألف، فلما رأى ذلك هاله وأحجم وهاب وهم بالرجوع، وهيهات ولات حين مناص، نفذ القدر، واستجيبت الدعوة، ولم يبق فرعون يملك من نفسه شيئًا، فتجلد لأمرائه، وقال لهم: ليس بنو إسرائيل بأحق بالبحر منا، فاقتحموا كلهم عن آخرهم، فلما تكاملوا، وهمَّ أولهم بالخروج منه، أمر الله القدير البحر أن يرتطم عليهم، فارتطم عليهم، فلم ينج منهم أحد، وجعلت الأمواج ترفعهم وتخفضهم، وتراكمت الأمواج فوق فرعون، وغشيته سكرات الموت، فقال وهو كذلك آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين، فآمن حيث لا ينفعه الإيمان، أفي هذا الوقت يؤمن؟ وقد عصى الله قبل هذا، وكان من المفسدين في الأرض الذين أضلوا الناس، وأظهر الله جسد فرعون ليراه بنو إسرائيل ويتحققوا من موته، ويكون آية وعبرة لمن بعده على قدرة الله، فهو الله القادر الذي ناصية كل دابة بيده، وأنه لا يقوم لغضبه شيء؛ ولكن أكثر الناس لا يتعظون، ولا يعتبرون، وقد كان إهلاك فرعون وملئه يوم عاشوراء، فصامه موسى ﷺ شكرًا لله وصامه النبي ﷺ وحث على صيامه، وأنعم الله على بني إسرائيل بالنعم الدينية والدنيوية ورزقهم من الرزق الطيب النافع المستطاب، واختلفوا بعد أن ظهرت فيهم الأهواء فافترقوا، والله يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون، فمن كان في شك مما أنزل الله من الهدى، فليسأل الذين يقرؤون الكتاب من اليهود الذين يعلمون صدق رسالة النبي ﷺ فلقد جاء بالحق الواضح البين الذي لا يشك فيه إلا شاك ضال مرتاب، كتب الله عليه الضلالة وحق عليه قضاء الله وقدره أنه من أهل النار، فلا يؤمن ولو رأى المعجزات والآيات، فهو الخاسر في الدنيا والآخرة.

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾

الأمم السالفة التي بعثت إليها الرسل، كذبوا وكفروا، وبعضهم قتل نبيه وآذاه وطرده، وبعض الأنبياء لم يستجب له أحد، يأتي وحده يوم القيامة ومنهم من يأتي معه الرجل والرجلان، فلا يوجد قرية آمنت بكمالها بنبيهم ممن سلف من القرى، إلا قوم يونس، وهم أهل نينوى، وما كان إيمانهم إلا خوفًا من وصول العذاب الذي أنذرهم به رسولهم، بعدما عاينوا أسبابه، وخرج رسولهم من بين أظهرهم، فعندها جأروا إلى الله واستغاثوا به، وتضرعوا لديه واستكانوا وأحضروا أطفالهم ودوابهم ومواشيهم، وسألوا الله تعالى أن يرفع عنهم العذاب الذي أنذرهم به نبيهم، فعندها رحمهم الله، وكشف عنهم العذاب وأخروا.

ولو شاء الله لأذن لأهل الأرض كلهم في الإيمان، فآمنوا كلهم، ولكن له حكمة فيما يفعله تعالى، فلا إلزام للناس بدخول الإسلام، فالله تعالى هو الفعال لما يريد، الهادي من يشاء، المضل لمن يشاء، لعلمه وحكمته وعدله؛ وما كان لنفس أن تؤمن إلا بقضاء الله وقدره ويجعل الله الضلال على الذين لا يعقلون حجج الله وأدلته، وهو العادل في كل ذلك، في هداية من هدى، وإضلال من أضل.

والتفكر في آلاء الله وما خلق في السموات والأرض من الآيات الباهرة لذوي الألباب، مما في السموات من كواكب نيرات، والشمس والقمر، والليل والنهار، واختلافهما، وإيلاج أحدهما في الآخر، وارتفاع السماء واتساعها، وحسنها وزينتها، وما أنزل الله منها من مطر فأحيا به الأرض بعد موتها، وأخرج فيها من أفانين الثمار والزروع والأزاهير، وصنوف النبات، وما ذرأ فيها من دواب مختلفة الأشكال والألوان والمنافع، وما فيها من جبال وسهول، وما في البحر من العجائب والأمواج، وهو مع هذا مسخر مذلل للسالكين، يحمل سفنهم، ويجري بها برفق بتسخير القدير، لا إله إلا هو، ولا رب سواه، كل ذلك يدعو إلى توحيد الله وإفراد العبادة له، ولكن لا تجدي الآيات السماوية والأرضية، والرسل بآياتها وحججها وبراهينها الدالة على صدقها، عن قوم لا يؤمنون، فسينزل بهم من النقمة والعذاب مثل أيام الله في الذين خلوا من قبلهم من الأمم المكذبة لرسلهم، وينجي الله الرسل والذين آمنوا، وهو وعد الله للمؤمنين بالنجاة والفوز والنصر، وهو وعد لا يتغير ولا يتبدل.

فمن كان في شك وريبة من الدين الحنيف، الذي أوحاه الله إلى رسوله ﷺ، فلا يضر إلا نفسه، لأن الله اصطفى من عباده من يحقق التوحيد بالكفر بالطاغوت وهو كل ما يعبد من دون الله، ويخلص العبادة لله وحده لا شريك له الذي يتوفى عباده كما أحياهم، ثم إليه مرجعهم؛ وهو الذي بيده الضر والنفع وحده لا شريك له، والعبد يقيم وجهه، ويستقيم على الحنيفة ملة إبراهيم، وهي إخلاص العبادة لله وحده حنيفًا، فمن الشرك وهو الظلم العظيم أن يعبد العبد ما لا ينفعه ولا يضره، والتوحيد أن يعبد الله الذي بيده النفع والضر، فهو يستحق العبادة وحده، لا شريك له.

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

سُورَةُ هُودٍ

ترتيبها ١١ — آياتها ١٢٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾

الله ﷻ هو الذي قدر المقادير فلا راد لقضائه ولا مانع لعطائه، فإذا أصاب العبد شدة وبلاء، فلا دافع له، إلا الله وإن أعطاه الله الرخاء والنعمة والسعة، فلا مانع لرزقه، فهو سبحانه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع.

ومن نعم الله الهداية إلى الإسلام، فمن اهتدى به واتبعه إنما يعود نفع ذلك الاتباع على نفسه، ومن ضل عنه فإنما يرجع وبال ذلك عليه، والأنبياء والرسل إنما هم يحملون البشارة والنذارة، وليس بأيديهم هداية الإلهام والتوفيق، ويتمسكون بما أنزل الله عليهم من الوحي ويصبرون على مخالفة من خالفهم من الناس، يفتح الله بينهم، وبين عدوهم وهو سبحانه خير الفاتحين بعدله وحكمته.

سورة هود

وهي سورة مكية سميت بذلك لذكر قصة هود مع قومه وهم عاد

كتاب الله المكون من الحروف المقطعة، أعجز العرب عن الإتيان بمثله، فقد أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ القرآن ليكون للعالمين نذيرًا، وهو محكم في آياته، وهي محكمة في لفظها، مفصلة في معناها، فهو كامل الصورة والمعنى، فهو من عند الله الحكيم في أقواله وأحكامه، الخبير بعواقب الأمور، وقد أنزل هذا القرآن المحكم المفصل لعبادة الله وحده لا شريك له، وجاءت الرسل بالنذارة من العذاب لمن خالف القرآن، والبشارة بالثواب لمن استجاب له، وطاعة الله وابتغاء مرضاته والتوبة إليه والإنابة سبب من أسباب الحياة السعيدة الطيبة، والحياة الطيبة هي ما يجده أهل الإيمان من برد الإيمان واليقين وحلاوة الإيمان في القلوب ما يجعلهم سعداء ولو عاشوا في شظف من العيش وقلة ذات اليد، والله يؤتى كل ذي عمل صالح في الدنيا أجره وثوابه في الآخرة، فمن كثرت طاعته في الدنيا زادت درجاته في الآخرة في الجنة؛ لأن الدرجات تكون بالأعمال، ومن تولى وأعرض فإن له العذاب الأليم يوم القيامة، فإلى الله يرجع الجميع يوم القيامة، وهو القادر على ما يشاء من إحسانه إلى أوليائه، وانتقامه من أعدائه، وإعادة الخلائق يوم القيامة، وهو سبحانه عليم بما في الضمائر، وعليم بالقلوب وأحوالها في الإسرار والإظهار، فلا يخفى عليه شيء من ذلك، فحين يغلق الإنسان بابه، ويأوي إلى فراشه ويتغطى بثيابه، يعلم الله حاله فالظاهر والباطن عنده سواء، والسرّ والجهر سيان، وهذا يدعو المسلم أن يستشعر المراقبة وأن يحفظ حدود الله في السر والعلن، ويكون في السر أشد خوفًا وتعظيمًا لله تعالى.

۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا
وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ
عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ
إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ
أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ
مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾
وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ
لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ
مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ
وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ
مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

تكفل الله بأرزاق المخلوقات، من سائر دواب الأرض، صغيرها وكبيرها، بحريها، وبريها، وهو يعلم أين منتهى سيرها في الأرض، وأين تأوي إليه من وكرها، وهو مستودعها، وحيث تموت، كل مثبت في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقها، وهو سبحانه القوي القادر على كل شيء، خلق السموات والأرض في ستة أيام، وكان عرشه على الماء قبل ذلك، وهو سبحانه خلق السموات والأرض لنفع عباده الذين خلقهم ليعبدوه وحده لا شريك له، ولم يخلق ذلك عبثًا، خلقهم ليبلوهم أيهم أحسن عملًا، ولا يكون العمل حسنًا حتى يكون خالصًا لله، وصوابًا على سنة رسول الله ﷺ، فمتى فقد العمل واحدًا من هذين الشرطين بطل وحبط.

والكفار ينكرون البعث والمعاد يوم القيامة، مع اعترافهم بأن الله خالق كل شيء، وهذا من عنادهم وطغيانهم، وحين يتوعدون بالعذاب إلى وقت معلوم يقولون تكذيبًا واستعجالًا: ما يؤخر هذا العذاب عنا، ولئن جاءهم العذاب في وقته المحدد فلن ينجو منه أحد أبدًا.

وفي الإنسان من الصفات الذميمة، إلا من رحم الله من عباده المؤمنين، أنه إذا أصابته شدة بعد نعمة، حصل له يأس وقنوط من الخير بالنسبة إلى المستقبل، وكفر وجحود لماضي الحال، كأنه لم ير خيرًا، ولم يرج بعد ذلك فرجًا، وهكذا إن أصابته نعمة بعد نقمة، قال: لا ينالني بعد هذا ضيم ولا سوء، فهو فرح بما في يده، بطر فخور على غيره، إلا الذين صبروا في الشدائد والمكاره، وعملوا الصالحات في الرخاء والعافية، فأولئك ما يصيبهم من الضراء تكفير للسيئات ورفعة في الدرجات، ولهم الأجر بما أسلفوه في زمن الرخاء.

فما يصيب المؤمن من هم ولا غم، ولا نصب ولا وصب، ولا حزن حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله عنه بها من خطاياه.

والصبر على المكاره من صفات الأنبياء والمرسلين فقد أمر الله تعالى رسوله، صلوات الله تعالى وسلامه عليه، وأرشده ألا يضيق صدره، ولا يثنيه عن دعوتهم إلى الله ﷻ آناء الليل وأطراف النهار تعنت المشركين فيما كانوا يقولونه عن الرسول، ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾، فقد أوذي الرسل من قبله، وكذبوا فصبروا حتى أتاهم نصر الله ﷻ، فإنما على الرسل البلاغ والله هو الحفيظ لأعمال العباد.

وهذا منهج للدعاة بالصبر على الدعوة، وتبليغها، اقتداءً بسيد المرسلين ﷺ.

أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ
وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣
فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٤ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ
ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ
١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ
مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦ أَفَمَن كَانَ
عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ
مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ
مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ
مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٧ وَمَنۡ
أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ
عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ
رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ١٩

القرآن العظيم معجز بآياته، لا يستطيع البشر الإتيان بمثله، ولا بعشر سور من مثله، ولا بسورة من مثله؛ لأن كلام الرب لا يشبهه كلام المخلوقين، كما أن صفاته لا تشبه صفات المخلوقين، وذاته لا يشبهها شيء، تعالى وتقدس وتنزه، لا إله إلا هو ولا رب سواه، وقد عجز العرب الفصحاء أن يأتوا بمثل ذلك لأنه كلام الله المنزل، متضمن علمه وأمره ونهيه، ولم يبق للمنكرين إلا الإيمان به واعتقاد استحقاق الله بالعبودية وحده لا شريك له.

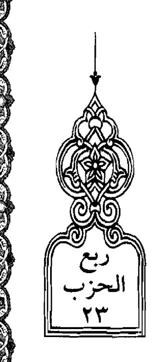
ومن كان يريد بعمله الحياة الدنيا، وزخارفها يعطون أجور أعمالهم في الدنيا بسعة الرزق ودفع المكاره، لا ينقص حظهم، وأما في الآخرة فليس لهم إلا النار، وأعمالهم مردودة عليهم، فالكافر يُطعم بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يعطي بها خيرًا، والمؤمنون على فطرة الله تعالى التي فطر عليها عباده من الاعتراف له بأنه لا إله إلا هو ﷻ.

وأيد الله هذه الفطرة، بما أوحاه إلى الأنبياء من الشرائع المطهرة المكملة المعظمة المختتمة بشريعة محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، فالمؤمن عنده من الفطرة ما يشهد للشريعة من حيث الجملة، أمّا التفاصيل فتؤخذ من الشريعة، والفطرة تصدقها وتؤمن بها؛ ومن قبل القرآن التوراة، أنزلها الله تعالى إلى بني اسرائيل إمامًا لهم، وقدوة يقتدون بها، ورحمة من الله بهم، فمن آمن بها حق الإيمان قاده ذلك إلى الإيمان بالقرآن؛ وأما من كفر بالقرآن من سائر أهل الأرض مشركيهم وأهل الكتاب وغيرهم، من سائر طوائف بني آدم على اختلاف ألوانهم وأشكالهم وأجناسهم، ممن بلغه القرآن، فالنار موعده.

فمن سمع من اليهود أو النصارى برسول الله ﷺ ثم لم يؤمن به إلا دخل النار.

أما المؤمنون فيعلمون أن القرآن حق من الله، لا مرية فيه ولا شك، وإن كفر به أكثر الناس الذين يفترون على الله الكذب ويزعمون أن لله ولدًا أو شريكًا، فأولئك تكون فضيحتهم في الدار الآخرة على رؤوس الخلائق؛ من الملائكة، والرسل، والأنبياء، وسائر البشر والجان، حين تشهد عليهم الملائكة الذين كانوا يحفظون أعمالهم، فينادى بهم على رؤوس الخلائق، هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين، الذين يردون الناس عن اتباع الحق وسلوك طريق الهدى الموصلة إلى الله ﷻ ويجنبونهم الجنة، ويريدون أن يكون طريقهم عوجًا غير معتدلة، وهم بالآخرة جاحدون بها مكذبون بوقوعها وكونها.

أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ
ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ٢٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ
أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢١ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ
فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ٢٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ



هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٣ ۞ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ
وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
٢٤ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢٥
أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ
٢٦ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا
مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ
ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ
٢٧ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ
مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨

المكذبون للرسل الجاحدون للحق تحت قهر الله وغلبته، وفي قبضته وسلطانه، وهو قادر على الانتقام منهم في الدار الدنيا قبل الآخرة، ولكن يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار فالله يملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته، يؤخرون ليضاعف لهم العذاب، وقد جعل الله لهم سمعًا وأبصارًا وأفئدة، فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء، بل كانوا صمًا عن سماع الحق، عميًا عن اتباعه، فهم يعذبون على كل أمر تركوه، وعلى كل نهي ارتكبوه؛ وخسروا أنفسهم؛ لأنهم دخلوا نارًا حامية، فهم معذبون فيها لا يفتر عنهم من عذابها طرفة عين، وذهب عنهم ما كانوا يعبدون من دون الله من الأنداد والأصنام، فلم تُجد عنهم شيئًا، بل ضرتهم كل الضرر، فهم أخسر الناس صفقة في الدار الآخرة؛ لأنهم استبدلوا بالدركات عن الدرجات، واعتاضوا عن نعيم الجنان بحميم آن، وعن شرب الرحيق المختوم بسموم وحميم، وظل من يحموم، وعن الحور العين بطعام من غسلين، وعن القصور العالية بالهاوية، وعن قرب الرحمن، ورؤيته بغضب الديان وعقوبته، فلا بد أنهم في الآخرة هم الأخسرون، وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فآمنت قلوبهم وعملت جوارحهم الأعمال الصالحة قولًا وفعلًا من الإتيان بالطاعات وترك المنكرات، وبهذا ورثوا الجنات، المشتملة على الغرف العاليات، والسرر المصفوفات، والقطوف الدانيات، والفرش المرتفعات، والحسان الخيرات، والفواكه المتنوعات، والمآكل المشتهيات والمشارب المستلذات، والنظر إلى خالق الأرض والسموات، وهم في ذلك خالدون، لا يموتون ولا يهرمون ولا يمرضون، ولا يتغوطون، ولا يبصقون ولا يتمخطون، إن هو إلا رشح مسك يعرقون، فمَثل الفريقين الذين وصفهم الله بالشقاء، كالأعمى والأصم، وهؤلاء كالبصير والسميع، فالكافر أعمى عن وجه الحق في الدنيا، وفي الآخرة لا يهتدي إلى خير ولا يعرفه، أصم عن سماع الحجج، فلا يسمع ما ينتفع به، وأما المؤمن ففطن ذكي لبيب، بصير بالحق، يميز بينه وبين الباطل، فيتبع الخير ويترك الشر، سميع للحجة، يفرق بينها وبين الشبهة، فلا يروج عليه باطل، فهل يستوي هذا وهذا؟ فهل يعتبر الإنسان ويفرق بين هؤلاء وهؤلاء؟ وقد قص الله قصة نوح ﷺ، وهو أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض من المشركين عبدة الأصنام أنه قال لقومه إني نذير من عذاب الله إن أنتم عبدتم غير الله؛ فقال السادة والكبراء من الكافرين منهم: ولكنك بشر، فكيف أوحي إليك من دوننا، ثم ما نراك اتبعك إلا الباعة وأصغر الناس ولم يتبعك الأشراف ولا الرؤساء، وهؤلاء الذين اتبعوك لم يكن أتباعهم عن ترو، ولا فكرة، ولا نظر، بل بمجرد ما دعوتهم أجابوك فاتبعوك، وما رأينا لكم علينا فضيلة في خَلْق ولا خُلق، ولا رزق ولا حال، لما دخلتم في هذا الدين، بل أنتم كاذبون فيما تدعونه من البر والصلاح والعبادة، والسعادة في الدار الآخرة إذا صرتم إليها، وهذا دليل على جهلهم وقلة علمهم وعقلهم، فإنه ليس بعار على الحق ضعف من اتبعه، فإن الحق في نفسه صحيح، وسواء اتبعه الأشراف أو الضعفاء، بل الحق الذي لا شك فيه أن أتباع الحق هم الأشراف، ولو كانوا فقراء، والذين يأبونه هم الأراذل، ولو كانوا أغنياء، ثم الواقع غالبًا أن من يتبع الحق ضعفاء الناس، والغالب على الأشراف والكبراء مخالفته، فرد نوح ﷺ عليهم: أرأيتم إن كنت على يقين وأمر جلي، ونبوة صادقة، وهي الرحمة العظيمة من الله به وبهم، فخفيت عليكم، فلم تهتدوا إليها، ولا عرفتم قدرها، بل بادرتم إلى تكذيبها وردها، أنغصبكم بقبولها وأنتم لها كارهون.

وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ
أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ
قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ
أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ
أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا
لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ
جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ
إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمۡ
نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ
هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ
قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ﴿٣٥﴾
وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ
فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا
وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾

الأنبياء عليهم السلام دعاة رب العالمين يبلغون دين الله لا يبتغون أجرًا على عملهم ودعوتهم من الناس وإنما يبتغون وجه الله والدار الآخرة، وهم في دعوتهم يستوي الشريف والوضيع والغني والفقير والرئيس والمرؤوس، فلا يطردون أهل الإيمان من الفقراء من أجل ضعفهم وفقرهم وإنما الميزان بالتقوى، فالأنبياء يأخذون الناس بظواهرهم ويكلون الناس في إيمانهم وسرائرهم إلى الله، والأنبياء ليس عندهم خزائن الله فيعطون المتعنتين ما يطلبون، والتوفيق والأجر والثواب بيد الله يؤتيه من يشاء ولو كان في ظاهره محتقرًا بل قد يكون المحتقر في أعين الناس عظيمًا عند الله لو أقسم على الله لأبره، فالله أعلم بما في النفوس من الخير والشر.

ولكن المكذبين زادوا في طغيانهم، فردوا دعوة نوح وطلبوا العذاب الذي يعدهم به إن كان صادقًا وذلك من السخرية والاستهزاء بنوح عليه السلام ومن آمن معه، وما علموا أن العذاب من الله تعالى وما هم بمعجزي الله أن يعذبهم، فلم ينفعهم نصح نوح ودعوته عليه السلام لأن الله كتب عليهم الضلالة فلله الحكم والأمر، وإليه يرجعون فيجزيهم بأعمالهم، والأنبياء صادقون فيما يبلغونه من وحي الله، وإن رماهم المكذبون بالكذب والسحر، ولو كان ما أتوا به كذبًا كما يزعمون فإنما عليهم الإثم والوبال، وعلى المكذبين إثمهم ووبالهم فلن يتحمل أحد وزر الآخر، ما لم يكن داعيًا إلى الإثم.

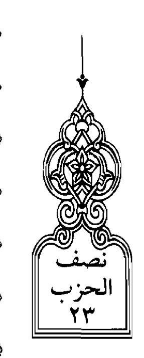
وأوحى الله إلى نوح عليه السلام لما استعجل قومه نقمة الله بهم وعذابه لهم، ودعا عليهم نوح بعد أن قال الله تعالى: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ فلا تحزن عليهم ولا يهمنك أمرهم.

واصنع السفينة مرئيًّا بأعيننا وحسب وحينا، يراه الله تعالى بعينه، فيسدده ويصلح صنيعه، وقد جاء في الكتاب والسنة وإجماع السلف ثبوت العين لله – تعالى – حقيقة على الوجه اللائق به من غير تكييف ولا تمثيل.

وعلّمه الله تعالى أن يغرز الخشب ويقطعه وييبسه، فكان ذلك في مائة سنة، ونجرها في مائة سنة أخرى، وأمره الله أن يصنعها من خشب الساج، وأن يجعل طولها ثمانين ذراعًا وعرضها خمسين ذراعًا.

وأن يطلي باطنها وظاهرها بالقار، وكان ارتفاعها في السماء ثلاثين ذراعًا، ثلاث طبقات، كل طبقة عشرة أذرع، فالسفلى للدواب والوحوش، والوسطى للإنس، والعليا للطيور. وكان بابها في عرضها، ولها غطاء من فوقها مطبق عليها.

وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾



أمر الله تعالى نوحًا ﷺ أن يصنع الفلك، فأقبل نوح ﷺ على عمل الفلك وانصرف عن قومه، وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد، ويهيئ عدة الفلك من القار وغيره، وجعل قومه يمرون به وهو في عمله ويسخرون منه، ويقولون يا نوح قد صرت نجارًا بعد النبوة، وكانوا يقولون له يا نوح ماذا تصنع، فيقول أصنع بيتًا يمشي على الماء، فيضحكون منه، ويرد عليهم إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم إذا عاينتم عذاب الله، وسترون عاقبة سخريتكم، وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يهينه، ويجب عليه عذاب دائم.

فلما جاء عذاب الله، ظهر الماء على وجه الأرض، وأوحى الله إلى نوح ﷺ إذا رأيت الماء ظهر على وجه الأرض فاركب السفينة، وأُمر أن يحمل في السفينة من كل شيء زوجين اثنين، وحشر الله إليه السباع والطير، فجعل يضرب بيده في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والأنثى في يده اليسرى، فيحملها في السفينة، وأمر بحمل أهله، من ولده وعياله، إلا من سبق عليه الهلاك، وأمر بحمل من آمن ولم يؤمن به إلا قليل ولم يكن في السفينة إلا ثمانية نفر وقيل سبعة وقيل عشرة سوى نسائهم، وقيل ثمانون رجلًا.

وقال نوح ﷺ للمؤمنين اركبوا في السفينة بسم الله يكون جريها على وجه الماء، وبسم الله يكون منتهى سيرها، وهو رسوها، وهي تجري بهم في موج كالجبال في عظمته وارتفاعه على الماء، ونادى نوح ﷺ ابنه يام، وكان كافرًا، يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين فتهلك، قال سأصير وألتجئ إلى جبل يمنعني من الغرق، فقال له نوح ﷺ لا مانع اليوم من عذاب الله إلا من رحمه الله، وحال بينهما الموج فصار من المغرقين، ثم أمر الله تعالى بعد غرق أهل الأرض إلا أصحاب السفينة، الأرض أن تبلع ماءها الذي نبع منها واجتمع عليها، وأمر السماء أن تقلع عن المطر، وشرع الماء في النقصان، وفُرغ من أهل الأرض قاطبة، ممن كفر بالله، لم يبق منهم أحد، واستوت السفينة بمن فيها، على الجودي وهو جبل بالموصل، استوت عليه شهرًا حتى نزلوا منها، ودعوا على القوم الظالمين بالخسارة والهلاك.

ونادى نوح ﷺ ربه وسأله سؤال استعلام وكشف عن حال ولده الذي غرق، وأنه من أهله الذين قد وعده الله بنجاتهم، ووعده سبحانه الحق الذي لا يخلف فكيف غرق وأنت أحكم الحاكمين، فأخبر أنه ليس من أهله لأن العلاقة التي يتجمع عليها الناس في هذا الدين علاقة فريدة تتميز بها طبيعة هذا الدين، وليست علاقة القوم والعشيرة، وليست علاقة اللون واللغة، وليست علاقة الجنس والعنصر، وإنما يجمع المسلم مع أخيه المسلم العقيدة الصحيحة.

قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾

الرابطة الإيمانية مقدمة على الروابط الأسرية، مقدمة على روابط النسب والمصاهرة والرضاع، ولما سأل نبي الله نوح ﷺ عن ابنه وأنه من أهله كان الجواب له أنه ليس من أهلك؛ لأنه عمل عملًا غير صالح، وهو الكفر، وأهله هم الذين آمنوا به وصدقوه ونصروه، أما زوجته وابنه فقد كفروا برسالته فأبعدوا من أهله.

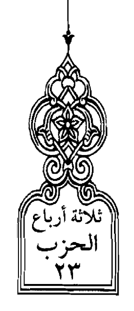
وحين رست السفينة على الجودي، وكتب الله السلامة لأهلها من الغرق، جعل البركة فيهم، فمن ذريتهم كان أهل الأرض، وأمر نوح ﷺ بالنزول في هذه الأرض، والتمتع بما خلق الله في هذه الأرض وتحقيق العبودية لله تعالى، لتكون هذه الأرض موطنًا للأمم بعد نوح، ومنها المصدق بالرسل ومنها المكذب يتمتعون في حياتهم الدنيا ثم مآل الكافرين العذاب والعقاب.

وهذه القصة وأشباهها من أخبار الغيب السالفة أوحاها الله إلى نبيه محمد ﷺ على وجهها، كأنه يشاهدها، لم يكن عنده ولا عند أحد من قومه علم بها، حتى يقول من يكذبه إنه تعلمها منه، بل أخبره الله بها مطابقة لما كان عليه الأمر الصحيح، كما تشهد به كتب الأنبياء قبله، وأمر النبي ﷺ بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه، وأذاهم له، فإن الله ناصره ومؤيده ويحوطه بعنايته، ويجعل العاقبة له ولأتباعه في الدنيا والآخرة.

ولقد أرسل الله إلى عاد أخاهم هودًا نبيًا يأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، وينهاهم عن عبادة الأوثان التي افتروها واختلقوا لها أسماء، وأخبرهم أنه لا يريد منهم أجرة على هذا النصح والبلاغ من الله، إنما يبغي ثوابه على ذلك وأجره من الله الذي فطره، ثم أمرهم بالاستغفار الذي فيه تكفير الذنوب السالفة، وبالتوبة من الأعمال السابقة، ومن اتصف بهذه الصفة يسر الله عليه رزقه، وسهل عليه أمره وحفظ عليه شأنه وقوته؛ ولهذا من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب، فالاستغفار سبب من أسباب القوة والرزق وفتح أبواب الخيرات، ومن أسباب الولد، وتفريج الهموم والغموم، ونزول الأمطار، وأعظم الاستغفار في أوقات الأسحار، وهو جلاء القلوب ودواؤها.

فلما دعاهم هود إلى التوحيد والاستغفار، قالوا يا هود ما جئتنا ببرهان وحجة واضحة على ما تقول، وما نحن بتاركي ديننا من أجل قولك، وما نحن لك بمصدقين، وهذا حال المكذبين الجاحدين.

إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ
وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي
جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا
مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ
﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ
رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ
﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ
مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٨﴾ وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ
رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٥٩﴾ وَأُتۡبِعُواْ
فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا
بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ
يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ
وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ
﴿٦١﴾ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن
نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٦٢﴾



يعتقد المشركون بآلهتهم النفع والضر، ولذلك قالوا لهود ﷺ، ما تغيرك عن ديننا إلا بسبب ما أصابك من آلهتنا فقد أصابتك بخبل وجنون، وذلك أنك لما سَبَبْتَ آلهتنا انتقموا منك بالتخبيل والجنون، فقال لهم هود إني أشهد الله على نفسي، واشهدوا يا قوم أني بريء من الشرك الذي أنتم عليه، فاحتالوا في مكركم، وضري أنتم وأوثانكم، ولا تؤخرون ولا تمهلون، إني اعتمدت على الله ربي وربكم الذي العباد كلهم تحت قهره وقدرته يحييهم ويميتهم، وهو القادر عليهم، لا يظلمهم ولا يعاملهم إلا بالإحسان والعدل، فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بعصيانه، فإن أعرضوا عن عبادة الله ربهم وحده لا شريك له، فقد قامت عليهم الحجة بالبلاغ وحق عليهم الهلاك، ويستبدل بهم قومًا غيرهم أطوع منهم، يوحدون الله ويعبدونه، ولا يضرون الله شيئًا بتوليهم وإعراضهم، إنما يضرون أنفسهم، فالله لكل شيء حافظ، وشاهد لأقوال عباده وأفعالهم ويجزيهم عليها إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًّا فشرًّا، ويحفظ أنبيائه وأوليائه من السوء.

ولكن العناد والاستكبار صدهم عن الحق فأرسل الله عليهم الريح العقيم التي لا تدع شيء إلا جعلته كالرميم فأهلكهم الله عن آخرهم، ونجى من بينهم رسولهم هودًا وأتباعه المؤمنين من عذاب غليظ برحمته تعالى ولطفه.

وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة من الله ومن عباده المؤمنين كلما ذكروا، وينادى عليهم يوم القيامة على رؤوس الأشهاد فقد كفرت عاد بآيات الله ورسله، فإن من كفر بنبي فقد كفر بجميع الأنبياء، فقد تركوا اتباع رسولهم الرشيد، واتبعوا أمر كل جبار عنيد، فأبعدوا عن رحمة الله تعالى وبقيت اللعنة عليهم إلى يوم القيامة.

و بعد عاد أرسل الله إلى ثمود الذين كانوا يسكنون مدائن الحجر بين تبوك والمدينة، فبعث الله منهم أخاهم صالحًا، فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له الخالق الرازق؛ وذكرهم في ابتداء خلقهم من الأرض التي خلق منها أباهم آدم، وجعلهم فيها عمّارًا يعمرونها ويستغلونها، وأمرهم بالتوبة والاستغفار من ذنوبهم، وأمرهم بدعاء الله تعالى فهو سبحانه قريب لمن دعاه.

فقال له قومه: كنا نرجو أن تكون سيدًا فينا، ونرجو أن تعود إلى ديننا، فلما أظهر دعوتهم إلى الله ﷻ وترك الأصنام زعموا أن رجاءهم انقطع عنه، كيف يدعوهم إلى التوحيد وترك الشرك الذي عليه آباؤهم، وأظهروا الشك في دعوته.

قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ﴿٧٠﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾

أرسل الله رسله بالبينات والحجج الواضحة، لتكون دلالة على صدقهم فيما أرسلوا به، فقد شرفهم الله بالنبوة والرسالة، وهم مكلفون بالبلاغ وأداء الرسالة، فأدوا الرسالة وبلغوا البلاغ المبين ولم يستجيبوا لدعوات المثبطين والمخذلين من أقوامهم لعلمهم أن التفريط في أداء الرسالة معصية لله ينالهم به العقاب من الله، ومنهم نبي الله صالح ﷺ قال لقومه من يمنعني من عذاب الله إن تركت تبليغ رسالته وأخذت بقولكم وتركت دعوتكم إلى الحق وعبادة الله وحده، فلو تركته لما نفعتموني ولما زدتموني غير الخسارة.

وطلبوا المعجزة من صالح ﷺ فطلبوا منه أن يخرج ناقة عشراء من هذه الصخرة، وأشاروا إلى صخرة، فدعا صالح ﷺ فخرجت منها ناقة وولدت في الحال ولدًا مثلها، فقال لهم: هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله من العشب والنبات، ولا تصيبوها بعقر، فيأخذكم العذاب إن قتلتموها، فقتلوها فقال صالح ﷺ عيشوا في دياركم ثلاثة أيام ثم تهلكون، ذلك وعد صادق غير كذب، وقال لهم يأتيكم العذاب بعد ثلاثة أيام فتصبحون في اليوم الأول ووجوهكم مصفرة، وفي اليوم الثاني محمرة، وفي اليوم الثالث مسودة، فكان كما قال، وأتاهم العذاب في اليوم الرابع، ونجى الله صالحًا والذين آمنوا معه برحمة من الله من العذاب والهوان، وأخذت الذين كفروا الصيحة، وذلك أن جبريل ﷺ صاح عليهم صيحة واحدة فهلكوا جميعًا، وقيل أتتهم صيحة من السماء فيها صَوَّت، وصوَت كل شيء في الأرض، فتقطعت قلوبهم في صدورهم فأصبحوا في ديارهم صرعى هلكى، كأن لم يقيموا ويكونوا فيها ويعيشوا في هذه الحياة ويتمتعوا، فأبعدهم الله بكفرهم وعنادهم عن رحمته وأحل بهم غضبه وسخطه ونقمته.

وجاءت الملائكة إبراهيم ﷺ بالبشرى بإسحاق، فذهب سريعًا، فأتاهم بالضيافة، وهو عجل مشوي على الحجارة المحماة، فلما رآهم لا يأكلون استنكر حالهم وخاف منهم، وذلك أن الملائكة لا همة لهم إلى الطعام ولا يشتهونه ولا يأكلونه؛ فلما نظرت إليه سارة أنه قد أكرمهم وقامت هي تخدمهم، ضحكت وقالت: عجبًا لأضيافنا هؤلاء، نخدمهم بأنفسنا كرامة لهم، وهم لا يأكلون طعامنا.

فقالوا: لا تخف منا، إنا ملائكة أرسلنا إلى قوم لوط لنهلكهم، فضحكت سارة استبشارًا منها بهلاكهم، لكثرة فسادهم، وغلظ كفرهم وعنادهم، فلهذا جوزيت بالبشارة بالولد بعد الإياس، بإسحاق ومن ولده يعقوب، بولد لها يكون له ولد وعقب ونسل.

قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

لما جاءت إبراهيم ﷺ وزوجته البشرى بالولد تعجبت زوجته كيف تلد وهي عجوز قد بلغت سن الإياس من الحمل وزوجها قد بلغ الكبر والشيخوخة، فقالت الملائكة لها: لا تعجبي من أمر الله، فإنه إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون، فلا تعجبي من هذا، وإن كنت عجوزًا كبيرة عقيمًا، وزوجك الخليل ﷺ وإن كان شيخًا كبيرًا، فإن الله على ما يشاء قدير، فهي رحمة الله أدركت الخليل وبركته سبحانه في ذرية الخليل فهو سبحانه الحميد في جميع أفعاله وأقواله، محمود ممجد في صفاته وذاته؛ ولما ذهب عن إبراهيم ﷺ الروع، وطابت نفسه جادل الملائكة في قوم لوط كيف ينزل عليهم العذاب وفيهم لوط يدفع الله به عنهم العذاب، قالوا: نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله، فسكت عنهم واطمأنت نفسه، وقد جبل الله خليله إبراهيم ﷺ على الصفات الجميلة والخلال الحميدة فهو حليم ليس بعجول في الأمور، ورحيم بعباد الله ورجاع إلى الله، فقالت الملائكة لإبراهيم ﷺ إنه جاء عذاب ربك، فليس بمردود عنهم؛ لأن الله قد قضى به فنفذ فيهم القضاء، وحقت عليهم الكلمة بالهلاك، وحلول البأس الذي لا يرد عن القوم المجرمين، فلما قدمت رسل الله من الملائكة إلى لوط ﷺ وهم في أجمل صورة تكون على هيئة شبان حسان الوجوه، ابتلاء من الله واختبارًا، وله الحكمة والحجة البالغة، فنزلوا عليه فساءه شأنهم وضاقت نفسه بسببهم، وخشي إن لم يضيفهم أن يضيفهم أحد من قومه، فينالهم بسوء، وقال هذا يوم شديد بلاؤه، وقد علم أنه سيدافع قومه عنهم، ويشق عليه ذلك، فخرجت امرأته فأخبرت قومها فقالت: إن في بيت لوط رجالًا ما رأيت مثل وجوههم قط، فجاءوا يسرعون ويهرولون في مشيتهم وكان قصدهم عمل المنكر، فردهم لوط ﷺ وأرشدهم إلى ما أباح الله لهم من نسائهم، فإن النبي للأمة بمنزلة الوالد للرجال والنساء، فأرشدهم إلى ما هو أنفع لهم في الدنيا والآخرة، وأمرهم بترك الحرام، والاقتصار على نسائهم، ولم يكن منهم رجل فيه خير، يقبل ما أمرهم به، ويترك ما نهاهم عنه، وتمنى نبي الله لوط ﷺ لو أن له بهم قوة لنكل بهم وفعل بهم من العذاب والنقمة وإحلال البأس بهم، ورحمة الله على لوط، لقد كان يأوي إلى ركن شديد وهو الله ﷻ، فأخبرته الملائكة أنهم رسل الله إليه، وبشروه أنهم لا وصول إليهم، ولا خلوص، وأمروه أن يسري بأهله من آخر الليل، وأن يكون في آخر أهله، ولا يلتفت منهم أحد، إذا سمعوا ما نزل بهم، ولا يهولهم أصواتهم المزعجة، حين ينزل بهم العذاب، واستثنيت زوجته من أهله؛ لأنها كانت على دين قومها ثم قربوا له هلاك قومه تبشيرًا له؛ فموعدهم الصبح، وقوم لوط وقوف على الباب وعكوف، قد جاءوا يهرعون إليه من كل جانب، ولوط واقف على الباب يدافعهم ويردعهم وينهاهم عما هم فيه، وهم لا يقبلون منه، بل يتوعدونه، فعند ذلك خرج عليهم جبريل ﷺ، فضرب وجوههم بجناحه، فطمس أعينهم، فرجعوا وهم لا يهتدون الطريق.



فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ﴿٨٣﴾ ۞ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

أنزل الله العذاب على قوم لوط عند طلوع الشمس، أخذ جبريل قوم لوط من سرحهم ودورهم، حملهم بمواشيهم وأمتعتهم، ورفعهم حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم، وكانوا أربعة آلاف ألف، ثم قلبهم، فأرسلهم إلى الأرض منكوسين، ودمدم بعضها على بعض، فجعل عاليها سافلها، ثم أتبعها حجارة من سجيل، يتبع بعضها بعضًا في نزولها عليهم، معلمة مختومة، عليها أسماء أصحابها، كل حجر مكتوب عليه اسم الذي ينزل عليه.

وأرسل الله إلى مدين وهم قبيلة من العرب كانوا يسكنون بين الحجاز والشام، قريبًا من بلاد معان، في بلد يقال لها "مدين" أرسل الله إليهم شعيبًا، وكان من أشرفهم نسبًا، يأمرهم بعبادة الله تعالى وحده، وينهاهم عن التطفيف في المكيال والميزان، فقال لهم: إن الله أنعم عليكم في معيشتكم ورزقكم فأخاف أن تسلبوا ما أنتم فيه بانتهاككم محارم الله، وأخاف عليكم عذابًا في الدار الآخرة، فنهاهم أولًا عن نقص المكيال والميزان إذا أعطوا الناس، ثم أمرهم بوفاء الكيل والوزن بالقسط آخذين ومعطين، ونهاهم عن العيث في الأرض بالفساد، وهو قطع الطريق، فرزق الله خير لهم من المكاسب المحرمة من السرقة، وقطع الطريق وبخس المكاييل، وما يفضل لهم من الربح بعد وفاء الكيل والميزان خير من أخذ أموال الناس، ويراقبون الله في جميع أحوالهم.

فقالوا له على سبيل التهكم قبحهم الله: أقرآنك يأمرك أن نترك عبادة الأوثان والأصنام، وأن نترك التطفيف، وندفع الزكاة فيها، وما هي إلا أموالنا نفعل فيها ما نريد، إنك أنت الحليم الرشيد على سبيل الاستهزاء، قبحهم الله، فهم أرادوا السفيه الغاوي، فقال لهم نبي الله شعيب ﷺ: أرأيتم يا قوم إن كنت على بصيرة فيما أدعو إليه، ورزقني النبوة، والرزق الحلال، وما أريد أن أنهاكم عن شيء، وأخالف أنا في السر فأفعله خفية عنكم، إن أريد إلا الإصلاح فيما آمركم وأنهاكم فما أصبت من الحق فمن الله عليه توكلت في جميع أموري، وإليه أرجع، فهو سبحانه إليه المرجع والمآب، وهكذا يكون الداعية إلى الله قدوة في طريق الخير، ولا يخالف فعله قوله، فلا يأمر بالأمر ثم لا يمتثله، بل يكون مقدامًا فيما يدعو إليه من الأعمال، وحين يقوم الداعية بعمله ويخلص في دعوته، قاصدًا في دعوته نفع المسلمين فهو يدعو إلى الله، لا يدعو إلى نفسه، والموفق هو الله تعالى، هو القادر على إنجاح مسعى الداعية في الإصلاح بما يعلم من نيته، وبما يجزي على جهده، فعليه أن يتوكل على الله وحده لا شريك له ولا يعتمد على غيره، ولو سلك الدعاة هذا المسلك في التحرر مما يجر النفع لأنفسهم، فلا يكون لهم حظ من دعواتهم وإنما القصد أن ينتفع الناس بدعوتهم ولو لم ينسب إليهم شيء، لنفع الله بدعوتهم.

وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ
قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم
بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي
رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ
وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ
عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ
ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ
مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ
سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ
كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ
أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾
كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدۡ
أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ
وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ﴿٩٧﴾

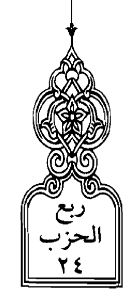
المكذبون للرسل مبغضون لهم وما جاؤا به من الحق، ورد الحق وبغضه سبب من أسباب نزول العذاب، ولذلك قال نبي الله شعيب ﷺ لقومه: لا تحملنكم عداوتي وبغضي على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر والفساد، والتمادي في الضلال والكفر، فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح، أو قوم هود، أو قوم صالح، أو قوم لوط من النقمة والعذاب.

وها هم قوم لوط هلكوا بين أيديكم بالأمس، فاستغفروا الله من سالف الذنوب، وتوبوا فيما تستقبلونه من الأعمال السيئة، إن الله رحيم بمن تاب وأناب، قالوا يا شعيب ما نفهم ولا نعقل كثيرًا من قولك، وفي آذاننا وقر، ومن بيننا وبينك حجاب، وما نراك إلا ذليلًا؛ لأن عشيرتك ليسوا على دينك، ولولا قومك وعشيرتك لرجمناك بالحجارة وما أنت علينا بكريم ولا أحد يمنعنا من قتلك، فقال لهم نبي الله شعيب: أتتركوني لأجل قومي، ولا تتركوني إعظامًا لله أن تنالوا نبيه بأذى، ونبذتم أمر الله خلفكم، لا تطيعونه ولا تعظمونه، إن الله يعلم جميع أعمالكم وسيجزيكم بها، فلما يئس نبي الله شعيب ﷺ من استجابة قومه له قال يا قوم اعملوا على طريقتكم، وهذا تهديد ووعيد شديد، إني عامل على طريقتي ومنهجي وسوف تعلمون من يأتيه العذاب في الدار الآخرة، ومن هو الكاذب وانتظروا العذاب، فإني أرتقب الثواب.

ولما جاء أمر الله ونزل عليهم العذاب نجى الله نبيه شعيبًا ﷺ والذين آمنوا معه برحمة من الله، وأخذت الذين ظلموا الصيحة فصاح بهم جبريل ﷺ صيحة فخرجت أرواحهم، فأصبحوا في ديارهم ميتين هامدين لا حراك بهم، وقد جمع الله عليهم من أنواع العذاب فأصابتهم الرجفة والصيحة وعذاب يوم الظلة، عقابًا على كفرهم وبغيهم.

ويستمر كفر المعاندين، فقد أرسل الله نبيه موسى ﷺ بآياته وبيناته، وحججه ودلائله الباهرة القاطعة إلى فرعون، ملك ديار مصر على أمة القبط، فقد جاءهم بالتوراة، والمعجزات، فاتبعوا مسلك فرعون ومنهجه وطريقته في الغي والضلال، وتركوا دعوة نبيهم ﷺ وبقوا على الجهل والضلال، والكفر والعناد، وهذا مسلك الطغاة في رد الحق ومحاربة أهله من الأنبياء وأتباعهم من المصلحين.

يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾



فرعون قائد الضلالة وإمام الغواية يقدم قومه يوم القيامة إلى نار جهنم، فيوردهم النار، وله فيها الحظ الأوفر من العذاب الأكبر، وبئس المورد أن يوردهم نارًا تلظى لا يصلاها إلا الأشقى، وزيادة على عذاب النار لعنة في هذه الحياة الدنيا، فبئس لعنة الدنيا والآخرة.

وتلك أخبار الأنبياء، وما جرى لهم مع أممهم، قصها الله على نبيه لتكون عبرة وعظة، كيف أهلك الكافرين ونجى المؤمنين فتلك البلاد منها العامر بالطاعة والعبادة، ومنها الهالك الخراب التي نزلت على أهلها العقوبات بكفرهم وعنادهم، وما ظلمهم الله ولكن ظلموا أنفسهم بتكذيبهم الرسل وكفرهم بهم، فما نفعتهم أصنامهم وأوثانهم التي كانوا يعبدونها ويدعونها، لما جاء أمر الله بإهلاكهم، وما زادوهم إلا الخسارة في الدنيا والآخرة، وتلك سنة الله فيمن ظلم وكفر وتجبر، فكما أهلك تلك القرون الظالمة المكذبة للرسل كذلك ينزل العذاب بأمثالهم وأشباههم، لأن الله يملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته، فيأخذه أخذ عزيز مقتدر، ففي ذلك العبرة والعظة لكل مؤمن يخاف الله والدار الآخرة، يخاف اليوم الذي يجمع الله فيه الخلائق من أولهم إلى آخرهم، فلا يبقى منهم أحد، يوم عظيم تحضره الملائكة كلهم، ويجتمع فيه الرسل جميعهم، وتحشر فيه الخلائق بأسرهم، من الإنس والجن والطير والوحوش والدواب، ويحكم فيهم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة، وإن تك حسنة يضاعفها، وقد سبقت كلمة الله وقضاؤه وقدره، في وجود أناس معدودين من ذرية آدم، وضرب مدة معينة إذا انقضت وتكامل وجود أولئك المقدر خروجهم من ذرية آدم، أقام الله الساعة؛ يوم يأتي هذا اليوم وهو يوم القيامة، لا يتكلم أحد إلا بإذن الله تعالى، فينقسمون إلى فريقين شقي وسعيد، فريق في الجنة وفريق في السعير فالأشقياء في النار لهم فيها زفير وشهيق، فالزفير في الحلق، والشهيق في الصدر، فتنفسهم زفير، وأخذهم النفس شهيق، لما هم فيه من العذاب، عياذًا بالله من ذلك، خالدين فيها أبد الآباد، ومن عادة العرب إذا أرادت أن تصف الشيء بالدوام أبدًا قالت: "هذا دائم دوام السموات والأرض"، إلا من شاء الله نجاته من العصاة من أهل التوحيد، ممن يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين، من الملائكة والنبيين والمؤمنين، وأما السعداء أتباع الرسل، فمأواهم الجنة، ماكثين مقيمين فيها أبدًا، ودوامهم فيما هم فيه من النعيم، ليس أمرًا واجبًا بذاته على الله، بل هو موكول إلى مشيئة الله تعالى، فله المنة عليهم دائمًا، ولهذا يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس، وهذا النعيم عطاء من الله غير مقطوع، يقال لهم: يا أهل الجنة، إن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا.

فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ
ءَابَآؤُهُم مِّن قَبۡلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٖ ﴿١٠٩﴾
وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ
سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ
﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلّٗا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمۡ رَبُّكَ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعۡمَلُونَ
خَبِيرٞ ﴿١١١﴾ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ
إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ
فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ
لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ
ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ
﴿١١٤﴾ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوۡلَا
كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ
فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ
رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ﴿١١٧﴾

ما كان عليه المشركون من عبادة الأوثان، دين باطل، فلا يتطرق إلى قلب مؤمن صحة ما هم عليه إنما هم على الباطل والجهل والضلال، فإنهم إنما يعبدون ما يعبد آباؤهم من قبل، ليس لهم مستند فيها هم فيه إلا اتباع الآباء في الجهالات، وسيجزيهم الله على ذلك أتم الجزاء فيعذب كافرهم عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين، وإن كان لهم حسنات فقد وفاهم الله إياها في الدنيا قبل الآخرة، وأنبياء الله تعالى اختلف الناس فيهم فمنهم المصدق ومنهم المكذب، ومن الأنبياء موسى ﷺ فقد آتاه الله الكتاب، فاختلف الناس فيه، فمن مؤمن به، ومن كافر به، ولولا ما تقدم من تأجيل العذاب إلى أجل معلوم، لقضى الله بينهم، وقد جعل الله على نفسه، أن لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه، وإرسال الرسول إليه، والله سبحانه سيجمع الأولين والآخرين من الأمم، ويجزيهم بأعمالهم، إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًّا فشرًّا، وهو سبحانه العليم بأعمالهم جميعها، جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها.

وأمر الله نبيه ﷺ بالاستقامة على الدين، والعمل به، والدعوة إليه كما أمر، ومن آمن معه ولا يتجاوزون أمر الله ولا يعصونه، ولا يغلون فيزيدوا على دين الله ما ليس منه، فهو سبحانه لا يخفى عليه من أعمال عباده شيئًا وهذه الآية هي أشد آية على رسول الله ﷺ فقد قال: "شيبتني هود وأخواتها" وهن الواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت.

والثبات والدوام على الاستقامة، من أكبر العون على النصر على الأعداء، ومداهنة الأعداء ومصانعتهم سبب للفشل والهزيمة ونزول العقاب، فالله ولي المؤمنين هو ناصرهم ومؤيدهم، الذين قاموا بشريعة الله وأدوا الفرائض، وتقربوا إلى الله بالنوافل، وأعظم الفرائض الصلاة المفروضة في أوقاتها المفروضة في الصبح، والظهر، والعصر، والمغرب والعشاء اللتين في ظلمة الليل، فالحسنات وفعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة، فالمسلم يعمل الخير تقربًا إلى الله وتكفيرًا لما يقع فيه من المعاصي، والصلوات الخمس يذهبن الخطايا، ويرفع الله بها الدرجات، وتلك عظة للمؤمنين الذاكرين، الذين يصبرون على الطاعة ويصبرون عن المعصية، فأولئك يوفيهم الله أجورهم ولا يضيع منها شيئًا، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة من فرائض الله، ولو وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير، ينهون عما كان يقع بينهم من الشرور والمنكرات والفساد في الأرض، لأناجهم الله عند حلول العذاب، ولهذا أمر الله تعالى هذه الأمة الشريفة أن يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ومن كتب الله عليه الشقاء فإنه لا يستجيب لداعي الأمر بالمعروف، فيستمر على ما هو فيه من المعاصي والمنكرات، ولم يرجع حتى يفجأه العذاب، والله لا يهلك قرية إلا وهي ظالمة لنفسها ولم يأت قرية مصلحة بأسه وعذابه قط حتى يكونوا هم الظالمين.

وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

سُورَةُ يُوسُفَ

ترتيبها ١٢ — آياتها ١١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾

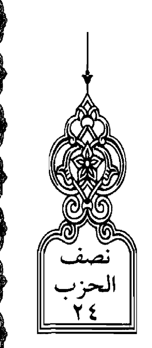
كتب الله الاختلاف بين البشر ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة في الإيمان، ولا يزال الاختلاف بينهم في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم، ولايزالون مختلفين في الرزق، يسخر بعضهم لبعض، إلا المرحومين من أتباع الرسل، الذين تمسكوا بما أمروا به من الدين الذي جاءت به رسل الله إليهم، ولم يزل ذلك دأبهم، حتى كان النبي الأمي خاتم الرسل والأنبياء ﷺ، فاتبعوه وصدقوه، ونصروه، ففازوا بسعادة الدنيا والآخرة؛ لأنهم الفرقة الناجية، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة واحدة، وهم ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، وقد سبق في قضاء الله وقدره، لعلمه التام وحكمته النافذة، أن مِنْ خلْقه من يستحق الجنة، ومنهم من يستحق النار، وأنه لا بد أن يملأ جهنم من هذين الثقلين الجن والإنس، وله الحجة البالغة والحكمة التامة، وكل أخبار الأمم السابقة مما قصها الله على نبيه ﷺ، وأنباء الرسل المتقدمين قبله مع أممهم، وكيف جرى لهم من المحاجات والخصومات، وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى، وكيف نصر الله حزبه المؤمنين وخذل أعداءه الكافرين مما يكون سببًا في تثبيت فؤاد الرسول ﷺ، وهي من الحق والهدى الذي أوحي إلى النبي ﷺ، فالذين كذبوه وكفروا بدعوته سيلقون العذاب الأليم ينتظرهم يوم القيامة فليعملوا على طريقتهم ومنهجهم في التكذيب والعناد والكفر، وليعمل أهل الإيمان على طريقتهم ومنهجهم، وسيعلمون من تكون له عاقبة الدار، إن الله لا يفلح الظالمين، وقد أنجز الله لرسوله وعده، ونصره وأيده، وجعل كلمته هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، والله عزيز حكيم، وهو سبحانه عالم غيب السموات والأرض، وإليه المرجع والمآب، وسيوفى كل عامل عمله يوم الحساب، فله الخلق والأمر، فليتوكل العباد عليه؛ فإنه كاف من توكل عليه وأناب إليه، وهو سبحانه لا يخفى عليه ما عليه المكذبون فهو العليم بأحوالهم وأقوالهم وسيجزيهم على ذلك أتم الجزاء في الدنيا والآخرة.

سورة يوسف

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر قصة يوسف ﷺ فيها

قصة يوسف من أحسن القصص في القرآن، فيها من العبر والدروس، ذلك القرآن العظيم الواضح الجلي، الذي يفصح عن الأشياء المبهمة ويفسرها ويبينها، الذي نزل بلغة العرب التي هي أفصح اللغات وأبينها وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس؛ فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات، على أشرف الرسل، بواسطة أشرف الملائكة، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتدئ إنزاله في أشرف الأزمان، قص الله فيه قصص الأنبياء لتكون عبرة وعظة، فقصة يوسف وأبيه نبي الله يعقوب عليهما السلام، ابتدأت برؤيا يوسف إذ قال لأبيه يعقوب عليهما السلام إني رأيت أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر لي ساجدين، رؤيا تدل على ظهور يوسف وعلوه وارتفاع مكانته على إخوته، وقد وقع تفسيرها بعد أربعين سنة، وقيل: ثمانين سنة، وذلك حين رفع أبويه على العرش، وهو سريره، وإخوته بين يديه.

قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦﴾ ۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾



حين قص يوسف ﷺ على أبيه يعقوب ﷺ ما رأى من هذه الرؤيا، التي تعبيرها خضوع إخوته له وتعظيمهم إياه تعظيمًا زائدًا، بحيث يخرون له ساجدين إجلالًا وإكرامًا واحترامًا، خشي يعقوب ﷺ أن يحدِّث بهذا المنام أحدًا من إخوته فيحسدوه على ذلك، فيبغوا له الغوائل، حسدًا منهم له؛ فنهاه عن أن يقص رؤياه على إخوته فيحتالوا له حيلة يكون فيها هلاكه، ولهذا يشرع للمسلم إذا رأى ما يحب أن يحدث بها من يحب، وإذا رأى ما يكره يتحول إلى جنبه الآخر ويتفل عن يساره ثلاثًا، ويستعيذ بالله من شرها، ولا يحدث بها أحدًا.

وقال نبي الله يعقوب ﷺ لولده يوسف إنه كما اختارك ربك، وأراك هذه الكواكب مع الشمس والقمر ساجدة لك، يختارك ويصطفيك لنبوته، ويعلمك من تعبير الرؤيا، ويتم نعمته عليك بإرسالك والإيحاء إليك؛ كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق والله أعلم حيث يجعل رسالاته.

ولقد كان في قصة يوسف وخبره مع إخوته عبرة ومواعظ للمستخبرين عنه، فإنه خبر عجيب، يستحق أن يستخبر عنه، إذ قالوا: والله ليوسف وأخوه بنيامين وكان شقيقه لأمه أحب إلى أبينا منا ونحن جماعة، فكيف يحب الاثنين أكثر من الجماعة؛ فقد أخطأ أبونا في إيثاره يوسف وأخاه علينا، ولم يقم دليل على نبوة إخوة يوسف، فكان رأيهم أن يزيلوا يوسف من وجه أبيهم، ليخلو لهم وحدهم، إما بأن يقتلوه، أو يلقوه في أرض من الأراضي فيستريحوا منه، ويكونون من بعد ذلك قومًا صالحين، فأضمروا التوبة قبل الذنب، فقال كبيرهم: لا تصلوا في عداوته وبغضه إلى قتله، فصرفهم الله عنه بمقالة كبيرهم وإشارته عليهم بأن يلقوه في أسفل البئر، فيأخذه المارة من المسافرين، فيستريحون بهذا، إن كانوا عازمين على ما يقولون، فلما تواطئوا على أخذه وطرحه في البئر، جاءوا أباهم يعقوب ﷺ فقالوا يا أبانا ما لك لا تأمننا على يوسف، ونحن ناصحون في حفظه وحيطته حتى نردّه إليك، ابعثه إلى الصحراء معنا، نتنعم ونأكل ونشرب ونلهو وننشط، ونحن نحفظه ونحوطه من أجلك.

فقال يعقوب ﷺ إنه يشق علي مفارقته مدة ذهابكم به إلى أن يرجع، وذلك لفرط محبته له، لما يتوسم فيه من الخير العظيم، وشمائل النبوة والكمال في الخَلْق والخُلُق، صلوات الله وسلامه عليه.

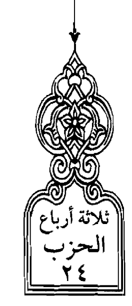
وأخشى أن تشتغلوا عنه برميكم ورعيكم فيأتيه ذئب فيأكله وأنتم لا تشعرون، فأخذوا من فمه هذه الكلمة، وجعلوها عذرهم فيما فعلوه، وقالوا مجيبين عنها لئن عدا عليه الذئب فأكله من بيننا، ونحن جماعة، إنا إذا لهالكون عاجزون.

فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ
إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ
أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ
وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ
بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ
بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ
وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ
وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ
وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ
دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ
أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ
أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ
أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٢﴾

لما ذهب إخوة يوسف به إلى الصحراء، اتفقوا كلهم على إلقائه في أسفل الجب، وقد أخذوه من عند أبيه فيما يظهرونه له إكرامًا له، وبسطًا وشرحًا لصدره، وإدخالًا للسرور عليه، فيقال: إن يعقوب عليه السلام لما بعثه معهم ضمه إليه، وقبله ودعا له، ولم يكن بين إكرامهم له وبين إظهار الأذى له، إلا أن غابوا عن عين أبيه وتواروا عنه، ثم شرعوا يؤذونه بالقول، من شتم ونحوه، والفعل من ضرب ونحوه، ثم جاءوا به بعد ذلك إلى البئر الذي اتفقوا على رميه فيه فربطوه بحبل ودلوه فيه، فجعل إذا لجأ إلى واحد منهم لطمه وشتمه، وإذا تشبث بحافات البئر ضربوا على يديه، ثم قطعوا به الحبل من نصف المسافة، فسقط في الماء فغمره، فصعد إلى صخرة تكون في وسطه، فقام فوقها، ومن لطف الله ورحمته بيوسف وإنزاله اليسر في حال العسر وحيه إلى يوسف في ذلك الحال الضيق، تطييبًا لقلبه، وتثبيتًا له، لا تحزن مما أنت فيه، فإن لك من ذلك فرجًا ومخرجًا حسنًا، وسينصرك الله عليهم، ويعليك ويرفع درجتك، وستخبرهم بما فعلوا معك من هذا الصنيع، ولم يشعر إخوته بإيحاء الله إليه، ثم رجعوا إلى أبيهم في ظلمة الليل يبكون، ويظهرون الأسف والجزع على يوسف عند أبيهم، بعدما ألقوا يوسف في الجب وقالوا معتذرين عما وقع إنا ذهبنا نترامى، وتركنا يوسف عند ثيابنا وأمتعتنا، فأكله الذئب، ونحن نعلم أنك لن تصدقنا، ولو كنا عندك صادقين، فكيف خشيت أن يأكله الذئب، فأكله الذئب؟ فأنت معذور في تكذيبك لنا؛ لغرابة ما وقع، وعجيب ما اتفق لنا في أمرنا هذا، وجاءوا على قميصه بدم مكذوب مفترى، وهذا من الأفعال التي يؤكدون بها ما تمالئوا عليه من المكيدة، وهو أنهم عمدوا إلى سخلة فذبحوها، ولطخوا ثوب يوسف بدمها، موهمين أن هذا قميصه الذي أكله فيه الذئب، وقد أصابه من دمه، ولكنهم نسوا أن يخرقوه، فلهذا لم يصدق نبي الله يعقوب عليه السلام، بل قال لهم: بل زينت لكم أنفسكم المكر والخديعة والعدوان على أخيكم، ولكن سأصبر صبرًا جميلا لا شكوى فيه لأحد إلا لله، على هذا الأمر الذي قد اتفقتم عليه، حتى يفرجه الله بعونه ولطفه، وأستعين بالله على الصبر، على ما تكذبون، فمكث يوسف عليه السلام حين ألقاه إخوته في البئر ثلاثة أيام فريدًا وحيدًا، فجاء قوم من المسافرين، فنزلوا قريبًا من البئر، وأرسلوا الذي يتطلب لهم الماء فلما جاء البئر، وأدلى دلوه فيها، تشبث يوسف عليه السلام فيها، فأخرجه واستبشر به، وأسر إخوة يوسف شأنه، وكتموا أن يكون أخاهم وكتم يوسف شأنه مخافة أن يقتله إخوته، واختار البيع، فباعه إخوته على القوم بثمن قليل، وكانوا فيه من الزاهدين فلم يغالوا في ثمنه، ومن لطف الله بيوسف عليه السلام أن قيض له الذي اشتراه من مصر، وهو عزيز مصر وهو الوزير، حيث اعتنى به وأكرمه، وتوسم فيه الخير والفلاح، فقال لامرأته: أكرمي منزله ومقامه، وأكرميه في المطعم والملبس، عسى أن ينفعنا بالربح إن أردنا البيع، أو يكفينا إذا بلغ بعض أمورنا، أو نتبناه.

وكان ذلك سببًا في تمكين يوسف عليه السلام في بلاد مصر، وعلمه ربه تعبير الرؤيا، والله إذا أراد شيئًا فلا يرد ولا يمانع ولا يخالف، بل هو الغالب لما سواه، ولكن أكثر الناس لا يدرون حكمته في خلقه، وتلطفه لما يريد.

وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ
وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ
إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا
لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ
وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا
ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ
قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ
أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ
أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ
ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ
مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ
هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ
﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا
عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾



ولما بلغ يوسف عليه السلام أشده واستكمل عقله وتم خلقه، آتاه الله النبوة؛ لأنه كان محسنًا في عمله، عاملًا بطاعة ربه تعالى، وذلك حين بلغ أربعين سنة، وأما امرأة العزيز التي كان يوسف في بيتها بمصر، وقد أوصاها زوجها به وبإكرامه حاولت إغراءه فدعته إلى الفاحشة، وذلك أنها أحبته حبًا شديدًا لجماله وحسنه وبهائه، فحملها ذلك على أن تجملت له، وغلقت عليه الأبواب، ودعته إلى نفسها، فامتنع من ذلك أشد الامتناع، وقال أعوذ بالله وأعتصم بالله مما دعوتني إليه إن بعلك ربي أحسن منزلي وأحسن إلي، فلا أقابله بالفاحشة في أهله، فإن فعلت هذا فخنته في أهله بعد ما أكرم منزلي فأنا ظالم، ولا يفلح الظالمون، ولقد همت به ودعته إلى نفسها، وأما يوسف عليه السلام فإنه لم يقع منه هم بها ألبتة، لما في قلبه من البرهان، والبرهان علِم ما أحل الله مما حرّم الله، فرأى تحريم الزنا، فلو لم يكن في قلبه ذلك العلم لهمَّ بها، ولكن الله عصمه بالعلم بما حرم الله، ووقاه الله بالعلم من السوء والفحشاء في جميع أموره، فكان من عباد الله المجتبين المطهرين المختارين المصطفين الأخيار، صلوات الله وسلامه عليه، وهرب يوسف عليه السلام إلى الباب، والمرأة تطلبه ليرجع إلى البيت، فلحقته في أثناء ذلك، فأمسكت بقميصه من ورائه فقطعته وهي في إثره، فوجدا زوجها، فعند ذلك خرجت مما هي فيه بمكرها وكيدها، وقالت لزوجها متنصلة وقاذفة يوسف بدائها: ما جزاء من أراد بأهلك الفاحشة، إلا أن يحبس، أو يضرب ضربًا شديدًا موجعًا، فعند ذلك انتصر يوسف عليه السلام بالحق، وتبرأ مما رمته به من الخيانة، وقال بارًّا صادقًا، هي طلبت مني الفاحشة فأبيت وفررت، واتبعتني حتى قطعت قميصي، وشهد شاهد من أهلها وهو صبي صغير في بيتها أنطقه الله فقال إن كان قميصه قطع من قدامه فصدقت في قولها إنه أرادها على نفسها، وإن كان قميصه قطع من دبر فكذبت وهو من الصادقين، لأنه لما هرب منها، وطلبته أمسكت بقميصه من ورائه لترده إليها، فقطعت قميصه من ورائه، فلما رأى العزيز صدق يوسف عليه السلام، وكذبها فيما قذفته ورمته به، قال إن هذا البهت والكذب الذي لطخت عرض هذا الشاب به من جملة كيد النساء، إن كيد النساء عظيم.

ثم أمر يوسف عليه السلام بكتمان ما وقع، فلا يذكره لأحد، وأمر امرأته بالاستغفار، لأنها كانت من الخاطئين.

وشاع في مصر، خبر امرأة العزيز حتى تحدث الناس به، وقال نسوة الأمراء والكبراء: امرأة العزيز، تحاول غلامها عن نفسه، وتدعوه إلى نفسها، قد وصل حبه إلى غلاف قلبها، فهي في ضلال الحب والشهوة تهيم.

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾

لما سمعت امرأة العزيز بقول النساء، دعتهن إلى منزلها لتضيفهن، وأعدت لهن مجلسًا فيه مفارش ومخاد وطعام، فيه ما يقطع بالسكاكين وأعطت كل واحدة منهن سكينًا، وكان هذا مكيدة منها، وقالت ليوسف اخرج عليهن فلما خرج ورأينه أعظمن شأنه، وأجللن قدره؛ وجعلن يقطعن أيديهن دهشا برؤيته، وهن يظنن أنهن يقطعن الأترج بالسكاكين، فقلن حاش لله ما هذا بشرًا إن هذا إلا ملك كريم، ثم قلن لها وما نرى عليك من لوم بعد الذي رأينا، لأنهن لم يرين في البشر شبهه ولا قريبًا منه، فإنه صلوات الله وسلامه عليه، قد أعطي شطر الحسن، فقالت: فذلكن الذي لمتنني فيه، فهو حقيق بأن يحب لجماله وكماله، ولما رأين جماله الظاهر، أخبرتهن بصفاته الحسنة التي تخفى عنهن، وهي العفة مع هذا الجمال، ثم قالت تتوعد: ولئن لم يفعل ما آمره من الفاحشة ليسجنن وليكونن من الصاغرين، فعند ذلك استعاذ يوسف ﷺ من شرهن وكيدهن، وقال: رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه من الفاحشة، وإن وكلتني إلى نفسي، فليس لي من نفسي قدرة، ولا أملك لها ضرًّا ولا نفعًا إلا بحولك وقوتك، أنت المستعان وعليك التكلان، فلا تكلني إلى نفسي، وذلك أن يوسف ﷺ عصمه الله عصمة عظيمة، وحماه فامتنع منها أشد الامتناع، واختار السجن على ذلك، وهذا في غاية مقامات الكمال، مع شبابه وجماله وكماله تدعوه سيدته، وهي امرأة عزيز مصر، وهي مع هذا في غاية الجمال والمال، والرياسة ويمتنع من ذلك، ويختار السجن على ذلك، خوفًا من الله ورجاء ثوابه، ثم ظهر لهم من المصلحة فيما رأوه أنهم يسجنونه إلى مدة، وذلك بعدما عرفوا براءته، وظهرت الأدلة على صدقه في عفته ونزاهته، فسجنوه لئلا يشيع ما كان منها في حقه، ويبرأ عرضه فيفضحها، ودخل السجن واشتهر في السجن بالجود والأمانة وصدق الحديث، وحسن السمت وكثرة العبادة، صلوات الله عليه وسلامه، ومعرفة التعبير والإحسان إلى أهل السجن وعيادة مرضاهم والقيام بحقوقهم، ودخل معه السجن فتيان فأحباه حبًا شديدًا، وقد رأيا رؤيا توسما في يوسف ﷺ تفسيرها، فقال الأول: رأيت فيما يرى النائم أني غرست حبة من عنب، فنبتت، فخرج منها عناقيد، فعصرتهن ثم سقيتهن الملك، قال: تمكث في السجن ثلاثة أيام، ثم تخرج فتسقيه خمرًا، وقال الآخر: إني أراني أحمل فوق رأسي خبزًا تأكل الطير منه، فقال يوسف ﷺ لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما، وهذا من تعليم الله لي؛ لأني اجتنبت ملة الكافرين بالله واليوم الآخر، الذين لا يرجون ثوابًا ولا عقابًا في المعاد، فهجرت طريق الكفر والشرك، وسلكت طريق هؤلاء المرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فمن كانت تلك حاله فإن الله يهدي قلبه ويعلمه ما لم يكن يعلمه، ويجعله إمامًا يقتدى به في الخير، وداعيًا إلى سبيل الرشاد.

وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴿٤٣﴾

حمل نبي الله تعالى هم الدعوة إلى التوحيد وهو في السجن، وبيَّن ما كان عليه من الاعتقاد الصحيح الذي عليه آباؤه من الأنبياء، وبيّن أن التوحيد وهو الإقرار بأنه الله لا إله إلا هو وحده لا شريك له، وهذا مما أنعم الله به عليه وعلى آبائه، فهو فضل الله على جميع الناس، ولكن أكثر الناس لا يعرفون نعمة الله عليهم بإرسال الرسل إليهم، ثم إن يوسف ﷺ أقبل على الفتيين بالدعوة لهما إلى عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما سواه من الأوثان التي يعبدها قومهما، ثم بين لهما أن التي يعبدونها ويسمونها آلهة، إنما هو جهل منهم، وتسمية من تلقاء أنفسهم، تلقاها خلفهم عن سلفهم، وليس لذلك مستند من عند الله؛ ولا حجة ولا برهان.

ثم أخبرهم أن الحكم والتصرف والمشيئة والملك كله لله، وقد أمر عباده قاطبة ألا يعبدوا إلا إياه، وهو الدين القيم الذي أدعوكم إليه من توحيد الله، وإخلاص العمل له، وهو الدين المستقيم، الذي أمر الله به وأنزل به الحجة والبرهان الذي يحبه ويرضاه، ولكن أكثر الناس مشركون، ولما فرغ من دعوتهما، شرع في تعبير رؤياهما، أما الأول: فسيسقي سيده خمرًا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه، ثم أعلمهما أن هذا قد فرغ منه، وهو واقع لا محالة؛ لأن الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر، فإذا عبرت وقعت، وقال للناجي منهما اذكر قصتي عند ربك وهو الملك، فنسي ذلك الموصى أن يذكر مولاه بذلك، وكان من جملة مكايد الشيطان، لئلا يخرج نبي الله من السجن، وبقي في السجن سبع سنين، وكان مما قدر الله تعالى الرؤيا التي رآها ملك مصر، فكانت سببًا لخروج يوسف ﷺ من السجن معززًا مكرمًا، وذلك أن الملك رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات، فهالته الرؤيا وتعجب من أمرها، وما يكون تفسيرها، فجمع الكهنة وكبراء دولته وأمراءه وقص عليهم ما رأى، وسألهم عن تأويلها، فلم يعرفوا ذلك، وحقيقة الرؤيا أنها أمثال مضروبة يضربها الملك الذي قد وكله الله بالرؤيا ليستدل الرائي بما ضرب له من المثل على نظيره، ويعبر منه إلى شبهه، والرؤيا من المبشرات للمؤمن، وتكاد رؤيا المؤمن آخر الزمان لا تكذب، وأصدق الناس رؤيا أصدقهم حديثًا، ومن أراد أن تصدق رؤياه فليتحر الصدق وأكل الحلال والمحافظة على الأوامر والنواهي، ولينم على طهارة كاملة، مستقبل القبلة، ويذكر الله حتى تغلبه عينه، فإن رؤياه لا تكذب البتة، وما يراه النائم على ثلاثة أنواع: رؤى، وهي أصدق ما يراه النائم في نومه، وتمتاز بوضوح الرموز، وسهولة التعبير، وما يراه من الأحلام، وهي ما يراه من تلاعُبِ الشيطان بالإنسان، وما يراه النائم من صورٍ ومواقفَ غلبتْ على فكره حالَ اليقظة، كأمنيَّةٍ يتمنَّاها، وهي حديث النفس.

قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾

لما طلب ملك مصر تأويل الرؤيا من الكهنة وكبراء دولته وأمرائه، اعتذروا إليه بأنها أضغاث أحلام وهي أخلاط أحلام مشتبهة، وأهاويل، ولو كانت رؤيا صحيحة ما كان لنا معرفة بتعبيرها، فعند ذلك تذكر الذي نجا من السجن والعقوبة يوسف ﷺ، وكان الشيطان قد أنساه ما وصاه به يوسف، من ذكر أمره للملك، فعند ذلك تذكر بعد مدة، فقال للملك والذين جمعهم لذلك أنا أنبئكم بتأويل هذا المنام، فابعثوني إلى يوسف الصديق في السجن، فجاء إلى يوسف ﷺ فقال: يوسف أيها الصديق أفتنا وذكر المنام الذي رآه الملك، فعند ذلك ذكر له يوسف ﷺ تعبيرها من غير تعنيف لذلك الفتى في نسيان ما وصاه به، ومن غير اشتراط للخروج قبل ذلك، بل قال يأتيكم الخصب والمطر سبع سنين متواليات، ففسر البقر بالسنين؛ لأنها تثير الأرض التي تستغل منها الثمرات والزروع، وهن السنبلات الخضر، ثم أرشدهم إلى ما يعتمدونه في تلك السنين فقال مهما زرعتم في هذه السبع السنين الخصب فاخزنوه في سنبله، ليكون أبقى له وأبعد عن إسراع الفساد إليه، إلا المقدار الذي تأكلونه، وليكن قليلًا قليلًا لا تسرفوا فيه، لتنتفعوا في السبع الشداد، وهن السبع السنين التي تعقب هذه السبع المتواليات، وهن البقرات العجاف اللاتي يأكلن السمان؛ لأن سني الجدب يؤكل فيها ما جمعوه في سني الخصب، وهن السنبلات اليابسات، وأخبرهم أنهن لا ينبتن شيئًا، وما بذروه فلا يرجعون منه إلى شيء ثم بشرهم بعد الجدب العام المتوالي بأنه يعقبهم الغيث، وتغل البلاد، ويعصر الناس ما كانوا يعصرون على عادتهم، من زيت ونحوه، وسكر ونحوه، فلما رجعوا إلى الملك بتعبير رؤياه، التي كان رآها، بما أعجبه، فعرف فضل يوسف ﷺ وعلمه وحسن اطلاعه على رؤياه وحسن أخلاقه على من ببلده من رعاياه، فقال: أخرجوه من السجن وأحضروه، فلما جاءه الرسول بذلك امتنع من الخروج حتى يتحقق الملك ورعيته براءة ساحته، ونزاهة عرضه، مما نسب إليه من جهة امرأة العزيز، وأن هذا السجن لم يكن على أمر يقتضيه، بل كان ظلمًا وعدوانًا، فجمع الملك النسوة اللاتي قطعن أيديهن عند امرأة العزيز، فقال مخاطبًا لهن كلهن: ما شأنكن إذ راودتن يوسف عن نفسه فقالت النسوة جوابًا للملك: حاش لله أن يكون يوسف متهمًا، والله ما علمنا عليه من سوء.

فعند ذلك قالت امرأة العزيز: الآن تبين الحق وظهر وبرز، أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين، ليعلم زوجي أني لم أخنه في نفس الأمر، ولا وقع المحذور الأكبر، وإنما راودت هذا الشاب مراودة، فامتنع؛ فلهذا اعترفت ليعلم أني بريئة، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين.

۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ
رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ
لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤ قَالَ
ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥ وَكَذَٰلِكَ
مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ
بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ وَلَأَجۡرُ
ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٥٧ وَجَآءَ إِخۡوَةُ
يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٥٨ وَلَمَّا
جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ
أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ٥٩ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا
كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ٦٠ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ
وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ٦١ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ
لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ
٦٢ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ
فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٦٣

ظهرت براءة نبي الله يوسف ﷺ، وشهدت النساء ببراءته وقالت امرأة العزيز: ما أبرئ نفسي فإن النفس تتحدث وتتمنى، وتأمر بالسوء، إلا من عصمه الله تعالى، والله غفور رحيم بمن تاب وأناب، ولما تحقق عند الملك براءة يوسف ﷺ، ونزاهة عرضه مما نسب إليه، قال: ائتوني به أجعله من خاصتي وأهل مشورتي، فلما خاطبه الملك وعرفه، ورأى فضله وبراعته، وعلم ما هو عليه من خَلْق وخُلق وكمال قال له الملك: إنك اليوم عندنا ذا مكانة وأمانة، فقال يوسف ﷺ: اجعلني حفيظًا على خزائن الأرض فإني خازن أمين ذو علم وبصر بما أتولاه، ويجوز للرجل مدح نفسه، وذلك إذا جهل أمره للحاجة، وسأل العمل لعلمه بقدرته عليه، ولما في ذلك من المصالح للناس، وإنما سأل أن يجعل على خزائن الأرض، وهي الأماكن التي تجمع فيها الغلات، لما يستقبلونه من السنين التي أخبرهم بشأنها، ليتصرف لهم على الوجه الأحوط والأصلح والأرشد، فأجيب إلى ذلك رغبة فيه، وتكرمة له؛ ومكن الله له في أرض مصر يتخذ منها منزلًا حيث يشاء بعد الضيق والحبس والأسر وما أضاع الله صبر يوسف على أذى إخوته، وصبره على الحبس بسبب امرأة العزيز؛ فأعقبه الله ﷻ السلامة والنصر والتأييد، وما يدخره الله لنبيه يوسف ﷺ في الدار الآخرة أعظم وأكثر وأجل مما خوله من التصرف والنفوذ في الدنيا، فولاه مَلِك مصر الوزارة في بلاد مصر، وأسلم الملك على يدي يوسف ﷺ، ولما باشر الوزارة بمصر، ومضت سبع السنين المخصبة، ثم تلتها سنين الجدب، وعم القحط بلاد مصر بكمالها، ووصل إلى بلاد كنعان، وهي التي فيها يعقوب ﷺ، وأولاده، وحينئذ احتاط يوسف ﷺ للناس في غلاتهم، وجمعها أحسن جمع، فحصل من ذلك مبلغ عظيم، وخزائن متعددة هائلة، وورد عليه الناس من سائر الأقاليم، يتزودن من القمح لأنفسهم وعيالهم، فكان لا يعطى الرجل أكثر من حمل بعير في السنة، وكان ﷺ لا يشبع نفسه ولا يأكل هو والملك وجنودهما إلا أكلة واحدة في وسط النهار، حتى يتكفى الناس بما في أيديهم مدة سبع سنين، وكان رحمة من الله على أهل مصر، فقدم إخوة يوسف بلاد مصر لأخذ القمح، عن أمر أبيهم لهم في ذلك، فإنه بلغهم أن عزيز مصر يعطي الناس الطعام بثمنه، فأخذوا معهم بضاعة يعتاضون بها طعامًا، وركبوا عشرة نفر، واحتبس يعقوب ﷺ، عنده بنيامين شقيق يوسف عليهما السلام، وكان أحب ولده إليه بعد يوسف، فلما دخلوا على يوسف، وهو جالس في أبهته ورياسته وسيادته، عرفهم حين نظر إليهم، وهم لا يعرفونه؛ لأنهم فارقوه وهو صغير حدث فباعوه للسيارة، ولم يدروا أين ذهبوا به، ولا كانوا يستشعرون في أنفسهم أن يصير إلى ما صار إليه، فلهذا لم يعرفوه، وأما هو فعرفهم، ولما وفاهم كيلهم، وحمل لهم أحمالهم قال: ائتوني بأخ لكم من أبيكم، ألا ترون أني أتم الكيل، ولا أبخس الناس شيئًا، وأزيدكم حمل بعير لأجل أخيكم، وأكرم منزلتكم وأحسن إليكم، وأنا خير المضيفين، وكان قد أحسن ضيافتهم، فرغبهم في الرجوع إليه، ثم رهبهم فقال: إن لم تقدموا به معكم في المرة الثانية، فليس لكم عندي ميرة، قالوا سنطلب من أبينا ونسأله أن يرسله معنا، وسنحرص على مجيئه إليك بكل ممكن، وقال لغلمانه: اجعلوا بضاعتهم التي قدموا بها ليأخذوا عوضًا عنها في أمتعتهم من حيث لا يشعرون، فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا: يا أبانا منع منا الكيل بعد هذه المرة، إن لم ترسل معنا أخانا بنيامين، فأرسله معنا نكتل، ولا تخف عليه فإنه سيرجع إليك، نحفظه ونرعاه.

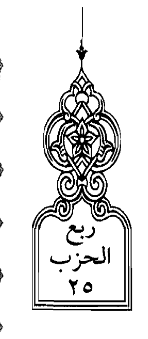
قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

لما طلب إخوة يوسف من أبيهم أن يرسل معهم بنيامين، قال لهم هل أنتم صانعون به إلا كما صنعتم بأخيه من قبل؟ تغيبونه عني، وتحولون بيني وبينه، والله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين بي، سيرحم كبري وضعفي، وأرجو من الله أن يرده علي، ويجمع شملي به، إنه أرحم الراحمين، ولما فتح إخوة يوسف متاعهم، وجدوا بضاعتهم ردت إليهم، وهي التي كان أمر يوسف فتيانه بوضعها في رحالهم، فلما وجدوها في متاعهم، قالوا يا أبانا ماذا نريد؟ فهذا الإحسان والإكرام، أوفى لنا الكيل ورد علينا الثمن، وأرادوا تطييب نفس أبيهم، وإذا أرسلت أخانا معنا نأتي بالميرة إلى أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير، لأن لكل رجل حمل بعير، فما نحمله قليل لا يكفي لحاجتنا فنزداد بحمل أخينا، قال: لن أرسله معكم حتى تحلفون بالعهود والمواثيق لتأتنني به إلا أن تغلبوا كلكم ولا تقدرون على تخليصه، فلما أكد العهد عليهم قال: والله على ما نقول شاهد وحافظ، فلما جهز يعقوب ﷺ بنيه مع أخيهم بنيامين إلى مصر، أمرهم ألا يدخلوا كلهم من باب واحد، وليدخلوا من أبواب متفرقة، فقد خشي عليهم العين، وذلك أنهم كانوا ذوي جمال وهيئة حسنة، ومنظر وبهاء، فخشي عليهم أن يصيبهم الناس بعيونهم؛ فإن العين حق، ثم فوض أمره إلى الله وأن هذا الاحتراز لا يرد قدر الله وقضائه؛ فإن الله إذا أراد شيئًا لا يخالف ولا يمانع، وإن يعقوب ﷺ ذو علم لما علمه الله، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ما يعلم يعقوب؛ لأنهم لم يسلكوا طريق إصابة العلم، فلما قدموا على يوسف ومعهم أخوه شقيقه بنيامين، فأدخلهم دار كرامته ومنزل ضيافته، وأفاض عليهم الصلة والإحسان، واختلى بأخيه فأطلعه على شأنه، وما جرى له، وعرفه أنه أخوه، وقال له: لا تأسف على ما صنعوا بي، وأمره بكتمان ذلك عنهم، وألا يطلعهم على ما أطلعه عليه من أنه أخوه، وتواطأ معه أنه سيحتال على أن يبقيه عنده معززا مكرمًا معظمًا.

وكان نبي الله يعقوب ﷺ في حاله يتوكل على الله في كل أحيانه، فكان ذلك سببًا في تخفيف المصيبة عليه، ولطف الله به، وكان من كمال شفقته ورحمته ببنيه أن خاف عليهم العين، فأمرهم بالاحتراز منه بأخذ الأسباب، وهذا من المشروع للمسلم، ومن كمال خلق يوسف ﷺ استقباله لإخوته وإحسانه إليهم وقيامه بأمرهم مع ما قاموا به من الأذى له ومحاولة قتله، وكانت من حكمة أحكم الحاكمين أن لا يظهر أمره لهم في أول الأمر ليعظم البلاء على نبي الله يعقوب ﷺ بفقد ولديه، فتعظم رغبته بربه وتعلقه بالله تعالى.

ولتظهر مكانة يوسف ﷺ عند إخوته وما آثره الله به عليهم من العز والتمكين والظهور في الأرض، حتى قصده الناس من كل مكان، فالذي أخرجه من البئر وخلصه من السجن أعزه ومكنه على غيره، والابتلاء سنة قائمة، فأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل.

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾



لما جهز يوسف ﷺ إخوته، وحمل لهم إبلهم بالطعام، أمر بعض فتيانه أن يضع "السقاية"، وهي: إناء من فضة كان يشرب فيه، ويكيل للناس به، فوضعها في متاع بنيامين من حيث لا يشعر أحد، ثم نادى مناد بينهم أيتها القافلة التي فيها الأحمال إنكم لسارقون. فالتفتوا إلى المنادي وقالوا ماذا تفقدون؟ قالوا: نفقد صاع الملك الذي يكيل به، ولمن جاء بالصاع حمل بعير من القمح مضمون له ومكفول. فلما اتهمهم الفتيان بالسرقة، قال إخوة يوسف لقد تحققتم وعلمتم منذ عرفتمونا -لأنهم شاهدوا منهم سيرة حسنة- أنا ما جئنا للفساد في الأرض، و ليست سجايانا السرقة، فقال لهم الفتيان فما جزاء السارق، إن كان فيكم وما عقوبته إن وجدنا فيكم من أخذه؟ قالوا: جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه. وكانت شريعة إبراهيم أن السارق يدفع إلى المسروق منه، وهذا هو الذي أراد يوسف ﷺ؛ ولهذا بدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه، ففتشها قبله تورية، ثم استخرجها من وعاء أخيه، فأخذه منهم بحكم اعترافهم والتزامهم وإلزامًا لهم بما يعتقدونه، وهذا من الكيد المحبوب الذي يحبه الله ويرضاه، لما فيه من الحكمة والمصلحة المطلوبة.

و لم يكن له أخذه في حكم ملك مصر، وكان حكم ملك مصر أن يضرب السارق ويغرم ضعفي قيمة المسروق، فأراد يوسف أن يحبس أخاه عنده، فرد الحكم إليهم ليتمكن من حبسه عنده على حكمهم.

وإنما قيض الله له أن التزم له إخوته بما التزموه، وهو كان يعلم ذلك من شريعتهم؛ فرفعه الله بالعلم، فيرفع الله بالعلم عباده المؤمنين، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، والعلماء هم ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم، ومهما بلغ الإنسان من العلم فإنه لا يصل إلى نهايته.

وفوق كل ذي علم عليم فليس عالم إلا فوقه عالم، حتى ينتهي إلى الله ﷻ.

و لما رأى إخوة يوسف الصواع قد أخرج من متاع بنيامين قالوا: إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل يقصدون يوسف ﷺ، كذبًا على يوسف وتبرئة لأنفسهم، فأسّر يوسف الجواب عليهم بأنهم هم أشر صنيعًا من يوسف لما قدموا عليه من ظلم أخيهم وعقوق أبيهم، لأنه لم يكن من يوسف سرقة حقيقية، وخيانتهم حقيقة، والله أعلم بما يقولون.

فلما تعين أخذ بنيامين وتقرر تركه عند يوسف بمقتضى اعترافهم، شرعوا يترققون له ويعطفونه عليهم، فقالوا يا أيها العزيز إن له أبًا شيخًا كبيرًا يحبه حبًا شديدًا ويتسلى به عن ولده الذي فقده، فخذ أحدنا بدله، يكون عندك عوضًا عنه، إنا نراك من العادلين المنصفين القابلين للخير، وتلك شهادة من إخوة يوسف له بالعدل والإحسان والإنصاف.

قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ
إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ
قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم
مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ
ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ
﴿٨٠﴾ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ
وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ
﴿٨١﴾ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ
وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ
فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ
يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٨٤﴾
قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا
أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي
وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾

لما طلب إخوة يوسف ﷺ من يوسف أن يأخذ أحدهم مكانه، قال: أعوذ بالله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده، لو أخذناه أخذنا بريئًا بمجرم، فلما يئسوا من تخليص أخيهم بنيامين، الذي قد التزموا لأبيهم برده إليه، وعاهدوه على ذلك، فامتنع عليهم ذلك، انفردوا عن الناس يتناجون فيما بينهم، قال كبيرهم: وهو الذي أشار عليهم بإلقائه في البئر عندما هموا بقتله، ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقًا من الله لتردنه إليه، فقد رأيتم كيف تعذر عليكم ذلك مع ما تقدم لكم من إضاعة يوسف عنه، فلن أفارق هذه البلدة، حتى يأذن لي أبي في الرجوع إليه راضيًا عني، أو يحكم الله لي بأن يمكنني من أخذ أخي، ثم أمرهم أن يخبروا أباهم بصورة ما وقع، حتى يكون عذرًا لهم عنده ويتنصلوا إليه، ويبرؤوا مما وقع بقولهم، وأن يخبروا أباهم بسرقة بنيامين وليقولوا ما قلنا هذا إلا بما علمنا، فإنا رأينا إخراج الصاع من متاعه، وما كنا نعلم أن ابنك سيسرق ويصير أمرنا إلى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا إليه، وإنما قلنا نحفظ أخانا مما لنا إلى حفظه منه سبيل، واسأل القرية التي كنا فيها وهي مصر، والقافلة التي رافقناها، عن صدقنا وأمانتنا وحفظنا وحراستنا، وإنا لصادقون فيما أخبرناك به، من أنه سرق وأخذوه بسرقته، فقال لهم: كما قال لهم حين جاءوا على قميص يوسف بدم كذب بل سولت لكم أنفسكم أمرًا فصبر جميل، فلم يصدقهم لكذبهم في قصتهم مع يوسف، وظن أنهم دبروا له مكيدة لإخفائه عن وجه أبيه، ثم رجى من الله أن يرد عليه أولاده الثلاثة يوسف وأخاه بنيامين، وكبيرهم الذي أقام بديار مصر، فهو سبحانه العليم بحزنه ووجده على فقدهم، وهو الحكيم في تدبير خلقه، فتتام حزنه وبلغ جهده، وتهيج حزنه على يوسف فأعرض عنهم، وقال: يا حزناه، على يوسف، وعمي بصره من الحزن وهو مكظوم مملوء من الحزن ممسك عليه لا يبثه. وكان بين خروج يوسف من حجر أبيه إلى يوم التقى معه ثمانون عاما، لا تجف عينا يعقوب وما على وجه الأرض يومئذ أكرم على الله من يعقوب ﷺ، فقالوا له لا تفارق تذكر يوسف حتى تكون ضعيف الجسم، وضعيف القوة، فإن استمر بك هذا الحال خشينا عليك الهلاك والتلف. قال إنما أشكو همي وما أنا فيه إلى الله وحده، وأرجو منه كل خير، فكان يعقوب ﷺ يرجو من الله ما لا يرجو الناس، ويعلم من لطف الله ورحمته بعباده ما لا يعلمه الناس، وكان يرجو لقاء يوسف، وتحقق رؤياه التي رآها، فكان ينتظر الفرج من الله، ولا يشتكي إلى أحد من الخلق بل كان يكتم ما في نفسه من الحزن والهم والغم، حتى ظهر أثر ذلك على جسده الهزيل، وابيضت عيناه من الحزن فلم يبصر بهما، وهذه حالة الأنبياء في الابتلاء، فمع الابتلاء يتفاءلون بالفرج، ويعلمون أن الفرج مع الكرب، وأن بعد العسر يسرا، والفأل عند وقوع الابتلاء من أسباب الفرج وهون الابتلاء، وثبوت الأجر، وأما اليأس والقنوط والجزع فهو من أسباب زيادة البلاء ونزول العقوبة.

يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

كان الفأل يحدو بيعقوب ﷺ في لقاء أبنائه فقال لبنيه اذهبوا واضربوا في الأرض واطلبوا الخبر عن يوسف وأخيه ولا تقنطوا من رحمة الله، ومن فرج الله، ولا تقطعوا رجاءكم وأملكم من الله فيما ترومونه وتقصدونه، فإنه لا يقطع الرجاء، ويقطع الإياس من الله إلا القوم الكافرون. فلما دخلوا على يوسف ﷺ قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر من الجدب والقحط وقلة الطعام، وجئنا ببضاعة قليلة رديئة كاسدة، لا تنفق في ثمن الطعام، فأعطنا بهذا الثمن القليل ما كنت تعطينا قبل ذلك، وتصدق علينا برد أخينا إلينا.

فلما ذكر له إخوته ما أصابهم من الجهد والضيق وقلة الطعام وعموم الجدب، وتذكر أباه وما هو فيه من الحزن لفقد ولديه، مع ما هو فيه من الملك والتصرف والسعة، فعند ذلك أخذته رقة ورأفة ورحمة وشفقة على أبيه وإخوته، وبدره البكاء، فتعرف إليهم، يقال إنه رفع التاج عن جبهته، وكان فيها شامة، وقال: هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون؟ وإنما تعرف إليهم بنفسه، بإذن الله له في ذلك، كما أنه إنما أخفى منهم نفسه في المرتين الأوليين بأمر الله تعالى له في ذلك، والله أعلم، ولكن لما ضاق الحال واشتد الأمر، فرج الله تعالى من ذلك الضيق، فقالوا: أنت يوسف، فتعجبوا من ذلك أنهم يترددون إليه من سنتين وأكثر، وهم لا يعرفونه، وهو مع هذا يعرفهم ويكتم نفسه، فقال: أنا يوسف وهذا أخي قد مَنّ الله علينا بجمعه بيننا بعد التفرقة وبعد هذه المدة، إنه من يتق الله بأداء الفرائض واجتناب المعاصي، ويصبر عما حرم الله ﷻ عليه، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين، فقالوا: معتذرين، تالله لقد اختارك الله وفضلك علينا، وما كنا في صنيعنا بك إلا مخطئين مذنبين.

فقال يوسف ﷺ وكان حليما: لا تعيير عليكم اليوم، ولا تأنيب عليكم ولا عتب عليكم اليوم، ولا أذكر لكم ذنبكم بعد اليوم، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين.

فلما عرفهم يوسف نفسه سألهم عن أبيه، فقال: ما فعل أبي بعدي؟ قالوا: ذهبت عيناه، فأعطاهم قميصه، وقال: اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يرجع مبصرًا، وأتوني بجميع بني يعقوب.

ولما خرجت العير من عريش مصر متوجهة إلى كنعان، قال يعقوب ﷺ لمن بقي عنده من بنيه، إني لأجد ريح يوسف لولا أن تسفهوني، فأصاب يعقوب ريح يوسف من مسيرة ثمانية أيام، وقيل أن ريح الصبا استأذنت ربها في أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير فقال أولاد أولاده: تالله إنك لفي خطئك القديم من ذكر يوسف لا تنساه، والضلال هو الذهاب عن طريق الصواب، فإن عندهم أن يوسف قد مات ويرون يعقوب قد لهج بذكره، وكان يعقوب ﷺ هو أعرفهم بالله وأرجاهم له، فلم يكن طوال تلك السنين في ضلال، ولكن كان في يقين وصبر ومصابرة في البلاء.

فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

نصف الحزب ٢٥

فجاء البشير ليعقوب ﷺ وهو ابنه يهوذا بن يعقوب؛ لأنه هو الذي جاء بالقميص وهو ملطخ بدم الكذب، فأراد أن يغسل ذلك بهذا، فجاء بالقميص فألقاه على وجه أبيه، فرجع بصيرًا، فقال يعقوب ﷺ لبنيه عند ذلك ألم أقل لكم إني أعلم أن الله سيرده إلي، فعند ذلك قالوا لأبيهم مترفقين له يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم لمن تاب إليه. فأخر يعقوب ﷺ بنيه إلى السَّحر لأنه أرجى وقت للدعاء والاستغفار، فدعا لهم واستغفر، فتحملوا عن آخرهم وترحلوا من بلاد كنعان قاصدين بلاد مصر، فلما أخبر يوسف ﷺ، باقترابهم خرج لتلقيهم، وأمر الملك أمراءه وأكابر الناس بالخروج مع يوسف لتلقي نبي الله يعقوب ﷺ، وخرج الملك لتلقيه، فلما رأى يوسف أهله آوى إليه أبويه فتلقاهما، ثم لما وصلوا باب البلد قال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين، وأجلس أبويه معه على سريره، وسجد له أبواه وإخوته الباقون، وكانوا أحد عشر رجلًا، فقال: يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي صحيحة صدقًا، وقد كان هذا جائزًا في شرائعهم إذا سلموا على الكبير يسجدون له، وذكر نعم الله عليه إذ أخرجه من السجن، ولم يقل من الجب مع كونه أشد بلاء من السجن، استعمالًا للكرم، لكيلا يخجل إخوته بعدما قال لهم: "لا تثريب عليكم اليوم"، ولأن نعمة الله عليه في إخراجه من السجن أعظم، لأنه بعد الخروج من الجب صار إلى العبودية، وجاء بكم من البدو، وكانوا أهل بادية ومواش، من بعد أن أفسد الشيطان بيني وبين إخوتي بالحسد، إن ربي لطيف بمن يشاء. وأقام يعقوب بمصر عند يوسف أربعًا وعشرين سنة في أغبط حال وأهنأ عيش، ثم مات بمصر، فلما حضرته الوفاة أوصى إلى ابنه يوسف أن يحمل جسده حتى يدفنه عند أبيه إسحاق، ففعل يوسف ذلك، ومضى به حتى دفنه بالشام، ثم انصرف إلى مصر، ولما جمع الله تعالى ليوسف شمله وتمت النعمة عليه، باجتماعه بأبويه وإخوته، وما مَنّ الله به عليه من النبوة والملك، على أن نعيم الدنيا لا يدوم سأل الله تعالى حسن العاقبة، فكما أتم نعمته عليه في الدنيا أن يستمر بها عليه في الآخرة، وأن يتوفاه حين يتوفاه مسلمًا، وأن يلحقه بالصالحين، وهم إخوانه من النبيين والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين. فمن دعائه رب قد آتيتني ملك مصر، وعلمتني تعبير الرؤيا. خالق السموات والأرض أنت معيني ومتولي أمري في الدنيا والآخرة اقبضني إليك مسلمًا، وألحقني بآبائي النبيين، ولما قص الله على عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه نبأ إخوة يوسف، وكيف رفعه الله عليهم؟ وجعل له العاقبة والنصر والملك والحكم، مع ما أرادوا به من السوء والهلاك والإعدام فتلك أخبار الغيوب السابقة، يعلمها نبيه محمدًا ﷺ لما فيها من العبرة له والاتعاظ لمن خالفه من أمته، وقد أوحى الله لنبيه من أمر إخوة يوسف وما أجمعوا عليه من إلقائه في الجب، وهم يمكرون به، فأطلع الله رسوله على أنباء ما قد سبق مما فيه عبرة للناس ونجاة لهم في دينهم ودنياهم؛ ومع هذا ما آمن أكثر الناس. فأكثر الناس على الغواية وما آمن إلا قليل.

وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓۗ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۗ وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

أنبياء الله ورسله يدعون إلى الله ويبلغون رسالة الله ولا يرجون أجرًا من أحد، إنما يرجون الثواب والأجر من الله تعالى، فهم يذكرون بكتاب الله ليكون هداية للبشرية، ولكن أكثر الناس في غفلة عن التفكر في آيات الله ودلائل توحيده، بما خلقه الله في السموات والأرض من كواكب زاهرات وأفلاك دائرات، والجميع مسخرات، وكم في الأرض من قطع متجاورات وحدائق وجنات وجبال راسيات، وبحار زاخرات، وأمواج متلاطمات، وقفار شاسعات، وكم من أحياء وأموات، وحيوان ونبات، وثمرات متشابهة ومختلفات، في الطعوم والروائح والألوان والصفات، فسبحان الواحد الأحد، خالق أنواع المخلوقات، المتفرد بالدوام والبقاء والصمدية ذي الأسماء والصفات، وليس الإيمان الإقرار بالربوبية وإنما التوحيد هو الإقرار بالإلوهية فإقرار المشركين بأن الله هو الخالق الرازق لا ينفعهم حتى يفردوا العبادة لله، أفأمن هؤلاء المشركون بالله أن يأتيهم أمر يغشاهم من حيث لا يشعرون، فيأتيهم بأس الله بياتًا وهم نائمون أو يأتيهم بأسه ضحى وهم يلعبون، وسبيل الدعوة إلى الله الدعوة إلى التوحيد والعقيدة الصحيحة.

فطريقة محمد ﷺ ومسلكه وسنته، هي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك، ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه، يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي، والدعوة قائمة على تنزيه الله وإجلاله وتعظيمه وتقديسه عن أن يكون له شريك أو نظير، أو عديل، أو ولد أو والد أو صاحبة، تبارك وتعالى وتقدس وتنزه عن ذلك كله علوًّا كبيرًا، وما أرسل الله رسله إلا من الرجال، ومن أهل المدن؛ لأن أهل الأمصار أعقل وأفضل وأعلم وأحلم، ولم يبعثهم من أهل السماء وهؤلاء المشركون المكذبون، ألم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الأمم المكذبة فيعتبروا، والدار الآخرة خير للذين اتقوا وعملوا الصالحات، وفي الدنيا ينجيهم الله عند نزول العذاب، والله ينزل نصره على رسله، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، عند ضيق الحال وانتظار الفرج من الله تعالى في أحوج الأوقات إلى ذلك، فأتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم، يطول عليهم البلاء، ويستأخر عنهم النصر، وتظن الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم، فيأتي نصر الله عند ذلك، فينجي الله الذين آمنوا، وبأس الله لا يرد عن القوم المجرمين، وفي خبر المرسلين مع قومهم، وكيف أنجى الله المؤمنين وأهلك الكافرين عبرة لأولي العقول، وهو خبر صدق وحق، وفي كتاب الله الحلال والحرام وأخبار ما مضى من الأمم تصديقها في الكتب المنزلة من السماء، والقرآن يصدق ما فيها من الصحيح، وينفي ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير، ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير، وبالقرآن تهتدي القلوب من الغي إلى الرشاد، ومن الضلالة إلى السداد، ويبتغون به الرحمة من رب العباد، في هذه الحياة الدنيا ويوم المعاد. فنسأل الله العظيم أن يجعلنا منهم في الدنيا والآخرة، يوم يفوز بالربح المبيضة وجوههم الناضرة، ويرجع المسودة وجوههم بالصفقة الخاسرة.

سورة الرعد

ترتيبها ١٣ — آياتها ٤٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾





سورة الرعد

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر الرعد فيها

والرعد ملك من الملائكة موكل بالسحاب، في يده مخراق من نار يزجر به السحاب والصوت الذي يسمع منه زجره السحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمره كما في الحديث

وقد أنزل الله القرآن المعجز بآياته، وتحدى العرب بالإتيان بمثله، وهو تبيانٌ لكل شيء، نزله على قلب محمد صلى الله علية وسلم بالحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون بهذا القرآن مع هذا البيان والجلاء والوضوح، لا يؤمن أكثرهم لما في قلوبهم من الشقاق والعناد والنفاق، ومن دلائل الربوبية، كمال قدرة الله وعظيم سلطانه فهو الذي بإذنه وأمره رفع السماوات بغير عمد، فالسماء الدنيا محيطة بجميع الأرض وما حولها من الماء والهواء من جميع نواحيها وجهاتها وأرجائها، مرتفعة عليها من كل جانب على السواء، وبُعْد ما بينها وبين الأرض من كل ناحية مسيرة خمسمائة عام، وسمكها في نفسها مسيرة خمسمائة عام. ثم السماء الثانية محيطة بالسماء الدنيا وما حوت، وبينها وبينها من البعد مسيرة خمسمائة عام، وسمكها خمسمائة عام، وكذا السماء الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة، فهي مرفوعة بلا عمد يراها الناس، فهو سبحانه خلق المخلوقات، وعظمتها تدل على عظمة خالقها، وأعظم المخلوقات العرش، والرحمن على العرش استوى، والاستواء معناه العلو والارتفاع وهو علو خاص بالعرش، واستوى على العرش معناه علا واستقر على وجه يليق بجلاله وعظمته، وليس كاستواء الإنسان، واستواء الله على العرش ليس استواء محتاج إلى العرش، بل إن الله تبارك وتعالى غني عن كل شيء، وكل شيء مفتقر إلى الله، والله تبارك وتعالى غني عنه، ومن عظمة الله تسخير الشمس والقمر يجريان إلى انقطاعهما بقيام الساعة، فهو سبحانه يوضح الآيات والدلالات الدالة على أنه لا إله إلا هو، وأنه يعيد الخلق إذا شاء كما ابتدأ خلقه، ومن الآيات الدالة على عظمة الله وقدرته أنه سبحانه مد الأرض فجعلها متسعة ممتدة في الطول والعرض، وأرساها بجبال راسيات شامخات، وأجرى فيها الأنهار والجداول والعيون لسقي ما جعل فيها من الثمرات المختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح، من كل شكل صنفان، والليل والنهار جعل كلًّا منهما يطلب الآخر طلبًا حثيثًا، فإذا ذهب هذا غشيه هذا، وإذا انقضى هذا جاء الآخر، ففي ذلك آيات لقوم يتفكرون في آلاء الله وحكمته ودلائله، وفي الأرض أراض تجاور بعضها بعضًا، فهذه طيبة تنبت ما ينتفع به الناس، وهذه سبخة مالحة لا تنبت شيئًا، واختلاف ألوان بقاع الأرض، فهذه تربة حمراء، وهذه بيضاء، وهذه صفراء، وهذه سوداء، وهذه محجرة وهذه سهلة، وهذه مرملة، وهذه سميكة، وهذه رقيقة، والكل متجاورات، فهذه بصفتها، وهذه بصفتها الأخرى، فهذا كله مما يدل على الخالق، لا إله إلا هو، ولا رب سواه، وما يدل على عظمة الباري ﷻ الجنات من الأعناب والزرع والنخيل فمنها الصنوان وهي الأصول المجتمعة في منبت واحد، كالرمان والتين وبعض النخيل، وغير الصنوان وهوما كان على أصل واحد، كسائر الأشجار، يسقى بماء واحد وتتفاضل في الأكل فمنها الطيب والرديء، والحلو والحامض، فهذا الاختلاف في أجناس الثمرات والزروع، في أشكالها وألوانها، وطعومها وروائحها وأوراقها وأزهارها آيات لمن كان واعيًا، وهذا من أعظم الدلالات على الخالق الذي بقدرته فاوت بين الأشياء وخلقها على ما يريد، فالعجب من تكذيب المشركين بأمر المعاد مع ما يشاهدونه من آيات الله سبحانه ودلالاته في خلقه على أنه القادر على ما يشاء، ومع ما يعترفون به من أنه ابتدأ خلق الأشياء، فكوَّنها بعد أن لم تكن شيئًا مذكورًا، ثم هم بعد هذا يكذبون خبره في أنه سيعيد العالمين خلقًا جديدًا، وقد اعترفوا وشاهدوا ما هو أعجب مما كذبوا به، فالعجب من قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد، وقد علم كل عالم وعاقل أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، وأن من بدأ الخلق فالإعادة سهلة عليه، ولكنه الكفر والجحود فسيعلمون حين تكون الأغلال في أعناقهم يسحبون بها في النار، ماكثون فيها أبدًا، لا يحولون عنها ولا يزولون.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾

المكذبون المعاندون يستعجلون العقوبة وهذا من عنادهم وجهلهم، وما علموا كيف وقعت العقوبة والنقمة بالأمم الخالية وجعلها الله مثلة وعبرة وعظة، ولولا حلم الله وعفوه لعاجلهم بالعقوبة، فهو سبحانه ذو عفو وصفح وستر للناس مع أنهم يظلمون ويخطئون بالليل والنهار، وهو مع ذلك شديد العقاب للكافرين المكذبين، فقد طلبوا من رسول الله ﷺ كفرًا وعنادًا وتعنتًا أن يأتيهم بآية من ربه بأن يجعل لهم الصفا ذهبًا، وأن يزيل عنهم الجبال، ويجعل مكانها مروجًا وأنهارًا، وما علموا أن الرسول عليه تبليغ رسالة الله التي أمره بها، ولكل قوم نبي يدعوهم إلى الحق.

ومن تمام علم الله الذي لا يخفى عليه شيء، أنه محيط بما تحمله الحوامل من كل إناث الحيوانات، فيعلم ما حملت من ذكر أو أنثى، أو حسن أو قبيح، أو شقي أو سعيد، أو طويل العمر أو قصيره، ويعلم سبحانه نقصان الدم في الرحم وزيادته، وكل شيء عنده بأجل. حفظ أرزاق خلقه وآجالهم، وجعل لذلك أجلًا معلومًا

يعلم كل شيء مما يشاهده العباد ومما يغيب عنهم، ولا يخفى عليه منه شيء، وهو الكبير الذي هو أكبر من كل شيء، وهو المستعلي على كل شيء بقدرته، قد أحاط بكل شيء علمًا، وقهر كل شيء، فخضعت له الرقاب ودان له العباد، طوعًا وكرهًا.

ومن إحاطة علمه سبحانه علمه بجميع خلقه، سواءً من أسر قوله منهم أو جهر به، فإن سمعه لا يخفى عليه شيء فسبحان الذي وسع سمعه الأصوات، ويعلم المختفي في قعر بيته في ظلام الليل، ومن هو ظاهر ماش في بياض النهار وضيائه، فإن كليهما في علم الله على السواء، ومن لطف الله بعباده، أن للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حرس بالليل وحرس بالنهار، يحفظونه من السوء والحوادث، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فاثنان عن اليمين وعن الشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحدًا من ورائه وآخر من قدامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل، ونعم الله على عباده تتابع ولا يغير ما بالعباد من العافية والنعمة، حتى يغيروا ما بأنفسهم من الحال الجميلة فيعصوا ربهم. وإذا أراد الله بقوم عذابًا وهلاكًا، فلا راد له، وما لهم من دون الله ملجأ يلجؤون إليه ولا مانع يمنع العذاب عنهم، وهو سبحانه الذي يسخر البرق، وهو ما يرى من النور اللامع ساطعًا من خلل السحاب، وهو خوف للمسافر، يخاف أذاه ومشقته، وطمع للمقيم يرجو بركته ومنفعته، ويطمع في رزق الله، ويخلق الله السحاب الثقال لكثرة مائها، ويسبح الرعد بحمده، فكل شيء يسبح بحمده، والرعد ملك من الملائكة موكل بالسحاب، في يده مخراق من نار يزجر به السحاب والصوت الذي يسمع منه زجره السحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمره، وهو يسبح الله تعالى، فإذا سبح لا يبقى ملك في السماء إلا رفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل القطر، وتسبح الملائكة من خيفة الله ﷻ وخشيته، ويرسل الله الصواعق وهي نار تنزل من البرق فتحرق من تصيبه، والكفار يشكُّون في عظمة الله، وما علموا أنه لا إله إلا هو، شديد العقوبة والانتقام والأخذ لمن عصاه وكفر به.

لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا
كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ
إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا
وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ۩ ﴿١٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ
نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي
ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ
عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ
وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ
يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا
يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿١٧﴾
لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ
لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ
أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٨﴾

سَجۡدَة

توحيد الله تعالى هو دعوة الرسل، فمن أجل التوحيد أرسلت الرسل وأنزلت الكتب وقام سوق الجنة والنار، ومثل الذين يعبدون آلهة غير الله، كمثل الذي يتناول الماء من طرف البئر بيده وهو لا يناله أبدًا بيده، فكيف يبلغ فاه؟ فالذي يبسط يده إلى الماء إما قابضًا وإما متناولًا له من بعد، كما أنه لا ينتفع بالماء الذي لم يصل إلى فيه، فكذلك المشركون الذين يعبدون مع الله إلها غيره، لا ينتفعون بهم أبدًا في الدنيا ولا في الآخرة، وما عبادة الكافرين إلا في ضلال، فمن عظمة الله وسلطانه الذي قهر كل شيء، ودان له كل شيء، يسجد له كل شيء طوعًا من المؤمنين، وكرهًا من المشركين، وظلال الساجدين طوعًا وكرهًا تسجد لله ﷻ طوعًا، فإذا سجدوا في أول النهار وآخره تسجد معهم ظلالهم، فما من شيء إلا يسجد لرب العالمين ويخضع، فكيف يتجبر الإنسان ويطغى حين يؤمر بالتوحيد مع إقراره أن الله خلق السموات والأرض، وهو ربها ومدبرها، واتخذوا من دون الله أولياء يعبدونهم، وتلك الآلهة لا تملك لنفسها ولا لعابديها منفعة، ولا تدفع مضرة، فهل يستوي من عبد هذه الآلهة مع الله، ومن عبد الله وحده لا شريك له، وهو على نور من ربه، فلا يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات والنور، وهل هذه الآلهة تماثل الله في الخلق، فتشابه الخلق عليهم، ولكن الحقيقة أن الله لا يشابهه شيء ولا يماثله، ولا ند له ولا عدل، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، وإنما عبد هؤلاء المشركون مع الله آلهة يعترفون أنها مخلوقة له. فما يعبدون هو الباطل، والتوحيد هو الحق، وقد ضرب الله مثلين للحق في ثباته وبقائه، والباطل في اضمحلاله وفنائه، فالله ينزل من السماء المطر على الأرض فيسلك الماء الأودية كل واد بحسبه، فهذا كبير وسع كثيرًا من الماء، وهذا صغير وسع الماء بقدره، وهو إشارة إلى القلوب وتفاوتها، فمنها ما يسع علمًا كثيرًا، ومنها ما لا يتسع لكثير من العلوم بل يضيق عنها، فجاء على وجه الماء الذي سال في هذه الأودية زبد عال عليه، هذا مثل، والمثل الثاني هو ما يسبك في النار من الذهب أو الفضة ليجعل حلية أو نحاسًا أو حديدًا، فيصنع منه متاعٌ، فإنه إذا وضع في النار يعلوه زبد منه، وذلك مثل الحق والباطل إذا اجتمعا، فلا ثبات للباطل ولا دوام له، كما أن الزبد لا يثبت مع الماء، ولا مع الذهب، بل يذهب ويضمحل لا ينتفع به، بل يتفرق ويتمزق ويذهب في جانبي الوادي، ويعلق بالشجر وتنسفه الرياح، وكذلك خبث الذهب والفضة والحديد والنحاس يذهب، لا يرجع منه شيء، ولا يبقى إلا الماء وذلك الذهب ونحوه ينتفع به. وهذه الأمثال لا يعقلها إلا أهل العلم والبصيرة، وأهل الحق هم الذين أطاعوا الله ورسوله، وانقادوا لأوامره، وصدقوا أخباره الماضية والآتية، فلهم الجزاء الحسن، لهم الجنة خالدين فيها، وأما أهل الباطل الذين لم يطيعوا الله لهم العذاب الأليم، ولو يمكنهم أن يفتدوا من عذاب الله بملء الأرض ذهبًا ومثله معه لافتدوا به، ولكن لا يتقبل منهم؛ لأنه تعالى لا يقبل منهم يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا، يناقشون على النقير والقطمير، والجليل والحقير، ومن نوقش الحساب عذب، فلهم النار وبئس المهاد.

۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾

أهل العلم والبصيرة والقبول والإيمان يعلمون أن ما جاء به رسول الله ﷺ هو الحق الذي لا شك فيه ولا مرية ولا لبس فيه ولا اختلاف فيه، يصدق بعضه بعضًا، لا يضاد شيء منه شيئًا آخر، فأخباره كلها حق، وأوامره ونواهيه عدل، فهؤلاء أهل الحق الذين ميزهم الله عن غيرهم، فهل يستوي هو بمن كذب وجحد وكابر وعاند؟ فمثله كالأعمى والأصم، ولكن الذي يتعظ ويعتبر ويعقل هم أولو العقول السليمة الصحيحة، المتصفون بالصفات الجليلة يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق، فليسوا كالمنافقين الذين إذا عاهد أحدهم غدر، وإذا خاصم فجر، وإذا حدث كذب، وإذا اؤتمن خان، بل يصلون أرحامهم ويحسنون إليهم وإلى الفقراء والمحاويج، ويبذلون المعروف، ويخشون ربهم فيما يأتون وما يذرون من الأعمال، يراقبون الله في ذلك، ويخافون سوء الحساب في الدار الآخرة. والذين يصبرون عن المحارم والمآثم ابتغاء مرضاة الله وجزيل ثوابه، ويقيمون الصلاة بحدودها ومواقيتها وركوعها وسجودها، وخشوعها على الوجه الشرعي المرضي، وينفقون النفقة الواجبة على الزوجات والأولاد والقرابات، وينفقون النفقة المستحبة على الفقراء والمحاويج والمساكين، في السر والجهر، لم يمنعهم من ذلك حال من الأحوال، في آناء الليل وأطراف النهار، ويدفعون القبيح بالحسن، فإذا آذاهم أحد قابلوه بالجميل صبرًا واحتمالًا وصفحًا وعفوًا، فلهم العاقبة والنصرة في الدنيا وفي الآخرة جنات عدن يقيمون فيها لا يبغون عنها ارتحالًا خالدين فيها أبدًا، أسأل الله أن ألا يحرمنا فضله.

يجمعهم الله فيها مع من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم؛ لتقر أعينهم بهم، حتى إنه ترفع درجة الأدنى إلى درجة الأعلى، من غير تنقيص لذلك الأعلى عن درجته، بل امتنانًا من الله وإحسانًا.

وتدخل عليهم الملائكة للتهنئة بدخول الجنة، بما حصل لهم من الله من التقريب والإنعام، والإقامة في دار السلام، في جوار الصديقين والأنبياء والرسل الكرام، أسأل الله أن يجعلنا منهم ووالدينا وأهلينا وذرياتنا والمسلمين

وأما أهل الباطل والكفر والعناد، فهم الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، ويقطعون أرحامهم، ويفجرون في معاملاتهم، وإذا حدثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخلفوا، وإذا اؤتمنوا خانوا، ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه، وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل، وأفسدوا في الأرض، فلهم الإبعاد عن الرحمة، ولهم سوء العاقبة والمآل، ومأواهم جهنم وبئس القرار، فالعبرة بالمآل وأما الدنيا فقد تبسط للكافر، فالله سبحانه يوسع الرزق على من يشاء، ويضيقه على من يشاء، لما له في ذلك من الحكمة والعدل. فأما الكفار فيفرحون بما أوتوا في الحياة الدنيا استدراجًا لهم وإمهالًا، وما الدنيا لأهل الإيمان إلا سجن بالنسبة إلى ما ادخره تعالى لعباده المؤمنين في الدار الآخرة، والكفار والمشركون يطلبون من الآيات تعجيزًا وتعنتًا، وهم يعلمون أن الله قادر على إجابة ما سألوا.

ولكنه الضلال الذي كتبه الله عليهم فلا يؤمنوا، والهداية بيد الله يهدي من أناب إليه، ورجع إليه، واستعان به، وتضرع لديه، وهم المؤمنون الذين تطمئن قلوبهم بذكر الله، وتطيب وتركن إلى جانب الله، وتسكن عند ذكره، وترضى به مولى ونصيرًا. فذكر الله طمأنينة للقلوب وانشراح للصدور وسعة في الرزق وقوة في البدن.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ
مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ
لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ
قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾
وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ
بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ
أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ
وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ
مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ
عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُواْ
لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم
بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ
ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾

مصير أهل الإيمان الجنة، الذين آمنوا وعملوا الصالحات تقر أعينهم بها ويفرحون بنعيمها، وطوبى شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها، وكل شجر الجنة منها، أغصانها من وراء سور الجنة، وخرجت من أصلها ينابيع أنهار الجنة، من عسل وخمر وماء ولبن، نسأل الله ألا يحرمنا فضله ووالدينا والمسلمين

وقد أرسل الله نبيه محمدًا ﷺ ليبلغ دين الله ورسالة الله، كما أرسل الله في الأمم الماضية الكافرة بالله رسلًا يبلغون الرسالة فكذبوا وأذووا فنزل بأس الله عليهم، فليحذر هؤلاء المكذبون من حلول النقم بهم، فإن تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه ﷺأشد من تكذيب الأمم السابقة للمرسلين، فهم يكفرون بالرحمن، لا يقرون به؛ لأنهم كانوا يأنفون من وصف الله بالرحمن الرحيم، فهو الله لا إله إلا هو رب كل شيء ومليكه عليه يتوكل المؤمنون في جميع أمورهم، وإليه المرجع يوم القيامة وإليه ينيب العباد ويتوبون ولا يستحق ذلك أحد سواه.

وقد أنزل الله القرآن العظيم وفضله على الكتب المنزلة قبله، فلو كان في الكتب الماضية كتاب تسير به الجبال عن أماكنها، أو تقطع به الأرض وتنشق أو تكلم به الموتى في قبورها، لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره، لما فيه من الإعجاز الذي لا يستطيع الإنس والجن عن آخرهم إذا اجتمعوا أن يأتوا بمثله، ولا بسورة من مثله، ومع هذا فهؤلاء المشركون كافرون به جاحدون له، وإلى الله ترجع الأمور كلها، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ومن يضلل فلا هادي له، ومن يهد الله فلا مضل له، فإنه ليس ثَمَّ حجة ولا معجزة أبلغ ولا أنجع في النفوس والعقول من هذا القرآن، وهذا القرآن حجة باقية على الآباد، لا تنقضي عجائبه، ولا يخلَق عن كثرة الرد، ولا يشبع منه العلماء، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله، فلا ييأس الذين آمنوا من إيمان جميع الخلق فإن الله لوشاء لهدى الناس جميعًا.

ولا تزال القوارع تصيب الكفار في الدنيا، أو تصيب من حولهم ليتعظوا ويعتبروا، ولكن لا اعتبار ولا اتعاظ بسبب تكذيبهم، حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة، وقيل يوم القيامة، فإن الله لا ينقض وعده لرسله بالنصرة لهم ولأتباعهم

والكفار والمعاندون يكذبون الرسل ويعادونهم ويؤذنهم، وقد أوذي الرسل جميعًا ومنهم من قُتل وعُذب

ولكن الله أملى للمكذبين لهم فأخذهم أخذ عزيز مقتدر فإن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ولكنه الشرك الذي أعمى بصائرهم فكيف يعدل الله تعالى الحفيظ العليم الرقيب على كل نفس منفوسة، يعلم ما يعمل العاملون من خير وشر، ولا يخفى عليه خافية، بالأصنام التي يعبدونها لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل، ولا تملك نفعًا لأنفسها ولا لعابديها، ولا كشف ضر عنها ولا عن عابديها وإنما عبدوها بظن منهم أنها تنفع وتضر، وسموها آلهة، فهي لا حقيقة لها، بل زين للذين كفروا ما هم عليه من الضلال والدعوة إليه، فصدوا الناس عن اتباع طريق الرسل.

ومن يرد الله فتنته وضلاله فلا يهديه أحد، لهم عذاب في الحياة الدنيا بأيدي المؤمنين من القتل والأسر، وعذاب الآخرة أشق وأعظم وأبقى.

۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ
أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى
ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ
بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ
أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾
وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا
جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ
لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾
يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾
وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا
مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ
ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ
يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾

أعد الله لعباده المؤمنين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فالجنة التي وعد المتقون من صفتها أنها تجري من تحتها الأنهار سارحة في أرجائها وجوانبها، وحيث شاء أهلها، يصرفونها كيف شاءوا وأين شاءوا، أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، فيها المطاعم والفواكه والمشارب لا انقطاع لها ولا فناء، يأكل أهل الجنة ويشربون، ولا يمتخطون ولا يتغوطون ولا يبولون، يخرج منهم جشاء ورشح كريح المسك، ويلهمون التسبيح والتقديس كما يلهمون النفس.

وظلها لا يزول ولا ينقص، فهي ظل ممدود، ففي الجنة شجرة يسير الراكب المجِدُّ الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها، فهي مستقر المؤمنين المتقين، وأما الكفار فمآلهم إلى النار.

ومن الذين أوتوا الكتاب قائمون بمقتضاه يفرحون بما أنزل من القرآن لما في كتبهم من الشواهد على صدقه والبشارة به، ومن الطوائف من يكذب ببعض ما أنزل إلى النبي ﷺ، وينكر ما جاء به رسول الله ﷺ من الحق.

و إنما بعث رسول الله ﷺ بعبادة الله وحده لا شريك له، كما أرسل الأنبياء من قبله يدعو الناس إلى سبيل الله، وإليه مرجع الخلائق ومصيرهم، فقد أنزل الله عليه القرآن محكمًا معربًا، شرفه به وفضله على من سواه بهذا الكتاب المبين الواضح الجلي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ومن اتبع سبل أهل الضلالة بعدما صار إليه من سلوك السنة النبوية والمحجة المحمدية، واختار الضلالة على من جاء به أفضل الصلاة والسلام فما له من ناصر ولا حافظ.

وقد اختار الله نبيه محمدًا من البشر كما بعث المرسلين قبله بشرًا يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق ويأتون الزوجات، ويولد لهم، وجعل الله لهم أزواجًا وذرية، وما يأتي النبي بمعجزة إلا إذا أذن له فيها، ليس ذلك إليه، بل إلى الله ﷻ، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ولكل شيء مدة مضروبة وكتاب مكتوب بها، وكل شيء عنده بمقدار في اللوح المحفوظ، فالملائكة في كل سنة ينسخون من اللوح المحفوظ وذلك في ليلة القدر، ويدبر أمر السنة فيها، فيمحو الله ما يشاء ويثبت، إلا الشقاء والسعادة، والحياة والموت، والله سبحانه وعد الكافرين العذاب الأليم في الدنيا والآخرة سواء في حياة النبي ﷺ أو بعد مماته، فإنما على الرسول ﷺ البلاغ وعلى الله الحساب والجزاء، وموت العلماء والصالحين نقصان الأرض وخرابها، وذهاب العلم فسادها، والله يحكم لا راد لقضائه، ولا ناقض لحكمه، وقد مكر الذين من قبل مشركي مكة برسلهم، وأرادوا إخراجهم من بلادهم، فمكر الله بهم، وجعل العاقبة للمتقين، وعند الله جزاء مكرهم والله خالق مكرهم جميعًا، بيده الخير والشر، وإليه النفع والضر، فلا يضر مكر أحد أحدًا إلا بإذنه، يعلم سبحانه ما تعمل كل نفس وسيعلم الكفار لمن عاقبة الدار الآخرة حين يدخلون النار، ويدخل المؤمنون الجنة.

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

ترتيبها ١٤ — آياتها ٥٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

كذب المشركون برسالة محمد عليه الصلاة والسلام وقالوا له: لست رسولًا، فأمره الله أن يقول حسبي الله، وهو الشاهد علي وعليكم، شاهد علي فيما بلغت عنه من الرسالة، وشاهد عليكم أيها المكذبون فيما تفترونه من البهتان، ويشهد بذلك علماء أهل الكتاب الذين يجدون صفة محمد ﷺ ونعته في كتبهم المتقدمة من بشارات الأنبياء به.

سورة إبراهيم

وهي سورة مكية، وسميت بذلك لذكر قصة إبراهيم الخليل فيها

أنزل الله كتابه العزيز هو أشرف كتاب أنزله الله من السماء، على أشرف رسول بعثه الله في الأرض، إلى جميع أهلها عربهم وعجمهم؛ ليخرج الناس مما هم فيه من الضلال والغي إلى الهدى والرشد، هو سبحانه الهادي لمن قدر له الهداية على يدي رسوله المبعوث عن أمره يهديهم إلى صراط العزيز الذي لا يمانع ولا يغالب، بل هو القاهر لكل ما سواه، ، المحمود في جميع أفعاله وأقواله، وشرعه وأمره ونهيه، الصادق في خبره، الذي له ما في السماوات وما في الأرض، فويل للكافرين الذين يكذبون برسالة النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام من عذاب شديد أليم يوم القيامة، الذين قدَّموا الحياة الدنيا على الآخرة وآثروها على الآخرة، وعملوا للدنيا ونسوا الآخرة، وتركوها وراء ظهورهم، وصدوا عن اتباع الرسل، ويحبون أن تكون سبيل الله عوجًا مائلة عائلة، وهي مستقيمة في نفسها، لا يضرها من خالفها ولا من خذلها، فهم في ابتغائهم ذلك في جهل وضلال بعيد من الحق، لا يرجى لهم صلاح.

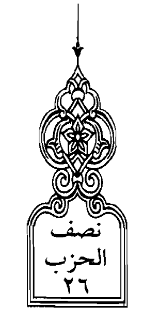
ومن لطف الله تعالى بخلقه أن أرسل إليهم رسلًا منهم بلغاتهم ليفهموا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم.

وبعد البيان وإقامة الحجة عليهم يضل الله تعالى من يشاء عن وجه الهدى، ويهدي من يشاء إلى الحق، وهو العزيز الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو الحكيم في أفعاله، فيضل من يستحق الإضلال، ويهدي من هو أهل لذلك، واختص كل نبي بإبلاغ رسالته إلى أمته دون غيرهم، واختص محمد بن عبد الله رسول الله بعموم الرسالة إلى سائر الناس.

وكما أرسل الله محمدًا، وأنزل عليه الكتاب ليخرج الناس كلهم، يدعوهم إلى الخروج من الظلمات إلى النور، كذلك أرسل موسى عليه السلام في بني إسرائيل بآيات الله، وأمره بدعوتهم إلى الخير، ليخرجوا من ظلمات ما كانوا فيه من الجهل والضلال إلى نور الهدى وبصيرة الإيمان.

ويذكرهم بنعم الله عليهم، في إخراجه إياهم من أسر فرعون وقهره وظلمه وغشمه، وإنجائه إياهم من عدوهم، وفلقه لهم البحر، وتظليله إياهم بالغمام، وإنزاله عليهم المن والسلوى، إلى غير ذلك من النعم. وفي ذلك آيات لكل صبور على البلاء وشكور عند السراء.

وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٦﴾ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾



قام نبي الله موسى ﷺ بأمر الله، فذكَّر قومه بأيام الله عندهم ونعمه عليهم، إذ أنجاهم من آل فرعون، وما كانوا يسومونهم به من العذاب والإذلال، حين كانوا يذبحون من وجد من أبنائهم، ويتركون إناثهم فأنقذ الله بني إسرائيل من ذلك، وهذه نعمة عظيمة، وهم عاجزون عن القيام بشكرها.

وقد أوجب الله على عباده شكر نعمه، وشكر النعم يزيدها، وكفرها وجحدها سبب لزوالها، فإن العباد إذا كفروا النعم وجحدوها أنزل الله عليهم العقوبة بسلبها عنهم، والله غني عن عباده وعن شكرهم وهو الحميد المحمود، وإن كفره من كفره، والشّكر عرفان الإحسان ونشره، والشكر: شكران الأوّل: شكر باللّسان وهو الثّناء على المنعم، والآخر شكر بجميع الجوارح ، والشّكر أعلى منازل السّالكين، وفوق منزلة الرضا، فإنّه يتضمّن الرّضا وزيادة، والرّضا مندرج في الشّكر، إذ يستحيل وجود الشّكر بدونه، وهو نصف الإيمان، والشّكر يتضمّن الصّبر على الطّاعة، والصّبر عن المعصية، والشّكر يكون بالقلب واللّسان والجوارح، وأمّا بالقلب فهو أن يقصد الخير ويضمره للخلق كافة، وأمّا اللّسان فهو إظهار الشّكر لله بالتّحميد، وإظهار الرّضا عن اللهّ تعالى، وأمّا الجوارح فهو استعمال نعم اللهّ في طاعته، والتّوقّي من الاستعانة بها على معصيته.

وقد قص الله في كتابه أخبار المكذبين قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الأمم المكذبة، فأشاروا إلى أفواه الرسل يأمرونهم بالسكوت عنهم لما دعوهم إلى الله ﷻ، وكذبوهم وردوا عليهم قولهم بأفواههم، وقالوا: لا نصدقكم فيما جئتم به، فإن عندنا فيه شكًّا قويًا.

فقالت الرسل: أفي الله شك في إلهيته وتفرده بوجوب العبادة له، وهو الخالق لجميع الموجودات، ولا يستحق العبادة إلا هو، وحده لا شريك له؛ فإن غالب الأمم كانت مقرة بالخالق، ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنونها أنها تنفعهم أو تقربهم من الله زلفى.

ودعوة الرسل إلى التوحيد ليغفر الله لعباده ذنوبهم في الدار الآخرة، ويمتعهم في الحياة الدنيا، فإن التوحيد يكفر الذنوب، ويدخل الجنة بغير حساب، وسبب لعدم الخلود في النار، فإن عصاة الموحدين تحت المشيئة إن شاء الله عذبهم بقدر ذنوبهم، فهم ولو دخلوا النار فإنهم يخرجون منها بالتوحيد، وإن شاء الله غفر لهم بفضل توحيدهم.

والتوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك لا يبقى معه ذنب؛ لأنه يتضمن من محبة الله وإجلاله وتعظيمه، وخوفه ورجائه وحده ما يوجب غسل الذنوب ولو كانت ملء الأرض، فما أسعد الموحدين بفضل الله ورحمته، وما أشقى المشركين المكذبين للرسل، الذين قالوا للرسل: ما أنتم إلا بشر مثلنا وما معكم معجزة تدل على صدقكم.

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

رسل الله عليهم الصلاة والسلام بشر، ولكن الله منَّ عليهم بالرسالة والنبوة، ولا يأتون بالمعجزات إلا بإذن الله، وهم يتوكلون على الله في جميع أمورهم.

وما يمنعهم من التوكل على الله؟ وقد هداهم لأقوم الطرق وأوضحها وأبينها، وقد صبروا على الأذى الذي لقوه في طريق الدعوة، ومن الأذى الذي لقيه الرسل ما توعدت به الأمم الكافرة رسلهم، من الإخراج من أرضهم، والنفي من بين أظهرهم، فكانت لهم العاقبة.

وقد أظهر الله رسوله ونصره، وجعل له بسبب خروجه من مكة أنصارًا وأعوانًا وجندًا، يقاتلون في سبيل الله، ولم يزل يرقِّيه الله تعالى من شيء إلى شيء، حتى فتح له مكة التي أخرجته، ومكّن له فيها، وأرغم آناف أعدائه منهم، ومن سائر أهل الأرض، حتى دخل الناس في دين الله أفواجًا، وظهرت كلمة الله ودينه على سائر الأديان، في مشارق الأرض ومغاربها في أيسر زمان، وأهلك الله المكذبين، وأسكن الموحدين مساكن الظالمين، وجعل لهم النصر والتمكين، الذين خافوا مقام الله في الدار الآخرة، وخافوا وعيد الله، ونهوا أنفسهم عن الهوى.

وأما المكذبون المعاندون فاستفتحوا على أنفسهم العذاب، فخاب كل متجبر في نفسه معاند للحق، ومن ورائه جهنم له بالمرصاد، يسكنها مخلدًا يوم المعاد، ويعرض عليها غدوًا وعشيًا، ويسقى من ماء صديد، ليس له شراب إلا من حميم أو غساق، يقرب إليه فيتكرهه، فإذا أدنى منه شوى وجهه، ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره، يشربه قهرًا وقسرًا، لا يضعه في فيه حتى يضربه الملك بمطراق من حديد، يشربه لا مرة واحدة، بل جرعة جرعة، لمرارته وحرارته، و يألم له جميع بدنه وجوارحه وأعضائه، ويجد هم الموت وألمه من كل مكان من أعضائه، ويأتيه الموت من قدامه ومن خلفه، ومن فوقه ومن تحته، وعن يمينه وعن شماله، وتعلق نفسه عند حنجرته فلا تخرج من فيه فيموت، ولا ترجع إلى مكانها من جوفه فتنفعه الحياة.

وأما أعمال الذين كفروا بربهم فتذهب هباءً منثورًا، فهي كالرماد في اليوم شديد الريح، فهم لا ينتفعون بأعمالهم التي عملوها في الدنيا؛ لأنهم أشركوا فيها غير الله فهي كالرماد الذي ذرته الريح لا ينتفع به.

فذهب سعيهم وعملهم على غير أساس ولا استقامة حتى فقدوا ثوابهم أحوج ما هم إليه، وهكذا كل مشرك يجازى بأعماله الطيبة في الدنيا، وفي الآخرة عذاب شديد، ويقال للمرائين يوم القيامة: اذهبوا لمن رأيتموهم، فالشرك محبط للأعمال موجب للخلود في النار.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾

خلق الله السموات والأرض التي هي أكبر من خلق الناس، أفليس الذي قدر على خلق هذه السموات في ارتفاعها واتساعها وعظمتها وما فيها من الكواكب الثوابت والسيارات، والآيات الباهرات، وهذه الأرض بما فيها من مهاد ووهاد وأوتاد، وبراري وصحاري وقفار، وبحار وأشجار، ونبات وحيوان، على اختلاف أصنافها ومنافعها، وأشكالها وألوانها؛ قادر على إعادة الأبدان يوم القيامة، وهو سبحانه قادر على أن يذهب بالمكذبين ويأتي بخلق جديد وما ذلك على الله بعظيم ولا ممتنع، بل هو سهل عليه، وفي يوم القيامة تبرز الخلائق كلها، برها وفاجرها لله وحده الواحد القهار، فيقول الأتباع لقادتهم وسادتهم وكبرائهم الذين استكبروا عن عبادة الله وحده لا شريك له، وعن موافقة الرسل: نحن لكم تبع فهل تدفعون عنا شيئًا من عذاب الله كما كنتم تعدوننا وتمنوننا؟ فقالت القادة لهم: لو هدانا الله لهديناكم ولكن حق علينا قول ربنا، وسبق فينا وفيكم قدر الله، وحقت كلمة العذاب على الكافرين، فليس لنا خلاص مما نحن فيه إن صبرنا عليه أو جزعنا منه.

وأما الشيطان الذي وعدهم ومناهم وأغواهم يخطب بأوليائه بعدما قضى الله بين عباده، فأدخل المؤمنين الجنات، وأسكن الكافرين الدركات، ليزيدهم حزنًا إلى حزنهم وغبنًا إلى غبنهم، وحسرة إلى حسرتهم، فيقول: إن الله وعدكم وعد الحق على ألسنة رسله، ووعدكم في اتباعهم النجاة والسلامة، وكان وعدًا حقًا، وخبرًا صدقًا، وأما أنا فوعدتكم وأخلفتكم، وما كان لي عليكم فيما دعوتكم إليه من دليل ولا حجة على صدق ما وعدتكم به، ولكنكم استجبتم لي واتبعتم أهواءكم فلا تلوموني اليوم، ولوموا أنفسكم فإن الذنب ذنبكم، فما أنا بنافعكم ومنقذكم ومخلصكم مما أنتم فيه، وما أنتم بنافعي بإنقاذي مما أنا فيه من العذاب والنكال، إني جحدت أن أكون شريكًا لله ﷻ. فالعذاب الأليم للمكذبين لإعراضهم عن الحق واتباعهم الباطل.

وأما السعداء أتباع الأنبياء فإنهم يدخلون يوم القيامة جنات تجري من تحتها الأنهار سارحة فيها حيث ساروا وأين ساروا ماكثين أبدًا لا يحولون ولا يزولون، تحيتهم فيها سلام، وتحييهم الملائكة من كل باب سلام عليكم، ودعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

وكلمة التوحيد شهادة أن لا إله إلا الله، هي في قلب المؤمن كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء. ومثل المؤمن، وقوله الطيب، وعمله الصالح، كالشجرة من النخل، لا يزال يرفع له عمل صالح في كل حين ووقت، وصباح ومساء. فالمؤمن بإيمانه ثابت لا يتغير ولا يتبدل.

تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ
كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ
﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ
ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا
وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ
ٱلۡقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلۡ
تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ
مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ
بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ
فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ
ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٦

المؤمن كالشجرة الطيبة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وعمل المؤمن مستمر، ولا يزال يرفع له عمل صالح آناء الليل وأطراف النهار في كل وقت وحين، كاملًا حسنًا كثيرًا طيبًا، و مثل كفر الكافر لا أصل له ولا ثبات، وهو شبه شجرة الحنظل، لا طعم ولا ريح، وكذلك الكفر لا أصل له ولا فرع، ولا يصعد للكافر عمل، ولا يتقبل منه شيء، والمؤمن يثبته الله في الحياة الدنيا على الدين، ويثبته عند السؤال في القبر حين يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك، فيقول: ربي الله. فيقولان له: ما دينك، فيقول ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم، فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما علمك فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به وصدقت، فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة، فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول له: من أنت، فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح. فيقول: رب أقم الساعة، رب أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومالي، وأما الكافر فيضله الله في الحياة الدنيا وعند السؤال، يأتيه ملكان فيجلسانه ويقولان له: من ربك، فيقول: هاه هاه، لا أدري، فيقولان له: ما دينك، فيقول: هاه هاه، لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم، فيقول: هاه هاه، لا أدري، فينادي مناد من السماء، أن كذب فأفرشوه من النار، وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره، حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول: ومن أنت فوجهك الوجه يجئ بالشر. فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة.

وقد بعث الله محمدًا ﷺ رحمة للعالمين، ونعمة للناس أجمعين، فمن قبلها وقام بشكرها دخل الجنة، ومن ردها وكفرها دخل النار، ومشركو قريش، أتتهم نعمة الله الإيمان، فبدلوا نعمة الله كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار، فموعدهم جهنم يدخلونها وبئس المستقر؛ لأنهم جعلوا لله شركاء عبدوهم معه، ودعوا الناس إلى ذلك، وأما أهل الإيمان فقد أمرهم الله وأوجب عليهم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ورغبهم في الصدقة سرًا وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا صداقة، يوم لا ينفع مال ولا بنون.

فالشكر لله الذي أنعم على عباده، خلق لهم السماوات سقفًا محفوظًا، والأرض فراشًا، وأنزل من السماء ماء فأخرج به أزواجًا من نبات شتى، ما بين ثمار وزروع مختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح والمنافع، وسخر الفلك بأن جعلها طافية على تيار ماء البحر، تجري عليه بأمر الله تعالى، وسخر البحر يحملها ليقطع المسافرون بها من إقليم إلى إقليم آخر، لجلب ما هنا إلى هناك، وما هناك إلى ها هنا، وسخر الأنهار تشق الأرض من قطر إلى قطر، رزقًا للعباد من شرب وسقي وغير ذلك من أنواع المنافع، فيما يعود إلى مصالح العباد، وسخر لهم الشمس والقمر يجريان ولا يفتران، وسخر لهم الليل والنهار يتعاقبان في الضياء والظلمة، والنقصان والزيادة.

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ
لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ
قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ
أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ
فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾
رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ
ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ
تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾
رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ
فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى
عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾
رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ
دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ
ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ
ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾

أمر الله العباد بسؤاله ودعائه، ووعدهم بالإجابة، والمسلم يدعو ربه في الصغير والكبير، والله يحب الملحين بالدعاء، ونعم الله على عباده كثيرة، يعجز العباد عن تعداد النعم فضلًا عن القيام بشكرها، ونعم الله أكثر من أن يحصيها العباد، ولكن الإنسان ظلوم لنفسه بعدم الشكر، يكفر النعمة ويجحد نعمة الله عليه، ومن نعم الله على عباده البلد الحرم الآمن الذي تجبى إليه خيرات الأرض، وقد دعا إبراهيم الخليل ﷺ لهذا البلد، وقد أسس المسجد الحرام على عبادة الله وحده لا شريك له، ودعا إبراهيم بأن يبعده الله وبنيه عن عبادة الأصنام، وينبغي لكل داع أن يدعو لنفسه ولوالديه ولذريته، بالابتعاد عن عبادة الأصنام؛ لأنهن فتنة لكثير من الناس، والأصنام ليست مقصورة على المنحوت من الحجارة والخشب فكل ما عبد من دون الله فهو وثن وصنم، ومن حقق التوحيد ونبذ عبادة الأصنام فإنه من أتباع الخليل، ومن عصاه ولم يسلك طريق التوحيد، فهو على خطر عظيم لأن الشرك محبط للعمل، وموجب للخلود في النار .

وقد جاء إبراهيم ﷺ بزوجته هاجر وبابنها إسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم رجع إبراهيم منطلقًا، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء، فقالت له ذلك مرارًا، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله أمرك بهذا، قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا ثم رجعت، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الدعوات فرفع يديه، فقال: ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع، فدعا لهم بإقامة الصلاة وهي أعظم الفرائض، ودعا لهم بإن تهوى القلوب هذا البيت وتحن إليه وتشتاق لرؤيته، وتبذل الغالي والنفيس في قصده وزيارته، ودعا لهم بالثمرات لتكون عونًا لهم على طاعة الله.

وقصد إبراهيم بالدعاء رضا الله والإخلاص له، فإنه سبحانه يعلم الأشياء كلها ظاهرها وباطنها، ولا يخفى عليه منها شيء في الأرض ولا في السماء.

ثم حمد ربه ﷻ على ما رزقه من الولد بعد الكبر لما دعاه، فهو سبحانه يستجيب لمن دعاه، وقد استجاب لإبراهيم لما سأله الولد، ثم دعا: رب اجعلني مقيم الصلاة، محافظًا عليها مقيمًا لحدودها، وذريتي اجعلهم مقيمي الصلاة، وتقبل دعاءنا فيما سألنك.

ربنا اغفر لي ولوالدي وذلك قبل أن يتبرأ من أبيه لما تبين له عداوته لله ﷻ وللمؤمنين كلهم يوم تحاسب عبادك فتجزيهم بأعمالهم، إن خيرًا فخيرًّا، وإن شرًّا فشرًّا، والمشروع للمسلم أن يدعو لوالديه ولأولاده فيخصهم بدعوة صادقة، ويدعو لإخوانه المسلمين.

والله سبحانه إذا أنظر الظلمة وأجلهم فإنما هو استدراج لهم وإمهال، يحصي عليهم ظلمهم، ليوم تشخص فيه الأبصار، فلا تغمض من شدة الأهوال يوم القيامة.

مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ﴿٤٧﴾ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾

البعث بعد الموت حقيقة ثابتة وعقيدة راسخة، يوم يقوم الناس من قبورهم، في ذلك اليوم يحشر الكفار مسرعين، رافعي رؤوسهم، أبصارهم طائرة شاخصة، يديمون النظر لا يطرفون لحظة لكثرة ما هم فيه من الهول والفكرة والمخافة لما يحل بهم، عياذًا بالله العظيم من ذلك، وقلوبهم خاوية خالية ليس فيها شيء لكثرة الفزع والوجل والخوف؛ لأن القلوب لدى الحناجر قد خرجت من أماكنها من شدة الخوف، وقد أنذرت الرسل هذا اليوم، ولكن الكفار لم يستجيبوا ولم يؤمنوا، فهم يوم القيامة حين يرون العذاب يطلبون التأجيل والتأخير، وقد كانوا من قبل يحلفون أنه لا زوال لهم مما هم فيه، وأنه لا معاد ولا جزاء،

وقد رأوا وبلغهم ما أحل الله بالأمم المكذبة قبلهم، ولم يكن لهم فيهم معتبر، ومزدجر.

وقد مكروا بالنبي ﷺ وعند الله جزاء مكرهم، وإن مكرهم لا يزيل أمر محمد ﷺ الذي هو ثابت كثبوت الجبال، وإن كان شركهم لتزول منه الجبال.

وقد وعد الله رسله وأتباعهم من المؤمنين بالنصر في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، فهو سبحانه ذو عزة لا يمتنع عليه شيء أراده، ولا يغالب، وذو انتقام ممن كفر به وجحده.

ووعده حاصل يوم تبدل الأرض غير الأرض، على غير الصفة المألوفة المعروفة، يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء، كقرصة النقي، ليس فيها معلم لأحد، أرض كالفضة البيضاء نقية، لم يسفك فيها دم، ولم يعمل عليها خطيئة، ينفذهم البصر، ويسمعهم الداعي، حفاة عراة كما خلقوا قيامًا حتى يلجمهم العرق، وتصير السموات جنانًا، ويصير مكان البحر نارًا، وخرجت الخلائق جميعها من قبورهم لله الواحد القهار الذي قهر كل شيء وغلبه، ودانت له الرقاب، وخضعت له الألباب.

والذين أجرموا بكفرهم وفسادهم، مقرنين بعضهم إلى بعض، قد جمع بين النظراء والأشكال منهم، كل صنف إلى صنف، ثيابهم التي يلبسونها عليهم من قطران، وهو النحاس المذاب، وهو ألصق شيء بالنار.

تلفح وجوههم النار، ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى

والله سريع الحساب؛ لأنه يعلم كل شيء، ولا يخفى عليه خافية، وجميع الخلق بالنسبة إلى قدرته كالواحد منهم.

وهذا القرآن بلاغ لجميع الخلق من إنس وجن، وليتعظوا به، ويستدلوا بما فيه من الحجج والدلالات على أنه لا إله إلا هو، وليتذكر أولو العقول السليمة، نسأل الله أن يجعلنا من المتعظين المعتبرين بالقرآن.



سُورَةُ الحِجْرِ

ترتيبها ١٥ — آياتها ٩٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾



سورة الحجر

وهي سورة مكية، وسميت بذلك لذكر أصحاب الحجر فيها وهم ثمود

أنزل الله القرآن العظيم لهداية الناس، وقد أعجز العرب الفصحاء أن يأتوا بمثله، فقد أنزل الله كتابه على نبيه محمد ﷺ ليدعو به إلى التوحيد ولينقل به الأمم من الكفر إلى الإسلام، فإن الكفار سيندمون على ما كانوا فيه من الكفر، ويتمنون لو كانوا مع المسلمين في الدار الدنيا، حين يعرضون على النار.

ولم يهلك الله قرية إلا بعد قيام الحجة عليها وانتهاء أجلها، وهو سبحانه لا يؤخر أمة حان هلاكها عن ميقاتها ولا يتقدمون عن مدتهم، وهذا تنبيه لأهل مكة، وإرشاد لهم إلى الإقلاع عما هم فيه من الشرك والعناد والإلحاد الذي يستحقون به الهلاك، فإنهم من كفرهم وعتوهم وعنادهم قولهم: يا أيها الذي نُزِّل عليه الذكر إنك لمجنون في دعائك إيانا إلى اتباعك وترك ما وجدنا عليه آباءنا، فهلا تأتينا بالملائكة يشهدون لك بصحة ما جئت به.

وما يرسل الله الملائكة إلا بالرسالة والعذاب، فهو سبحانه الذي أنزل القرآن، وهو الحافظ له من التغيير والتبديل، وهو وعد من الله بحفظ القرآن الكريم من التحريف والتبديل، وقد أرسل الله من قبل محمد ﷺ في الأمم الماضية الرسل والأنبياء فما أتى أمة رسول إلا كذبوه واستهزؤوا به، وهو قضاء الله تعالى عليهم كما أدخل الكفر والتكذيب والاستهزاء بالرسل في قلوب الأولين، كذلك يدخله في قلوب مشركي مكة، فلا يؤمنوا بمحمد ﷺ ولا بالقرآن، وقد مضت وقائع الله تعالى بالإهلاك فيمن كذب الرسل من الأمم الخالية.

فمن قوة كفرهم وعنادهم ومكابرتهم للحق أنه لو فتح لهم باب من السماء، فجعلوا يصعدون فيه، لما صدقوا بذلك، بل يقولون سدت أبصارنا، أو عمل فينا السحر فسحرنا محمد ﷺ، وقد نسبوا السحر إلى رسول ﷺ، ونسبوا إليه الشعر والكهانة، والجنون، عنادًا واستكبارًا، ومغالطة للحق، وهذا شأن المكذبين والمستكبرين في جميع العصور، لا يقبلون الحق ولو رأوا الحجج والبينات والآيات؛ لأن الله طبع على قلوبهم فهم لا يؤمنون.

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾

خلق الله السماء فمن تأملها في ارتفاعها وما زينها الله به من الكواكب الثواقب، ومن كرر النظر فيها، يرى فيها من العجائب والآيات الباهرات ما يحار نظره فيه.

وجعل الشهب حرسًا لها من مردة الشياطين؛ لئلا يسَّمَّعوا إلى الملأ الأعلى، فمن تمرد منهم وتقدم لاستراق السمع، جاءه شهاب مبين فأتلفه، وقد يكون قد ألقى الكلمة التي سمعها قبل أن يدركه الشهاب إلى الذي هو دونه، فيأخذها الآخر، ويأتي بها إلى وليه من الكهان فيكذب معها مائة كذبة.

ومن تأمل خلق الله للأرض، ومده إياها وتوسيعها وبسطها، وما جعل فيها من الجبال الرواسي، والأودية والأراضي والرمال، وما أنبت فيها من الزروع والثمار المتنوعة بقدر معلوم، وعيش الناس عليها والحيوان لعلم أن ذلك من أسباب الاعتراف بقدرة الله واستحقاقه العبودية دون ما سواه.

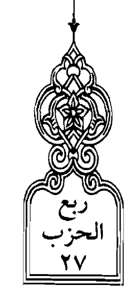
فإن الله يسر لعباده من أسباب المكاسب ووجوه الأسباب وصنوف المعايش، وسخر لهم من الدواب التي يركبونها والأنعام التي يأكلونها، مما يستحق الشكر وإخلاص العبادة لله وحده.

فهو سبحانه مالك كل شيء، وأن كل شيء سهل عليه، يسير لديه، وأن عنده خزائن الأشياء من جميع الصنوف، وينزله على عباده كما يشاء وكما يريد، ولما له في ذلك من الحكمة البالغة، والرحمة بعباده، ومن عطائه المطر لا ينزله إلا بقدر محدد معلوم، ومن عطائه الرياح تلقح السحاب فتدر ماء، وتلقح الشجر فتتفتح عن أوراقها وأكمامها، يبعثها الله على السحاب، فتلقحه، فيمتلئ ماء، فينزله على عباده عذبًا ليشربوا منه، ولو شاء الله لجعله مالحًا، لا يستطيع أحد شربه، ولا يستطيع البشر حفظه، بل الله ينزله ويحفظه، ويجعله معينا وينابيع في الأرض، ولو شاء الله تعالى لذهب به، ولكن من رحمته إنزاله وجعله عذبًا، وحفظه في العيون والآبار والأنهار وغير ذلك، ليبقى لهم في طول السنة، يشربون ويسقون أنعامهم وزروعهم وثمارهم.

وهو سبحانه الذي أحيا الخلق من العدم، ثم يميتهم ثم يبعثهم كلهم ليوم الجمع، وهو يرث الأرض ومن عليها وإليه يرجعون.

ومن تمام علم الله بعباده، علمه بأولهم وآخرهم، ومن تقدم وسبق في العبادة والطاعة ممن يتأخر عنها، ولقد خلق الله الإنسان من التراب اليابس الأملس، والجن خلقهم من النار قبل الإنسان وخُلق الملائكة من النور، وأمر الله الملائكة بالسجود لآدم تنبيهًا لفضله، وتشريفًا له، وتخلف إبليس عدوه عن السجود له من بين سائر الملائكة، حسدًا وكفرًا، وعنادًا واستكبارًا، وافتخارًا بالباطل.

قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن
لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ قَالَ
فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ
ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ
مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ
أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾
إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ
مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ
ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾
لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ
ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾
وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ
﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾
۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي
هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾



افتخر إبليس بأصله الذي خلق منه، وتكبر عن أمر ربه، فلم يكن من الساجدين، وعصى أمر رب العالمين.

فطُرد إبليس من ملكوت السماء، وأمر أمرًا كونيًا لا يخالف ولا يمانع، بالخروج من المنزلة التي كان فيها من الملأ الأعلى، فهو طريد قد أتبعه الله لعنة لا تزال متصلة به، لاحقة له، متواترة عليه إلى يوم القيامة.

وطلب إبليس من الله تأخيره و إمهاله إلى يوم القيامة، فطلب أن يبقى حيًّا إلى هذا اليوم، فاستجاب الله له لحكمة يعلمها الله ليبتلي به عباده، فأقسم إبليس بإغواء الله له أن يغوي ذرية آدم ﷺ ويضلهم، فيحبب إليهم المعاصي ويرغبهم فيها، ويؤزهم إليها، واستثنى من الإغواء والإغراء عباد الله المخلصين الذين أخلصوا لله الطاعة والتوحيد.

والإخلاص طريق إلى الله مستقيم، لا يسلكه إلا من اختارهم الله واصطفاهم، وطريق الحق مرجعها إلى الله تعالى، وإليه تنتهي.

وعباد الله الذين قدر الله لهم الهداية، لا سبيل للشيطان عليهم، ولا وصول له إليهم، إلا المتبعون لإبليس من الغاوين عن طريق الحقّ الواقعين في الضلال، وجهنم موعد جميع من اتبع إبليس، لها سبعة أبواب كتب لكل باب منها جزءًا من أتباع إبليس يدخلونه، لا محيد لهم عنه، أجارنا الله منها ووالدينا.

وكل يدخل من باب بحسب عمله، ويستقر في درك بقدر فعله، وأبوابها أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم سعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية.

أما أهل الجنة نسأل الله أن يجعلنا من أهلها ووالدينا والمسلمين، فهم في جنات وعيون، يقال لهم ادخلوها سالمين من الآفات، مسلمًا عليكم، آمنين من كل خوف وفزع، ولا تخشوا من إخراج، ولا انقطاع، ولا فناء.

طهر الله صدورهم من الشحناء والضغائن، ينزع الله ما في صدورهم في الدنيا من غلٍ، إخوانًا على سرر متقابلين.

لا ينظر بعضهم في قفا بعض، لا يمسهم فيها المشقة والأذى، يصحوا فلا يمرضوا أبدًا، ويعيشوا فلا يموتوا أبدًا، و يشبوا فلا يهرموا أبدًا، خالدين فيها لا يبغون عنها حولًا.

والله سبحانه الغفور الرحيم وعذابه هو العذاب الأليم و لو علم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام، ولو يعلم قدر عقابه لأهلك نفسه.

فقد خلق الله مائة رحمة، فأمسك عنده تسعًا وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييئس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار.

وقد جاء الملائكة ضيوفًا على إبراهيم، أرسلهم الله تعالى ليبشروا إبراهيم ﷺ بالولد، ويهلكوا قوم لوط.

إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗا قَالَ إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ
لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرۡتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن
مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ
فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ
رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ
﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ
إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ
ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلۡ جِئۡنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ
يَمۡتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسۡرِ
بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٞ
وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ أَنَّ
دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ
يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾

إكرام الضيف، من هدي الإسلام، ومن سنة الأنبياء ﷺ ولما جاءت الملائكة إبراهيم، وحيّوه بتحية الإسلام السلام، ذبح لهم عجلًا سمينًا، وشواه على الحجارة المحماة، وقدمه إليهم فلم يأكلوا، فخاف منهم، لما رأى أيديهم لا تصل إلى ما قربه لهم من الضيافة، فقالوا: لا تخف، وبشروه بإسحاق ﷺ، فتعجب من كبره وكبر زوجته ومتحققًا للوعد، فأجابوه مؤكدين لما بشروه به تحقيقًا وبشارة بعد بشارة، فأجابهم بأنه ليس بقانط من رحمة الله، ولكن يرجو من الله الولد، وإن كان قد كبر وأيست امرأته، فإنه يعلم من قدرة الله ورحمته ما هو أبلغ من ذلك.

فلما ذهب عنه الروع وجاءته البشرى بالولد وهو إسحاق ﷺ ، وبشروه بولد إسحاق يعقوب ﷺ، وقد فطر الله بني آدم بحب الولد، وأعظم من ذلك صلاحه واستقامته، فسأل إبراهيم ﷺ الملائكة عما جاؤوا له، فقالوا إنا أرسلنا إلى قوم لوط، وأخبروه أنهم سينجون آل لوط من بينهم إلا امرأته فإنها من المهلكين.

فلما جاءت الملائكة لوطًا ﷺ في صورة شباب حسان الوجوه، فدخلوا عليه داره، قال: إنكم قوم لا نعرفهم، قالوا: جئناك بعذاب قومك وهلاكهم ودمارهم الذي كانوا يشكون في وقوعه بهم، وحلوله بساحتهم، وأتيناك باليقين.

وهم صادقون فيما يقولون جاءوا بنجاته ومن آمن معه، وبهلاك قومه وأمروه أن يسري بأهله بعد مضي جانب من الليل، وأن يكون لوط ﷺ يمشي وراءهم، ليكون أحفظ لهم، وقد كان رسول الله ﷺ يمشي في آخر الجيش، يزجي الضعيف، ويحمل المنقطع، وتلك مسئولية القيادة، حمل هم الرعية والإحسان إليهم والرفق بهم.

وأمرهم الله أنهم إذا سمعوا الصيحة بالقوم فلا يلتفتوا إليهم، ويذروهم فيما حل بهم من العذاب والنكال، ويمضوا حيث أمرهم الله إلى أرض الشام، وقضى الله بهلاك القوم مع الصبح إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب؟

ولما علم قوم لوط بأضيافه وحسن وجوههم، جاءوا مستبشرين بهم فرحين، يريدون الفاحشة والفجور، وقد استحوذ عليهم الشيطان فزين لهم العمل الخبيث، فقال لهم لوط ﷺ : إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون عندهم، واتقوا الله بابتعادكم عن هذه المعصية، فإن فعلكم سبب للذل والهوان والخسارة، فقالوا: أو لم ننهاك أن تضيف أحدًا من الناس ؟كل ذلك استكبار وإصرار على فعل المعصية، وغرور بأنفسهم وقوتهم وجرأتهم على الفاحشة، وتلك حالة كل مجرم، يتظاهر بفعل المعاصي والفواحش، ويفتخر بها، ويعلنها، نسأل الله السلامة والعافية.

قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾

لما جاء قوم لوط إلى لوط ﷺ يريدون ضيوفه من الملائكة، أرشدهم إلى نسائهم، وما خلق لهم ربهم منهن من الفروج المباحة. هذا كله وهم غافلون عما يراد بهم، وما قد أحاط بهم من البلاء، وماذا يصبحهم من العذاب المستقر؛ فهم في ضلالتهم يلعبون، وعند شروق الشمس أخذتهم الصيحة: وهي صوت قاصف، و رفع جبريل ﷺ بلادهم إلى عنان السماء ثم قلبها، وجعل عاليها سافلها، وأرسل عليهم حجارة من سجيل، وآثار هذه النقم ظاهرة على تلك البلاد لمن تأمل ذلك وتوسمه بعين بصره وبصيرته، فهي آية للمتفرسين المتأملين.

وديارهم معلم في طريق واضح بيِّن، لا تزال آثار العذاب فيها، وهي ما يسمى بالبحر الميت.

وهذا الذي نزل بقوم لوط من الهلاك والدمار، ونجاة لوط ﷺ وأهله، دلالة واضحة جلية للمؤمنين بالله ورسله.

وأما أصحاب الأيكة وهي الشجر الملتف، قوم شعيب ظلموا أنفسهم بالشرك بالله وقطعهم الطريق، ونقصهم المكيال والميزان، فانتقم الله منهم بالصيحة والرجفة وعذاب يوم الظلة، وقد كانوا قريبًا من قوم لوط، بعدهم في الزمان، وموازين لهم في المكان، وطريقهما واحد بيِّن.

وأما أصحاب الحجر فهم ثمود الذين كذبوا صالحًا نبيهم، ومن كذب برسول فقد كذب بجميع المرسلين. آتاهم من الآيات ما يدلهم على صدق ما جاءهم به صالح، كالناقة التي أخرجها الله لهم بدعاء صالح من صخرة صماء فكانت تسرح في بلادهم، لها شرب ولهم شرب يوم معلوم، فلما عتوا وعقروها وعدهم صالح ﷺ العذاب بعد ثلاثة أيام، وكانوا ينحتون من الجبال بيوتًا من غير خوف ولا احتياج إليها، بل أشرًا وبطرًا وعبثًا، كما هو المشاهد من صنيعهم في بيوتهم بوادي الحجر، الذي مر به رسول الله ﷺ وهو ذاهب إلى تبوك فقنع رأسه وأسرع دابته، فأخذتهم الصيحة وقت الصباح من اليوم الرابع فما أغنى عنهم ما كانوا يستغلونه من زروعهم وثمارهم التي بخلوا بمائها عن الناقة، حتى عقروها لئلا تضيق عليهم في المياه، فما دفعت عنهم تلك الأموال، ولا نفعتهم لما جاء أمر الله.

وما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالعدل؛ ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، والساعة آتية وكائنة لا محالة، فيتحمل المؤمن ما يلقاه في طريق الدعوة إلى الله وطريق الطاعة كما تحمل الرسل عليهم الصلاة والسلام فقد تحمل نبينا محمد ﷺ وصفح وعفا عمن آذاه كما أمره الله بالصفح الجميل عن المشركين في أذاهم له وتكذيبهم ما جاءهم به، والله هو الذي خلق عباده وهو القادر على بعثهم بعد الموت، فهو الخلاق الذي لا يعجزه خلق ما يشاء، وهو العليم بما تمزق من الأجساد وتفرق في سائر أقطار الأرض، والقرآن يزهِّد في الدنيا ويرغب في الآخرة وقد أنزل على نبينا محمد ﷺ فيه بأن لا ينظر إلى الدنيا وزينتها وما متع الله به أهلها من الزهرة الفانية فتنة لهم. فلا يغبطون بما هم فيه، ولا تذهب نفس النبي ﷺ عليهم حسرات حزنًا عليهم في تكذيبهم ومخالفتهم، وقد أعطي النبي ﷺ السبع المثاني وهي الفاتحة أفضل وأعظم سورة في القرآن، وكان ﷺ لين الجانب للمؤمنين حريص عليهم بالمؤمنين رءوف رحيم وهو عليه الصلاة والسلام النذير المبين، نذير للناس من عذاب أليم أن يحل بهم على تكذيبه كما حل بمن تقدمهم من الأمم المكذبة لرسلها، وما أنزل الله عليهم من العذاب والانتقام، كما أنزل على المتحالفين الذين تحالفوا على مخالفة الأنبياء وتكذيبهم وأذاهم.

ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سُورَةُ النَّحْلِ

ترتيبها ١٦ — آياتها ١٢٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

نصف الحزب ٢٧

بعث الله نبيه ﷺ فافترق الناس فمنهم من آمن به وصدقه، ومنهم من كذبه وجحد رسالته، وأمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض، ومنهم من قال إن القرآن سحر وكهانة وشعر وأساطير الأولين

وسيسألون عما عملوا في ما أُمروا به من التوحيد والإيمان، وأمر النبي ﷺ بالجهر بالدعوة وإبلاغ ما بعثه الله به وبإنفاذه والصدع به، وهو مواجهة المشركين به، وتبليغ ما أنـزل إليـه مـن ربـه، ولا يلتفـت إلى المشركين الذين يريدون أن يصدوه عن آيات الله، ولا يخافهم. فإن الله كافيه إياهم، وحافظه منهم، وسينزل الله بأسه بالمستهزئين، وقد كفاه الله كل مستهزئ في حياتـه وبعـد مماتـه إلى قيـام السـاعة، وقـد توعـد الله المشركين الذين يجعلون مع الله إلهًا غيره بالعذاب الأليم يوم القيامة، الذين يؤذون النبي ﷺ فيضيق صدره من استهزائهم، وأذاهم. فلا يثنيه ذلك عن إبلاغ رسالة الله، يتوكل على الله في أداء رسالة ربه، فهـو كافيـه وناصره عليهم، مع الاشتغال بذكر الله وتحميده وتسبيحه وعبادته التي هي الصلاة؛ فهي أعظم زاد للداعية إلى الله، وعبادة الله تعالى لا نهاية لها إلا الموت، ولا انقطاع لعمل الإنسان إلا بالموت، ومن كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة، نسأل الله أن يميتنا عليها ووالدينا وأهلينا وذرياتنا والمسلمين.

سورة النحل

وهي سورة مكية ، سميت بذلك لذكر النحل فيها

الساعة عقيدة يعتقدها المسلم، وهي واقعة لا محالة، ولكل إنسان ساعة، فإذا مـات قامـت سـاعته، وأما الساعة فهي قريبة من العباد، فعليهم الاستعداد بالعمـل الصـالح الـذي يقـربهم إلى الله، فهـي تقـوم والرجلان ينشران الثوب فما يطويانه أبدًا، وإن الرجل ليصلح حوضه فما يسقي فيه شيئًا أبدًا، وإن الرجـل ليحلب ناقته فما يشربه أبدًا

تعالى الله وتنزه عن كفر المكذبين بالساعة وشرك المشـركين. وعبادتهم معـه مـا سـواه مـن الأوثـان والأنداد، تعالى وتقدس علوًا كبيرًا. ينزل الملائكة بالوحي الذي هو حياة الأرواح عـلى الأنبيـاء؛ لينـذروا المشركين عن الشرك ويبشرونهم بالتوحيد وكلمته لا إله إلا الله لتكون لهم وقاية من عذاب الله.

وهو سبحانه خلق العالم العلوي وهو السماوات، والعالم السفلي وهو الأرض بما حوت، خلقه بالحق لا للعبث

تعالى الله وتنزه عن شرك من عبد معه غيره من الأصنام التي لا تخلق شيئًا وهم يخلقون.

خلق جنس الإنسان من نطفة ضعيفة مهينة، فلما استقل ودرج إذا هو يخاصـم ربـه تعـالى ويكذبـه، ويحارب رسله، وهو إنما خلق ليكون عبدًا لا ضدًا.

وخلق الله لعباده من الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم، وجعل لهم فيها من المصـالح والمنـافع، مـن أصوافها وأوبارها وأشعارها يلبسون ويفترشون، ومن ألبانها يشربون، ويأكلون من أولادها، وما لهم فيها من الجمال و الزينة وقت رجوعها عشيًّا من المرعى، وحين غدوها أول النهار حين تبعث إلى المرعى.

وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ
ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٧﴾ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ
وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾
وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ
أَجۡمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ
شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم
بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾
وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ
مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ
﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي
سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ
مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ
وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾

للعباد في الأنعام منافع كثيرة ومنها أنها تحمل الأحمال المثقلة التي يعجزون عن نقلها وحملها، في الحج والعمرة والغزو والتجارة، وما جرى مجرى ذلك، ويستعملونها في أنواع الاستعمال، من ركوب وتحميل، وذلك من رأفة الله بعباده ورحمته بهم ومما سخره الله لعباده وامتن به عليهم الخيل والبغال والحمير، التي جعلها للركوب والزينة بها، وذلك أكبر المقاصد منها، ويخلق ما لا يعلم في وقت نزول القرآن من المركوبات ووسائل النقل، ويخلق ما لا يعلمه البشر فيما أعد الله في الجنة لأهلها، وفي النار لأهلها، مما لم تره عين ولم تسمعه أذن ولا خطر على قلب بشر.

وسلوك طريق الحق والاستقامة عليه من أعظم النعم على العباد، والله سبحانه بين طريق الهدى من الضلالة، و بين الحق بالآيات والبراهين، وأوضح الصراط المستقيم، والطرق والسبل كثيرة وهي مائلة عن الحق وعن سبيل الاستقامة، ولا طريق مستقيم إلا طريق السنة وهو الصراط المستقيم، وأما سائر السبل كسبيل اليهودية، والنصرانية، وسائر ملل الكفر، والأهواء والبدع، فهي توصل إلى النار. ولو شاء الله لهدى الناس جميعًا، ولكن لحكمة يعلمها جعل الناس فرقًا وأحزابًا.

وهو سبحانه أنزل من السماء ماء للعباد منه يشربون ماء عذبًا زلالًا يسوغ شرابه، ولم يجعله ملحًا أجاجًا، ومن ذلك الماء شرب أشجارهم، وحياة نباتهم، الذي يرعون مواشيهم منه.

ويخرج من الماء الزروع والأشجار، على اختلاف صنوفها وطعومها وألوانها وروائحها وأشكالها؛ وفي ذلك دلالة وحجة على أن الله لا إله إلا هو، ومن شواهد التوحيد ودلائله، تسخير الله الليل والنهار يتعاقبان، والشمس والقمر يدوران، والنجوم الثوابت والسيارات، في أرجاء السموات نورًا وضياء للمهتدين بها في الظلمات، وكل منها يسير في فلكه الذي جعله الله تعالى فيه، يسير بحركة مقدرة، لا يزيد عليها ولا ينقص منها، والجميع تحت قهره وسلطانه وتسخيره وتقديره وتسييره، كل ذلك دلائل على قدرة الله الباهرة وسلطانه العظيم، لقوم يعقلون عن الله ويفهمون حججه.

ومن البراهين القاطعة على التوحيد ما خلق الله في الأرض من الأمور العجيبة والأشياء المختلفة، من الحيوانات والمعادن والنباتات والجمادات على اختلاف ألوانها وأشكالها، وما فيها من المنافع والخواص مما يدعو المؤمن للتفكر في آلاء الله ونعمه فيشكرها.

ومن الدلائل على التوحيد تسخير الله البحر المتلاطم بالأمواج، وجعله مذللًا لهم، وتيسيره للركوب فيه، وخلق السمك والحيتان فيه، وإحلالها لعباده لحمها حيها وميتها، في الحل والإحرام وما يخلقه فيه من اللآلئ والجواهر النفيسة، وتسهيله للعباد استخراجها من قراره حلية يلبسونها، وتسخيره البحر لحمل السفن التي تشق الأمواج والرياح، والتجارة بالأسماك وطعام البحر فضلًا من الله ونعمة، تستحق الشكر وتحقيق التوحيد.

وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

من نعم الله على عباده هذه الأرض، جعل فيها من الرواسي الشامخات والجبال الراسيات، لتقر الأرض ولا تضطرب بما عليها من الحيوان فلا يهنأ لهم عيش بسبب ذلك.

وجعل فيها أنهارًا تجري من مكان إلى مكان آخر، رزقًا للعباد، ينبع في موضع وهو رزق لأهل موضع آخر، فيقطع البقاع والبراري والقفار، ويخترق الجبال والآكام، فيصل إلى البلد الذي سخر لأهله، وهي سائرة في الأرض يمنة ويسرة، وجنوبًا شمالًا وشرقًا وغربًا، ما بين صغار وكبار، وأودية تجري حينًا وتنقطع في وقت، وما بين نبع وجمع، وقوي السير وبطيئه بحسب ما أراد وقدر سبحانه، وسخر ويسر فلا إله إلا هو، ولا رب سواه.

وجعل فيها طرقًا يسلك فيها من بلاد إلى بلاد، حتى إنه تعالى ليقطع الجبل حتى يكون ما بينهما ممرًا ومسلكًا.

وجعل فيها دلائل من جبال كبار وآكام صغار، ونحو ذلك، يستدل بها المسافرون برًّا وبحرًا إذا ضلوا الطريق في النهار، وفي ظلام الليل، يهتدون بالنجوم. وكل تلك المخلوقات تدل على الخالق البصير ﷻ المستحق للعبادة دون ما سواه من الأوثان، التي لا تخلق شيئا بل هم يخلقون. ونعم الله على العباد كثيرة لا تحصى وإحسانه إليهم لا يعد و هو سبحانه يتجاوز عن عباده إذا قصروا في شكر نعمه؛ لأنه لو طالبهم بشكر جميع نعمه لعجزوا عن القيام بذلك. فهو غفور رحيم، يغفر الكثير، ويجازي على اليسير، وهو سبحانه يعلم الضمائر والسرائر كما يعلم الظواهر. وسيجزي كل عامل بعمله يوم القيامة، إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًا فشرًّا.

وأما الأصنام التي يدعونها من دون الله لا تخلق شيئًا وهي مخلوقة. فهي جمادات لا أرواح فيها. فلا تسمع ولا تبصر ولا تعقل، ولا يدرون متى تكون الساعة، فكيف يرتجى عند هذه نفع أو ثواب أو جزاء، إنما يرتجى ذلك من الذي يعلم كل شيء، وهو خالق كل شيء.

فهو سبحانه الإله الواحد الأحد الفرد الصمد، لا إله إلا هو، وإن أنكره الكافرون فهم مستكبرون عن عبادة الله مع إنكار قلوبهم لتوحيده، لا يؤثر فيها وعظ، ولا ينجح فيها تذكير، والله يعلم حقًّا ما يسرون وما يعلنون وسيجزيهم على ذلك أتم الجزاء، والله لا يحبّ الذين يستكبرون عن توحيد الله والاستجابة لأنبيائه.

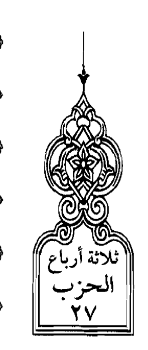
الذين إذا قيل لهم: ماذا أنزل ربكم؟ قالوا: لم ينزل شيئًا، إنما هذا أساطير الأولين، أخذها من كتب المتقدمين.

فسيتحملون أوزارهم ومن أوزار الذين يتبعونهم ويوافقونهم، فيحملون خطيئة ضلالهم في أنفسهم، وخطيئة إغوائهم لغيرهم واقتداء أولئك بهم.

والكافرون الظالمون الآثمون يمكرون للكيد للإسلام وأهله، ويبذلون في ذلك الأموال الطائلة للصد عن سبيل الله

ويبذلون الجهود المتتابعة للمكر بأمة الإسلام حتى إذا ظنوا أنهم وصلوا إلى ما أرادوا وخططوا، هدم الله أعمالهم وجهودهم واجتثها من أصلها فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، فتفرق ما كان مجتمعًا وانهدم ما كان قائمًا، ولهم العذاب في الآخرة يذلهم ويفضحهم على رؤوس الأشهاد، فكل من كاد للمسلمين ومكر بأهل الإسلام فهذا مصيره بحمد الله ومنته.

ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُخۡزِيهِمۡ وَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ
كُنتُمۡ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ
ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ (٢٧) ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ (٢٨) فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ (٢٩) ۞ وَقِيلَ
لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي
هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ
(٣٠) جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا
مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ (٣١) ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ
ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا
كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ (٣٢) هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ
ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ (٣٣) فَأَصَابَهُمۡ
سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ (٣٤)



الذين يكيدون للإسلام وأهله يظهر الله أمرهم يوم القيامة، ويقول الله لهم: أين الذين كنتم تحاربون وتعادون في سبيلهم؟ أين هم عن نصركم وخلاصكم اليوم؟ أين من كنتم تعظمونهم في الدنيا من صنم أو قبر أو ولي أو نظام أو حزب أو فكر؟ فإذا توجهت عليهم الحجة، وقامت عليهم الدلالة، وحقت عليهم الكلمة، وأسكتوا عن الاعتذار حين لا فرار، قال المؤمنون الذين أتاهم الله العلم، وهم السادة في الدنيا والآخرة، والمخبرون عن الحق في الدنيا والآخرة، إن الفضيحة والعذاب اليوم محيط بمن كفر بالله، وأشرك به ما لا يضره ولا ينفعه.

فهؤلاء المشركون الظالموا أنفسهم بالشرك عند احتضارهم ومجيء الملائكة إليهم لقبض أرواحهم يظهرون السمع والطاعة والانقياد وينفون عن أنفسهم عمل السيئات، وينكرون الشرك بالله، وما علموا أن الله تعالى عليم بأعمالهم، فيقال لهم، ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس المقيل والمقام والمكان من دار هوان، لمن كان متكبرًا عن آيات الله واتباع رسله.

وهم يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم، ويأتي أجسادهم في قبورها من حرّها وسمومها، فإذا كان يوم القيامة سلكت أرواحهم في أجسادهم، وخلدت في نار جهنم، وأما أهل الإيمان من أهل السعادة إذا سئلوا عما أنزل الله في كتابه قالوا: أنزل رحمة وبركة وحسنًا لمن اتبعه وآمن به.

وفي القرآن وعد الله للمؤمنين للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وهي الحياة الطيبة، وفي الدار الآخرة خير من الحياة الدنيا، والجزاء فيها أتم من الجزاء في الدنيا، لهم الجنة التي يقيمون فيها ونعم دار المتقين.

تجري من تحتها الأنهار بين أشجارها وقصورها، فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين فذلك جزاء من جعل بينه وبين عذاب الله وقاية

فهم عند نزول الموت بهم يقبضهم الله طيبين، طابت أعمالهم من الشرك والمعاصي، وطابت أجسادهم من الدنس والأذى ومن كل سوء، والملائكة تسلم عليهم وتبشرهم بالجنة، ويقال لنَفَسه عند النزع: اخرجي أيتها النفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا تزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيفتح لها فيقال: من هذا فيقولون: فلان فيقال: مرحبًا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا تزال يقال لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء.

وأما المشركون المكذبون ما ينتظرون إلا ملائكة العذاب أن تأتيهم لقبض أرواحهم، أو يأتي أمر ربك يوم القيامة، فقد فعل الذين خلوا من قبلهم من طوائف الكفار، من الإصرار على الكفر والتكذيب والاستهزاء مثل فعل هؤلاء فأتاهم أمر الله فهلكوا، وذاقوا بأس الله، وحل عليهم العذاب والنكال، ولم يظلمهم الله؛ لأنه تعالى أعذر إليهم، وأقام حججه عليهم بإرسال رسله وإنزال كتبه، ولكن ظلموا أنفسهم بمخالفة الرسل والتكذيب بما جاءوا به، فلهذا أصابتهم عقوبة الله على ذلك، وأحاط بهم العذاب الأليم بما كانوا يسخرون من الرسل ويستهزئون إذا توعدوهم بعقاب الله.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

الكفار المشركون المعاندون للرسل، يحتجون بالقدر على شركهم وكفرهم، ويحتجون بالقدر على تحريمهم ما أحل الله من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي وغير ذلك، مما كانوا ابتدعوه واخترعوه من تلقاء أنفسهم، ما لم ينزل الله به سلطانا، وتلك حجة الذين من قبلهم، فإنهم أشركوا بالله وحرّموا ما لم يحرّمه، وجادلوا رسله بالباطل واستهزؤوا بهم، فاحتجوا بالقدر من باب الاستهزاء بالرسول ﷺ، والرسول ﷺ ليس إليه الهداية، إنما عليه البلاغ، وقد بعث الله الرسل بالدعوة إلى التوحيد وإنكار الشرك، فالله لا يرضى لعباده الكفر والشرك، وإن أراده كونًا وقدرًا، وقد بعث الله في كل قرن من الناس وطائفة رسولًا وكلهم يدعو إلى عبادة الله، وينهى عن عبادة ما سواه، فلم يزل تعالى يرسل إلى الناس الرسل بذلك، منذ حدث الشرك في بني آدم، في قوم نوح الذين أرسل إليهم نوح، وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض إلى أن ختمهم بمحمد ﷺ الذي طبقت دعوته الإنس والجن في المشارق والمغارب، وكلهم يقول أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت.

فمشيئة الله تعالى الشرعية منتفية؛ لأنه نهاهم عن ذلك على ألسنة رسله، وأما مشيئته الكونية، وهي تمكينهم من ذلك قدرًا، فلا حجة لهم فيها؛ لأنهم لا يعلمون عنها، وسيعاقبون على ترك الأمر وارتكاب النهي لا على القدر، كما أن الثواب على فعل الأوامر وترك النواهي وليس على القدر، فالله يهدي من يشاء يكتب له الهداية والإيمان ويضل من يشاء، فيكتب له الضلالة والغواية، وكل ميسر لما خلق له، فلينظر العباد كيف كانت عاقبة المكذبين للرسل، وقد أخبر الله رسوله ﷺ أن حرصه على هدايتهم لا ينفعهم، إذا كان الله قد أراد إضلالهم.

فالذين حقت عليهم الضلالة لا يؤمنون، فمن أضله الله فمن الذي يهديه من بعد الله، وما لهم من ينقذهم من عذاب الله ووثاقه، ومن كفرهم وجحودهم إنكار البعث بعد الموت فقد اجتهدوا في الحلف وغلظوا الأيمان على أن الله لا يبعث من يموت استبعادًا لذلك، وتكذيبًا للرسل في إخبارهم لهم بذلك، فقال الله تعالى رادًّا عليهم: بلى وعدًا عليه حقًّا لا بد منه، ولكن لجهلهم خالفوا الرسل ووقعوا في الكفر، فالحكمة من المعاد وقيام الأجساد يوم التناد، ليبين للناس الذي اختلفوا فيه، وأعظمه توحيد الله، وليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين في أيمانهم وأقسامهم أن الله لا يبعث من يموت، فالله قادر على كل شيء، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وإنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له: "كن"، فيكون، والمعاد من ذلك إذا أراد كونه فإنما يأمر به مرة واحدة، فيكون كما يشاء.

فهو سبحانه لا يحتاج إلى تأكيد فيما يأمر به، فإنه تعالى لا يمانع ولا يخالف؛ لأنه هو الواحد القهار العظيم الذي قهر سلطانه وجبروته وعزته كل شيء، فلا إله إلا هو ولا رب سواه.

والمهاجرون الأولون الذين هاجروا في سبيل الله ابتغاء مرضاته، فارقوا الدار والإخوان والخلان، رجاء ثواب الله وجزائه، ووعدهم الله بالمجازاة الحسنة في الدنيا والآخرة فقد تركوا مساكنهم وأموالهم فعوضهم الله خيرًا منها في الدنيا، فإن من ترك شيئًا لله عوضه الله بما هو خير له منه وكذلك وقع فإنهم مكن الله لهم في البلاد، وحكمهم على رقاب العباد، فصاروا أمراء حكامًا، وكل منهم للمتقين إمامًا، وثواب الله للمهاجرين في الدار الآخرة أعظم مما أعطاهم في الدنيا، فقد صبروا على أذى قومهم، وتوكلوا على الله الذي أحسن لهم العاقبة في الدنيا والآخرة.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩ ﴿٥٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾



لما بعث الله محمدًا ﷺ رسولًا أنكرت العرب ذلك، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرًا، وما علموا أن الرسل بشر يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، وهم من أهل المدن وليسوا من أهل السماء، والواجب عند الجهل والاختلاف سؤال أهل العلم الراسخين الذين يعلمون الدلائل البينات والحجج ويعلمون ما في كتب العلم من الفقه.

وقد أنزل الله القرآن بيانًا للناس والرسول ﷺ يوضح ما في القرآن، فيبين المشكل، ويفسر المبهم ومن تأمل القرآن العظيم وتدبره وجد العلم النافع والهدى.

والله يمهل العصاة الذين يعملون السيئات ويدعون إليها، ويمكرون بالناس في دعائهم إياهم وحملهم عليها، مع قدرته على أن يخسف بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يعلمون مجيئه إليهم، أو يأخذهم على غرة وهم في تقلبهم في المعايش واشتغالهم بها، من أسفار ونحوها من الأشغال الملهية.

فهم لا يعجزون الله على أي حال كانوا عليه.

أو يأخذهم الله في حال خوفهم من أخذه لهم، فإنه يكون أبلغ وأشد حالة؛ فإن حصول ما يتوقع مع الخوف شديد؛ والله رءوف رحيم بعباده، فلم يعاجلهم بالعقوبة.

والله خضع له كل شيء، ودانت له الأشياء والمخلوقات بأسرها جمادها وحيواناتها، ومكلفوها من الإنس والجن والملائكة، وكل ما له ظل يتفيأ ذات اليمين وذات الشمال، كلها تسجد لله بكرة وعشيًا وهم صاغرون، مما يدل على عظمة الله وجلاله وكبريائه.

كل من في السماوات وما في الأرض من دابة يسجد لله غير مستكبر عن عبادته، خائفين وجلين من الرب ﷻ، مستقيمين على طاعته، وامتثال أوامره، وترك زواجره، وهو سبحانه الأحد الذي لا إله إلا هو، لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له، فهو مالك كل شيء وخالقه وربه، وله الدين دائمًا خالصًا، و له العبادة وحده ممن في السماوات والأرض.

وهو مالك النفع والضر، وأن ما بالعباد من رزق ونعمة وعافية ونصر فمن فضله وإحسانه إليهم، فإن العباد عند الضرورات يلجؤون إليه، ويسألونه ويلحون في الرغبة مستغيثين به، فإذا كشف عنهم الكرب والضر أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا.

لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٥٥ وَيَجۡعَلُونَ
لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ
تَفۡتَرُونَ ٥٦ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ
٥٧ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ
٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ
أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٥٩ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ
بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ
٦٠ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن
يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ
سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٦١ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَ
وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۖ لَا جَرَمَ أَنَّ
لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ ٦٢ تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن
قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ
عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦٣ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ
ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٦٤

نعم الله على العباد لا تعد ولا تحصى، والكفار يجحدون نعم الله عليهم، ويقابلون النعمة بالكفر بالله تعالى فليعملوا ما شاءوا وليتمتعوا بما هم فيه قليلًا وسوف يعلمون عاقبة كفرهم وجحودهم.

ويجعلون للأصنام نصيبًا من الأموال، ومن حروثهم وأنعامهم، فيقولون: هذا لله بزعمهم، وهذا لشركائنا. فليسألن عن الإفك والافتراء، وليجازينهم أوفر الجزاء في نار جهنم.

وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا، وجعلوها بنات الله، وعبدوها معه، فأخطؤوا خطأ كبيرًا في كل مقام من هذه المقامات الثلاث، فنسبوا إليه تعالى أن له ولدًا، ولا ولد له، ثم أعطوه أقل القسمين من الأولاد في نظرهم وهو البنات، وهم لا يرضونها لأنفسهم، فسبحان الله عن قولهم وإفكهم

و يختارون لأنفسهم الذكور ويأنفون لأنفسهم من البنات التي نسبوها إلى الله، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا، فإنه إذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه كئيبًا من الهم، وهو ساكت من شدة ما هو فيه من الحزن، يكره أن يراه الناس من سوء ما بشر به أيمسكه على مهانة لا يورثها ولا يعتني بها ويفضل أولاده الذكور عليها، أو يدفنها في التراب حية، كما كانوا يصنعون في الجاهلية، أفمن يكرهونه هذه الكراهة ويأنفون لأنفسهم عنه يجعلونه لله فبئس ما قالوا، وبئس ما قسموا، وبئس ما نسبوا إليه.

للذين لا يؤمنون بالآخرة صفة السَّوْء من احتياجهم إلى الولد، وكراهتهم للإناث، وخوف الفقر والعار، ولله الكمال المطلق من كل وجه، وهو منسوب إليه.

ولو يؤاخذ العباد بما كسبوا ما ترك على ظهر الأرض من دابة، و لأهلك جميع دواب الأرض تبعًا لإهلاك بني آدم، ولكن الرب ﷻ يحلم ويستر، ويُنظرهم، ولا يعاجلهم بالعقوبة؛ إذ لو فعل ذلك بهم لما أبقى أحدًا.

والكفار يجعلون لله ما يكرهون من البنات ومن الشركاء الذين هم من خلق الله، وهم يأنفون أن يكون عند أحدهم شريك له في ماله.

ويدعون كذبًا وزورًا أن لهم الحسنى في الدنيا، وإن كان فيه معاد فلهم الحسنى، والحق أن لهم النار يوم القيامة، وأنهم منسيون في العذاب.

وقد أرسل الله الرسل إلى الأمم الخالية فكذبوهم وكفروا برسالتهم، وقد كُذِّب سيد المرسلين محمد ﷺ، وإنما حملهم على ذلك تزيين الشيطان لهم ما فعلوه، فهو وليهم يوم القيامة لا يملك لهم خلاصًا من العقوبة والنكال، وإنما أنزل الله على نبيه ﷺ الكتاب ليبيّن للناس الذي يختلفون فيه، فالقرآن فاصل بين الناس في كل ما يتنازعون فيه، وهدى للقلوب، ورحمة لمن تمسك به، وهو حياة للقلوب الميتة.

وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

القرآن حياة للقلوب الميتة، والأرض تحيى بعد موتها بما ينزله الله عليها من السماء من ماء، وفي حياتها بالمطر آية لقوم يفهمون الكلام، وفي الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم آية ودلالة على قدرة خالقها وحكمته ولطفه ورحمته، يسقي الله عباده مما في بطونها لبنًا خالصًا من بين فرث ودم في باطن الحيوان، فيسري كل إلى موطنه، إذا نضج الغذاء في معدته تصرف منه دم إلى العروق، ولبن إلى الضرع وبول إلى المثانة، وروث إلى المخرج، وكل منها لا يشوب الآخر ولا يمازجه بعد انفصاله عنه، ولا يتغير به، وهذا اللبن لا يغص به أحد.

وبعد اللبن السائغ للشاربين، ذكر الله ما يتخذه الناس من الأشربة، من ثمرات النخيل والأعناب، وما كانوا يصنعون من النبيذ المسكر قبل تحريمه؛ ولهذا امتن به عليهم، ففي ذلك آية لقوم يعقلون، ولهذا حرم الله على هذه الأمة الأشربة المسكرة صيانة لعقولها.

ومن آيات الله الدالة على وحدانيته إلهامه للنحل أن تتخذ من الجبال بيوتًا تأوي إليها، ومن الشجر، ومما يعرشون، فهي محكمة في غاية الإتقان في تسديسها ورصها، بحيث لا يكون بينها خلل.

وأذن لها تعالى أن تأكل من كل الثمرات، وأن تسلك الطرق التي جعلها الله تعالى لها سهلة عليها حيث شاءت في هذا الجو العظيم والبراري الشاسعة، والأودية والجبال الشاهقة، ثم تعود كل واحدة منها إلى موضعها وبيتها، لا تحيد عنه يمنة ولا يسرة، بل إلى بيتها وما لها فيه من فراخ وعسل، فتبني الشمع من أجنحتها، وتقيء العسل من فيها وتبيض الفراخ من دبرها، ثم تصبح إلى مراعيها، يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه ما بين أبيض وأصفر وأحمر وغير ذلك من الألوان الحسنة، على اختلاف مراعيها ومأكلها منها، وفي العسل شفاء للناس من أدواء وأمراض تعرض لهم.

وفي إلهام الله لهذه الدواب الضعيفة الخلقة إلى سلوك الاجتناء من سائر الثمار، ثم جمعها للشمع والعسل، وهو من أطيب الأشياء لآية لقوم يتفكرون في عظمة خالقها ومقدرها ومسخرها وميسرها، فيستدلون بذلك على أنه القادر، الحكيم العليم، الكريم الرحيم.

ومن الدلائل على توحيد الله خلقه الخلق وإنشاؤهم من العدم، ومنهم من يتركه حتى يدركه الهرم وهو الضعف في الخلقة حتى لا يدرك الأشياء، ولا يعلم ما كان يعلمه، ثم بعد ذلك يتوفاهم.

والله فضل عباده بعضهم على بعض في الرزق، بسط لواحد، وضيق على الآخر، وقلل وكثر، فلا الأسياد يعطون العبيد والمماليك حتى يتساوون في الرزق، فهم لا يرضون أن يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقهم الله سواء، وقد جعلوا عبيد الله شركاء له في ملكه وسلطانه، وتلك حجة على المشركين، فهل من جزاء النعمة وشكرها أن يشركوا بالله، ومن نعم الله على عباده، أن جعل لهم من أنفسهم أزواجًا من جنسهم وشكلهم، ولو جعل الأزواج من نوع آخر لما حصل ائتلاف ومودة ورحمة، ولكن من رحمته خلق من بني آدم ذكورًا وإناثًا، وجعل الإناث أزواجًا للذكور. وجعل من الأزواج البنين والحفدة، وهم أولاد البنين.

وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٧٩﴾

ربع الحزب ٢٨

الله سبحانه هو المنعم المتفضل الخالق الرازق وحده لا شريك له، والمشركون يعبدون مَنْ دونه مِنَ الأصنام والأنداد والأوثان، لا تقدر على إنزال مطر ولا إنبات زرع ولا شجر، ولا ترزق ولا تخلق، ولا تقدر عليه ولو أرادوه، فكيف يتخذونهم أندادًا وأشباهًا وأمثالًا لله، والله لا إله إلا هو ولا مثيل له ولا نظير.

ولتقريب هذه الحقيقة، وأنه لا يجوز أن يسووا في العبادة بين الله وأحد من خلقه، يضرب الله لهم مثلين للسيد المالك الرازق وللمملوك العاجز الذي لا يملك ولا يكسب، والله سبحانه يضرب الأمثال في القرآن عبرة وعظة ولتقريب الحقائق فمثل السيد مثل الرجل الذي أنعم الله عليه بسعة الرزق والعيش ووفرة المال فهو ينفق منه سرًّا وجهرًا، ومثل المملوك كمثل العبد المملوك الذي لا يملك نفسه فضلًا على أن يملك مالًا.

وهذا المثل من واقعهم، فقد كان لهم مملوكون، لا يمكلون شيئًا ولا يقدرون على شيء، وهم لا يرضون أن يسوى بين المملوك والسيد المالك، فكيف هم يسوون بين الله وهو سيد العباد ومالكهم وبين أحد من خلقه؟

فالفرق بينهما بيّن واضح ظاهر، ولكن أكثر الناس لا يعلمون الحق.

وضرب الله مثلا آخر للسيد، والمملوك فمثل السيد مثل الرجل القائم بأمر الله وبالعدل وأقواله وأفعاله مستقيمة وهو على صراط مستقيم، ومثل المملوك كمثل العبد الأبكم الذي لا يتكلم ولا يقدر على شيء بالكلية، فلا مقال، ولا فعال، وهو عيلة وكلفة على مولاه، أينما يبعثه لا ينجح في أمر، هل يستويان، لا يستويان بل الفرق واضح جلي، ولا يسوي عاقل بينهما، فكيف تمكن التسوية بين صنم أو حجر، وبين الله ﷻ وهو القادر العليم الآمر بالمعروف، الهادي إلى الصراط المستقيم.

فمن كمال قدرته على الأشياء، علمه غيب السماوات والأرض، واختصاصه بذلك، فلا إطلاع لأحد على ذلك إلا أن يطلعه الله تعالى على ما يشاء، وفي قدرة الله التامة التي لا تخالف ولا تمانع، وأنه إذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن، فيكون ما يريد كطرف العين.

ومن كمال قدرته إخراجه لعباده من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئًا، ثم بعد هذا يرزقهم السمع الذي به يدركون الأصوات، والأبصار التي بها يحسون المرئيات، والعقول التي مركزها القلب التي يميزون بها بين الأشياء ضارها ونافعها، وهذه القوى والحواس تحصل للإنسان على التدريج قليلًا قليلًا كلما كبر زيد في سمعه وبصره وعقله حتى يبلغ أشده، وإنما جعل تعالى هذه في الإنسان ليتمكن بها من عبادة ربه تعالى، فيستعين بكل جارحة وعضو، قوة على طاعة الله، ومن كمال قدرة الله تسخير الطير بين السماء والأرض، كيف جعله يطير بجناحيه بين السماء والأرض، في جو السماء ما يمسكه هناك إلا الله بقدرته تعالى، الذي جعل فيها قوى تفعل ذلك، وسخر الهواء يحملها ففي ذلك آيات لقوم يوحدون الله ويفردونه بالعبادة.

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلۡعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ مِن دُونِكَۖ فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٨٧﴾

من تمام نعم الله على عباده، ما جعل لهم من البيوت التي هي سكن لهم، يأوون إليها، ويستترون بها، وينتفعون بها سائر وجوه الانتفاع، والسكن والطمأنينة في البيوت نعمة لا يقدرها حق قدرها إلا الذين لا بيوت لهم ولا سكن ولا طمأنينة.

والإسلام يريد أن يكون البيت مكانًا للسكينة النفسية والاطمئنان تطمئن إليه النفس وتسكن وتأمن، و باطمئنان من فيه بعضهم لبعض، وبسكن من فيه كل إلى الآخر، فليس البيت مكانًا للخلاف والتنازع والتخاصم، إنما هو هناء وسكن وأمن وأمان واطمئنان وحب وسلام.

وجعل الله لهم الخيام من جلود الأنعام من الأدم، يستخفون حملها في أسفارهم، ليضربوها لهم في إقامتهم في السفر والحضر، وجعل لهم من أصواف الغنم وأوبار الإبل، وأشعار المعز أثاثًا من المتاع والثياب والبسط والثياب وغير ذلك، ويتخذ مالًا وتجارة يستمتعون بها في حياتهم الدنيوية.

وجعل لهم من الجبال حصونًا ومعاقل، وجعل لهم سرابيل تقيهم الحر وهي الثياب من القطن والكتان والصوف، وسرابيل تقيهم في الحروب وهي الدروع من الحديد.

كل ذلك نعمة من الله وفضل جعل لهم ما يستعينون به على أمرهم، وما يحتاجون إليه في حياتهم؛ ليكون عونًا لهم على طاعة الله وعبادته، فمن تولى عن عبادة ربه وإخلاص العبادة له بعد هذه النعم، ما على الرسول إلا البلاغ المبين.

فهم يعرفون أن الله تعالى هو المسدي إليهم ذلك، وهو المتفضل به عليهم، ومع هذا ينكرون ذلك، ويعبدون معه غيره، ويسندون النصر والرزق إلى غيره.

ويوم القيامة يبعث الله من كل أمة شهيدًا، وهو نبيها، يشهد عليها بما أجابته فيما بلغها عن الله تعالى، ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار؛ لأنهم يعلمون بطلانه وكذبه، ولا يكلفون أن يرضوا ربهم؛ لأن الآخرة ليست بدار تكليف، وإذا رأى الذين أشركوا العذاب فلا يفتر عنهم ساعة واحدة، ولا يؤخر عنهم، بل يأخذهم سريعًا من الموقف بلا حساب، فإنه إذا جيء بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك، فيشرف عنق منها على الخلائق، وتزفر زفرة، لا يبقى أحد إلا جثا على ركبتيه، فتقول: إني وكلت بكل جبار عنيد، الذي جعل مع الله إلهًا آخر.

وإذا رأى الذين أشركوا يوم القيامة أوثانهم، قالوا: ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوهم أربابًا ونعبدهم، فتقول لهم الأصنام كذبتم، ما نحن أمرناكم بعبادتنا، واستسلم المشركون لله وانقادوا لحكمه فيهم، ولم تغن عنهم آلهتهم شيئًا، وزال عنهم ما كانوا يظنون من أنها تشفع لهم.

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

نصف الحزب ٢٨

الكفار الذين منعوا الناس عن طريق الحق يضاعف لهم العذاب يوم القيامة بصدهم عن سبيل الله، وبإفسادهم في الأرض بالشرك والمعاصي.

وفي كل أمة يبعث الله نبيها شهيدًا عليها، وهذه الأمة يَبعث نبيها محمدًا ﷺ شاهدًا عليها، وقد بين لأمته في هذا القرآن كل علم، وكل شيء وكل حلال وحرام.

فالقرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وحكم كل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم، ومعاشهم ومعادهم، وهو هداية للقلوب، ورحمة للمؤمنين وبشرى للمسلمين.

والله أمر عباده بالعدل، وهو القسط والموازنة، وحثهم على الإحسان، ومن العدل شهادة أن لا إله إلا الله.

وأمر عباده بصلة الأرحام، ونهاهم عن الفحشاء وهي المحرمات والمنكر، ما ظهر من فاعلها، ونهاهم عن البغي وهو العدوان على الناس، وأمره سبحانه ونهيه تذكرة للمؤمنين.

وأمر الله عباده بالوفاء بالعهود والمواثيق، والمحافظة على الأيمان المؤكدة؛ والله عليم بمن ينقض الأيمان بعد توكيدها.

ونهي المسلم عن إبطال أعماله الصالحة وإفسادها وإحراقها بالمعاصي والسيئات، فالسيئات تحرق الحسنات، فمن علامة قبول الحسنة إتباعها بالحسنة، ومن علامة رد الحسنة إتباعها بالسيئة، فمن استطاع أن لا يبطل عملًا صالحًا عمله بعمل سيء فليفعل، فإن الخير ينسخ الشر، والشر ينسخ الخير، والأعمال بالخواتيم، ولا يكن المسلم كالمرأة الحمقاء التي كانت بمكة، كلما غزلت شيئًا نقضته بعد إبرامه.

ونهى الله المسلم أن يتخذ يمينه سبيلًا إلى المكر والخداع وأكل أموال الناس بالباطل، فاليمين الغموس تغمس صاحبها في الإثم ثم تغمسه في النار، ومن حلف على يمين ليقتطع بها حق مسلم لقي الله وهو عليه غضبان، أو يحلف للناس إذا كانوا أكثر منه ليطمئنوا إليه، فإذا أمكنه الغدر بهم غدر، فتلك صفة المنافق.

والوفاء بالعهد والميثاق ابتلاء من الله، فالمسلم يفي بالعهد والوعد ولو مع الضعيف والقليل، ومع البر والفاجر والكافر، وفي يوم القيامة يتبين الخائن من المخلص، فيجازى كل عامل بعمله، من خير وشر.

ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة، ولم يكن بين الناس خلاف ولا افتراق ولاجتمعوا على كلمة سواء، ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، فكتب أهل السعادة ويسر لهم أعمالهم، وكتب أهل الشقاوة وكتب أعمالهم وكل ميسر لما خلق له، ثم يسأل الجميع يوم القيامة عن جميع أعمالهم، فيجازيهم عليها على الفتيل والنقير والقطمير.

وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

اتخاذ الأيمان خديعة ومكرًا، سبب من أسباب الصد عن سبيل الله، إذا كان المسلم لا يلتزم بالعهود والمواثيق، شوه صورة الإسلام أمام غير المسلمين، والوفاء بالعهود والمواثيق سبب من أسباب الدعوة إلى الإسلام.

والمسلمون اذا تساهلوا في نقض العهود سهلوا طريق نقض العهد على الناس.

والمسلم لا يعتاض عن الإيمان بالله عرض الحياة الدنيا وزينتها، فإنها قليلة، ولو حيزت لابن آدم الدنيا بحذافيرها لكان جزاء الله وثوابه خير لمن رجاه وآمن به وطلبه، وحفظ عهده رجاء موعوده.

والله ﷻ خزائنه ملأى لا تنقصها نفقه، وما عند العباد ينقضي وينتهي فإنه إلى أجل معدود محصور مقدر منتهاه، وما عند الله من الرزق والثواب لعباده في الجنة باق لا انقطاع ولا نفاد له فإنه دائم لا يحول ولا يزول، وسيجزي الله الصابرين بأحسن أعمالهم، ويتجاوز عن سيئها.

ومن عمل صالحًا وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه، خالصًا لوجه الله، من ذكر أو أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله، موقن أن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله، فإن له الحياة الطيبة في الدنيا و يجزيه الله بأحسن ما عمله في الدار الآخرة.

والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت، من الرزق الحلال الطيب، والقناعة، والسعادة و العمل بالطاعة والانشراح بها.

و أمر الله تعالى عباده على لسان نبيه ﷺ إذا أرادوا قراءة القرآن أن يستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم، والاستعاذة عند ابتداء القراءة، لئلا يلبس على القارئ قراءته ويخلط عليه، ويمنعه من التدبر والتفكر، والشيطان ليس له سلطان على المؤمنين أن يوقعهم في ذنب لا يتوبون منه، وإنما سلطانه على الذين يطيعونه، وصاروا بسبب طاعتهم للشيطان مشركين بالله تعالى.

ومن ضعف عقول المشركين وقلة ثباتهم وإيقانهم، وقد كتب الله عليهم الشقاوة، ذلك أنهم إذا رأوا تغيير الأحكام ناسخها بمنسوخها قالوا للرسول: إنما أنت كذاب، وإنما هو الرب تعالى يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، والنسخ في القرآن واقع، وما ينسخ الله من آية إلا يأت بأحسن منها أو مثلها.

فقد نزل به روح القدس جبريل ﷺ من الله بالصدق والعدل، ليثبت الذين آمنوا فيصدقوا بما أنزل الله وتخبت له قلوبهم، وهداية للمؤمنين وبشارة للمسلمين الذين آمنوا بالله ورسله، يبشرهم برحمة الله ومغفرته وجنته وثوابه وبالنعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، نسأل الله ألا يحرمنا فضله وإحسانه.

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾

من كذب المشركين وافترائهم أنهم كانوا يقولون إن محمدًا يعلمه القرآن بشر، ويشيرون إلى رجل أعجمي كان بين أظهرهم، غلام لبعض بطون قريش، وكان بياعا يبيع عند الصفا، فربما كان رسول الله ﷺ يجلس إليه ويكلمه بعض الشيء، وذاك كان أعجمي اللسان لا يعرف العربية، أو أنه كان يعرف الشيء اليسير بقدر ما يرد جواب الخطاب فيما لا بد منه. و القرآن عربي في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة، فكيف يتعلم هذا القرآن من رجل أعجمي، هذا القرآن الذي أعجزهم أن يأتوا بآية من مثله، فكيف يأتي به هذا الأعجمي.

ولكن الذين كفروا لا يهديهم الله للحق، ولا إلى الإيمان بآياته، وما أرسل به رسله في الدنيا، ولهم عذاب أليم موجع في الآخرة؛ لافترائهم الكذب على الله، والكذب على رسوله محمد ﷺ، ومحادة الله ورسوله والتضييق على المؤمنين، حتى عذبوهم وأمروهم أن ينطقوا بكلمات الكفر، ولكن الله عفا عنهم لأن قلوبهم مطمئنة بالإيمان، فمن أُكره على الكفر إكراهًا يفقد فيه حياته فله أن ينطق بالكفر بلسانه؛ لأن قلبه معتقد الإيمان، لكن غضب الله على من كفر بعد إيمانه وشرح صدره بالكفر واطمأن به فله العذاب العظيم في الدار الآخرة؛ لأنه استحب الحياة الدنيا على الآخرة، فأقدم على الردة لأجل الدنيا، ولم يهد الله قلبه ويثبته على الدين الحق، فطبع على قلبه فلا يعقل به شيئًا ينفعه وختم على سمعه وبصره فلا ينتفع به، ولا أغنت عنه شيئًا، فهو من الغافلين عما يراد به، ومن الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، بسبب شركهم وكفرهم وإعراضهم عن الحق.

وقد هاجر أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة والمدينة فرارًا بدينهم، وبقي من بقي محبوسًا مضطهدًا في دينه مستضعفًا مهانًا في قومه قد فتنوه في دينه، ثم أمكنه الخلاص بالهجرة، فترك بلاده وأهليه وأمواله ابتغاء رضوان الله وغفرانه، وانتظم في سلك المؤمنين، وجاهد معهم الكافرين، وصبر، فكتب الله لهم المغفرة والرحمة، فالثبات على الدين في وقت الفتن والمحن منة يمن الله بها على من يشاء من عباده، والمسلم لا يقبل المساومة على دينه وعقيدته؛ لأن العقيدة أمرها عظيم، لا هوادة فيها ولا ترخص، وثمن الاحتفاظ بها كبير، وهي أمانة لا يؤتمن عليها إلا من يفديها بحياته وهانت الحياة وهان كل ما فيها من نعيم، أما من يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل فما له في الآخرة من نصيب.

۞ يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ
نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١١١ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا
قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا
مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ
ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢ وَلَقَدۡ
جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡهُمۡ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَهُمۡ
ظَٰلِمُونَ ١١٣ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا
وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١١٤
إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ
أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ
ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٥ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ
ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ
وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١٧ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ
مِن قَبۡلُۖ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٨

يوم القيامة يوم عصيب يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه، وكل نفس تحاج عن نفسها ليس أحد يحاج عنها لا أب ولا ابن ولا أخ ولا زوجة وتوفى كل نفس ما عملت من خير وشر، لا ينقص من ثواب الخير ولا يزاد على جزاء الشر ولا يظلمون نقيرًا.

ومكة قرية كانت آمنة مطمئنة مستقرة يتخطف الناس من حولها، ومن دخلها آمن لا يخاف، يجبى إليها ثمرات كل شيء رزقًا من الله، يأتيها هنيئًا سهلًا، فجحدت آلاء الله عليها وأعظم ذلك بعثة محمد ﷺ إليهم، وبدلوا نعمة الله كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار، فألبسها وأذاقها الجوع بعد أن كان يجبى إليهم ثمرات كل شيء، ويأتيها رزقها رغدًا من كل مكان، وذلك لما استعصوا على رسول الله ﷺ وأبوا إلا خلافه، فدعا عليهم بسبع كسبع يوسف، فأصابتهم سنة أذهبت كل شيء لهم، فأكلوا وبر البعير، يجعل بدمه إذا نحروه.

وبدلوا بأمنهم خوفًا من رسول الله ﷺ وأصحابه، حين هاجروا إلى المدينة، من سطوة سراياه وجيوشه، وجعل الله كل ما لهم في سفال ودمار، حتى فتحها الله عليهم وذلك بسبب صنيعهم وبغيهم وتكذيبهم الرسول الذي بعثه الله فيهم ومنهم، وامتن به عليهم، وكما أنه انعكس على الكافرين حالهم، فخافوا بعد الأمن، وجاعوا بعد الرغد، بدل الله المؤمنين من بعد خوفهم أمنًا، ورزقهم بعد العيلة، وجعلهم أمراء الناس وحكامهم، وسادتهم وقادتهم وأئمتهم.

وأمر الله عباده المؤمنين بأكل رزقه الحلال الطيب، وبشكره على ذلك، فإنه المنعم المتفضل به ابتداء، الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، ثم ذكر ما حرمه عليهم مما فيه مضرة لهم في دينهم ودنياهم، من الميتة والدم، ولحم الخنزير، وما ذبح على غير اسم الله، ومع هذا إذا اضطر الإنسان في غير بغي ولا عدوان، جاز له أكل الحرام إنقاذًا لنفسه، والله غفور لمن أكل الحرام حال الاضطرار رحيم بعباده أن أباح لهم المحرم عند الضرورة.

ونهى الله المؤمنين عن سلوك سبيل المشركين، الذين حللوا وحرموا بمجرد ما وضعوه واصطلحوا عليه من الأسماء بآرائهم، من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي، وغير ذلك مما كان شرعًا لهم ابتدعوه في جاهليتهم، ويدخل في هذا كل من ابتدع بدعة ليس له فيها مستند شرعي، أو حلل شيئًا مما حرم الله، أو حرم شيئا مما أباح الله، بمجرد رأيه وتشهيه. فالذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون في الدنيا ولا في الآخرة، أما في الدنيا فمتاع قليل، وأما في الآخرة فلهم عذاب أليم.

وقد حرم الله على اليهود كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرم عليهم شحومها إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم، وذلك بسبب بغيهم وظلمهم لأنفسهم بالشرك والمعاصي، وما كان ذلك تضييق من الله عليهم، ولكن أنفسهم ظلموا.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

دعا الله عباده إلى التوبة ورغبهم بها، ومن تاب منهم إليه تاب عليه، فمن عمل السوء بجهالة ثم أقلع عما كان فيه من المعاصي، وأقبل على فعل الطاعات، قبل الله توبته وغفر له.

وقد امتدح الله عبده ورسوله وخليله إبراهيم، إمام الحنفاء ووالد الأنبياء، الإمام الذي يقتدى به الخاشع المطيع، و المنحرف قصدًا عن الشرك إلى التوحيد، القائم بشكر نعم الله عليه، و قام بجميع ما أمره الله تعالى به، اختاره واصطفاه، وهداه إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

و جمع له خير الدنيا من جميع ما يحتاج المؤمن إليه في إكمال حياته الطيبة، وهو في الآخرة من الصالحين، ومن كماله وعظمته وصحة توحيده وطريقه، أن أوحى الله إلى خاتم الرسل وسيد الأنبياء باتباعه.

وشرع الله يوم الجمعة لبني إسرائيل على لسان موسى ﷺ، فعدلوا عنه واختاروا السبت؛ لأنه اليوم الذي لم يخلق فيه الرب شيئا من المخلوقات، فألزمهم الله به في شريعة التوراة، ووصاهم أن يتمسكوا به وأن يحافظوا عليه، مع أمره إياهم بمتابعة محمد ﷺ إذا بعثه، وأخذه مواثيقهم وعهودهم على ذلك.

وأمر الله رسوله محمدا ﷺ أن يدعو الخلق إلى الله بالحكمة من الكتاب والسنة والموعظة الحسنة.

ومجادلة من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال بالوجه الحسن بالرفق واللين وحسن الخطاب، وأمره تعالى بلين الجانب، لهم والرفق بهم، ليكون أدعى لقبولهم الحق.

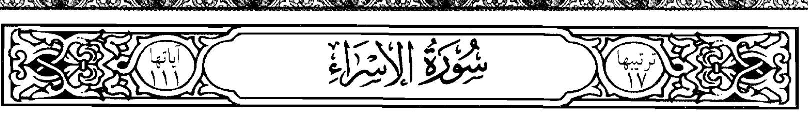
والله أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين، وهذا سبيل الدعاة أن يقتدوا بنبيهم في طريقة الدعوة ومنهجها.

وأمر الله بالعدل في الاقتصاص والمماثلة في استيفاء الحق، والصبر والعفو أحب إلى الله.

والله يعين الصابرين على صبرهم، فالصبر إنما ينال بمشيئة الله وإعانته، وحوله وقوته.

وأمر النبي ﷺ بعدم الحزن على من خالفه، لا يكن في غم مما يجهدون به أنفسهم في عداوته وإيصال الشر إليه، فإن الله كافيه وناصره، ومؤيده، ومظهره.

والله مع الذين اتقوا بتأييده ونصره ومعونته وهذه معية خاصة، الذين اتقوا الله بترك المحرمات، والذين أحسنوا بفعل الطاعات، فهؤلاء الله يحفظهم ويكلؤهم، وينصرهم ويؤيدهم، ويظفرهم على أعدائهم ومخالفيهم.





بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ
إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ
هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾
ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾
وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ
مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا
عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ
وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ
وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾
إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ
وَعْدُ ٱلْأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾



سورة الإسراء

وهي سورة مكية وسميت بذلك لذكر حادثة الإسراء فيها

من الدلائل على قدرة الله ﷻ الإسراء والمعراج فلا يقدر عليه أحد سواه، فلا إله غيره، تنزه الله وتقدس عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا، فقد أسرى بعبده محمد صلوات الله وسلامه عليه ليلًا من مكة إلى بيت المقدس، وجمع له الأنبياء، فأمّهم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، وقد بارك الله في بيت المقدس فلسطين في الزروع والثمار، وجعل المسجد الأقصى مباركًا، فالصلاة فيه عن خمسمائة صلاة، وقد أرى نبيه محمدًا ﷺ الآيات العظام، فقد أتي بالبراق وهو دابة بيضاء فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبه فسار به حتى أتى بيت المقدس، فربط الدابة بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء، ثم دخل فصلى فيه ركعتين، ثم خرج، فأتاه جبريل بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاختار اللبن، فقال جبريل أصبت الفطرة، ثم عرج به إلى السماء الدنيا، فاستفتح جبريل ففتح له ورحب به الملائكة في كل سماء، حتى بلغ السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل من أنت قال جبريل، قيل ومن معك، قال محمد، فقيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه، ففتح لهم، فإذا بإبراهيم، وإذا هو مستند إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه، ثم ذهب به إلى سدرة المنتهى، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت، فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع أن يصفها من حسنها، فأوحى الله إليه ما أوحى، وفرض عليه في كل يوم وليلة خمسين صلاة، فما زال يراجع ربه حتى صارت خمس صلوات، ثم رجع إلى مكة، فكذبته قريش وصدقه المؤمنون والله هو السميع لأقوال عباده، مؤمنهم وكافرهم، وقد بعث الله نبيه وكليمه موسى وآتاه التوراة هداية لبني إسرائيل؛ لئلا يتخذوا من دون الله وليًا ولا نصيرًا ولا معبودًا دونه؛ لأن الله تعالى أنزل على كل نبي أرسله أن يعبده وحده لا شريك له، وبنو إسرائيل من ذرية من حمل الله مع نوح في السفينة، ونوح ﷺ كان عبدًا شكورًا، وكان يحمد الله على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله؛ فلهذا سمي عبدًا شكورًا، وقد قضى الله إلى بني إسرائيل في الكتاب الذي أنزله عليهم أنهم سيفسدون في الأرض مرتين ويتجبرون ويطغون ويفجرون على الناس.

فإذا جاءت أولى الإفسادتين سلط الله عليهم جندًا من خلق الله أولي قوة وعدة وسلطة شديدة، فتملكوا بلادهم وسلكوا خلال بيوتهم، واستباحوا بيضتهم، وأذلوهم وقهروهم، جزاء وفاقا، وما ربك بظلام للعبيد؛ فإنهم كانوا قد تمردوا وقتلوا خلقًا من الأنبياء والعلماء، فإنهم لو أحسنوا لأحسن الله إليهم ونصرهم على أعدائهم، فكان إحسانهم راجع إليهم، ولكنهم أساؤوا فكانت إساءتهم عليهم، وأما المرة الآخرة جاء أعداؤهم وأهانوهم وقهروهم ودخلوا المسجد الأقصى كما دخلوه في المرة الأولى فدمروا وخربوا ما ظهروا عليه تخريبًا.

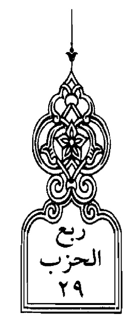
عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۚ وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ
حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴿٩﴾
وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٠﴾
وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ﴿١١﴾
وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ
ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ
ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ
إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا
يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا
﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ
رَسُولٗا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا
فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ
ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿١٧﴾

وعد الله بني إسرائيل أنهم إن استقاموا على الطاعة رحمهم وصرف عنهم عدوهم، وإن عادوا للإفساد أعاد الله عليهم عدوهم مع ما يدخره لهم في الآخرة من العذاب والنكال، في جهنم مستقرًّا ومحصرًا وسجنًا لا محيد لهم عنه، وقد أنزل الله كتابه العزيز على رسوله محمد ﷺ يهدي لأقوم الطرق، وأوضح السبل ويبشر المؤمنين به، الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرًا كبيرًا يوم القيامة، ويبشر الذين لا يؤمنون بالآخرة أن لهم عذابًا أليمًا يوم القيامة، وقد جبل الإنسان على العجلة، فيدعو بعض الأحيان على نفسه أو ولده أو ماله بالموت أو الهلاك والدمار واللعنة ونحو ذلك، فلو استجاب الله له لهلك بدعائه.

ومن أيات الله العظام: الليل والنهار ومخالفته بينهما، ليسكنوا في الليل وينتشروا في النهار للمعايش والصناعات والأعمال والأسفار، وليعلموا عدد الأيام والجمع والشهور والأعوام، ويعرفوا مضي الآجال المضروبة للديون والعبادات والمعاملات والإجارات وغير ذلك؛ فلو كان الزمان كله نسقًا واحدًا وأسلوبًا متساويًا لما عرف شيء من ذلك، وقد جعل الله لليل علامة يعرف بها وهي الظلام وظهور القمر فيه، وللنهار علامة، وهي النور وظهور الشمس النيرة فيه، وفاوت بين ضياء القمر وبرهان الشمس ليعرف هذا من هذا، فمحى آية الليل وهو سواد القمر الذي فيه، وجعل آية النهار منيرة، خلق الشمس أنور من القمر وأعظم.

وكل إنسان ألزم بعمله ويجازى عليه، فكل عمل ابن آدم محفوظ عليه، قليله وكثيره، ويكتب عليه ليلًا ونهارًا، وصباحًا ومساءً، ويوم القيامة يجمع له عمله كله في كتاب يعطاه، إما بيمينه إن كان سعيدًا، أو بشماله إن كان شقيًّا مفتوحًا يقرؤه هو وغيره، فيه جميع عمله من أول تكليفه إلى آخر عمره، ويقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا، لتعلم أنك لم تظلم ولم يكتب عليك غير ما عملت؛ لأنك ذكرت جميع ما كان منك، ولا ينسى أحد شيئًا مما كان منه، وكل أحد يقرأ كتابه من كاتب وأمي، فمن اهتدى واتبع الحق واقتفى آثار النبوة، فإنما يحصل عاقبة ذلك الحميدة لنفسه، ومن ضل عن الحق، وزاغ عن سبيل الرشاد، فإنما يجني على نفسه، وإنما يعود وبال ذلك عليه، ولا يحمل أحد ذنب أحد، ولا يجني جان إلا على نفسه، إلا من دعا إلى الضلالة فإن عليه إثم ضلاله في نفسه، وإثم آخر بسبب من أضل من غير أن ينقص من أوزار أولئك شيئًا، وهذا من عدل الله ورحمته بعباده، ومن عدله تعالى أنه لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه، فالله لا يدخل أحدًا النار إلا بعد إرسال الرسول إليه، وإذا أراد الله هلاك قرية فاسدة ظالمة سلط الله منعميها وأغنياءها وأشرارها فعصوا فيها، فإذا فعلوا ذلك أهلكهم الله بالعذاب، يأمرهم الله بالطاعات فيفعلوا الفواحش فيستحقوا العقوبة، ويهلكهم العذاب وتخرب ديارهم وأموالهم، فقد أهلك الله أممًا من المكذبين للرسل من بعد نوح، فعقوبة المكذبين لمحمد ﷺ أولى وأحرى، وكفى بالله عالمًا بجميع أعمالهم، خيرها وشرها، لا يخفى عليه منها خافية.

مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ
جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ﴿١٨﴾ وَمَنۡ أَرَادَ
ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ
سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ﴿١٩﴾ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ
رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا
بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا
﴿٢١﴾ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ﴿٢٢﴾



۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا
يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ
أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ
لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي
صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ
فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ
وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ
كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ﴿٢٧﴾

من طلب الدنيا وما فيها من النعيم وسعى لتحصيلها قد يحصل له شيءٌ منها، وقد لا يحصل عليها، فالله هو المعطي، ومن كانت الدنيا همه وغايته وأعرض عن عبادة ربه، فقد يعجل الله له طيباته في الحياة الدنيا ويوم القيامة في جهنم يدخلها حتى تغمره من جميع جوانبه مذمومًا مبعدًا مقصيًّا حقيرًا ذليلًا مهانًا على سوء تصرفه وصنيعه إذ اختار الفاني على الباقي، ومن طلب الآخرة وأرادها وما فيها من النعيم والسرور، و طلب ذلك من طريقه وهو متابعة الرسول ﷺ، وقلبه مؤمن مصدق بالثواب والجزاء فأولئك كان سعيهم مقبولًا عند الله.

وكل واحد من الفريقين الذين أرادوا الدنيا والذين أرادوا الآخرة يمدهم الله فيما هم فيه، فيعطي كلًّا ما يستحقه من الشقاوة والسعادة ولا رادَّ لحكمه ولا مانع لما أعطى، ولا مغيّر لما أراد، وقد فضل الله الناس بعضهم على بعض في الدنيا، فمنهم الغني والفقير وبين ذلك، والحسن والقبيح وبين ذلك، ومن يموت صغيرًا، ومن يعمر حتى يبقى شيخًا كبيرًا، وأما تفاوتهم في الدار الآخرة فهو أكبر، فإن منهم من يكون في الدركات في جهنم وسلاسلها وأغلالها، ومنهم من يكون في الدرجات العلى ونعيمها وسرورها، ثم أهل الدركات يتفاوتون فيما هم فيه، كما أن أهل الدرجات يتفاوتون، فإن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإن أهل الدرجات العلى ليرون أهل عليين، كما يترأى الكوكب الغابر في أفق السماء، والواجب على المكلف إخلاص العبادة لله تعالى وحده لا شريك له، ويحذر من الشرك فإنه ظلم عظيم للنفس، ومن أشرك مع الله غيره كان مذمومًا بشركه مخذولًا، لا ينصره أحد، وكما أمر الله عباده بالتوحيد وإفراد العبادة، أمرهم ببر الوالدين والإحسان إليهما، وبالأخص عند الكبر فهما بحاجة شديدة إلى البر والإحسان، فلا يسمعهما قولًا سيئًا حتى التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ ولا يصدر منه إليهما فعل قبيح، وليقل لهما قولًا لينًا طيبًا حسنًا بتأدب وتوقير وتعظيم، ويتواضع لهما بفعله ويدعو لهما بالرحمة في كبرهما وبعد وفاتهما، كما أحسنا إليه وهو صغير لا يملك حولًا ولا طولًا ولا قوةً، ومن كان في قلبه وفي نيته الخير لوالديه، فإن الله عليم بما في نفسه، فمن بر واتقى وأصلح بعد تقصيره في حق الوالدين فإن الله غفور رحيم بمن رجع وأناب وتاب، وذلك في كل الذنوب، والإحسان إلى الأقارب من الأرحام من شريعة الله، وهي استمرار للبر بالوالدين من وجوه الإنفاق المشروعة والإحسان للمساكين والمسافر المنقطع، أما إنفاق المال في المعاصي وفي طرقه غير المشروعة فهو تبذير محرم، والمبذرون إخوان الشياطين؛ لأنهم أولياء الشيطان، هو الذي يؤزهم على التبذير والإسراف، والشيطان جحود لنعم الله.

وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٤﴾ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ﴿٣٨﴾

القول الطيب والكلمة الحسنة تؤثر في النفوس، وتزيل الظنون، وقد كان بعض الصحابة ﷺ من الفقراء يسألون النبي ﷺ في بعض الأحيان ما يحتاجون إليه ولا يجد فيعرض عنهم حياء منهم ويمسك عن القول انتظارًا لرزق الله، وقد أمر الله عباده بالاقتصاد في العيش، وذم البخل ونهى عن السرف، فلا يكن العبد بخيلًا منوعًا، لا يعطي أحدًا شيئًا، ولا يسرف في الإنفاق فيعطي فوق طاقته، فيقعد ملومًا محسورًا.

ومتى بسط الإنسان يده فوق طاقته، قعد بلا شيء ينفقه، كان كالحسير وهو المنقطع، والله هو الرزاق، القابض الباسط، المتصرف في خلقه بما يشاء، فيغني من يشاء، ويفقر من يشاء، بما له في ذلك من الحكمة، فهو خبير بصير بمن يستحق الغنى، ومن يستحق الفقر، وقد يكون الغنى في حق بعض الناس استدراجًا، والفقر عقوبة عياذاً بالله من هذا وهذا، ومن ضلال المشركين أنهم كانوا يقتلون بناتهم خشية الفقر، فنهاهم الله عن قتل بناتهم، فهو سبحانه الذي يرزق البنات ومن يعولهن، وأوصى بهن خيرا وجعلهن سترًا من النار، وفرض لهن فريضة في الميراث وكان أهل الجاهلية لا يورثون البنات، وجعل قتلهن ذنبًا عظيمًا من أكبر الذنوب، وقرنه بالشرك، ونهى الله عباده عن الزنا وعن مقاربته، وهو مخالطة أسبابه ودواعيه لأنه ذنب عظيم، وبئس الطريق والمسلك، ونهى الله عباده عن قتل النفس بغير حق شرعي، ومن قُتل مظلومًا فقد جعل الله لولي المقتول سلطانًا، سلطة على القاتل، فإنه بالخيار فيه إن شاء قتله قودًا، وإن شاء عفا عنه على الدية، وإن شاء عفا عنه مجانًا، وإن اختار القتل فلا يسرف الولي في قتل القاتل بأن يمثل به أو يقتص من غير القاتل، فإن الولي منصور على القاتل شرعًا، وغالبٌ قدرًا، ونهى الله عباده عن أكل مال اليتيم، واليتيم من مات أبوه وهو قبل البلوغ، فلا يتصرف ولي اليتيم إلا بما فيه المصلحة لمال اليتيم، وأمر الله عباده المؤمنين بالوفاء بالعهود والعقود التي يتعاملون بها مع الناس، فإن العهد والعقد كل منهما يسأل عنه صاحبه، وأمر الله بالوفاء في الكيل والوزن بالميزان الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا اضطراب؛ لأن في ذلك بركة الرزق، وحل المكسب، وهو سلامة وبراءة للذمة يوم القيامة، وثواب في الدنيا والآخرة، ونهى الله عباده أن يتبعوا الظن بإخوانهم، ويكذبوا في حديثهم فلا يقل رأيت ولم ير، وسمعت ولم يسمع، وعلمت ولم يعلم فإن الإنسان، سيسأل عن سمعه وبصره وفؤاده يوم القيامة، ونهى الله عباده عن التجبر والتبختر في المشية؛ لأنها مشية الجبارين فإنه لن يقطع الأرض بمشيته، ولا يقدر أن يطاول الجبال ويساويها بكبره، فالإنسان لا ينال بكبره وبطره شيئًا كمن يريد خرق الأرض ومطاولة الجبال لا يحصل على شيء، وكل ما نهى الله عنه من المحرمات والمكروهات، لا يحبه الله ولا يرضاه، فهو يضر ولا ينفع، ويوغر الصدور، ويحل العقوبة.

ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا ﴿٤١﴾ قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴿٤٢﴾ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ﴿٤٦﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾

ما أمر الله به من الأخلاق الجميلة ونهى عنه من الصفات الرذيلة وحي أوحاه إلى عبده ورسوله محمد ﷺ ليأمر به أمته، ورأس هذه الفرائض والواجبات إفراد الله بالعبادة، فإن الشرك سبب لدخول النار والخلود فيها، فالمشركون ملومون على شركهم ومطرودون من رحمة ربهم، ومن ضلال المشركين قولهم إن الملائكة بنات الله، فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا، ثم ادعوا أنهم بنات الله، ثم عبدوهم فأخطئوا في كل من المقامات الثلاث خطًا عظيمًا، وارتكبوا جرمًا كبيرًا، فهل الله خصهم بالذكور واختار لنفسه بزعمهم البنات فهو قول عظيم تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر له الجبال هدًّا، وقد بيّن الله في القرآن الكريم من العبر والحكم والأمثال والأحكام والحجج والإعلام والتشديد والتكثير والتكرير، لعل العباد يذكرون ما فيه من الحجج والبينات والمواعظ، فينزجروا عما هم فيه من الشرك والظلم والإفك، وما يزيد القرآن الظالمين إلا نفورًا عن الحق، وبعدًا منه، ولو كان الأمر كما يقول المشركون، أن الله معه آلهة تُعبد لتقرب إليه وتشفع لديه لكان أولئك المعبودون يعبدونه ويتقربون إليه ويبتغون إليه الوسيلة والقربة، فاعبدوه أنتم وحده كما يعبده من تدعونه من دونه، ولا حاجة لكم إلى معبود يكون واسطة بينكم وبينه، فإنه لا يحب ذلك ولا يرضاه، بل يكرهه ويأباه، وقد نهى الله عن ذلك على ألسنة جميع رسله وأنبيائه، تنزه الله وتقدس عما يقول هؤلاء المشركون المعتدون الظالمون في زعمهم أن معه آلهة أخرى، تعالى الله علوًّا كبيرًا، بل هو الله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، تقدسه السموات السبع والأرض ومن فيهن من المخلوقات، وتنزهه وتعظمه وتجله وتكبره عما يقول هؤلاء المشركون، وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته وإلهيته، وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله، ولكن الناس لا يفقهون تسبيحهم، والله حليم على عباده لا يعاجل من عصاه بالعقوبة، بل يؤجله وينظره، فإن استمر على كفره وعناده أخذه أخذ عزيز مقتدر، والقرآن لا ينتفع به المشركون، فإن الله جعل بينهم وبين القرآن حجابًا مستورًا عن الأبصار فلا تراه، وهو مع ذلك حجاب بينهم وبين الهدى، وجعل على قلوبهم أغطية لئلا يفهموا القرآن، وفي آذانهم ثقلًا يمنعهم من سماع القرآن سماعًا ينفعهم ويهتدون به، وإذا جاء ذكر التوحيد في القرآن، وإفراد الله بالعبادة أدبروا راجعين نفرة من الحق والهدى، وقد كان المشركون يستمعون لتلاوة النبي صلوات الله وسلامه عليه فقد كانوا يتعجبون من فصاحة القرآن وبلاغته، وخشوا أن يراهم العبيد والموالي فيفتنون بالقرآن فتناجوا ماذا يقولوا عن هذا القرآن فاتفقوا على وصفه بالسحر، وأن النبي ﷺ مسحور، فقد ضربوا للنبي ﷺ الأشباه، فقالوا: شاعر وساحر وكاهن ومجنون، فحاروا وحادوا، فلا يستطيعون وصولًا إلى طريق الحق، ومن ضلالهم إنكار البعث بعد الموت فيقولون إذا كنا عظامًا بعد الموت، وترابًا وحطاما أنحن مبعوثون خلقًا جديدًا، بعدما بلينا وصرنا عدمًا لا يذكر.

۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾

من عقيدة الجاهلية إنكار البعث بعد الموت وكانوا يقولون إذا كنا ترابًا أئنا لمبعوثون خلقًا جديدًا، فجاء الرد عليهم في كتاب الله بأن استشعروا في قلوبكم أنكم حجارة أو حديد في القوة، أو أي خلق كبير في نفوسكم وهو الموت فإنه ليس في نفس ابن آدم شيء أكبر من الموت، فلو كنتم الموت بعينه لأماتكم الله ثم بعثكم، فالله الذي خلقهم أول مرة قادر على الإعادة، ولكن المشركين لا يؤمنون وسيحركون رؤوسهم استهزاء بالرسول ﷺ، وسيسألون متى وقوعه استعبادًا، وهذا يوم قريب منهم وسيأتي لا محالة ولكنهم لا يعقلون.

ذلك اليوم الذي يدعو الله فيه الخلائق، فيأمرهم بالخروج من قبورهم، فيخرجون كنفس واحدة استجابة لأمر الله، وتظن الخلائق يوم تقوم من قبورها أنهم لم يقيموا في الدار الدنيا إلا قليلًا، وقد أمر الله عباده المؤمنين، أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة؛ فإنه إذا لم يفعلوا ذلك، نزغ الشيطان بينهم، وأخرج الكلام إلى الفعال، ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة، فإن الشيطان عدو لآدم وذريته من حين امتنع من السجود لآدم، فعداوته ظاهرة بيّنة؛ ولهذا نُهي أن يشير الرجل إلى أخيه المسلم بحديدة، فإن الشيطان ينزع في يده، فربما أصابه بها، والله أعلم بمن يستحق الهداية ومن لا يستحق من عباده، إن يشأ يوفقهم لطاعته والإنابة إليه، أو إن يشأ يعذبهم، وما أرسل الله نبيه محمدًا ﷺ إلا نذيرًا، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، والله أعلم بمن في السماوات والأرض من عباده بمراتبهم في الطاعة والمعصية، وقد فضل الله بعض النبيين على بعض فالرسل أفضل من بقية الأنبياء، وأولوا العزم منهم أفضلهم، وهم الخمسة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ومحمد عليهم أفضل الصلاة والسلام وأفضلهم محمد ﷺ، ثم بعده إبراهيم، ثم موسى عليه السلام، وأتى الله دواد الزبور وهو كتاب علمه الله داود يشتمل على مائة وخمسين سورة كلها دعاء وتمجيد وثناء على الله ﷻ، وليس فيها حرام ولا حلال ولا فرائض ولا حدود، والمشركون الذين عبدوا غير الله من الأصنام والأنداد، حين يدعونها ويرغبون إليها فإنها لا تملك كشف الضر عنهم و تحويله إلى غيرهم، والذي يقدر على ذلك هو الله وحده لا شريك له الذي له الخلق والأمر، وأهل الشرك الذين يعبدون الملائكة والمسيح وعزير، ما علموا أن هؤلاء يطلبون إلى ربهم القربة، ويتضرعون إلى الله في طلب الدرجة العليا، وقد كان نفر من العرب، يعبدون نفرًا من الجن، فأسلم الجن، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم، فالمعبودون يخافون الله ويرجونه، وهؤلاء يعبدونهم ويصرفون لهم العبادة، وقد قضى الله وقدر بهلاك الكافرين، ونصر المؤمنين، فالكفار يهلكون بالعذاب لكفرهم وعصيانهم، والعصاة توعدهم الله بالهلاك، وفي آخر الزمان تقبض أرواح المؤمنين، وتقوم الساعة على شرار الخلق، وكل ذلك مما قدره الله وقضاه في اللوح المحفوظ.

وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٠﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا ﴿٦٣﴾ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِي ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٦٦﴾

لم يرسل الله لكفار قريش ما سألوا من الآيات؛ لأن من سنة الله في الأمم إذا سألوا الآيات ثم لم يؤمنوا بعد إتيانها أن يهلكهم الله ولا يمهلهم، وكان النبي ﷺ ينتظر أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك له.

فقد أعطيت ثمود الناقة آية مضيئة بينة فجحدوا أنها من عند الله وظلموا أنفسهم بتكذيبها فعاجلهم الله بالعقوبة.

وما يرسل الله العبر والدلالات إلا تخويفًا للعباد ليؤمنوا، والعباد في قبضة الله لا يقدرون على الخروج عن مشيئته وهو حافظ نبيه ﷺ ومانعه من المشركين.

وما رأى النبي ﷺ ليلة المعراج من العجائب والآيات أنكرها المشركون فكانت فتنة للناس.

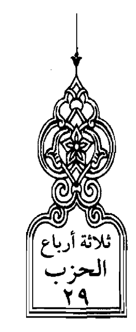
والشجرة الملعونة في القرآن وهي شجرة الزقوم فتنة للناس وذلك أن كفار قريش قالوا: كيف تنبت شجرة في النار، وبعضهم قال: الزقوم: التمر والزبد، فكانت استهزاء وتهكمًا، وما يزيدهم التخويف إلا تمردًا وعتوًّا عظيمًا.

وأمر الله الملائكة بالسجود لآدم تشريفًا له، فسجدوا إلا إبليس قال: أأسجد لمن خلقت طينًا، أخبرني عن هذا الذي فضلت علي لئن أمهلتني إلى يوم القيامة لأستأصلن ذريته بالإضلال إلا من عصمهم الله، قال الله تعالى: اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤك وجزاء أتباعك، واستخفف واستجهد من استطعت من ذرية آدم بالغناء والمزامير واجمع عليهم مكايدك وخيلك، وأمرهم بإنفاق الأموال في معاصي الله، وأمرهم بالزنا والفواحش، وعدهم بالأماني الكاذبة وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا، فهو سيتبرأ منهم فيقول لهم: إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم.

وأما عباد الله المؤمنين فإن الله يحفظهم من الشيطان وكفى بالله حافظًا ومؤيدًا وناصرًا، فلا يؤزهم ولا يغويهم ولا يشاركهم لا في طعام ولا مبيت ولا أولاد، فإن المؤمن إذا دخل بيته سمى، وإذا أكل سمى، وإذا أتى أهله سمى، فلا يكن للشيطان منه نصيب، حتى إذا سقطت لقمته أخذها وأزال عنها الأذى ولم يتركها للشيطان فيكون الشيطان ضعيفًا هزيلًا.

ومن لطف الله بخلقه تسخيره لعباده الفلك في البحر، وتسهيلها لمصالح عباده لابتغائهم من فضله في التجارة من إقليم إلى إقليم؛ ورحمة بهم وفضله منة عليهم.

وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾



إذا مس الناس ضر، دعوا الله منيبين إليه، مخلصين له الدين ويذهب عن قلوبهم كل ما يعبدون غير الله، وإذ نجاهم من الضر ومن البحر إلى البر نسوا ما عرفوا من التوحيد في البحر، وأعرضوا عن دعاء الله وحده لا شريك له، والإنسان ينسى النعم ويجحدها، إلا من عصم الله، وما علموا أن الله قادر أن يخسف بهم الأرض، أو يرسل عليهم المطر الذي فيه الحجارة، ثم لا يجدون لهم ناصرًا يرد عنهم ذلك وينقذهم منه، أم أمن المعرضون عن الله بعدما اعترفوا بتوحيد الله في البحر، وخرجوا إلى البر أن يعيدهم في البحر مرة ثانية فيرسل عليهم قاصفًا من الريح، يقصف الصواري ويغرق المراكب، بسبب كفرهم وإعراضهم عن الله تعالى، ولا يجدون نصيرًا.

وقد شرف الله بني آدم، وكرمهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها، وحملهم في البر على الدواب من الأنعام والخيل والبغال، وفي البحر على السفن الكبار والصغار.

ورزقهم من الطيبات من الزروع والثمار، واللحوم والألبان، ومن سائر أنواع الطعوم والألوان، المشتهاة اللذيذة، والمناظر الحسنة، والملابس الرفيعة من سائر الأنواع، على اختلاف أصنافها وألوانها وأشكالها، مما يصنعونه لأنفسهم، ويجلبه إليهم غيرهم من أقطار الأقاليم والنواحي، وفضلهم على سائر الحيوانات وأصناف المخلوقات.

وسيحاسب الله كل أمة بكتاب أعمالهم، والنبي شاهد عليها بأعمالها، ولا يظلم الله أحدًا حتى الفتيل وهو الخيط المستطيل في شق النواة.

ومن كان في الحياة الدنيا أعمى عن حجج الله وآياته وبيناته، فهو في الآخرة أعمى وأضل منه كما كان في الدنيا عياذًا بالله من ذلك.

وقد أيد الله رسوله صلوات الله عليه وسلامه، وثبته وعصمه وسلمه من شر الأشرار وكيد الفجار، وتولى أمره ونصره، ولم يكله إلى أحد من خلقه، بل هو وليه وحافظه وناصره ومؤيده، ومظهر دينه على من عاداه وخالفه وناوأه في مشارق الأرض ومغاربها، صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

ومن عصمة الله له أن حفظه من إغراءات المشركين وأساليبهم بالمكر والخداع التي من استجاب لها عذبه الله العذاب ضعفين، وما له من دون الله ولي ولا نصير.

وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴿٨٠﴾ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ﴿٨٣﴾ قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا ﴿٨٤﴾ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

لمّا همَّ كفار قريش بإخراج الرسول ﷺ من بين أظهرهم توعدهم الله بأنهم لو أخرجوه لن يلبثوا بعده بمكة إلا يسيرًا، وقد وقع؛ فإنه لم يكن بعد هجرته من بين أظهرهم بعدما اشتد أذاهم له إلا سنة ونصف، حتى جمعهم الله وإياه ببدر على غير ميعاد، فأمكنه منهم وسلطه عليهم وأظفره بهم، فقتل أشرافهم وسبى سراتهم، وتلك سنة الله في الذين كفروا بالرسل وآذوهم، يخرج الرسول من بين أظهرهم ويأتيهم العذاب، ولولا أنه عليه الصلاة والسلام رسول الرحمة لجاءهم من النقم في الدنيا ما لا قبل لأحد به، وأمر الله عباده المؤمنين بإقامة الصلوات المكتوبات في أوقاتها، فالظهر عند زوال الشمس، والعصر ما بعد وقت الظهر إلى غروب الشمس، والمغرب بعد غروب الشمس، والعشاء ما بعد وقت المغرب إلى نصف الليل، والفجر من طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس، وصلاة الفجر تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار، وأمر الله العباد بقيام الليل بعد المكتوبة؛ لأن أفضل الصلاة بعد المكتوبة صلاة الليل، وهي سنة مؤكدة وهي في حق النبي ﷺ واجبة عند بعض أهل العلم، والتهجد ما كان بعد نوم، وتشريف النبي ﷺ يوم القيامة؛ لقيامه بحق الله تعالى من البلاغ والدعوة والعبادة، وسيكون له المقام المحمود الذي يحمده عليه الخلائق كلهم، وهو المقام الذي يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس، ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم، ولرسول الله ﷺ من التشريفات يوم القيامة؛ فهو أول من تنشق عنه الأرض، ومعه لواء الحمد وهو اللواء الذي يكون تحته آدم فمن دونه، وله الحوض الذي ليس في الموقف أكثر واردًا منه، وهو أول الأنبياء يقضى بين أمته، وأولهم إجازة على الصراط بأمته، وهو أول شفيع في الجنة، وهو أول داخل إليها وأمته قبل الأمم كلهم، ويشفع في رفع درجات أقوام لا تبلغها أعمالهم. وهو صاحب الوسيلة التي هي أعلى منزلة في الجنة، لا تليق إلا له، ولما ائتمر كفار أهل مكة برسول الله ﷺ ليقتلوه أو يطردوه أو يوثقوه، وأراد الله قتال أهل مكة، أمر الله رسوله ﷺ أن يخرج إلى المدينة، وأمر أن يقول رب أدخلني مدخل صدق في المدينة وأخرجني مخرج صدق من مكة، ولما علم نبي الله ﷺ ألا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان، سأل الله سلطانًا نصيرًا لكتاب الله، ولحدود الله، ولفرائض الله، ولإقامة دين الله؛ فإن السلطان رحمة من الله جعله بين أظهر عباده، ولولا ذلك لأغار بعضهم على بعض، فأكل شديدهم ضعيفهم، وقد جاء أهل الشرك من الله الحقُّ الذي لا مرية فيه ولا قبل لهم به، وهو ما بعث الله به نبيه محمدًا ﷺ من القرآن والإيمان والعلم النافع، فزهق باطلهم، واضمحل وهلك، فإن الباطل لا ثبات له مع الحق ولا بقاء.

وأنزل كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد على رسوله محمد ﷺ شفاء ورحمة للمؤمنين يذهب ما في القلوب من أمراض، من شك ونفاق، وشرك وزيغ وميل، فالقرآن يشفي من ذلك كله، وهو رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه، وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقه واتبعه، فإنه يكون شفاء في حقه ورحمة، وأما الكافر الظالم نفسه بذلك، فلا يزيده سماعه القرآن إلا بعدًا وتكذيبًا وكفرًا، ومن نقص الإنسان أنه إذا أنعم الله عليه بمال وعافية، وفتح ورزق ونصر، ونال ما يريد، أعرض عن طاعة الله وعبادته و بعد عن الله، إلا من عصم الله تعالى وإذا مسه الشر من المصائب والحوادث والنوائب قنط أن يحصل له بعد ذلك خير، وكل يعمل على سبيله الذي اختاره والله أعلم بأهل الهداية والاستقامة، ومن عجز الإنسان وضعفه وقلة علمه أنه لا يعرف حقيقة الروح التي تدل على حياته فإذا خرجت من الجسد فارق الحياة، وحقيقتها مما استأثر الله بعلمه، والعباد لا علم لهم إلا ما علمهم الله، وما علمهم إلا قليل بالنسبة إلى علم الله تعالى، ولو شاء الله لذهب بالقرآن، ولو ذهب القرآن لم يوجد من يرده، ولكنها رحمة الله بعباده.

إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴿٨٩﴾ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴿٩٥﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٩٦﴾

من فضل الله على عباده ورحمته بهم هذا القرآن الذي هو هداية للبشرية، وبقاء القرآن رحمة بالأمة، وسيُرفع في آخر الزمان من السطور والصدور، هذا القرآن المعجز في النظم والتأليف والإخبار عن الغيوب هو كلام في أعلى طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق؛ لأنه غير مخلوق ولو كان مخلوقًا لربما أتوا بمثله ولو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما ستطاعوا ولو تعاونوا على ذلك.

وقد بيّن الله لعباده في هذا القرآن من كل وجه من العبر والأحكام والوعد والوعيد وغيرها، فلم يزد أكثر الناس إلا جحودًا، فقال المشركون لمحمد ﷺ: لن نصدقك حتى تفجر لنا أرض مكة عيونًا، أو يكون لك بستان من نخيل وعنب فتشق الأنهار خلالها تشقيقًا، أو تتخذ إلى السماء سلمًا ترقى فيها ونحن ننظر حتى تأتيها، وتأتي بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول، أو تسقط السماء كما زعمت قطعًا، فأمر النبي ﷺ أن يجيبهم: سبحان الله وتقدس أن يتقدم أحد بين يديه في أمر من أمور سلطانه وملكوته، بل هو الفعال لما يشاء، إن شاء أجابهم إلى ما سألوا، وإن شاء لم يجبهم، وما أنا إلا رسول إليكم أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم، وقد فعلت ذلك، وأمركم فيما سألتم إلى الله ﷻ.

وحجة المشركين في شركهم أن الله بعث الرسل من البشر وما علموا أن ذلك من لطف الله ورحمته بعباده أن بعث إليهم الرسول من جنسهم، ليفقهوا عنه ويفهموا منه، لتمكنهم من مخاطبته ومكالمته، ولو بعث إلى البشر رسولًا من الملائكة لما استطاعوا مواجهته ولا الأخذ عنه.

ولو كان في الأرض ملائكة مستوطنين مقيمين، يعيشون فيها لأنزل الله عليهم من السماء ملكًا من جنسهم لأن القلب إلى الجنس أميل منه إلى غير الجنس.

والله شاهد على النبي ﷺ في تبليغه ودعوته، وعلى المشركين في تكذيبهم وكفرهم، عالم بما جاء به النبي ﷺ، والله عليم بعباده بمن يستحق الإنعام والإحسان والهداية، ومن يستحق الشقاء والإضلال والإزاغة.

وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلٗا لَّا رَيۡبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورٗا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا ﴿١٠٣﴾ وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ﴿١٠٤﴾



إذا كتب الله الهداية لأحد فلا مضل له، فهو سبحانه المتصرف في خلقه لا معقب لحكمه، ومن يضلل الله فما له من هاد؛ لأن الهداية بيد الله، ومن كتب الله عليه الضلالة يحشرون يوم القيامة على وجوههم، فالذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم عميًا لا يبصرون وبكمًا لا ينطقون وصمًّا لا يسمعون، جزاء لهم كما كانوا في الدنيا بكمًا وعميًا وصمًّا عن الحق فجوزوا في محشرهم بذلك أحوج ما يحتاجون إليه، و منقلبهم ومصيرهم جهنم كلما سكنت زيدت لهبًا ووهجًا وجمرًا.

وذلك الجزاء؛ لأنهم كذبوا بالأدلة والحجج، واستبعدوا وقوع البعث، وقالوا أئذا كنا عظامًا بالية نخرة نعاد مرة ثانية، فجاء الرد عليهم، بأن الله خلق السماوات والأرض، فقدرته على إعادتهم أسهل من ذلك، فيوم القيامة يعيد أبدانهم وينشئهم نشأة أخرى، ويعيدهم كما بدأهم.

وقد جعل الله لإعادتهم وإقامتهم من قبورهم أجلًا مضروبًا ومدة مقدرة لا بد من انقضائها، ولكن الكفار بعد قيام الحجة عليهم أبو إلا تماديًا في باطلهم وضلالهم.

ولو أن الناس يملكون التصرف في خزائن الله لأمسكوا خشية الفقر؛ لأن البخل والمنع من طبيعة وسجية الإنسان، ولو أن لهم نصيبًا في ملك الله لما أعطوا أحدًا شيئًا، ولا مقدار نقير، والله تعالى يصف الإنسان من حيث هو فالبخل والجزع والهلع صفة له إلا من وفقه الله وهداه.

ولقد بعث الله موسى ﷺ بتسع آيات بينات، وهي الدلائل القاطعة على صحة نبوته وصدقه فيما أخبر به وهي العصا، واليد، والسنين، والبحر، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، آيات مفصلات، ومع هذه الآيات ومشاهدتهم لها، كفروا بها وجحدوا بها، واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوًّا، وما أثرت فيهم، فكذلك لو أجاب طلب المشركين فسيكذبون ما جاءهم، ولذلك قال موسى لفرعون: لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض حججًا وأدلة على صدق ما جئت به، وإنك يا فرعون لهالك ومغلوب.

فأراد أن يخليهم من الأرض ويزيلهم عنها، فأغرقه الله ومن معه جميعًا، وأسكن بني إسرائيل الأرض وأورثهم بلاد فرعون وأموالهم وزروعهم وثمارهم وكنوزهم، فإذا جاء وعد الآخرة جاء بهم جميعهم هم وعدوهم.

وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿١٠٥﴾
وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴿١٠٦﴾
قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ
عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَۤ لِلۡأَذۡقَانِۤ سُجَّدٗا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ
وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ
خُشُوعٗا۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ



ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ
بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن
لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴿١١١﴾

سُورَةُ الكَهْفِ

ترتيبها ١٨ — آياتها ١١٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾
قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ
يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ
فِيهِ أَبَدٗا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ﴿٤﴾

أنزل الله القرآن المجيد، متضمنًا للحق، وبالحق وصل إلى نبيه محمد ﷺ محفوظًا محروسًا، لم يشب بغيره، ولا زيد فيه ولا نُقص منه، نزل به شديد القوى، القوي الأمين المكين المطاع في الملأ الأعلى، وما أرسل محمد ﷺ إلا مبشرًا لمن أطاعه من المؤمنين، ونذيرًا لمن عصاه من الكافرين، والقرآن نزل من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفرقًا منجمًا على الوقائع إلى رسول الله ﷺ في ثلاث وعشرين سنة، شيئًا بعد شيء، على مهل، ليقرأ ويعمل به ويتدبر، والقرآن حق سواء آمن به المشركون أم لم يؤمنوا، أنزله الله ونوه بذكره في سالف الأزمان في كتبه المنزلة على رسله؛ وصالح أهل الكتاب يتمسكون بكتابهم ويقيمونه، ولم يبدلوه ولم يحرفوه، إذا تلي عليهم القرآن، يسجدون لله ﷻ شكرًا على ما أنعم به عليهم، من جعله إياهم أهلًا أن أدركوا هذا الرسول الذي أنزل عليه هذا الكتاب؛ ويقولون سبحان ربنا تعظيمًا وتوقيرًا على قدرته التامة، وأنه لا يخلف الميعاد الذي وعدهم على ألسنة الأنبياء المتقدمين عن بعثة محمد ﷺ؛ ويسجدون وهم يبكون خضوعًا لله ﷻ وإيمانًا وتصديقًا بكتابه ورسوله، ويزيدهم الله خشوعًا وإيمانًا وتسليمًا، والله له الأسماء الحسنى والصفات العلى ومن أسمائه: الله والرحمن، وأسماء الله غاية في الحسن والكمال وكل اسم لله يتضمن صفة، وصفات الله يثبتها أهل السنة والجماعة على الوجه اللائق به سبحانه من غير تكييف ولا تعطيل ولا تمثيل، وأُمر النبي ﷺ بعدم الجهر بالقراءة حتى لا يسمعها المشركون فيسبوا القرآن، ونهي عن الإسرار حتى يسمع أصحابه منه القرآن فيأخذوه عنه، ولما أثبت الله تعالى لنفسه الكريمة الأسماء الحسنى، نزه نفسه عن النقائص، فهو لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك بل هو الله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، فهو ليس بذليل فيحتاج أن يكون له ولي أو وزير أو مشير، بل هو خالق الأشياء وحده لا شريك له، ومقدرها ومدبرها بمشيئته وحده لا شريك له، والواجب تعظيم الله وإجلاله وتنزيهه عما يقول الظالمون المعتدون علوًا كبيرًا.

سورة الكهف

وهي سورة مكية، وسميت بذلك لذكر أصحاب الكهف فيها

وفي الحديث الحسن (**من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة، أضاء له من النور ما بينه وبين الجمعتين**) وفي مسلم (**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال وفي رواية من آخر سورة الكهف**)

الله سبحانه هو المحمود على كل حال، وله الحمد في الأولى والآخرة؛ ولهذا حمد نفسه على إنزاله كتابه العزيز على رسوله الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه؛ فإنه أعظم نعمة أنعمها الله على أهل الأرض؛ إذ أخرجهم به من الظلمات إلى النور، حيث جعله كتابًا مستقيمًا لا اعوجاج فيه ولا زيغ، بل يهدي إلى صراط مستقيم، بينًا واضحًا جليًّا نذيرًا للكافرين وبشيرًا للمؤمنين؛ لينذر من خالفه وكذبه ولم يؤمن به،، عقوبة عاجلة في الدنيا وآجلة في الآخرة من عند الله الذي لا يعذب عذابه أحد، ولا يوثق وثاقه أحد، ويبشر المؤمنين بهذا القرآن الذين صدقوا إيمانهم بالعمل الصالح أن لهم مثوبة عند الله جميلة خالدين في ثواب الله الذي لا زوال له ولا انقضاء، وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدًا وهم مشركو العرب في قولهم نحن نعبد الملائكة، وهم بنات الله.

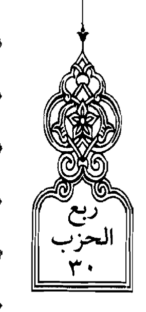
مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ
أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ
عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا
جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ
أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾
إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً
وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى
ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ
أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّۚ
إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ
قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم
بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

من افتراء المشركين على الله قولهم أن لله ولدًا، وأن الملائكة بنات الله، كله بدون علم ولا دليل، وإنما كلمات تخرج من أفواههم ليس لها مستند سوى قولهم، ولا دليل لهم عليها إلا كذبهم وافتراؤهم؛ وكان الرسول ﷺ يحزن لعدم إيمانهم، فأرشد ألا يهلك نفسه بحزنه عليهم، ولا يهلك نفسه أسفًا عليهم، بل يبلغهم رسالة الله، فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، فالدنيا دارٌ فانية مزينة بزينة زائلة، وإنما جعلها الله دار اختبار لا دار قرار، وأن مصيرها بعد الزينة إلى الخراب والدمار، فكل شيء عليها هالك لا يثبت ولا ينتفع به، وإن ما عليها لفان وبائد، وإن المرجع لإلى الله فلا يأس على القوم الكافرين ولا يحزنه ما يسمع ويرى.

ومن الآيات والعجائب قصة أصحاب الكهف الذين أماتهم الله ثم أحياهم، وأصحاب الرقيم الذين انطبق عليهم الغار فنجاهم الله بدعائهم وتوسلهم بالأعمال الصالحة، وأعجب من هذا وأعظم خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، وتسخير الشمس والقمر والكواكب، وغير ذلك من الآيات العظيمة الدالة على قدرة الله تعالى، وأنه على ما يشاء قادر ولا يعجزه شيء.

وقصة أصحاب الكهف أنهم فتية ألهمهم الله رشدهم وآتاهم تقواهم، فآمنوا بربهم، واعترفوا له بالوحدانية، وشهدوا أنه لا إله إلا هو، ودعوا قومهم لعبادة الله وحده لا شريك له، ولما دعوا ملكهم إلى الإيمان بالله، أبى عليهم، وتهددهم وتوعدهم، وأمر بنزع لباسهم عنهم الذي كان عليهم من زينة قومهم، وأجلهم لينظروا في أمرهم، لعلهم يراجعون دينهم الذي كانوا عليه، وكان هذا من لطف الله بهم، فإنهم في تلك النظرة توصلوا إلى الهرب منه، والفرار بدينهم من الفتنة، ففروا بدينهم من قومهم لئلا يفتنوهم عنه، فهربوا منهم، فصبرهم الله على مخالفة قومهم ومدينتهم، ومفارقة ما كانوا فيه من العيش الرغيد والسعادة والنعمة، فلجؤوا إلى غار في جبل ليختفوا عن قومهم، فقالوا حين دخلوا سائلين من الله تعالى رحمته ولطفه بهم، هب لنا من عندك رحمة ترحمنا بها وتسترنا عن قومنا واجعل عاقبتنا رشدًا، فقد فارقوا قومهم من أجل التوحيد ونبذ الشرك فخلد الله ذكرهم، وأعلى أمرهم.

والمشروع عند وقوع الفتن في الناس، أن يفر العبد خوفًا على دينه، إذا لم يكن لديه القدرة على الدعوة والتصحيح.



وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ
يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا
﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ
ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ
مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن
يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا
وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم
بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ
فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ
لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا
يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ
أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ
طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ
بِكُمۡ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ
أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٢٠﴾

لما وقع عزم الفتية على الذهاب والهرب من قومهم، واختار الله تعالى لهم ذلك، خرجوا فرارًا إلى الكهف، فآووا إليه، ففقدهم قومهم من بين أظهرهم، فألقى الله عليهم النوم حين دخلوا إلى الكهف، فناموا سنين كثيرة، فكانت الشمس تدخل عليهم في الكهف بكرة وعشية، وذلك من آيات الله حيث أرشدهم تعالى إلى هذا الغار الذي جعلهم فيه أحياء، والشمس والريح تدخل عليهم فيه لتبقى أبدانهم.

وهو سبحانه الذي أرشد هؤلاء الفتية إلى الهداية من بين قومهم، فإنه من هداه الله اهتدى، ومن أضله فلا هادي له، ولما ضرب الله على آذانهم بالنوم، لم تنطبق أعينهم؛ لئلا يسرع إليها البلى، فإذا بقيت ظاهرة للهواء كان أبقى لها؛ وكانوا يقلبون في العام مرتين، و لو لم يقلبوا لأكلتهم الأرض، والكلب يحرس عليهم الباب، وهذا من سجيته وطبيعته، حيث يربض ببابهم كأنه يحرسهم، وكان جلوسه خارج الباب؛ وشملت كلبهم بركتهم، فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال، وهذه فائدة صحبة الأخيار، فإنه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن.

وقد ألقى الله عليهم المهابة بحيث لا يقع نظر أحد عليهم إلا هابهم؛ لما ألبسوا من المهابة والذعر، لئلا يدنو منهم أحد ولا تمسهم يد لامس، حتى يبلغ الكتاب أجله، وتنقضي رقدتهم التي شاء الله تبارك وتعالى فيهم، لما له في ذلك من الحجة والحكمة البالغة، والرحمة الواسعة، ثم بعثهم الله من رقدتهم تلك صحيحة أبدانهم وأشعارهم وأبشارهم، لم يفقدوا من أحوالهم وهيئاتهم شيئًا، وذلك بعد ثلاثمائة سنة وتسع سنين؛ ولهذا تساءلوا بينهم كم مدة لبثهم؟ لأنه كان دخولهم إلى الكهف في أول نهار، واستيقاظهم كان في آخر نهار؛ ولكن لإيمانهم أرجعوا العلم إلى الله، ثم عدلوا إلى الأهم في أمرهم إذ ذاك، وهو احتياجهم إلى الطعام والشراب، فأرسلوا أحدهم بفضتهم التي معهم، وقد كان معهم دراهم أخذوها من منازلهم لحاجتهم إليها، فتصدقوا منها وبقي منها، فأرسلوه إلى المدينة التي خرجوا منها، وأوصوه باختيار الطعام الطيب الحلال، وليترفق في الطريق وفي المدينة وليكن في ستر وكتمان في خروجه وذهابه، وشرائه وإيابه، ولا يعلمن به أحد، فإنهم إن علموا بمكانهم، يشتمونهم ويؤذونهم بالقول ويقتلوهم أو يعيدوهم إلى الكفر، ومن عاد إلى الكفر فلن يفلح أبدًا.

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟
ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ
أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ
رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا
بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ
بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا
وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ
إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ
إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا
﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا
﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ
فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ
رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

ذكر أنه لما أراد أحد الفتية الخروج ليذهب إلى المدينة، في شراء شيء لهم ليأكلوه، تنكر وخرج يمشي في غير الجادة، حتى انتهى إلى المدينة، وهو يظن أنه قريب العهد بها، وكان الناس قد تبدلوا قرنًا بعد قرن، وجيلًا بعد جيل، وأمة بعد أمة، وتغيرت البلاد ومن عليها، فجعل لا يرى شيئا من معالم البلد التي يعرفها، ولا يعرف أحدًا من أهلها، لا خواصها ولا عوامها، فجعل يتحير في نفسه ويقول: لعل بي جنونًا أو مسًا، أو أنا حالم، ويقول: والله ما بي شيء من ذلك، وإن عهدي بهذه البلدة عشية أمس على غير هذه الصفة، ثم قال: إن تعجيل الخروج من ها هنا لأولى لي، ثم عمد إلى رجل ممن يبيع الطعام، فدفع إليه ما معه من النفقة، وسأله أن يبيعه بها طعامًا، فلما رآها ذلك الرجل أنكرها، فدفعها إلى جاره، وجعلوا يتداولونها بينهم ويقولون: لعل هذا قد وجد كنزًا، فسألوه عن أمره، ومن أين له هذه النفقة، لعله وجدها من كنز، ومن أنت، فجعل يقول: أنا من أهل هذه المدينة وعهدي بها عشية أمس وذكر اسم الملك، فنسبوه إلى الجنون، فحملوه إلى ولي أمرهم، فسأله عن شأنه وعن أمره حتى أخبرهم بأمره، وهو متحير في حاله، وما هو فيه، فلما أعلمهم بذلك قاموا معه إلى الكهف، حتى انتهى بهم إلى الكهف، فقال: دعوني حتى أتقدمكم في الدخول لأعلم أصحابي، فيقال: إنهم لا يدرون كيف ذهب فيه، وأخفى الله عليهم خبره وتوفاهم الله ﷻ، وكل ذلك دليل على البعث بعد الموت، وأن الله قادر على ذلك.

فسدوا عليهم باب كهفهم، وتركوهم على حالهم، و قال أصحاب الكلمة والنفوذ: لنتخذن عليهم مسجدًا، والبناء على القبور لا يجوز وهو من وسائل الشرك، والمسجد الذي يبنى على القبور يهدم ولا تحل الصلاة فيه، أما إذا كان القبر بعد المسجد فإن القبر ينبش، وقد اختلف الناس في عدة أصحاب الكهف، فذكر الله تعالى ثلاثة أقوال، وضعف القولين الأولين لأنهما بدون علم ثم ذكر الثالث وسكت عنه فدل على صحته، وهو أنهم سبعة، والواجب رد العلم إلى الله، إذ لا احتياج إلى الخوض في مثل ذلك بلا علم، وأهل العلم الراسخين يعلمون ذلك من كتاب الله.

والجدال في مثل هذا لا فائدة منه لأن الأمر في معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة، ولا تسأل عنه أحد لأنه لا علم لهم بذلك، ومن الأدب مع الله أن المسلم إذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل أن يرد ذلك إلى مشيئة الله ﷻ علام الغيوب، الذي يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، والسنة لمن حلف أن يستثني بالمشيئة حتى لا يحنث في يمينه، وإذا نسي الإنسان ذكر الله تعالى، لأن الذكر يطرد الشيطان، فإذا ذهب الشيطان ذهب النسيان، فذكر الله سبب للذكر، وإذا سئل الإنسان عن شيء لا يعلمه، فيسأل الله أن يوفقه للصواب والرشد في ذلك، فهو سبحانه الهادي لعباده، ومقدار ما لبث أصحاب الكهف في كهفهم منذ أرقدهم الله إلى أن بعثهم وأعثر عليهم أهل ذلك الزمان كان مقداره ثلاثمائة سنة وتسع سنين بالهلالية، وهي ثلاثمائة سنة بالشمسية، لا يعلم ذلك إلا الله، أو من أطلعه الله عليه من خلقه، فهو سبحانه البصير بهم السميع لهم، الذي له الخلق والأمر، الذي لا معقب لحكمه، وليس له وزير ولا نصير ولا شريك ولا مشير، تعالى وتقدس، وأمر الله نبيه محمدًا ﷺ بتلاوة كتابه العزيز وإبلاغه إلى الناس، فإنه لا مغير لكلماته ولا محرف ولا مؤول، ولن يجد العبد من دون الله ملجأ ولا وليًّا ولا مولى إن ترك القرآن والعمل به.

وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴿٣١﴾ ۞ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴿٣٢﴾ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾

نصف الحزب ٣٠

الجليس الصالح، والصديق التقي سبب من أسباب الاستقامة والثبات، وقد أمر الله نبيه ﷺ بمجالسة الصالحين الذين يذكرون الله ويهللونه، ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه، ويسألونه بكرة وعشيًا من عباد الله، سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء، ولا يجاوزهم إلى غيرهم، يطلب بدلهم أصحاب الشرف والثروة، ولا يطع من شغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا ولم يستجب إلا لهواه وكل أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع.

وما جاء به محمد ﷺ هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فإن للكافرين بالله ورسوله وكتابه نارًا أحاط بهم سورها، وإن استغاثوا من شدة العطش يغاثوا بماء كرديء الزيت الحار يشوي الوجوه من حرارته، إذا قرب إليه سقطت فروة وجهه فيه، فساء الشراب وساء المجلس النار.

وأما السعداء الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين فيما جاؤوا به، وعملوا بما أمروا به من الأعمال الصالحة، فلهم جنات عدن يقيمون فيها، تجري الأنهار من تحت غرفهم ومنازلهم، ويلبسون من الحلية فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابًا خضرًا من سندس وإستبرق والسندس رقاق الديباج، والإستبرق غليظ الديباج وفيه بريق، مضطجعين ومتربعين في الجلوس، على السرر و نعمت الجنة ثوابا على أعمالهم وحسنت منزلًا ومقيلًا ومقامًا.

وضرب الله المثل للمشركين المستكبرين عن مجالسة الضعفاء والمساكين من المسلمين، والمفتخرين عليهم بأموالهم وأحسابهم برجلين كان لأحدهما بستانين من أعناب، محفوفتين بالنخل المحدقة في جنباتهما، وفي خلالهما الزروع، وكل من الأشجار والزروع مثمر مقبل في غاية الجود؛ ولم ينقص من ثمرها شي، والأنهار تتخرقهما.

فقال صاحب الجنتين لصاحبه وهو يجادله ويخاصمه، ويفتخر عليه ويترأس أنا أكثر منك مالًا و أكثر خدمًا وحشمًا وولدًا.

والمسلم حين يرزقه الله من واسع عطائه، يعترف بنعم الله عليه، ولا يفتخر على غيره بالدنيا، فإن الفخر والتعالي والكبر سبب من أسباب جحود النعمة، والاعتداد بالنفس، ونسيان الشكر، ونسبة النعمة لغير معطيها.

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ
أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى
لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ
أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا
﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ
دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠
أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن
جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا
زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾
وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ
عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ
فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ
لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ
فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

دخل الظالم لنفسه جنته؛ فقد ظلم نفسه بكفره وتمرده وتكبره وتجبره وإنكاره المعاد، واغتر بما رأى فيها من الزروع والثمار والأشجار والأنهار المطردة في جوانبها وأرجائها، وظن أنها لا تفنى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف وذلك لقلة عقله، وضعف يقينه بالله، وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها، وكفره بالآخرة، وظن لئن كان معاد ورجعة ومرد إلى الله، ليكونن له هناك أحسن من هذا؛ لأن له مقام عند ربه، ولولا كرامته عليه ما أعطاه هذه الجنان.

فأجابه صاحبه المؤمن، واعظًا له وزاجرًا عما هو فيه من الكفر بالله والاغترار من جحود ربه، الذي خلقه وابتدأ خلق الإنسان من طين وهو آدم، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ولكني أعترف لله بالربوبية والوحدانية فهو الله المعبود وحده لا شريك له.

فهلا إذ أعجبتك بساتينك حين دخلتها ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك، وأعطاك من المال والولد ما لم يعطه غيرك، وقلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله ؛ فإن من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده فليقل ما شاء الله لا قوة إلا بالله فإنه لا يرى فيه آفة دون الموت.

ودعا المؤمن ربه بأن يرزقه الجنة في الدار الآخرة، ويرسل على جنة الظالم في الدنيا عذابًا من السماء، التي ظن أنها لا تبيد ولا تفنى، أو يقل ماؤها ويجف نهرها.

فأرسل الله عليها مطرًا عظيمًا يقلع زرعها وأشجارها فأصبحت بلقعًا ترابًا أملس، لا يثبت فيه قدم.

فأصبح يصفق كفيه متأسفًا متلهفًا على الأموال التي أذهبها عليها، ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدًا ولم ينفعه عشيرة أو ولد، كما كان يفتخر بهم.

واللهُ سبحانه يتولَّى أمرَ الخلائق، فينصر المؤمنين ويخذل الكافرين، ويوم القيامة يتولى الكفار ربهم، ويؤمنون به، ويتبرَّؤون مما كانوا يعبدون، لكن لا ينفعهم ذلك، والأعمال التي يقصد بها غير وجه الله تكون وبالًا على صاحبها وأما الأعمال التي تكون لله ﷻ ثوابها خير، وعاقبتها حميدة رشيدة، وكلها خير.

والحياة الدنيا في زوالها وفنائها وانقضائها كماء أنزله الله من السماء فاختلط بنبات الأرض بما فيها من الحب، فشب وحسن، وعلاه الزهر والنور والنضرة ثم بعد هذا كله أصبح يابسًا تفرقه الرياح وتطرحه ذات اليمين وذات الشمال والله هو القادر على هذه الحال، وهذه الحال.

ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ
خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى
ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟
عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ
أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ
لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟
حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ
أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ
بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا
﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ
فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ
ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

ثلاثة أرباع
الحزب
٣٠

المال والبنون زينة الحياة الدنيا، وهم عدة وذخر للإنسان إذا صلحوا، ومن أشغل نفسه بتربيتهم كانوا عملًا صالحًا بعد مماته وكانوا من الباقيات الصالحات، والإقبال على الله والتفرغ لعبادته خير للإنسان من الانشغال بالمال والولد لزينة الدنيا والتفاخر بها، ويوم القيامة حق يجب على المسلم الاستعداد له وما يكون فيه من الأمور العظام، يوم تذهب الجبال من أماكنها وتزول، وتتساوى المهاد، وتبقى الأرض سطحًا مستويًا لا وادي ولا جبل؛ بادية ظاهرة، ليس فيها معلم لأحد ولا مكان يواري أحدًا، و لا بناء ولا شجر، بل الخلق كلهم ضاحون لربهم لا تخفى عليه منهم خافية.

وجميع الخلائق يقومون بين يدي الله صفًّا واحدًا، جاؤوا إلى ربهم كما خلقهم غرلًا، وقد زعم الكفار أن لا رجعة ولا بعث، ووضع كتاب الأعمال، الذي فيه الجليل والحقير، والفتيل والقطمير، والصغير والكبير، فترى المجرمين مشفقين من أعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة، ويقولون يا حسرتنا ويا ويلنا على ما فرطنا في أعمارنا فهذا الكتاب لا يترك ذنبًا صغيرًا ولا كبيرًا ولا عملًا وإن صغر إلا ضبطه وحفظه.

فيحكم الله بين عباده في أعمالهم جميعًا، ولا يظلم أحدًا من خلقه، بل يغفر ويصفح ويرحم ويعذب من يشاء بقدرته وحكمته وعدله، ويملأ النار من الكفار وأصحاب المعاصي، ثم ينجي أصحاب المعاصي ويخلد فيها الكافرون، وهو الحاكم الذي لا يجور ولا يظلم.

والله سبحانه أكرم آدم وأسجد له الملائكة، سجود تشريف وتكريم وتعظيم، فسجدوا إلا إبليس كان من الجن فاغتر بأصله فإنه خلق من مارج من نار، وأصل خلق الملائكة من نور، فقال: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، فإبليس ليس من الملائكة طرفة عين، وهو أصل الجن، لكن دخل مع الملائكة في خطابهم، وعصى بالمخالفة فخرج عن طاعة الله فإن الفسق هو الخروج، فلا يتخذ المؤمنون الشيطان وليًّا فهو ولي الظالمين.

والذين اتخذتهم البشر أولياء من دون الله عباد أمثالهم، لا يملكون شيئًا، ولا حضروا خلق السموات والأرض، ولا كانوا موجودين، والله سبحانه هو الذي خلق الأشياء كلها، ومدبرها ومقدرها وحده، ليس معه في ذلك شريك، وفي يوم القيامة يقول الله تعالى للمشركين نادوا شركائي الذين زعمتم في دار الدنيا، ادعوهم اليوم، ينقذونكم مما أنتم فيه، فدعوهم فلم يستجيبوا لهم، ولن يستجيبوا، وجعل الله بينهم وبين شركائهم واديًا في جهنم مهلك وهول عظيم وأمر كبير.

ولما عاين المشركون جهنم حين جيء بها تقاد بسبعين ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك، تحققوا لا محالة أنهم مواقعوها ليكون ذلك من باب تعجيل الهم والحزن لهم، فإن توقع العذاب والخوف منه قبل وقوعه عذاب ناجز، ولم يجدوا لهم طريق يعدل بهم عنها، ولا بد لهم منها.

وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ
ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ
إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ
ٱلۡأَوَّلِينَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ
إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ
لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ﴿٥٦﴾ وَمَنۡ
أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ
إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ
وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ
ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ
ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ﴿٥٨﴾
وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم
مَّوۡعِدٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ
أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا
مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ﴿٦١﴾

لقد بين الله لعباده في هذا القرآن، وأوضح لهم الأمور، وفصلها كيلا يضلوا عن الحق، ويخرجوا عن طريق الهدى، ومع هذا البيان وهذا الفرقان، فإن الإنسان كثير المجادلة والمخاصمة والمعارضة للحق بالباطل، إلا من هدى الله وبصره لطريق النجاة.

وقد تمرد الكفار في قديم الزمان وحديثه، وكذبوا بالحق البين الظاهر مع ما يشاهدون من الآيات والآثار والدلالات الواضحات، وما منعهم من اتباع ذلك إلا طلبهم أن يشاهدوا العذاب الذي وعدوا به عيانًا، فما ينتظرون إلا سنة الله في الأمم السابقة من غشيانهم بالعذاب وأخذهم عن آخرهم، أو يروا العذاب عيانًا مواجهة ومقابلة، وهم مع ذلك لن يؤمنوا ويقبلوا الحق، فقد أرسل الله الرسل بالبشارة بالتوحيد والنذارة عن الشرك ولكن الكفار يجادلون بالباطل ليضعفوا به الحق الذي جاءتهم به الرسل، وليس ذلك بحاصل لهم، واتخذوا الحجج والبراهين والمعجزات التي بعث بها الرسل وما أنذروهم وخوفوهم به من العذاب سخرية وتكذيبًا.

فأظلم العباد من ذكر بآيات الله فتناساها وأعرض عنها، ولم يصغ لها، ولا ألقى إليها بالًا، ونسي الأعمال السيئة والأفعال القبيحة؛ لأن الله جعل على قلوبهم أغطية وغشاوة، لئلا يفهموا هذا القرآن والبيان، وفي آذانهم صمم معنوي عن الرشاد، مهما دعوا إلى الحق فلن يستجيبوا لأن الله كتب عليهم الضلالة.

والله هو الغفور ذو الرحمة الواسعة، لو يؤاخذ العباد بأعمالهم لأهلكهم جميعًا، ولكنه سبحانه يحلم ويستر ويغفر، وربما هدى بعضهم من الغي إلى الرشاد، ومن استمر منهم فله يوم يشيب فيه الوليد، وتضع كل ذات حمل حملها؛ لا يجدون لهم عنه محيدًا ولا محيصًا ولا معدلًا، فالأمم السالفة والقرون الخالية أهلكهم الله بسبب كفرهم وعنادهم وجعل لهلاكهم مدة معلومة ووقت معلوم معين، لا يزيد ولا ينقص.

والله سبحانه هو الذي يعلم عباده العلم، وقد قام موسى عليه السلام خطيبًا في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه أَنَّ لي عبدًا بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى يا رب فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتًا فتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثَمَّ.

فقال موسى لفتاه لا أزال سائرًا حتى أبلغ هذا المكان الذي فيه مجمع البحرين، أو أسير مدة من الزمان، فأخذ حوتًا فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤسهما فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر مسلكًا ومذهبًا

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبۡدًا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةً مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسًا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٍ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا نُّكۡرًا ﴿٧٤﴾

انطلق موسى ﷺ وفتاه يوشع بن نون بقية يومهما وليلتهما، حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا تعبًا وشدة، ولم يجد موسى التعب حتى جاوز المكان الذي أمر به، وقال له فتاه: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبًا، فكان للحوت سربًا ولموسى ولفتاه عجبًا، وقال موسى: ذلك ما كنا نريد، فرجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مُسجى بثوب فسلم عليه موسى فقال الخضر ﷺ: وأنى بأرضك السلام؟ فقال: أنا موسى قال: موسى نبي بني إسرائيل، قال نعم أتيتك لتعلمني مما علمت علمًا يرشدني، فقال له الخضر: كفى بالتوراة علمًا وببني إسرائيل شغلًا، فقال له موسى: إن الله أمرني بهذا قال: إنك لن تستطيع معي صبرًا يا موسى، إني على علم من الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمك الله إياه لا أعلمه فقال موسى: ستجدني إن شاء الله صابرًا ولا أعصي لك أمرًا، فقال له الخضر: فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرًا، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوهم بغير أجرة، فلما ركبا في السفينة وساروا في البحر أخذ الخضر فأسًا فخرق لوحًا من السفينة، فقال له موسى: قوم حملونا بغير أجرة، وعمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها، لقد جئت شيئًا منكرًا، قال ألم أقل لك: إنك لن تستطيع معي صبرًا، قال: لا تؤاخذني بما نسيت، ولا تضيق علي أمري، وعاملني باليسر ولا تعاملني بالعسر.

وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر: ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر.

ثم خرجا من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلامًا يلعب مع الغلمان في قرية من القرى، وأنه عمد إليه من بينهم، وكان أحسنهم وأجملهم وأوضأهم فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده فقتله، فقال له موسى: أقتلت نفسًا زكية صغيرة لم تعمل الإثم أبدًا، ولم تحمل وزرًا بعد، فقتلته بغير نفس، لقد جئت شيئا نكرًا، فظيعًا منكرًا لا يعرف في الشرع، وهو أنكر من الأمر الأوّل لكون القتل لا يمكن تداركه، بخلاف نزع اللوح من السفينة فإنه يمكن تداركه بإرجاعه.

۞ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن
سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا
﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ
أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ
قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي
وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا
ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا
وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ
فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا
﴿٨٠﴾ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا
﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ
تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ
أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ
عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴿٨٢﴾ وَيَسۡـَٔلُونَكَ
عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ﴿٨٣﴾

لما قتل الخضر الغلام وأنكر عليه موسى ﷺ، قال الخضر: إنك لن تقدر على الصبر معي فيما يخفى عليك علمه، فقال له موسى ﷺ: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تجعلني صاحبًا لك، فنهاه عن مصاحبته مع حرصه على التعلم لظهور عذره؛ لأنه خالفه ثلاث مرّات، وهذا كلام نادم شديد الندامة، اضطره الحال إلى الاعتراف وسلوك سبيل الإنصاف، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية فطلبا من أهلها الطعام فأبوا أن يضيفوهما فوجدا في القرية جدارًا ضعيف البنيان، مائلًا للسقوط، فمسح الخضر الجدار بيده فاستقام، فقال موسى: قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لأخذت أجرة على إصلاحك للجدار، فقال: هذا وقت الفراق بيني وبينك، وسأخبرك بما رأيت، وفسر الخضر ما أشكل أمره على موسى ﷺ، وما كان أنكر ظاهره وقد أظهر الله الخضر، على باطنه فقال إن السفينة التي خرقتها إنما خرقتها لأعيبها؛ لأنهم كانوا يمرون بها على ملك من الظلمة يأخذ كل سفينة صالحة جيدة غصبًا، فأردت أن أرده عنها لعيبها، فينتفع بها أصحابها المساكين الذين لم يكن لهم شيء ينتفعون به غيرها، وأما الغلام فقد فرح به أبواه حين ولد وكانا يحبانه حبًا شديدًا وقد كُتب عليه الكفر، فخشيت أن يتابعاه على الكفر لمحبتهما له، وحزنا عليه حين قتل، ولو بقي كان فيه هلاكهما، فليرض المرء بقضاء الله، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب، وأبدلهما الله بغلام مسلم أبر بوالديه من الأول، وأما الجدار إنما أصلحته؛ لأنه كان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وهو مال مدفون، وكان جدهما السابع صالحًا، فالرجل الصالح يحفظ في ذريته، وتشملهم بركة عبادته في الدنيا والآخرة، بشفاعته فيهم ورفع درجتهم إلى أعلى درجة في الجنة لتقر عينه بهم، فأراد الله تعالى أن يستخرجا الكنز بعد بلوغهما الحلم.

وهذا الذي فعله الخضر في هذه الأحوال الثلاثة، إنما هو من رحمة الله بمن ذكرنا من أصحاب السفينة، ووالدي الغلام، وولدي الرجل الصالح، وما فعله الخضر إنما هو بأمر الله له، والخضر ولي من أولياء الله وقد مات، وليس له من العلم إلا ما علمه الله، وليس بأفضل من موسى بن عمران ﷺ.

وقد بعث كفار مكة إلى أهل الكتاب يسألونهم ما يمتحنون به النبي ﷺ، فقالوا سلوه عن رجل طواف في الأرض، وعن فتية لا يدرى ما صنعوا، وعن الروح، فنزلت سورة الكهف، فذكر الله خبر ذي القرنين وهو رجل أحب الله وأحبه الله، ونصح لله، وعمل بأمر الله، وأتاه الله الملك فاشتهر بالعدل والإنصاف، وسمي بذلك لأنه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها، وكان عمره ألفًا وستمائة سنة.

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾

لقد أعطى الله ذا القرنين الملك العظيم المتمكن، فقد أعطي جميع ما يؤتى الملوك، من التمكين والجنود، وآلات الحرب؛ فملك المشارق والمغارب من الأرض، ودانت له البلاد، وخضعت له ملوك العباد، وخدمته الأمم من العرب والعجم، وعلمه الله منازل الأرض وأعلامها، وعلمه الألسنة، وكان لا يغزو قومًا إلا كلمهم بلسانهم.

فقد يسر الله له الطرق والوسائل إلى فتح الأقاليم والبلاد والأراضي وكسر الأعداء، وكبت ملوك الأرض، وإذلال أهل الشرك، وسخر له السحاب، وقدر له الأسباب، وبسط له اليد، و قد أوتي من كل شيء مما يحتاج إلى مثله سببًا، فسلك الطريق ما بين المشرق والمغرب، حتى وصل إلى أقصى ما يسلك فيه من الأرض من ناحية المغرب، وهو مغرب الأرض، وأما الوصول إلى مغرب الشمس من السماء فمتعذر، فرأى الشمس في منظرها تغرب في البحر المحيط، وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله، يراها كأنها تغرب فيه، فكأنها تغرب في طين أسود حار، وهي لا تفارق الفلك إذ تطلع على غيرهم، ووجد عند مغيبها أمة عظيمة من بني آدم، ومكنه الله منهم وأظفره بهم فانتصر عليهم، وخيّرهم إن شاء قتل وسبى، وإن شاء مَنَّ أو فدى، فعرف عدله وإيمانه فيما أبداه عدله وبيانه، فقال لهم: من استمر على كفره وشركه بربه فسوف نعذبه بالقتل، ثم يوم القيامة له العذاب الشديد البليغ الموجع الأليم، وأما من تابعنا على ما ندعوه إليه من عبادة الله وحده لا شريك له، فله في الدار الآخرة عند الله ﷻ الجنة وفي الدنيا له المعاملة الطيبة والقول المعروف.

ثم سلك طريقًا فسار من مغرب الشمس إلى مطلعها، وكان كلما مر بأمة قهرهم وغلبهم ودعاهم إلى الله ﷻ، فإن أطاعوه وإلا أذلهم وأرغم أنوفهم، واستباح أموالهم، وأمتعتهم واستخدم من كل أمة ما يستعين به مع جيوشه على أهل الإقليم القريب منهم، ولما انتهى إلى مطلع الشمس من الأرض، وجدها تطلع على أمة ليس لهم بناء يُكنُّهم، ولا أشجار تظلهم وتسترهم من حر الشمس، وكانوا حمرًا قصارًا، مساكنهم الغيران، أكثر معيشتهم من السمك، فهم في أرض لا تنبت لهم شيئًا، فهم إذا طلعت الشمس دخلوا في أسراب، حتى إذا زالت الشمس خرجوا إلى معايشهم، والله مطلع على جميع أحواله وأحوال جيشه، لا يخفى عليه منها شيء، وإن تفرقت أممهم وتقطعت بهم الأرض، ثم سلك طريقًا من مشارق الأرض، حتى إذا بلغ بين السدين وهما جبلان متقابلان بينهما ثغرة يخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد الترك، فيعيثون فيهم فسادًا، ويهلكون الحرث والنسل، ويأجوج ومأجوج من سلالة آدم ﷺ ووجد من دون الجبلين قومًا لا يكادون يفهمون قولًا، لاستعجام كلامهم وبعدهم عن الناس، ففهم ذو القرنين كلامهم، وطلبوا أن يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج سدًّا لا يصلون إليهم، وأرادوا أن يجمعوا له من بينهم مالًا يعطونه إياه حتى يجعل بينهم وبينهم سدًا، فقال ذو القرنين بعفة وديانة وصلاح وقصد للخير إن الذي أعطاني الله من الملك والتمكين خير لي من الذي تجمعونه، ، ولكن ساعدوني بعملكم وآلات البناء، فجمع له قطع الحديد والنحاس، فوضعها بين الجبلين حتى إذا حاذى به رءوس الجبلين طولًا وعرضًا، ونسج بين طبقات الحديد الحطب والفحم، ووضع عليها المنافيخ، ثم أمرهم بالنفخ حتى صار الحديد نارًا من شدة الغليان، ثم أذاب النحاس ثم صبَّه عليه، فاختلط والتصق بعضه ببعض حتى صار جبلًا صلدًا من حديد ونحاس، فهو كالبُرد المخطط، طريقة سوداء وطريقة حمراء، فما قدر يأجوج ومأجوج على أن يصعدوا فوق هذا السد ولا قدروا على نقبه من أسفله.

قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا ﴿١٠٢﴾ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴿١٠٩﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾

لما بنى ذو القرنين السد الذي جعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج حائلًا يمنعهم من العيث في الأرض والفساد، قال هذا السد رحمة بالناس فإذا اقترب الوعد الحق كان مساويًا للأرض وصار طريقًا كما كان، وهو كائن لا محالة، وفي الحديث إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا فيعودون إليه كأشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا إن شاء الله ويستثني، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس، فينشفون المياه، ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع وعليها هيئة الدم، فيقولون: قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء، فيبعث الله عليهم نغفًا في أقفائهم فيقتلهم بها، وإن دواب الأرض لتسمن، وتشكر شكرًا من لحومهم ودمائهم.

يوم يدك السد ويخرج هؤلاء يختلط بعضهم ببعض كموج البحر ويفسدون على الناس أموالهم، ويتلفون أشياءهم، وذلك قبل يوم القيامة وبعد الدجال، ونفخ في الصور، والصور قرن ينفخ فيه إسرافيل ﷺ، وهما نفختان إحداهما نفخة الفزع ينفخ فيه فيفزع الناس ويصعقون إلا من شاء الله، والثانية نفخة البعث ينفخ فيه فيبعثون ويقومون من قبورهم، وقيل ثلاث الفزع والصعق والبعث، والنفخ في الصور هنا نفخة البعث فيجمع الله الجميع للحساب، ويؤتى بجهنم تقاد يوم القيامة بسبعين ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها فتبرز أمام الكفار، ليروا ما فيها من العذاب والنكال قبل دخولها، ليكون ذلك أبلغ في تعجيل الهم والحزن لهم، فقد كانوا في الحياة الدنيا يتعامون ويتغافلون عن قبول الهدى واتباع الحق، ولا يعقلون عن الله أمره ونهيه، أفظن الذين كفروا أن يتخذوا عباد الله أربابًا مثل عيسى والملائكة وكل ما عبد من دون الله فهم عباد الله، فالمعبدون يكونون لهم أعداء ويتبرءون منهم، وليس للمشركين إلا جهنم يوم القيامة منزلًا، فهم الخاسرون في الدنيا والآخرة، فالخسران أن يعمل في الدنيا بأعمال باطلة تذهب هباء منثورًا، وهم يظنون بأعمالهم أنها خير الأعمال زين لهم سوء أعمالهم، فهم يعتقدون أنهم على شيء، وأنهم مقبولون محبوبون. ، وقد جحدوا آيات الله في الدنيا، وبراهينه التي أقام عليها وحدانيته، وصدق رسله، وكذبوا بالدار الآخرة، فلا تثقل موازينهم؛ لأنها خالية عن الخير، وإنما كان جزاؤهم جهنم، لكفرهم واتخاذهم آيات الله ورسله هزوًا، استهزءوا بهم، وكذبوهم أشد التكذيب، وأما السعداء وهم الذين آمنوا بالله ورسوله، وصدقوه فيما جاءوا به فإن لهم جنات الفردوس، وهو ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها.

مقيمين ساكنين فيها، لا يظعنون عنها أبدًا، ولا يختارون غيرها، ولا يحبون سواها، لا يختارون عن مقامهم ذلك متحولًا ولا انتقالًا ولا ظعنًا ولا رحلة ولا بدلًا، ومثل علم العباد كلهم في علم الله كقطرة من ماء البحور كلها.

ولو كان ماء البحر مدادًا للقلم الذي تكتب به كلمات الله وحكمه وآياته الدالة عليه، لفرغ البحر قبل أن يفرغ من كتابة ذلك، ولو جيء بمثل البحر آخر، ثم آخر، بحور تمده ويكتب بها، لما نفدت كلمات الله، والرسول ﷺ رسول من البشر يوحى إليه من ربه ويبلغ ما أرسل به وقد جاء بالتوحيد وإفراد الله بالعبادة، فمن كان يرجو ثواب الله وجزاءه الصالح، فليعمل عملًا صالحًا، موافقًا لشرع الله، ويراد به وجه الله وحده لا شريك له، وهذان ركنا العمل المتقبل، لا بد أن يكون خالصًا لله، صوابًا على شريعة رسول الله ﷺ.

سورة مريم

ترتيبها ١٩ — آياتها ٩٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾



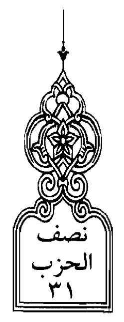
سورة مريم

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر قصة مريم وولادتها للمسيح عيسى بن مريم ﷺ

ابتدأت السورة بالحروف المقطعة لبيان إعجاز القرآن المكون من هذه الحروف، وفي هذه السورة خبر رحمة الله بعبده زكريا، وكان نبيًا عظيمًا من أنبياء بني إسرائيل، وكان نجارًا، يأكل من عمل يديه في النجارة، رحمه ربه لما دعاه دعاء خفيًا، ليكون أقرب للإجابة، وكان لا يولد له، وقد كبر سنه ورق عظمه وابيض شعره، وقد تعود إجابة الله لدعائه، وخاف ورثته من بعده أن يتصرفوا من بعده في الناس تصرفًا سيئًا، فسأل الله ولدًا، يكون نبيًا من بعده، ليسوسهم بنبوته وما يوحى إليه، فأجيب في ذلك، ولم يخش من ورثته على ماله، فإن النبي أعظم منزلة وأجل قدرًا من أن يشفق على ماله، ولم يكن ذا مال والأنبياء لا يورثون.

فدعا الله أن يهبه وليًّا يرثه على ميراث النبوة، ويرث آل يعقوب، فيكون نبيًّا كما كانت آباؤه أنبياء، لأن زكريا من ذرية يعقوب، وأن يجعله مرضيًّا عنده وعند خلقه، يحبه الله ويحببه إلى خلقه في دينه وخلقه، فبشره الله بيحيى لم يكن له شبيهٌ ولم يسم أحد باسمه من قبل، فتعجب زكريا ﷺ حين أجيب إلى ما سأل، وبشر بالولد، ففرح فرحًا شديدًا، وسأل عن كيفية ما يولد له، والوجه الذي يأتيه منه الولد، مع أن امرأته كانت عاقرًا لم تلد من أول عمرها مع كبرها، ومع أنه قد كبر ويبس عظمه ونحل، فأجابه الملك عما استعجب منه، إن إيجاد الولد منك ومن زوجتك هذه لا من غيرها يسير سهل على الله، ثم ذكر له ما هو أعجب مما سأل عنه، أنه خُلق من قبل ولم يك شيئًا، فقال زكريا ﷺ رب اجعل لي علامة ودليلًا على وجود ما وعدتني، لتستقر نفسي ويطمئن قلبي بما وعدتني قال علامتك، أن يُحبس لسانك عن الكلام ثلاث ليال وأنت صحيح سوي من غير مرض ولا علة، فكان يقرأ ويسبح، ولا يستطيع أن يكلم قومه إلا إشارة، ثلاث ليال متتابعات، فخرج على قومه من مكان عبادته الذي بشر فيه بالولد، فأشار إليهم إشارة خفية سريعة، أن يسبحوا الله بكرة وعشيًا موافقة له بما أمر به في هذه الأيام الثلاثة ليكون زيادة على أعماله، وشكرًا لله على ما أولاه.

يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾
وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ﴿١٣﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ
يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ
وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿١٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ
مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا
فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ
أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ
رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي
غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ
قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ
مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ
بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ
قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾
فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾
وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾



ولد الغلام المبشر به وهو يحيى ﷺ وعلمه الله الكتاب، وهو التوراة التي كانوا يتدارسونها بينهم، ويحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار، وقد كان سنه إذ ذاك صغيرًا، فلهذا نوه بذكره، وبما أنعم به عليه وعلى والديه، فقد تعلم الكتاب بجد وحرص واجتهاد وآتاه الله الفهم والعلم والجد والعزم، والإقبال على الخير، والإكباب عليه، والاجتهاد فيه وهو صغير حدث السن، وجعله الله ذا حنان وزكاة، فالحنان هو المحبة في شفقة وميل، والزكاة الطهارة من الدنس والآثام والذنوب والعمل الصالح الزكي، ورزقه الله طاعة والديه وبره بهما، ومجانبته عقوقهما، قولًا وفعلًا وأمرًا ونهيًا؛ وكتب الله له السلامة في ثلاثة مواطن فأوحش ما يكون الإنسان يوم يولد، فيرى نفسه خارجًا مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قومًا لم يكن يعاينهم، ويوم يبعث، فيرى نفسه في محشر عظيم، فأكرم الله فيها يحيى بن زكريا فخصه بالسلام عليه، ولما ذكر الله تعالى قصة زكريا ﷺ، وأنه أوجد منه في حال كبره وعقم زوجته ولدًا زكيًا طاهرًا مباركًا، ذكر قصة مريم في إيجاده ولدها عيسى ﷺ منها من غير أب، فإن بين القصتين مناسبة ومشابهة، ليدل عباده على قدرته وعظمة سلطانه، وأنه على كل شيء قدير، ومريم هي مريم بنت عمران، من سلالة داود ﷺ وكانت من بيت طاهر طيب في بني إسرائيل، وقد ذكر الله تعالى قصة ولادة أمها لها، وأنها نذرتها تخدم مسجد بيت المقدس، وكانوا يتقربون بذلك، ونشأت في بني إسرائيل نشأة عظيمة، فكانت إحدى العابدات الناسكات، وكانت في كفالة زوج أختها زكريا نبي بني إسرائيل إذ ذاك وعظيمهم، الذي يرجعون إليه في دينهم، ورأى لها زكريا من الكرامات الهائلة ما بهره، فلما أراد الله تعالى وله الحكمة والحجة البالغة أن يوجد منها عبده ورسوله عيسى ﷺ، أحد الرسل أولي العزم، اعتزلت أهلها وتنحت عنهم، وذهبت إلى شرق المسجد المقدس، واستترت منهم وتوارت، فأرسل الله تعالى إليها جبريل ﷺ، فتمثل لها على صورة إنسان تام كامل، فلما تبدى لها الملك في صورة بشر، وهي في مكان منفرد وبينها وبين قومها حجاب، خافته وظنت أنه يريدها على نفسها، فقالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تخاف الله، فخوفته أولًا بالله ﷻ فقال لها الملك مجيبًا لها ومزيلًا ما حصل عندها من الخوف على نفسها: أنا رسول ربك، بعثني إليك ليهب لك ولدًا صالحًا طاهرًا من الذنوب، فتعجبت مريم من هذا وقالت كيف يكون لي غلام، و على أي صفة يوجد هذا الغلام مني، ولست بذات زوج، ولا يتصور مني الفجور، فقال لها الملك مجيبًا: إن الله قد قال إنه سيوجد منك غلامًا، وإن لم يكن لك بعل ولا توجد منك فاحشة، فإنه على كل شيء قدير، وليجعله دلالة وعلامة للناس على قدرة بارئهم وخالقهم، الذي نوع في خلقهم، فخلق أباهم آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق بقية الذرية من ذكر وأنثى، إلا عيسى فإنه أوجده من أنثى بلا ذكر، وليجعل الله هذا الغلام رحمة منه نبيًا من الأنبياء يدعو إلى عبادة الله تعالى وتوحيده، وهذا قدر مقدر في علم الله تعالى، فاستسلمت لقضاء الله تعالى فنفخ جبريل ﷺ في جيب درعها، فنزلت النفخة حتى ولجت في الفرج، فحملت بالولد بإذن الله تعالى، فلما حملت به ضاقت ذرعًا به ولم تدر ماذا تقول للناس؟ فإنها تعلم أن الناس لا يصدقونها فيما تخبرهم به، غير أنها أفشت سرها وذكرت أمرها لأختها امرأة زكريا، وذلك أن زكريا ﷺ، كان قد سأل الله الولد، فأجيب إلى ذلك، فحملت امرأته، فدخلت عليها مريم فقامت إليها فاعتنقتها، وقالت أشعرت يا مريم أني حبلى؟ فقالت لها مريم وهل علمت أيضا أني حبلى؟ وذكرت لها شأنها وما كان من خبرها وكانوا بيت إيمان وتصديق، وحملت به كما تحمل النساء بأولادهن؛ ولهذا لما ظهرت مخايل الحمل عليها، واستشعرت مريم من قومها اتهامها بالريبة، ذهبت إلى مكان بعيد عنهم؛ لئلا تراهم ولا يروها، فاضطرها وألجأها الطلق إلى جذع النخلة فقالت وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس يا ليتني مت قبل هذا الكرب الذي أنا فيه، والحزن بولادتي المولود من غير بعل وكنت شيئًا لا يعرف ولا يذكر، ولا يدرى من أنا، وكل شيء نسي وترك فهو نسي، فناداها جبريل ﷺ، قائلا لا تحزني، قد جعل ربك تحتك نهرًا تشربين منه، وخذي إليك بجذع النخلة، وكانت يابسة، يتساقط عليك الرطب الجني الطيب.

فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ
إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾
فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا
فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ
أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي
ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي
نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي
جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ
وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ
ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ
إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ
فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ
بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ
وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾

أمر الله مريم بأمر الملك لها أن تأكل من الرطب، وتشرب من ماء النهر وتطيب نفسها بولدها عيسى ﷺ، فإذا رأت أحدًا من البشر يسألها عن ولدها فتقول إني نذرت للرحمن صومًا عن الكلام فلا أكلم البشر في هذا اليوم واستسلمت لأمر الله ﷻ ولقضائه، وأخذت ولدها فلما رأوها كذلك، أعظموا أمرها واستنكروه جدًا، وقالوا يا مريم لقد جئت أمرًا عظيمًا، يا شبيهة هارون في العبادة، أنت من بيت طيب طاهر، معروف بالصلاح والعبادة والزهادة، فكيف صدر هذا منك، وهارون الذي شبهت به مصلحًا محببًا في عشيرته، وليس بهارون أخي موسى، ولكنه هارون آخر، ذُكر أنه شيع جنازته يوم مات أربعون ألفًا، كلهم يسمى هارون، من بني إسرائيل فأحالت الكلام عليه، وأشارت لهم إلى خطابه وكلامه، فقالوا متهكمين بها، ظانين أنها تزدري بهم وتلعب بهم كيف نكلم من هو في مهده في حال صغره، كيف يتكلم؟

فنطق المسيح وأول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالى وبرأ الله عن الولد، وأثبت لنفسه العبودية لربه، وقضى أنه يؤتيني الكتاب فيما قضى، وجعلني نبيًا، وجعلني معلمًا للخير، وأمرني بالصلاة والزكاة ما دمت حيًا.

وأمرني ببر والدتي، ولم يجعلني جبارًا مستكبرًا عن عبادته وطاعته وبر والدتي فأشقى بذلك، وكتب الله له السلامة في هذه الأحوال التي هي أشق ما يكون على العباد، وفي هذا إثبات منه لعبوديته لله ﷻ، وأنه مخلوق من خلق الله يحيا ويموت ويبعث كسائر الخلائق، وما قصه الله في القرآن من خبر عيسى ﷺ، هو الحق الذي فيه يختلف المبطلون والمحقون ممن آمن به وكفر به، تعالى الله وتقدس أن يكون له ولد، وتنزه عما يقول الجاهلون الظالمون المعتدون علوًا كبيرًا، وإنما إذا أراد شيئًا فإنما يأمر به فيصير، والصراط المستقيم هو عبادة الله وحده لا شريك له وهو الذي أرسلت به الرسل وأنزلت به الكتب، وقد اختلف الناس في عيسى ﷺ بعد بيان أمره ووضوح حاله، وأنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، فقال جمهور اليهود، أنه ولد زانية، وقالت طائفة أخرى هو الله، وقال آخرون هو ابن الله، وقال آخرون ثالث ثلاثة، وقال آخرون بل هو عبد الله ورسوله وهذا هو قول الحق، الذي أرشد الله إليه المؤمنين، فويل لمن كذب على الله وافترى، وزعم أن له ولدًا، وموعدهم يوم القيامة، فهم في يوم القيامة يسمعون ويبصرون ويدركون الحق ولكن حين لا ينفعهم ولا يجدي عنهم شيئًا، ولو كان هذا قبل معاينة العذاب، لكان نافعًا لهم ومنقذًا من عذاب الله، لكن الظالمون في الدنيا لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون، فحيث يطلب منهم الهدى لا يهتدون، ويكونون مطيعين حيث لا ينفعهم ذلك.

وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ
﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَٱذۡكُرۡ
فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ
لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ
إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا
سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ
عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ
فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي
يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ
سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾
وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ
أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾
وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴿٥٠﴾
وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥١﴾

يوم القيامة يوم يتحسَّر فيه المسيء إذ لم يُحْسِن، والمقصِّر إذ لم يَزْدَدْ من الخير، ذلك اليوم الذي أنذر الله عباده وأمرهم بالاستعداد له، ولكن أهل الدنيا غافلون عما يراد بهم، فإذا ذبح الموت وقعت الحسرة، وإذا حكم عليهم بالعذاب وأطبقت عليهم النار.

وهو سبحانه الخالق المالك المتصرف، والخلق كلهم يهلكون ويبقى الله ذو الجلال والإكرام، تعالى وتقدس ولا أحد يدعي ملكًا ولا تصرفًا، بل هو الوارث لجميع خلقه، الباقي بعدهم، الحاكم فيهم، فلا تظلم نفس شيئًا ولا جناح بعوضة ولا مثقال ذرة.

وإبراهيم ﷺ أبو الأنبياء وخليل الرحمن هو القدوة في التوحيد، بره بأبيه لم يمنعه عن دعوته إلى التوحيد بأدب، فأخذ يخاطبه بالأبوة والحنان والرفق واللين، فنهاه عن عبادة الأصنام، وعن عبادة ما لا ينفعه ولا يدفع عنه الضرر، وبين له أن الله أعطاه العلم والنبوة، وجاء بدعوة التوحيد ونبذ الشرك فطلب من أبيه أن يتبعه إلى الطريق المستقيم الموصل إلى نيل المطلوب، والنجاة من المرهوب، ولا يطع الشيطان في عبادة الأصنام، فالشيطان مخالف لأمر ربه مستكبر عن طاعته، فطرده وأبعده، فإن من سلك طريق الشرك عذبه الله وأخزاه، فلا يكون له مولى ولا ناصر ولا مغيث إلا إبليس، وليس إليه ولا إلى غيره من الأمر شيء.

وبعد هذا الحوار والدعوة اللطيفة جاء الجواب العنيف من الأب يا إبراهيم إن كنت لا تريد عبادة الأصنام ولا ترضاها، فانته عن سبها وشتمها وعيبها، فإنك إن لم تنته عن ذلك اقتصصت منك وشتمتك وسببتك، واتركني وأنت سوي سالم، قبل أن تصيبك مني عقوبة، فقال إبراهيم لأبيه أما أنا فلا ينالك مني مكروه ولا أذى، وذلك لحرمة الأبوة، ولكن سأسأل الله تعالى أن يهديك ويغفر ذنبك، فإن الله لطيف بي، هداني لعبادته والإخلاص له، وأجتنبكم وأتبرأ منكم ومن آلهتكم التي تعبدونها من دون الله، وأعبد ربي وحده لا شريك له، فإن من دعا ربه استجاب له ولم يكن بالدعاء إلا سعيدًا، ولما اعتزل الخليل أباه وقومه في الله، أبدله الله من هو خير منهم، ووهب له إسحاق ووهب لإسحاق يعقوب، وكلهم أنبياء، فجعل الله الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته، فجعل الله الثناء الحسن لذريته إلى قيام الساعة، ومن ذرية إبراهيم موسى بن عمران الكليم ﷺ، فقد كان مخلص العبادة لله وحده لا شريك له، والمخلص لله، الذي يعمل لله، لا يحب أن يحمده الناس، وكان رسولًا نبيًّا فهو من أولي العزم الخمسة، وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم وعلى سائر الأنبياء أجمعين.

وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ﴿٥٣﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩ ﴿٥٨﴾ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴿٦٤﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣١

سجدة

شرف الله موسى ﷺ بتكليمه، فهو كليم الرحمن، فقد ناداه ربه عند جبل الطور لما كان في طريقه من مدين إلى مصر، فكلمه ربه، وأسمعه كلامه، وأجاب سؤاله وشفاعته في أخيه، فجعله الله نبيًّا معه.

وإسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام، وهو والد نبينا محمد ﷺ، كان صادق الوعد وكان رسولًا نبيًّا، لم يعد ربه عدة إلا أنجزها، وما التزم قط عبادة بنذر إلا قام بها، ووفاها حقها، فصدق الوعد من الصفات الحميدة، كما أن إخلاف الوعد من الصفات الذميمة ومن صفات المنافقين، ولهذا أثنى الله على عبده ورسوله إسماعيل بصدق الوعد، وكذلك كان رسول الله ﷺ صادق الوعد، لا يعد أحدًا شيئًا إلا وفى له به، وكان رسولًا نبيًّا وهذا يدل على شرف إسماعيل لوصفه بالرسالة والنبوة ومن الثناء الجميل، والصفة الحميدة، والخلة السديدة، حيث كان مثابرًا على طاعة ربه آمرًا بها لأهله، يأمرهم بالصلاة والزكاة والأعمال الصالحات وكان عند الله رضيًّا زاكيًا صالحًا، وإدريس ﷺ كان صديقًا نبيًّا، ورفعه الله مكانًا عليًّا، وهو في السماء الرابعة، وكان خياطًا، فكان لا يغرز إبرة إلا قال سبحان الله، فكان يمسي حين يمسي وليس في الأرض أحد أفضل عملًا منه، وهؤلاء الأنبياء أنعم الله عليهم بالنبوة والرسالة وشرفهم بالعبودية، والذي من ذرية آدم إدريس، والذي من ذرية من حمل الله مع نوح إبراهيم، والذي من ذرية إبراهيم إسحاق ويعقوب وإسماعيل، والذي من ذرية إسرائيل موسى، وهارون، وزكريا ويحيى وعيسى ابن مريم، وهم إذا سمعوا كلام الله المتضمن حججه ودلائله وبراهينه، سجدوا لربهم خضوعًا واستكانة، وحمدًا وشكرًا على ما هم فيه من النعم العظيمة، يبكون من خشية ربهم، فيشرع للمسلم الاقتداء بهم، وخلف بعد النبيين المذكورين خلف وهم قوم سوء من اليهود والنصارى وعصاة هذه الأمة أضاعوا الصلاة، وإذا أضاعوها فهم لما سواها من الواجبات أضيع؛ لأنها عماد الدين وقوامه، وخير أعمال العباد وأقبلوا على شهوات الدنيا وملاذها، ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها، فهؤلاء سيلقون خسارًا يوم القيامة، إلا من رجع عن ترك الصلوات واتباع الشهوات، فإن الله يقبل توبته، ويحسن عاقبته، ويجعله من ورثة جنة النعيم؛ لأن التوبة تجب ما قبلها، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، يدخلون الجنات يقيمون فيها وهي وعد الرحمن عباده، وهي من الغيب الذي يؤمنون به وما رأوه؛ وذلك لشدة إيقانهم وقوة إيمانهم، ووعد الله كائن لا محالة؛ فإن الله لا يخلف الميعاد ولا يبدله، لا يسمعون فيها كلامًا ساقطًا تافه لا معنى له، كما قد يوجد في الدنيا، وإنما يسمعون السلام والتحية، وليس في الجنة ليل يعرف به البكرة والعشي بل هم في نور أبدًا ولكنهم يأتون بأرزاقهم على مقدار طرفي النهار.

ويعرفون وقت النهار برفع الحجب ووقت الليل بإرخاء الحجب، وهو يدل على رفاهية العيش وسعة الرزق من غير تضييق، وتلك الجنة التي وصفت بهذه الصفات العظيمة يعطيها الله عباده المتقين، المطيعون له في السراء والضراء، والملائكة عباد الله المكرمون لا ينزلون إلى الأرض إلا بأمر الله، يعلم ما بين أيديهم من أمر الآخرة والثواب والعقاب، وما خلفهم مما مضى من الدنيا، وما يكون إلى قيام الساعة، وما كان الله لينسى عباده، ولا يجوز على الله النسيان، لا يضل ربي ولا ينسى.

رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًىۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

الله رب السماوات والأرض وما بينهما خالق ذلك ومدبره، والحاكم فيه والمتصرف الذي لا معقب لحكمه، ، فيجب إفراده بالعبادة وحده لا شريك له، فهل له شبيه ومثيل خالق قادر؟

ومن كفر المشركين تعجبهم من البعث واستبعاد إعادتهم بعد موتهم، أو لم يعلموا أن الله خلق الإنسان ولم يك شيئًا، أفلا يعيده وقد صار شيئًا، وأقسم الرب تبارك وتعالى بنفسه الكريمة أنه لا بد أن يحشرهم جميعًا وشياطينهم الذين كانوا يعبدون من دون الله، ثم يجمعون في جهنم قعودًا ثم يؤخذ من أهل كل دين قادتهم ورؤساءهم في الشر، فيؤخذ أعظمهم لله معصية، فيبدأ بتعذيب الأعتى فالأعتى، وبالأكابر جرمًا، والرؤوس القادة في الشر، والله أعلم بمن يستحق من العباد أن يصلى بنار جهنم ويخلد فيها، وبمن يستحق تضعيف العذاب.

ويرد الناس جميعًا الصراط، وقد نصب على النار، ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم، فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل الريح، ومنهم من يمر مثل الطير، ومنهم من يمر كأجود الخيل، ومنهم من يمر كأجود الإبل، ومنهم من يمر كعدو الرجل، حتى إن آخرهم مرورًا رجل نوره على موضعي إبهامي قدميه، يمر يتكفأ به الصراط، والصراط دحض مزلة، عليه حسك كحسك القتاد، حافتاه ملائكة، معهم كلاليب من نار، يختطفون بها الناس، فناج مخدوش ومطروح في نار جهنم بعضهم فوق بعض، فينجي الله المؤمنين ويُسقط الكفار والمشركين في النار.

والكفار حين تتلى عليهم آيات الله ظاهرة الدلالة بينة الحجة واضحة البرهان يصدون عن ذلك، ويعرضون ويفتخرون على الذين آمنوا بأنهم ومجتمعاتهم أكثر رجالًا وأحسن حالًا، ويقولون كيف نكون ونحن بهذه المثابة على باطل، وأولئك الذين هم مختفون مستترون على الحق، وما علموا أن الله أهلك المكذبين بكفرهم، و هم أحسن من هؤلاء أموالًا وأمتعة ومناظر وأشكالًا، وأمُر النبي ﷺ أن يقول لهؤلاء المشركين بربهم المدعين أنهم على الحق وأن المؤمنين على الباطل: إن من كان في الضلالة منا ومنكم، فأمهله الرحمن فيما هو فيه حتى يلقى ربه وينقضي أجله فإما العذاب يصيبه، وإما الساعة بغتة تأتيه، ويوم القيامة يعلمون من هو شر مكانًا وأضعف جندًا، فهم في الدنيا افتخروا بخيرية المقام وحسن المجتمع والمجلس.

ولما ذكر الله تعالى إمداد من هو في الضلالة فيما هو فيه وزيادته على ما هو عليه، أخبر بزيادة المهتدين هدى، والأعمال الصالحات هي التي تبقى لصاحبها وهي خير عند الله جزاء، وخير عاقبة ومردًا على صاحبها.

أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴿٧٨﴾ كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأۡتِينَا فَرۡدٗا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا ﴿٨٤﴾ يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴿٨٧﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴿٩٥﴾

كان رجال من أصحاب رسول الله ﷺ يطلبون العاص بن وائل السهمي بدين، فأتوه يتقاضونه، فقال: ألستم تزعمون أن في الجنة ذهبًا وفضة وحريرًا، ومن كل الثمرات، قالوا: بلى. قال: فإن موعدكم الآخرة، فوالله لأوتين مالًا وولدًا، ولأوتين مثل كتابكم الذي جئتم به، فهل هو مطلع على الغيب؟ أو آمن وشهد شهادة الحق فنفعه إيمانه؟ وكل ذلك ليس إليه وليس من أهله، وإنما أعماله تحصى عليه وتكتب لتكون شاهدة عليه أنه من أهل النار، فيزاد عذابًا ضعفًا في النار، وأما ما له في الدنيا فيسلب منه ولا يأت ربه إلا فردًا ليس معه شيء، فهم اتخذوا من دون الله آلهة، لتكون تلك الآلهة عزًّا يعتزون بها ويستنصرونها، ويوم القيامة تكون تلك المعبودات أعداء لهم، وتكون ضدهم ويتبرؤون منهم ومن عبادتهم، فالشياطين تغويهم وتحرضهم على الشرك والكفر بالله، وتغريهم إغراء بالمعاصي، وتطغيهم طغيانًا، وإنما يؤخر الله عذابهم لأجل معدود مضبوط، وهم صائرون لا محالة إلى عذاب الله ونكاله.

وأولياء الله المتقون، الذين خافوه في الدار الدنيا واتبعوا رسله وصدقوهم فيما أخبروهم، وأطاعوهم فيما أمروهم به، وانتهوا عما عنه زجروهم يحشرون يوم القيامة وفدًا إلى الله على نجائب من نور من مراكب الدار الآخرة، وهم قادمون على خير موفود إليه، إلى دار كرامته ورضوانه، وأما المجرمون المكذبون للرسل المخالفون لهم، فإنهم يساقون عنفًا إلى النار، عطاشًا، ليس لهم من يشفع لهم، كما يشفع المؤمنون بعضهم لبعض إلا من اتخذ عند الرحمن عهدًا، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، والقيام بحقها، وقال الذين كفروا من اليهود والنصارى: اتخذ الرحمن ولدًا، ومن زعم من المشركين أن الملائكة بنات الله فقد جاءوا بقولهم شيئًا عظيمًا من الكفر تكاد السماوات يتشققن خوفًا من عظمة الله، وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا عند سماعهن هذه المقالة من فجرة بني آدم، إعظامًا للرب وإجلالًا؛ لأنهن مخلوقات ومؤسسات على توحيده، وأنه لا إله إلا هو، وأنه لا شريك له، ولا نظير له ولا ولد له، ولا صاحبة له، ولا كفء له، بل هو الأحد الصمد، فالشرك فزعت منه السماوات والأرض والجبال، وجميع الخلائق إلا الثقلين، فكادت أن تزول منه لعظمة الفرية على الله ولعظمة الشرك مع الله.

فالله لا يصلح له الولد، ولا يليق به لجلاله وعظمته؛ لأنه لا كفء له من خلقه؛ لأن جميع الخلائق عبيد له؛ وقد علم عددهم منذ خلقهم إلى يوم القيامة، ذكرهم وأنثاهم وصغيرهم وكبيرهم، وكلهم يوم القيامة يأتي ربه فردًا لا ناصر له ولا مجير إلا الله وحده لا شريك له، فيحكم في خلقه بما يشاء، وهو العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة، ولا يظلم ربك أحدًا.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ
ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ
ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴿٩٧﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم
مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴿٩٨﴾

سُورَةُ طه

ترتيبها ٢٠ — آياتها ١٣٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ
لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ﴿٤﴾
ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ
فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ
ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذۡ رَءَا نَارٗا
فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ
أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾
إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾



يغرس الله لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات في قلوب عباده الصالحين مودة، فإن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال يا جبريل: إني أحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء إن الله يحب فلانًا، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، فيحبة الناس في الدنيا، يحبهم الله ويحببهم إلى خلقه المؤمنين. وقد يسر الله القرآن فجعله بشرى للمؤمنين ونذيرًا للكافرين الذي حادوا عن الصراط المستقيم، وصموا عن سماع الهدى، وكم أهلك الله من أمة كفرت بآيات الله وكذبت رسله، فهم اليوم لا يُرى منهم أحد، أو يُسمع لهم صوت.

سورة طه

هي سورة مكية سميت بذلك لافتتاحها بهذه الحروف المقطعة الدالة على إعجاز القرآن

افتتحت هذه السورة بهذه الحروف لتدل على إعجاز القرآن المكون من هذه الحروف التي يتكلم بها العرب وعجزوا عن الإتيان بمثله، والصحيح أن طه ليس من أسماء النبي ﷺ إنما هما حرفان الطاء والهاء، وأنزل الله هذا القرآن هداية للبشرية ورحمة لها، ولم يجعله الله شقاء، ولكن جعله رحمة ونورًا، ودليلًا إلى الجنة، وقد لمزت قريش النبي ﷺ بالشقاء لما نزل عليه القرآن في دعوته وعبادته، ولم يعلموا أن القرآن يشقى به الذين لا يؤمنون، أما أهل الإيمان والخشية فهو تذكرة لهم وعبرة وهداية، وهو تنزيل من رب كل شيء ومليكه، القادر على ما يشاء، الذي خلق الأرض بانخفاضها وكثافتها، وخلق السموات العلا في ارتفاعها ولطافتها، وهو على العرش استوى استواء يليق بجلاله وعظمته، والجميع ملكه وفي قبضته، وتحت تصريفه ومشيئته وإرادته وحكمه، وهو خالق ذلك ومالكه وإلهه، لا إله سواه، ولا رب غيره، يعلم ما كان وما سيكون و ما لم يكن لو كان كيف يكون، وسع ملكه كل شيء، ووسع علمه كل شيء حتى ما تحت الأرض السابعة، يعلم ما أسر ابن آدم في نفسه، وما أخفى على ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعلمه، فالله يعلم ذلك كله، فعلمه فيما مضى من ذلك وما بقي علمه واحد، وجميع الخلائق في ذلك عنده كنفس واحدة، هو الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى البالغة في الحسن التي لا يعلم عددها إلا الله، المتضمنة لصفات عُلا، على ما يليق بجلال الله وعظمته، وقد أرسل الله رسله عليهم السلام لأمر العباد بالتوحيد وتحذيرهم من الشرك ومنهم موسى عليه السلام، فقد كان ابتداء الوحي إليه وتكليمه إياه، بعدما قضى موسى الأجل الذي كان بينه وبين صهره في رعاية الغنم وسار بأهله قاصدًا بلاد مصر بعدما طالت الغيبة عنها أكثر من عشر سنين، ومعه زوجته، فأضل الطريق، وكانت ليلة شاتية، ونزل منزلًا بين شعاب وجبال، في برد وشتاء، وسحاب وظلام وضباب، وجعل يقدح بزند معه ليوري نارًا، كما جرت له العادة به، فجعل لا يقدح شيئًا، ولا يخرج منه شرر ولا شيء، فبينا هو كذلك، ظهرت له نار من جانب الجبل الذي هناك عن يمينه، فقال لأهله يبشرهم إني آنست نارًا لعلي آتيكم منها بشهاب لعلكم تصطلون أو أجد على النار من يهديني الطريق، فلما اقترب من النار نودي يا موسى إني أنا ربك يكلمك ويخاطبك، فاخلع نعليك، وأمره بخلع نعليه تعظيمًا للبقعة ليطأ الأرض المقدسة بقدميه حافيًا غير منتعل فهو في الوادي المقدس المطهر واسم الوادي طوى.

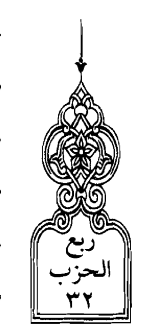
وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠
فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ
أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ
عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلۡكَ
بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا
وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلۡقِهَا
يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذۡهَا
وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ
إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ
مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ
رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن
لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ
أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ
كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدۡ
أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴿٣٧﴾

اختار الله موسى ﷺ واصطفاه على جميع الناس من الموجودين في زمانه برسالته وبكلامه، وأوحى الله تعالى إليه وأمره بالاستماع إليه فقال إنني أنا الله لا إله إلا أنا، وهذا أول واجب على المكلفين أن يعلموا أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فأمره بتوحيده والقيام بعبادته لا شريك له، وإقامة الصلاة وفيها ذكر الله، وإذا نسي الصلاة فليصلها إذا ذكرها، فالساعة قائمة لا محالة، وكائنة لا بد منها، ولا يطلع عليها أحدٌ غير الله، وقيام الساعة ليجزى العباد بما عملوا إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًّا فشرًّا، فلا يغر المسلم من صد عن الساعة وكذب بها، وأقبل على ملاذه في دنياه، وعصى مولاه، واتبع هواه، فمن وافقهم على ذلك فقد خاب وخسر وهلك وأعطى الله موسى ﷺ معجزة عظيمة، لا يقدر عليها إلا الله ﷻ، ولا يأتي بها إلا نبي مرسل، وهي العصا التي كان موسى ﷺ يعتمد عليها في حال المشي ويهز بها الشجرة ليسقط ورقها، لترعاه غنمه، وله فيها مصالح ومنافع وحاجات، فأمره الله بإلقائها فصارت في الحال حية عظيمة، ثعبانًا طويلًا يتحرك حركة سريعة، وإذا هي تهتز كأنها جان، وهو أسرع الحيات حركة، وهي في غاية الكبر، وفي غاية سرعة الحركة، تمشي وتضطرب، فمرت بشجرة فأكلتها، ومرت بصخرة فابتلعتها، فجعل موسى يسمع وقع الصخرة في جوفها، فولى مدبرًا، فنودي أن يا موسى، خذها، فلم يأخذها، ثم نودي الثانية أن خذها ولا تخف، فقيل له في الثالثة إنك من الآمنين فوضع يده على فم الحية، حتى سمع حس الأضراس والأنياب، ثم قبض فإذا هي عصاه التي عهدها، وإذا يده في موضعها الذي كان يضعها إذا توكأ بين الشعبتين؛ فأعادها الله إلى حالها التي تعرف قبل ذلك، وأمره الله أن يدخل يده في جيبه تخرج بيضاء من غير برص ولا أذى، ومن غير شين، بيضاء تتلألأ كأنها فلقة قمر، وأمره الله أن يذهب إلى فرعون ملك مصر، الذي خرج فارًّا منه وهاربًا، فيدعوه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ويأمره أن يحسن إلى بني إسرائيل ولا يعذبهم، فإنه قد طغى وبغى، وآثر الحياة الدنيا، ونسي الرب الأعلى، فسأل موسى ﷺ ربه ﷻ أن يشرح له صدره فيما بعثه به، فإنه قد أمره بأمر عظيم، وخطب جسيم، بعثه إلى أعظم ملك على وجه الأرض إذ ذاك، وأشدهم كفرًا وجبروتًا، وأكثرهم جنودًا، وأعمرهم ملكًا، وأطغاهم وأبلغهم تمردًا، وقد مكث موسى في داره مدة وليدًا عندهم، في حجر فرعون، على فراشه، ثم قتل منهم نفسًا فخافهم أن يقتلوه، فهرب منهم هذه المدة بكمالها، ثم بعد هذا بعثه ربه ﷻ إليهم نذيرًا يدعوهم إلى الله ﷻ أن يعبدوه وحده لا شريك له، ودعا بأن ييسر الله أمره فإن لم يكن له من الله عون ونصير فلا طاقة له بذلك، وشكا موسى إلى ربه ما يتخوف من آل فرعون في القتيل، وعقدة لسانه، فإنه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام، وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون يكون له ردءًا ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه، فآتاه سؤله، فحل عقدة من لسانه، وسأل موسى ﷺ مساعدة أخيه هارون له، فنبئ هارون ساعتئذ حين نبئ موسى عليهما السلام سأل ربه نبوة هارون ليشد ظهره وليشاوره في أموره وليقوما بتبليغ الدعوة، وعبادة الله بالذكر والتسبيح والشكر، وهو سبحانه البصير بهم العليم بأحوالهم فقد اصطفاهم، وأعطاهم النبوة، وبعثهم إلى عدوه فرعون، فله الحمد على إجابة دعوة موسى ﷺ، ومنن الله على موسى لا تنقطع منذ ولادته إلى وفاته.

إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾

من كرامة الله لنبيه وكليمه موسى ﷺ أن موسى ولد في السنة التي يقتل فيها الغلمان، فألهم الله أم موسى أن تجعله في التابوت، وتقذفه في نهر النيل، حتى يلقيه النهر بالساحل فيأخذه فرعون، فاتخذت تابوتًا وجعلت فيه قطنًا ووضعت فيه موسى، ثم ألقته في النيل، وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون، فبينما فرعون جالس على رأس البركة مع امرأته آسية إذ بتابوت يجيء به الماء، فأمر الغلمان والجواري بإخراجه، فأخرجوه وفتحوا رأسه فإذا صبي من أصبح الناس وجهًا، فلما رآه فرعون أحبه بحيث لم يتمالك نفسه، فأخذه ليتربى بمرأى من الله، فلما استقر عند آل فرعون، عرضوا عليه المراضع، فأباها، فجاءت أخته وقالت هل أدلكم على من ترضعه لكم بالأجرة، فذهبت به وهم معها إلى أمه، فعرضت عليه ثديها، فقبله، ففرحوا بذلك فرحًا شديدًا، واستأجروها على إرضاعه فنالها بسببه سعادة ورفعة وراحة في الدنيا، وفي الآخرة أغنم وأجزل، فرجعه الله إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن عليه، ولما كبر موسى ﷺ قتل القبطي، فنجاه الله من الغم بسبب عزم آل فرعون على قتله ففر منهم هاربًا، حتى ورد ماء مدين، وقال له ذلك الرجل الصالح لا تخف نجوت من القوم الظالمين، وقد خلصه الله من الفتن تخليصًا، فمنها ما دخل عليه في بطن أمه، مما وقع في قلبها من الهم والحزن عليه والخوف على قتله، ثم إلقاؤه في البحر، ثم منعه الرضاع إلا من ثدي أمه، ثم قتله القبطي، ثم خروجه إلى مدين خائفًا، ولبث في مدين وتزوج، وجاء بعد ذلك لقدر الله له بالرسالة والنبوة واصطفاه واجتباه، فأمره الله وأخوه بالقيام بالنبوة والرسالة وما يدل عليها من الحجج والبراهين والمعجزات، وأمرهما ألا يفتران عن ذكر الله، بل يذكران الله في حال مواجهة فرعون، ليكون ذكر الله عونًا لهما عليه، وقوة لهما وسلطانًا كاسرًا له، فيذهبا إلى فرعون لأنه تمرد على الله وعصاه، ويقولا له قولًا لينًا رفيقًا رقيقًا، لعله يرجع عما هو فيه من الضلال والهلكة، وفي ذلك عبرة عظيمة، وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أمر ألا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين، وهذا سبيل الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والكلمة الطيبة، فقال موسى وهارون عليهما السلام إننا نخاف أن يعجل بعقوبة، أو يعتدي علينا، فقال الله تعالى لا تخافا منه، فإنني معكما أسمع كلامكما وكلامه، وأرى مكانكما ومكانه، لا يخفى علي من أمركم شيء، واعلما أن ناصيته بيدي، فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يبطش إلا بإذني وبعد أمري، وأنا معكما بحفظي ونصري وتأييدي، فجاءا إليه وقالا إنا رسولا ربك، فخل عن بني إسرائيل وأطلقهم من أعمالك، لا تتعبهم في العمل، وكان فرعون يستعملهم في الأعمال الشاقة، قد جئناك بدلالة ومعجزة من ربك، قال فرعون وما هي؟ فأخرج يده لها شعاع كشعاع الشمس، وقد كتب الله السلامة من عذابه لمن أسلم، وقد أخبرنا الله فيما أوحاه إلينا من الوحي المعصوم أن العذاب لمن كذب بآيات الله وتولى عن طاعته، فقال فرعون من الذي بعثك وأرسلك فإني لا أعرفه، وما علمت لكم من إله غيري، قال موسى ﷺ: ربنا الذي أعطى كل ذي خلق ما يصلحه من خلقه، ولم يجعل للإنسان من خُلُق الدابة، ولا للدابة من خلق الكلب، ولا للكلب من خلق الشاة، وأعطى كل شيء ما ينبغي له من النكاح، وهيأ كل شيء على ذلك، ليس شيء منها يشبه شيئًا من أفعاله في الخلق والرزق والنكاح، وهو الذي قدر قدرًا، وهدى الخلائق إليه، قال فرعون فما بال القرون الأولى؟ لم يعبدوا ربك بل عبدوا غيره.

قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ﴿٦٤﴾

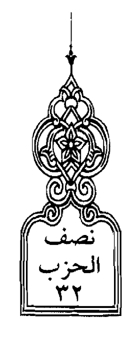


الأمم السابقة المكذبة التي جحدت الرسالات وكذبت الرسل أعمالهم عند الله مكتوبة عليهم، وسيجزيهم الله بعملهم في كتاب الله، وهو اللوح المحفوظ وكتاب الأعمال، لا يشذ عنه شيء، ولا يفوته صغير ولا كبير، فعلم الله تعالى محيط بكل شيء، لا ينسى شيئًا، تبارك وتعالى وتقدس، فإن علْم المخلوق يعتريه عدم الإحاطة بالشيء، ونسيانه بعد علمه، فينزه الله عن ذلك، فهو سبحانه هو الذي جعل الأرض قرارًا يستقر الناس عليها ويقومون وينامون عليها ويسافرون على ظهرها، وجعل لهم طرقًا يمشون في مناكبها، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من ألوان النباتات من زروع وثمار، ومن حامض وحلو، وسائر الأنواع، شيء لطعام الإنسان وفاكهته، وشيء للحيوان لأقواتها خضرًا ويابسًا، ففي ذلك دلائل وحجج وبراهين لذوي العقول السليمة المستقيمة، على أنه لا إله إلا الله، ولا رب سواه، ومن هذه الأرض مبدأ الإنسان، فإن آدم مخلوق من تراب من أديم الأرض، وإليها يصير الناس إذا ماتوا، ومنها يخرجهم الله تارة أخرى، وقد رأى فرعون الآيات فقامت عليه الحجج وعاين ذلك وأبصره، فكذب بها وأباها كفرًا وعنادًا وبغيًا، وقال هذا سحر، جئت به لتسحرنا وتستولي به على الناس، فيتبعونك وتكاثرنا بهم، ولا يتم هذا معك، فإن عندنا سحرًا مثل سحرك، فلا يغرنك ما أنت فيه فاجعل بيننا وبينك يومًا نجتمع نحن وأنت فيه، فنعارض ما جئت به بما عندك من السحر في مكان معين، عدل بيننا وبينك، ووقت معين فعند ذلك قال لهم موسى ﷺ موعدكم يوم النيروز يوم عيدهم يوم تفرغهم من أعمالهم واجتماعهم؛ ليشاهد الناس قدرة الله على ما يشاء، ومعجزات الأنبياء، وبطلان معارضة السحر للمعجزات النبوية، ويجمع الناس ضحوة من النهار ليكون أظهر وأجلى وأبين وأوضح، وهكذا شأن الأنبياء، كل أمرهم واضح بين، ليس فيه خفاء ولا ترويج، وشرع فرعون في جمع السحرة من مدائن مملكته، كل من ينسب إلى سحر في ذلك الزمان، وقد كان السحر فيهم كثيرًا، ثم اجتمع الناس لميقات يوم معلوم وهو يوم الزينة، وجلس فرعون على سرير مملكته، واصطف له أكابر دولته، ووقفت الرعايا يمنة ويسرة وأقبل موسى ﷺ يتوكأ على عصاه، ومعه أخوه هارون، ووقف السحرة بين يدي فرعون صفوفًا، وهو يحرضهم ويحثهم، ويرغبهم في إجادة عملهم في ذلك اليوم، ويتمنون عليه، وهو يعدهم ويمنيهم، وموسى ﷺ يقول لا تخيلوا للناس بأعمالكم إيجاد أشياء لا حقائق لها، وأنها مخلوقة، وليست مخلوقة، فتكونون قد كذبتم على الله، فيهلككم هلاكًا لا بقية له، وتشاجروا فيما بينهم فقائل يقول: ليس هذا بكلام ساحر، إنما هذا كلام نبي، وقائل يقول: بل هو ساحر ثم تناجوا فيما بينهم، فقالوا إن هذا الرجل وأخاه ساحران عالمان خبيران بصناعة السحر، يريدان في هذا اليوم أن يغلباكم وقومكم ويستوليا على الناس، وتتبعهما العامة ويقاتلا فرعون وجنوده، فينتصرا عليه ويخرجاكم من أرضكم، ويستبدا بهذه الطريقة، وهي السحر، فإنهم كانوا معظمين بسببها، لهم أموال وأرزاق عليها، فقالوا إذا غلب هذان أهلكاكم وأخرجاكم من الأرض، وتفردا بذلك، وتمحضت لهما الرياسة بها دونكم، ويصرفا وجوه الناس إليهما، فاجتمعوا كلكم صفًا واحدًا، وألقوا ما في أيديكم مرة واحدة، لتبهروا الأبصار، وتغلبوا هذا وأخاه، وقد أفلح اليوم من كانت له الغلبة منا ومنه، أما نحن فقد وعدنا الملك العطاء الجزيل، وأما هو فينال الرياسة العظيمة.

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

اتفق السحرة مع موسى ﷺ من تكون البداية له فقال ألقوا أنتم أولًا ليرى ماذا يصنعون من السحر، وليظهر للناس جلية أمرهم، فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى فسحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم، بأن جعلوا فيها الزئبق تتحرك بسببه وتضطرب وتميد، بحيث يخيل للناظر أنها تسعى باختيارها، وإنما كانت حيلة، وكانوا جمًا غفيرًا وجمعًا كبيرًا فألقى كل منهم عصًا وحبلًا حتى صار الوادي ملآن حيات يركب بعضها بعضًا، فخاف موسى ﷺ على الناس أن يفتتنوا بسحرهم ويغتروا بهم قبل أن يلقي ما في يمينه، فأوحى الله تعالى إليه في الساعة الراهنة أن ألق عصاك، فإذا هي تنين عظيم هائل ذو عيون وقوائم وعنق ورأس وأضراس، فجعلت تتبع تلك الحبال والعصي حتى لم تبق منها شيئًا إلا تلقفته وابتلعته، والسحرة والناس ينظرون إلى ذلك عيانًا جهرة، نهارًا ضحوة، فقامت المعجزة، واتضح البرهان، وبطل ما كانوا يعملون، فلما عاين السحرة ذلك وشاهدوه، ولهم خبرة بفنون السحر وطرقه ووجوهه، علموا علم اليقين أن هذا الذي فعله موسى ليس من قبيل السحر والحيل، وأنه حق لا مرية فيه، ولا يقدر على هذا إلا الذي يقول للشيء كن فيكون، فعند ذلك وقعوا سجدًا لله وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون، فكانوا أول النهار سحرة، وفي آخر النهار شهداء بررة، وحين رأى فرعون ما رأى من المعجزة الباهرة والآية العظيمة، ورأى الذين قد استنصر بهم قد آمنوا بحضرة الناس كلهم وغلب كل الغلبة شرع في المكابرة والبهت، وعدل إلى استعمال جاهه وسلطانه في السحرة، فتهددهم وأوعدهم وقال صدقتموه وما أمرتكم بذلك، وقال إنما أخذتم السحر عن موسى، واتفقتم أنتم وإياه علي وعلى رعيتي، لتظهروه، ثم أخذ يتهددهم لأجعلنكم مثلة ولأقتلنكم ولأشهرن بكم، وأنتم الذين تقولون إني وقومي على ضلالة، وأنتم مع موسى وقومه على الهدى، فسوف تعلمون من يكون له العذاب ويبقى فيه، فلما صال عليهم بذلك وتوعدهم، هانت عليهم أنفسهم في الله ﷻ، وقالوا لن نختارك على ما حصل لنا من الهدى واليقين، ولا نختارك على فاطرنا وخالقنا الذي أنشأنا من العدم، المبتدئ خلقنا من الطين، فهو المستحق للعبادة والخضوع لا أنت، فافعل ما شئت وما وصلت إليه يدك، وإنما لك تسلط في هذه الدار، وهي دار الزوال ونحن قد رغبنا في دار القرار، إنا آمنا بربنا ليغفر لنا ما كان منا من الآثام، وما أكرهتنا عليه من السحر لنعارض به آية الله تعالى ومعجزة نبيه، والله خير لنا منك وأدوم ثوابًا مما كنت وعدتنا ومنيتنا به، فإن من يلقى الله يوم القيامة وهو مجرم فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا، ومن لقي ربه يوم المعاد مؤمن القلب، فله الجنة ذات الدرجات العاليات، والغرف الآمنات، والمساكن الطيبات، يقيمون فيها تجري من تحتها الأنهار ماكثين أبدًا، وذلك جزاء من طهر نفسه من الدنس والخبث والشرك، وعبد الله وحده لا شريك له، وصدق المرسلين فيما جاءوا به.

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾

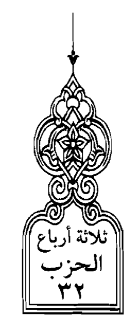


أمر الله موسى عليه السلام حين أبى فرعون أن يرسل معه بني إسرائيل، أن يسري بهم في الليل، ويذهب بهم من قبضة فرعون، فلما خرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل أصبحوا وليس منهم بمصر لا داع ولا مجيب، فغضب فرعون غضبًا شديدًا وأرسل من يجمعون له الجند من بلدانه، ثم لما جمع جنده واستوثق له جيشه، ساق في طلبهم فأتبعوهم عند طلوع الشمس، فلما نظر كل من الفريقين إلى الآخر قال أصحاب موسى إنا لمدركون لأن البحر أمامهم، وفرعون وراءهم، فأوحى الله إلى موسى عليه السلام أن اضرب لهم طريقًا في البحر يبسًا فضرب البحر بعصاه، وقال: انفلق بإذن الله فانفلق، وأرسل الله الريح على أرض البحر فلفحته حتى صار يابسًا كوجه الأرض؛ فكان لهم طريقًا في البحر يبسًا لا يخافون دركًا من فرعون، ولا يخشون من البحر أن يغرقهم، فتقدمهم فرعون فسلك بهم في اليم فأضلهم وما هداهم إلى سبيل الرشاد، وتلك نعمه الله على بني إسرائيل نجاهم من عدوهم فرعون، وأقر أعينهم منه، وهم ينظرون إليه وإلى جنده قد غرقوا في صبيحة واحدة، لم ينج منهم أحد، وقد واعد الله موسى عليه السلام وبني إسرائيل بعد هلاك فرعون جانب الطور الأيمن، وهو الذي كلمه تعالى عليه، وسأل فيه الرؤية، وأعطاه التوراة هناك، وفي أثناء ذلك عبد بنو إسرائيل العجل، وأنعم عليهم بالمن والسلوى، والمن حلوى كانت تنزل عليهم من السماء، والسلوى طائر يسقط عليهم، فيأخذون قدر الحاجة منه إلى الغد، لطفًا من الله ورحمة بهم، وإحسانًا إليهم؛ وأمرهم الله بالأكل من الطيبات واجتناب الطغيان والعصيان فهو سبحانه يغفر الذنوب لكل تائب صدق في توبته واتبعها بعمل صالح، وسارع موسى عليه السلام مبادرًا إلى الطور، واستخلف على بني إسرائيل أخاه هارون؛ ليطلب رضا ربه، واختار من قومه سبعين رجلًا ليذهبوا معه إلى الطور، ليأخذوا التوراة، فسار بهم ثم عجل موسى من بينهم ليرضى الله عنه بمسارعته إلى امتثال أمره، وخلف السبعين، وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل، وأخبر الله تعالى نبيه موسى عليه السلام بما كان بعده من الحدث في بني إسرائيل، وعبادتهم العجل الذي عمله لهم السامري، وكانوا ستمائة ألف، فافتتنوا بالعجل غير اثني عشر ألفًا، فرجع موسى عليه السلام إلى قومه وهو في غاية الغضب والحنق على قومه، والحزن على ما صنع قومه من بعده، فبئس الخليفة هم لنبيهم الذي وعدهم بوعد الله لهم من كل خير في الدنيا والآخرة، وحسن العاقبة، فطال عليهم انتظار ما وعدهم الله به، أو نسوا ما سلف لهم من النعم، فعملوا عملًا يغضب الله تعالى فاعتذروا لموسى أنهم لم يخلفوا موعده بقدرتهم واختيارهم، وقد كان بنو إسرائيل قد استعاروا حليًّا من القبط، وكان ذلك معهم حين خرجوا من مصر، وهم قد أخذوها على وجه العارية فلم يردوها، وأمرهم هارون عليه السلام بإلقاء الحلي الذي معهم في حفرة فيها نار، لكي يجتمع الحلي كله في تلك الحفيرة ويجعل حجرًا واحدًا، حتى إذا رجع موسى يرى فيه ما يشاء، فمر السامري فقال له هارون عليه السلام يا سامري: ألا تلقي ما في يدك، وهو قابض عليه، ، فقال: هذه قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر، ولا ألقيها لشيء إلا أن تدعو الله إذا ألقيتها أن يكون ما أريد، وهو لا يعلم ما يريد فألقاها، ودعا له هارون، فقال أريد أن يكون عجلًا، فاجتمع ما كان في الحفيرة من متاع أو حلية أو نحاس أو حديد، فصار عجلًا أجوف، ليس فيه روح، وله خوار، وكان ذلك، استدراجًا وإمهالًا ومحنة واختبارًا لبني إسرائيل.

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

أخرج السامري لبني إسرائيل العجل ودعاهم لعبادته وقال هذا آلهكم وآله موسى ولكن موسى نسي أن يعلمكم به، ولم يفكروا بعقولهم في حقيقة العجل وأنه لا يتكلم ولا يرد عليهم ولا يملك لهم ضرًّا ولا نفعًا، فكان ذلك فتنة ابتلى الله بها بني إسرائيل، وقد حذرهم هارون ﷺ من عبادة العجل قبل رجوع موسى ﷺ إليهم، وقال يا قوم إنما ابتليتم بالعجل، وإن ربكم الرحمن فاتبعوني على ديني في عبادة الله، وأطيعوا أمري في ترك عبادة العجل، ولكنهم أصروا على عبادته وقالوا لا نزال مقيمين على عبادته حتى يرجع إلينا موسى، ولا نترك عبادته حتى نسمع كلام موسى فيه، وخالفوا هارون في ذلك وحاربوه وكادوا أن يقتلوه فاعتزلهم هارون في اثني عشر ألفًا من الذين لم يعبدوا العجل، فلما رجع موسى ﷺ، ورأى ما قد حدث فيهم من الأمر العظيم، امتلأ عند ذلك غيظًا، وألقى ما كان في يده من الألواح الإلهية، وأخذ برأس أخيه يجره إليه، ولام هارون وقال ما منعك من اللحوق بي وإخباري بضلالتهم، فتكون مفارقتك إياهم زجرًا لهم عما أتوه، وقد أمرتك بالإصلاح فيهم والرفق بهم، فقال هارون ﷺ لموسى ﷺ معتذرًا له ومتوددًا له بذكر أُمِّهِم ليكون أرق وأبلغ في الحنو والعطف عليه؛ وأخبره أن سبب تأخره عنه، حيث لم يلحقه فيخبره بما كان من هذا الخطب الجسيم أنه خشي إذا فارقهم أن يصيروا أحزابًا يتقاتلون، وفي ذلك تضييع لوصية موسى ﷺ لهارون حيث قال له اخلفني في قومي، وأرفق بهم، ثم قال موسى ﷺ للسامري ما حملك على ما صنعت؟ وما الذي عرض لك حتى فعلت ما فعلت؟ وكان السامري رجلًا من أهل قرية اسمها سامرا، وكان من قوم يعبدون البقر، وكان حب عبادة البقر في نفسه، وكان قد أظهر الإسلام مع بني إسرائيل، وكان اسمه موسى بن ظفر، فقال السامري لموسى ﷺ رأيت جبريل حين جاء لهلاك فرعون، فقبضت قبضة من أثر فرسه من تحت حافر فرس جبريل وكان السامري حين رأى جبريل ألقي في روعه أنه إن أخذ من أثر هذا الفرس قبضة ثم ألقاها في شيء، فقال له كن فإنه سيكون فقبض قبضة من أثر الرسول، فيبست أصابعه على القبضة، فلما ذهب موسى للميقات وكان بنو إسرائيل استعاروا حلي آل فرعون، فقال لهم السامري إنما أصابكم من أجل هذا الحلي فاجمعوه فجمعوه، فأوقدوا عليه، فذاب، فرآه السامري فألقي في روعه أنك لو قذفت هذه القبضة في هذه فقلت كن فإنه سيكون، فألقى ما كان في يده على حلية بني إسرائيل، فصار عجلًا جسدًا له خوار لدخول الريح فيه، فقال لبني إسرائيل هذا إلهكم وإله موسى، وكل ذلك كان ابتلاء لبني إسرائيل وامتحانًا وتزيينًا من الشيطان حيث زين للسامري هذا العمل وزينت له نفسه الأمارة بالسوء، فقال له موسى ﷺ: اذهب فإن لك في الحياة ألا تخالط أحدًا، ولا يخالطك أحد، وأمر موسى بني إسرائيل ألا يخالطوه، ولا يقربوه، فصار السامري يهيم في البرية مع الوحوش والسباع، لا يمس أحدًا ولا يمسه أحد، عاقبه الله بذلك، وكان إذا لقي أحدًا يقول لا مساس، لا تقربني ولا تمسني، وله في القيامة عذاب شديد، وأمر موسى ﷺ بحرق العجل وإتلافه، وذر رماده في البحر، ليكون عبرة وعظة، وفي ذلك دليل على تحطيم الأصنام وإتلافها كما هدم رسول الله ﷺ أصنام المشركين وأمر بهدمها وإحراقها؛ لأنها من مظاهر الشرك والوثنية، ثم أمر موسى ﷺ قومه بالتوحيد وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له والبعد عن وسائل الشرك ومظاهر الوثنية، وهو سبحانه الذي وسع كل شيء علمًا.

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا
ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا
﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ
فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ
بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ
فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾
لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ
لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا
﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ
قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ
عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ
حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا
يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾



قص الله تعالى في كتابه على نبيه محمد ﷺ خبر موسى، وما جرى له مع فرعون وجنوده، وقص عليه الأخبار الماضية كما وقعت من غير زيادة ولا نقص، فكان هذا القرآن العظيم تذكيرًا للمؤمنين، وأما من كذب به وأعرض عن اتباعه أمرًا وطلبًا، وابتغى الهدى في غيره، فإن الله يضله ويهديه إلى سواء الجحيم؛ فكل من بلغه القرآن فهو نذير له وداع، فمن اتبعه هدي، ومن خالفه وأعرض عنه ضل وشقي في الدنيا، والنار موعده يوم القيامة خالدًا فيها لا محيد له عنها ولا انفكاك و بئس الحمل حملهم يوم القيامة، يحملون الكفر والتكذيب.

يوم ينفخ إسرافيل في الصور بأمر الله وهو قرن عظيم، ويحشر المجرمين زرق العيون من شدة ما هم فيه من الأهوال يتسارُّون بينهم، يقول بعضهم لبعضهم لقد كان لبثكم في الدنيا عشرة أيام، والله أعلم بهم في حال تناجيهم، إذ يقول العاقل الكامل فيهم، إن لبثتم إلا يومًا، لقصر مدة الدنيا في أنفسهم يوم المعاد؛ لأن الدنيا كلها وإن تكررت أوقاتها وتعاقبت لياليها وأيامها وساعاتها كأنها يوم واحد؛ ولهذا تستقصر مدة الحياة الدنيا يوم القيامة، وغرضهم في ذلك درء قيام الحجة عليهم، لقصر المدة.

في هذا اليوم العظيم ينسف الله الجبال فتقتلع من أماكنها، فتكون هباء منثورًا وتكون الأرض مستوية لا ترى فيها واديًا ولا رابية، ولا مكانًا منخفضًا ولا مرتفعًا، ويحشر الله الناس يوم القيامة في ظلمة، وتطوى السماء، وتتناثر النجوم، وتذهب الشمس والقمر، وينادي منادٍ فيتبع الناس الصوت، فيستجيبون مسارعين إلى الداعي، حيثما أمروا بادروا إليه، لا يميلون عنه، ولو كان هذا في الدنيا لكان أنفع لهم، ولكن حيث لا ينفعهم، وسكنت الأصوات فلا يسمع إلا وطء الأقدام في سعي الناس إلى المحشر، في سكون وخضوع.

في هذا اليوم لا تنفع الشفاعة عند الله إلا من أذن له الرحمن ورضي عنه وهو سبحانه العالم بالخلائق، فهو يعلم بمن يستحق أن يَشفع، وبمن يستحق أن يُشفع له، والعباد لا يحيطون به علمًا.

في ذلك اليوم تخضع الوجوه وتذل وتستسلم للحي الذي لا يموت، وللقيوم الذي لا ينام، هو قيم على كل شيء، يدبره ويحفظه، فهو الكامل في نفسه، الذي كل شيء فقير إليه، لا قوام له إلا به.

وقد خسر من جاء مشركًا يوم القيامة، فالشرك أعظم الظلم، ومن جاء ظالمًا للخلق فإن الله يؤدي لكل ذي حق حقه، حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء، وأما المتقون المؤمنون فهم لا يظلمون ولا يهضمون، فلا يزاد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم، وقد أنزل الله القرآن بشيرًا ونذيرًا، بلسان عربي مبين فصيح لا لبس فيه، فيه آيات الوعيد للعباد ليتركوا المآثم والمحارم والفواحش، وفيه آيات الوعد التي تحث على فعل الطاعة وعمل القربات.

فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾



أرسل الله رسله وأنزل كتبه لتكون حجة على الخلق، وتنزه الله وتقدس الملك الحق، ووعده حق، ووعيده حق، ورسله حق، والجنة حق، والنار حق، وكل شيء منه حق، ومن عدله تعالى ألا يعذب أحدًا قبل الإنذار وبعثة الرسل والإعذار إلى خلقه؛ لئلا يبقى لأحد حجة ولا شبهة، وقد حفظ الله كتابه العزيز وتكفل بحفظه، وكان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يبادر فيقرأ معه، قبل أن يفرغ جبريل مما يريد من التلاوة، مخافة الانفلات والنسيان، فنهاه الله عن ذلك، قبل أن يفرغ جبريل من الإبلاغ، فإن الله تكفل بجمعه في صدر النبي ﷺ، وأن يقرأه على الناس من غير أن ينسى منه شيئًا، وأمر الله نبيه محمدًا عليه الصلاة والسلام بالازدياد من العلم، والعلم هو علم الشريعة، ولم يزل ﷺ في زيادة من العلم حتى توفاه الله ﷻ، وفي ذلك شرف علم الشريعة وعلوه على جميع العلوم، فبه تحفظ الحدود ويوفى بالعهود، فإن الجهل سبب لعصيان الله ونقض العهود، فإن من طبيعة الإنسان الاستجابة لوساوس الشيطان، كما استجاب ولان أبو البشر آدم ﵇، فقد أمره الله ووصاه ألا يأكل من الشجرة، فترك وصية ربه وأطاع الشيطان بوساوسه ولم يجد له صبرًا عما نهي عنه، وقد شرف الله آدم وكرمه، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا، وأسجد له ملائكته إظهارًا لفضله، فسجد الملائكة كلهم إلا إبليس امتنع واستكبر، فأمر الله آدم وزوجه حواء عليهما السلام باتخاذ الشيطان عدوًّا، وحذرهما أن يسعى في إخراجهما من الجنة، فيجدون بعد خروجهما التعب والمشقة في طلب الرزق، فإن في الجنة عيش رغيد وهنيء، لا كلفة ولا مشقة، لا جوع ولا عري، و قرن بين الجوع والعري؛ لأن الجوع ذل الباطن، والعري ذل الظاهر، ولا يجدون العطش ولا حر الشمس، فالظمأ حر الباطن، وهو العطش، والضحى حر الظاهر، فوسوس إليهما الشيطان وأغراهما بشجرة الخلد وأن من أكل منها خلد في الجنة، وأقسم لهما أنه من الناصحين، فأكل آدم وحواء عليهما السلام من الشجرة التي نهاهما ربهما عن أكلها، طمعًا في الخلود، فظهر لهما أثر المعصية، وقد ستر الله وغطى عوراتهما وكانا لا يريان عورة أنفسهما، ولا يراها أحدهما من الآخر، وكان عليهما نور يمنع من رؤيتها وسمي الفرج سوءة، لأن ظهوره يسوء صاحبه، وأراد الشيطان أن يسوءهما بظهور ما كان مستورًا عنهما من عوراتهما، فجعلا يلصقان عليهما من ورق التين، وعصى آدم ربه بالأكل من الشجرة وضلّ عن الصواب وعن مطلوبه، وهو الخلود بأكل تلك الشجرة، ثم اصطفاه الله وقرّبه وتاب عليه وجعله نبيًا، وكانت المعصية من آدم قبل النبوّة، وقال الله تعالى لآدم وحواء وإبليس، انزلوا من الجنة كلكم إلى الأرض، فآدم وذريته، وإبليس وذريته، أعداء لبعض، وأرسل الله لهم الأنبياء والرسل وأنزل الكتب لهدايتهم، فمن تبع تلك الهداية لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ومن خالف أمر الله، وما أنزله على رسله، فأعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه فإن الله يجعل عيشته في الدنيا ضيقة، لا طمأنينة فيها، ولا انشراح صدر، بل صدره في ضيق لضلاله، وإن تنعَّم ظاهره، ولبس ما شاء وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلق وحيرة وشك، ويوم القيامة يحشر ويبعث إلى النار أعمى البصر والبصيرة

فيتساءل ذلك المعرض لم يبعث أعمى وقد كان يبصر في الدنيا، فيجاب أنه لما أعرض عن آيات الله، وتناسى وتغافل عنها، فهو اليوم ينسى، فإن الجزاء من جنس العمل.

قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ
نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ
وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ
فِي مَسَٰكِنِهِمۡۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ
سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ﴿١٢٩﴾ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ
مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ
وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا
تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا
لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ
﴿١٣٢﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي
ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ
لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن
قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ
فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

من نسي حدود الله وأوامره، وأعرض عن هدى الله، فهو في القيامة ينسى فيجازى بمثل عمله، فكما تعامى وتغافل عن الهداية، يترك في العمى والعذاب في النار، وهذا الجزاء لكل من أشرك بالله وكذب بآيات الله وعذاب الآخرة أفظع من المعيشة الضنك في الدنيا، وهو أدوم وأثبت لا ينقطع.

فكل من كذب الرسل ألم يتبين له خبر القرون الأولى من الأمم المكذبين بالرسل قبلهم، فبادوا ليس لهم باقية ولا عين ولا أثر كما يشاهدون ذلك من ديارهم الخالية التي خلفوهم فيها، يمشون فيها ويتقلبون في ديارهم ففي ذلك آيات لذوي العقول التي تنهى أربابها عن القبيح.

ولولا الكلمة السابقة من الله وهو أنه لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه، والأجل المسمى الذي ضربه الله تعالى لهؤلاء المكذبين إلى مدة معينة لجاءهم العذاب بغتة.

ومن الزاد الإيماني للداعية إلى الله ما أمر به النبي ﷺ من الاستعانة بالصبر والصلاة المفروضة ونوافل الصلاة وقيام الليل، وذلك رصيد الآخرة وسبب لرضوان الله على العبد ورضا العبد بثواب الله الذي لا ينقطع، وهو ما يطلبه المؤمن في هذه الحياة، وأما ما يعيشه المترفون في هذه الحياة من النعم فإنما هو زهرة زائلة، والمؤمن الحق من يعيش للآخرة ويربي أهله على ذلك فيأمرهم بالصلاة ويصبر على ذلك، فحينئذ تأتيه الدنيا ويرزقه الله من حيث لا يحتسب، وله حسن العاقبة في الدنيا والآخرة، وهي الجنة لمن اتقى الله.

ومن كتب الله ضلاله فلا تنفعه آية ولا معجزة، فقد طلب الكفار من النبي ﷺ علامة تدل على صدقه في أنه رسول الله، وقد أنزل الله عليه القرآن العظيم وهو أمي، لا يحسن الكتابة، ولم يدارس أهل الكتاب، وقد جاء فيه أخبار الأولين، بما كان منهم في سالف الدهور، بما يوافقه عليه الكتب المتقدمة الصحيحة منها؛ ولو أهلك الله هؤلاء المكذبون قبل أن يرسل إليهم هذا الرسول الكريم، وينزل عليهم هذا الكتاب العظيم لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولًا قبل أن تهلكنا، حتى نؤمن به ونتبعه، فهم متعنتون معاندون لا يؤمنون، فلينتظر الجميع الموعد يوم القيامة يعلم فيه الجميع من هم أصحاب الطريق المستقيم، ومن اهتدى إلى الحق وسبيل الرشاد.



سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

ترتيبها ٢١　　آياتها ١١٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾



سورة الأنبياء

وهي سورة مكية، وسميت بذلك لما فيها من قصص وأخبار الأنبياء والأمم

الغفلة والإعراض عن الساعة والاهتمام بالدنيا يورث نسيان الآخرة والاستعداد لها، مع قرب الساعة ودنو وقتها، وما يأتي العباد من الآيات والسنن والمواعظ لا يعتبرون ولا يتعظون بها، ساهية نفوسهم غافلة قلوبهم، قد أعرضوا عن ذكر الله، وشرع الله، يكيدون للإسلام سرًّا وجهرًا، ويكذبون رسالة النبي ﷺ، ويستبعدون كونه نبيًّا؛ لأنه بشر مثلهم، فكيف اختص بالوحي دونهم، فمثلهم كمثل من يعمل السحر وهو يعلم أنه سحر، وما علموا أن القرآن حق وأن رسالة النبي ﷺ حق، أرسله الذي يعلم ما في السموات والأرض، لا تخفى عليه خافية، وأنزل هذا القرآن المشتمل على خبر الأولين والآخرين، الذي لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله، إلا الذي يعلم السر في السموات والأرض، وهو السميع لأقوال العباد، وهو العليم بأحوالهم.

ولكن تعنت الكفار وإلحادهم، جعلهم يصفون القرآن بالسحر، وتارة بالشعر، وتارة يصفونه بالرؤى الكاذبة، وتارة يرمون النبي ﷺ بالكذب، واختلاق القرآن وطالبوا بمعجزات الأنبياء قبله كناقة صالح، وآيات موسى وعيسى عليهما السلام، وكذلك حال الأمم في تكذيب الأنبياء والمرسلين، وقد أرسل الله الرسل من البشر، وأعلم الناس بذلك أهل العلم من المؤمنين المصدقين بالرسل فإنهم يعلمون أن الله لم يرسل رسولًا إلا من البشر، يأكلون الطعام ولا يخلدون في الدنيا، وذلك من تمام نعم الله على خلقه؛ إذ بعث فيهم رسلا منهم يتمكنون من تناول البلاغ معهم والأخذ عنهم، وقد وعد الله رسله بإهلاك عدوهم من المشركين الذين أسرفوا على أنفسهم بالشرك، ونجاة المؤمنين الذين صدقوهم، وقد أنزل الله على رسوله القرآن شرفًا لأمة محمد ﷺ، وفيه ذكر ما يحتاجون إليه من أمر دينهم، ودنياهم، فهل يعقل الناس شرف هذا القرآن وفضله، ويأخذون به ويعملون بمقتضاه ويتحاكمون إليه.

وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

ينزل الله عذابه ورجزه على الأمم المكذبة بالرسل المعاندة لشرع الله، فإذا تيقنوا أن العذاب واقع بهم كما وعدهم نبيهم يفرون منه هاربين، فيقال لهم قدراً: لا تركضوا هاربين من نزول العذاب، وارجعوا إلى ما كنتم فيه من النعمة والسرور، والمعيشة والمساكن الطيبة التي كانت سبب بطركم وكفركم، فلعلكم تسألون عما نزل بكم من العقوبة فتخبرون به؛ أو تسألون أن تؤمنوا كما كنتم تسألون ذلك قبل نزول العذاب بكم استهزاء بهم، وهم بعد نزول العقوبة قد اعترفوا بذنوبهم حين لا ينفعهم ذلك، وما زالوا يرددون الاعتراف بالظلم حتى حصدهم العذاب حصدًا، وخمدت حركاتهم وأصواتهم خمودًا.

فالله ﷻ خلق السموات والأرض بالعدل والقسط، لم يخلقهما عبثًا ولا لعبًا، بل للتنبيه على أن لهما خالقًا قادرًا يجب امتثال أمره، وهو الذي يجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالثواب الجزيل يوم القيامة، والله ﷻ منزه عن اللهو واللعب في ذاته وأسمائه وصفاته، وفي حكمه وشرعه، وخلقه، ولو أراد الله ذلك لكان، لكنه سبحانه لم يرده شرعًا، وإن كان أراده كونًا وقدرًا، فالله قضى بالحق والعدل وأمر به عباده، وهو سبحانه يبطل الباطل وينصر الحق عليه ويؤيد أهل الحق، ويذهب أهل الباطل مهما طال باطلهم فهم إلى زوال، والعاقبة لأهل الحق، والويل والثبور لأهل الباطل الذين يفترون على الله الكذب، ويرمون شرعه، وحكمه بالرجعية والتخلف.

ولئن استكبر أهل الباطل عن عبودية ربهم فإن لله عبادًا يطيعونه ليلًا ونهارًا، لا يستكبرون عن عبادته، ولا يتعبون ولا يملون، فهم دائموا العمل ليلًا ونهارًا، مطيعون قصدًا وعملًا، أما الذين اتخذوا من دون الله آلهة، من الأرض، ومن الحجر والخشب، لا يحيون الموتى ولا يبعثونهم من الأرض، فكيف يستحقون الإلهية، فلا يستحق الإلهية إلا من يقدر على الإحياء والإيجاد من العدم والإنعام بأبلغ وجوه النعم، ولو كان في الوجود آلهة غير الله لفسدت السموات الأرض، وهلك من فيهما بوجود التمانع بين الآلهة لأن كل أمر صدر عن اثنين فأكثر لم يجر على النظام، فسبحان الله رب العرش عما يصفه به المشركون من الشريك والولد سبحانه وتعالى وتقدس وتنزه عن الذي يفترون ويأفكون علوًا كبيرًا.

وهو سبحانه الحاكم الذي لا معقب لحكمه، ولا يعترض عليه أحد، لعظمته وجلاله وكبريائه، وعلوه وحكمته وعدله ولطفه، وهو سبحانه يسأل خلقه عما يعملون، عن أفعالهم وأعمالهم وأقوالهم، وكما أنه لا يكون إله سواه من حيث العقل كذلك لا يكون من حيث الأمر فلا دليل مع المشركين باتخاذ الآلهة، فهذا القرآن وهذه الكتب التي أنزلت قبله، ليس فيها أن الله أمر باتخاذ إله سواه، بل كلها تدعو للتوحيد وإفراد الله بالعبادة، ولكن المشركين يجهلون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل، ويجهلون التوحيد فلا يفرقون بينه وبين الشرك، فهم معرضون عن قبول الحق مستمرّون على الإعراض عن التوحيد واتباع الرسول فلا يتأملون حجة، ولا يتدبرون في برهان، ولا يتفكرون في دليل.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾

ربع الحزب ٣٣

بعث الله الرسل بالبشارة بالتوحيد والنذارة من الشرك، فكل نبي بعثه الله يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والفطرة شاهدة على التوحيد، وإفراد الله بالعبادة، وتنزه الله عن الولد تعالى الله وتقدس عما يقوله الكفار من أن الملائكة بنات الله، بل هم عباد الله مكرمون عنده، في منازل عالية ومقامات سامية، وهم له في غاية الطاعة قولًا وفعلًا، لا يتقدمون بين يديه بأمر، ولا يخالفونه فيما أمر به، بل يبادرون إلى فعله، وهو تعالى علمه محيط بهم، فلا يخفى عليه منهم خافية، يخافون ربهم ويخشونه، ولا يشفعون إلا لمن رضي الله عنه، فشرط الشفاعة رضا الله عن المشفوع، وإذنه للشافع بالشفاعة، وليس للملائكة ولا لغيرهم ادعاء الألوهية وليس لهم من خصائص الألوهية شيء، ومن ادعى ذلك فله العذاب الأليم يوم القيامة، فالله هو المستحق للإلوهية وحده لا شريك له الذي خلق السموات والأرض وقد كانتا متلاصقتين، بعضها فوق بعض في ابتداء الأمر، ففتق هذه من هذه فجعل السموات سبعًا، والأرض سبعًا، وفصل بين سماء الدنيا والأرض بالهواء، فأمطرت السماء وأنبتت الأرض، ففتق السماء بالمطر، وفتق الأرض بالنبات، وجعل الله أصل كل الأحياء من الماء، وذلك دليل على قدرة الله سبحانه وبديع صنعه، وهو سبحانه الذي أرسى الأرض بالجبال وقررها وثقلها؛ لئلا تضطرب وتتحرك بالناس، فلا يحصل لهم عليها قرار وجعل في الجبال طرقًا يسلكون فيها من قطر إلى قطر، وإقليم إلى إقليم، كما هو المشاهد في الأرض، يكون الجبل حائلًا بين هذه البلاد وهذه البلاد، فيجعل الله فيه فجوة ليسلك الناس فيها من ها هنا إلى ها هنا؛ وجعل الله السماء سقفًا على الأرض عاليًا محروسًا بالنجوم من الشياطين، ومحفوظًا أن يقع ويسقط على الأرض، فهو كالقبة عليها، فهي آية فيها من الآيات مما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وغيرها، ولكن الكفار لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها، فالليل والنهار هذا في ظلامه وسكونه، وهذا بضيائه وأنسه، يطول هذا تارة ثم يقصر أخرى، وعكسه الآخر، والشمس والقمر هذه لها نور يخصها، وفلك بذاته، وزمان على حدة، وحركة وسير خاص، وهذا بنور خاص آخر، وفلك آخر، وسير آخر، وتقدير آخر، وفي تعاقبهما وانتظامهما آية تجري في الفلك بسرعة كالسابح في الماء، وكل ذلك موجب لتحقيق العبودية لله وحده لا شريك له في هذه الحياة، فالإنسان في هذه الحياة يتزود للدار الآخرة وليس لأحد من البشر دوام البقاء في الدنيا، حتى النبي محمد ﷺ كتب الله عليه الموت، وذلك نهاية كل حي، فكل نفس ذائقة الموت، نسأل الله أن يميتنا على التوحيد ويحسن خاتمتنا، فالعباد خلقوا في هذه الحياة للاختبار، والله يختبرهم بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، وفيما يحبون وفيما يكرهون، ابتلاء منه سبحانه لينظر كيف شكرهم فيما يحبون، وصبرهم فيما يكرهون، والجميع إليه راجعون ومجزيون بأعمالهم.

وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾

بعث الله رسوله محمدًا ﷺ بالتوحيد فآذاه المشركون وقابلوه بأصناف من صور الإيذاء الجسدي والمعنوي، وانتقصوه، واستهزءوا به، وحاولوا قتله، وأخرجوه من مكة، واتهموه بالجنون وبالسحر وبالكهانة نصرة لآلهتهم وكفرًا بالله وعنادًا لرسوله ﷺ، واستعجلوا عذاب ربهم الذي توعدهم به الرسول ﷺ، وتلك طبيعة النفس البشرية الاستعجال، فقد طبع الإنسان على العجلة، وجاءت الشريعة بأمر المسلم بالتؤدة وترك العجلة؛ لأن العجلة من الشيطان، والتأني من الله.

وكان استعجالهم للعذاب لكفرهم وعنادهم فجاءهم الرد أن العذاب واقع بهم لا محالة، ولو علموا شدة العذاب لما أقاموا على كفرهم، ولما استعجلوا، حين تغشاهم النار فلا يستطيعون ردها عن وجوههم ولا عن ظهورهم ومن فوقهم ومن تحت أرجلهم، فتأتيهم النار فجأة فتحيرهم وتخيفهم، فيستسلمون لها حائرين، لا يدرون ما يصنعون، وليس لهم حيلة في رد العذاب عن أنفسهم، ولن يؤخر الله عنهم العذاب ساعة واحدة، وهذا طريق المستهزئين بالرسل ومصيرهم العذاب الأليم في الآخرة، ينزل بهم العذاب الذي كانوا يستبعدون وقوعه، فكل المعاندين لدعوة التوحيد، المصرين على الكفر والعناد مآلهم الى الخسران في الدنيا والآخرة بما كفروا واستكبروا عن عبادة الله وحده لا شريك له الذي يحفظ عباده المؤمنين ويحرسهم ويؤيدهم، فلا ناصر لهم ولا حافظ لهم غيره سبحانه، ولكن المكذبين بالرسل أعرضوا عما فيه سعادتهم وفلاحهم، فأعرضوا عن القرآن وعن الاعتراف بنعم الله، فلن يمنعهم من عذاب الله أحد، حتى آلهتهم التي يدعونها لا تنفعهم حين نزول العذاب بهم ولكن غرهم وحملهم على ما هم فيه من الضلال أن الله متعهم في الحياة الدنيا، ونعمهم وأطال أعمارهم فيما هم فيه من الكفر والشرك، فاعتقدوا أنهم على شيء، ولم يعتبروا بنصر الله لأوليائه على أعدائه، وإهلاكه الأمم المكذبة والقرى الظالمة، وإنجائه لعباده المؤمنين؛ فكانت الغلبة لأولياء الله.

وتلك سنة الله الباقية في نصرة أهل الحق ودحر أهل الباطل، وعلو أهل الحق، وذلة أهل الباطل مهما طالت صولة الباطل وأهله، فإن الله كتب النصرة للمؤمنين، وهذا يقود المسلم إلى التفاؤل والأمل بنصرة الإسلام ودحر أعداء الله من اليهود والنصارى، فإن الله تعالى كتب العلو لدينه وأهله، ومهما أجلب أهل الباطل فإن مآلهم إلى الزوال.

قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔاۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

نصف الحزب ٣٣

أنزل الله تعالى على نبيه محمد ﷺ القرآن ليكون هدى للبشرية، ينذر به من الشرك ويبشر بالتوحيد، ولكن قلوب المشركين لا تنتفع بالقرآن فقد أعمى الله بصيرتهم، وختم على سمعهم وقلوبهم.

ولن يعترفوا بذنوبهم إلا إذا مسهم العذاب يوم القيامة حين توضع الموازين لوزن أعمال العباد، ووزن أجسامهم ووزن سجلات أعمالهم، ذلك الميزان العدل الذي لا يظلم فيه أحد، لا ينقص من إحسان محسن، ولا يزاد في إساءة مسيء، حتى وإن كان مثقال حبة من خردل، وكفى بالله عليمًا بذنوب عباده، أنزل عليهم الكتب السماوية التي تشتمل على التفرقة بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والغي والرشاد، والحلال والحرام، ويحصل بها النور في القلوب، والهداية والخوف والإنابة والخشية.

ومن ذلك ما أنزل الله على موسى وهارون عليهما السلام فقد أنزل التوراة، حلالها وحرامها، وما فرق الله فيها بين الحق والباطل، وقد نسخت بالقرآن الكريم الذي فيه التذكير والموعظة للمؤمنين، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فلا ينكره إلا من لا عقل له، ولا ينتفع به إلا من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، وخشي الله في السر والعلن، ووحد الله وأخلص له العبادة.

ومن أنبياء الله ورسله خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام الذي ألهمه الحق والحجة على قومه وهو في صغره وحاج قومه في أصنامهم، فقال لهم ما هذه الصور التي أنتم صنعتموها ثم أقمتم على عبادتها، فأجابوه إنا وجدنا آباءنا يعبدونها فعبدناها اقتداء بهم ومشيًا على طريقتهم، فقال لهم إنكم وآباءكم في خسران واضح ظاهر لا يخفى على أحد، ولا يلتبس على ذي عقل، فقد عبدوا الأصنام التي لا تضرّ ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر، وليس بعد هذا الضلال ضلال، ولا يساوي هذا الخسران خسران، فلما سفه أحلامهم، وضلل آباءهم، واحتقر آلهتهم، قالوا أكلامك الذي تقوله لاعبًا أو محقًا فيه، فأجابهم بالتوحيد، إن ربكم هو الله الذي لا إله غيره، الذي خلق السموات والأرض وما حوت من المخلوقات، وهو الذي ابتدأ خلقهن، وهو الخالق لجميع الأشياء شاهدًا لله بذلك فهو لا إله غيره، ولا رب سواه.

وأقسم الخليل عليه السلام قسمًا أسمعه بعض قومه ليحرصن على أذاهم وتكسير أصنامهم بعد أن يولوا إلى عيدهم، وكان لهم عيد يخرجون إليه، وتلك سنة الخليلين في تحطيم الأصنام والتماثيل.

فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾

كسر إبراهيم الخليل الأصنام وجعلها قطعًا صغيرة، ولم يبق إلا الصنم الأكبر علق الفأس في عنقه ثم خرج، لعلهم يعتقدون أنه هو الذي كسرها، فيسألونه عن ذلك، فلما رجعوا وشاهدوا ما فعله الخليل بأصنامهم من الإهانة والإذلال الدال على عدم إلهيتها، وعلى سخافة عقول عابديها، سألوا من فعل ذلك فأخبروا أنهم سمعوا فتى يقال له إبراهيم يحلف بالكيد لها، فأتوا به على رءوس الأشهاد في الملأ الأكبر بحضرة الناس كلهم، وكان هذا هو المقصود لإبراهيم ﷺ أن يتبين في هذا المحفل العظيم كثرة جهلهم وقلة عقلهم في عبادة هذه الأصنام التي لا تدفع عن نفسها ضرًا، ولا تملك لها نصرًا، فكيف يطلب منها شيء من ذلك، فسألوه عن تكسير الأصنام فقال إنه كبيرهم فاسألوهم إن كانوا ينطقون، وإنما أراد بهذا أن يبادروا من تلقاء أنفسهم، فيعترفوا أنهم لا ينطقون، فإن النطق لا يصدر عن الصنم؛ لأنه جماد، فرجعوا إلى أنفسهم بالملامة في عدم احترازهم وحراستهم لآلهتهم، واتهموا أنفسهم بالإهمال وعدم رعاية الأصنام، واحتاروا في أمر الأصنام ووقع في نفوسهم أنهم يعبدون ما لا ينطق، فقالوا لإبراهيم ﷺ تقول لنا سلوهم إن كانوا ينطقون، وأنت تعلم أنها لا تنطق فعندها قال لهم إبراهيم لما اعترفوا بذلك، إذا كانت لا تنطق، وهي لا تضر ولا تنفع، فلم تعبدونها من دون الله، أليس لكم عقول تتفكرون بها، فتعلمون هذا الصنيع القبيح الذي صنعتموه، فأقام عليهم الحجة، وألزمهم بها، فلما بطلت حجتهم، وبان عجزهم، وظهر الحق، واندفع الباطل، عدلوا إلى استعمال جاه ملكهم، فجمعوا حطبًا كثيرًا جدًا ثم جعلوه في حفرة من الأرض، وأضرموها نارًا، فكان لها شرر عظيم ولهب مرتفع، لم توقد قط نار مثلها، وجعلوا إبراهيم ﷺ في كفة المنجنيق، فلما ألقوه قال حسبي الله ونعم الوكيل، فأمر الله النار بأن تكون بردًا وسلامًا على إبراهيم ولم يبق نارًا في الأرض إلا طفئت، ولم تحرق النار من إبراهيم سوى وثاقه.

و لولا أن الله ﷻ قال وسلامًا لآذى إبراهيم بردها، ولم يكن في الأرض دابة إلا تطفئ النار، غير الوزغ، فإنه كان ينفخ على إبراهيم، فأمرنا رسول الله ﷺ بقتله، فأرادوا بنبي الله كيدًا، فكادهم الله ونجاه من النار، فغلبوا وخسروا فيما أنفقوه من الأموال لقتل إبراهيم ﷺ، ونجاه الله من النمرود وقومه، وخرج من أرض العراق، إلى أرض الشام التي بارك الله فيها بالخصب وكثرة الأشجار والثمار والأنهار، وبعث أكثر الأنبياء فيها، ووهب الله له إسحاق ﷺ بدعائه وزاده يعقوب ابنًا لإسحاق، وكلهم جعل فيهم النبوة والصلاح.

وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾

بارك الله تعالى في ذرية إبراهيم ﷺ وجعلهم أئمة يقتدى بهم في الخير، ودعاة إلى الله بإذنه؛ فكانوا قدوة في فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، محققين لتوحيد رب العالمين، فكل الأنبياء والرسل بعد إبراهيم من ذريته، وكان ممن آمن بإبراهيم، واتبعه، وهاجر معه، لوط بن هاران بن آزر، فآتاه الله حكمًا وعلمًا، وأوحى إليه، وجعله الله نبيًا، وبعثه إلى سدوم، فخالفوه وكذبوه، فأهلكهم الله ودمر عليهم، كما قص خبرهم في كتابه العزيز؛ وكان أهل سدوم يأتون الذكران في أدبارهم وغير ذلك من المنكرات، فأنجاه الله منهم ونصره عليهم، ومن رسل الله الذين من قبل إبراهيم: نوح ﷺ استجاب الله دعوته على قومه، لما كذبوه ونجاه من الشدة والتكذيب والأذى، فإنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم إلى الله ﷻ، فلم يؤمن به منهم إلا القليل، وكانوا يقصدون أذاه ويتواصون قرنًا بعد قرن، وجيلًا بعد جيل على خلافه، فخلصه الله منهم ونصره عليهم وأهلكهم بالغرق، ولم يُبقِ على وجه الأرض منهم أحدًا، ومن أنبياء الله داود وابنه سليمان عليهما السلام، وكانت الخصوم تأتي داود ليحكم بينها، وكان مما أتى داود أن رجلين دخلا عليه أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم، فقال صاحب الزرع إن هذا انفلتت غنمه ليلًا ووقعت في حرثي فأفسدته فلم يبق منه شيء، فأعطاه داود رقاب الغنم بالحرث، فخرجا فمرا على سليمان فقال: كيف قضى بينكما فأخبراه فقال سليمان لو وليت أمرهما لقضيت بغير هذا، فأخبر بذلك داود فدعاه فقال كيف تقضي، قال ادفع الغنم إلى صاحب الحرث ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ومنافعها ويبذر صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه، فإذا صار الحرث كهيئته يوم أكل دفع الزرع إلى أهله، وأخذ صاحب الغنم غنمه، فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك، وكان عمر سليمان ابن إحدى عشرة سنة، وأما حكم الإسلام أن ما أفسدت الماشية المرسلة بالنهار من مال الغير فلا ضمان على ربها، وما أفسدت بالليل ضمنه صاحبها لأن في عرف الناس أن أصحاب الزرع يحفظون مزارعهم بالنهار، وأصحاب المواشي يحفظون مواشيهم بالليل، وقد آتاهما الله علمًا وحكمًا، وقد كان داود ﷺ حسن الصوت بالزبور، وكان لطيب صوته بتلاوة كتاب الله الزبور، إذا ترنم به تقف الطير في الهواء فتجاوبه، وترد عليه الجبال تسبيحًا، وعلمه الله صناعة الدروع وهي التي تمنع المقاتل ضربات السيوف وطعنات الرماح وسخر الله لسليمان الريح، وهي هواء متحرك، تحت أمره إن أراد أن تشتد اشتدت، وإن أراد أن تلين لانت، وكانت تجري لسليمان وأصحابه حيث شاء سليمان، ثم تعود إلى منزله بالشام، كل ذلك بعلم الله وقدرته وتسخيره لأنبيائه ليستعينوا بذلك على طاعته.

ثلاثة أرباع الحزب ٣٣

وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا
دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ
نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾
فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ
وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾
وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ
﴿٨٥﴾ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ
فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي
كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ
مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ
إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ
﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا
لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ
وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾

سخر الله لنبيه سليمان ﷺ الشياطين، يدخلون تحت الماء فيخرجون له من قعر البحر الجواهر، ويعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل، ويحرسه الله أن يناله أحد من الشياطين بسوء، جميعهم في قبضته وتحت قهره لا يتجاسر أحد منهم على الدنو إليه والقرب منه، بل هو محكم فيهم، إن شاء أطلق، وإن شاء حبس منهم من يشاء.

ومن أنبياء الله أيوب ﷺ ابتلاه الله بالمرض فكان قدوة في الصبر والاحتساب، أصابه البلاء، في ماله وولده وجسده، فقد كان له الكثير من الأولاد والدواب والأنعام، والمنازل والدور، فابتلي في ذلك كله، وذهب عن آخره، ثم ابتلي في جسده فأصيب بالجذام في سائر بدنه، ولم يبق منه سليم سوى قلبه ولسانه، يذكر بهما الله ﷻ، حتى عافه الجليس، وأفرد في ناحية من البلد، ولم يبق من الناس أحد يحنو عليه سوى زوجته، كانت تقوم بأمره، حتى احتاجت فصارت تخدم الناس من أجله، فمكث في البلاء مدة طويلة، وكان لأيوب ﷺ أخوان فجاءا يومًا، فلم يستطيعا أن يدنوا منه، من ريحه، فقاما من بعيد، فقال أحدهما للآخر لو كان الله علم من أيوب خيرًا ما ابتلاه بهذا، فجزع أيوب من قولهما جزعًا لم يجزع من شيء قط، فخر ساجدًا، ثم قال اللهم بعزتك لا أرفع رأسي أبدًا حتى تكشف عني، فما رفع رأسه حتى كشف عنه، فأوحى الله إليه قد رددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم، فاغتسل بهذا الماء، فإن فيه شفاءك، وقرب عن صاحبتك قربانًا، واستغفر لهم، فإنهم قد عصوني فيك، فجعله الله قدوة، لئلا يظن أهل البلاء إنما فعل بهم لهوانهم على الله، وليتأسوا به في الصبر على أقدار الله وابتلائه لعباده بما يشاء، وله الحكمة البالغة في ذلك، ومن أنبياء الله إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وإدريس، وذو الكفل صبروا على أمر الله وبما كلفهم الله به، فأدخلهم في الجنة، لكمال صلاحهم وصدق عبوديتهم، ومن أنبياء الله يونس بن متى ﷺ ويلقب بذي النون لابتلاع الحوت له، بعثه الله إلى أهل قرية "نينوى"، وهي قرية في أرض الموصل، فدعاهم إلى الله، فأبوا عليه وتمادوا على كفرهم، فخرج من بين أظهرهم مغاضبًا لهم، ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث، وظن أن الله لا يقدر عليه العقوبة ولن يضيق عليه، فلما تحققوا منه ذلك، وعلموا أن النبي لا يكذب، خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم، وفرقوا بين الأمهات وأولادها، ثم تضرعوا إلى الله ﷻ، وجأروا إليه، فرفع الله عنهم العذاب، أما يونس ﷺ فإنه ذهب فركب مع قوم في سفينة فلججت بهم، وخافوا أن يغرقوا، فاقترعوا على رجل يلقونه من بينهم يتخففون منه، فوقعت القرعة على يونس، فأبوا أن يلقوه، ثم أعادوا القرعة فوقعت عليه أيضًا، فأبوا، ثم أعادوها فوقعت عليه أيضًا، فقام يونس ﷺ وتجرد من ثيابه، ثم ألقى نفسه في البحر، فالتقمه الحوت، فأوحى الله إلى ذلك الحوت ألا تأكل له لحمًا، ولا تهشم له عظمًا؛ فإن يونس ليس لك رزقًا، وإنما بطنك له يكون سجنًا، فدعا ربه في الظلمات ظلمة البحر وظلمة الليل وظلمة الحوت، فنجاه الله، وكذلك ينجي الله كل مؤمن صادق، فدعاء يونس نجاة من الكرب والغم والشدة والبلاء، ومن أنبياء الله زكريا ﷺ طلب ربه أن يهبه ولدًا، يكون من بعده نبيًا، ودعا ربه خفية عن قومه رب لا تذرني لا ولد لي ولا وارث يقوم بعدي في الناس، فاستجاب الله له ووهبه يحيى وأصلح له زوجته بعد أن كانت عقيمًا لا تلد، وتلك سنة الله في أوليائه الصالحين المتقين الذين يبادرون لعمل القربات وفعل الطاعات، ويعبدون الله بين الرجاء والخوف، فإن من ركائز العمل الخوف والرجاء والمحبة مع الذل، وتلك صفات جمعها أنبياء الله ورسله والصالحون من بعدهم فاستحقوا ولاية الله.

وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾

ولادة المسيح عيسى بن مريم آية من آيات الله الدالة على قدرة الله تعالى، وأنه يخلق ما يشاء، وإنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون، فالمسيح وأمه آية من آيات الله الباهرة، فأمه كانت عابدة قانتة يأتيها رزقها في مكان عبادتها، وخلق الله فيها المسيح بدون أب.

وهؤلاء الرسل دعوا إلى دين واحد وهو الإسلام عقيدة التوحيد عبادة الله وحده لا شريك له، بشرائع متنوعة لكل رسول شريعة مستقلة، فلكل أمة شرعة ومنهاجٌ، فاختلفت الأمم على رسلها، فمن بين مصدق لهم ومكذب؛ والجميع راجعون إلى ربهم يوم القيامة، فيجازي كلًّا بعمله، إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًّا فشرًّا؛ ولهذا فمن آمن وعمل عملا صالحًا، فلا يضيع عمله، بل يشكر، فلا يظلم مثقال ذرة، فعمله مكتوب لا يضيع عليه منه شيء.

وكل قرية حكم الله وقدر بهلاكها فإن الله لا يوفقهم للتوبة والرجوع إلى الله، فلن تقبل أعمالهم وسيمضي فيهم قدر الله وقضاؤه، ومن أهلكهم الله لا يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة.

وقد جعل الله للساعة علامات تسبقها منها الصغرى ومنها الكبرى وقد جاء القرآن ببعضها، وأخبر الرسول ﷺ ببعضها ومنها خروج يأجوج ومأجوج وهم من سلالة آدم عليه السلام من نسل نوح عليه السلام، يفتح لهم سد ذي القرنين آخر الزمان فيخرجون من مكان مرتفع ومنخفض يسرعون في المشي إلى الفساد، وخروجهم يدل على اقتراب الساعة يوم تشخص أبصار الكفار فلا تكاد تطرف من شدة ذلك اليوم وهوله لما يشاهدونه من الأمور العظام، يقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة في الدنيا عن هذا اليوم العظيم، ويعترفون بظلمهم لأنفسهم حيث لا ينفعهم ذلك، وهم بعد هذا اليوم حطب جهنم هم وما يعبدون من الأصنام التي لو كانت آلهة على الحقيقة، ما دخل عابدوها النار، كلهم فيها خالدون، العابد والمعبودون.

لهم في النار أنين وتنفس شديد لا يسمع بعضهم زفير بعض لشدّة الهول، ولا يسمعون ما يسرهم، بل يسمعون ما يسوؤهم.

وأما السعداء الذين أحسنوا في العمل الصالح فلهم الجنة، وهم عن جهنم مبعدون لأنهم صاروا في الجنة، ونجاهم الله من النار نسأل الله الحسنى وزيادة لنا ووالدينا ووالديهم وأهلينا وذرياتنا والمسلمين.

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

سورة الحج

ترتيبها ٢٢ — آياتها ٧٨

أهل الإيمان والتقوى إذا نزلوا منازلهم في الجنة فهم في نعيم دائم، لا يسمعون حركة النار وصوتها وحركة أهلها، ولهم في الجنة ما تشتهيه الأنفس وتلذّ به الأعين، وهم فيها دائمون أبد الآباد لا يبغون عنها تحويلًا، لا تخيفهم أهوال يوم القيامة من البعث والحساب والعقاب، تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة يهنئونهم، ويقولون لهم هذا ما كنتم توعدون به في الدنيا وتبشرون بها فيه.

في ذلك اليوم العظيم تطوى السماء كطي الكتاب، فالله سبحانه يقبض الأرضين، وتكون السموات بيمينه، ويحشر الناس كما أخرجهم الله من بطون أمهاتهم حفاةً عراةً غرلًا بهمًا كما خلقهم أول مرة.

وقد قضى الله تعالى لعباده الصالحين، السعادة في الدنيا والآخرة، ووراثة الأرض في الدنيا والآخرة، كتب ذلك في الكتب المنزلة وفي اللوح المحفوظ، وفي القرآن العظيم الذي أنزله على عبده محمد ﷺ الذي فيه المنفعة والهداية والكفاية للذين عبدوا الله بما شرعه وأحبه ورضيه، وآثروا طاعة الله على طاعة الشيطان وشهوات أنفسهم.

وقد أرسل الله محمدًا ﷺ رحمة للعالمين، رحمة لهم كلهم، فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة، سعد في الدنيا والآخرة، ومن ردها وجحدها خسر في الدنيا والآخرة، فهو عليه الصلاة والسلام رحمة مهداة للمؤمنين والكافرين، من تبعه كان له رحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يتبعه عوفي مما كان يبتلى به سائر الأمم من الخسف والقذف، وأصل تلك الرحمة هو التوحيد والبراءة من الشرك، فقد بعث الله نبيه محمدًا ﷺ بالتوحيد وإفراد الله بالعبادة والنهي عن الشرك، فمن تولى عن التوحيد وأصر على الشرك، فليس له إلا العداوة والحرب في الدنيا، والعقوبة في الآخرة، وما وعد الله به أولياءه من ظهور الإسلام وعلوه فله يوم لا يعلمه إلا الله، ولكن المؤمن يوقن بنصر الله للمؤمنين قريبًا أم بعيدًا، والله يعلم ما يجاهر به الكفار من الكفر والطعن على الإسلام وأهله وما يكتمونه من ذلك ويخفونه، وإمهال الله للعباد فتنة لهم واختبارًا، ليرى كيف صنيعهم، وهذا المتاع إلى وقت مقدّر تقتضيه حكمة الله.

والله سبحانه هو الذي يفصل بين المؤمنين والمكذبين بالحق وهو المعين الذي يستعين به أهل الإيمان على أعدائهم وعلى ما يقولون ويفترون من الكذب، ويتنوعون في مقامات التكذيب والإفك.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ
عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ
أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ
سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ
٢ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ
شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ
وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي
رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ
مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ
وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ
طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ
وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ
بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا
ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥



سورة الحج

وهي سورة مكية غير ست آيات نزلت بالمدينة ، سميت بذلك لورود أحكام الحج فيها

هذه السورة من أعاجيب سور القرآن، لأن فيها مكيًا، ومدنيًا، وحضريًا، وسفريًا، وحربيًا، وسلميًا، وليليًا، ونهاريًا، وناسخًا، ومنسوخًا.

أمر الله الناس أن يعدوا عدتهم لليوم الآخر، ويتزودوا بالأعمال الصالحة، فإن زلزلة الساعة عظيمة حين ينفخ في الصور، وحين يخرج الناس من قبورهم، فمن شدة هول هذا اليوم تغفل الأم عن ولدها، والتي هي أشفق الناس عليه في الدنيا، وتضع الحوامل، ويشيب الولدان، والناس في هذا اليوم طائشة عقولهم كأنهم لا يعقلون من الخوف والفزع، قد غابت أذهانهم، لأن قيام الساعة أمر كبير، وخطب جليل، وطارق مفظع، وحادث هائل.

وهذا خبر صادق، ووعد قاطع، ولكن المكذبين بالبعث ينكرون ذلك، وينكرون قدرة الله على إحياء الموتى، قد أعرضوا عما أنزل الله على أنبيائه، ويتبعون كل شيطان مريد، من الإنس والجن، وهذا حال أهل الضلال والبدع، المعرضين عن الحق، المتبعين للباطل، يتركون ما أنزله الله على رسوله من الحق المبين، ويتبعون أقوال رؤوس الضلالة، الدعاة إلى البدع بالأهواء والآراء، بغير علم صحيح، وقد كتب الله وقضى على أتباع الشيطان، الضلال في الدنيا، وعذاب السعير في الآخرة، فمن كان في شك في أمر البعث فلينظر وليعتبر في خلق الإنسان وتطور مراحل خلقه التي تدل على قدرة الخالق، فالذي خلقهم أول مرة قادر على إعادتهم مرة أخرى، فإن الله خلق أصل آدم ﷺ من التراب، ثم جعل نسل آدم من سلالة من ماء مهين، من ماء الرجل وماء المرأة، فإذا استقرت النطفة في رحم المرأة، مكثت أربعين يومًا، ثم تنقلب علقة حمراء بإذن الله، فتمكث كذلك أربعين يومًا، ثم تستحيل فتصير قطعة من لحم لا شكل فيها ولا تخطيط، ثم يشرع في التشكيل والتخطيط، فيصور منها رأس ويدان، وصدر وبطن، وفخذان ورجلان، وسائر الأعضاء، فتارة تسقطها المرأة قبل التشكيل والتخطيط، وتارة تلقيها وقد صارت ذات شكل وتخطيط؛ وتارة تستقر في الرحم لا تلقيها المرأة ولا تسقطها، فإذا مضى عليها أربعون يومًا، وهي مضغة، أرسل الله تعالى إليها ملكًا فنفخ فيها الروح، وسواها كما يشاء الله ﷻ، من حسن وقبيح، وذكر وأنثى، وكتب رزقها وأجلها، وشقي أو سعيد، ثم يخرجه الله طفلًا ضعيفًا في بدنه، وسمعه وبصره وحواسه، وبطشه وعقله، ثم يعطيه الله القوة شيئًا فشيئًا، ويلطف به، ويحنن عليه والديه في آناء الليل وأطراف النهار؛ ثم يتكامل القوى ويتزايد، ويصل إلى عنفوان الشباب وحسن المنظر.

فمن الناس من يتوفاه الله في حال شبابه وقواه، ومنهم من يزاد له في العمر، فيصل إلى الشيخوخة والهرم وضعف القوة والعقل والفهم، وتناقص الأحوال من الخرف وضعف الفكر، ومن الدلائل الباهرة على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، إحياء الأرض الميتة الهامدة، التي لا نبت فيها ولا شيء فإذا أنزل الله عليها المطر تحركت وحييت بعد موتها، وارتفعت لما سكن فيها الثرى، ثم أنبتت ما فيها من الألوان والفنون، من ثمار وزروع، وأشتات النباتات في اختلاف ألوانها وطعومها، وروائحها وأشكالها ومنافعها؛ في أحسن منظر، وأطيب ريح.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾

الله سبحانه هو الخالق المدبر الفعال لما يشاء، وهو الذي يحيي الموتى كما يحيى الأرض الميتة لا يعجزه شي، وهو على كل شي قدير، قضى بفناء الخلائق وبعثتها ليوم النشور، فالساعة كائنة لا شك فيها ولا مرية، والله يعيد من في القبور بعدما صاروا في قبورهم رممًا، وترابًا.

وأما المنكرون للبعث فهم يتكلمون بلا عقل صحيح، ولا نقل صحيح صريح، بل بمجرد الرأي والهوى، وتلك حال الدعاة إلى الضلال من رءوس الكفر والبدع، والشهوات يستكبرون عن الحق إذا دعوا إليه، يغترون بثقافاتهم وأموالهم وسلطانهم وأشكالهم، فهم كالذي يلوي رقبته ويعرض استكبارًا، ويغتر بما يلبسه من اللباس وتلك طريقة أهل الضلالة والإفساد في كل عصر ومصر، تجدهم لا يقبلون الحق استكبارًا وعنادًا وعلوًا وغرورًا، هدفهم إضلال الخلق والإفساد في الأرض، والصد عن طريق الإسلام

فلهم في الدنيا الإهانة والذل، فكل من استكبر عن آيات الله جعل الله له المذلة في الدنيا، وعاقبه فيها قبل الآخرة؛ لأنها أكبر همه ومبلغ علمه، فهم من أجلها يعملون ويركضون، ويوم القيامة لهم العذاب الذي يحرقهم، ويقال لهم يوم القيامة تقريعًا وتوبيخًا: هذا بسبب إعراضكم، وبما قدمتموه في الدنيا.

ومن أصناف الناس من يدخل الإسلام على طرف، فإن وجد ما يحبه استقر، وإلا ارتد، وتلك حال المنافقين فهؤلاء خسروا الدنيا بفوات ما كانوا يؤملون، وخسروا الآخرة بذهاب الدين والخلود في النار، فهم فيها في غاية الشقاء والإهانة، وذلك هو الخسران الظاهر، حالتهم في الدنيا الإشراك بالله، يدعون من دون الله الأصنام والأنداد، ويستغيثون بها ويستنصرونها ويطلبون منها الرزق، وهي لا تنفعهم ولا تضرهم، ذلك هو الضلال البعيد عن الحق والرشد لأنهم دعوا من ضرره في الدنيا قبل الآخرة أقرب من نفعه فيها، وأما في الآخرة فضرره محقق متيقن، فهو بئس الولي والناصر، وبئس المخالط والمعاشر.

وأما حال الأبرار السعداء، من الذين آمنوا بقلوبهم، وصدقوا إيمانهم بأفعالهم، فعملوا الصالحات من جميع أنواع القربات، وتركوا المنكرات فأورثهم ذلك سكنى الدرجات العاليات، في روضات الجنات، وهو سبحانه يفعل ما يريد، أضل أولئك وهدى هؤلاء، وقد كتب الله النصر لأنبيائه وأتباعهم، فمن ظن أن الله ليس بناصر نبيه محمدًا وكتابه ودينه، فليذهب فليقتل نفسه، إن كان ذلك غائظه، لأن الله ناصره لا محالة، فمن يغيظه اليوم نصرة أهل الإسلام وعلوهم في الأرض فليبشر بالغيظ لأن الله ناصرهم ومؤيدهم وسيموت بغيظه لا محالة.

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يُرِيدُ
١٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ
وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١٧ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ
يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ
وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ
وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ١٨ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ
فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ
مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ
وَٱلۡجُلُودُ ٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ
أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ
٢٢ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ
أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣

ربع الحزب ٣٤

سَجۡدَة

أنزل الله القرآن هداية للبشرية، فيه آيات واضحات في لفظها ومعناها، حجة من الله على الناس، والله يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، لحكمته ورحمته وعدله، وعلمه وقهره وعظمته، له الحكمة التامة والحجة القاطعة في ذلك، ، لا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب.

هدى أهل الإيمان فأدخلهم رحمته وأضل أهل الأديان من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والمشركين وهو ﷺ يحكم بينهم بالعدل، فيدخل من آمن به الجنة، ومن كفر به النار، فإنه تعالى شهيد على أفعالهم، حفيظ لأقوالهم، عليم بسرائرهم، وما تكن ضمائرهم، خضع له كل شي وما من شي إلا يسبح له ويسجد لعظمته طوعًا وكرهًا، يسجد له من في السماوات ومن في الأرض، من الملائكة في أقطار السموات، والحيوانات في جميع الجهات، من الإنس والجن والدواب والطير، والشمس والقمر والنجوم، فما في السماء من نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع لله ساجدًا حين يغيب، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له، فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعه.

وأما الجبال والشجر فسجودهما بفيء ظلالهما عن اليمين والشمائل، وأهل الإيمان يسجدون لله خضوعًا وعبادة، وأما أهل الكفر فلا يسجدون لعنادهم واستكبارهم، ومن يذله الله بالكفر فلا يكرمه أحد، والله يكرم من يشاء ويهين من يشاء، فالسعادة والشقاوة بإرادته ومشيئته.

فالمؤمنون يريدون نصرة دين الله، والكافرون يريدون إطفاء نور الإيمان وخذلان الحق وظهور الباطل، فاختلفوا وتنازعوا، والله ناصر أولياءه وخاذل أعداءه، ولهم العذاب الأليم في الآخرة، يفصل لهم مقطعات من نحاس وهو أشد الأشياء حرارة إذا حمي، ويصب الماء الحار على رءوسهم، فينفذ إلى الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه، حتى يبلغ قدميه، وتتساقط جلودهم، ويضربون بسياط من حديد فيقع كل عضو على حياله، فيدعون بالثبور، وتقول لهم الملائكة ذوقوا العذاب المحرق الأليم.

وأما أهل الجنة من المؤمنين نسأل الله من فضله وكرمه أن يدخلنا الجنة ووالدينا والمسلمين، فلهم جنات تتخرق الأنهار في أكنافها وأرجائها وجوانبها، وتحت أشجارها وقصورها، يصرفونها حيث شاءوا وأين شاءوا، ويلبسون فيها من الحلية أنواعًا وأصنافًا، ومن أساور الذهب واللؤلؤ، ويلبسون الحلل من الحرير، إستبرقه وسندسه، ومن أصناف اللباس ما يتنعمون به نسأل الله ألا يحرمنا من ذلك ووالدينا وأهلينا وذرياتنا والمسلمين.

وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٥﴾ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾

هدى الله عباده المؤمنين إلى الحق والتوحيد، هداهم إلى الكلمة الطيبة كلمة التوحيد لا إله إلا الله، هداهم إلى الصراط المستقيم والمنهج القويم، الذي يكون فيه سعادتهم ونجاتهم من النار وفوزهم بالجنة التي يسمعون فيها الكلام الطيب، والتي يلقَّون فيها تحية وسلامًا، والتي يحمدون فيها ربهم، على ما أحسن إليهم وأنعم به وأسداه إليهم، يلهمون فيها التسبيح والتحميد، كما يلهمون النفس، والله سبحانه يفضل الأعمال بعضها على بعض والأشخاص بعضهم على بعض والأزمنة والأمكنة بعضها على بعض، ومن ذلك تشريف المسجد الحرام مكة عمرها الله بالإيمان، التي يستوي فيها من سكنها ومن جاء إليها من غير أهلها، فقد فضلها الله، بأن أوجب على المسلمين الحج إليها وزيارتها، وجعلها قبلة للمسلمين، وفضل الصلاة فيها والعمل الصالح فيها خير من العمل فيما سواها، والسيئة تعظم ولا تعدد، والهم في السيئة لا يكتب إلا في مكة، فمن هم بسيئة في الحرم كتبت عليه، ومن أعظم السيئات الشرك بالله والكفر، والصد عن سبيل الله، فقد طهر الله بيته الحرام وأعلم خليله بحدوده، وأمره أن يبنيه على أساس التوحيد، وأن يطهره من الشرك ووسائله، وأن يجعله بيت عبادة لمن أراد الطواف به والصلاة، والاعتكاف، وأمر الله خليله إبراهيم ﷺ بأن ينادي في الناس بالحج وقال له عليك النداء وعلينا البلاغ، فقام على مقامه، ، وقال يا أيها الناس، إن ربكم قد اتخذ بيتًا فحجوه، فتواضعت الجبال حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض، وأسمع الله من في الأرحام والأصلاب، وأجابه كل شيء سمعه من حجر ومدر وشجر، ومن كتب الله له أن يحج إلى يوم القيامة يقول لبيك اللهم لبيك، فآتاه الناس من كل مكان قريب أو بعيد ومن كل طريق على الإبل وعلى الأقدام وعلى البحار ومن الجو، يلبون نداء الله ويؤدون فريضة الله، فليس أحد من أهل الإسلام إلا وهو يحن إلى رؤية الكعبة والطواف، فالناس يقصدونها من سائر الجهات والأقطار.

فيشهدون منافع الدنيا والآخرة: أما منافع الآخرة فرضوان الله، وأما منافع الدنيا فما يصيبون من منافع البدن والربح والتجارات، فيذكرون الله في عشر ذي الحجة فيكثرون من التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير، ويؤدون فريضة الحج من الطواف والسعي والوقوف بعرفة والمبيت بمزدلفة ومنى ورمي الجمار، وفي يوم النحر يذبحون الهدي، ويضحي أهل الأمصار من المسلمين، يضحون من الإبل والبقر والغنم، يسمون عند ذبحها ونحرها، ويأكلون منها ويتصدقون منها على الفقراء، ويهدون منها إلى الأغنياء، ويتحلل الحجاج من حجهم ويلقون ما أصابهم من مشقة السفر وما يلحق الإنسان من طول الشعر والظفر، ويتطهرون، ويتمون ما أوجبه الله عليهم من مناسك الحج، وما أوجبوه على أنفسهم من الصالحات، ثم يطوفون بالبيت العتيق طواف الإفاضة وهو طواف الحج، مع ما يقوم في قلب المسلم من تعظيم لمناسك الحج وتأديتها بكل إخلاص ومتابعة، وتعظيم لحدود الله باجتنابها والبعد عن ارتكابها، فإن ذلك هو الخير للمسلم في الدنيا والآخرة، وقد أحل الله الأنعام لعباده وهي الإبل والبقر والغنم، ولم يحرم عليهم إلا الميتة، فيجتنبها المسلم لأنها نجسة، ويجتنب عبادة الأوثان لأنها رجس، وسبب للرجس، وهو العذاب، ويجتنب المسلم الكذب والبهتان.

حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ
﴿٣١﴾ ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ
﴿٣٢﴾ لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ
ٱلۡعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ
ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ
فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ
قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا
رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ
ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتۡ
جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا
لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا
وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ
ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۞إِنَّ ٱللَّهَ
يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

نصف الحزب ٣٤

أمر الله عباده بإخلاص العمل ونبذ الشرك، والانحراف عن الباطل قصدًا إلى الحق؛ فإن المشرك في ضلاله وهلاكه وبعده عن الهدى، مثل من يسقط من السماء فتقطعه الطيور في الهواء، أو تميل به الريح وتذهب به في مكان بعيد مهلك؛ فبعد من أشرك من الحق كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير، أو هوت به الريح، فلا يوصل إليه بحال، والمشرك لا يملك لنفسه حيلة كمن يقع من السماء، وأعمال الكفار تذهب وتبطل فلا يقدرون على شيء منها، كمن سقط من السماء فقطعته الطير أو وقع في مكان بعيد، وأما المؤمن الموحد المعظم لأوامر الله، فإنه يقف عند حدود الله، ويجتنب نواهيه، ويقوم بالواجب كما أمر، ومن ذلك اختيار الهدايا والبدن، من أطيب أنواعها، وأكرم أصنافها، فلا يخرج ذات العيب، ينتفع من الأنعام من لبنها، وصوفها وأوبارها وأشعارها، وركوبها، يأكل ويضحي ويهدي، ومنتهى الهدي ومحله إلى الكعبة، وقد جعل الله لكل أهل دين من الأديان ذبحًا يذبحونه، ودمًا يريقونه، ومتعبدًا، وطاعة، وعيدًا، وحجًّا، ليذكروا اسم الله وحده، ويجعلوا نسكهم خاصًا به، فلا يذبح إلا لله وحده لا شريك، ولا يذكر إلا اسم الله تعالى، تحقيقًا للتوحيد، وإخلاصًا لله بالعبادة، واستسلامًا لله تعالى، خشوعًا وخضوعًا وتذللًا، وتواضعًا، ورضًا بقضاء الله، والمؤمن الموحد الخاشع المطمئن بذكر الله، الخائف من ربه، الصابر على ما أصابه من مصائب الدنيا، المقيم الصلاة بشروطها وأركانها وواجباتها وسننها، والمنفق ابتغاء وجه الله تعالى، له الأجر العظيم والجزاء الجزيل، وقد جعل الله البدن -وهي الإبل سميت بذلك لعظمها وضخامتها- من أعلام دينه، وسميت شعائر لأنها تشعر، وهو أنها تطعن بحديدة في سنامها فيعلم أنها هدي وهي تهدى إلى بيت الله الحرام، وهي أفضل ما يهدى، فيها ثواب في الدار الآخرة، ومنافع في الدنيا، وأمر الله بذكره عند نحرها، وتكون قائمة على ثلاث قوائم قد صفت رجليها وإحدى يديها، ويدها اليسرى معقولة، فإذا سقطت جوانبها بعد سلخها، فيؤكل منها، ويطعم منها المتعفف والسائل، ومن نعم الله على عباده التي تستوجب الشكر، أن جعل البدن منقادة للناس، خاضعة لهم، إن شاءوا ركبوها، وإن شاءوا حلبوها، وإن شاءوا ذبحوها، ولن يرفع إلى الله لحومها ولا دماؤها، ولكن ترفع إليه من العباد الأعمال الصالحة والتقوى، والإخلاص، فالله سخرها لعباده، ليحققوا التوحيد ويحسنوا في العمل، ويشكروا ربهم على ما أرشدهم لمعالم دينه ومناسك حجه، والبشرى بالجنة في الآخرة للموحدين الصادقين، وأما في الدنيا فإن الله يدفع عن عباده الذين توكلوا عليه وأنابوا إليه شر الأشرار وكيد الفجار، ويحفظهم ويكلؤهم وينصرهم، والله لا يحب الخائن للعهود والمواثيق، ولا يحب الجاحد للنعم.

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوۡمُ إِبۡرَٰهِيمَ وَقَوۡمُ لُوطٖ ﴿٤٣﴾ وَأَصۡحَٰبُ مَدۡيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

كان المشركون في مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ بألسنتهم وأيديهم، فيشكون ذلك إلى رسول الله ﷺ فيقول لهم: اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال حتى هاجر، فأنزل الله سبحانه الإذن لهم بالقتال بالمدينة، بسبب ما ظُلموا واعتدي عليهم بالإيذاء، والله قادر على نصر عباده المؤمنين من غير قتال، ولكن أراد من عباده أن يبلوا جهدهم في طاعته، فأمرهم بالجهاد؛ لأنهم أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، ولولا أن الله يدفع عن قوم بقوم، ويكشف شر أناس عن غيرهم، بما يخلقه ويقدره من الأسباب، لفسدت الأرض، وأهلك القوي الضعيف، ولهدمت صوامع الرهبان وبيع النصارى وصلوات اليهود، وهي كنائسهم، ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيرًا، والله سبحانه ناصر أولياءه المؤمنين، الذين ينصرون الله بامتثال طاعته واجتناب معصيته والله هو القوي العزيز، فبقوته خلق كل شيء فقدره تقديرًا، وبعزته لا يقهره قاهر، ولا يغلبه غالب، بل كل شيء ذليل لديه، فقير إليه، ومن كان القوي العزيز ناصره فهو المنصور، وعدوه هو المقهور، فنصر الله لا يتنزل إلا على من ينصر الإسلام في نفسه، فيقيم الصلاة ويخرج الزكاة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فحينئذ تكون العاقبة لهم على أعدائهم، وثوابهم وجزاؤهم عند الله تعالى في الدار الآخرة، والرفعة في الدنيا، وأما المكذبون للرسل فمآلهم الى إلخسران، وإن أمهلهم الله فإن الله لا يهمل، وإن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، وقد أهلك الله قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين بكفرهم وعنادهم وظلمهم، فتركوا مساكنهم وآبارهم وقصورهم، فلم يمنعهم من العذاب القصور المشيدة ولا الحصون المنيعة.

والواجب الاتعاظ والاعتبار بما جرى لهذه الأمم من النكال وما وقع عليهم من العذاب، فينظر المسلم آثار تلك الأمم، وما حل بهم من النقم والنكال فيعتبر ويتعظ، فإن العمى، ليس عمى البصر، وإنما العمى عمى البصيرة، وإن كانت القوة الباصرة سليمة فإنها لا تنفذ إلى العبر، ولا تدري ما الخبر، فالبصر الظاهر بلغة ومتعة، وبصر القلب هو البصر النافع، فمصارع الغابرين، تتحدث بالعبر، وتنطق بالعظات، وآثار الماضين من الدور المهدمة والآبار المعطلة والقصور الموحشة تحذر من نزول العقوبات ووقوع المثلات، فيدرك العقل الذي في القلب أن سنة الله باقية فيمن كذب وأبى.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

طريق المكذبين في كل حين، أنهم يرون هلاك الظالمين، يسمعون أخبارهم ويعلمون نهايتهم، فيسلكون طريقهم ويطغى بهم العناد والاستكبار والغرور حين يُملي لهم الله على سبيل الامتحان، فيستعجلون ما يوعدون، ولكن العذاب آت لا محالة في موعده الذي أراده الله وقدره وفق حكمته، وهو ﷻ لا يعجل، فإن مقدار ألف سنة عند خلقه كيوم واحد عنده بالنسبة إلى حكمه، لعلمه بأنه على الانتقام قادر، وأنه لا يفوته شيء، وإن أجل وأنظر وأملى، ولقد أملى الله لكثير من تلك الأمم الهالكة، فلم يكن إملاء الله منجيًا لها من العقوبة، والرسل مبلغون عن رب العالمين أرسلهم الله إلى العباد ينذرونهم بين يدي عذاب شديد، وليس إليهم حساب البشر، وإنما أمر البشر إلى الله، إن شاء عجَّل لهم العذاب، وإن شاء أخَّره عنهم، وإن شاء تاب على من يتوب إليه منهم، وإن شاء أضل من كتب عليه الشقاوة منهم، وهو الفعال لما يشاء ويريد ويختار، ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب، فالذين آمنت قلوبهم وصدقوا إيمانهم بأعمالهم، لهم مغفرة لما سلف من سيئاتهم، ومجازاتهم على القليل من حسناتهم بالكثير، ولهم الرزق الكريم وهو الجنة، وأما الذين يصدون عن سبيل الله ويثبطون الناس عن متابعة النبي ﷺ، فلهم النار الحارة الموجعة الشديد عذابها ونكالها، أجارنا الله منها، والشيطان عدو الرسل والأنبياء والمؤمنين، وما أرسل الله من رسول ولا نبي إلا إذا قرأ كتاب الله ألقى الشيطان في قراءته الوساوس والشبهات؛ ليصدَّ الناس عن اتباع ما يقرؤه ويتلونه من الحق، لكن الله يبطل كيد الشيطان، ويزيل وساوسه، ويثبت آياته البينات، والله عليم بمن يتبع الشيطان، لا تخفى عليه خافية، حكيم في تقديره وأمره، فإنه ﷻ جعل وساوس الشيطان امتحانًا للذين في قلوبهم شك ونفاق، وللمشركين الذين لا يؤثِّرُ فيهم واعظ ولا زاجر لقساوة قلوبهم وبعدها عن الحق، وهم أعداء لله ورسوله فهم في عناد ومكابرة وصد للحق، وأما الذين أوتوا العلم النافع الذي يفرقون به بين الحق والباطل، فيعلمون أن ما أنزل على الرسول ﷺ هو الحق من ربه، أنزله بعلمه وحفظه وحرسه أن يختلط به غيره، بل هو كتاب حكيم، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فيصدقوه وينقادوا له، فتخضع قلوبهم وتذل له، والله هو الذي هداهم لهذا، وما كانوا ليهتدوا لولا أن هداهم الله، أما في الدنيا فيرشدهم الله إلى الحق واتباعه، ويوفقهم لمخالفة الباطل واجتنابه، وفي الآخرة يهديهم إلى الصراط المستقيم، الموصل إلى درجات الجنات، ويزحزحهم عن العذاب الأليم والدركات، والكفار لا يزالون في شك وريب من هذا القرآن، حتى تأتيهم الساعة فجأة، أو يأتيهم العذاب في يوم لا مثيل له، وما أخذ الله قومًا إلا عند سكرتهم وغرتهم.

ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦٤﴾



الملك يوم القيامة لله يحكم بين عباده، فالذين آمنت قلوبهم، وصدقوا بالله ورسوله، وعملوا بمقتضى ما علموا، وتوافقت قلوبهم وأقوالهم وأعمالهم، لهم النعيم المقيم، الذي لا يحول ولا يزول ولا يبيد.

والذين كفرت قلوبهم بالحق، وجحدوا به، وكذبوا به، وخالفوا الرسل، واستكبروا عن اتباعهم فلهم العذاب الذي يهينهم ويذلهم مقابل استكبارهم وإعراضهم عن الحق، وأما من خرج مهاجرًا في سبيل الله ابتغاء مرضاته، وطلبًا لما عنده، وترك الأوطان والأهل والأولاد، وفارق بلاده في الله ورسوله، ونصرة لدين الله، ثم قتل في الجهاد، أو مات من غير قتال على فراشه، فقد حصل على الأجر الجزيل، والثناء الجميل، وسيجري الله عليه من فضله ورزقه من الجنة ما تقر به عينه، والله خير الرازقين، يرزق عباده الجنة، ويحل عليهم رضوانه، ويرضي أولياءه وهو سبحانه العليم بمن يهاجر ويجاهد في سبيله وبمن يستحق ذلك، وهو سبحانه يحلم عن عباده ويصفح ويغفر لهم الذنوب ويكفرها عنهم بهجرتهم إليه، وتوكلهم عليه، وأما من قتل في سبيل الله من مهاجر أو غير مهاجر، فإنه حي عند ربه يرزق، فرح بأجره وبثواب الله له، والله ينتصر لأوليائه، وينصرهم على من ظلمهم واعتدى عليهم، والله عفو عن عباده المؤمنين، وغفور لذنوبهم.

والله تعالى هو الخالق المتصرف في خلقه بما يشاء، يدخل الليل في النهار ويدخل النهار في الليل، فتارة يطول الليل ويقصر النهار، كما في الشتاء، وتارة يطول النهار ويقصر الليل، كما في الصيف.

والله سميع بأقوال عباده، بصير بهم، لا يخفى عليه منهم خافية في أحوالهم وحركاتهم وسكناتهم، وهو الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له؛ لأنه ذو السلطان العظيم، الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وكل شيء فقير إليه، ذليل لديه، وكل ما عبد من دونه تعالى فهو باطل من الأصنام والأنداد والأوثان؛ لأنه لا يملك ضرًا ولا نفعًا.

وهو العلي الكبير فكل شيء تحت قهره وسلطانه وعظمته، لا إله إلا هو، ولا رب سواه؛ لأنه العظيم الذي لا أعظم منه، العلي الذي لا أعلى منه، الكبير الذي لا أكبر منه، تعالى وتقدس وتنزه، عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا، ومن الدلائل على قدرته وعظيم سلطانه إرساله الرياح، فتثير سحابًا فيمطر على الأرض التي لا نبات فيها، هامدة يابسة سوداء فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأصبحت خضراء بعد يبسها ومحولها.

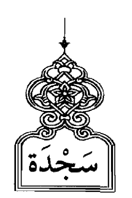
والله لطيف خبير عليم بما في أرجاء الأرض وأقطارها وأجزائها من الحب وإن صغر، لا تخفى عليه خافية، فيوصل إلى كل منه ما يحتاجه من الماء فينبته به، الجميع ملكه، وهو الغني عما سواه، وكل شيء فقير إليه، عبد لديه.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ
بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓۗ إِنَّ
ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحْيَاكُمْ
ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾
لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ
فِي ٱلْأَمْرِۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾
وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ
فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ
مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِي
وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمُنكَرَۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ
بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَاۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن
ذَٰلِكُمُۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

سخر الله لعباده ما في الأرض من حيوان، وجماد، وزروع وثمار، إحسانًا وفضلًا وامتنانًا، وسخر الفلك تجري في البحر بتسخيره وتسييره، تجري بأهلها بريح طيبة، ورفق وتؤدة، فيحملون فيها ما شاءوا من تجارة وبضائع ومنافع، من بلد إلى بلد، ومن قطر إلى قطر.

ومن تسخيره إمساكه السماء أن تقع على الأرض، ولو شاء لأذن للسماء فسقطت على الأرض، فهلك من فيها، ولكن من لطفه ورحمته وقدرته يمسك السماء أن تقع على الأرض وهو الرءوف الرحيم بعباده مع ظلمهم، فكيف يجعل العباد مع الله أندادًا ويعبدون معه غيره، وهو سبحانه المتفرد بالخلق والرزق والتصرف، فهو الذي خلقهم بعد أن لم يكونوا شيئًا يذكر، فأوجدهم، ثم يميتهم ثم يحييهم يوم القيامة، ولكن الإنسان جحود لنعم ربه، وقد جعل الله لكل قوم شريعة يعملون بها، يتبعون بذلك نبيهم، وهذه الأمة المحمدية تتبع في شريعتها سنة محمد ﷺ، فلا يلتفت المسلم لكل ما خالف هديه عليه الصلاة والسلام، ممن ينازع شرع الله ويحاد الله ورسوله، فإن الحق في اتباع شريعة محمد عليه الصلاة والسلام، فإليها يدعو المسلم فهي الطريق الواضح المستقيم الموصل إلى المقصود، فمن جادل في شريعة محمد عليه الصلاة والسلام بلا علم، فإن الله عليم بمكره وخبث طويته، وهو سبحانه الذي يحكم بين أوليائه وأعدائه فيما اختلفوا فيه في يوم القيامة حين تظهر الحقائق وتبلى السرائر، حين تفنى اللذات، وتذهب زهرة الدنيا من المال والجاه والسلطان، والله يعلم ما في السماء والأرض، لكمال علمه بخلقه، وهو المحيط بما في السموات وما في الأرض، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، علم الكائنات كلها قبل وجودها، وكتب ذلك في كتابه اللوح المحفوظ، فما العباد عاملون قد علمه تعالى قبل ذلك، على الوجه الذي يفعلونه، فيعلم قبل الخلق أن هذا يطيع باختياره، وهذا يعصي باختياره، وكتب ذلك عنده، وأحاط بكل شيء علمًا، وهو سهل عليه، يسير لديه؛ يعلم إيمان المؤمنين، وشرك المشركين، فالمشركون الذين أشركوا مع الله غيره بلا حجة ولا برهان، وإنما تلقوه عن آبائهم وأسلافهم بلا دليل ولا حجة، وأصله مما سول لهم الشيطان وزينه لهم، فما لهم من ناصر ينصرهم من الله فيما يحل بهم من العذاب والنكال، وإذا ذكرت لهم آيات القرآن والحجج والدلائل على توحيد الله، وأنه لا إله إلا هو، وأن رسله الكرام حق وصدق، أنكروا على من يدعوهم إلى التوحيد، وبسطوا إليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء، فإن موعدهم النار وعذابها ونكالها وهي أشد وأشق وأعظم مما يخوفون به أولياء الله المؤمنين في الدنيا، وعذاب الآخرة أعظم مما ينالون منهم، وبئس النار منزلًا ومقيلًا ومرجعًا وموئلًا ومقامًا.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ
تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ
وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ
ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ
ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ
رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٧٥﴾ يَعۡلَمُ
مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٧٦﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ
رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ﴿٧٧﴾



وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ
عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ
ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ
وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ المُؤۡمِنُونَ

ترتيبها ٢٣ — آياتها ١١٨

ضرب الله مثالًا لما يعبده الجاهلون بالله المشركون به: إن الذين يدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمع جميع ما يعبدون من الأصنام والأنداد على خلق ذبابة واحدة ما قدروا على ذلك، بل الأمر أبلغ من ذلك فهم عاجزون عن مقاومته والانتصار منه، لو سلبها شيئًا من الذي عليها من الطيب، ثم أرادت أن تستنقذه منه لما قدرت على ذلك، هذا والذباب، من أضعف مخلوقات الله وأحقرها، ضعف الطالب وهو الصنم، والمطلوب الذباب فهم ما عرفوا قدر الله وعظمته حين عبدوا معه غيره، من هذه الأصنام التي لا تقاوم الذباب لضعفها وعجزها، والله القوي الذي بقدرته وقوته خلق كل شيء، وهو العزيز قهر كل شيء وغلبه، فلا يمانع ولا يغالب، لعظمته وسلطانه، وهو الواحد القهار.

والله ﷻ يختار من الملائكة رسلًا فيما يشاء من شرعه وقدره، ومن الناس لإبلاغ رسالاته، والله سميع لأقوال عباده، بصير بهم، عليم بمن يستحق ذلك منهم، يعلم ما يفعل برسله فيما أرسلهم به، فلا يخفى عليه من أمورهم شيء، فهو سبحانه رقيب عليهم، شهيد على ما يقال لهم، حافظ لهم، ناصر لجنابهم.

وقد أمر الله عباده بالصلاة لأنها هي النور والنجاة والبرهان يوم القيامة، أمرهم أن يصلوا جميعًا، لأن صلاة الجماعة واجبة، والصلاة مشتملة على الركوع والسجود، وأمرهم بإخلاص أعمالهم لله تعالى لأن العمل لا يقبل بدون إخلاص ومتابعة، وأمر الله عباده بفعل خصال الخير من صلة الرحم ومكارم الأخلاق، لكي يسعدوا ويفوزوا بالجنة، وأمرهم بمجاهدة أنفسهم في فعل الخير، وأمرهم بالجهاد بأموالهم وألسنتهم وأنفسهم، فهو ﷻ اصطفى هذه الأمة، واختارها على سائر الأمم، وفضلها وشرفها وخصها بأكرم رسول، وأكمل شرع، وشرع لهم من الدين ما يطيقون، ولم يكلفهم فوق طاقتهم، ويسر لهم في أحكام الدين، فدين الإسلام دين الحنيفية السمحة، ملة إبراهيم التوحيد الخالص، وقد أثنى الله على هذه الأمة في سالف الدهر وقديم الزمان في كتب الأنبياء تتلى على الأحبار والرهبان، فسماهم المسلمين من قبل هذا القرآن وفي القرآن، وهذه الأمة هي الشاهدة للأنبياء بالبلاغ، وشاهدة على الأمم، والرسول ﷺ يشهد على هذه الأمة أنه بلغها دين الله، فالواجب مقابلة هذه النعمة العظيمة بالقيام بشكرها، وأداء حق الله في أداء ما افترض، وطاعة ما أوجب، وترك ما حرم، ومن أهم ذلك إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وهو الإحسان إلى خلق الله، بما أوجب للفقير على الغني، والاعتصام بالله والالتجاء به والاستعانة به، والتوكل عليه، فهو سبحانه مولى المؤمنين وحافظهم وناصرهم على أعدائهم، فنعم الولي ونعم الناصر على الأعداء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾
وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ
فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ
أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾
فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ
لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ
ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن
سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ
خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا
ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ
لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ
خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾



سورة المؤمنون

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر صفات المؤمنين فيها

كتب الله الفوز والسعادة في الدارين للمؤمنين الصادقين، الذين يخشعون في صلاتهم، ويخافون ربهم من فوقهم، ويستشعرون وقوفهم بين يدي الله في الصلاة، خشعت قلوبهم قبل جوارحهم، فغضوا بذلك أبصارهم، فوجدوا الراحة والطمأنينة، وقرة العين في الصلاة، وهم في غير الصلاة معرضون عن الباطل، وأعظمه الشرك بالله، وكل ما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال، يزكون أنفسهم من الشرك ودنس المعاصي، ويخرجون زكاة أموالهم طيبة بها نفوسهم، يرونها مغنمًا، وطهرة لأموالهم، ويحفظون فروجهم من الحرام، فلم يقعوا فيما نهاهم الله عنه من زنًا أو لواط، ولا يقربون سوى أزواجهم اللاتي أحلهن الله لهم، وما ملكت أيمانهم من السراري، ومن فعل ما أحله الله له فلا لوم عليه ولا حرج؛ ومن تعدى إلى غير الأزواج والإماء، فهو من المعتدين، والمؤمنون إذا اؤتمنوا لم يخونوا، بل يؤدوا الأمانة إلى أهلها، وإذا عاهدوا أو عاقدوا أوفوا بعهودهم وعقودهم، والمؤمنون يواظبون على الصلاة في مواقيتها لا يؤخرونها حتى يخرج وقتها، ولا يتعمدون النوم عن الصلاة، ولا يشغلهم شيء عنها، تلك صفات المؤمنين الحميدة وأفعالهم الرشيدة، كانت لهم طريقٌ إلى الجنة، فما من عبد إلا وله منزلان: منزل في الجنة، ومنزل في النار، فأما المؤمن فيبني بيته الذي في الجنة، ويهدم بيته الذي في النار، وأما الكافر فيهدم بيته الذي في الجنة، ويبني بيته الذي في النار، فالمؤمنون يرثون منازل الكفار؛ لأنهم كلهم خلقوا لعبادة الله تعالى، فلما قام المؤمنون بما أوجب الله عليهم من العبادة، وترك الكفار ما أمروا به مما خلقوا له ورث المؤمنون نصيبهم.

وقد خلق الله الإنسان من صلصال من حمأ مسنون، وهو آدم ﷺ فخلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأسود والأبيض، وبين ذلك، والخبيث والطيب، وبين ذلك، ثم جعل نسل آدم يخلقون من ماء الرجل وماء المرأة فأول ما يكون نطفة تكون في الرحم إلى مدة ثم تصير علقة حمراء وهي دم، ثم تكون العلقة مضغة وهي قطعة كالبضعة من اللحم، لا شكل فيها ولا تخطيط، ثم تكون المضغة عظامًا فتشكل وتخلق ذات رأس ويدين ورجلين بعظامها وعصبها وعروقها فيجعل عليها من اللحم ما يستره ويشده ويقويه، ثم ينفخ فيه الروح، فيتحرك ويصير خلقًا آخر ذا سمع وبصر وإدراك وحركة واضطراب فينقله من حال إلى حال، إلى أن يخرج طفلًا ثم ينشأ صغيرًا، ثم يبلغ، ثم يكون شابًا، ثم كهلًا ثم شيخًا، ثم هرمًا.

فتعالى شأنُه في علمه الشَّامل وقُدرته الباهرة، فهو أحسن المصورين والمقدرين، خلق عباده وأوجدهم ثم يميتهم ثم يبعثهم يوم القيامة، وخلق السموات السبع، وخَلْق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس، خلقهن سبع سماوات بعضها فوق بعض ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن، حفظًا للعباد وتيسيرًا لمعاشهم.

وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

من نعم الله على عباده التي لا تعد ولا تحصى، إنزاله القطر من السماء، وإنزاله بحسب الحاجة، لا كثيرًا فيفسد الأرض والعمران، ولا قليلًا فلا يكفي الزروع والثمار، بل بقدر الحاجة إليه من السقي والشرب والانتفاع به، حتى إن الأرض التي تحتاج إلى ماء كثير لزرعها ولا تحتمل إنزال المطر عليها، يسوق إليها الماء من بلاد أخرى، ومن نعمه أن جعل الماء إذا نزل من السحاب يخلد في الأرض، وجعل في الأرض قابلية له، تشربه ويتغذى به ما فيها من الحب والنوى، ولو شاء الله ألا تمطر لفعل، ولو شاء لصرفه عن الناس إلى السباخ والبراري والبحار والقفار لفعل، ولو شاء لجعله أجاجًا لا ينتفع به لشرب ولا لسقي لفعل، ولو شاء لجعله لا ينزل في الأرض، بل يكون على وجهها لفعل، ولو شاء لجعله إذا نزل في الأرض يغور إلى مدى لا يصل إليه الناس ولا ينتفعون به لفعل، ولكن بلطفه ورحمته ينزل عليهم الماء من السحاب عذبًا فراتًا زلالًا فيسكنه في الأرض ويسلكه ينابيع في الأرض، فيفتح العيون والأنهار، فيسقي به الزروع والثمار، ويشربون منه وتشرب دوابهم وأنعامهم، ويغتسلون منه ويتطهرون ويخرج به بساتين وحدائق ذات منظر حسن، فيها نخيل وأعناب، ومن جميع الثمار، ينظر العباد إلى حسنه ونضجه، ومنه يأكلون، وشجرة الزيتون شجرة تخرج من جبل الطور، وهو طور سيناء، وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى بن عمران ﷺ، وما حوله من الجبال التي فيها شجر الزيتون، تلك الشجرة تخرج بالدهن، وأدم للآكلين، والأنعام خلق الله فيها من المنافع، يشرب العباد من ألبانها الخارجة من بين فرث ودم، ويأكلون من نسلها، ويلبسون من أصوافها وأوبارها وأشعارها، ويركبون ظهورها ويحملون عليها الأحمال الثقال إلى البلاد النائية عنهم، كما يحملون على السفن في البحار، وقد أرسل الله نوحًا ﷺ إلى قومه، لينذرهم عذاب الله وبأسه الشديد، وانتقامه ممن أشرك به وخالف أمره وكذب رسله، فأمرهم بالتوحيد ونبذ الشرك، فقال السادة والأكابر من قومه، ما هو إلا بشر يريد أن يترفع عليكم ويتعاظم بدعوى النبوة، ولو أراد الله أن يبعث نبيًّا، لبعث ملكًا من عنده وما سمعنا ببعثة البشر في أسلافنا وأجدادنا والأمم الماضية، وما هو إلا مجنون فيما يزعمه من أن الله أرسله إليكم، فانتظروا به ريب المنون، واصبروا عليه مدة حتى تستريحوا منه، فلما رأى نوح ﷺ عنادهم واستكبارهم وكفرهم، ومكث فيهم تسعمائة وخمسين عامًا يدعوهم إلى التوحيد، دعا ربه يستنصره على قومه، عند ذلك أمره الله تعالى بصنع السفينة وإحكامها وإتقانها، وأن يحمل فيها من كل زوجين اثنين، من ذكر وأنثى، من كل صنف من الحيوانات والنباتات والثمار وغير ذلك، وأن يحمل فيها أهله إلا من سبق فيه القول من الله بالهلاك، وهم الذين لم يؤمنوا به من أهله، كابنه وزوجته، وأمره الله عند معاينة إنزال المطر العظيم، ألا تأخذه رأفة بقومه، وشفقة عليهم، وألا يطمع في إيمانهم، فإن الله قد قضى بإغراقهم على ما هم عليه من الكفر والطغيان.

فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾

ربع الحزب ٣٥

أمر الله نبيه نوحًا ﷺ إذا نزل العذاب بقومه، واستوى على الفلك هو ومن آمن معه أن يقول الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين، وتلك دعوة المؤمنين، وأمره الله عند انتهاء سيره، وعند نزوله أن يقول قل رب أنزلني منزلًا مباركًا وأنت خير المنزلين، والله خير الحافظين لعباده ينزلهم المنازل، ويبارك لهم فيها ويحفظهم بها.

وأنجى الله المؤمنين وأغرق الكافرين وكانت آية من آيات الله، وعظة وعبرة لجميع الأمم والأجيال، فقد كانت قصة قوم نوح ﷺ، مثالًا في صبر النبي ﷺ، ومثالًا للتكذيب والصدود والإعراض، ومثالًا لنهاية الشرك بالله، وما كان إرسال نوح ﷺ ووعظه وتذكيره إلا اختبارًا لقومه، ليرى ما هم عاملون قبل نزول العذاب بهم، ولتقوم عليهم الحجة.

ثم بعد قوم نوح، قوم عاد،؛ أرسل الله فيهم هودًا ﷺ رسولًا منهم، فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فأمرهم بالتوحيد ونهاهم عن الإشراك بالله، فكذبوه وخالفوه، وأبوا اتباعه لكونه بشرًا مثلهم، فكذبوا بلقاء الله في القيامة، وأنكروا المعاد والبعث بعد الموت وقال أشرافهم وقادتهم، الذين كذبوا بما في الآخرة من الحساب والعقاب، وكذبوا بالبعث، وقد وسع الله عليهم من نعم الدنيا فبطروا بسبب ما صاروا فيه من كثرة الأموال ورفاهة العيش، كيف تطيعون من يساويكم في البشرية، وفي الأكل والشرب، وهذا يستلزم أنه لا فضل له عليهم، فالخسارة في اتباعه وترك الآلهة، فجعلوا اتباع الرَّسول الحق الذي يوصلهم إلى سعادة الدارين خُسرانًا دُون عبادةِ الأصنامِ التي لا خُسرانَ وراءها قاتلهم الله أَنَّى يُؤفكون، فأرسل الله عليهم الريح العقيم فجعلتهم كالرميم.

ومن بعدهم ثمود كذبوا رسولهم صالحًا ﷺ وكفروا بالله وقالوا إنه كاذب فيما جاءكم به من الرسالة والنذارة والإخبار بالمعاد، فاستفتح عليهم الرسول واستنصر ربه عليهم، عند يأسه من إيمانهم بعدما سلك في دعوتهم كل مسلك فأجاب الله دعاءه ووعده بهلاكهم فأهلكوا بالصيحة، وكانوا يستحقون ذلك، فجعلتهم الصيحة صرعى هلكى كغثاء السيل فأبعد الله القوم الظالمين أنفسهم بالشرك وأهلكهم.

وخلق الله الأمم والخلائق بعدهم، وأنعم عليهم بالنعم المتتابعة، وأرسل إليهم الرسل فكذبوا وكفروا، وجحدوا نعم ربهم، فأصابهم ما أصاب الأمم قبلهم، وتلك سنة الله في المكذبين المعاندين، ينزل عليهم عذابه وسطوته، وتلك سنة الله في الموحدين ينزل عليهم نصره وتأييده وحفظه.

مَا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۖ فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضٗا وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَۚ فَبُعۡدٗا لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾

جعل الله لكل أمة أجلًا لا يستأخرون عنه ولا يستقدمون، بل يؤخذون حسب ما قدر لهم الله تعالى في كتابه المحفوظ وعلمه قبل كونهم، أمة بعد أمة، وقرنًا بعد قرن، وجيلًا بعد جيل، وخلفًا بعد سلف، وقد أرسل الله الرسل يتبع بعضهم بعضًا لكل أمة رسول أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت، فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة، فكلما جاء أمة رسولها كذبوه وكفروا بالله فأهلكهم الله، حتى صاروا بعد الهلاك أخبارًا وأحاديث للناس يتناقلونها بينهم، وبعث الله رسوله موسى ﷺ وأخاه هارون إلى فرعون وملئه بالآيات والحجج والبراهين القاطعات، فكفر فرعون وقومه واستكبروا عن اتباعهما، والانقياد لأمرهما، لكونهما بشرين كما أنكرت الأمم الماضية بعثة الرسل من البشر، تشابهت قلوبهم، فأهلك الله فرعون وملأه، وأغرقهم في يوم واحد أجمعين، وأنزل على موسى ﷺ التوراة، فيها أحكامه وأوامره ونواهيه، وذلك بعد أن أهلك الله فرعون والقبط، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر؛ وبعد أن أنزل الله التوراة لم يهلك أمة بعامة، بل أُمِر المؤمنونِ بقتال الكافرين، وقد جعل الله قصة عبده ورسوله عيسى ابن مريم وأمه عليهما السلام حجة قاطعة على قدرته على ما يشاء، فإنه خلق آدم من غير أب ولا أم، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق بقية الناس من ذكر وأنثى، وأوحى الله لمريم أن تنفرد في مكان مرتفع وماء ظاهر جارٍ في بيت المقدس حين اقترب مخاضها لتلد عيسى في معزل من الناس حفظًا لعيسى من أذاهم، وأمر الله عباده المرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين بالأكل من الحلال، والقيام بالصالح من الأعمال، فدل هذا على أن الحلال عون على العمل الصالح، وأن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، وأن أكل الحلال سبب لإجابة الدعاء، وأما من مطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، لا يستجاب له، ويتورع المسلم عن المشتبه؛ لأن المشتبه طريق للحرام، ودين الأنبياء واحد، وملتهم واحدة، وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له؛ وإن الذين تفرقوا واختلفوا هم الذين بعث إليهم الأنبياء، كل فرقة يفرحون بما هم فيه من الضلال؛ لأنهم يحسبون أنهم مهتدون؛ ومستمرون في غيهم وضلالهم إلى حين هلاكهم، فهل يظن أولئك المغرورون أن ما يعطيهم الله من الأموال والأولاد لكرامتهم على الله؟ بل ذلك استدراج وإنظار وإملاء، وقد مكر الله بهم في أموالهم وأولادهم، فالعبرة ليست بالأموال ولا بالأولاد، ولكن العبرة بالإيمان والعمل الصالح، فإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه، أولئك أهل الإيمان، يؤمنون بآياته الكونية والشرعية، ولا يعبدون مع الله غيره، بل يوحدونه ويعلمون أنه لا إله إلا الله الأحد الصمد، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأنه لا نظير له ولا كفء له.

وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾
أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ
نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٦٢﴾
بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا
عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ
﴿٦٤﴾ لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي
تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسۡتَكۡبِرِينَ
بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ
ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ
﴿٦٩﴾ أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ
كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن
ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ
وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٣﴾
وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾

أهل الإيمان مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح، مشفقون من الله خائفون منه، وجلون من مكره بهم، يعطون العطاء وهم خائفون ألا يتقبل منهم، لخوفهم، أن يكونوا قد قصروا في القيام بشروط الإعطاء، وهذا من باب الإشفاق والاحتياط، يصلون ويصومون ويتصدقون، ويخافون أن ترد أعمالهم، ويبادرون إلى الأعمال الصالحات، وهم إليها سابقون، يتنافسون فيها ابتغاء مرضاة الله، والله لم يكلف العباد بما لا يطيقون، بل يسر لهم في شرعه.

ويوم القيامة يحاسبهم بأعمالهم التي كتبها عليهم في كتاب مسطور، لا يضيع منه شيء، لا يُبخسون من الخير شيء، وأما السيئات فيعفو الله عنها ويصفح عن كثير منها لعباده المؤمنين.

وأما أهل الشرك فإن قلوبهم في غفلة وضلالة عن القرآن الذي أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ هداية للبشرية، وقد كتب عليهم أعمالًا سيئة دون الشرك، لا بد أن يعملوها قبل موتهم لا محالة، لتحق عليهم كلمة العذاب، فإذا أخذ المنعمين في الدنيا عذاب الله وبأسه ونقمته بهم إذا هم يصرخون ويستغيثون، فلا مجير لهم ولا مغيث، ولا محيد ولا مناص، فقد كانوا إذا دعوا إلى الإيمان أبوا، وإذا دعوا إلى التوحيد كفروا، وإن يشرك بالله يؤمنوا؛ استكبارًا عن الحق واحتقارًا له ولأهله، يقضون أوقاتهم بالاستهزاء بالحق وأهله، بفحش من القول والفعل، فلو تدّبروا معاني القرآن لظهر لهم صدقه وآمنوا به وبما فيه، ولكن استنكروا القرآن، لأنه لم يأتِ آباءهم الأوّلين رسول، وقد بعث فيهم رسول يعرفونه بالأمانة والصدق فأنكروه، واتهموه بالجنون مع أنهم قد علموا أنه أرجح الناس عقلًا، ولكنه جاء بما يخالف هواهم فدفعوه وجحدوه تعصبًا وحمية، وقد جاءهم بالدين القويم، ولكنهم لما جبلوا عليه من التعصب انحرفوا عن الصواب، وابتعدوا عن الحق، وكرهوا هذا الحق الواضح الظاهر، ولو جاء الحق على ما يهوونه ويريدونه لكان ذلك مستلزمًا للفساد العظيم، وخروج نظام العالم عن الصلاح بالكلية، وفي هذا يتبين عجز العباد واختلاف آرائهم وأهوائهم، وأنه تعالى هو الكامل في جميع صفاته وأقواله وأفعاله، وشرعه وقدره، وتدبيره لخلقه تعالى وتقدس، فلا إله غيره، ولا رب سواه.

وقد جاءهم القرآن، هداية لهم، ولكنهم أعرضوا وجحدوا واستكبروا فضلوا ضلالًا مبينًا، والأنبياء محتسبون في دعوتهم لا يسألون الناس أجرًا على دعوتهم، بل يسألون الله الأجر والثواب، يدعون إلى الإسلام ولكن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الإسلام منحرفون.

۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

من كتب الله ضلاله فلن يستفيد من مواعظ القرآن وهدايته، ولو أفهمه الله القرآن، لما انقاد له.

ولاستمر على كفره وعناده وطغيانه، ومن كتب الله ضلاله لو ابتلي بالمصائب والشدائد لم ترده عما هو فيه من الكفر والمخالفة، بل يستمر في ضلاله وغيه، فما يخشع، ولا يرعوي، ولن يفيق من غفلته، إلا إذا جاءه أمر الله وجاءته الساعة بغتة، وأخذه من عقاب الله ما لم يكن يحتسب، فعند ذلك يبلس من كل خير، وييأس من كل راحة، وتنقطع آماله، مع ما أعطاه الله من السمع والبصر والعقل، فلم ينتفع بها، فقد أنعم الله على عباده بأن جعل لهم السمع والأبصار والعقول والفهوم التي يدركون بها الأشياء، ويعتبرون بما في الكون من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى، فما أقل شكر العباد لله على ما أنعم به عليهم، ومن قدرة الله العظيمة وسلطانه القاهر خلقه الخليقة وإيجاده لهم في سائر أقطار الأرض على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وصفاتهم، ثم يوم القيامة يجمع الأولين منهم والآخرين لميقات يوم معلوم، فلا يترك منهم صغيرًا ولا كبيرًا، ولا ذكرًا ولا أنثى، ولا جليلًا ولا حقيرًا إلا أعاده كما بدأه، يميت الأمم ويحيي الرمم، ومن قدرة الله تسخير الليل والنهار، كل منهما يطلب الآخر طلبًا حثيثًا، يتعاقبان لا يفتران، ولا يفترقان بزمان غيرهما، فأين العقول التي تدل على العزيز العليم الذي قد قهر كل شيء، وعز كل شيء، وخضع له كل شيء، والعقول الضالة تتشابه في التفكير، فالذين أنكروا البعث، أشبهوا من قبلهم من المكذبين فاستبعدوا البعث بعد صيرورتهم إلى البلى، والله ﷻ متفرد بالألوهية، كما هو مستقل بالخلق والتصرف والملك، فهو سبحانه لا إله إلا هو، ولا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له؛ فكما يعترفون أن الذين يعبدونهم لا يخلقون شيئًا، ولا يملكون شيئًا، وإنما تقربهم إليه زلفى، فلا بد أن يعترفوا بأن الله وحده لا شريك له.

فهو خالق العالم العلوي بما فيه من الكواكب النيرات والملائكة الخاضعين له في سائر الأقطار منها والجهات، ومن هو رب العرش العظيم، الذي هو سقف المخلوقات، وهو أعظم المخلوقات؟ وهم يعترفون بذلك، أفلا يخافون عقابه ويحذرون عذابه، في عبادتهم معه غيره وإشراكهم؟ فهو سبحانه بيده الملك، وهو الخالق المالك المتصرف، وهو السيد العظيم الذي لا أعظم منه، الذي له الخلق والأمر، ولا معقب لحكمه، والذي لا يمانع ولا يخالف، وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، لا يسأل عما يفعل؛ لعظمته وكبريائه، وقهره وغلبته، وعزته وحكمته، والخلق كلهم يسألون عن أعمالهم، وهم يعترفون أن السيد العظيم الذي يجير ولا يجار عليه هو الله تعالى وحده لا شريك له، فأين تذهب عقولهم في عبادة غيره معه؟!

بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

أقام الله الحجة على المشركين بإرسال خير الأنام عليه الصلاة والسلام، وبإنزال القرآن، الذي فيه تحقيق التوحيد.

وفيه الإعلام بأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وفيه الأدلة الصحيحة الواضحة القاطعة على ذلك، ولكن المعاندين كاذبون في عبادتهم مع الله غيره، ولا دليل لهم على ذلك، وإنما يفعلون ذلك اتباعًا لآبائهم وأسلافهم.

فالله ﷻ لم يكن له ولد أو شريك في الملك، ويستحيل في العقل وجود إله آخر، لأنه لو قدر تعدد الآلهة لانفرد كل منهم بما يخلق، فما كان ينتظم الوجود، والمشاهد أن الوجود منتظم متسق، كل من العالم العلوي والسفلي مرتبط بعضه ببعض، في غاية الكمال، ثم لكان كل منهم يطلب قهر الآخر وخلافه، فيعلو بعضهم على بعض، سبحان الله عما يقول الظالمون المعتدون في دعواهم الولد أو الشريك علوًا كبيرًا، فهو سبحانه يعلم ما يغيب عن المخلوقات وما يشاهدونه، تقدس وتنزه وتعالى وعز وجل عما يقول الظالمون والجاحدون.

وقد أمر الله نبيه محمدًا ﷺ أن يدعو هذا الدعاء عند حلول النقم: رب إما تريني ما يوعدون، فإذا نزلت العقوبة فلا تجعلني فيهم، ولذلك كان وجود النبي وحياته أمان لهم من العقوبة العامة، ولو شاء الله لأراه ما يحل بهم من النقم والبلاء والمحن، وأمره بالإحسان إلى الناس عند مخالطتهم، وهو خلق نبوي كريم، الإحسان إلى من يسيء؛ ليستجلب خاطره، فتعود عداوته صداقة وبغضه محبة، وما يوهب هذه الصفة إلا من صبر على أذى الناس، فعاملهم بالجميل مع إسدائهم إليه القبيح، وهو المحظوظ في الدنيا والآخرة، والشيطان هو الذي يأمر بالانتقام عند الغضب، فأمر المسلم أن يستعيذ بالله من الشياطين، لأنهم لا تنفع معهم الحيل، ولا ينقادون بالمعروف، وأمر المسلم بذكر الله في ابتداء الأمور، وذلك مطردة للشياطين عند الأكل ودخول البيت والخروج منه والجماع والذبح وغير ذلك من الأمور، والكافرون المعاندون يتمنون الرجعة عند نزول الموت بهم أو المفرطون في أمر الله تعالى، يسألون الرجعة إلى الدنيا ليصلحوا ما أفسدوه في مدة حياتهم؛ ولن يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها، فهم يسألون الرجعة عند الاحتضار ويوم النشور ووقت العرض على الجبار، وحين يعرضون على النار وهم في غمرات عذاب الجحيم فلا يجابون، فما تمنوا الرجوع إلى أهل ولا إلى عشيرة، ولكن تمنوا الرجوع لعمل الصالحات، فانظر إلى أمنية الكافر المفرط فاعمل بها، وأمامهم حاجز بين الدنيا والآخرة -وهو القبر- وأهل القبور، ليسوا مع أهل الدنيا يأكلون ويشربون، ولا مع أهل الآخرة يجازون بأعمالهم، يعذب الظلمة بعذاب البرزخ، ويستمر بهم العذاب إلى يوم البعث، وينعم أهل الإيمان في قبورهم إلى يوم القيامة، فإذا نفخ في الصور، وهو قرن ينفخ فيه إسرافيل نفخة النشور، فيقوم الناس من القبور، فحينئذ لا تنفع الأنساب، ولا ينفع والد ولده، ولا يسأل القريب قريبه وهو يبصره، ولو كان عليه من الأوزار ما قد أثقل ظهره، وقد كان أعز الناس عليه في الدنيا ما التفت إليه ولا حمل عنه وزن جناح بعوضة، بل ينادى مناد ألا من كان له مظلمة فليجئ فليأخذ حقه، فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته وإن كان صغيرًا؛ فمن رجحت حسناته على سيئاته ولو بواحدة، فاز ونجا من النار وأدخل الجنة، ومن ثقلت سيئاته على حسناته، خاب وهلك، وباء بالصفقة الخاسرة، تحرق النار وجهه، فيسيل لحمه على عقبه، وهو في النار عابس من هول العذاب وسوء المصير.

أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

سُورَةُ النُّورِ

ترتيبها ٢٤ — آياتها ٦٤

يوبخ أهل النار ويقرعون، على ما ارتكبوا من الكفر، والمآثم والمحارم، والعظائم، التي أوقعتهم في النار، فقد أرسلت إليهم الرسل، وأنزلت الكتب، ولم يبق لأحد حجة فيعترفون بأن الحجة قامت عليهم، ولكنهم كانوا أشقى من أن ينقادوا لها أو يتبعوها، فضلوا عنها، ويسألون أن يردوا إلى الدار الدنيا، فإن عادوا إلى الكفر فهم الظالمون المستحقون للعقوبة، فيقال لهم امكثوا فيها صاغرين مهانين أذلاء، ولا تعودوا إلى سؤالكم الرجعة.

لقد كانوا في الدنيا يستهزئون بعباد الله المؤمنين وأوليائه، سخروا منهم في دعائهم الله وتضرعهم إلى الله، حتى حملهم بغضهم أولياء الله أن نسوا عبادة الله، وكانوا يضحكون من عبادتهم لله، فجزى الله أولياءه وعباده الصالحين بما صبروا على أذى الكفار لهم واستهزائهم منهم، أنهم الفائزون بالسعادة والسلامة والجنة، والناجون من النار.

ربنا لا تحرمنا ووالدينا وأهلينا وذرياتنا والمسلمين هذا الفوز.

وأما الذين فسقوا فقد أمضوا عمرهم القصير في الدنيا في غير طاعة الله تعالى وعبادته وحده، ولو صبروا في مدة الدنيا القصيرة لفازوا كما فاز أولياؤه المتقون، فهم في الآخرة ينظرون إلى عمر الدنيا في حساب الحاسبين أنها مدة يسيرة على كل تقدير فلو أنهم عملوا بطاعة الله وعبادته كما فعل المؤمنون لفازوا كما فازوا.

ولو عرفوا مهمتهم في هذه الحياة، والهدف من إيجادهم، وأنهم لم يخلقوا عبثًا بلا قصد ولا إرادة ولا حكمة، لم يشركوا بالله ولم يكذبوا رسل الله، ولو آمنوا بالبعث بعد الموت وبالآخرة لم يكفروا، فتقدس الله أن يخلق شيئًا عبثًا، فإنه الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم، والعرش أعظم المخلوقات وهو سقف جميع المخلوقات، حسن المنظر بهي الشكل، فمن أشرك بالله غيره، وعبد معه سواه بلا دليل فإن الله يحاسبه على ذلك.

والكفار لا فلاح لهم ولا نجاة يوم القيامة، والمؤمنون لهم المغفرة والرحمة، وفي ذلك تنبيه للدعاء بهذا الدعاء: "رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين"، فالمغفرة محو الذنب وستره عن الناس، والرحمة أن يسدده الله ويوفقه في الأقوال والأفعال، فاللهم اغفر ذنوبنا وارحمنا ووالدينا وأهلينا وذرياتنا والمسلمين.

ثلاثة أرباع الحزب ٣٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾



سورة النور

وهي سورة مدنية بالإجماع، سميت بذلك لذكر نور الله تعالى فيها، وذكر فيها آثار النور في القلوب والأرواح

سورة النور أنزلها الله تعالى، وأمر عباده بالاعتناء بها، والعمل فيما بيّن فيها من الحلال والحرام والأمر والنهي والحدود بآيات مفسرات واضحات فيها العظة والذكرى، ومن ذلك حد الزنا، فالزاني لا يخلو إما أن يكون بكرًا، وهو الذي لم يتزوج، أو محصنًا، وهو الذي قد وطئ في نكاح صحيح وهو حر بالغ عاقل، فأما إذا كان بكرًا لم يتزوج، فإن حده مائة جلدة، ويزاد على ذلك أن يغرب عامًا عن بلده، فأما إن كان محصنًا فإنه يرجم حتى الموت، ولا يجوز ترك الحد رأفة بالزاني والزانية، بل الرأفة في إقامة الحد، فالحدود إذا رفعت إلى السلطان، تقام ولا تعطل.

ويقام الحد علانية، ليكون أبلغ في الزجر، وأنجع في الردع، فإن في ذلك تقريعًا وتوبيخًا وفضيحة.

وقد حرم الله الزنا ودواعيه ووسائلة الموصلة إليه،، والزاني لا يزني إلا بزانية أو مشركة، والزانية لا يزني بها إلا زانٍ أو مشرك، وحرم على المؤمنين الزنا والتزوج بالبغايا، أو تزويج العفائف بالفجار من الرجال.

ويحرم رمي العفيفات بالزنا فإن ذلك جريمة تستوجب الحد، والقاذف يجلد ثمانين جلدة، وترد شهادته دائمًا، ويكون فاسقًا ليس بعدل، لا عند الله ولا عند الناس، ومن تاب عن القذف أقيم عليه الحد وقبلت شهادته.

وأما الزوج إذا قذف زوجته وتعسر عليه إقامة البينة، فيشرع اللعان، وهو أن يحضرها إلى الإمام، فيدعي عليها بما رماها به، فيحلفه الحاكم أربع شهادات بالله في مقابلة أربعة شهداء إنه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، فإذا قال ذلك، بانت منه بنفس هذا اللعان، وحرمت عليه أبدًا، ويتوجه عليها بحد الزنا، ولا يدرأ عنها الحد إلا أن تلاعن، فتشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين، فيما رماها به، والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين.

والله تعالى لطيف بخلقه، رءوف بهم، شرع لهم الفرَج والمخرج من كل شدة وكل ضيق، فلولا فضل الله على عباده ورحمته بهم، لوقعوا في الحرج ولشق عليهم كثير من أمورهم، والله تواب على عباده فيما أخطئوا فيه، حكيم فيما يشرعه من الأحكام ويأمر به، وفيما ينهى عنه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ
خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ
كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ
وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴿١٢﴾ لَّوۡلَا
جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ
عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ
فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾
إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ
وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ
قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ
﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧﴾
وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ
فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوۡلَا
فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٠﴾

حادثة الإفك، وهو الكذب الذي افتري فيه على الصديقة بنت الصديق ﷺ، واتهمت في شرفها وعرضها فبرأها الله مما اتهمت به، وقصة الإفك أن عائشة ﷺ خرجت مع رسول الله ﷺ بعدما أنزل الحجاب، فكانت تحمل في هودج، فإذا نزلوا منزلًا أنزلوها، حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوه ورجع ودنوا من المدينة، آذن ليلة بالرحيل، فإذا عقد من جزع قد انقطع، فرجعت عائشة تلتمس عقدها فتأخرت، وأقبل الذين يرحلونها فحملوا هودجها فرحلوه على بعيرها الذي كانت تركبه، وهم يحسبون أنها فيه، فبعثوا الجمل وساروا، ووجدت عقدها بعدما استمر الجيش، فجاءت منازلهم فلم تجد أحدًا، وظنت أن القوم سيفقدونها فيرجعون إليها، فنامت وكان صفوان بن المعطل ﷺ، نائم من وراء الجيش، فمشى، فرأى سواد إنسان نائم، فأتى المكان فعرف أنها عائشة ﷺ، وقد كان يراها قبل أن يفرض الحجاب، فاستيقظت عائشة باسترجاعه فخمرت وجهها، ولم يكلمها بكلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته، فركبتها عائشة ﷺ، فانطلق يقود بها الراحلة حتى أتوا الجيش بعدما نزلوا في نحر الظهيرة، فهلك من هلك فأشاعوا حديث الإفك، وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول، فقدموا المدينة واشتكت عائشة ﷺ حين قدموا شهرًا، والناس يفيضون في قول أهل الإفك، وهي لا تشعر بشيء من ذلك، حتى خرجت بعدما شفيت، مع أم مسطح لقضاء الحاجة، فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقالت عائشة بئسما قلت، تسبين رجلًا قد شهد بدرًا، فقالت ألم تسمعي ما قال؟ قالت عائشة وماذا قال؟ فأخبرتها بقول أهل الإفك، فازدادت مرضًا، فلما رجعت إلى بيتها دخل عليها رسول الله ﷺ فسلم، ثم قال كيف تيكم؟ فقالت عائشة أتأذن لي أن آتي أبويَّ فأذن لها رسول الله ﷺ، فجاءت إلى أهلها فقالت يا أماه، ما يتحدث الناس فقالت أي بنية هوني عليك، فقالت عائشة سبحان الله أو قد تحدث الناس بهذا، فبكت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم، ثم أصبحت تبكي، فقام رسول الله ﷺ فاستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول، فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرًا، ولقد ذكروا رجلًا ما علمت عليه إلا خيرًا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي، ثم دخل رسول الله ﷺ بيت أبي بكر فسلم ثم جلس، فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس، ثم قال أما بعد يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله ثم توبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب، تاب الله عليه، فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمع عائشة حتى ما تحس منه قطرة، وقالت إني والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا، حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، ولئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني، ولئن اعترفت لكم بأمر والله ﷻ يعلم أني بريئة تصدقوني، وإني والله ما أجد لي ولكم مثلًا إلا كما قال أبو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت فاضطجعت على فراشها، فأنزل الله على نبيه البراءة فقال أبشري يا عائشة، أما الله فقد برأك، فكانت حادثة الإفك خيرًا لعائشة أنزل الله براءتها في القرآن، ومن تكلم في هذه القضية، ورمى أم المؤمنين عائشة ﷺ بالفاحشة، له نصيب عظيم من العذاب والعقوبة والذي ابتدأه وأشاعه له العذاب العظيم، وكان الأولى بالمؤمنين أن يقيسوا الكلام على أنفسهم، فإن كان لا يليق بهم فأم المؤمنين أولى بالبراءة منه بطريق الأولى والأحرى، وقالوا هذا كذب ظاهر على أم المؤمنين؛ لأنهم لم يأتوا بشهود فهم الكاذبون، وتناقل الناس للخبر بلا علم ولا تثبت ذنب عظيم، وليس يسير القذف بالزنا، فعظيم عند الله أن يقال في زوجة رسوله ما قيل، والواجب أن المسلم لا يتكلم بهذا الكلام ولا يذكره لأحد، أما الذين يختارون ظهور الكلام القبيح في حق المؤمنين، لهم عذاب في الدنيا بالحد، وفي الآخرة العذاب الأليم.

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

أمر الله عباده المؤمنين بالابتعاد عن طرق الشيطان ومسالكه وما يأمر به، من قبائح الأفعال، وما يكرهه الله ﷻ، ومن توهين المعصية ومحبة أن تنتشر بين المؤمنين، ولولا أن الله يرزق من يشاء التوبة والرجوع إليه، ويزكي النفوس من شركها وفجورها، وما فيها من أخلاق رديئة، كل بحسبه، لما حصل أحد لنفسه زكاة ولا خيرًا، فالله يزكي من يشاء من خلقه، ويضل من يشاء ويرديه في مهالك الضلال والغي، والله سميع لأقوال عباده عليم بهم، من يستحق منهم الهدى والضلال.

وقد حلف الصديق ﷺ ألا ينفع مسطح بن أثاثة بنافعة، بعدما قال في عائشة ما قال من حديث الإفك، فلما أنزل الله براءة أم المؤمنين عائشة، وطابت النفوس المؤمنة واستقرت، وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين في ذلك، وأقيم الحد على من أقيم عليه، شرع تبارك وتعالى أن يعطف الصديق على قريبه ونسيبه وهو مسطح بن أثاثة، فإنه كان ابن خالة الصديق، وكان مسكينًا لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر ﷺ، وكان من المهاجرين في سبيل الله، وقد وقع في الذنب وتاب الله عليه منه، وضرب الحد عليه، وكان الصديق ﷺ معروفًا بالمعروف، له الفضل والأيادي على الأقارب والأجانب، فقال الصديق بلى والله إنا نحب يا ربنا أن يغفر لنا، ثم أرجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة.

وأما الذين يرمون العفائف، الغافلات عن الفواحش، اللاتي لا يقع في قلوبهن فعل الفاحشة، فيعذبون بالحدود في الدنيا، وفي الآخرة بالنار، ويوم القيامة تشهد عليهم ألسنتهم بما تكلموا به وأيديهم وأرجلهم بما عملوا بها في الدنيا، وإن الله سبحانه ينطقها بالشهادة عليهم بذنوبهم التي اقترفوها، ومعاصيهم التي عملوها، وأعمالهم القبيحة يعطيهم الله جزاءهم عليها موفرًا، ويعلمون عند معاينتهم لذلك ووقوعه على ما نطق به الكتاب العزيز إن الله هو الحقّ في ذاته، وصفاته، وأفعاله، ووعده ووعيده وحسابه.

والخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال لا يتجاوزنهم، والخبيثون مختصون بالخبيثات لا يتجاوزونهن، ولا يتكلم بالخبيث من الكلام إلاّ الخبيث من الرجال والنساء، ولا يتكلم بالطيب من الكلام إلاّ الطيب من الرجال والنساء، وهذا ذمّ للذين قذفوا عائشة بالخبث، ومدح للذين برءوها، فالطيبون، والطيبات مبرّءون مما يقوله الخبيثون والخبيثات ولهم مغفرة عظيمة من الذنوب، وفي الآخرة الجنة، ولما كان من وسائل الزنا والقذف دخول البيوت بغير استئذان نهي عنه، لما في ذلك من مخالطة الرجال بالنساء، فربما يؤدّي إلى أحد الأمرين، والإنسان يكون في بيته، ومكان خلوته على حالة لا يحب أن يراه عليها غيره، فنهى الله سبحانه عن دخول بيوت الآخرين حتى يعلم صاحب البيت بمن يريد الدخول، ويأذن بالدخول ويسلم فيقول السلام عليكم أأدخل؟ ثلاثًا، فإن أذن له، وإلا انصرف.

فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

أدب الله عباده المؤمنين بوجوب الاستئذان عند دخول البيوت، فإن لم يجدوا في البيوت أحدًا يأذن لهم في دخولها فلا يدخلونها، وإن قيل لهم ارجعوا، فليرجع ولا يقف على الباب ملازمًا، لأنه أطهر للقلوب وأصلح للحال، فإن كانت البيوت ليس فيها أحد، وفيها متاع للإنسان، جاز له الدخول بغير إذن، كالبيت المعد للضيف، إذا أذن له فيه أول مرة، والمحلات التجارية، ومنازل الأسفار المعدة للمسافرين.

وعلى كل مسلم غض بصره عن عورات المسلمين وما شرع الاستئذان إلا من أجل البصر، وفي غض البصر تحصين للفرج وبعد عن الحرام، لأن النظر المحرم يورد المهالك، فإن اتفق أن وقع البصر على محرم من غير قصد، فليصرف بصره عنه سريعًا، لأن النظر داعية إلى فساد القلب، وهو سهم مسموم إلى القلب، وزنا العينين النظر، وحفظ البصر أطهر للقلوب وأنقى للدين، ومن حفظ بصره، أورثه الله نورًا في بصيرته.

وأمر الله تعالى النساء المؤمنات أن يغضضن أبصارهن عما حرم الله عليهن من النظر إلى غير أزواجهن، فلا يجوز للمرأة أن تنظر إلى الأجانب بشهوة، وعليها أن تحفظ نفسها ألا يراها أحد، ولا يظهر شيء من الزينة للأجانب، إلا ما لا يمكن إخفاؤه، كالرداء والثياب والعباءة، وأمر الله النساء بالحجاب، وذلك بوضع الخمار على الرأس فيستر الوجه والصدر وليشددن خمرهن على جيوبهن فتغطي الرأس والوجه والنحر والصدر، فلا يرى منه شيء، ولا تظهر ذلك إلا لمحارمها، وهم الزوج والأب والابن وأبناء الأولاد، والجد والعم والخال، وأبناء الأخ والأخت، والنساء، وما ملكت أيمانهن من الأرقاء، ومن يدخلون البيوت ممن في عقولهم نقص، وليس في قلوبهم ميل إلى النساء ولا يشتهونهن، والأطفال الذين لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن، فإذا كان الطفل صغيرًا لا يفهم ذلك، فلا بأس بدخوله على النساء، فأما إن كان مراهقًا أو قريبًا منه، بحيث يعرف ذلك ويدريه، ويفرق بين الشوهاء والحسناء، فلا يمكن من الدخول على النساء، ولا يجوز للمرأة إظهار شيء من زينتها مستورًا، وقد كانت المرأة في الجاهلية إذا كانت تمشي في الطريق وفي رجلها خلخال صامت لا يسمع صوته ضربت برجلها الأرض، فيعلم الرجال طنينه، فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك، ومن ذلك أنها تنهى عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها ليشم الرجال طيبها، وعلى المؤمنين والمؤمنات فعل ما أمر الله به من هذه الصفات الجميلة والأخلاق الجليلة، وترك ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة، فإن الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر به الله ورسوله، وترك ما نهى عنه الله ورسوله.

وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن
يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾
وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ
وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ
عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا
تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟
مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ
ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ
نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ
لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ
وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾

ربع الحزب ٣٦

أمر الله عباده المؤمنين بالنكاح، أمر الرجال والنساء، وأمر الأولياء بتزويج الأكفاء ولو كانوا فقراء، فإن النكاح سبب من أسباب الغنى فمن أطاع الله فيما أمره به من النكاح، أنجز الله له ما وعده من الغنى، فالناكح يريد العفاف يعينه الله ويوفقه، وقد زوج رسول الله ﷺ ذلك الرجل الذي لم يجد إلا إزاره، ولم يقدر على خاتم من حديد،، وجعل الصداق عليه أن يعلمها ما يحفظه من القرآن، ومن لم يستطع على النكاح فعليه بالاستعفاف عن الحرام، وبالصوم فإنه له وقاية.

وإذا طلب العبد المملوك من سيده الكتابة فعلى سيده أن يكاتبه، بشرط أن يكون للعبد حيلة وكسب يؤدي إلى سيده المال الذي شارطه على أدائه، ويعطى من نصيبه الذي فرض الله له من أموال الزكاة، ونُهي المسلمون عن التكسب بالإماء، فقد كان أهل الجاهلية إذا كان لأحدهم أمة أرسلها تزني، وجعل عليها ضريبة يأخذها منها كل وقت، والله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم وإثمهن على من أكرههن.

والله أنزل في القرآن آيات واضحات مفسرات، وخبرًا عن الأمم الماضية، وما حل بهم في مخالفتهم أوامر الله تعالى وزاجرًا عن ارتكاب المآثم والمحارم لمن اتقى الله وخافه.

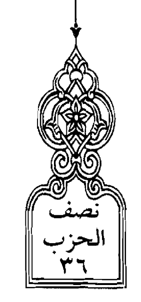
والله نور، وحجابه النور لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، وبنوره استنارت المخلوقات: العرش، والكرسي، والشمس، والقمر، والجنة، والسماوات والأرض، وكتابه العزيز نور للقلوب، وشرعه نور، والإيمان نور في قلوب المؤمنين، فلولا نور الله تعالى، لأظلم كل شيء، فمثل نور الإيمان والقرآن في قلوب المؤمنين كنور الكوّة في الحائط غير النافذة، لأنها أجمع للضوء الذي يكون فيه، فيها سراج ضوءُه مشرق في زجاجة صافية، كأنها كوكب مضيء، يستمد نوره من زيت الزيتون من شجرة في مكان وسط، تشرق الشمس عليها من أول النهار إلى آخره، فيجيء زيتها معتدلًا صافيًا مشرقًا، يضيء ولو لم يشتعل، فيجتمع نور النار ونور الزيت، فكذلك نور القرآن ونور الإيمان حين يجتمعان، فلا يكون واحد منهما إلا بصاحبه، وكذلك إيمان العبد وعمله، فمثل المؤمن: المشكاة نفسه، والزجاجة صدره، والمصباح ما جعل الله فيه من الإيمان والقرآن، ويرشد الله إلى هدايته من يختاره، ويبين الله الأشياء للناس تقريبًا للأفهام وتسهيلًا لسبل الإدراك، لأن إبراز المعقول في هيئة المحسوس، وتصويره بصورته يزيده وضوحًا وبيانًا، والله لا يغيب عنه شيء من الأشياء معقولًا كان أو محسوسًا، ظاهرًا، أو باطنًا.

وقلوب المؤمنين معلقة بالمساجد التي أمر الله بتطهيرها من الدنس واللغو والأفعال والأقوال التي لا تليق فيها، وأُمر ببنائها ورفعها، وبعمارتها حسًّا ومعنى، فبناؤها المعنوي بالصلاة والذكر وتلاوة القرآن وبمجالس العلم في جميع الأوقات.

رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾

المسلم الحق هو الذي التزم بحق الله لم تشغله الدنيا وزخرفها وزينتها وملاذتها، وتجارتها، عن ذكر ربه الذي خلقه ورزقه، والذي يعلم أن الذي عند الله هو خير له وأنفع مما بيده؛ لأن ما عنده ينفد وما عند الله باق؛ يقدم طاعة الله ومراده ومحبته على مراده، لا يلهيه شيء عن حضور الصلاة، ويقيمها كما أمره الله، ويحافظ على مواقيتها، وما استحفظه الله فيها، وإذا حضر وقت أداء الزكاة لم يحبسها، يخاف يوم القيامة الذي تتقلب فيه القلوب والأبصار، من شدة الفزع وعظمة الأهوال، تتقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا من الشرك والكفر، وتنفتح الأبصار من الأغطية، وتتقلب القلوب بين الخوف والرجاء، تخشى الهلاك وتطمع في النجاة، فهذا وأمثاله يتقبل الله عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم، ويتقبل منهم الحسن ويضاعفه لهم، يجزيهم بحسناتهم، وما كان من مساوئ أعمالهم لا يجزيهم بها، ويزيدهم ما لم يستحقوه بأعمالهم، ويدخلهم الجنة، ويشفعون لمن وجبت له الشفاعة، ممن صنع لهم المعروف في الدنيا، والكفار الدعاة إلى كفرهم الذين يحسبون أنهم على شيء من الأعمال والاعتقادات، وليسوا في نفس الأمر على شيء، فمثلهم في ذلك كالسراب الذي يرى في القيعان من الأرض عن بعد كأنه بحر عظيم، فإذا رأى السراب من هو محتاج إلى الماء حسبه ماء فقصده ليشرب منه، فلما انتهى إليه لم يجده شيئًا، فكذلك الكافر يحسب أنه قد عمل عملًا وأنه قد حصل شيئًا، فإذا وافى الله يوم القيامة وحاسبه عليه، ونوقش على أفعاله، لم يجد له شيئًا بالكلية قد قبل؛ لعدم الإيمان والإخلاص، وأما المقلدون لأئمة الكفر، الصم البكم الذين لا يعقلون، فمثلهم كظلمات في بحر عميق، يعلو هذا البحر موج، فيستره ويغطيه بالكلية، ثم من فوق هذا الموج موج، والموج الثاني يعلوه سحاب، فيجتمع حينئذٍ عليهم خوف البحر وأمواجه، والسحب المرتفعة فوقه، فهي ظلمات متكاثفة مترادفة، إذا أخرج يده لم يقارب رؤيتها من شدة الظلام، فهذا مثل قلب الكافر الجاهل المقلد الذي لا يدري أين يذهب، ولا هو يعرف حال من يقوده، ومن لم يهده الله فهو هالك جاهل حائر بائر كافر، ومن لم يجعل الله له هداية فما له من هداية، والله ﷻ ينزهه ويقدسه من في السموات والأرض من الملائكة والأناسي والجان والحيوان حتى الجماد، ولكن لا يفقه الناس تسبيحهم، والطير في حال طيرانها تسبح ربها وتعبده بتسبيح ألهمها وأرشدها إليه، وهو يعلم ما هي فاعلة، الكل قد أرشده الله إلى طريقته ومسلكه في عبادة الله ﷻ، وهو عالم بجميع خلقه، لا يخفى عليه من ذلك شيء، له ملك السموات والأرض، فهو الحاكم المتصرف الذي لا معقب لحكمه، وهو الإله المعبود الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ويوم القيامة يحكم بين عباده بما يشاء، فيجازي الذين أساءوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالجنة، فهو الخالق المالك، له الحكم في الدنيا والأخرى، وله الحمد في الأولى والآخرة، فهو سبحانه بقدرته يسوق السحاب أول ما ينشئه وهو ضعيف، ثم يجمعه بعد تفرقه، ثم يجعله متراكمًا، يركب بعضه بعضًا، فترى المطر يخرج من السحاب، وفي السماء جبال من برد ينزل الله منها البرد، يكاد ضوء برقه من شدته يخطف الأبصار إذا اتبعته وتراءته، فيصيب من يشاء بما ينزل من السماء من نوعي البرد والمطر رحمة لهم، ويؤخر الغيث عمن يشاء الغيث.

يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٥﴾ لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٥٣﴾



من قدرة الله تعالى تصريف الليل والنهار، فيأخذ من طول هذا في قصر هذا حتى يعتدلا ثم يأخذ من هذا في هذا، فيطول الذي كان قصيرًا، ويقصر الذي كان طويلًا، والله هو المتصرف في ذلك بأمره وقهره وعزته وعلمه، وفي ذلك دليل على عظمته تعالى.

ومن قدرته التامة وسلطانه العظيم، خلقه أنواع المخلوقات على اختلاف أشكالها وألوانها وحركاتها وسكناتها من ماء واحد، فمنها من يمشي على بطنه كالحية، ومنهم من يمشي على رجلين كالإنسان والطير، ومنهم من يمشي على أربع كالأنعام وسائر الحيوانات؛ يخلق ما يشاء بقدرته؛ وهو على كل شيء قدير، وقد أنزل الله في هذا القرآن من الحكم والأمثال البينة المحكمة، ما هو هداية لمن تفهمها من أولي الألباب والبصائر والنهى.

ومن صفات المنافقين، الذين يظهرون خلاف ما يبطنون، يقولون قولًا بألسنتهم: آمنا بالله وبالرسول، ثم يخالفون أقوالهم بأعمالهم، فيقولون ما لا يفعلون، وإذا طلبوا إلى اتباع الهدى، فيما أنزل الله على رسوله، أعرضوا عنه واستكبروا في أنفسهم عن اتباعه، وإذا كان الحكم لهم لا عليهم، جاؤوا سامعين مطيعين، وإذا كان الحكم عليهم أعرضوا ودعوا إلى غير الحق، وأحبوا أن يتحاكموا إلى غير النبي ﷺ ليروجوا باطلهم، فلا يخرج أمرهم عن أن يكون في قلوبهم مرض ملازم لها، أو قد عرض لها شك في الدين، أو يخافوا أن يجور الله ورسوله عليهم في الحكم، وأيًا ما كان فهو كفر محض، والله عليم بكل منهم، وهم الظالمون الفاجرون، والله ورسوله مبرآن مما يظنون ويتوهمون من الحيف والجور، تعالى الله ورسوله عن ذلك.

وأما صفة أهل الإيمان الذين استجابوا لله ولرسوله، الذين لا يبغون دينًا سوى كتاب الله وسنة رسوله، فإنهم إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم قالوا: سمعًا وطاعة، فهم الفائزون بالمطلوب والسالمون من المرهوب.

فمن أطاع الله ورسوله فيما أمراه به وترك ما نهياه عنه، وخشي الله فيما مضى من ذنوبه، واتقاه فيما يستقبل فهو الفائز بكل خير، والآمن من كل شر في الدنيا والآخرة، وأهل النفاق الذين يحلفون للرسول ﷺ لئن أمرهم بالخروج في الغزو ليخرجن، فأجابهم القرآن لا تحلفوا، قد علمت طاعتكم، إنما هي قول لا فعل معه، وكلما حلفتم كذبتم، والله خبير بكم وبمن يطيع ممن يعصي، فالحلف وإظهار الطاعة والباطن بخلافه، وإن راج على المخلوق فالخالق تعالى يعلم السر وأخفى، خبير بضمائر عباده، وإن أظهروا خلافها.

قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

أمر الله بطاعته وبطاعة رسوله ﷺ، وذلك باتباع كتاب الله وسنة رسوله، فمن تولى عن الرسول وترك ما جاء به، فإنما عليه إبلاغ الرسالة وأداء الأمانة، وعلى المؤمنين طاعته وتعظيمه والقيام بحقوقه، فمن أطاعه فقد اهتدى، لأنه يدعو إلى صراط مستقيم، ووعد الله من أطاع الرسول ﷺ بأن يجعلهم أئمة الناس والولاة عليهم، وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد، وليبدلنهم بعد خوفهم من الناس أمنًا وحكمًا فيهم، وتظهر معالم الإسلام وشرائعه، ويجعل الله العز والتمكين للموحدين المخلصين الذين يحققون التوحيد وينشرونه ويدعون إليه، فمن كفر هذه النعم بعد هذا الوعد الصحيح واستمرّ على الكفر، أو كفر بعد إيمان، فأولئك هم الكافرون، الكاملون في الفسق، والفسق الخروج عن الطاعة، والطغيان في الكفر.

ومن أسباب رحمة الله بعباده القيام بالعبادة ومن أعظمها الصلاة والزكاة، فالصلاة أول ما ينظر من عمل العبد، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، والزكاة قرينة الصلاة في كتاب الله، وفيها الإحسان إلى المخلوقين ضعفائهم وفقرائهم، والمتابعة للنبي ﷺ، فالمتابعة من أسباب الرحمة ودخول الجنة مع الإخلاص، أما من خالف النبي ﷺ وكذبه فإنهم لن يعجزوا الله، بل الله قادر عليهم، وسيعذبهم على ذلك أشد العذاب؛ ومأواهم في الدار الآخرة النار ولبئس المآل مآل الكافرين، وبئس القرار وبئس المهاد.

ومن الآداب الإسلامية استئذان الأقارب بعضهم على بعض فأمر الله تعالى المؤمنين أن يستأذنهم خدمهم مما ملكت أيمانهم، وأطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم منهم في ثلاثة أحوال؛ الأول: من قبل صلاة الغداة؛ لأن الناس إذ ذاك يكونون نيامًا في فرشهم، وفي وقت القيلولة؛ لأن الإنسان قد يضع ثيابه في تلك الحال مع أهله، وبعد صلاة العشاء لأنه وقت النوم، فيؤمر الخدم والأطفال ألا يدخلوا دون استئذان على أهل البيت في هذه الأحوال، لما يخشى من أن يكون الرجل مع أهله، ونحو ذلك من الأعمال، وسميت هذه الأوقات عورات لأن الإنسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته، أما إذا دخلوا في حال غير هذه الأوقات، فلا جناح في تمكينهم من ذلك، ولا عليهم إن رأوا شيئًا في غير تلك الأحوال؛ لأنه قد أذن لهم في الدخول، ولأنهم يكثر دخولهم للخدمة وغير ذلك، فيغتفر في الطوافين ما لا يغتفر في غيرهم، والله يبين الله لعباده الآيات الدالة على ما شرعه لهم من الأحكام والآداب، والأخلاق، والله عليم بما في قلوب عباده حكيم في شرعه وأوامره ﷻ.

وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٩﴾ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ
نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ
غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٦٠﴾ لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ
حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ
مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ
أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ
أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ
أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ
أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ
جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتٗاۚ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ
تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٦١﴾

الأطفال إذا بلغوا مبلغ الرجال وجبت عليهم الأحكام الشرعية ومن ذلك وجوب استئذانهم، عند دخول بيوت الآخرين، وتلك من الآداب التي أمر الله بها، والواجب على المرأة أن تحتجب عن الأجانب، ولا يجوز أن تبدي شيئًا منها للأجنبي، وأما المرأة التي لا تطمع بالنكاح لكبرها، فلا جناح عليها أن تضع حجابها بشرط عدم الزينة لانصراف الأنفس عنها، إذ لا رغبة للرجال فيها، فأباح الله سبحانه لها ما لم يبحه لغيرها، وإذا تركن وضع الثياب فهو خير لها من وضعها.

وهذا يدل على أن المرأة التي ليست من القواعد يحرم عليها أن تضع حجابها، وتتبرج بالزينة، فلئن كانت القواعد لا تتبرج بالزينة مع كبرها وعدم رغبتها في النكاح فكيف بغيرها، وإن كانت الخيرية للقواعد في الالتزام بالحجاب فلا شك أن غيرهن أولى بذلك، وكان الرجل الأعمى والأعرج والمريض يدخل بيت أبيه، أو أخيه أو ابنه، فتتحفه المرأة بالشيء من الطعام، فيتحرجون أن يأكلوا من أجل أن رب البيت لم يأذن به، فأباح الله لهم الأكل، وأباح الله الأكل من بيوت الأولاد، أو بيوت الآباء، وبيوت الأمهات، وبيوت الإخوة والأخوات، وبيوت الأعمام، والعمات، وبيوت الأخوال، والخالات.

وأباح الأكل من البيوت التي يملكون التصرّف فيها بإذن أربابها، كالوكيل، والخازن، وأباح الأكل من بيوت الأصدقاء، وإن لم يكن بينه وبينه قرابة، إذا علم أن ذلك لا يشق عليه ولا يكره ذلك، والصديق في الغالب يسمح لصديقه بذلك، وتطيب به نفسه، سواء أكلوا مجتمعين، أو متفرقين، وإن كانت البركة في الاجتماع على الطعام.

والمشروع للمسلم إذا دخل بيته أو بيت غيره أن يسلم تحية من عند الله، شرعها الله لعباده، فتنزل البركة في علاقاتهم، وتحل المحبة في القلوب، والذي يسلم على أخيه المسلم فكأنما يسلم على نفسه.

والسلام هو الله، والسلام تحية أهل الجنة، ويشرع السلام في كل وقت حتى إذا دخل البيت غير المسكون، أو المسجد فليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، ومرتبة السلام العليا أن يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وهذه الأحكام والآداب يبينها الله لعباده بيانًا شافيًا، ليتدبروها ويتعقلوها، ويعملوا بها ويتأدبوا بها فيما بينهم.

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

سُورَةُ الفُرْقَانِ

ترتيبها ٢٥ — آياتها ٧٧

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ



تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾

اجتماع الأمة وترابطها بوحدتها واجتماع كلمتها ولا يتأتى ذلك الا باجتماع على رجل واحد يسمعون ويطيعون له، فله السمع والطاعة في المنشط والمكره وفي العسر واليسر، وكما أرشد الله عباده المؤمنين بالاستئذان عند الدخول، كذلك أمرهم بالاستئذان عند الانصراف ولا سيما إذا كانوا في أمر جامع مع الرسول، صلوات الله وسلامه عليه من صلاة جمعة أو عيد أو جماعة، أو اجتماع لمشورة ونحو ذلك.

أمرهم الله تعالى ألا ينصرفوا عنه والحالة هذه إلا بعد استئذانه ومشاورته، وإن من يفعل ذلك فهو من المؤمنين الكاملين، ثم أمر الله رسوله صلوات الله وسلامه عليه إذا استأذنه أحد منهم في ذلك أن يأذن له إن شاء، ونهى الله عباده المؤمنين أن يجعلوا نداء النبي كنداء بعضهم بعضًا فلا يقولوا يا محمد، ولا يا ابن عبد الله، ولكن يشرفوه فيقولوا يا نبي الله، يا رسول الله وهذا كله من باب الأدب في مخاطبة النبي ﷺ والكلام معه وعنده.

والله يعلم المنافقين، الذين يثقل عليهم الحديث في يوم الجمعة فيلوذون ببعض أصحاب محمد ﷺ حتى يخرجوا من المسجد، فليحذر الذين يخالفون سبيل رسول الله ﷺ، ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته أن تصيبهم فتنة في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة، أو يصيبهم عذاب أليم في الدنيا، بقتل أو حد أو حبس، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قبل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله، كائنًا من كان، والله هو مالك السموات والأرض، وعالم غيب السموات والأرض، وهو عالم بما العباد عاملون في سرهم وجهرهم، لا يعزب عنه مثقال ذرة، ويوم ترجع الخلائق إلى الله، يخبرهم بما فعلوا في الدنيا، من جليل وحقير، وصغير وكبير.

سورة الفرقان

وهي سورة مكية إلاّ ثلاث آيات نزلت بالمدينة، وسميت بذلك لذكر الفرقان فيها، وهو القرآن

تعالى الله وتقدس في صفاته وأفعاله، وتكاثر خيره نزل القرآن على عبده ورسوله محمد ﷺ الذي يفرق بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والغي والرشاد، والحلال والحرام؛ ليكون الرسول ﷺ للجن والإنس بشيرًا ونذيرًا بالقرآن، يبشر بالتوحيد، وينذر من الشرك، أرسله مالك السموات والأرض، الذي يقول للشيء كن فيكون، وهو الذي يحيي ويميت، المنزه عن الولد، وعن الشريك، وخلق كل شيء، فما سواه مخلوق مربوب، وهو خالق كل شيء وربه ومليكه وإلهه، وكل شيء تحت قهره وتسخيره، وتدبيره وتقديره.

وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ
وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا
وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ
ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا
﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ
عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟
مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ
لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ
إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ
ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ
كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ بَلْ
كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

من جهل المشركين اتخاذهم آلهة من دون الله، الخالق لكل شيء، المالك المتصرف، الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فعبدوا معه من الأصنام ما لا يقدر على خلق جناح بعوضة، بل هم مخلوقون، ولا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا، فكيف يملكون لعابديهم، ولا يملكون موتًا ولا حياة ولا نشورًا، بل ذلك كله لله ﷻ، الذي يحيي ويميت، وهو الذي يعيد الخلائق يوم القيامة أولهم وآخرهم، فهو الله الذي لا إله غيره ولا رب سواه، ولا تنبغي العبادة إلا له، وهو الذي لا ولد له ولا والد، ولا ند له ولا مثيل، بل هو الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، ومن سخافة عقول الجهلة من الكفار، قولهم عن القرآن أنه كذب، كذبه النبي ﷺ، واستعان على جمعه بقوم آخرين، فقد افتروا قولًا باطلًا، وهم يعرفون كذب أنفسهم فيما يزعمون وقالوا: إن هذا القرآن كتب الأوائل استنسخها، فهي تقرأ عليه في أول النهار وآخره، وهم يعلمون أن الذي أنزل القرآن المشتمل على أخبار الأولين والآخرين هو الله الذي يعلم غيب السموات والأرض، ويعلم السرائر كعلمه بالظواهر، فليتوبوا إلى الله فإن رحمته واسعة، وحلمه عظيم، ومن تاب إليه تاب عليه، فهم مع كذبهم وافترائهم وفجورهم وبهتهم وكفرهم وعنادهم، وقولهم عن الرسول والقرآن ما قالوا، دعاهم الله إلى التوبة والإقلاع عما هم فيه إلى الإسلام والهدى، ومن تعنت الكفار وعنادهم وتكذيبهم للحق بلا حجة ولا دليل منهم تعللهم عن الإيمان بالرسول ﷺ أن الرسول يأكل الطعام كما نأكله، ويحتاج إليه كما نحتاج إليه، يتردد في الأسواق طلبًا للتكسب والتجارة، فهلّا أنزل إليه ملك من عند الله، فيكون له شاهدٌ على صدق ما يدعيه، أو يكون معه كنز ينفق منه، أو تكون له جنة يأكل منها تسير معه حيث سار، وهذا يسير على الله، ولكن له الحكمة في ترك ذلك، وله الحجة البالغة، وقال الظالمون لأنفسهم بالشرك: إن تتبعون إلا رجلًا مخدوعًا، ومصروفًا عن الحق، فضربوا له الأشباه، فقالوا مسحور، وكاهن وشاعر ومجنون، وكذاب وغيره، فضلوا عن الحق، فلا يستطيعون طريقًا إلى الهدى ومخرجًا عن الضلالة، ولو شاء الله لأتى نبيه خيرًا مما يقولون في الدنيا وأفضل وأحسن، فتكاثر وتزايد خير الذي إن شاء جعل لنبيه في الدنيا عاجلًا خيرًا مما اقترحوه، يجعل له جنة يأكل منها بمثل ما وعده في الآخرةِ، ويجعل له بيوتًا مشيدة، وقد عرض على النبي ﷺ أن تجعل له بطحاء مكة ذهبًا فقال لا يا رب، ولكن أشبع يومًا وأجوع يومًا،، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك، فاللهم صل على محمد ولا تحرمنا شفاعته يوم القيامة، ووالدينا وأهلينا والمسلمين، وإنما يقول المشركون ذلك تكذيبًا وعنادًا، لا أنهم يطلبون ذلك تبصرًا واسترشادًا، بل تكذيبهم بيوم القيامة يحملهم على قول ما يقولونه من هذه الأقوال، وقد أرصد الله لمن كذب بالساعة عذابًا أليمًا حارًّا لا يطاق في نار جهنم.

إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدْعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءٗ وَمَصِيرٗا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدٗا مَّسْـُٔولٗا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ وَكَانُواْ قَوْمَۢا بُورٗا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفٗا وَلَا نَصْرٗاۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٖ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ﴿٢٠﴾

النار بأهوالها وعذابها، أمرنا الله باتقائها؛ لأنها عذابه جل وعلا، وهي في القيامة إذا رأت الكفار في مقام المحشر، ومن مسيرة مائة عام، سمعوا لها حنقًا عليهم، يكاد ينفصل بعضها من بعض من شدة غيظها على من كفر بالله، وتزفر جهنم زفرة، لا يبقى ملك ولا نبي إلا خر ترعد فرائصه، حتى إن إبراهيم عليه السلام ليجثو على ركبتيه ويقول رب لا أسألك اليوم إلا نفسي، وتضيق على الظالمين جهنم، مصفدين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال، ومقرنين مع الشياطين في السلاسل، فيدعون ويلًا، وهلاكًا، فيقال لهم هلاككم أكثر من أن تدعوا مرة واحدة، فادعوا أدعية كثيرة، فإن ما أنتم فيه من العذاب أشدّ من ذلك لطول مدّته، وعدم تناهيه.

أتلك النار وما فيها من أنواع العذاب خير أم جنة الخلود التي لا موت فيها ولا انقطاع لنعيمها أعدها الله للمتقين من عباده ثوابًا ومرجعًا، وجزاء على أعمالهم، ومصيرًا يصيرون إليه؟ لهم فيها ما يشاؤونه من النعيم، وضروب الملاذ، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب أحد، وهم في ذلك خالدون أبدًا دائمًا سرمدًا بلا انقطاع ولا انقضاء، لا يبغون عنها حولًا، وهذا من وعد الله الذي تفضل به عليهم، وأحسن به إليهم، لا بد أن يقع وأن يكون، وعدًا واجبًا، ويوم القيامة يجمع الله الكفار مع من عبدوا من دون الله من الملائكة وغيرهم، فيقول الرب تبارك وتعالى للمعبودين أأنتم دعوتم هؤلاء إلى عبادتكم من دوني، أم هم عبدوكم من تلقاء أنفسهم، من غير دعوة منكم لهم؟ فيجيب المعبودون، ليس للخلائق كلهم أن يعبدوا أحدًا سواك، لا نحن ولا هم، فنحن ما دعوناهم إلى ذلك، بل هم قالوا ذلك من تلقاء أنفسهم من غير أمرنا ولا رضانا ونحن برآء منهم ومن عبادتهم، وما ينبغي لأحد أن يعبدنا، فإنا عبيد لك، فقراء إليك، ولكن طال عليهم العمر حتى نسوا ما أنزلته إليهم على ألسنة رسلك، من الدعوة إلى عبادتك وحدك لا شريك لك، وكانوا قومًا هلكى لا خير فيهم.

فيقال لهم قد كذبكم الذين عبدتم فيما زعمتم أنهم لكم أولياء، وأنكم اتخذتموهم قربانًا يقربونكم إلى الله زلفى، فلا تقدرون صرف العذاب عنكم ولا الانتصار لأنفسكم، وجزاء من أشرك بالله العذاب الأليم يوم القيامة.

وجميع من بعث الله من الرسل المتقدمين من البشر يأكلون الطعام، ويحتاجون إلى التغذي به، ويخرجون إلى الأسواق للتكسب والتجارة، وليس ذلك بمنافٍ لحالهم ومنصبهم؛ فإن الله جعل لهم من السمات الحسنة، والصفات الجميلة، والأقوال الفاضلة، والأعمال الكاملة، والمعجزات الباهرة، ما يستدل به كل ذي عقل سليم، وبصيرة مستقيمة، على صدق ما جاءوا به من الله عز وجل، وقد جعل الله العباد ابتلاء لبعض، فالغني فتنة للفقير، والصحيح فتنة للمريض، والشريف فتنة للوضيع، ليعلم الله من يطيع ممن يعصي؛ ومن يصبر على هذه الحالة التي عليها من الفقر والشدة والأذى، وربك بصير بمن صبر وبمن جزع، وبصير بمن يستحق أن يوحى إليه.

۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٢١﴾ يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ﴿٢٤﴾ وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا ﴿٢٦﴾ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾

من تعنت الكفار، في كفرهم، وعنادهم قولهم لولا أرسل إلينا الملائكة، أو تخبرنا بصدق محمد، أو نرى ربنا فيخبرنا بنبوة محمد، لقد تعاظموا بهذه المقالة، وطغوا في القول، ففي اليوم الذي يرون فيه الملائكة -وذلك عند الموت وفي القيامة- لا بشارة لهم بالجنة، كما يبشر المؤمنون، ففي وقت الاحتضار تبشرهم الملائكة بالنار، وغضب الجبار، فتقول الملائكة للكافر عند خروج روحه: اخرجي أيتها النفس الخبيثة في الجسد الخبيث، اخرجي إلى سموم وحميم، وظل من يحموم، فتأبى الخروج وتتفرق في البدن، فيضربونه، وتقول الملائكة: حرامًا محرما أن يدخل الجنة إلا من قال لا إله إلا الله، وفي يوم القيامة، حين يحاسب الله العباد على ما عملوه من خير وشر، لا يتحصل للمشركين من الأعمال التي ظنوا أنها منجاة لهم شيء؛ وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي، إما الإخلاص فيها، وإما المتابعة لشرع الله، فكل عمل لا يكون خالصًا ولا يكون موافقًا لما جاء به الرسول ﷺ فهو باطل، فأعمال الكفار لا تخلو من واحد من هذين، وقد تجمعهما معًا، فتكون أبعد من القبول حينئذ؛ فأعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، تتطاير به الريح في مكان لا يستطيع أحد الإمساك به فتكون الأعمال ذرات في الهواء لا يمسك بها أحد، فلا يستوي الفريقان: أهل الجنة يصيرون إلى الدرجات العاليات، والغرفات الآمنات، فهم في مقام أمين، حسن المنظر، طيب المقام، وأهل النار يصيرون إلى الدركات، والحسرات المتتابعات، وأنواع العذاب والعقوبات، فأهل الجنة يوم القيامة خير مستقرًا بما عملوه من الأعمال المتقبلة، فيوم القيامة يقصر على المؤمن حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس، وأنهم ليقيلون في رياض الجنة حتى يفرغ من الناس، في ذلك اليوم العصيب، الذي ذكرت أهواله في القرآن، وما يكون فيه من الأمور العظيمة، من انشقاق السماء وتفطرها وانفراجها بالغمام، ونزول ملائكة السموات يومئذ، فيحيطون بالخلائق في مقام المحشر، ثم يجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء، والملك في ذلك اليوم لله الواحد القهار، وإن الله يطوي السموات بيمينه، ويأخذ الأرضين بيده الأخرى، ثم يقول: أنا الملك، أنا الديان، أين ملوك الأرض، أين الجبارون، أين المتكبرون، وهو يوم شديد صعب؛ لأنه يوم عدل وقضاء فصل، في ذلك اليوم يندم الظالم الذي فارق طريق الرسول وما جاء به من عند الله من الحق المبين، الذي لا مرية فيه، وسلك طريقًا أخرى غير سبيل الرسول، يندم حيث لا ينفعه الندم، ويعض على يديه حسرة وأسفًا، ويتمنى أنه لم يتخذ صديقًا، يصرفه عن الهدى، ويعدل به إلى طريق الضلالة، ويضله عن القرآن بعد بلوغه إليه، والشيطان يخذل الإنسان عن الحق، ويصرفه عنه، ويستعمله في الباطل، ويدعوه إليه، والقرآن أنزله الله هداية للبشرية، وقد كان المشركون لا يصغون للقرآن ولا يسمعونه، وإذا تلي عليهم القرآن أكثروا اللغط والكلام في غيره، حتى لا يسمعوه، وهذا من هجرانه، ومن هجرانه ترك تعلمه وحفظه، وترك الإيمان به وتصديقه، وترك تدبره وتفهمه، وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره، والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره، وترك الاستشفاء به، وقد جعل الله لكل نبي عدوًا من المجرمين، يدعون الناس إلى ضلالهم وكفرهم، وكفى بالله هاديًا ونصيرًا، لمن اتبع رسوله، وآمن بكتابه وصدقه واتبعه، له الهداية والنصرة في الدنيا والآخرة.

ومن تعنت الكفار كلامهم فيما لا يعنيهم، حيث قالوا: لولا أنزل عليه هذا الكتاب الذي أوحي إليه جملة واحدة، كما نزلت الكتب قبله، كالتوراة والإنجيل والزبور، فأجابهم الله عن ذلك بأنه إنما أنزل منجمًا في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث، وما يحتاج إليه من الأحكام لتثبيت قلب النبي ﷺ وقلوب المؤمنين به، وبينه الله تبيينًا، وفسره تفسيرًا.

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

لا يأتي الكفار بحجة وشبهة، ولا يقولون قولا يعارضون به الحق، إلا جاءهم الجواب بما هو الحق في نفس الأمر، وأبين وأوضح وأفصح من مقالتهم، وحال الكفار في معادهم يوم القيامة وحشرهم إلى جهنم، في أسوأ الحالات وأقبح الصفات، فيحشر الكافر على وجهه يوم القيامة، وإن الذي أمشاه على رجليه قادر أن يمشيه على وجهه، فهم شر الناس مكانة ومنزلة، ومنزلا ومصيرًا، وأخطأ طريقًا.

وقد أرسل الله رسله إلى الأمم، فعاند المتكبرون المتجبرون، فقد بعث الله موسى ﷺ، وجعل معه أخاه هارون نبيًا مؤازرًا، ومؤيدًا وناصرًا، فكذبهما فرعون وجنوده، فـدمر الله عليهم، فأغرق فرعون وقومه، وكذلك فعل بقوم نوح حين كذبوا رسوله نوحًا ﷺ، ومن كذب برسول فقد كذب بجميع الرسل؛ إذ لا فرق بين رسول ورسول، وقد لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، يدعوهم إلى الله، ويحذرهم نقمه، فما آمن معه إلا قليل، ولهذا أغرقهم الله، ولم يبق منهم أحد، ولم يبق على وجه الأرض من بني آدم سوى أصحاب السفينة فقط، وجعلهم الله للناس عبرة يعتبرون بها، وبعث الله إلى عاد هودًا ﷺ فكذبوا فأهلكهم الله بالريح، وبعث إلى ثمود صالحًا ﷺ فكذبوا فأهلكهم الله بالصيحة، وأما أصحاب الرس أهل قرية فَلَجْ من قرى اليمامة، وهم أصحاب يس، وهم قوم غيبوا نبيهم في بئر، وأمم بين ذلك أضعاف من ذكر أهلكهم الله جميعًا، واستأصلهم العذاب وأبادهم إبادة ودمرهم بعد بيان الحجج وإيضاح الأدلة، وكان العرب يمرون على قرية سدوم -وهم قوم لوط- الذين أهلكهم الله بقلب قريتهم، وبالمطر والحجارة من سجيل، فكانوا يرون أثر العقوبة التي حلت بهم ولكنهم لم يعتبروا ويتعظوا بما حل بأهلها من العذاب والنكال بسبب تكذيبهم بالرسول ومخالفتهم أوامر الله، ولكنهم لا يؤمنون بالآخرة ولا بالبعث بعد الموت، ويستهزئون بالرسول -صلوات الله وسلامه عليه- إذا رأوه، ويرمونه بالعيب والنقص، ويقولون على سبيل التنقص والازدراء أهذا الذي بعث رسولًا؟ إن كاد ليصدنا عن عبادة الأصنام، لولا أن صبرنا وتجلدنا واستمررنا على عبادتها، ولكن الحقيقة في يوم القيامة حين يرون العذاب، فيعلمون أنهم كانوا في ضلال، ولكنهم لا ينفعهم ذلك، ومن كتب الله عليه الشقاوة والضلال، فإن الله لا يهديه، لأنهم اتخذوا الهوى إلهًا، فأطاعوا أهواءهم فكل ما تهواه نفوسهم كان دينهم ومذهبهم، وقد كان الرجل في الجاهلية يعبد الحجر الأبيض زمانًا، فإذا رأى غيره أحسن منه عبد الثاني وترك الأول، فمن كانت تلك حالته فلن يكون الرسول عليه حافظًا وكفيلًا عليه يحفظه من اتباع هواه وعبادة من يهوى من دون الله.

أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا قَبۡضٗا يَسِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ﴿٤٨﴾ لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴿٥٠﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا ﴿٥٤﴾ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا ﴿٥٥﴾

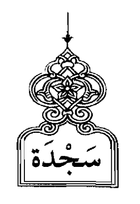
ربع الحزب ٣٧

الكفار في غيهم وكفرهم أسوأ حالًا من الأنعام، فإن تلك تعقل ما خلقت له، وهؤلاء خلقوا لعبادة الله وحده لا شريك له، وهم يعبدون غيره ويشركون به، مع قيام الحجة عليهم وإرسال الرسل إليهم، فهم لا يعقلون ما ينفعهم ولا يسمعون الحق، ولو تأملوا آثار خلق الله وبديع صنعه في الكون لعلموا أن الله هو المستحق للعبادة.

ومن بديع خلق الله أن الله مد الظل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، جعله ممدودًا لأنه ظل لا شمس معه، ولو شاء الله لجعله دائمًا ثابتًا لا يزول ولا تذهبه الشمس، ولو لم تكن الشمس لما عرف الظل، ولولا وجود النور لما عرفت الظلمة، والأشياء تعرف بأضدادها، فالظل يعم جميع الأرض قبل طلوع الشمس، فإذا طلعت الشمس قبض الله الظل جزءًا فجزءًا، ومن بديع خلق الله أن جعل للعباد الليل سترًا يستترون به، فظلمته تغشى كل شيء، كاللباس الذي يشتمل على لابسه، وجعل النوم راحة للأبدان وقطعًا للأعمال، وجعل النهار يقظة وزمانًا ينتشر فيه الناس لابتغاء الرزق، وينتشرون لأشغالهم، ومن آيات الله الدالة على وحدانيته إرساله الرياح تبشيرًا بالمطر، وإنزاله من السماء ماء يتطهر به العباد من الحدث والنجاسة، ويحيي به البلاد الميتة مواتًا ويجعله سقيًا للبهائم والبشر، يقسمه بين العباد، وقد قسم الله هذه الأرزاق، فجعلها في السماء الدنيا، في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ووزن معلوم، وإذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك إلى غيرهم، فإذا عصوا جميعًا صرف الله ذلك إلى الفيافي والبحار، ليتذكر العباد ويتفكروا في قدرة الله تعالى، ولكن أبى أكثر الناس إلا جحودًا،، وجحودهم أنهم إذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا وكذا، ولو شاء الله لبعث في كل قرية رسولًا ينذرهم، ولكن الله بعث محمدًا ﷺ إلى القرى كلها، وحمله ثقل النذارة جميعًا، ليستوجب بصبره عليها ما أعده الله له من الكرامة والدرجة الرفيعة، فقام بها وأداها وجاهد بالقرآن الكفار ولم يطعهم فيما دعوه إليه من موافقتهم ومداهنتهم، ومن قدرة الله تعالى أنه خلط البحرين، وأفاض أحدهما في الآخر، هذا عذب شديد العذوبة، وهذا ملح شديد الملوحة، وجعل بينهما حاجزًا بقدرته لئلا يختلط العذب بالمالح ولا المالح بالعذب، وجعل بينهما سترًا ممنوعًا فلا يبغيان، ولا يفسد المالح العذب، ومن قدرة الله أن خلق من ماء الرجل والمرأة بشرًا، فجعله ذا نسب وصهر، فهو في ابتداء أمره ولد نسيب، ثم يتزوج فيصير صهرًا، ثم يصير له أصهار، وقرابات.

والنسب من القرابة، والصهر الخلطة التي تشبه القرابة، وهو السبب المحرم للنكاح، وقد حرم بالنسب سبعًا وبالسبب سبعًا، ويعبد المشركون من دون الله، ما لا ينفعهم إن عبدوه، ولا يضرهم إن تركوه، وكان الكافر معينًا للشيطان على ربه بالمعاصي.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٥٦﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ
مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلۡ
عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ
عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا
فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ
خَبِيرٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ
أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا ۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ



فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا ﴿٦١﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ
شُكُورٗا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ
هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ
يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا
﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ
لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾

لقد أرسل الله رسوله صلوات الله وسلامه عليه بشيرًا للمؤمنين ونذيرًا للكافرين، مبشرًا بالجنة لمن أطاع الله، ونذيرًا بين يدي عذاب شديد لمن خالف أمر الله، ولا يسأل على هذا البلاغ وهذا الإنذار أجرة من أحد، وإنما يفعل ذلك ابتغاء وجه الله، وجاء برسالة ربه لمن أراد أن يسلك الصراط المستقيم والمنهج القويم، وأمر المسلم أن يكون متوكلًا على الله الحي الذي لا يموت أبدًا، رب كل شيء ومليكه، هو الذخر والملجأ، وهو الذي يتوكل عليه ويفزع إليه، يكفي عباده وينصرهم ويؤيدهم، وأمر المسلم أن يقرن بين حمد الله وتسبيحه فيخلص له العبادة والتوكل، والله لا تخفى عليه خافية، من أعمال عباده ولا يعزب عنه مثقال ذرة، خالق كل شيء وربه ومليكه، الذي خلق بقدرته وسلطانه السموات السبع في ارتفاعها واتساعها، والأرضيين السبع، وعلا على عرشه علوًّا خاصًّا غير العلو العام على جميع الأكوان وهذا العلو ثابت لله تعالى على وجه الحقيقة فهو عالٍ على عرشه علوًّا يليق به ﷻ لا يشبه علو الإنسان على السرير، فاستواء المخلوق على شيء لا يمكن أن يماثله استواء الله على عرشه؛ لأن الله ليس كمثله شيء، يدبر الأمر، ويقضي الحق، وهو خير الفاصلين.

ومن أراد العلم بالله، فليأخذ بكلام رسول الله ﷺ لأنه لا أحد أعلم بالله ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد -صلوات الله وسلامه عليه- الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى فما قاله فهو حق، وما أخبر به فهو صدق، وهو الإمام المحكم الذي إذا تنازع الناس في شيء وجب رد نزاعهم إليه، فما يوافق أقواله، وأفعاله فهو الحق وما يخالفها فهو مردود على قائله وفاعله، كائنًا من كان، وقد كان المشركون يسجدون لغير الله من الأصنام والأنداد، وإذا أمروا أن يسجدوا للرحمن قالوا لا نعرف الرحمن، وكانوا ينكرون أن يسمى الله باسمه الرحمن، فلا يسجدون لأمر الرسول ﷺ وزادهم نفورًا عن الدين والإيمان، أما المؤمنون فإنهم يعبدون الله الذي هو الرحمن الرحيم، ويفردونه بالإلهية ويسجدون له.

فتعالى الله وتقدس الذي خلق في السماء الكواكب العظام، والشمس المنيرة، التي هي كالسراج في الوجود، والقمر المضيء المشرق، وهو الذي جعل الليل والنهار يخلف كل واحد منهما الآخر، يتعاقبان لا يفتران، إذا ذهب هذا جاء هذا، وإذا جاء هذا ذهب ذاك، وجعل في تعاقبهما، توقيتًا لعبادة عباده له، فمن فاته عمل في الليل استدركه في النهار، ومن فاته عمل في النهار استدركه في الليل، لمن أراد أن يتذكر ويتعظ، وأراد شكر نعمة ربه عليه فيهما، ومن صفات عباد الله المؤمنين أنهم يمشون على الأرض بسكينة ووقار من غير تجبر ولا استكبار، ولا مرح ولا أشر ولا بطر، وإذا سفه عليهم الجهال بالسيئ من القول والفعل، لم يقابلوهم عليه بمثله، بل يعفون ويصفحون، ولا يقولون إلا خيرًا، ولا يقولون إلا قولًا يسلمون به من الإثم، ولا تزيدهم شدة الجهل عليهم إلا حلمًا، وفي الليل يقطعونه بالسجود والقيام وتلاوة القرآن ويدعون ربهم أن ينجيهم من عذاب النار فإن عذابها ملازمًا دائمًا، وهي بئس المنزل منظرًا، وبئس المقيل مقامًا، وهم في الإنفاق وسط بين الإسراف والبخل فهم ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهليهم فيقصرون في حقهم فلا يكفوهم، بل عدلًا خيارًا، وخير الأمور أوسطها، لا هذا ولا هذا.

وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ﴿٧٧﴾

سورة الشعراء

ترتيبها ٢٦ — آياتها ٢٢٧

من صفات عباد الرحمن تحقيق التوحيد والإخلاص لله تعالى، فلا يعبدون إلا الله ولا يدعون غيره، ويخافون الشرك، ويسألون ربهم أن ينجيهم وذرياتهم منه، ولا يقتلون الأنفس المعصومة وهي نفس المسلم والمعاهد والذمي والمستأمن فقد حرم الله قتل تلك الأنفس، ولا يقربون فاحشة الزنا، ولا أبواب الزنا الموصلة إليه من الاختلاط والتبرج والسفور والخلوة بالمرأة الأجنبية، والدخول على النساء، وسفر المرأة بدون محرم، ومصافحة المرأة الأجنبية.

وقد توعد الله من فعل ذلك بواد في جهنم، يكرر عليه العذاب ويغلظ، ويخلد فيه حقيرًا ذليلًا، إلا من تاب في وقت التوبة وحسنت توبته، فآمن بعد الشرك وحقق التوحيد، وعمل الصالحات بعد الكبائر، وازداد من الإيمان بفعل الطاعات، فيبدلهم الله بالعمل السيئ العمل الصالح، ويبدلهم بالشرك إخلاصًا، ويبدلهم بالفجور إحصانًا وبالكفر إسلامًا، وإذا خلصت التوبة ونصحت تنقلب السيئات الماضية حسنات، فهو كلما تذكر ما مضى ندم واسترجع واستغفر، فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار، فيوم القيامة وإن وجده مكتوبًا عليه لكنه لا يضره وينقلب حسنة في صحيفته، فالله يقبل توبة من تاب وعمل صالحًا، ومن صفات عباد الرحمن، أنهم لا يحضرون الشرك وعبادة الأصنام، والكذب، والفسق، واللغو، والباطل، واللهو والغناء، وأعياد المشركين، ومجالس السوء والخنا.

وإذا اتفق مرورهم به مروا ولم يتدنسوا منه بشيء، ومن صفات المؤمنين أنهم إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا، ولم يصموا عن الحق ولم يعموا عنه، فهم قوم عقلوا عن الله وانتفعوا بما سمعوا من كتابه بخلاف الكافر، فإنه إذا سمع كلام الله لا يؤثر فيه ولا يقصر عما كان عليه، بل يبقى مستمرًا على كفره وطغيانه وجهله وضلاله، وكأنه لم يسمع آيات الله فهو أصم أعمى، ومن صفات عباد الرحمن دعاء الله بصلاح الزوجة والذرية، بأن يكونوا سببًا في سعادتهم في الدنيا والآخرة، ويدعون ربهم بأن يجعلهم أئمة يقتدى بهم في الخير، هداة مهتدين ودعاة إلى الخير، وأن تستمر عبادتهم بعبادة أولادهم وذرياتهم وأن يكون هداهم متعديًا إلى غيرهم بالنفع، وذلك أكثر ثوابًا، وأحسن مآبًا؛ فأصحاب تلك الصفات الجميلة، والأفعال والأقوال الجليلة يجزون يوم القيامة بالجنة، بما عملوا واتصفوا بصفات الكمال تبادرهم الملائكة فيها بالتحية والإكرام، ويلقون فيها التوقير والاحترام، فلهم السلام وعليهم السلام، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، وهم في الجنة مقيمون، لا يظعنون ولا يحولون ولا يموتون، ولا يزولون عنها ولا يبغون عنها حولًا حسنت منظرًا وطابت مقيلا ومنزلًا، نسأل الله الكريم الجليل أن يدخلنا الجنة وأن يجعلنا من عباد الرحمن ووالدينا وأهلينا وذرياتنا والمسلمين، والله ﷻ خلق الخلق ليعبدوه ويوحدوه ويسبحوه بكرة وأصيلًا، ولولا إيمان المؤمنين لم يبال الله بهم، فالمكذبون لا يبالي الله بهم إذا لم يعبدوه؛ فقد كفروا فسوف يكون كفرهم مقتضيًا لهلاكهم وعذابهم ودمارهم في الدنيا والآخرة.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾



سورة الشعراء

وهي سورة مكية، إلا أربع آيات وسميت بذلك لذكر صفة الشعراء فيها، وتسمى الجامعة

الحروف المقطعة في أوائل السور جاءت لتحدي العرب بالإتيان بمثل القرآن في بلاغته وفصاحته وتحدّيهم بذلك فهو قرآن بيّن واضح، يفصل بين الحق والباطل، والغي والرشاد، وقد كان النبي ﷺ يهلك نفسه ويتعبها في دعوة قومه، ويحزن لصدودهم وإعراضهم وكفرهم، ولو شاء الله لأراهم أمرًا من أمره، لا يعمل أحد منهم بعده معصية، ويضطرهم إلى الإيمان قهرًا، ولكن الله لم يرد ذلك؛ فنفذ قدره، ومضت حكمته، وقامت حجته البالغة على خلقه بإرسال الرسل إليهم، وإنزال الكتب عليهم، وكلما جاءهم كتاب من السماء أعرض عنه أكثر الناس، وكذبوا بما جاءهم من الحق، واستهزءوا، فسيعلمون نبأ هذا التكذيب بعد حين، كيف يكفرون بالله، وهو القاهر العظيم القادر، الذي خلق الأرض وأنبت فيها من كل زوج كريم، من زروع وثمار وحيوان؟ وفي ذلك دلالة على قدرة الخالق للأشياء، الذي بسط الأرض ورفع بناء السماء، ومع هذا ما آمن أكثر الناس، بل كذبوا به وبرسله وكتبه، وخالفوا أمره، وارتكبوا زواجره، والله العزيز الذي عز كل شيء وقهره وغلبه، الرحيم بخلقه، فلا يعجل على من عصاه، بل ينظره ويؤجله ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر.

وقد أمر الله عبده ورسوله وكليمه موسى بن عمران صلوات الله وسلامه عليه حين ناداه من جانب الطور الأيمن وكلمه وناجاه وأرسله واصطفاه بالذهاب إلى فرعون وملئه؛ فقال إني أخاف أن يكذبوا رسالتي ويضيق صدري من تكذيبهم، ولا ينطلق لساني بتأدية الرسالة فأرسل إلى هارون ليؤازرني ويظاهرني على تبليغ الرسالة، وأخاف أن يقتلوني بسبب ما كان من قتل القبطي الذي كان سبب خروجه من بلاد مصر، فأوحي إليه لا تخف من أي شيء، إن الله معكما بحفظه ونصره وتأييده، فأتيا فرعون واخبراه أن كل منكما رسول الله إليه، فليطلق بني إسرائيل من أسره وقبضته وقهره وتعذيبه، فإنهم عباد الله المؤمنين وحزبه المخلصين، وهم عند فرعون في العذاب المهين، فلما قال له موسى ذلك أعرض فرعون عما هنالك بالكلية، ونظر بعين الازدراء والاحتقار فقال له أليس أنت الذي ربيناه في بيتنا وعلى فراشنا وغذيناه، وأنعمنا عليه مدة من السنين، ثم بعد هذا قابلت ذلك الإحسان بتلك الفعلة، أن قتلت منا رجلًا وجحدت نعمتنا عليك.

قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾

لما قابل موسى ﷺ فرعون، وعيره بقتل النفس، قال له موسى ﷺ فعلتها في تلك الحال قبل أن يوحى إلي وينعم الله علي بالرسالة والنبوة، فهربت خوفًا منكم فأكرمني الله بالرسالة وأمرني أن أبلغك رسالته، فإن أطعت الله سلمت، وإن خالفته هلكت.

وما أحسنت إلي وربيتني مقابل ما أسأت إلى بني إسرائيل فجعلتهم عبيدًا وخدمًا، تصرفهم في أعمالك ومشاق رعيتك، وكيف تمن علي بالتربية وقد استعبدت قومي؟ ومن أهين قومه ذل، فتعبيدك بني إسرائيل قد أحبط إحسانك إلي، وبسبب استعبادك بني إسرائيل وقتلك أولادهم، دفعت إليك حتى ربيتني وكفلتني ولو لم تستعبدهم وتقتلهم كان لي من أهلي من يربيني ولم يلقوني في اليم، فأي نعمة لك علي؟ ومن كفر فرعون، وتمرده وطغيانه وجحوده، قال لموسى ﷺ ومن هذا الذي تزعم أنه رب العالمين غيري، فقال موسى ﷺ: الله خالق جميع ذلك ومالكه، والمتصرف فيه وإلهه، لا شريك له، هو الله الذي خلق الأشياء كلها، العالم العلوي وما فيه من الكواكب الثوابت والسيارات النيرات، والعالم السفلي وما فيه من بحار وقفار، وجبال وأشجار، وحيوان ونبات وثمار، وما بين ذلك من الهواء والطيور، وما يحتوي عليه الجو، الجميع عبيد له خاضعون ذليلون، إن كانت لكم قلوب موقنة، وأبصار نافذة، فعند ذلك التفت فرعون إلى من حوله من ملئه ورؤساء دولته قائلًا لهم، على سبيل التهكم والاستهزاء والتكذيب لموسى فيما قاله ألا تعجبون مما يقول هذا في زعمه أن لكم إلهًا غيري فقال لهم موسى ﷺ: هو خالقكم وخالق آبائكم الأولين، قال فرعون لقومه، إن رسولكم الذي أرسل إليكم ليس له عقل في دعواه أنَّ ثَمَّ ربًّا غيري، فقال موسى ﷺ: هو الله الذي جعل المشرق مشرقًا تطلع منه الكواكب، والمغرب مغربا تغرب فيه الكواكب، فإن كان هذا الذي يزعم أنه ربكم وإلهكم صادقًا فليعكس الأمر، وليجعل المشرق مغربًا، والمغرب مشرقًا، فلما قامت على فرعون الحجة بالبيان والعقل، عدل إلى أن يقهر موسى بيده وسلطانه، وظن أنه ليس وراء هذا المقام مقال، فقال موسى ﷺ أو لو جئتك ببرهان قاطع واضح، قال فرعون فأت به إن كنت من الصادقين، فألقى عصاه فإذا هي ثعبان ظاهر واضح في غاية الجلاء والوضوح والعظمة، ذات قوائم وفم كبير، وشكل هائل مزعج، وأخرج يده من جيبه، فإذا هي تتلألأ كقطعة من القمر، فبادر فرعون إلى التكذيب والعناد، فقال للملأ حوله إن هذا بارع في السحر، فروَّج عليهم فرعون أن هذا من قبيل السحر لا من قبيل المعجزة، ثم حرضهم على مخالفته، والكفر به، فقال إنما أراد أن يذهب بقلوب الناس معه، فيكثر أعوانه وأنصاره وأتباعه ويغلبكم على دولتكم، فيأخذ البلاد منكم، فأشيروا علي فيه ماذا أصنع به؟

قالوا: أخره وأخاه حتى تجمع له من مدائن مملكتك وأقاليم دولتك كل سحار عليم يقابلونه، ويأتون بنظير ما جاء به، فتغلبه أنت وتكون لك النصرة والتأييد، فأجابهم إلى ذلك.

وكان هذا من تسخير الله تعالى لهم في ذلك؛ ليجتمع الناس في صعيد واحد، ولتظهر آيات الله وحججه وبراهينه على الناس في النهار جهرة، فاجتمع السحرة جمعًا كثيرًا، وجمًا غفيرًا، وكانوا اثني عشر ألفًا، واجتهد الناس في الاجتماع ذلك اليوم.

لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمۡ
وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ
﴿٤٣﴾ فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ
ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ
﴿٤٥﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾
رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ
لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ فَلَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ
وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيۡرَۖ إِنَّآ
إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ
أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ
لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ
﴿٥٦﴾ فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴿٥٨﴾
كَذَٰلِكَ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ ﴿٦٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٧

اجتمع الناس لمشاهدة ما يجري بين سحرة فرعون وموسى ﷺ، ولينظروا إلى ما يفعل الفريقان ولمن تكون الغلبة، وأيقنوا بنصر السحرة، والبقاء على ما كانوا عليه؛ لأن دين السحرة تأليه فرعون، والمقصود المخالفة لما دعاهم إليه موسى، فعند ذلك طلب السحرة من فرعون الجزاء على ما سيفعلونه فقالوا لفرعون: ألنا جزاء تجزينا به من مال أو جاه، بظهور غلبتنا لموسى؟ قال فرعون على ذلك نعم لكم ذلك عندي مع كونكم من المقرّبين لديّ، فقال السحرة لموسى ﷺ: إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى، قال موسى ﷺ بل ألقوا، فألقوا حبالهم وعصيهم، فخيل إليهم من سحرهم أنها تسعى، فألقى موسى عصاه فإذا هي تختطف ما ألقوه وصنعوه من كل بقعة وتبتلعه فلم تدع منه شيئًا، فلما شاهد السحرة ذلك، وعلموا أنه صنع صانع حكيم ليس من صنيع البشر، ولا من تمويه السحرة، آمنوا بالله وسجدوا له، وأجابوا دعوة موسى، وقبلوا نبوّته، فلما سمع فرعون ذلك منهم، ورأى سجودهم لله قال آمنتم بغير إذن مني، ثم قال للسحرة الذين آمنوا، إنه أستاذكم الذي أخذتم عنه السحر، فكان أمرًا عظيمًا، وبرهانًا قاطعًا للعذر وحجة دامغة، وذلك أن الذين استنصر بهم وطلب منهم أن يغلبوا، قد غلبوا وخضعوا وآمنوا بموسى في ساعة واحدة، وسجدوا لله رب العالمين، الذي أرسل موسى وهارون بالحق وبالمعجزة الباهرة، فغلب فرعون غلبًا لم يشاهد العالم مثله، وكان جريئًا، فعدل إلى المكابرة والعناد ودعوى الباطل، فشرع يتهددهم ويتوعدهم، فلم يقطع ذلك فيهم، وهددهم فما زادهم إلا إيمانًا وتسليمًا. وذلك أنه قد كشف عن قلوبهم حجاب الكفر، وظهر لهم الحق بعلمهم ما جهل قومهم، من أن هذا الذي جاء به موسى لا يصدر عن بشر، إلا أن يكون الله قد أيده به، وجعله له حجة ودلالة على صدق ما جاء به من ربه، فلم يبالوا بالتهديد بقطع الأيدي والأرجل، فالمرجع إلى الله، وهو لا يضيع أجر من أحسن عملًا ولا يخفى عليه ما فعل بهم، وسيجزيهم على ذلك أتم الجزاء؛ ويغفر لهم ما عملوه من الذنوب، وما أكرههم عليه من السحر، ويشفع لهم أن كانوا أول السابقين من القبط إلى الإيمان، فقتلهم كلهم، فلما طال مقام موسى ﷺ ببلاد مصر، وأقام بها حجج الله وبراهينه على فرعون وملئه، وهم مع ذلك يكابرون ويعاندون، لم يبق لهم إلا العذاب والنكال، فأمر الله موسى ﷺ أن يخرج ببني إسرائيل ليلًا من مصر، وأن يمضي بهم حيث يؤمر، ففعل موسى ﷺ ما أمره به ربه ﷻ، فخرج بهم بعدما استعاروا من قوم فرعون حليًّا كثيرًا، وكان خروجه بهم وقت طلوع القمر، وأن موسى ﷺ سأل عن قبر يوسف ﷺ فدلته امرأة عجوز من بني إسرائيل عليه، فاحتمل تابوته بنفسه عليه السلام وكان يوسف قد أوصى بذلك إذا خرج بنو إسرائيل أن يحملوه معهم، فلما أصبحوا وليس في ناديهم داع ولا مجيب، غاظ ذلك فرعون واشتد غضبه على بني إسرائيل؛ لما يريد الله به من الدمار، فأرسل سريعًا في بلاده يحشر الجند ويجمعهم، ونادى فيهم إن هؤلاء لطائفة قليلة، ونحن في كل وقت نحذر من غائلتهم، وإني أريد أن أستأصل شأفتهم، وأبيد خضراءهم، فجوزي في نفسه وجنده بما أراد لهم، فخرجوا من النعيم إلى الجحيم، وتركوا تلك المنازل العالية والبساتين والأنهار والأموال والأرزاق والملك والجاه الوافر في الدنيا، وأورث الله بني إسرائيل مشارق الأرض ومغاربها وتمت كلمة الله الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمر الله فرعون وقومه، فخرج فرعون في جمع كبير، وهو عبارة عن مملكة الديار المصرية في زمانه، أولي الحل والعقد والدول، من الأمراء والوزراء والكبراء والرؤساء والجنود، ووصلوا إلى بني إسرائيل عند شروق الشمس.

فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾

لما سار موسى ﷺ ببني إسرائيل كما أمره ربه، تبعه فرعون وجنده فأدركوهم عند طلوع الشمس، فلما رأى كل من الفريقين صاحبه، عند ذلك قال أصحاب موسى إنا لمدركون، لأن السير انتهى بهم إلى سيف البحر -وهو البحر الأحمر- فصار أمامهم البحر، وفرعون قد أدركهم بجنوده، فقال موسى ﷺ بلغة الواثق بربه إن معي ربي سيهدين، فلن يصل إليكم شيء مما تحذرون، فإن الله سبحانه هو الذي أمرني أن أسير ها هنا بكم، وهو لا يخلف الميعاد، وكان هارون ﷺ في المقدمة، ومعه يوشع بن نون ومؤمن آل فرعون، وموسى ﷺ في الساقة، فوقفوا لا يدرون ما يصنعون، وجعل يوشع بن نون يقول لموسى ﷺ يا نبي الله، ها هنا أمرك الله أن تسير، فيقول نعم، واقترب فرعون وجنوده، ولم يبق إلا القليل، فعند ذلك أمر الله نبيه موسى أن يضرب بعصاه البحر فضربه وقال: انفلق بإذن الله، فانشق البحر فكان كل قطعة من الماء كالجبل الكبير، وصار البحر اثني عشر طريقًا، لكل سبط طريق، وصار فيه طاقات ينظر بعضهم إلى بعض، وقام الماء كالحيطان، وبعث الله الريح إلى قعر البحر فلفحته، فصار يبسًا كوجه الأرض، وعبر بنو إسرائيل مع موسى ﷺ وتبعه فرعون وجنده، وقدمهم الله إلى البحر، وقربهم إلى الهلاك، فلما خرج آخر أصحاب موسى، وتكامل أصحاب فرعون، أمر الله موسى ﷺ أن يضرب البحر، فرجع كما كان، وأنجى الله موسى وبني إسرائيل ومن معهم على دينهم فلم يهلك منهم أحد، وأغرق الله فرعون وجنوده، فلم يبق منهم رجل إلا هلك، وفي هذه القصة من العجائب والنصر والتأييد لعباد الله المؤمنين، وأَمَر الله رسوله محمدًا صلوات الله وسلامه عليه أن يتلو على أمته خبر عبده ورسوله وخليله إبراهيم إمام الحنفاء، ليقتدوا به في الإخلاص والتوكل، وعبادة الله وحده لا شريك له، والتبرؤ من الشرك وأهله؛ فإن الله تعالى آتى إبراهيم رشده من صغره إلى كبره، فإنه من وقت نشأ وشب، أنكر على قومه عبادة الأصنام مع الله، ﷻ، فقال لأبيه وقومه أي شيء تعبدون، قالوا نعبد أصنامًا نقيم على عبادتها، قال هل يسمعون دعاءكم إذ دعوتموهم أو ينفعونكم بالرزق، أو يضرونكم إن تركتم عبادتها، فاعترفوا بأن أصنامهم لا تفعل شيئًا من ذلك، وإنما رأوا آباءهم كذلك يفعلون، فهم على آثارهم يهرعون، فعند ذلك قال لهم إبراهيم إن كانت هذه الأصنام شيئًا ولها تأثير، فلتخلص إلي بالمساءة، فإني عدو لها لا أباليها ولا أفكر فيها، فتبرأ إبراهيم من آلهتهم، وأخلص العبادة لله وحده لا شريك له، الخالق الذي قدر قدرًا وهدى الخلائق إليه، فكل يجري على ما قدر، وهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

وهو الخالق والرازق، بما سخر ويسر من الأسباب السماوية والأرضية، فساق المزن وأنزل الماء، وأحيا به الأرض، وأخرج به من كل الثمرات رزقًا للعباد، وأنزل الماء عذبًا زلالًا؛ سقيًا للعباد، وإذا وقع الانسان في مرض فإنه لا يقدر على شفائه أحد غيره، بما يقدر من الأسباب الموصلة إليه، وهو الذي يحيي ويميت، لا يقدر على ذلك أحد سواه، فإنه هو الذي يبديء ويعيد، وهو الذي لا يقدر على غفران الذنوب في الدنيا والآخرة إلا هو، ومن يغفر الذنوب إلا الله، وهو الفعال لما يشاء، ثم سأل إبراهيم ﷺ أن يؤتيه ربه العلم، وأن يجعله مع الصالحين في الدنيا والآخرة، اللهم أحينا مسلمين وأمتنا مسلمين وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مبدلين ووالدينا وأهلينا وذرياتنا والمسلمين.

وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ
ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ
يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ
﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ
أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ
أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي
ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ
إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾
فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ
قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾



من دعاء إبراهيم ﷺ أن يجعل الله له ثناء حسنًا، وذكرًا جميلًا وقبولًا عامًا في الأمم التي تجيء بعده، فأعطاه الله ذلك، فجعل كل أهل الأديان يتولونه ويثنون عليه، والذكر الحسن عمر ثانٍ للإنسان، فدعا أن ينعم الله عليه في الدنيا ببقاء الذكر الجميل بعده، وفي الآخرة بأن يجعله من ورثة جنة النعيم، وهذا غاية ما يتمناه المسلم فاللهم اجعلنا ووالدينا وأهلينا وذرياتنا والمسلمين من ورثة جنة النعيم، ودعا لأبيه لأنه وعده بأن يستغفر له فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، ودعا الله أن يجره من خزي يوم القيامة، يوم يبعث الخلائق أولهم وآخرهم، يوم لا يقي المرء من عذاب الله ماله ولو افتدى بملء الأرض ذهبًا، ولو افتدى بمن في الأرض جميعًا، ولا ينفع يومئذ إلا الإيمان بالله، وإخلاص الدين له، والبراءة من الشرك، إلا من أتى الله بقلب سالم من الدنس والشرك، وصاحب القلب الصحيح يعلم أن الله حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن يشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، وهو قلب خالٍ من البدعة، مطمئن إلى السنة، يوم تقرب الجنة وتُدنى من أهلها يوم القيامة مزخرفة مزينة لناظريها، وهم المتقون الذين رغبوا فيها، وعملوا لها عملها في الدنيا، وتظهر النار ويكشف عنها، ويبدو منها عنق فتزفر زفرة تبلغ منها القلوب إلى الحناجر، ويقال لأهلها تقريعًا وتوبيخًا، أين الآلهة التي عبدتموها من دون الله، من تلك الأصنام والأنداد؟ هل تغني عنكم اليوم شيئًا، وتدفع عن أنفسها؟ فإنكم وإياها اليوم حطب جهنم أنتم لها واردون، فيلقى بعضهم على بعض، الكفار وقادتهم الذين دعوهم إلى الشرك، ومن كانوا للشيطان أعوانًا ألقوا فيها عن آخرهم، فيقول الضعفاء للذين استكبروا، وقد عادوا على أنفسهم بالملامة، لقد كنا في ضلال مبين، إذ نجعل أمركم مطاعًا كما يطاع أمر رب العالمين، وعبدناكم مع رب العالمين، وما دعانا إلى ذلك إلا المجرمون، وليس لنا من شافع يشفع لنا لأن جلساءنا وأصدقاءنا مثلنا في الضلالة، فهم يعلمون أن الصديق إذا كان صالحًا نفع، وأن الحميم إذا كان صالحًا شفع، فيتمنون أنهم يردون إلى الدار الدنيا، ليعملوا بطاعة ربهم، وهو ﷻ يعلم أنه لو ردهم إلى الدار الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون، وفي محاجة إبراهيم لقومه وإقامته الحجج عليهم في التوحيد لآية ودلالة واضحة جلية على أنه لا إله إلا الله، المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

وأخبر الله عن عبده ورسوله نوح ﷺ وعن دعوته وهو أول رسول بعث إلى الأرض بعدما عبدت الأصنام والأنداد، بعثه الله ناهيًا عن ذلك، ومحذرًا من وبيل عقابه، فكذبه قومه واستمروا على ما هم عليه من الشرك، وتكذيبهم له بمنزلة تكذيب جميع الرسل، فقد قال لقومه إني رسول من الله إليكم، أمين فيما بعثني به، أبلغكم رسالة الله لا أزيد فيها ولا أنقص منها، فاعبدوا الله وحده لا شريك له، وأطيعون فيما دعوتكم إليه من التوحيد، ولا أطلب منكم جزاء على نصحي لكم، بل أدخر ثواب ذلك عند الله، فقد وضح لكم وبان صدقي ونصحي وأمانتي فيما بعثني به، فقال له قومه أنؤمن لك ونتبعك، ونتساوى في ذلك بهؤلاء السفلة الذين اتبعوك وصدقوك؟ فدفعهم الكبر على رد الحق والإيمان.

قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ
لَوۡ تَشۡعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ
﴿١١٥﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ
رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن
مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ
﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ
أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتۡ
عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمۡ
رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ
مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ
ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ﴿١٢٩﴾
وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾
وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾
وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ
﴿١٣٥﴾ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

لما ذم قوم نوح ﷺ أتباعه، وأنهم أصحاب المهن الوضيعة والأعمال الرديئة، رد عليهم نوح ﷺ ما أعلم أعمالهم وصنائعهم، وليس علي من دناءة مكاسبهم وأحوالهم شيء، إنما كلفت أن أدعوهم إلى الله، ولي منهم ظاهر أمرهم وحسابهم على الله، لو تعلمون ذلك ما عبتموهم بصنائعهم، وإنما بعثت نذيرًا، فمن أطاعني واتبعني وصدقني كان مني وكنت منه، سواء كان شريفًا أو وضيعًا، أو جليلًا أو حقيرًا.

ولما طال مقام نبي الله بين أظهرهم يدعوهم إلى الله ليلًا ونهارًا، وجهرًا وإسرارًا، وكلما كرر عليهم الدعوة صمموا على الكفر الغليظ، والامتناع الشديد، وقالوا في الآخر: لئن لم تنته عن دعوتك إيانا إلى دينك يا نوح لنرجمنك، فعند ذلك دعا عليهم دعوة استجاب الله منه، قال رب احكم بيني وبينهم حكمًا، ونجني ومن معي من المؤمنين، فأنجاه الله ومن معه في الفلك المملوء من الناس والطير والحيوان كلها، وأغرق بعد إنجاء نوح، وأهله من بقي من قومه المكذبين المخالفين، وفي ذلك عبرة وعظة للأمم بعدهم.

وأخبر الله تعالى عن عبده ورسوله هود ﷺ أنه دعا قومه عادًا، وكانوا قومًا يسكنون الأحقاف، وهي جبال من الرمل قريبًا من بلاد حضرموت، وكان زمانهم بعد قوم نوح، وذلك أنهم كانوا في غاية من قوة التركيب، والقوة والبطش الشديد، والطول المديد والأرزاق الدارة، والأموال والجنات والعيون، والأبناء والزروع والثمار، وكانوا مع ذلك يعبدون غير الله معه، فبعث الله إليهم رجلًا منهم رسولًا وبشيرًا ونذيرًا، فدعاهم إلى الله وحده لا شريك له، وأنذرهم من الشرك، وحذرهم نقمته وعذابه في مخالفته، فقال لهم كما قال نوح لقومه، وأخبرهم بنعم الله عليهم أنهم يبنون بناء محكمًا باهرًا هائلًا يكون معلمًا، يفعلون ذلك عبثًا لا للاحتياج إليه؛ بل لمجرد اللعب واللهو وإظهار القوة، وفي ذلك تضييع للزمان وإتعاب للأبدان في غير فائدة، واشتغال بما لا يجدي في الدنيا ولا في الآخرة، ويتخذون البروج المشيدة، والبنيان المخلد، لكي يقيموا فيها أبدًا، وليس ذلك بحاصل لهم، بل زائل عنهم كما زال عمن كان قبلهم، وإذا أخذوا، وسطوا قتلوا وضربوا وظلموا وتجبروا، فأمرهم نبيهم بالتوحيد وعبادة الله وحده، وبفعل أوامره واجتناب نواهيه، وبطاعته في دعوته، فقد أعطاهم الله من الخير ما يعلمون من الأنعام والبنين والبساتين والأنهار، وخاف عليهم عذاب الله إن كذبوا وخالفوا، فدعاهم إلى الله بالترغيب والترهيب، فما نفع فيهم، فقالوا يستوي عندنا وعظك وعدمه، فلن نرجع عما نحن فيه.

إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَهۡلَكۡنَٰهُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذۡ قَالَ
لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٤٣﴾
فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ
إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾
فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ ﴿١٤٨﴾
وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ
﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ
وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ
إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ
هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا
بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ
نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ
أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

المكذبون الجاحدون لدعوة الرسل حين يدعون إلى توحيد الله يتمسكون بالشرك، ويقولون هذا دين الأوائل من الآباء والأجداد، ونحن تابعون لهم سالكون وراءهم نعيش كما عاشوا، ونموت كما ماتوا، ولا بعث ولا معاد، وبمثل ذلك قالت عاد، فلما استمروا على تكذيب نبي الله هود ومخالفته وعناده أهلكهم الله، بأن أرسل ريحًا شديدة الهبوب ذات برد شديد جدًا، فكان إهلاكهم من جنسهم، فإنهم كانوا أعتى شيء وأجبره، فسلط الله عليهم ما هو أعتى منهم وأشد قوة، والله العزيز القوي الحكيم بأفعاله فكانوا عبرة وعظة لمن بعدهم.

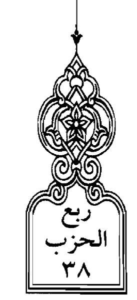
وأخبر الله ﷻ عن عبده ورسوله صالح ﵇ أنه بعثه إلى قوم ثمود، وكانوا عربًا يسكنون مدينة الحجر التي بين وادي القرى وبلاد الشام، ومساكنهم معروفة مشهورة، وكانوا بعد عاد وقبل الخليل ﵇ فدعاهم نبيهم صالح إلى الله ﷻ أن يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يطيعوه فيما بلغهم من الرسالة، فأبوا عليه وكذبوه وخالفوه، فأخبرهم أنه لا يبتغي بدعوتهم أجرًا منهم، وإنما يطلب ثواب ذلك من الله ﷻ، ثم ذكرهم آلاء الله عليهم فقال لهم واعظًا لهم ومحذرًا إياهم نقم الله أن تحل بهم، ومذكرًا بأنعم الله عليهم فيما رزقهم من الأرزاق الدارة، وجعلهم في أمن من المحذورات، وأنبت لهم من الجنات، وأنبع لهم من العيون الجاريات، وأخرج لهم من الزروع والثمرات؛ والنخيل الذي يخرج منه التمر النضيج اللين اللطيف.

ويتخذون البيوت المنحوتة في الجبال أشرًا وبطرًا وعبثًا، من غير حاجة إلى سكناها، وكانوا حاذقين متقنين لنحتها ونقشها، كما هو المشاهد من حالهم لمن رأى منازلهم، وأمرهم بالإقبال على عمل ما يعود نفعه عليهم في الدنيا والآخرة، من عبادة ربهم الذي خلقهم ورزقهم ليوحدوه ويعبدوه ويسبحوه بكرة وأصيلًا.

ولا يطيعوا أمر رؤسائهم وكبرائهم، الدعاة لهم إلى الشرك والكفر، ومخالفة الحق، فكان جوابهم لنبيهم صالح ﵇ حين دعاهم إلى عبادة ربهم قالوا إنما أنت من المسحورين، وما أنت إلا بشر مثلنا، فكيف أوحي إليك دوننا، ثم اقترحوا عليه آية يأتيهم بها، ليعلموا صدقه بما جاءهم به من ربهم فطلبوا منه أن يخرج لهم الآن من هذه الصخرة ناقة عشراء من صفتها كذا وكذا، فعند ذلك أخذ عليهم نبي الله صالح العهود والمواثيق لئن أجابهم إلى ما سألوا ليؤمنن به، وليصدقنه، وليتبعنه، فقام نبي الله صالح ﵇ فصلى، ثم دعا الله ﷻ أن يجيبهم إلى سؤالهم، فانفطرت تلك الصخرة التي أشاروا إليها عن ناقة عشراء، على الصفة التي وصفوها، فآمن بعضهم وكفر أكثرهم، فقال هذه ناقة ترد ماءكم يومًا، ويومًا تردونه أنتم، وحذرهم نقمة الله إن أصابوها بسوء، فمكثت الناقة بين أظهرهم حينًا من الدهر ترد الماء وتأكل الورق والمرعى وينتفعون بلبنها، يحتلبون منها ما يكفيهم شربًا، فلما طال عليهم الأمد وحضر شقاؤهم، اتفقوا على قتلها وعقرها فقتلوها، وندموا على فعلهم.

فزلزلت الأرض زلزالًا شديدًا، وجاءتهم صيحة عظيمة اقتلعت القلوب عن محالها، وأتاهم من الأمر ما لم يكونوا يحتسبون، فأصبحوا في ديارهم جاثمين، فكانوا عبرة وعظة للأمم بعدهم.

كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿١٨٣﴾



أخبر الله عن عبده ورسوله لوط ﷺ، وهو: لوط بن هاران بن آزر، وهو ابن أخي إبراهيم الخليل، وكان الله تعالى قد بعثه إلى أمة عظيمة في حياة إبراهيم، وكانوا يسكنون سدوم التي أهلكها الله، وجعل مكانها ما يسمى اليوم بالبحر الميت، فدعاهم إلى الله ﷻ أن يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يطيعوا رسولهم الذي بعثه الله إليهم، ونهاهم عن معصية الله، وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه في العالم، مما لم يسبقهم الخلائق إلى فعله.

نهاهم عن إتيانهم الفواحش، وغشيانهم الذكور، وأرشدهم إلى إتيان نسائهم اللاتي خلقهن الله لهم، فكان جواب قومه له لئن لم تترك نهينا عن الفاحشة، لنخرجنك من بين أظهرنا، فلما رأى أنهم لا يرتدعون عما هم فيه وأنهم مستمرون على ضلالتهم، تبرأ منهم وقال إني لعملكم من المبغضين، لا أحبه ولا أرضى به، فأنا بريء منكم، ثم دعا الله عليهم رب نجني وأهلي مما يعملون من الفواحش، فنجاه الله ومن معه إلا امرأته، وكانت عجوز سوء بقيت فهلكت مع من بقي من قومها، وذلك أن الله أمره أن يسري بأهله إلا امرأته، وأنهم لا يلتفتون إذا سمعوا الصيحة حين تنزل على قومه، فصبروا لأمر الله واستمروا، وأنزل الله على أولئك العذاب الذي عم جميعهم، وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود، فكانوا عبرة وعظة للمكذبين.

فجريمة اللواط من أشد الجرائم وأشنعها ولذلك جاء تحريمها في القرآن مكررًا في قصة قوم لوط ﷺ، واسم لوط أعجمي، وليس بينه وبين اسم اللواط ارتباط، ولاط في اللغة التزق، ومنه يسمى التزاق الرجل بالرجل لواطا.

وأخبر الله عن أصحاب الأيكة، وهي شجر ملتف كالغيضة، تنبت السدر والأراك ونحوهما، كانوا يعبدونها، وهم أهل مدين وكان نبي الله شعيب منهم، فدعاهم إلى الله ﷻ أن يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يطيعوه فيما بلغهم من الرسالة، فأبوا عليه وكذبوه وخالفوه، فأخبرهم أنه لا يبتغي بدعوتهم أجرًا منهم، وإنما يطلب ثواب ذلك من الله ﷻ وكل دعوة الأنبياء تتفق على الأمر بالتقوى والطاعة والإخلاص في العبادة والامتناع من أخذ الأجر على الدعوة وتبليغ الرسالة، ثم أمرهم بإيفاء المكيال والميزان، ونهاهم عن التطفيف فيهما، فإذا دفعوا إلى الناس أكملوا الكيل لهم، ولا ينقصوا الكيل فيعطوه ناقصًا، ويأخذوه إن كان لهم تامًا وافيًا، ويزنوا بالميزان العدل، ونهاهم عن قطع الطريق، والإفساد في الأرض.

وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾

دعا نبي الله شعيب عليه السلام قومه وخوفهم بأس الله الذي خلقهم وخلق آباءهم الأوائل، فكان جواب قومه له بمثل ما أجابت به ثمود لرسولها تشابهت قلوبهم قالوا إنما أنت من المسحورين وبشر مثلنا، وأنت كاذب على الله، واستعجلوا العذاب فطلبوا أن يسقط عليهم قطعًا من السماء، فرد عليهم نبي الله شعيب عليه السلام الله أعلم بكم، إن كنتم تستحقون ذلك جازاكم به غير ظالم لكم، فوقع بهم كما سألوا، جزاء وفاقًا؛ فإن الله عز وجل جعل عقوبتهم أن أصابهم حر شديد جدًا مدة سبعة أيام لا يقيهم منه شيء، ثم طلعت عليهم سحابة أظلتهم، فجعلوا ينطلقون إليها يستظلون بظلها من الحر، فلما اجتمعوا كلهم تحتها أرسل الله تعالى عليهم منها شررًا من نار، ولهبًا ووهجًا عظيمًا، ورجفت بهم الأرض وجاءتهم صيحة عظيمة أزهقت أرواحهم؛ فكانوا عظة وعبرة للمكذبين المعرضين، وقد أنزل الله على عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه القرآن، نزل به جبريل عليه السلام ملك كريم أمين، ذو مكانة عند الله، مطاع في الملأ الأعلى على قلب محمد سالمًا من الدنس والزيادة والنقص؛ لينذر به بأس الله ونقمته على من خالفه وكذبه، ويبشر به المؤمنين المتبعين له، بلسان العرب الفصيح الكامل الشامل، ليكون بينًا واضحًا ظاهرًا قاطعًا للعذر مقيمًا للحجة دليلا إلى المحجة.

وإن ذكر هذا القرآن والتنويه به لموجود في كتب الأولين المأثورة عن أنبيائهم، الذين بشروا به في قديم الدهر وحديثه، كما أخذ الله عليهم الميثاق بذلك، حتى قام آخرهم عيسى عليه السلام خطيبًا في ملئه بالبشارة بأحمد.

وعلماء بني إسرائيل يجدون ذكر هذا القرآن في كتبهم التي يدرسونها فيعترفون بها في أيديهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومبعثه وأمته، كما أخبر بذلك من آمن منهم كعبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي عمن أدركه منهم ومن شاكلهم، ومن شدة كفر قريش وعنادهم لهذا القرآن أنه لو أنزله الله على رجل من الأعاجم، ممن لا يدري من العربية كلمة وأنزل عليه هذا الكتاب ببيانه وفصاحته لا يؤمنون به؛ وقد أدخل الله التكذيب والكفر والجحود والعناد في قلوب المجرمين، فلا يؤمنون بالحق، حتى يروا العذاب الأليم، حيث لا ينفع الظالمين معذرتهم، ولهم اللعنة ولهم سوء الدار، فيأتيهم عذاب الله بغتة، ويتمنون حين يشاهدون العذاب أن لو أنظروا قليلًا ليعملوا بطاعة الله، فكل ظالم وفاجر وكافر إذا شاهد عقوبته ندم ندمًا شديدًا، وهم في الدنيا يستعجلون بالعذاب تكذيبًا واستبعادًا، فلو أخرهم الله وأنظرهم، وأملى لهم مدة من الزمان وحينًا من الدهر وإن طال، ثم جاءهم أمر الله، وما وعدهم الله من العذاب، أي شيء يجدي عنهم ما كانوا فيه من النعم.

مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٢٢٢﴾ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

سُورَةُ النَّمۡلِ

ترتيبها ٢٧ — آياتها ٩٣

حين ينزل العذاب وتحل العقوبة ويشاهد الكفار العذاب يوم القيامة، ما يغني عنهم ما تمتعوا به في الحياة الدنيا فيؤتى بالكافر يوم القيامة فيغمس في النار غمسة، ثم يقال له هل رأيت خيرًا قط، هل رأيت نعيمًا قط فيقول لا والله يا رب، ولم يهلك الله أمة من الأمم إلا بعد الإعذار إليهم، والإنذار لهم، وبعثة الرسل إليهم وقيام الحجج عليهم؛ وقد أنزل الله لأمة محمد ﷺ هذا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، نزل به الروح الأمين المؤيد من الله، ولم تنزل به الشياطين، لأن فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنور والهدى والبرهان العظيم، فبينه وبين الشياطين منافاة عظيمة ولا تستطيع الشياطين على القرآن؛ لأنهم بمعزل عن استماع القرآن حال نزوله؛ لأن السماء ملئت حرسًا شديدًا وشهبًا في مدة إنزال القرآن على رسوله، فلم يخلص أحد من الشياطين إلى استماع حرف واحد منه لئلا يشتبه الأمر، وهذا من رحمة الله بعباده، وحفظه لشرعه، وتأييده لكتابه ولرسوله؛ وأمر الله عباده بعبادته وحده لا شريك له، فإن من أشرك به عذبه، وأمر الله رسوله صلوات الله وسلامه عليه أن ينذر عشيرته الأدنين إليه، وأنه لا يخلص أحدًا منهم إلا إيمانه بربه ﷻ، وأمره أن يلين جانبه لمن اتبعه من عباد الله المؤمنين، ومن عصاه من خلق الله كائنًا من كان فليتبرأ منه.

وأمر الله المؤمنين بالتوكل عليه في جميع أمورهم؛ فإنه مؤيدهم وناصرهم وحافظهم، وهو معهم ويراهم في عباداتهم وخلواتهم، وصلواتهم، وهو السميع لأقوال عباده، العليم بحركاتهم وسكناتهم، والمشركون أولياء الشيطان استجابوا لدعوته وإغراءاته وتزيينه، وإخوانهم من السحرة والكهنة والعرافين، الذين يأخذون عن الشياطين استراق السمع من السماء، فيسمعون الكلمة من علم الغيب، فيزيدون معها مائة كذبة، ثم يلقونها إلى أوليائهم من الإنس فيتحدثون بها، فيصدقهم الناس في كل ما قالوه، بسبب صدقهم في تلك الكلمة التي سمعت من السماء، وشعراء الكفار في تلبيسهم للحق وإبطالهم له، وإحقاق الباطل كالعرافين والكهان والسحرة، يتبعهم ضلال الإنس والجن، فهم في كل لغو يخوضون، وأكثر قولهم الكذب.

وأما شعراء أهل الإيمان فهم الذين يردون على الكفار شعرهم وينافحون عن دين الله، وينتصرون للمؤمنين بشعرهم، ويمدحون الحق، ويذكرون الله في أشعارهم ويمجدونه وينزهونه عن النقائص، ويعملون من الطاعات ما يقربهم إلى مولاهم، فلهم السابقة في الدنيا والآخرة، وسيعلم الذين أشركوا وهجوا رسول الله ﷺ، أي مرجع إليه يرجعون بعد الموت، سيرجعون إلى جهنم وعذاب السعير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم
بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ
أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ
وَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن
لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم
مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا
جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ
فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ
إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ
سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ
مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ
﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾



سورة النمل

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر قصة النمل فيها

ابتدأت السورة بالحروف المقطعة، لبيان إعجاز القرآن وتحدي العرب بالإتيان بمثله، ذلك القرآن آيات واضحات

تظهر ما فيه من الحكمِ والأحكامِ وأحوالِ الآخرةِ التي من جُملتِها الثواب والعقاب، أو بيان سبيلِ الرشدِ والغي، أو الفارق بين الحق والباطل، والحلال والحرام، والوعد والوعيد، فجمع له بين الصفتين بأنه قرآن يظهر بالقراءة وكتاب يظهر بالكتابة، تحصل به الهداية والبشارة لمن آمن به واتبعه وصدقه وعمل بما فيه، وأقام الصلاة المكتوبة، وآتى الزكاة المفروضة، وآمن بالدار الآخرة والبعث بعد الموت، والجزاء على الأعمال خيرها وشرها، والجنة والنار، أما الذين يكذبون بالآخرة، ويستبعدون وقوعها فقد حسن الله لهم ما هم فيه من الضلال، وجعلهم في غيهم يتيهون، فلهم سوء العذاب في الدنيا والآخرة، وهم في الآخرة أشدّ الناس خسراناً، وأعظمهم خيبة لأنهم خسروا أنفسهم وأهليهم وصاروا إلى النار، هذا القرآن أوتيه النبي ﷺ وحيًا من عند الله الحكيم العليم، الحكيم في أوامره ونواهيه، العليم بالأمور جليلها وحقيرها، فخبره هو الصدق المحض، وحكمه هو العدل التام، وقد ذكر الله في القرآن أمر موسى عليه السلام، كيف اصطفاه الله وكلمه، وناجاه وأعطاه من الآيات العظيمة الباهرة، والأدلة القاهرة، وابتعثه إلى فرعون وملئه، فجحدوا بها وكفروا واستكبروا عن اتباعه والانقياد له، فإن موسى عليه السلام حين سار بأهله من مدين، فأضل الطريق، وذلك في ليل وظلام، رأى نارًا تأجج وتضطرم، فقال لأهله إني أبصرت نارًا، امكثوا مكانكم، سآتيكم بخبر عن الطريق، أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تتدفئون به، فكان كما قال، فإنه رجع منها بخبر عظيم، واقتبس منها نورًا عظيمًا؛ فلما أتاها رأى منظرًا هائلًا عظيمًا، حيث انتهى إليها والنار تضطرم في شجرة خضراء، لا تزداد النار إلا توقدًا، ولا تزداد الشجرة إلا خضرة ونضرة، ثم رفع رأسه فإذا نورها متصل بعنان السماء، فهي لم تكن نارًا، إنما كانت نورًا يتوهج، فوقف موسى متعجبًا مما رأى، فنودي أن بورك في من طلب النار، وهو موسى عليه السلام، ومن حولها من الملائكة والمعنى بورك فيك يا موسى وفي الملائكة الذين حول النار، وهذا تحية من عند الله ﷻ لموسى بالبركة، كما حيا إبراهيم على ألسنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا: رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت، وتقدس الله رب العالمين الذي يفعل ما يشاء ولا يشبه شيئًا من مخلوقاته، ولا يحيط به شيء من مخلوقاته، وهو العلي العظيم، المباين لجميع المخلوقات، ولا تكتنفه الأرض والسموات، بل هو الأحد الصمد، المنزه عن مماثلة المحدثات.

ثم إن الله أعلم موسى عليه السلام أن الذي يخاطبه ويناجيه هو ربه الله العزيز، الذي عز كل شيء وقهره وغلبه، الحكيم في أفعاله وأقواله، ثم أمره أن يلقي عصاه من يده؛ ليظهر له دليلًا واضحًا على أنه الخالق المختار القادر على كل شيء، فلما ألقى موسى تلك العصا من يده انقلبت في الحال حية عظيمة هائلة في غاية الكبر، وسرعة الحركة مع ذلك؛ فلما رآها تتحرك كأنها جان وهو نوع من الحيات أسرعه حركة وأكثره اضطرابًا، هرب ولم يلتفت من شدة خوفه، فنودي يا موسى لا تخف مما ترى، فإني أريد أن أصطفيك رسولًا وأجعلك نبيًّا وجيهًا، ورحمة الله بأنبيائه، ورسله وبخلقه، تجعلهم يرجون رحمته ويخشون عذابه، وقد بشر الله عباده، وذلك أن من كان على عمل شيء ثم أقلع عنه ورجع وأناب، فإن الله يتوب عليه، وأمره الله تعالى أن يدخل يده في جيب درعه، فإذا أدخلها وأخرجها خرجت بيضاء ساطعة كأنها قطعة قمر، لها لمعان يتلألأ كالبرق الخاطف، وهذه آية أخرى ودليل باهر على قدرة الله الخالق المختار، فهاتان آيتان من تسع آيات أيد الله بها موسى عليه السلام، وهي برهان له إلى فرعون وقومه فلما جاءتهم آيات الله بينة واضحة ظاهرة يبصرونها، قالوا هذا سحر مبين، وأرادوا معارضته بسحرهم فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين.

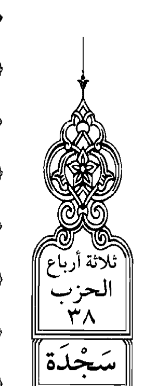
وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

لما جاءت الآيات البينات فرعون وقومه كذبوا بها، وقلوبهم متيقنة أنها من عند الله، ظلمًا وعدوانًا واستكبارًا في الأرض عن الحق فأهلكهم الله وأغرقهم عن آخرهم في صبيحة واحدة.

وقد أخبر الله تعالى عما أنعم به على عبديه ونبييه داود وابنه سليمان، عليهما من الله السلام، من النعم الجزيلة، والمواهب الجليلة، والصفات الجميلة، وما جمع لهما بين سعادة الدنيا والآخرة، والملك والتمكين التام في الدنيا، والنبوة والرسالة في الدين؛ والعلم والشكر لله والحمد، فقد فضلوا بالعلم والحمد والشكر، وورث سليمان داود في الملك والنبوة، وليس المراد وراثة المال؛ فإن الأنبياء لا تورث أموالهم، وأخبر سليمان بنعم الله عليه، فيما وهبه له من الملك التام، والتمكين العظيم، حتى إنه سخر له الإنس والجن والطير، وكان يعرف لغة الطير والحيوان، وهذا شيء لم يعطه أحد من البشر مما أخبر الله به ورسوله، فقد أفهم سليمان عليه السلام ما يتخاطب به الطيور في الهواء، وما تنطق به الحيوانات على اختلاف أصنافها؛ وأوتي من كل شيء مما يحتاج إليه الملك، وهذا فضل من الله ظاهر بيّن، وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير في أبهة وعظمة كبيرة في الإنس، وكانوا هم الذين يلونه، والجن يكونون بعدهم في المنزلة، والطير ومنزلتها فوق رأسه، فإن كان حرًا أظلته منه بأجنحتها، يكف أولهم على آخرهم؛ لئلا يتقدم أحد عن منزلته التي هي مرتبة له، فخرج في ركب له، حتى إذا مر سليمان عليه السلام بمن معه من الجيوش والجنود على وادي النمل، قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم، فخافت على النمل أن تحطمها الخيول بحوافرها، فأمرتهم بالدخول إلى مساكنها ففهم ذلك سليمان عليه السلام منها، فضحك سليمان من قول النملة تعجبًا، لأن الإنسان إذا رأى ما لا عهد له به تعجب وضحك، ثم حمد سليمان ربه على ما أنعم عليه، وقال رب ألهمني أن أشكر نعمتك التي مننت بها علي، من تعليمي منطق الطير والحيوان، وعلى والدي بالإسلام لك، والإيمان بك، وأن أعمل عملًا تحبه وترضاه، وإذا توفيتني فألحقني بالصالحين من عبادك، والرفيق الأعلى من أوليائك.

ونظر سليمان، عليه السلام في أصناف الطير كلها من حضره إلا الهدهد، فقال ما لي لا أرى الهدهد هل أخطأه بصري من الطير، أم غاب فلم يحضر، لأعذبنه عذابًا شديدًا بنتف ريشه، أو بمنعه من الخدمة، أو لأقتلنه، بحسب عذره، إلا إذا أتي بعذر واضح بين، وحجة قوية، فغاب الهدهد زمانًا يسيرًا، ثم جاء فقال لسليمان اطلعت على ما لم تطلع عليه أنت ولا جنودك، وجئتك من سبأ بخبر صدق حق يقين.

إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا
عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ
فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ
فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ



أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا
فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ
ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾
قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ
تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ
فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً
أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٤﴾
وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾

جاء الهدهد من مملكة سبأ في اليمن إلى سليمان ﷺ بخبر شركهم وعبادتهم للشمس من دون الله، فقد وجد امرأة تملكهم وهي بلقيس بنت شراحيل، وكانت من بيت مملكة، وكان أولو مشورتها ثلاثمائة واثني عشر رجلًا كل رجل منهم على عشرة آلاف رجل، وكانت بأرض يقال لها مأرب، على ثلاثة أميال من صنعاء.

وقد أوتيت من كل شيء من متاع الدنيا، ولها سرير تجلس عليه عظيم هائل مزخرف بالذهب، وأنواع الجواهر واللآلئ، وجدهم يعبدون الشمس من دون الله، فكانوا يسجدون للشمس إذا طلعت وإذا غربت، وقد حسن لهم الشيطان الشرك، وصدهم عن الإيمان بالله وتوحيده، ألا يعرفون سبيل الحق وهو إخلاص السجود لله وحده دون ما خلق من شيء من الكواكب وغيرها، الذي خلق السموات والأرض، ويخرج ما فيها من الأرزاق، المطر من السماء، والنبات من الأرض، ويعلم ما يخفيه العباد، وما يعلنونه من الأقوال والأفعال، لا إله إلا هو رب العرش أعظم المخلوقات، فلما سمع سليمان ﷺ كلام الهدهد حين أخبره عن أهل سبأ وملكتهم قال سننظر أصدقت في إخبارك هذا، أم كذبت في مقالتك؟ فكتب كتابًا إلى بلقيس وقومها، وأعطاه الهدهد فحمله، وذهب إلى بلادهم فجاء إلى قصر بلقيس، إلى الخلوة التي كانت تختلي فيها بنفسها، فألقاه إليها من كوة هنالك بين يديها، ثم تولى، فتحيرت مما رأت، وهالها ذلك، ثم عمدت إلى الكتاب فأخذته، ففتحت ختمه وقرأته، فإذا فيه، إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين، فجمعت عند ذلك أمراءها ووزراءها وكبراء دولتها ومملكتها، ثم قالت لهم يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم فقرأته عليهم، فعرفوا أنه من نبي الله سليمان، وأنه لا قبل لهم به، وهذا الكتاب في غاية البلاغة والإيجاز والفصاحة، فإنه حصل المعنى بأيسر عبارة وأحسنها، فقد حذرهم من التجبر والتكبر عليه، وأمرهم أن يأتوا إليه موحدين، فطلبت رأيهم في كتاب سليمان وأخبرتهم أنها لن تقضي وتفصل في أمرها، حتى يحضرون ويشيرون، فقالوا مجيبين لها نحن أولو قوة في القتال، وأصحاب بأس عند الحرب، ثم قالوا والأمر إليك أيتها الملكة في القتال وتركه، فانظري رأيك، ونحن مطيعين لك، فقالت بلقيس مجيبة لهم عن التعريض للقتال، وكانت أحسن رأيًا منهم وأعلم بأمر سليمان وأنه لا قبل لها بجنوده وجيوشه، وما سخر له من الجن والإنس والطير، وقد شاهدت من قضية الكتاب مع الهدهد أمرًا عجيبًا بديعًا، فقالت لهم إني أخشى أن نحاربه ونمتنع عليه، فيقصدنا بجنوده، ويهلكنا بمن معه، ويخلص إلي وإليكم الهلاك والدمار دون غيرنا؛ ويهين الأشراف والكبراء قالت إني مرسلة إلى سليمان وقومه، بهدية أصانعه بها عن ملكي وأختبره بها أملك هو أم نبي، فإن يكن ملكًا قبل الهدية وانصرف، وإن كان نبيًّا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا إلا أن نتبعه على دينه، فأهدت إليه وصفاء ووصائف، وطلبت ممن ذهب بالهدية أن ينقل لها ما يقول سليمان عند رؤيته الهدية.

فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ
ءَاتَىٰكُمۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم
بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣٨﴾
قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي
عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ
بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا
مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ
لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا
نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ
أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ
﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ
﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن
سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي
ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾

لما جاءوا لسليمان ﵇، بالهدية لم ينظر إليها، ولا اعتنى بها، بل أعرض عنها، وقال أتصانعونني بمال لأترككم على شرككم وملككم، فالذي أعطاني الله من الملك والمال والجنود خير مما أنتم فيه، وما جئتم به، وأنتم الذين تفرحون بالهدايا والتحف، ارجع إليهم بهديتهم، فلنأتينهم بجنود لا طاقة لهم بقتالهم، ولنخرجنهم من بلدهم وهم مهانين مدحورين، فلما رجعت إليها رسلها بهديتها، وبما قال سليمان، سمعت وأطاعت هي وقومها، وأقبلت تسير إليه في جنودها خاضعة ذليلة، معظمة لسليمان، ناوية متابعته في الإسلام، ولما تحقق سليمان ﵇ قدومهم عليه ووفودهم إليه، فرح بذلك وسره، وأمرت بسرير ملكها، فجعل في سبعة أبيات، بعضها في بعض، ثم أقفلت عليه الأبواب، فجعل سليمان يبعث الجن يأتونه بمسيرها ومنتهاها كل يوم وليلة، حتى إذا دنت جمع من عنده من الجن والإنس، ممن تحت يديه، فقال أيكم يأتيني بسرير ملكها؟ فقال مارد من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مجلسك، وإني قوي على حمله، أمين على ما فيه من الجواهر.

فقال سليمان ﵇ أريد أعجل من ذلك، ومن ها هنا يظهر أن النبي سليمان أراد بإحضار هذا السرير إظهار عظمة ما وهبه الله له من الملك، وسخر له من الجنود، الذي لم يعطه أحدًا قبله، ولا يكون لأحد من بعده. وليتخذ ذلك حجة على نبوته عند بلقيس وقومها؛ لأن هذا خارق عظيم أن يأتي بعرشها كما هو من بلادها قبل أن يقدموا عليه، وقد حجبته بالأغلاق والأقفال والحفظة، فلما قال سليمان أريد أعجل من ذلك، قال الذي عنده علم من الكتاب، وهو آصف كاتب سليمان، وكان صديقًا يعلم الاسم الأعظم، فقال ارفع بصرك وانظر مد بصرك مما تقدر عليه، فإنك لا يكل بصرك إلا وهو حاضر عندك، ثم قام فتوضأ، ودعا الله ﷻ وقال يا ذا الجلال والإكرام، وقال يا إلهنا وإله كل شيء إلهًا واحدًا لا إله إلا أنت، ائتني بعرشها، فتمثل له بين يديه.

فلما شاهد سليمان وملؤه ذلك، ورآه مستقرًا عنده، قال هذا من نعم الله علي ليختبرني، أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه، والله هو الغني عن العباد وعبادتهم، كريم في نفسه، وإن لم يعبده أحد، فإن عظمته ليست مفتقرة إلى أحد، فلما جيء سليمان ﵇ بعرش بلقيس قبل قدومها، أمر به أن يغير بعض صفاته، ليختبر معرفتها وثباتها عند رؤيته، هل تعلم أنه عرشها أو لا تعلم، فلما جاءت عرض عليها عرشها، وقد غُيِّر ونُكِّر، وزيد فيه ونقص منه، فكان فيها ثبات وعقل، ولها لب ودهاء وحزم، فلم تقدم على أنه هو، لبعد مسافته عنها، ولا أنه غيره لما رأت من آثاره وصفاته، وإن غُيِّر وبُدِّل ونُكِّر، فقالت كأنه يشبهه ويقاربه، وهذا غاية في الذكاء والحزم.

وقد أوحى الله لسليمان ﵇ بإسلامها ومنعها من عبادة الله وحده ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين، وأمر سليمان ﵇ الشياطين فبنوا له قصرًا عظيمًا من زجاج، وأجرى تحته الماء، فالذي لا يعرف أمره يحسب أنه ماء، ولكن الزجاج يحول بين الماشي وبينه، ثم قيل لها ادخلي الصرح، ليريها ملكًا هو أعز من ملكها، وسلطانًا هو أعظم من سلطانها، فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها لا تشك أنه ماء تخوضه، فقيل لها إنه صرح ممرد من قوارير، فلما وقفت عند سليمان، دعاها إلى عبادة الله وعاتبها في عبادتها الشمس من دون الله، فأسلمت وحسن إسلامها.

وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿٥٥﴾

يخبر الله تعالى عن ثمود وما كان من أمرهم مع نبيهم صالح ﷺ، حين بعثه الله إليهم، فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فإذا هم فريقان مؤمن وكافر، فقال يا قوم لم تدعون بحضور العذاب، ولا تطلبون من الله رحمته، فتكثروا من الاستغفار، الذي بسببه تدر الأرزاق، وتنزل الأمطار، وتزيد الخيرات، وتنزل البركات، فقالوا ما رأينا على وجهك ووجوه من اتبعك خيرًا تشاؤمًا بصالح ومن آمن معه، وكان من شقائهم، لا يصيب أحدًا منهم سوء إلا قال هذا من قبل صالح وأصحابه، وقد حرم الله التشاؤم والتطير على المؤمنين، لأن فيه إساءة الظن بالله، وشرع لعباده التفاؤل، الذي يفتح أبواب الأمل والنجاح، وكل ما يصيب العباد من قضاء الله وقدره وقضائه، فكل شيء يقع من عند الله، بقضاء الله وقدره، فالله يجازيهم على ذلك، والله يبتليهم بالطاعة والمعصية، ويستدرجهم فيما هم فيه من الضلال.

وكان طغاة ثمود ورؤوسهم دعاة قومهم إلى الضلالة والكفر وتكذيب صالح، وآل بهم الحال إلى أنهم عقروا الناقة، وهموا بقتل صالح، بأن يبيتوه في أهله ليلًا فيقتلوه غيلة، فتحالفوا وتبايعوا على قتل نبي الله صالح ﷺ، ثم يقولوا لأقربائه، إنهم ما علموا بشيء من أمره، وإنهم لصادقون فيما أخبروهم به، من أنهم لم يشاهدوا ذلك،، فكادهم الله، وجعل الدائرة عليهم، فمن كاد المؤمنين وسعى للتضييق عليهم، وأراد المكر بهم، فإن الله يجعل الدائرة عليه، ويخذله في الدنيا والآخرة، فلما عقروا الناقة، قال لهم صالح ﷺ تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب، فدمرهم الله وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم فارغة ليس فيها أحد بما ظلموا أنفسهم بالشرك، وكانوا عبرة وعظة للمكذبين، وأنجى الله المؤمنين المصدقين، الذين يعملون بتقوى الله، فيجعلون بينهم وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه، والتقوى سبب في النجاة من عذاب الله.

ويخبر الله عن عبده لوط ﷺ فقد أرسله الله إلى قرية سدوم، فأمرهم بتوحيد الله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وحذرهم من الشرك، وحذرهم من الانحراف الخلقي، والشذوذ الذي انتشر بينهم، فأنذر قومه نقمة الله بهم، في فعلهم الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحدٌ من بني آدم، وهي إتيان الذكور دون الإناث، وذلك فاحشة عظيمة، استغناء الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، يرى بعضهم بعضًا على المنكر، يفعلون ذلك شهوة، وهم قوم يجهلون القيامة وعاقبة العصيان.

۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾



لما دعا لوط ﷺ قومه إلى ترك الفاحشة والاستغناء بالحلال عن الحرام، اتفقوا على إخراجه وأهله لأنهم قوم يترفعون عن فعل الفواحش، ويتحرجون من إقرارهم على صنيعهم، فهم لا يصلحون لمجاورتهم في بلادهم، فعزموا على إخراجهم، فدمر الله عليهم، وأنجى الله لوطًا ﷺ وأهله إلا زوجته كانت من الهالكين مع قومها؛ لأنها كانت ردءًا لهم على دينهم، وعلى طريقتهم في رضاها بأفعالهم القبيحة، فكانت تدل قومها على ضيوف لوط ليأتوا إليهم، لا أنها كانت تفعل الفواحش؛ تكرمة لنبي الله ﷺ لا كرامة لها، فأنزل الله عليهم حجارة من سجيل منضود؛ لما قامت عليهم الحجة، ووصل إليهم الإنذار، فخالفوا الرسول وكذبوه، وهموا بإخراجه من بينهم، والمسلم يتعظ ويعتبر من قصة قوم لوط فيطهر نفسه من الشرك، ومن أوحال المعاصي والرذائل ويطهر قلبه من الحقد والكراهية والبغضاء والغل والحسد، وأمر الله عباده بحمده وشكره على نعمه على عباده، التي لا تعد ولا تحصى، وعلى ما اتصف به من الصفات العلا والأسماء الحسنى، وأن يسلموا على عباد الله الذين اصطفاهم واختارهم، وهم رسله وأنبياؤه الكرام عليهم من الله الصلاة والسلام، وأصحاب النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه ورضي عنهم، والله هو الأحق بالعبادة وحده لا شريك له، وليس ما يدعيه المشركون في آلهتهم الأخرى، فهو الله المنفرد بالخلق والرزق والتدبير دون غيره، فتلك السموات بارتفاعها وصفائها، وما جعل فيها من الكواكب النيرة والنجوم الزاهرة والأفلاك الدائرة، والأرض بامتدادها، وما جعل فيها من الجبال والسهول، والفيافي والقفار، والأشجار والزروع، والثمار والبحار، والحيوان على اختلاف الأصناف والأشكال والألوان وغير ذلك، فأنزل الله لعباده من السماء ماء جعله رزقًا للعباد، فأنبت به بساتين ذات منظر حسن وشكل بهي، ما كان ليقدروا على إنبات شجرها، وإنما يقدر على ذلك الخالق الرازق، المستقل بذلك المتفرد به، دون ما سواه من الأصنام والأنداد، كما يعترف به هؤلاء المشركون، فهم معترفون بأنه الخالق لجميع ذلك وحده لا شريك له، ثم هم يعبدون معه غيره مما يعترفون أنه لا يخلق ولا يرزق، وإنما يستحق أن يفرد بالعبادة من هو المتفرد بالخلق والرزق؛ فهل يجعلون لله عدلًا ونظيرًا، وهو الخالق الرازق، وقد جعل الأرض قارة ثابتة، لا تتحرك بأهلها، فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة، بل جعلها من فضله ورحمته مهادًا بساطًا ثابتة لا تتزلزل ولا تتحرك، وجعل فيها الأنهار العذبة الطيبة تشقها في خلالها، وصرفها فيها ما بين أنهار كبار وصغار وبين ذلك، بحسب مصالح عباده في أقاليمهم وأقطارهم، وسيّر لهم أرزاقهم بحسب ما يحتاجون إليه، وجعل فيها الجبال الشامخة التي ترسي الأرض وتثبتها؛ لئلا تميد بالناس، وجعل بين المياه العذبة والمالحة مانعًا يمنعها من الاختلاط، لئلا يفسد هذا بهذا وهذا بهذا، فإن الحكمة الإلهية تقتضي بقاء كل منهما على صفته المقصودة منه، فإن البحر الحلو هو هذه الأنهار الجارية بين الناس، وتكون عذبة زلالًا تسقى الحيوان والنبات والثمار منها، والبحار المالحة هي المحيطة بالأرض من كل جانب، ويكون ماؤها ملحًا أجاجًا، لئلا يفسد الهواء بريحها، فهل يستحق العبادة غيره ﷻ؟! وهو المدعو عند الشدائد، المرجو عند النوازل، لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذي لا يكشف ضر المضطرين سواه، ومن حكمة أحكم الحاكمين أن جعل العباد خلفاء الأرض، يخلف كل قرن القرن الذي قبله، ولو شاء لأوجدهم كلهم في وقت واحد، ولم يجعل بعضهم ذرية بعض، بل لو شاء لخلقهم كلهم أجمعين، كما خلق آدم من تراب، ولو شاء أن يجعلهم بعضهم ذرية بعض، ولكن لا يميت أحدًا حتى تكون وفاة الجميع في وقت واحد، فتضيق عليهم الأرض، وتضيق عليهم معايشهم ومكاسبهم، ويتضرر بعضهم ببعض، ولكن اقتضت حكمته وقدرته أن يخلقهم من نفس واحدة، ويذرأهم في الأرض، ويجعلهم قرونًا بعد قرون حتى ينقضي الأجل وتفرغ البرية، كما قدر ذلك تبارك وتعالى، وكما أحصاهم وعدهم عدًّا، ثم تقوم القيامة، ويوفي كل عامل عمله إذا بلغ الكتاب، وهو سبحانه الذي يدل عباده في ظلمات البر والبحر بما خلق من الدلائل السماوية والأرضية، وهو الذي يرسل الرياح بشرًا بين يدي السحاب الذي فيه مطر، يغيث به عباده المجدبين، فهل يشرك العباد معه غيره في العبادة؟!

أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ
أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦٤
قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ
أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ
فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ
أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ٦٧ لَقَدۡ وُعِدۡنَا
هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٦٨
قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ
٦٩ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ٧٠
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٧١ قُلۡ عَسَىٰٓ
أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ ٧٢ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ٧٣ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَيَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٧٤ وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ
فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ٧٥ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ
يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٧٦

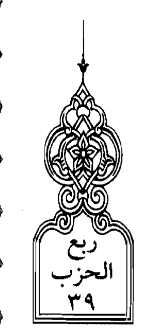
من قدرة الله وسلطانه أنه يبدأ الخلق ثم يعيده، وهو الذي ينزل مطر السماء، وينبت بركات الأرض، فهو تبارك وتعالى، ينزل من السماء ماء مباركًا فيسكنه في الأرض، ثم يخرج به أنواع الزروع والثمار والأزهار، وغير ذلك من ألوان شتى، فهو المستحق للعبادة، فليأت المشركون بدليل على صحة شركهم.

ولا يعلم الغيب إلا الله، فلا أحد من أهل السموات والأرض يعلم الغيب، إنما هو المنفرد بذلك وحده، لا شريك له، وما يشعر الخلائق الساكنون في السموات والأرض بوقت الساعة، وحين تقوم الساعة ويرى المجرمون العذاب يتكامل علمهم في الآخرة؛ ويوقنون بوقوعها، لأنهم رأوا كل ما وعدوا به، وعاينوه، فقد كانوا في الدنيا في شك من الآخرة، وكانوا لا يدركون شيئًا من دلائلها لاختلال بصائرهم فقد أعمى الله قلوبهم عن إبصار الحق، فقد استبعدوا إعادة الأجساد بعد صيرورتها عظامًا ورفاتًا وترابًا، وقالوا ما زلنا نسمع بهذا نحن وآباؤنا، ولا نرى له حقيقة ولا وقوعًا، وما هذا الوعد بإعادة الأبدان، إلا أساطير عن الأولين وليس لها حقيقة.

ولو كانت لهم عقول، لنظروا في حال المكذبين بالرسل وما جاءوهم به من أمر المعاد وغيره، كيف حلت بهم نقم الله وعذابه ونكاله، ونجَّى الله من بينهم رسله الكرام ومن اتبعهم من المؤمنين، فدل ذلك على صدق ما جاءت به الرسل وصحته، وتلك سنة الله في المكذبين، فجاءت التسلية للنبي صلوات الله وسلامه عليه بأن لا يحزن على المكذبين، ولا يأسف عليهم وتذهب نفسه عليهم حسرات، ولا يضيق بمكرهم، وكيدهم، فإن الله مؤيده، وناصره، ومظهر دينه على من خالفه وعانده في المشارق والمغارب.

ويستبعد المشركون، وقوع يوم القيامة ويسألون عن وقته، فيأتي الرد أن ما تسألون عنه وتستعجلونه قد قرب وقوعه، والله ذو فضل على الناس في إسباغه نعمه عليهم مع ظلمهم لأنفسهم، وهم مع ذلك لا يشكرونه على ذلك إلا القليل منهم، وهو الذي يعلم السرائر والضمائر، كما يعلم الظواهر، فهو عالم غيب السموات والأرض، وهو عالم ما غاب عن العباد وما شاهدوه، فما من شيء يغيب عن الخلق في السماء والأرض إلا في اللوح المحفوظ فهذا القرآن العزيز، اشتمل على الهدى والبينات والفرقان، ويبين لبني إسرائيل، وهم حملة التوراة والإنجيل الذي يختلفون فيه، كاختلافهم في عيسى وتباينهم فيه، فاليهود افتروا، والنصارى غلوا، فجاء القرآن بالقول الوسط الحق العدل أنه عبد من عباد الله وأنبيائه ورسله الكرام، عليه أفضل الصلاة والسلام.

وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٧٧ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُم بِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٨ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ٧٩ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ٨٠ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ٨١ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ٨٢ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ فَوۡجٗا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمۡ يُوزَعُونَ ٨٣ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبۡتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمۡ تُحِيطُواْ بِهَا عِلۡمًا أَمَّاذَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨٤ وَوَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ ٨٥ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٨٦ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ٨٧ وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ٨٨



أنزل الله القرآن العظيم هداية لقلوب المؤمنين، ورحمة لهم فقد جاء في تشريعاته بالرحمة، فقد يسر الله لعباده في شريعة محمد ﷺ ما لم يكن في الأمم قبلهم، فكانت تلك الشريعة رحمة للعباد، وهي الحنيفية السمحة.

وفي يوم القيامة يفصل الله بين المختلفين من بني إسرائيل بما يحكم به من الحق، فيجازي المحق ويعاقب المبطل، وكذلك من افترق من هذه الأمة، وهو العزيز في انتقامه العليم بأفعال عباده وأقوالهم، وعليه يتوكل المؤمنون في أمورهم، وعليه يتوكل المرسلون في تبليغ رسالة ربهم، وهو ناصرهم ومؤيدهم على من خالفهم، فهم على الحق الواضح، ومن خالفهم على الضلال، كتب الله عليه الشقاوة وحقت عليه كلمة الغواية، فلا يسمعون شيئًا ينفعهم، فعلى قلوبهم غشاوة، وفي آذانهم وقر الكفر، أمات الله قلوبهم بالكفر والشرك، ولا ينتفع بهدي القرآن وبدعوة الأنبياء إلا من آمن وصدق وأسلم وجهه لله.

وفي آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق، يخرج الله لهم دابة من الأرض من مكة تخاطبهم مخاطبة، فتَسِم الناس على أنوفهم وتكتب على المسلم مسلم وعلى الكافر كافر.

ويوم القيامة يحشر الله الظالمين المكذبين بآيات الله ورسله، يساقون فيوقفون بين يدي الله ﷻ، في مقام المساءلة، ويسألهم عن اعتقادهم وأعمالهم مما فعلوه في الدار الدنيا تقريعًا وتوبيخًا، وتصغيرًا وتحقيرًا، فتقوم عليهم الحجة، ولم يكن لهم عذر يعتذرون به ولا جواب؛ لأنهم كانوا في الدار الدنيا ظلمة لأنفسهم، وقد ردوا إلى عالم الغيب والشهادة الذي لا تخفى عليه خافية، الذي جعل الليل ظلامًا تسكن فيه حركات الناس، وتهدأ أنفاسهم، ويستريحون من نصب التعب في نهارهم، والنهار منيرًا مشرقًا، يتصرف الناس فيه في المعايش والمكاسب والأسفار والتجارات، وغير ذلك من شؤونهم التي يحتاجون إليها، وفي آخر الدنيا ينفخ إسرافيل نفخة الفزع في الصور، وهو قرن ينفخ فيه، فيفزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، وهم الشهداء، فإنهم أحياء عند ربهم يرزقون، ثم بعد ذلك نفخة الصعق، وهو الموت، ثم بعد ذلك نفخة القيام لرب العالمين، وهو النشور من القبور لجميع الخلائق؛ يأتون صاغرين مطيعين، لا يتخلف أحد منهم، في ذلك اليوم ترى الجبال كأنها ثابتة باقية على ما كانت عليه، وهي تزول عن أماكنها كالسحاب، وذلك بقدرة الله العظيمة الذي قد أتقن كل ما خلق، وأودع فيه، من الحكمة ما أودع، وهو عليم بما يفعل عباده من خير وشر فيجازيهم عليه.

مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾

سُورَةُ القَصَصِ

ترتيبها ٢٨ — آياتها ٨٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾

المؤمن يؤمَّن من فزع يوم القيامة بما أعد الله له من الكرامة في الآخرة، فحسناته يثاب عليها بخير منها إلى عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وأما من لقي الله بالشرك فإنه يلقى في النار على وجهه، وتقول له خزنة جهنم هل تجزون إلا ما كنتم تعملون في الدنيا من الشرك.

وقد أمر الله نبيه ورسوله ﷺ وأمته أن يعبدوا الله وحده لا شريك له، فهو رب البيت الحرام، مكة المكرمة فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، هي التي يعظمها المشركون، فليعظموا ربها بالتوحيد، وهو رب هذه البلدة، ورب كل شيء ومليكه، أمروا ألا يعبدوا إلا إياه، وأن ينقاد العباد له ويسلموا له، فقد أمر الله رسوله ﷺ أن يبلغ هذا القرآن للناس هداية لهم، فمن اهتدى بالقرآن فإنما يهتدي لنفسه، ومن ضل وأعرض عن القرآن فما على الرسل إلا البلاغ والإنذار، ومن رحمة الله بعباده ألا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه، والإعذار إليه؛ والله شهيد على كل شيء.

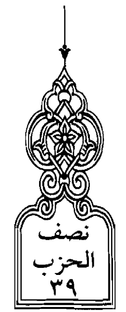
سورة القصص

وهي سورة مكية نزلت في وقت خروجه ﷺ للهجرة، سميت بالقصص لذكر قصص موسى ﷺ فيها

افتتحت هذه السورة كغيرها بالحروف المقطعة التي تدل على إعجاز القرآن، وبلاغته الذي تحدى العرب أن يأتوا بمثله، وكتاب الله الخالد الواضح الجلي الكاشف عن حقائق الأمور، جاء فيه خبر الأولين والآخرين من الأنبياء والمرسلين ومنهم نبي الله موسى ﷺ وقصته مع فرعون، فقد جاء خبرهم بالصدق والحقيقة، فإن فرعون تكبر وتجبر وطغى في الأرض، وجعل أهلها أصنافًا، في الخدمة والتسخير، قد صرف كل صنف فيما يريد من أمور دولته، يستضعف بني إسرائيل، وكانوا في ذلك الوقت خيار أهل زمانهم، يستعملهم في أخس الأعمال، ويقتل أبناءهم، ويبقي نساءهم، إهانة لهم واحتقارًا، وخوفًا من أن يوجد منهم الغلام الذي كان قد تخوف هو وأهل مملكته من أن يكون سبب هلاكه وذهاب دولته على يديه، فاحترز فرعون من ذلك، وأمر بقتل ذكور بني إسرائيل، ولن ينفع حذر من قدر؛ لأن أجل الله إذا جاء لا يؤخر، ولكل أجل كتاب.

فأراد الله أن يمن على بني إسرائيل ويجعلهم قادة في الخير يقتدى بهم، وولاة وملوكا، ودعاة إلى الخير، ويجعلهم الوارثين لأرض مصر بعد فرعون وقومه.

وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾



أراد الله كرامة بني إسرائيل وإنقاذهم من فرعون وقومه، وأراد إذلال فرعون وقومه، ووقوع ما يخافون منه، وهو ظهور رجل من بني إسرائيل تكون نهاية فرعون على يديه، وأراد فرعون بحوله وقوته أن ينجو من موسى، فما نفعه ذلك مع قدر الملك العظيم الذي لا يخالف أمره القدري، بل نفذ حكمه وجرى قلمه بأن يكون إهلاك فرعون على يديه، بل يكون هذا الغلام الذي احترز من وجوده، وقتل بسببه الولدان إنما منشؤه على فراشه، وفي داره، وغذاؤه من طعامه، وحتفه وهلاكه وهلاك جنوده على يديه، ليعلم أن رب السموات العلا هو القادر الغالب العظيم، العزيز القوي، الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

ولما كثر القتل في ذكور بني إسرائيل، خافت القبط أن يفنى بنو إسرائيل فلا يقومون بالأعمال الشاقة، فأمر فرعون بقتل الولدان عامًا وتركهم عامًا، فولد هارون ﷺ في السنة التي يتركون فيها الولدان، وولد موسى ﷺ في السنة التي يقتلون فيها الولدان، فلما وضعت أم موسى، ضاقت به ذرعًا، وخافت عليه خوفًا شديدًا وأحبته حبًا زائدًا، وكان موسى ﷺ لا يراه أحد إلا أحبه، ألهمت في سرها، وألقي في خلدها، ونفث في روعها، أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني، فاتخذت تابوتًا، ومهدت فيه مهدًا، وجعلت ترضع ولدها، فإذا دخل عليها أحد ممن تخاف جعلته في ذلك التابوت، وسيرته في البحر، وربطته بحبل عندها، فلما كان ذات يوم دخل عليها من تخافه، فذهبت فوضعته في ذلك التابوت، وأرسلته في البحر وذهلت عن أن تربطه، فذهب مع الماء واحتمله، حتى مر به على دار فرعون، فالتقطه الجواري فاحتملنه، فذهبن به إلى إمرأة فرعون، ولا يدرين ما فيه، فلما كشفت عنه إذا هو غلام من أحسن الخلق وأجمله وأحلاه وأبهاه، فأوقع الله محبته في قلبها حين نظرت إليه، وذلك لسعادتها وما أراد الله من كرامتها وشقاوة بعلها؛ وكان التقاطه ليكون لهم عدوًّا وحزنًا فيكون أبلغ في إبطال حذرهم منه؛ فلما رآه فرعون هم بقتله خوفًا من أن يكون من بني إسرائيل فجعلت امرأته آسية بنت مزاحم تحاج عنه وتذب دونه، وتحببه إلى فرعون، فقالت قرة عين لي ولك، فقال: أما لك فنعم، وأما لي فلا، فكان كذلك، وهداها الله به، ونفعها وأسكنها الجنة بسببه، وأهلكه الله على يديه، وأرادت أن تتخذه ولدًا وتتبناه، وذلك أنه لم يكن لها ولد منه، وهم لا يدرون ما أراد الله منه بالتقاطهم إياه، من الحكمة العظيمة البالغة، والحجة القاطعة، وأصبح قلب أم موسى فارغًا، من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى، إن كادت من شدة حزنها وأسفها لتظهر أنه ذهب لها ولد، وتخبر بحالها، لولا أن الله ثبتها وصبرها، وأمرت ابنتها أن تتبع أثره، وتأخذ خبره، وتطلب شأنه من نواحي البلد، فخرجت لذلك، ولما استقر موسى ﷺ بدار فرعون، وأحبته امرأة الملك، عرضوا عليه المراضع التي في دارهم، فلم يقبل منها ثديًا، وأبى أن يقبل شيئًا من ذلك، فخرجوا به إلى السوق لعلهم يجدون امرأة تصلح لرضاعته، فلما رأته أخته بأيديهم عرفته، ولم تظهر ذلك ولم يشعروا بها، ورأتهم حائرين فيمن يرضعه قالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون، فذهبوا معها إلى منزلهم، فدخلوا به على أمه، فأعطته ثديها فالتقمه، ففرحوا بذلك فرحًا شديدًا، وذهب البشير إلى امرأة الملك، فاستدعت أم موسى، وأحسنت إليها، وأعطتها عطاء جزيلًا، وهي لا تعرف أنها أمه في الحقيقة، وأجرت عليها النفقة والإحسان الجزيل، فرجعت أم موسى بولدها راضية مرضية، قد أبدلها الله من بعد خوفها أمنًا في عز وجاه، فسبحان من بيديه الأمر، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، الذي يجعل لمن اتقاه بعد كل هم فرجًا وبعد كل ضيق مخرجًا، فعلمت أن وعد الله حق برده إليها، وأنه سيكون رسولًا من المرسلين، ولكن أكثر الناس لا يعلمون حكم الله في أفعاله وعواقبها المحمودة، التي هو المحمود عليها في الدنيا والآخرة، فربما يقع الأمر كريهًا إلى النفوس، وعاقبته محمودة في نفس الأمر.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾

وقد أكرم الله موسى ﷺ لما بلغ أربعين سنة بالنبوة والتكليم وكان سبب وصوله إلى ما كان ما قدر الله له من قضية قتله للقبطي، الذي كان سبب خروجه من مصر إلى بلاد مدين، فإنه دخل المدينة على وقت غفلة الناس ما بين المغرب والعشاء، فوجد فيها رجلين يتنازعان، هذا من بني إسرائيل والآخر قبطي، فاستغاث الإسرائيلي بموسى ﷺ، ووجد موسى فرصة، وهي غفلة الناس، فعمد إلى القبطي، فطعنه بجمع كفه كان فيها حتفه فمات، فندم موسى ﷺ، ولم يكن قصده القتل، وقال هذا من عمل الشيطان هو الذي هيج غضبي حتى ضربت هذا، إنه عدو لابن آدم مضل له ظاهر في عداوته، ثم استغفر فقال رب إني ظلمت نفسي بقتل النفس التي لم تأمرني بقتلها فاغفر لي ذلك الذنب، فغفر الله له، إن الله غفور لذنوب عباده، رحيم بهم، ثم عاهد نفسه لما أنعم الله عليه بقبول التوبة والمغفرة ألا يكون معينًا للكافرين.

ولما قتل ذلك القبطي أصبح في المدينة خائفًا من عاقبة ما فعل، يتلفت ويتوقع ما يكون من هذا الأمر، فمر في بعض الطرق، فإذا الذي استنصره بالأمس على ذلك القبطي يقاتل آخر، فلما مر موسى، استصرخه على الآخر، فقال له موسى إنك لظاهر الغواية كثير الشر، ثم عزم على البطش بذلك القبطي، فاعتقد الإسرائيلي لخوره وضعفه وذلته أن موسى إنما يريد قصده لما سمعه يقول ذلك، فقال يدفع عن نفسه يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس، وذلك لأنه لم يعلم به إلا هو وموسى ﷺ فلما سمعها ذلك القبطي أخذها، ثم ذهب بها إلى فرعون فألقاها عنده، فعلم بذلك، فاشتد غضبه، وعزم على قتل موسى، فطلبوه فبعثوا وراءه ليحضروه لذلك.

وجاء مؤمن آل فرعون يسرع في مشيه، فأخذ طريقًا قريبًا حتى سبق إلى موسى فأخبره وأنذره، فقال إن الملأ يتشاورون فيك ليقتلوك فاخرج من البلد إني لك من الناصحين.

فلما أخبره الرجل بما تمالأ عليه فرعون ودولته في أمره، خرج من مصر وحده، ولم يألف ذلك قلبه، بل كان في رفاهية ونعمة ورئاسة، فخرج منها خائفًا يتلفت قال رب نجني من فرعون وملائه.

والعبرة من قصة موسى ﷺ مع القبطي وخروجه من المدينة هي أن الله يصطفي من يشاء من عباده، وهو أعلم حيث يجعل رسالته، وإذا أراد شيئًا هيأ له أسبابه بقدرته، فقدر الله القتل ليخرج موسى من مصر ليكرمه الله بالرسالة والنبوة والكلام، وليظهر وعد الله بحفظه، ونصره على أعدائه ونجاته مما كادوا له من المكائد.

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ
ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ
ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ
قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا
شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ
رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا
تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ
أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ
لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا
يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ
﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن
تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ
وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ
قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٢٨﴾

لما خرج موسى ﷺ من مصر قصد مدين وسلك طريقها، ومدين هو مدين بن إبراهيم، سميت البلدة باسمه، وكانت مدين على مسيرة ثمانية أيام من مصر، وقد خرج خائفًا بلا ظهر ولا حذاء ولا زاد، ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر والبقل، حتى يرى خضرته في بطنه، وما وصل إلى مدين حتى وقع خف قدميه، وهو أول ابتلاء من الله ﷻ لموسى ﷺ، ولما وصل مدين رأى الناس يسقون من بئر مدين لمواشيهم، وجد عليه جماعة من الناس يسقون مواشيهم، ووجد من دون الجماعة امرأتين تحبسان وتمنعان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس وتخلو لهم البئر، فلما رآهما موسى ﷺ رق لهما ورحمهما، قال: ما خبركما لا تردان مع هؤلاء، قالتا: لا يحصل لنا سقي إلا بعد فراغ هؤلاء، وأبونا شيخ كبير لا يستطيع أن يسقي لنا، فقال هل قربكما ماء، قالتا لا، إلاّ بئر عليها صخرة قد غطيت بها لا يطيقها نفر، فانطلقتا، وأرينه البئر، فقال بالصخرة بيده، فنحاها، ثم استقى لهم سجلًا واحدًا فسقى الغنم، ثم أعاد الصخرة إلى مكانها، وجلس في الظل وهو صفوة الله من خلقه، وإن بطنه لاصق بظهره من الجوع، وإن خضرة البقل لترى من داخل جوفه وإنه لمحتاج إلى شق تمرة، فقال رب إني لما أنزلت إلي من طعام محتاج، وكان يطلب الطعام لجوعه، فلما رجعت المرأتان إلى أبيهما سريعًا قبل الناس وأغنامهما حُفل بطان، قال لهما: ما أعجلكما، قالتا: وجدنا رجلًا صالحًا رحمنا فسقى لنا أغنامنا، فقال لإحداهما اذهبي فادعيه لي، فجاءته إحداهما تمشي على استحياء، واضعة ثوبها على وجهها، قالت إن أبي يدعوك ليثيبك ويكافئك على سقيك لغنمنا، فقال لها امشي خلفي ودليني على الطريق إن أخطأت فارمي بحجر ففعلت، فلما جاء إلى أبيهما شعيب ﷺ وذكر له ما كان من أمره، وما جرى له من السبب الذي خرج من أجله من بلده، قال طب نفسًا وقر عينًا، فقد خرجت من مملكتهم فلا حكم لهم في بلادنا، فقالت إحدى ابنتي شعيب ﷺ (وهي التي ذهبت وراء موسى ﷺ) لأبيها، يا أبت استأجره لرعي الغنم، فهو قوي أمين، وكانت علمت قوته برفعه الصخرة التي لا يطيق حملها إلا عشرة رجال، وبأمانته إنه لما جاء معها تقدمت أمامه، فقال لي كوني من ورائي، فإذا اجتنبت الطريق فارمي لي بحصاة أعلم بها كيف الطريق لأهتدي إليه، فطلب منه شعيب ﷺ أن يرعى الغنم، ويزوجه إحدى ابنتيه هاتين، فزوجه التي نادته بمهر، وهو رعي الغنم ثماني سنين، فإن تبرع بزيادة سنتين فهو إليه، ولن يجد المشقة والأذى في هذه السنين، فآجر نفسه ثماني سنين أو عشر سنين على عفة فرجه وطعام بطنه، فقال موسى ﷺ لشعيب ﷺ الأمر على ما قلت الأجرة على ثمان سنين، فإن أتممت عشرًا فمن عندي، فأيما الأجلين فعلت فلا حرج علي.

۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَاۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾

لما قضى موسى ﷺ أتم الأجلين وأوفاهما وأبرهما وأكملهما وأنقاهما، وأراد فراق شعيب ﷺ أمر امرأته أن تسأل أباها أن يعطيها من غنمه ما يعيشون به، فأعطاها ما ولدت غنمه في ذلك العام، وكان قد اشتاق إلى بلاده وأهله، فعزم على زيارتهم في خفية من فرعون وقومه، فتحمل بأهله وما كان معه من الغنم التي وهبها له صهره، فسلك بهم في ليلة مطيرة مظلمة باردة، فنزل منزلًا فجعل كلما أورى زنده لا يضيء شيئًا، فتعجب من ذلك، فبينما هو كذلك إذ رأى نارًا تضيء له على بعد، فقال لأهله امكثوا إني رأيت نارًا فاجلسوا، حتى أذهب إليها، لعلي آتيكم بعلم عن الطريق، أو قطعة من النار لعلكم تتدفئون بها من البرد.

فلما أتى النار نودي من جانب الوادي مما يلي الجبل عن يمينه من ناحية الغرب، فوجد النار تحترق في شجرة خضراء في لحف الجبل مما يلي الوادي، فوقف باهتًا في أمرها، فناداه ربه يا موسى إني أنا الله رب العالمين، الفعال لما يشاء، لا إله غيره، ولا رب سواه، تعالى وتقدس وتنزه عن مماثلة المخلوقات في ذاته وصفاته، وأقواله وأفعاله سبحانه، فأمره الله أن يلقي العصا التي في يده، فألقاها فإذا هي حية تسعى، فعرف وتحقق أن الذي يخاطبه ويكلمه هو الذي يقول للشيء كن فيكون، فلما رأى العصا تضطرب كأنها جان في حركتها السريعة مع عظم خلق قوائمها واتساع فمها، هرب ولم يلتفت؛ لأن طبع البشرية ينفر من ذلك، فقال الله له يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين، فرجع فوقف في مقامه الأول، ثم قال الله له أدخل يدك في جيب درعك ثم أخرجها فإنها تخرج تتلألأ كأنها قطعة قمر في لمعان البرق؛ من غير برص وأمره الله أنه إذا خاف من شيء أن يضم إليه يده، فإذا فعل ذلك ذهب عنه ما يجده من الخوف، فذلك دليلان قاطعان واضحان على قدرة الخالق المختار، وصحة نبوة من جرى هذا الخارق على يديه؛ وأمره الله بتبليغ الرسالة إلى فرعون وقومه من الرؤساء والكبراء والأتباع، إنهم كانوا قومًا خارجين عن طاعة الله، مخالفين لدين الله، قال موسى ﷺ: رب إني قتلت منهم القبطي فأخاف إن رأوني أن يقتلوني، وأخي هارون أفصح مني لسانًا، يكون لي وزيرًا ومعينًا ومقويًا لأمري، يصدقني فيما أقوله وأخبر به عن الله ﷻ؛ ويبين لهم عني ما أكلمهم به، فإنه يفهم عني، فلما سأل ذلك قوى الله أمره بأخيه وأعز جانبه به، فليس أحد أعظم منة على أخيه من موسى على هارون عليهما السلام فإنه شفع فيه حتى جعله الله نبيًّا ورسولًا معه إلى فرعون، وجعل الله لهما حجة قاهرة، فلا سبيل إلى الوصول إلى أذاهما بسبب إبلاغهما آيات الله، وكفى بالله ناصرًا ومعينًا ومؤيدًا، فإن العاقبة لهما ولمن اتبعهما في الدنيا والآخرة.

فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةًۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

لما جاء موسى وأخوه هارون عليهما السلام إلى فرعون وملائه، وعرضا ما آتاهما الله من المعجزات الباهرة والدلالات القاهرة على صدقهما، ودعا فرعون وقومه إلى توحيد الله واتباع أوامره، فلما شاهد فرعون وملؤه وأيقنوا أنه من الله، عدلوا بكفرهم وبغيهم إلى العناد، والطغيان والتكبر عن اتباع الحق، فقالوا ما هذا إلا سحر مفتعل مصنوع، وقالوا ما رأينا أحدًا من آبائنا على هذا الدين، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، ولم نر الناس إلا يشركون مع الله آلهة أخرى، فقال موسى عليه السلام مجيبًا لهم ربي أعلم مني ومنكم، وسيفصل بيني وبينكم، وستعلمون لمن تكون النصرة والظفر والتأييد، والله لا يفلح المشركين بالله.

وكفر فرعون وطغى وافترى في دعوى الإلهية لنفسه وأمر وزيره هامان ومدبر رعيته ومشير دولته، أن يوقد له على الطين ليتخذ له آجرًا لبناء الصرح، وهو القصر المنيف الرفيع لعله يبلغ أسباب السموات فيطلع إلى إله موسى، وقال وإني لأظنه كاذبًا في قوله أن له ربًا غيري، وطغى فرعون وتجبر هو وجنوده وأكثروا في الأرض الفساد، واعتقدوا أنه لا معاد ولا قيامة، فأغرقهم الله في البحر في صبيحة واحدة، فلم يبق منهم أحد فكانت عاقبة الظالمين الغرق والحرق وجعلهم دعاة إلى النار لمن وراءهم وأخذ بطريقتهم في تكذيب الرسل، ويوم القيامة لا ناصر لهم، فاجتمع عليهم خزي الدنيا موصولًا بذل الآخرة.

وشرع الله لعنتهم ولعنة ملكهم فرعون على ألسنة المؤمنين من عباده المتبعين رسله، وكما أنهم في الدنيا ملعونون على ألسنة الأنبياء وأتباعهم كذلك يوم القيامة هم من المبعدين الملعونين المهلكين.

وكان إرسال موسى عليه السلام بعد إهلاك الأمم قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط، وأنزل التوراة عليه بعدما أهلك فرعون وملأه، هدى لبني إسرائيل إلى الحق، وبصيرة لهم من العمى والغي، وإرشادًا إلى الأعمال الصالحة، لعل الناس يتذكرون بها، ويهتدون بسببها، ففي التوارة ذكر نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، فمن اهتدى بهداية التوارة وفق للإيمان بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام.

فكانت قصة موسى عليه السلام مع فرعون عبرة وعظة للمكذبين المعاندين، وللمتكبرين المتجبرين، فلم تنفع فرعون حيلته، ولا قوته، ولا جبروته، ولا جنده، ومن يهن الله فما له من مكرم، وتلك حقيقة واقعة وسنة لله باقية في دحر أعداء الملة، وصغارهم وانتصار الحق وأهله إلى قيام الساعة، فإن الباطل مهما طال وقته إلا أن له زوال واضمحلال، وللحق ظهور وانتصار.

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ أَتَّبِعۡهُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

كان ابتداء إيحاء الله إلى موسى ﷺ وتكليمه له بجانب الجبل الغربي الذي كلم الله فيه موسى من الشجرة التي هي شرقية على شاطئ الوادي، وقد نزل القرآن بخبره، وأوحاه لنبيه محمدًا ﷺ في القرآن، ليجعل الله القرآن حجة وبرهانًا على قرون قد تطاول عهدها، ونسوا حجج الله عليهم، وقد عهد الله إلى موسى وقومه عهودًا في محمد ﷺ والإيمان به، فلما طال عليهم العمر وخلفت القرون بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفاء بها.

وقد قام أنبياء الله بالرسالة كما قام بها شعيب وموسى عليهما السلام فأقاموا في أهل مدين يذكرونهم بالوعد والوعيد بآيات الله، والنبي ﷺ لم يشهد أخبار الأنبياء، ولكن الله أوحى إليه بخبرهم، فكانت رسالته رحمة للخلق لينذر أمة لم يأتها رسول قبله، لعلهم يهتدون بما جاءهم به من الله ﷻ.

ولتقوم عليهم الحجة وليقطع عذرهم إذا جاءهم عذاب من الله بكفرهم، فيحتجوا بأنهم لم يأتهم رسول ولا نذير، فلما جاءهم الحق من عند الله على لسان محمد صلوات الله وسلامه عليه، قالوا على وجه التعنت والعناد والكفر والجهل والإلحاد، لولا أوتي مثل ما أوتي موسى من الآيات الكثيرة، مثل العصا واليد، والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، مما يضيق على أعداء الله، وكفلق البحر، وتظليل الغمام، وإنزال المن والسلوى، إلى غير ذلك من الآيات الباهرة، والحجج القاهرة، التي أجراها الله على يدي موسى ﷺ حجة وبراهين له على فرعون ومع هذا كله لم يؤمن فرعون وقومه، وقالوا ساحران تعاونا، ونحن بكل منهما كافرون، فكفروا برسالة موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وبالتوراة والقرآن ووصفوهما بالسحر، فأمروا أن يأتوا بكتاب أهدى من التوراة والقرآن، وقد علم بالضرورة لذوي الألباب أن الله لم ينزل كتابًا من السماء فيما أنزل من الكتب المتعددة على أنبيائه أكمل ولا أشمل ولا أفصح ولا أعظم ولا أشرف من الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ، وهو القرآن، وبعده في الشرف والعظمة الكتاب الذي أنزله على موسى بن عمران عليه السلام وهو التوراة.

ولن يستجيب المشركون بالإيمان بما جاء به محمد ﷺ، وإنما يتبعون أهواءهم بلا دليل ولا حجة، ومن اتبع هواه فهو أشد الناس ضلالة وغواية، والله لا يهدي القوم الظالمين لأنفسهم بالكفر والشرك، وتكذيب الأنبياء والإعراض عن آيات الله، فأعظم الظلم الشرك بالله تعالى، واتخاذ آلهة من دون الله، من ملك أو ولي، أو شجر أو حجر أو صنم، أو قبر، ولذلك جاءت شريعة محمد ﷺ بسد أبواب الشرك ووسائلة.

۞ وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾

أنزل الله آيات القرآن يتبع بعضها بعضًا، تبين لكفار مكة أخبار الأمم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم. ووصل لهم خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كأنهم ينظروا إلى الآخرة في الدنيا، لعلهم يتعظون ويعتبرون، والمؤمنون من أهل الكتاب الذين آمنوا بالتوراة والإنجيل والقرآن، يصدقون بما في القرآن، ويعلمون أنه حق من عند الله، وسيؤتيهم الله أجرهم مرتين بما صبروا على اتباع الحق؛ ومن صفاتهم أنهم لا يقابلون السيئ بمثله، ولكن يعفون ويصفحون، وينفقون مما رزقهم الله من الحلال، ينفقون على خلق الله في النفقات الواجبة لأهلهم وأقاربهم، والزكاة المفروضة والمستحبة من التطوعات، وصدقات النفل والقربات، وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه، لا يخالطون أهله ولا يعاشرونهم، وإذا سفه عليهم سفيه، وكلمهم بما لا يليق بهم، أعرضوا عنه ولم يقابلوه بمثله من الكلام القبيح، ولا يصدر عنهم إلا الكلام الطيب، ويقولون لا نريد طريق الجاهلين ولا نحبها، والرسول صلوات الله وسلامه عليه يهدي إلى الحق دلالة إرشاد وبيان، والله يهدي هداية توفيق وإلهام، والرسول عليه البلاغ، والله يهدي من يشاء، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، ولما حضرت الوفاة أبا طالب عم رسول الله ﷺ وقد كان يحوطه وينصره، دعاه رسول الله ﷺ إلى الإيمان والدخول في الإسلام، فقال رسول الله ﷺ يا عم قل لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعودان له بتلك المقالة، حتى قال آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: لأستغفرن لك ما لم أنه عنك، فنهي عن الاستغفار له فسبق القدر فيه، فاستمر على ما كان عليه من الكفر، ولله الحكمة التامة.

وكان من تعنت قريش، اعتذار بعض الكفار في عدم اتباع الهدى فقالوا لرسول الله ﷺ نخشى إن اتبعنا ما جئت به من الهدى، وخالفنا من حولنا من أحياء العرب المشركين، أن يقصدونا بالأذى والمحاربة، ويتخطفونا أينما كنا، فجاء تكذيبهم أن الله جعلهم في بلد أمين، وحرم معظم آمن منذ وضع، فكيف يكون هذا الحرم آمنًا في حال كفرهم وشركهم، ولا يكون آمنًا لهم وقد أسلموا وتابعوا الحق، يؤتى إليه من سائر الثمار مما حوله من جميع البلدان، وكذلك المتاجر والأمتعة، رزقًا من عند الله، وكم أهلك الله من قرية طغت وكفرت نعمة الله، فيما أنعم به عليهم من الأرزاق، يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف، فكانت خرابًا ليس فيها أحد، تركوا المساكن والدور وهجرت القصور، ونزل بها عذاب الله تعالى، ولا يهلك الله إلا من قامت الحجة عليه بإرسال الرسل وإنزال الكتب وقد بعث الله في أم القرى النبي الأمي محمد صلوات الله وسلامه عليه المبعوث إلى جميع القرى، من الجن والإنس، فختم به الرسالة والنبوة، فلا نبي بعده ولا رسول، بل شرعه باقٍ بقاء الليل والنهار إلى يوم القيامة، والله لا يهلك إلا الأمم الظالمة الجاحدة المكذبة.

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٧٠﴾

الدنيا وما فيها من الزينة الدنيئة والزهرة الفانية بالنسبة إلى ما أعده الله لعباده الصالحين في الدار الآخرة من النعيم العظيم المقيم حقيرة، وهي متاع الغرور، أفلا يعقل من يُقدِّم الدنيا على الآخرة، فلا يستوي من وعده الله بالجنة وما فيها من النعم التي لا تحصى وهو مدركه لا محالة، فإن الله لا يخلف الميعاد، ومن أعطي بعض متع الدنيا مع سرعة زوالها وتنغيصها، وهو يوم القيامة من المحضرين في النار، فالموعود بالجنة لا بدّ أن يظفر بها وعد به مع أنه لا يفوته نصيبه من الدنيا، وهذا حال المؤمن.

وأما الكفار المشركون فإنهم يوبخون يوم القيامة، فيقال لهم أين الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدار الدنيا من الأصنام والأنداد؟ هل ينصرونكم أو ينتصرون؟ وهذا على سبيل التقريع والتهديد، ويقول الشياطين والمردة والدعاة إلى الكفر: ربنا إنا أغويناهم فاتبعونا، واليوم نتبرأ من عبادتهم، ويقال للمشركين ادعوا شركاءكم ليخلصوكم مما أنتم فيه، كما كنتم ترجون منهم في الدار الدنيا، فدعوهم فلم يستجيبوا لهم، وتيقنوا أنهم صائرون إلى النار لا محالة، فودوا حين عاينوا العذاب، لو أنهم كانوا من المهتدين في الدار الدنيا، وينادون ماذا كان جوابكم للمرسلين إليكم؟ وهذا ما يسأله العبد في قبره: من ربك؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟ فأما المؤمن فيشهد أنه لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبد الله ورسوله، وأما الكافر فيقول: هاه.. هاه. لا أدري؛ ولهذا لا جواب له يوم القيامة غير السكوت؛ لأن من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلًا، فخفيت واشتبهت عليهم الحجج، والأعذار فهم لا يسأل بعضهم بعضًا، ولا ينطقون بحجة ولا يدرون بما يجيبون، لأن الله قد أعذر إليهم في الدنيا فلا يكون لهم عذر، ولا حجة يوم القيامة، وأما من تاب من الشرك وصدَّق بما جاء به الرسل، وأدَّى الفرائض واجتنب المعاصي فهو من الفائزين بمطالبهم من سعادة الدارين، والله تعالى المنفرد بالخلق والاختيار، ليس له في ذلك منازع ولا معقب، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فالأمور كلها خيرها وشرها بيده، ومرجعها إليه، ويختار لعباده الذي هو خير لهم في الدارين، وليس للعباد اختيار ولا مشيئة إذا أراد الله شيئًا، فتقدس الله وتنزه عما يشركون من الأصنام والأنداد، التي لا تخلق ولا تختار شيئًا.

وهو سبحانه يعلم ما تُكن الضمائر، وما تنطوي عليه السرائر، كما يعلم ما تبديه الظواهر من سائر الخلائق، وهو المنفرد بالإلهية، فلا معبود سواه، كما لا رب يخلق ويختار سواه، وهو المحمود على كل حال؛ لعدله وحكمته، له الحكم، لا معقب له لقهره وغلبته وحكمته ورحمته، يجمع الخلائق يوم القيامة فيجازي كل عامل بعمله من خير وشر، ولا يخفى عليه منهم خافية في سائر الأعمال.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ
يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ
فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ
وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ
تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا
هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟
يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ
عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ
أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ
﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ
نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ
وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

ربع الحزب ٤٠

امتن الله على عباده بما سخر لهم من الليل والنهار، اللذين لا قوام لهم بدونهما، وبَيَّن أنه لو جعل الليل دائمًا عليهم سرمدًا إلى يوم القيامة لأضر ذلك بهم، ولسئمته النفوس، فهل يوجد إله غير الله يأتي العباد بضياء يبصرون به ويستأنسون بسببه، ولو جعل الله النهار عليهم مستمرًا دائمًا إلى يوم القيامة، لأضر ذلك بهم، ولتعبت الأبدان وكلت من كثرة الحركات والأشغال، فهل يوجد إله غير الله يأتي العباد بليل يستريحون فيه من حركاتهم وأشغالهم؟ فمن رحمته بعباده أن خلق لهم الليل ليسكنوا فيه وخلق والنهار ليبتغوا من فضله بالأسفار والترحال، والحركات والأشغال، فهل يشكر العباد ربهم بأنواع العبادات في الليل والنهار؟ ومن فاته شيء بالليل استدركه بالنهار، أو بالنهار استدركه بالليل، وفي يوم القيامة يُنادى المشركون على سبيل التقريع والتوبيخ على رؤوس الأشهاد أين آلهتكم التي تزعمون في الدار الدنيا أنها تنفعكم؟ ويخرج من كل أمة رسولها الذي أرسل إليها، ليأتوا بدليل على صحة شركهم فعلموا ألا إله غير الله فلم ينطقوا ولم يستطيعوا جوابًا، ولم تنفعهم آلهتهم.

وكان قارون ابن عم موسى عليه السلام، وكان يسمى المنور لحسن صوته بالتوراة، ولكنه نافق كما نافق السامري، فأهلكه البغي لكثرة ماله، فقد ترفع على قومه وتكبر وتجبر، وفتنه الله بالمال، وأتي من الأموال التي مفاتيح خزائنها يثقل حملها على الفئام من الناس لكثرتها، ووعظه الصالحون من قومه، فيما هو فيه فقالوا على سبيل النصح والإرشاد لا تبطر بما أنت فيه من الأموال، إن الله لا يحب الأشرين البطرين، الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم، واستعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات التي يحصل لك بها الثواب في الدار الآخرة، وتنعم بما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح، فإن لربك عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، فآت كل ذي حق حقه.

و حسن إلى خلق الله كما أحسن الله إليك، ولا تكن همتك بما أنت فيه أن تفسد به الأرض، وتسيء إلى خلق الله إن الله لا يحب المفسدين الذين يسعون في الأرض فسادًا.

وفتنة المال من أشد الفتن، على بني آدم، فالدنيا حلوة خضرة، فمن أخذها بحقها بارك الله له فيها، ورب متخوض فيما اشتهت نفسه ليس له يوم القيامة إلا النار

فمن أخذ هذا المال بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى.

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٤﴾

كان جواب قارون لقومه، حين نصحوه وأرشدوه إلى الخير، إن الله تعالى إنما أعطاني هذا المال لعلمه بأني أستحقه، ولمحبته لي، ولولا رضا الله عني، ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا المال، فجاء الرد عليه أن الله أهلك في الأمم الخالية مَن هو أكثر منه جمعًا للمال، ولو كان المال أو القوّة يدلان على فضيلة لما أهلكهم الله، ولا يسأل المجرمون سؤال استعلام وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ، فيدخلون النار بغير حساب ولا سؤال.

وخرج قارون ذات يوم على قومه في زينة عظيمة، وتجمل باهر، من مراكب وملابس عليه وعلى خدمه وحشمه، فلما رآه من يريد الحياة الدنيا ويميل إلى زخرفها وزينتها، تمنوا أن لو كان لهم مثل الذي أعطي، وقالوا إنه لذو حظ وافر من الدنيا، فلما سمع مقالتهم أهل العلم النافع قالوا لهم ويلكم جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين في الدار الآخرة خير مما ترون، وما يلقى الجنة إلا الصابرون عن محبة الدنيا، الراغبون في الدار الآخرة.

فلما اختال قارون في زينته، وافتخر على قومه وبغى عليهم، خسف الله به وبداره الأرض، وتلك عاقبة الكبر والطغيان، ما أغنى مال قارون عنه، ولا جمعه، ولا خدمه ولا حشمه، ولا دفعوا عنه نقمة الله وعذابه ونكاله به، ولا كان هو في نفسه منتصرًا لنفسه، فلا ناصر له لا من نفسه، ولا من غيره.

وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس لما رأوه في زينته لما خسف به أصبحوا يقولون ليس المال يدل على رضا الله عن صاحبه وعن عباده؛ فإن الله يعطي ويمنع، ويضيق ويوسع، ويخفض ويرفع، وله الحكمة التامة والحجة البالغة، فالله يعطي المال من يحب، ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب.

ولولا لطف الله بهؤلاء وإحسانه إليهم لخسف بهم كما خسف بقارون، والكافر لا يفلح عند الله، لا في الدنيا ولا في الآخرة، والدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول، جعلها الله لعباده المؤمنين المتواضعين، الذين لا يريدون ترفعًا على خلق الله وتعاظمًا عليهم وتجبرًا عليهم، ولا عملًا بالمعاصي، ومن جاء بالحسنة يوم القيامة، فثواب الله خير من حسنته، فكيف والله يضاعفه أضعافًا كثيرة، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها، لا تضاعف عليه وهذا مقام الفصل والعدل، فمن هَمَّ بحسنة فلم يعلمها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرًا ومن هَمَّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئًا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة، والله ﷻ يقول: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فإن عملها فاكتبوها بمثلها وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة وإن أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها اكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة.

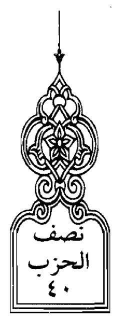
إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ العَنكبُوتِ

ترتيبها ٢٩ — آياتها ٦٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾



أمر الله رسوله صلوات الله وسلامه عليه بإبلاغ الرسالة وتلاوة القرآن على الناس، وفي يوم القيامة سيسأله عما استرعاه من أعباء النبوة؛ والله أعلم بالمهتدي مِنَ المعرض المكذب، وسيعلم الكفار لمن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة، وقد أنعم الله على نبيه نعمته العظيمة، وعلى العباد إذ أرسله إليهم، وما كان يظن قبل إنزال الوحي إليه أن الوحي ينزل عليه، ولكن نزول الوحي على محمد ﷺ من رحمة الله به وبالعباد، وأمر الله نبيه ألا يكون معينًا للكافرين، ولا يتأثر بمخالفتهم له وصدهم الناس عن طريقه؛ فإن الله مؤيد دينه، ومظهر ما أرسله به على سائر الأديان، وعليه بالدعوة إلى التوحيد، وعبادة الله وحده لا شريك له، الذي لا تليق العبادة إلا له ولا تنبغي الإلهية إلا لعظمته.

فإنه الباقي الحي القيوم، الذي تموت الخلائق ولا يموت، له الملك والتصرف، ولا معقب لحكمه، وإليه يرجع العباد يوم معادهم، فيجزيهم بأعمالهم، إن كان خيرًا فخيرًا، وإن شرًّا فشرًّا.

سورة العنكبوت

وهي سورة مكية، وسميت بذلك لذكر بيت العنكبوت فيها

افتتحت هذه السورة بالحروف المقطعة لبيان إعجاز القرآن، ولا يلزم أن يقع ذكر القرآن أو الكتاب بعد تلك الحروف وإن كان ذلك هو الغالب في سور القرآن ما عدا ثلاث سور مريم وهذه السورة والروم، مع أن هذه السورة فيها إشارة إلى التحدّي بإعجاز القرآن.

ومن سنة الله ﷻ في عباده المؤمنين أن يبتليهم بحسب ما عندهم من الإيمان، فأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في البلاء، والابتلاء ليعلم الله الذين صدقوا في دعواهم الإيمان ممن هو كاذب في قوله ودعواه، ولقد فتن الله الأنبياء والمؤمنين، فمنهم من نشر بالمنشار ومنهم من قتل، فلا يظن المشركون أنهم يعجزون الله ويفوتونه، فلا يقدر على الانتقام منهم، فبئس ما يظنون، فمن كان يرجو لقاء الله في الدار الآخرة وعمل الصالحات رجاء ما عند الله من الثواب الجزيل فإن الله سيحقق له رجاءه ويوفيه عمله كاملًا موفورًا، فإن ذلك كائن لا محالة؛ لأنه سميع الدعاء، بصير بكل الكائنات، فمن عمل صالحًا فإنما يعود نفع عمله على نفسه، فإن الله غني عن أفعال العباد، ولو كانوا كلهم على أتقى قلب رجل واحد منهم ما زاد ذلك في ملكه شيئًا.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾

الله غني عن الخلائق جميعهم فمن إحسانه وبره بهم يجازي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أحسن الجزاء، ويكفر عنهم أسوأ الذي عملوا، ويجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون، فيقبل القليل من الحسنات، ويثيب عليها الواحدة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، ويجزي على السيئة بمثلها أو يعفو ويصفح، وأمر الله عباده بالإحسان إلى الوالدين بعد الحث على التمسك بتوحيده، فإن الوالدين هما سبب وجود الإنسان ولهما عليه غاية الإحسان، فالوالد بالإنفاق والوالدة بالإشفاق؛ ومع هذه الوصية بالرأفة والرحمة والإحسان إليهما، في مقابلة إحسانهما المتقدم، وإن حرصا على أن يتبعهما على دينهما إذا كانا مشركين فلا يطعهما في ذلك، فإن مرجعهم إلى الله يوم القيامة، فيجزي المحسن بإحسانه إليهما، وبصبره على دينه، ويحشره مع الصالحين لا في زمرة والديه، وإن كنت أقرب الناس إليهما في الدنيا، فإن المرء إنما يحشر يوم القيامة مع من أحب حبًّا دينيًّا، ومن صفات المكذبين الذين يدعون الإيمان بألسنتهم، ولم يثبت الإيمان في قلوبهم، أنهم إذا جاءتهم فتنة ومحنة في الدنيا اعتقدوا أن هذا من نقمة الله تعالى بهم، فارتدوا عن الإسلام؛ ولئن جاء نصر قريب من الله وفتح ومغانم ليقولن هؤلاء إنا كنا إخوانكم في الدين، والله بأعلم بما في قلوبهم، وما تكنه ضمائرهم، وإن أظهروا للمسلمين الموافقة، وليختبرن الله الناس بالضراء والسراء، ليتميز هؤلاء من هؤلاء، ومن يطيع الله في الضراء والسراء إنما يطيعه في حظ نفسه، ومن ضلال الكفار أنهم قالوا لمن آمن من قومهم واتبع الهدى: ارجعوا عن دينكم إلى ديننا، واتبعوا سبيلنا، ولنحمل آثامكم، وهم في الحقيقة لن يحملوا خطاياهم وهم كاذبون فيما يقولون، ولكن من أضل أحدًا فإنه يحمل وزره يوم القيامة، فالدعاة إلى الكفر والضلالة، يوم القيامة يحملون أوزار أنفسهم، وأوزار من أضلوهم، من غير أن يُنقص من أوزار أولئك شيئًا، فمن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن يُنقص من آثامهم شيء، ويوم القيامة يسألون عما كانوا يكذبون ويختلقون من البهتان.

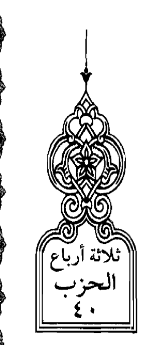
وقد أرسل الله نوحًا ﷺ إلى قومه فمكث في قومه هذه المدة يدعوهم إلى الله ليلًا ونهارًا، وسرًّا، وجهارًا، ومع هذا ما زادهم ذلك إلا فرارًا عن الحق، وإعراضًا عنه وتكذيبًا له، وما آمن معه منهم إلا قليل؛ فبعد هذه المدة الطويلة ما نجح فيهم البلاغ والإنذار، فأغرقهم الله جميعًا، وفي هذا تسلية من الله تعالى لعبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه، فلا يأسف على من كفر به من قومه، ولا يحزن عليهم؛ فإن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وبيده الأمر وإليه ترجع الأمور، وقد بعث الله نوحًا وهو لأربعين سنة، ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، وعاش بعد الطوفان ستين عامًا حتى كثر الناس.

فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

لما أعرض قوم نوح ﷺ أمر الله نوحًا بصنع السفينة، فصنع السفينة وأمره الله تعالى بالركوب فيها هو ومن معه من المؤمنين، وأغرق الله قوم نوح وأنجى أصحاب السفينة، وهم الذين آمنوا بنوح ﷺ. وجعل الله نوع السفينة للناس تذكرة لنعمه على الخلق، كيف نجاهم من الطوفان، وآية تحمل الناس في البحر، وإن شاء الله أغرقهم فلا أحد ينقذهم، وإبراهيم عبد الله ورسوله وخليله إمام الحنفاء، دعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والإخلاص له في التقوى، وطلب الرزق منه وحده لا شريك له، وتوحيده في الشكر، فإنه المشكور على النعم، لا معطي غيره، ودعاهم للإخلاص لله في العبادة والخوف، فإذا فعلوا حصل لهم الخير في الدنيا والآخرة، واندفع عنهم الشر في الدنيا والآخرة، وأخبرهم أن الأصنام التي يعبدونها والأوثان، لا تضر ولا تنفع، وإنما ينحتونها أصنامًا، ويسمونها آلهة، وإنما هي مخلوقة مثلهم، وهي لا تملك لهم رزقًا، فليطلبوا الرزق عند الله ويأكلوا من رزقه وليعبدوه وحده لا شريك له، وليشكروا له على ما أنعم به عليهم، فإليه يرجع الخلائق يوم القيامة، فيجازي كل عامل بعمله، فإن كذبوا فقد كذبت أمم من قبلهم، فبلغهم ما حل بهم من العذاب والنكال في مخالفة الرسل، وما على الرسول إلا التبليغ بما أمره الله تعالى من الرسالة، والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأرشدهم الخليل ﷺ إلى إثبات المعاد الذي ينكرونه بما يشاهدونه في أنفسهم من خلق الله إياهم، بعد أن لم يكونوا شيئًا مذكورًا، ثم وجدوا وصاروا أناسًا سامعين مبصرين، فالذي بدأ هذا قادر على إعادته؛ فإنه سهل عليه يسير لديه.

ثم أرشدهم إلى الاعتبار بما في الآفاق من الآيات المشاهدة من خلق الله الأشياء، من السموات وما فيها من الكواكب النيرة، والأرضين وما فيها من مهاد وجبال، وأودية وصحاري وقفار، وأشجار وأنهار، وثمار وبحار، كل ذلك دال على حدوثها في أنفسها، وعلى وجود خالقها، الذي يقول للشيء: كن فيكون، وهو القادر على البعث بعد الموت يوم القيامة، وهو الحاكم المتصرف، الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فله الخلق والأمر، مهما فعل عدل؛ لأنه المالك الذي لا يظلم مثقال ذرة، يعذب من يشاء بعدله، ويرحم من يشاء برحمته، وإليه يرجع الخلق يوم القيامة، ولا يعجزه أحد من أهل سماواته وأرضه، بل هو القاهر فوق عباده، وكل شيء خائف منه، فقير إليه، وهو الغني عما سواه، وما للعباد حول ولا قوة إلا به، وما لهم من دونه ناصر وحافظ، والذين جحدوا آيات الله وكفروا بالمعاد، لا نصيب لهم من رحمة الله، ولهم عذاب موجع في الدنيا والآخرة.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾



بعدما دعا إبراهيم قومه وبين لهم طريق الهداية، كفروا وعاندوا وكابروا، ودفعوا الحق بالباطل، وكان جوابهم بعد أن قام عليهم البرهان وتوجهت عليهم الحجة أنهم عدلوا إلى استعمال جاههم وقوة ملكهم، فقالوا اقتلوه أو حرقوه، فجمعوا حطبًا كثيرًا، وحفروا حفرة عظيمة، وألقوا فيها الحطب، ثم أضرموا فيها النار، فارتفع لها لهب إلى عنان السماء، ولم توقد نار قط أعظم منها، ثم عمدوا إلى إبراهيم فكتفوه وألقوه في كفة المنجنيق، ثم قذفوا به فيها، فجعلها الله عليه بردًا وسلامًا، وخرج منها سالمًا بعدما مكث فيها أيامًا، ولهذا وأمثاله جعله الله للناس إمامًا، فإنه بذل نفسه للرحمن، وجسده للنيران، وقدم ولده للقربان، وجعل ماله للضيفان، ولهذا اجتمع على محبته جميع أهل الأديان، وقال لقومه موبخًا على سوء صنيعهم، في عبادتهم الأوثان إنما اتخذتم هذه لتجتمعوا على عبادتها في الدنيا صداقة وألفة منكم، بعضكم لبعض في الحياة الدنيا، وفي يوم القيامة ينعكس هذا الحال، فتبقى هذه الصداقة والمودة بغضة وكرهًا، فيجحد بعضكم بعضًا، ويلعن الأتباع المتبوعين، والمتبوعون الأتباع، ومصيرهم ومرجعهم بعد عرصات القيامة إلى النار، وما لهم من ناصر ينصرهم، ولا منقذ ينقذهم من عذاب الله. وهذا حال الكافرين، فأما المؤمنون فبخلاف ذلك، ينادي منادٍ من تحت العرش: يا أهل التوحيد، فيرفعون رؤوسهم، ثم ينادي: يا أهل التوحيد، ثم ينادي الثالثة: يا أهل التوحيد، إن الله قد عفا عنكم قال فيقول الناس قد تعلق بعضهم ببعض في مظالم الدنيا ثم ينادي: يا أهل التوحيد، ليعف بعضكم عن بعض، وعلى الله الثواب.

ولم يؤمن بإبراهيم إلا لوط، ابن أخيه، وهو لوط بن هاران بن آزر، وسارة امرأة إبراهيم الخليل، وهاجر سريته، وهاجر إبراهيم إلى بلاد الشام، وهاجر معه لوط ثم أرسل في حياة الخليل إلى أهل سدوم وإقليمها، واختار إبراهيم الهجرة، ابتغاء إظهار الدين والتمكن من ذلك؛ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين به، وهو سبحانه الحكيم في أقواله وأفعاله وأحكامه القدرية والشرعية، ولما فارق إبراهيم قومه أقر الله عينه بوجود ولد صالح نبي وهو إسحاق، وولد له وهو يعقوب ولد في حياة جده، ومن فضل الله على خليله، مع اتخاذ الله إياه خليلًا وجعله للناس إمامًا، أن جعل في ذريته النبوة والكتاب، فلم يوجد نبي بعد إبراهيم ﷺ إلا وهو من سلالته، فجميع أنبياء بني إسرائيل من سلالة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، حتى كان آخرهم عيسى ابن مريم، فقام في ملئهم مبشرًا بالنبي العربي القرشي الهاشمي، خاتم الرسل على الإطلاق، وسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، الذي اصطفاه الله من صميم العرب، من سلالة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، ولم يوجد نبي من سلالة إسماعيل سواه، عليه أفضل الصلاة والسلام من الله تعالى، وجمع الله له بين سعادة الدنيا الموصولة بسعادة الآخرة، فكان له في الدنيا الرزق الواسع الهني والمنزل الرحب، والمورد العذب، والزوجة الحسنة الصالحة، والثناء الجميل، والذكر الحسن، فكل أحد يحبه ويتولاه، مع القيام بطاعة الله من جميع الوجوه، وفي الآخرة في زمرة الصالحين الكاملين في الصلاح المستحقين لتوفير الأجر، وكثرة العطاء من الربّ سبحانه، وأما نبي الله لوط ﷺ ، فقد أنكر على قومه سوء صنيعهم، وما كانوا يفعلونه من قبيح الأعمال، في إتيانهم الذكران من العالمين، ولم يسبقهم إلى هذه الفعلة أحد من بني آدم قبلهم، وكانوا مع هذا يكفرون بالله، ويكذبون رسوله ويخالفونه ويقفون في طريق الناس يقتلونهم ويأخذون أموالهم، ويفعلون ما لا يليق من الأقوال والأفعال في مجالسهم التي يجتمعون فيها، لا ينكر بعضهم على بعض شيئًا من ذلك، فأجابوه باستعجال العذاب إن كان صادقًا في دعوته فاستنصر الله عليهم.

وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴿٣٨﴾

لما استنصر لوط ﷺ الله على قومه، بعث الله لنصرته ملائكة فمروا على إبراهيم ﷺ في هيئة أضياف، فجاءهم بما ينبغي للضيف، فلما رأى أنهم لا رغبة لهم بالطعام نكرهم، وأوجس منهم خيفة، فشرعوا يؤانسونه ويبشرونه بوجود ولد صالح من امرأته سارة وكانت حاضرة فتعجبت من ذلك، وأخبروه بعد البشرى بأنهم أرسلوا لهلاك قوم لوط، فأخذ يدافع لعلهم يؤخرون، لعل الله أن يهديهم، فقالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية بأمر الله، قال إن فيها لوطًا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته فهي من الهالكين؛ لأنها كانت تمالئهم على كفرهم وبغيهم، ثم ساروا من عنده فدخلوا على لوط في صورة شباب حسان، فلما رآهم كذلك، اهتم بأمرهم، وخاف عليهم من قومه، ولم يعلم بأمرهم في الساعة الراهنة، فقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك من هذه القرية، ومن العذاب الذي سيصيبهم إلا زوجتك فهي من المعذبين سينزل الله عليهم عذابًا من السماء بسبب فسقهم وكفرهم، فاقتلع جبريل ﷺ قراهم من قرار الأرض، ثم رفعها إلى عنان السماء، ثم قلبها عليهم، وأرسل الله عليهم حجارة من سجيل منضود، مسومة من عند الله، وجعل الله مكانها بحيرة خبيثة منتنة، وجعلهم عبرة إلى يوم القيامة، وهم من أشد الناس عذابًا يوم المعاد.

ويخبر الله تعالى عن عبده ورسوله شعيب ﷺ أنه أنذر قومه أهل مدين، فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، وأن يخافوا بأس الله ونقمته وسطوته يوم القيامة، ثم نهاهم عن السعي في الأرض بالفساد، والبغي على أهلها، وذلك أنهم كانوا ينقصون المكيال والميزان، ويقطعون الطريق على الناس، هذا مع كفرهم بالله ورسوله، فأهلكهم الله برجفة عظيمة زلزلت عليهم بلادهم، وصيحة أخرجت القلوب من حناجرها، وعذاب يوم الظلة الذي أزهق الأرواح من مستقرها، إنه كان عذاب يوم عظيم.

فأصبحوا في دارهم ميتين، قد ألقي بعضهم على بعض، وغيرهم من الأمم المكذبة للرسل كيف أبادهم الله وتنوع في عذابهم، فأخذهم بالانتقام منهم، فعاد قوم هود، وكانوا يسكنون الأحقاف وهي قريبة من حضرموت بلاد اليمن، وثمود قوم صالح، وكانوا يسكنون الحجر قريبًا من وادي القرى، وكانت العرب تعرف مساكنها، وتمر عليها كثيرًا، وقد حسن لهم الشيطان أعمالهم، فكانوا معجبين في دينهم وضلالتهم، يحسبون أنهم على هدى، وهم على الباطل وكانوا عقلاء ذوي بصائر، لكن الشيطان أضلهم وأعمى الله بصائرهم، وأعظم عقوبة على العبد أن يزين له سوء عمله فيراه حسنًا، فلا يوفق لتوبة، ولا رجعة إلى الله تعالى.

وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ
بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ
﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا
وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ
ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ
وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ
ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ
ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ
لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن
دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلۡكَ
ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ
﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ
وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ
وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾

من المكذبين قارون صاحب الأموال الجزيلة ومفاتيح الكنوز الثقيلة، وفرعون ملك مصر في زمان موسى ووزيره هامان القبطيان الكافران بالله ورسوله فاستكبروا على الحق، وظنوا أنهما لن يعذبا، فكانت لكل قوم عقوبة تناسبه، فعاد قالوا من أشد منا قوة، فجاءتهم ريح صرصر باردة شديدة البرد، عاتية شديدة الهبوب جدًا، تحمل عليهم حصباء الأرض فتقلبها عليهم، وتقتلعهم من الأرض فترفع الرجل منهم إلى عنان السماء، ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخه فيبقى بدنًا بلا رأس، كأنهم أعجاز نخل منقعر، وثمود قامت عليهم الحجة وظهرت لهم الدلالة، من تلك الناقة التي انفلقت عنها الصخرة، مثل ما سألوا سواء بسواء، ومع هذا ما آمنوا بل استمروا على طغيانهم وكفرهم، وتهددوا نبي الله صالحًا ومن آمن معه، وتوعدوهم بأن يخرجوهم ويرجموهم، فجاءتهم صيحة أخمدت الأصوات منهم والحركات، وقارون الذي طغى وبغى وعتا وعصى الرب الأعلى، ومشى في الأرض مرحًا، وفرح ومرح وتاه بنفسه، واعتقد أنه أفضل من غيره، واختال في مشيته، فخسف الله به وبداره الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة، وفرعون ووزيره هامان وجنوده عن آخرهم أغرقوا في صبيحة واحدة، فلم ينج منهم مخبر، وما كان الله ليظلمهم فيما فعل بهم، ولكنهم ظلموا أنفسهم بفعلهم، وضرب الله تعالى مثلًا للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله، يرجون نصرهم ورزقهم، ويتمسكون بهم في الشدائد، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه، فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم إلا كمن يتمسك ببيت العنكبوت، فإنه لا يجدي عنه شيئًا، فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء، وهذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه لله، الذي يحسن العمل في اتباع الشرع، فهو مستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، لقوتها وثباتها، والله تعالى يعلم ما عليه المشركون من الأعمال، ويعلم ما يشركون به من الأنداد، وسيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم، وهذه الأمثال التي يضربها الله للناس، ما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتضلعون منه، والله خلق السموات والأرض بالحق، لا على وجه العبث واللعب، ليجزي الكفار بما عملوا ويجزي الذين آمنوا بالجنة، وخلق السموات والأرض دلالة واضحة على أنه تعالى المتفرد بالخلق والتدبير والإلهية، وأمر رسوله والمؤمنين بتلاوة القرآن، وهي قراءته وإبلاغه للناس، وإقامة الصلاة لأن الصلاة تشتمل على شيئين على ترك الفواحش والمنكرات لمن واظب عليها، وفيها ذكر الله تعالى، وفي الصلاة ثلاث خصال، فكل صلاة لا يكون فيها شيء من هذه الخلال فليست بصلاة: الإخلاص، والخشية، وذكر الله، فالإخلاص يأمره بالمعروف، والخشية تنهاه عن المنكر، وذكر القرآن يأمره وينهاه، ولذكر الله لعباده أكبر من ذكر العباد لله، فإن العبد إذا ذكر الله ذكره الله، وإذا ذكره في ملأ ذكره الله في ملأ خير منهم، وذكر الله أفضل الطاعات، وأجل العبادات، والله لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده.



۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾

شرع الحوار مع أهل الكتاب، لمن أراد منهم الاستبصار ومعرفة الحق -مع اعتقاد ضلالهم، ونسخ شريعتهم بالإسلام- واستخدام الأساليب المقنعة لدعوتهم إلى الدين الصحيح، وأما الذين عاندوا وكابروا وحاربوا الإسلام فينتقل معهم إلى الجهاد.

وإذا أخبر أهل الكتاب بما لا يعلم صدقه ولا كذبه فلا نكذبه؛ لأنه قد يكون حقًّا، ولا نصدقه؛ فلعله أن يكون باطلًا، لكن نؤمن به إيمانًا مجملًا معلقا على شرط وهو أن يكون منزلًا، لا مبدلًا ولا مؤولًا، وقد أنزل الله القرآن على عبده كما أنزل الكتب على الرسل من قبله، فمن أهل الكتاب من يؤمن بالقرآن، ومن العرب من قريش من يؤمن بالقرآن، وما يكذب بالقرآن ويجحده إلا من يستر الحق بالباطل، فقد لبث النبي ﷺ في قومه قبل أن ينزل القرآن عليه عُمرًا لا يقرأ كتابًا ولا يحسن الكتابة، وقومه وغيرهم يعرفون أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب وهي صفته في الكتب المتقدمة، وهكذا كان صلوات الله وسلامه عليه، لا يحسن الكتابة ولا يخط سطرًا، ولا حرفًا بيده، بل كان له كُتَّاب يكتبون بين يديه الوحي والرسائل إلى الأقاليم، ولو كان يحسن القراءة والكتابة لشك بعض الجهلة من الناس إنما تعلم هذا من كتب من قبله المأثورة عن الأنبياء، وقد قالوا ذلك مع علمهم بأنه أمي لا يحسن الكتابة، بل إن القرآن آيات بينة واضحة في الدلالة على الحق، أمرًا ونهيًا وخبرًا يحفظه العلماء، يسره الله عليهم حفظًا وتلاوة وتفسيرًا، وما يكذب بالقرآن ويبخس حقه ويرده إلا المعتدون المكابرون الذين يعلمون الحق ويحيدون عنه، ومن تعنت المشركين طلبهم الآيات والمعجزات التي تدل على صدق رسول الله ﷺ، وما علموا أن الآيات من عند الله، فلو علم الله أنهم يهتدون لأجابهم إلى سؤالهم؛ ولكنه يعلم منهم أن قصدهم التعنت والامتحان، وإنما بعث النبي ﷺ نذيرًا ومبلغًا، وما علموا أن أكبر معجزة هو هذا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، الذي هو أعظم من كل معجزة، إذ عجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته، بل عن معارضة عشر سور من مثله، بل عن معارضة سورة منه، الذي فيه خبر ما قبلهم، ونبأ ما بعدهم، وحكم ما بينهم، أنزله الله رحمة للمؤمنين، بما فيه من بيان الحق والحلال والحرام، وهو تذكير بما فيه من حلول العقوبات على المكذبين والعصاة، والله عليم برسوله ﷺ وبتبليغه رسالة ربه، ويعلم بتكذيب المشركين لا تخفى عليه خافية.

والكفار هم الخاسرون يوم المعاد سيجزيهم الله على ما فعلوا، من تكذيبهم بالحق واتباعهم الباطل، كذبوا برسل الله مع قيام الأدلة على صدقهم، وآمنوا بالطواغيت والأوثان بلا دليل، وسيجازيهم الله على ذلك، إنه حكيم عليم.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ
وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ
مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٥٥﴾ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ
﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٖ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفٗا تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ
صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحْمِلُ
رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن
سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ
عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٞ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم
مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

لولا ما كتب الله وقدره من تأخير العذاب إلى يوم القيامة لجاءهم العذاب قريبًا سريعًا كما استعجلوه، وسيأتيهم فجأة، وقد استعجلوه، وهو واقع بهم لا محالة، والنار جامعة لهم لا يبقى أحد منهم إلا دخلها، يغطيهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم، وتحيط بهم جهنم، لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل، فالنار تغطيهم من سائر جهاتهم وهذا أبلغ في العذاب الحسي، ويقال لهم: ذوقوا ما كنتم تعملون، وهذا عذاب معنوي على النفوس.

وأمر الله عباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذي لا يقدرون فيه على إقامة الدين، إلى أرض الله الواسعة، حيث يمكن إقامة الدين، بأن يوحدوا الله ويعبدوه كما أمرهم، فأينما كان الإنسان أدركه الموت، فليكن في طاعة الله وحيث أمره الله فهو خير له، فإن الموت لا بد منه، ولا محيد عنه، نسأل الله أن يميتنا على الإسلام ويحسن خاتمتنا، ثم إلى الله المرجع، فمن كان مطيعًا له جازاه أفضل الجزاء، ووافاه أتم الثواب، فالمؤمنون الذين عملوا الصالحات يسكنهم ربهم منازل عالية في الجنة تجري من تحتها الأنهار على اختلاف أصنافها، من ماء وخمر وعسل ولبن، ماكثين فيها أبدًا لا يبغون عنها حولًا، فالجنة نعم الأجر على أعمال المؤمنين، نسأل الله أن يجعلنا منهم ووالدينا وأهلينا وذرياتنا والمسلمين، فأهل الجنة هم الذين صبروا على دينهم، وهاجروا إلى الله ونابذوا الأعداء وفارقوا الأهل والأقرباء؛ ابتغاء وجه الله ورجاء ما عنده وتصديق موعوده، وعلى ربهم يتوكلون في أحوالهم كلها، في دينهم ودنياهم، والرزق المكتوب للإنسان لا يختص ببقعة، بل رزق الله تعالى عام لخلقه حيث كانوا وأين كانوا، بل كانت أرزاق المهاجرين حيث هاجروا أكثر وأوسع وأطيب، فإنهم بعد قليل صاروا حكام البلاد في سائر الأقطار والأمصار، وكل مخلوق لا يطيق جمع رزقه وتحصيله ولا يستطيع أن يؤخر شيئًا لغد، فالله يقيض له رزقه على ضعفه وييسره عليه، فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه، حتى الذر في قرار الأرض، والطير في الهواء والحيتان في الماء، والله السميع لأقوال عباده، العليم بحركاتهم وسكناتهم، وهو الله لا إله إلا هو، كل العباد معترفون ومقرون بأنه خالق السموات والأرض والشمس والقمر، وهو الذي سخر الليل والنهار، وهو الخالق الرازق لعباده، ومقدر آجالهم واختلافها واختلاف أرزاقهم، ففاوت بينهم، فمنهم الغني والفقير، وهو العليم بما يصلح كلًا منهم، ومن يستحق الغنى ممن يستحق الفقر، فهو المتفرد بخلق الأشياء، فإذا كان الأمر كذلك فلم تصرف العبادة لغيره؟ فكما أنه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته، وكثيرًا ما يقرر الله تعالى مقام الإلهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية، وقد كان المشركون يعترفون بذلك، وحتى الملاحدة وإن أنكروا وجود الخالق إلا أن فطرهم تخالف ذلك، وهم موقنون في نفوسهم على وجوده جل وعلا..

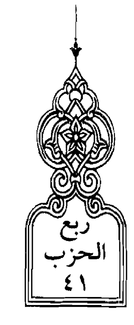
وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

سُورَةُ الرُّومِ

ترتيبها ٣٠ — آياتها ٦٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾



الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة، لا دوام لها، وغاية ما فيها لهو ولعب، وإن الحياة الدائمة الحق الذي لا زوال لها ولا انقضاء وهي مستمرة أبد الآباد هي الدار الآخرة، فلو كان العباد يعلمون لآثروا ما يبقى على ما يفنى، ومن تناقض المشركين أنهم عند الاضطرار يدعون الله وحده لا شريك له، فإذا نجاهم إلى البر يشركون بربهم.

فهلا كان الإخلاص دائمًا في جميع أحوالهم، فليجحدوا نعمة الله عليهم في إنجائهم من البحر، وليتمتعوا في الحياة الدنيا فإن لهم في الآخرة العذاب الأليم، وقد أنعم الله على قريش فيما أحلهم من حرمه الذي جعله للناس موطن عبادته، ومن دخله كان آمنًا، فهم في أمن عظيم، والأعراب حولهم ينهب بعضهم بعضًا ويقتل بعضهم بعضًا، أفيكون شكرهم على هذه النعمة العظيمة أن أشركوا بالله وعبدوا معه غيره من الأصنام والأنداد، وكفروا بنبي الله وعبده ورسوله؟ فكان اللائق بهم إخلاص العبادة لله، وألا يشركوا به، وتصديق الرسول وتعظيمه وتوقيره، فكذبوه وقاتلوه وأخرجوه من بين ظهرهم؛ ولهذا سلبهم الله ما كان أنعم به عليهم، وقتل من قتل منهم ببدر، وصارت الدولة لله ولرسوله وللمؤمنين، ففتح الله على رسوله مكة، وأرغم أنوفهم وأذل رقابهم، وليس أحد أشد جريمة ومنكرًا ممن كذب على الله، ومن كذب بالحق لما جاءه فمصيرهم إلى جهنم مصير الكافرين ومستقرهم، وأما الذين بذلوا جهدهم في مجاهدة أنفسهم، وحثها على الطاعة وأطرها على الحق فلهم البصيرة إلى الصراط المستقيم والمنهج القويم يوفقهم الله ويسددهم، والله مع المحسنين بالنصر والمعونة في دنياهم، وبالثواب والمغفرة في عقباهم.

سورة الروم

وهي سورة مكية سميت بذلك لذكر انتصار الروم فيها على الفرس

نزلت هذه الآيات حين غلب ملك الفرس على بلاد الشام وما والاها من بلاد الجزيرة وأقاصي بلاد الروم، واضطر هرقل ملك الروم حتى ألجأه إلى القسطنطينية، وحاصره فيها مدة طويلة، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم؛ لأنهم أصحاب أوثان، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس؛ لأنهم أهل كتاب، فذكر ذلك لأبي بكر، فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ أما إنهم سيغلبون، فذكره أبو بكر لهم، فقالوا اجعل بيننا وبينك أجلًا فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا، فجعل أجلًا خمس سنين، فلم يظهروا، فذكر ذلك أبو بكر للنبي ﷺ فقال ألا جعلتها إلى دون العشر، فقد ذكر الله تبارك وتعالى هزيمة فارس للروم في أقرب أرض الشام إلى أرض فارس وهي أذرعات وكسكر، والروم من بعد غلبة فارس لهم سينتصرون على فارس، في مدة ما بين الثلاث سنوات إلى تسع سنوات، والأمر لله من قبل انتصار الروم على فارس ومن بعده، فأي الفريقين كان لهم الغلبة فهو بأمر الله وقضائه وقدره، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله للروم على فارس، ينصر الله مَن يشاء، ويؤيد من يشاء، نسأل الله أن يقر عيون المسلمين بنصرة الإسلام في كل مكان.

وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾

وعد الله لا يخلف، وسنة الله لا تتغير ولا تتبدل، ووعد المؤمنين بالنصر والتمكين لا يتبدل، ووعد الله للكافرين بالخذلان والخسران المبين لايتأخر، ولكن أكثر الناس لا يعلمون بحكم الله في كونه وأفعاله المحكمة الجارية على وفق العدل، وإنما أكثر علمهم بالدنيا ومكاسبها وشؤونها وما فيها، فهم حذاق أذكياء في تحصيلها، وهم غافلون عما ينفعهم في الدار الآخرة، يعلمون ما يعمر دنياهم وهم عن الإعداد للآخرة غافلون، عمروا الدنيا بالحضارات الزائفة والصناعات المتقدمة ولكنهم لم يعدوا للآخرة زادًا ولا عملًا، ولم يتفكروا في مخلوقات الله الدالة على وجوده وانفراده بخلقها، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه، فإن النظر والتدبر والتأمل لخلق الله من العالم العلوي والسفلي وما بينهما من المخلوقات المتنوعة والأجناس المختلفة يقود للإيمان، فيعلموا أنها ما خلقت سدى ولا باطلًا بل بالحق، وأنها مؤجلة إلى يوم القيامة؛ فيؤمنوا بالله ويوحدوه وحده لا شريك له، فلو كان لهم عقول لأدركوا نهاية من كفر بالرسل، ونجاة من صدقهم، ولقد كانت الأمم الماضية والقرون السالفة أشد من أهل مكة وأكثر أموالًا وأولادًا، وما أوتوا معشار ما أوتوا، ومكنوا في الدنيا تمكينًا لم يبلغوا إليه، وعمروا فيها أعمارا طوالا فعمروا الأرض أكثر منهم، واستغلوها أكثر من استغلالهم، ومع هذا لما جاءتهم رسلهم بالبينات وفرحوا بما أوتوا، أخذهم الله بذنوبهم، وما كان لهم من الله من واق، ولا حالت أموالهم ولا أولادهم بينهم وبين بأس الله، ولا دفعوا عنهم مثقال ذرة، وما كان الله ليظلمهم فيما أحل بهم من العذاب والنكال، وإنما أوتوا من أنفسهم حيث كذبوا بآيات الله، واستهزؤوا بها، فكانت عاقبتهم النار، حملتهم سيئاتهم على التكذيب والاستهزاء.

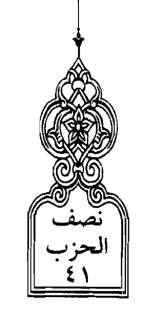
فالله سبحانه خلق عباده ابتداء وهو قادر على إعادتهم، وإليه يرجعون يوم القيامة فيجازي كل عامل بعمله، ويوم تقوم الساعة ييأس المجرمون حين يرون العذاب وحين يرون أن آلهتهم لم تشفع لهم وهم أحوج ما كانوا إليها، فيتبرأ المتبوعون من الأتباع ويتبرأ الأتباع من المتبوعين، ييأس الكفار لأنهم لم يقدموا إلا الإجرام من الكفر والشرك والمعاصي.

ويوم تقوم الساعة يتفرق الناس فُرقة لا اجتماع بعدها، فيتميز أهل الجنة من أهل النار، فيرفع أهل الإيمان إلى عليين، ويخفض أهل الكفر إلى أسفل السافلين، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضات الجنات ينعمون ويكرمون، وهم في سرور بنعيم الجنة، لا يمسهم فيها تعب ولا مشقة، ولا يبغون عنها تحويلًا، نسأل الله الجنة لنا ولوالدينا ولأهلينا ولذرياتنا وللمسلمين.

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾

الكفار الذين كذبوا الرسل، وكفروا بآيات الله وبالبعث بعد الموت، مصيرهم إلى النار والعذاب يوم القيامة لا يجدون عنه مصرفًا ولا تحويلًا، وأرشد المؤمنون إلى التسبيح والتحميد والتهليل في جميع الأوقات؛ لأن الذكر غذاء الروح وعدة للمؤمن، ويتأكد ذكر الله عند المساء، وهو إقبال الليل بظلامه، وعند الصباح، وهو إسفار النهار عن ضيائه، وهو سبحانه المحمود على ما خلق في السموات والأرض، من نعمه العظيمة والآلآئه الجسيمة، وذكر الله في العشاء وهو شدة الظلام، والإظهار وهو قوة الضياء، فسبحان خالق هذا، وفالق الإصباح وجاعل الليل سكنًا، ومن كمال قدرة الله خلقه الأشياء وأضدادها، فمن ذلك إخراج النبات من الحب، والحب من النبات، والبيض من الدجاج، والدجاج من البيض، والإنسان من النطفة، والنطفة من الإنسان، والمؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، ومن كمال قدرته إحياء الأرض بعد موتها من الماء الذي ينزل إليها من الأمطار، فكذلك قدرة الله على إحياء الناس بعد موتهم، ومن آيات الله الدالة على عظمته وكمال قدرته أنه خلق آدم من تراب، ثم جعل ذريته من ماء مهين، ثم تكون علقة، ثم مضغة، ثم عظامًا، شكله على شكل الإنسان، ثم يكسو الله تلك العظام لحمًا، ثم ينفخ فيه الروح، فإذا هو سميع بصير، ثم يخرج من بطن أمه صغيرًا ضعيف القوى والحركة، ثم كلما طال عمره تكاملت قواه وحركاته حتى آل به الحال إلى أن صار يبني المدائن والحصون، ويسافر في أقطار الأقاليم، ويركب متن البحور، ويدور أقطار الأرض ويتكسب ويجمع الأموال، وله فكرة وغور، ودهاء ومكر، ورأي وعلم، واتساع في أمور الدنيا والآخرة كل بحسبه، فسبحان من أقدرهم وسيرهم وسخرهم وصرفهم في فنون المعايش والمكاسب، وفاوت بينهم في العلوم والفكرة، والحسن والقبح، والغنى والفقر، والسعادة والشقاوة؛ ومن آيات الله أن خلق للرجال إناثًا من جنسهم وجعلهم أزواجًا، فالمرأة كأنها خلقت من الرجل ليسكن إليها، فهي كالمسكن يأوي إليها، وجعل بينه وبينها محبة، ورحمة وهي الرأفة، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبته لها، أو لرحمته بها، بأن يكون لها منه ولد، أو محتاجة إليه في الإنفاق، أو للألفة بينهما، فمن يتفكر في هذه الآية أن يخلق الله للرجل إمرأة لا صلة له بها قبل الزواج، وقد تكون بعيدة النسب والبلد فتكون من أقرب الناس إليه لتعمر الأسر ويتعاقب النسل، ومن آيات قدرته العظيمة سبحانه خلق السموات في ارتفاعها واتساعها، ونجومها الثوابت والسيارات، والأرض في انخفاضها وكثافتها وما فيها من جبال وأودية، وبحار وقفار، وحيوان وأشجار، واختلاف اللغات بين الناس، واختلاف ألوانهم، فالأحمر والأبيض والأسود، ويختلفون في أشباههم وصورهم، ومن الآيات ما جعل للعباد من صفة النوم في الليل والنهار، فيه تحصل الراحة وسكون الحركة، وذهاب الكلال والتعب، وجعل لهم الانتشار والسعي في الأسباب والأسفار في النهار، وهذا ضد النوم، ومن آيات الله الدالة على عظمته أن العباد يرون البرق فيخافون مما يحدث بعده من أمطار مزعجة، أو صواعق متلفة، وتارة يرجون وميضه وما يأتي بعده من المطر المحتاج إليه؛ فينزل الله المطر فتنبت الأرض بعد موتها بعدما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شيء، فلما جاءها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، وفي ذلك عبرة ودلالة واضحة على المعاد وقيام الساعة.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ
دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ
ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ
أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى
مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ
أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾
بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ
أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ
ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟
دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾



خلق الله السموات والأرض، وهي قائمة ثابتة بأمره لها وتسخيره إياها، ثم إذا كان يوم القيامة بدلت الأرض غير الأرض والسموات، وخرج الأموات من قبورهم أحياء بأمره تعالى ودعائه إياهم، وكل من في السموات والأرض ملكه وعبيده، كل له خاضعون خاشعون طوعًا وكرهًا، وهو الذي خلقهم ابتداء، وسيعيدهم والإعادة هينة عليه كالبداءة، هو الله لا إله إلا هو، ولا رب غيره، ليس كمثله شيء وهو العزيز الذي لا يغالب ولا يمانع، بل قد غلب كل شيء، وقهر كل شيء بقدرته وسلطانه، وهو الحكيم في أفعاله وأقواله شرعًا وقدرًا، وقد ضرب الله للمشركين به العابدين معه غيره الجاعلين له شركاء وهم مع ذلك معترفون أن شركاءه من الأصنام والأنداد عبيد له وملك له هذا المثل يشهدونه ويفهمونه من أنفسهم، فإن أحدهم لا يرتضي أن يكون عبده شريكًا له في ماله، فهو وإياه فيه على السواء يخاف أن يقاسمه الأموال، وليس له ذاك، كذلك الله لا شريك له، فإن كان العبد يأنف من ذلك، فكيف يجعلون لله الأنداد من خلقه، وإنما عبد المشركون غير الله سفهًا من أنفسهم وجهلًا وهوى، وقد كتب الله عليهم الضلالة، فلا أحد يهديهم إذا كتب الله إضلالهم، وليس لهم من قدرة الله منقذ ولا مجير، ولا محيد لهم عنه؛ لأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

والمسلم مأمور بالاستقامة على التوحيد، وهو الحنيفية ملة إبراهيم، الذي هدى الله له المؤمنين، وهو الفطرة السليمة، التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فلا يبدل المسلم خلق الله بتغييره فطرة الله التي فطره عليها، فإن الله تعالى ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلة المستقيمة، لا يولد أحد إلا على ذلك، ولا تفاوت بين الناس في ذلك، فكل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه.

والتمسك بالشريعة والفطرة السليمة هو الدين القويم المستقيم، وهذا لا يعرفه أكثر الناس، فهم عنه منحرفون، فيلزم المسلم طريق الإنابة والتوبة والخوف والمراقبة وإقامة الصلاة المفروضة، والبعد عن الشرك ووسائله وأهله ملازمًا التوحيد والإخلاص ولا يكن من المشركين الذين بدلوا دينهم وغيروه وآمنوا ببعض وكفروا ببعض، وصاروا فرقًا وأحزابًا كل يَدَّعي أنه على الحق، وهذه الأمة اختلفت فيما بينها على نحل كلها على ضلالة إلا واحدة، وهم أهل السنة والجماعة، المتمسكون بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين، وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه، وهم الفرقة الناجية الذين يكونون كما كان النبي ﷺ وأصحابه.

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

الناس في حال الاضطرار يدعون الله وحده لا شريك له، وإذا أسبغ عليهم النعم إذا فريق منهم يشركون بالله، ويعبدون معه غيره، ويكفرون بنعمة الله فسوف يعلمون يوم القيامة حين يجدون العذاب الأليم، فهل عندهم حجة وبرهان ينطق بشركهم ويأمرهم به، ومن طبيعة الإنسان أنه إذا أصابته نعمة بطر وتجبر، يفرح في نفسه ويفخر على غيره، وإذا أصابته شدة قنط وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير بالكلية إلا الذين صبروا في الضراء وعملوا الصالحات في الرخاء، فالمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرًا له، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، والله هو المتصرف بخلقه بحكمته وعدله، فيوسع على قوم ويضيق على آخرين، وفي ذلك آيات لأهل الإيمان الذين يعتبرون في بسط اللهّ لمن شاء وتضييقه على من يشاء، ويدركون حكمة اللهّ ورحمته وجوده، فالله تعالى يحمي عبده المؤمن من الدنيا لكي لا يفتن فيها، فإن الفتنة بالمال من أشد الفتن، ولذلك أمر الله عباده بالإنفاق، وأحسن وجوه الإنفاق إعطاء القرابة من الأولاد والزوجة وهو بر وصلة وصدقه، فأعظم الدراهم درهم ينفقه الإنسان على أهله، ومن وجوه الإنفاق الصدقة على المسكين وهو الذي لا شيء له ينفق عليه، أو له شيء لا يقوم بكفايته، ومن الإنفاق إعطاء ابن السبيل وهو المسافر المحتاج إلى نفقة وما يحتاج إليه في سفره، والسعي على الأرملة واليتيم فذلك خير للذين يريدون وجه الله والدار الآخرة، ولا يريدون من الناس جزاءً ولا شكورًا، وهم الفائزون في الدنيا وفي الآخرة، أما من يريد بعطائه ثناء الناس أو عطاياهم فذلك لا ثواب له عند الله، وإنما الثواب عند الله في الصدقة التي يراد بها وجهه، والزكاة المفروضة فتلك يضاعفها الله أضعافًا كثيرة، والمال مال الله هو الذي رزق عباده، فهو الخالق الرازق يخرج الإنسان من بطن أمه عريانًا لا علم له ولا سمع ولا بصر ولا قوى، ثم يرزقه بعد ذلك المال والأملاك والمكاسب، وهو الذي يميت عباده بعد هذه الحياة ثم يحييهم يوم القيامة، فهل من الأنداد والشركاء الذين يعبدهم البشر من دون الله من يقدر على فعل شيء من ذلك؟ بل الله ﷻ هو المستقل بالخلق والرزق، والإحياء والإماتة، ثم يبعث الخلائق يوم القيامة، فتعالى الله وتقدس وتنزه وتعاظم وجل وعز، عن أن يكون له شريك أو نظير أو مساوٍ، أو ولد أو والد، بل هو الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، والنقص في الثمار والزروع وانقطاع المطر بسبب المعاصي، فمن عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض؛ لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة، وإذا ارتكبت المعاصي كان سببًا في محق البركات من السماء والأرض، فيبتلي الله العباد بنقص الأموال والأنفس والثمرات، اختبارًا منه، ومجازاة على صنيعهم لعلهم يتوبون عن المعاصي.

قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

آثار الأمم السابقة شاهدة على مصارع الظالمين، وكيف حل بهم بسبب تكذيب الرسل وكفر النعم، والمؤمن مأمور بالاتعاظ والاعتبار، والمبادرة إلى الاستقامة في طاعته، والمسارعة إلى الخيرات؛ ليستعد ليوم القيامة، ذلك اليوم الذي لا يؤخر، وكل من حضر أجله قامت قيامته فلا يؤخر، ذلك اليوم الذي يفترق فيه الناس، ففريق في الجنة وفريق في السعير؛ فمن كفر بالله فهو يتحمل عاقبة كفره، ومن عمل صالحًا فقد قدموا لأنفسهم العمل الصالح، وعمروا الآخرة بالأعمال الصالحة، فيجازيهم ربهم مجازاة الفضل، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى ما يشاء الله، والله لا يحب الكافرين لأنهم خالفوا أمره، فلهم البغض والمقت، ولكنهم لا يُظلمون.

ومن نعم الله على خلقه إرساله الرياح مبشرات بين يدي رحمته، بمجيء الغيث بعدها؛ فالمطر رحمة ينزله الله فيحيي به العباد والبلاد، والرياح تُجري السفن في البحر، وإنما سيرها بالريح.

ومن نعمه توفيقه لعباده في السعي في الأرض في التجارات والمعايش، والسير من إقليم إلى إقليم، ومن قطر إلى قطر، وكل ذلك يستوجب الشكر لله على ما أنعم به على عباده من النعم الظاهرة والباطنة، التي لا تعد ولا تحصى.

وما أرسل الله من رسول إلا كذبه كثير من قومه، فقد كُذِّبت الرسل المتقدمون مع ما جاءوا أممهم به من الدلائل الواضحات، ولكن الله انتقم ممن كذبهم وخالفهم، وأنجى المؤمنين بهم، وقد أوجب على نفسه الكريمة نصر المؤمنين تكرمًا، وفي ذلك تسلية من الله لعبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه، ومن الآيات الدالة على قدرة الله خلق السحاب الذي ينزل منه الماء فالرياح تثير السحاب، إما من البحر، أو مما يشاء الله ﷻ فيمده الله ويكثره وينميه، ويجعل من القليل كثيرًا، فترى السحابة رأي العين مثل الترس، ثم يبسطها حتى تملأ أرجاء الأفق، وتارة يأتي السحاب من جهة البحر ثقالًا مملوءًا ماء، ويجعله قطعًا متراكمًا، فترى المطر يخرج من بين ذلك السحاب، فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون لحاجتهم إليه، يفرحون بنزوله عليهم ووصوله إليهم، وقد كانوا في شدة وضيق قنطين من نزول المطر إليهم قبل ذلك، فلما جاءهم استبشروا وفرحوا لأنه جاءهم على فاقة، فوقع منهم موقعًا عظيمًا، فبعدما كانت أرضهم مقفرة هامدة أصبحت وقد اهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج، وكل ذلك من آثار رحمة الله، فكما أحيا الأرض بالمطر يحيي الأجساد بعد موتها وتفرقها وتمزقها، والله قادر على كل شيء، يخلق ما يشاء ويحكم ما يريد.

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤١

العباد حين يمطرون وينعمون، وتنبت لهم الأرض يفرحون بنعم الله لكن لو أرسل الله ريحًا يابسة على الزرع الذي زرعوه، بعدما نبت وشب، فرأوا زرعهم قد اصفر وفسد بعد هذه الريح لجحدوا نعم الله عليهم، وكفروا بربهم، والأنبياء عليهم البلاغ والبيان، والهداية بيد الله، ولا يقدر النبي إلا على شيء أقدره الله عليه فليس في قدرة النبي إسماع الأموات في أجداثها، ولا يبلغ كلامه الصم الذين لا يسمعون، ولا يقدر على هداية العميان عن الحق، وردهم عن ضلالتهم، بل ذلك إلى الله تعالى، فإنه بقدرته يسمع الأموات أصوات الأحياء إذا شاء، ويهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وليس ذلك لأحد سواه، وإنما يُسمع النبي سماع انتفاع من يؤمن بآيات الله وهو خاضع مستجيب مطيع، فذلك الذي يستمع إلى الحق ويتبعه، وهذا حال المؤمن، والكافر مثل الأصم والأعمى، ومن قدرة الباري ﷻ تنقل الإنسان في أطوار الخلق حالًا بعد حال، فأصله من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم يصير عظامًا ثم يكسى لحمًا، وينفخ فيه الروح، ثم يخرج من بطن أمه ضعيفًا نحيفًا واهن القوى، ثم يشب قليلًا قليلًا حتى يكون صغيرًا، ثم حدثًا، ثم مراهقًا، ثم شابًا، وهو القوة بعد الضعف، ثم يشرع في النقص فيكتهل، ثم يشيخ ثم يهرم، وهو الضعف بعد القوة، فتضعف الهمة والحركة والبطش، ويشيب الرأس، وتتغير الصفات الظاهرة والباطنة، يفعل الله ما يشاء ويتصرف في عبيده بما يريد، وهو العليم بهم القادر على تغيير حالهم، ومن جهل الكفار في الدنيا والآخرة أنهم في الدنيا عبدوا الأوثان، وفي الآخرة إقسامهم بالله أنهم ما لبثوا في الدنيا إلا ساعة واحدة، ومقصودهم بذلك عدم قيام الحجة عليهم، وأنهم لم ينظروا حتى يعذر إليهم، فصُرِفوا عن الحق في الدنيا وفي الآخرة، وفي القيامة يرد عليهم المؤمنون من العلماء في الآخرة، كما أقاموا عليهم حجة الله في الدنيا، فيقولون لهم حين يحلفون ما لبثوا غير ساعة: لقد لبثتم في كتاب أعماركم التي قدرها الله من يوم خلقتم إلى أن بعثتم، ففي يوم القيامة لا ينفعهم اعتذارهم عما فعلوا، ولا هم يرجعون إلى الدنيا، وقد بيّن الله لعباده في هذا القرآن الحق، ووضحه لهم، وضرب لهم فيه الأمثال ليتبينوا الحق ويتبعوه، ومَنْ كتب الله عليه الضلالة لو رأى أي آية كانت، سواء كانت باقتراحه أو غيره لا يؤمن بها واعتقد أنها سحر وباطل، فقد طبع على قلبه فلا يقبل الحق، ولا يعلم التوحيد، وأمر النبي ﷺ بالصبر في دعوتهم، وعلى مخالفتهم وعنادهم، فإن الله تعالى منجز له ما وعده من نصره إياه، وجعل العاقبة له ولمن اتبعه في الدنيا والآخرة، وأمره بالثبات على ما بعثه الله به، فإنه الحق الذي لا مرية فيه، ولا يعدل عنه وليس فيما سواه هدى يتبع، بل الحق كله منحصر فيه، ولا يحمله الذين لا يوقنون على الجهل واتباعهم في الغي.

سورة لقمان

ترتيبها ٣١ — آياتها ٣٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾



سورة لقمان

وهي سورة مكية سميت بذلك لذكر وصايا لقمان الحكيم فيها

افتتحت السورة بالحروف المقطعة للدلالة على إعجاز القرآن وبلاغته الذي عجز العرب بفصاحتهم أن يأتوا بآية منه، مع أنه مكون من الحروف التي يتكلمون بها، فهو كتاب أنزله الله هدى وشفاء ورحمة للمحسنين، الذين أحسنوا العمل في اتباع الشريعة، فأقاموا الصلاة المفروضة بحدودها وأوقاتها، وما يتبعها من نوافل راتبة وغير راتبة، وآتوا الزكاة المفروضة عليهم إلى مستحقيها، ووصلوا قراباتهم وأرحامهم، وأيقنوا بالجزاء في الدار الآخرة، فرغبوا إلى الله في ثواب ذلك، لم يراءوا به ولا أرادوا جزاء من الناس ولا شكورًا، فمن فعل ذلك فهم الذين كتب الله لهم الهداية بالقرآن، وعبدوا الله على بصيرة وبينة ومنهج واضح وجلي، وهم الفائزون في الدنيا والآخرة، وأما الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله، وأقبلوا على استماع المزامير والغناء بالألحان وآلات الطرب، فقد صدهم الشيطان عن طريق الحق، وأشغلهم بالغناء عن سماع القرآن والهدى، فاختاروا كلام الشيطان على كلام الرحمن، وقد ينفقون ذلك الأموال في ابتغاء الحرام فيكون عليهم حسرة وندامة يوم القيامة، فيقودهم الغناء إلى اتخاذ آيات الله هزوًا فجزاء أولئك كما استهانوا بآيات الله وسبيله أن يهانوا يوم القيامة في العذاب الدائم المستمر، فهم مقبلون على اللهو واللعب والطرب، وإذا تليت عليه الآيات القرآنية، ولَّوا عنها وأعرضوا وأدبروا وتصاموا وما بهم من صمم، كأنهم ما يسمعونها؛ لأنهم يتأذون بسماعها، إذ لاانتفاع لهم بها، ولا حاجة لهم فيها، فأولئك لهم العذاب الأليم يوم القيامة يؤلمهم، كما تألموا بسماع كتاب الله وآياته، وأما جزاء الأبرار من السعداء في الدار الآخرة، الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين، وعملوا الأعمال الصالحة المتابعة لشريعة الله فهو جنات النعيم يتنعمون فيها بأنواع الملاذ والمسار، من المآكل والمشارب، والملابس والمساكن، والمراكب والنساء، والنضرة والسماع الذي لم يخطر ببال أحد، وهم في ذلك مقيمون دائمًا فيها، لا يظعنون، ولا يبغون عنها حولًا، وعد من الله، والله لا يخلف الميعاد؛ لأنه الكريم المنان، الفعال لما يشاء، القادر على كل شيء، وهو العزيز الذي قد قهر كل شيء، ودان له كل شيء، الحكيم في أقواله وأفعاله، الذي جعل القرآن هدى للمؤمنين، الذي خلق السموات والأرض، وما فيهما وما بينهما، خلق السموات بغير عمد مرئية، وخلق الجبال فأرسى بها الأرض لئلا تضطرب بأهلها على وجه الماء، ونشر في الأرض من أصناف الحيوانات مما لا يعلم عدد أشكالها، كل ذلك من خلق الله وتقديره، وحده لا شريك له في ذلك؛ فأين خلق ما يعبده المشركون ويدعونهم من الأصنام والأنداد، ولكنهم في جهل وعمى واضح ظاهر لا خفاء به.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

كان لقمان عبدًا حبشيًّا نجارًا، وقد أعطاه الله الفقه في الإسلام، ولم يكن نبيًّا، ولم يوح إليه، أعطاه الله الفهم والعلم والتعبير، وأمره أن يشكر الله ﷻ على ما أتاه الله ومنحه ووهبه من الفضل الذي خصه به عمن سواه من أبناء جنسه وأهل زمانه، ومن يشكر فإنما يعود نفع ذلك وثوابه على الشاكرين، ومن كفر بنعم الله فإن الله غني عن العباد، لا يتضرر بذلك، ولو كفر أهل الأرض كلهم جميعًا، فإنه الغني عمن سواه، فلا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، ومن وصية لقمان لولده، وهو لقمان بن عنقاء بن سدون، واسم ابنه: ثاران، يوصي ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف؛ ولهذا أوصاه أولًا بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئًا، فالشرك أعظم الظلم، لأن الإنسان يظلم نفسه بالشرك، ولأن المشرك يشبه المخلوق الذي لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا بمن الأمور بيده ومرجعها إليه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ثم قرن بوصيته إياه بعبادة الله وحده البر بالوالدين، وقد أوصى الله عباده بالإحسان إلى الوالدين، فقد حملته أمه جهدًا على جهد، وضعفًا على ضعف، وتربيته وإرضاعه بعد وضعه في عامين، وهذا يدل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر؛ وفي ذكر تربية الوالدة وتعبها ومشقتها في سهرها ليلًا ونهارًا، ليذكر الولد بإحسانها المتقدم إليه، فيجب عليه الإحسان وتقديم البر فمن الشكر لله الإحسان إلى الوالدين، ومن الشكر للوالدين البر بهما، والمرجع إلى الله هو الذي يجزي عباده على البر أوفر الجزاء، ومع الأمر بالإحسان، فإنه لا يجوز طاعتهما في معصية الله، فإن حرصا كل الحرص على أن يتابعهما الولد على دينهما فلا يقبل منهما ذلك، ولا يمنعه ذلك من أن يصاحبهما في الدنيا محسنًا إليهما، ويتبع سبيل المؤمنين في البر والإحسان والثبات على الحق، والجميع مرجعهم إلى الله في القيامة، ومن وصايا لقمان النافعة أن المظلمة أو الخطيئة مهما صغرت ولو كانت مثقال حبة من خردل، أحضرها الله يوم القيامة حين يضع الموازين القسط، وجازى عليها إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًّا فشرًّا، ولو كانت تلك الذرة محصنة محجبة في داخل صخرة صماء، أو غائبة ذاهبة في أرجاء السموات أو الأرض، فإن الله يأتي بها؛ لأنه لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض؛ والله لا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت وهو خبير بدبيب النمل في الليل البهيم، ثم أمر ولده بالصلاة وأوصاه بإقامتها بحدودها وفروضها وأوقاتها، فهي أول ما ينظر في عمل العبد، ثم أوصاه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب طاقته وجهده، ويصبر على ما أصابه في طريق ذلك لأن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا بد أن يناله من الناس أذى، فلا بد له من الصبر، فإن الصبر على أذى الناس من عزم الأمور.

وأوصاه باحترام الناس وعدم احتقارهم، فلا يعرض بوجهه عن الناس إذا كلمهم أو كلموه احتقارًا منه لهم واستكبارًا عليهم ولكن يلين لهم الجانب، ويبسط إليهم وجهه، ولا يمشي في الأرض فرِحًا متكبرًا جبارًا عنيدًا، فإن ذلك سبب لغضب الله، فإن الله لا يحب كل معجب في نفسه، فخور على غيره، وأوصاه بأن يمشي مشيًا مقتصدًا ليس بالبطيء المتثبط، ولا بالسريع المفرط، بل عدلًا وسطًا بين بين، ولا يبالغ في الكلام، ولا يرفع صوته فيما لا فائدة فيه؛ فإن أقبح الأصوات صوت الحمير، أوله زفير وآخره شهيق، وهما صوت أهل النار.

أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾



من نعم الله على خلقه في الدنيا والآخرة، أن سخر لهم ما في السموات من نجوم يستضيئون بها في ليلهم ونهارهم، وما يخلق فيها من سحاب وأمطار وثلج وبرد، وجعلها لهم سقفًا محفوظًا، وما خلق لهم في الأرض من قرار وأنهار وأشجار وزروع وثمار، وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة من إرسال الرسل وإنزال الكتب، ومع هذا كله ما آمن الناس كلهم، بل منهم من يجادل في التوحيد وإرسال الرسل بغير علم ولا مستند من حجة صحيحة، ولا كتاب مأثور صحيح مبين مضيء، وإذا قيل للمجادلين في توحيد الله: اتبعوا ما أنزل الله على رسوله من الشرائع المطهرة، لم تكن لهم حجة إلا اتباع الآباء الأقدمين، ولو كانوا على ضلالة وهم خلف لهم فيما كانوا فيه، فقد اتبعوا الشيطان فأوردهم النار، والناس على فريقين: فريق أخلص لله العمل وانقاد لأمره واتبع شرعه، وهو محسن في عمله، باتباع ما به أمر، وترك ما عنه زجر، واستمسك بالتوحيد الذي كتب الله لأهلة النجاة من النار، وعدم الخلود فيها، فمن لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، وفريق كفر بالله وكذب الرسل فمرجعهم إلى الله فينبئهم بما عملوا، ويجزيهم عليه، وهو سبحانه لا تخفى عليه خافية، وأمر النبي ﷺ ألا يحزن على كفرهم بالله وبما جاء به؛ فإن قدر الله نافذ فيهم، يمتعون في الدنيا، ثم يوم القيامة يلجئون ويردون إلى عذاب فظيع صعب شاق على النفوس، فهم يعرفون أن الله خالق السموات والأرض، ومع هذا يعبدون معه شركاء، ويعترفون أنها خلق له وملك له، فقد قامت عليهم الحجة باعترافهم بانفراد الله بالخلق والإيجاد، فلم يشركون معه غيره؟ فلله ما في السموات والأرض خلقه وملكه، وهو الغني عما سواه، وكل شيء فقير إليه، الحميد في جميع ما خلق، له الحمد في السموات والأرض على ما خلق وشرع، وهو المحمود في الأمور كلها، فهو سبحانه العظيم له الكبرياء والعظمة والجلال، والأسماء الحسنى والصفات العلا، وكلماته التامة التي لا يحيط بها أحد، ولا اطلاع لبشر على كنهها وإحصائها، فلو أن جميع أشجار الأرض جعلت أقلامًا، وجعل البحر مدادًا ومده سبعة أبحر معه، فكتبت بها كلمات الله الدالة على عظمته وصفاته وجلاله لتكسرت الأقلام، ونفد ماء البحر، ولو جاء أمثالها مددًا، لأنه لا أحدَ يستطيع أن يقدر قدره، ولا يثني عليه كما ينبغي، حتى يكون هو الذي يثني على نفسه، إن ربنا كما يقول، وفوق ما نقول، وإنما ذكرت السبعة على وجه المبالغة، ولم يرد الحصر، وهو سبحانه العزيز، قد عز كل شيء وقهره وغلبه، فلا مانع لما أراد ولا مخالف ولا معقب لحكمه، وهو حكيم في خلقه وأمره، وأقواله وأفعاله، وشرعه وجميع شؤونه، وما خلق جميع الناس وبعثهم يوم المعاد بالنسبة إلى قدرته إلا كنسبة خلق نفس واحدة، الجميع هيّن عليه، فلا يأمر بالشيء إلا مرة واحدة، فيكون ذلك الشيء لا يحتاج إلى تكرره وتوكيده، وهو سميع لأقوال عباده بصير بأفعالهم كسمعه وبصره بالنسبة إلى نفس واحدة كذلك قدرته عليهم كقدرته على نفس واحدة.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾

سُورَةُ السَّجْدَةِ

ترتيبها ٣٢ — آياتها ٣٠

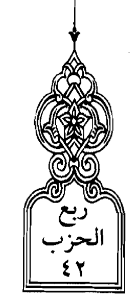
من قدرة تعالى خلق الليل والنهار، وتعاقبهما، يأخذ من الليل في النهار، فيطول ذلك ويقصر هذا، وهذا يكون زمن الصيف يطول النهار إلى الغاية، ثم يسرع في النقص فيطول الليل ويقصر النهار، وهذا يكون في زمن الشتاء، وتسخير الشمس والقمر يجريان إلى غاية محدودة، وإلى يوم القيامة، فالشمس تذهب فتسجد تحت العرش ثم تستأذن ربها، وهو سبحانه عليم بأعمال العباد لا تخفى عليه خافية، وما يظهر للعباد من آياته ليستدلوا بها على أنه الإله الحق، وأن كل ما سواه باطل فإنه الغني عما سواه، وكل شيء فقير إليه؛ لأن كل ما في السموات والأرض الجميع خلقه وعبيده، لا يقدر أحد منهم على تحريك ذرة إلا بإذنه، ولو اجتمع كل أهل الأرض على أن يخلقوا ذبابًا لعجزوا عن ذلك؛ وما يدعو المشركون هو الباطل، والله هو العلي الذي لا أعلى منه، والكبير الذي هو أكبر من كل شيء، فكل شيء خاضع حقير بالنسبة إليه.

وهو سبحانه الذي سخر البحر لتجري فيه الفلك بلطفه وتسخيره؛ فإنه لولا ما جعل في الماء من قوة يحمل بها السفن لما جرت؛ وذلك دلالة على قدرة الله، ولا ينتفع بهذه الآيات إلا كثير الصبر في الضراء، كثير الشكر في الرخاء، والمشركون في الشدة يخلصون إذا غشيهم موج كالجبال والغمام، ويشركون في الرخاء، ومنهم من يبقى على عهده وإيمانه، وما يجحد بآيات الله إلا الغدار الجحود للنعم لا يشكرها، بل يتناساها ولا يذكرها، والمؤمن يتقي الله في جميع أموره ويعد ليوم المعاد، ذلك اليوم لا يغني أحد عن أحد، فلا الوالد عن ولده ولا المولود عن والده، فليجعل المؤمن الآخرة أمامه في جميع أحواله، ولا تلهيه الدنيا، ولا يغره الشيطان ويمنيه بالركون إليها.

وقد استأثر الله بعلم الغيب فلا يعلمه إلا هو ﷻ، ومن مفاتح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها علم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب، وإنزال الغيث لا يعلمه إلا الله، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك، ومن شاء الله من خلقه، وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه الله تعالى سواه، ولكن إذا أمر بكونه ذكرًا أو أنثى، أو شقيًا أو سعيدًا علم الملائكة الموكلون بذلك، ومن شاء الله من خلقه، وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غدًا في دنياها وأخراها، وما تدري نفس بأي أرض تموت، في بلدها أو غيره من أي بلاد الله كان، لا علم لأحد بذلك، وإذا جعل الله منية عبد بأرض، جعل له إليها حاجة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾





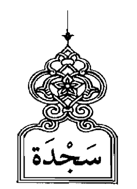
سورة السجدة

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر السجدة فيها

كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة آلم تنزيل السجدة، وهل أتى على الإنسان، وكان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ آلم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك.

افتتحت السورة بالحروف المقطعة الدالة على إعجاز القرآن الذي لا شك فيه ولا مرية، تنزيل من رب العالمين ولو ادعى المشركون أن النبي ﷺ اختلقه من تلقاء نفسه، بل هو الحق الذي يجب الإيمان به نذيرًا لأمة لم يرسل إليها رسول يكون هداية لهم ونجاة، والله ﷻ هو الخالق للأشياء، فخلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش، وهو المالك لأزمة الأمور، المدبر لكل شيء، القادر على كل شيء، فلا ولي لخلقه سواه، ولا شفيع إلا من بعد إذنه، فهل تصرف العبادة لغيره؟! تعالى وتقدس وتنزه أن يكون له نظير أو شريك، لا إله إلا هو ولا رب سواه، يتنزل أمره من أعلى السموات إلى أقصى تخوم الأرض السابعة، وترفع الأعمال إلى ديوانها فوق سماء الدنيا، ومسافة ما بينها وبين الأرض مسيرة خمسمائة سنة، وسمك السماء خمسمائة سنة، يحكم الأمر وينزل القضاء والقدر، وينزل الوحي مع جبريل من السماء إلى الأرض، ثم يصعد، إليه جبريل بالأمر، في يوم واحد من أيام الدنيا وقدره مسيرة ألف سنة، خمسمائة نزوله، وخمسمائة صعوده، لأن ما بين السماء والأرض خمسمائة عام، فلو سار فيه أحد من بني آدم لم يقطعه إلا في ألف سنة، والملائكة يقطعونه في طرفة عين، فهوسبحانه المدبر لهذه الأمور، وهو شهيد على أعمال عباده، يرفع إليه جليلها وحقيرها، وصغيرها وكبيرها، وهو العزيز الذي قد عزَّ كل شيء فقهره وغلبه، ودانت له العباد والرقاب، وهو الرحيم بعباده المؤمنين، فهو عزيز في رحمته، رحيم في عزته، وهو الذي أحسن خلق الأشياء وأتقنها وأحكمها، وخلق أبا البشر آدم من طين، ثم جعل نسله يتناسلون من نطفة تخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة، سوى آدم لما خلقه من تراب، خلقه سويًا مستقيًما، ونفخ فيه من روحه وجعل لعباده السمع والأبصار والعقول، ثم العباد لا يشكرون ربَّ هذه النعم فيوحدونه، فالسعيد من استعمل النعم في طاعة ربه ﷻ، وقال المنكرون للبعث: أئذا تمزقت أجسامنا وتفرقت في أجزاء الأرض وذهبت، أئنا لنعود بعد تلك الحال، يستبعدون ذلك، وهذا إنما هو بعيد بالنسبة إلى قدرتهم العاجزة، لا بالنسبة إلى قدرة الذي بدأهم وخلقهم من العدم، الذي إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون، بل هم كافرون بالبعث بعد الموت، وقد وكل الله ملك الموت بقبض أرواح العباد، وله أعوان ينتزعون الأرواح من سائر الجسد، حتى إذا بلغت الحلقوم تناولها ملك الموت، ثم العباد مرجعهم إلى الله يبعثهم من قبورهم للجزاء والحساب.

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ
رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ
﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ
مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾
فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ
وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ
بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ



عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ
بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ
لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ
جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟
فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ
لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

حين يعاين المشركون البعث، ويقومون بين يدي الله حقيرين ذليلين، ناكسي رؤوسهم، من الحياء والخجل، يقولون نحن الآن نسمع قولك ونطيع أمرك، فارجعنا إلى الدار الدنيا، نعمل صالحًا فقد أيقنا وتحققنا أن وعدك حق ولقاءك حق، وقد علم الرب تعالى منهم أنه لو أعادهم إلى الدار الدنيا لكانوا كما كانوا فيها كفارًا يكذبون آيات الله ويخالفون رسله، ولو شاء الله لآمن من في الأرض جميعًا، لكن قضاء الله وقدره، فمن كتبت عليه الشقاوة من الجن والناس لا محيد لهم عنها ولا محيص لهم منها، نعوذ بالله من ذلك.

فيقال لأهل النار على سبيل التقريع والتوبيخ ذوقوا هذا العذاب بسبب تكذيبكم به، واستبعادكم وقوعه، وتناسيكم له، فإنهم يعاملون معاملة الناسي؛ لأنه تعالى لا ينسى شيئًا ولا يضل عنه شيء، بل من باب المقابلة، فيخلدون في العذاب بسبب كفرهم وتكذيبهم، وإن المؤمن الحق هو الذي يصدق بآيات الله، وإذا استمع لها أطاعها قولًا وفعلًا، ولم يستكبر عن اتباعها والانقياد لها، كما يفعله الجهلة من الكفار، ولزم الصلاة المفروضة، والنافلة وقيام الليل، وترك النوم والاضطجاع على الفرش الوثيرة، يدعو ربه خوفًا من عقابه، وطمعًا في جزيل ثوابه، وينفق مما أعطاه الله من المال طيبة بها نفسه، فيجمع بين فعل القربات اللازمة والمتعدية، فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى الله للمؤمنين في الجنات من النعيم المقيم، واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد، ولما أخفوا أعمالهم أخفى الله لهم الثواب، جزاء وفاقًا؛ فإن الجزاء من جنس العمل، فأخفى الله لهم ما لم تر عين، ولم يخطر على قلب بشر، فإن الله تعالى أعد لعباده الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ومن عدله وكرمه أنه لا يساوي في حكمه يوم القيامة من كان مؤمنًا بآياته متبعًا لرسله، بمن كان خارجًا عن طاعة ربه مكذبًا لرسله إليه، فأصحاب النار وأصحاب الجنة لا يستوون عند الله يوم القيامة.

أما الذين صدقت قلوبهم بآيات الله وعملوا بمقتضاها من الصالحات، فلهم جنات فيها المساكن والدور والغرف العالية ضيافة وكرامة بسبب عملهم الصالح، فالجنة مأوى المؤمن، تحفظه من النار وأهوالها، نسأل الله الجنة ووالدينا وأهلينا وذرياتنا والمسلمين.

وأما الذين خرجوا عن الطاعة، فمصيرهم النار، إذا دفعهم لهب النار إلى أعلاها ردوا إلى موضعهم فيها، لأنهم يطمعون في الخروج منها، وما هم بخارجين من النار وقال لهم خزنة جهنم -تقريعًا وتوبيخًا- ذوقوا وتحملوا عذاب النار الذي كذبتم به في الحياة الدنيا، فإن الله أعدّه للظالمين الكافرين.

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

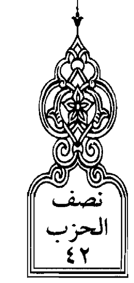
سُورَةُ الأَحْزَابِ

ترتيبها ٣٣ — آياتها ٧٣

المكذبون الجاحدون يجمع لهم بين عذاب الدنيا وعذاب القبر وعذاب الآخرة، وقد يصابون من مصائب الدنيا وأسقامها وآفاتها، وما يحل بأهلها مما يبتلي الله به عباده ليتوبوا إليه ويرجعوا وينيبوا، ولكن الظالم لنفسه من لا يعتبر ولا يتعظ بالنذر، فلا أحد أظلم ممن ذكره الله بآياته وبينها له ووضحها، ثم بعد ذلك تركها وجحدها وأعرض عنها وتناساها، كأنه لا يعرفها، فهو من المجرمين الذين ينتقم الله منهم أشد الانتقام.

وقد أرسل الله عبده ورسوله موسى ﷺ وآتاه التوراة، وقد رآه رسول الله ﷺ ليلة أسري به رجلًا آدم طوالًا جعدًا، كأنه من رجال شنوءة، وجعل التوراة هداية لبني إسرائيل، وجعل الله منهم أئمة يهدون إلى الحق بأمر الله، ويدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وصبروا على أوامر الله وترك نواهيه وزواجره وتصديق رسله واتباعهم فيما جاءوهم به، فرفع الله شأنهم وأعلى مكانتهم، ثم لما بدلوا وحرفوا وأولَّوا سلبوا ذلك المقام، وصارت قلوبهم قاسية، يحرفون الكلم عن مواضعه، فلا عمل صالحٌ، ولا اعتقادٌ صحيحٌ؛ وذلك سبيل كل من كذب الرسل وجحد.

ألم يتبين لهؤلاء المكذبين بالرسل من أهلك الله قبلهم من الأمم الماضية بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم إياهم فيما جاءوهم به، فلم يُبقِ منهم باقية ولا عينًا ولا أثرًا، فهم يمشون في مساكن أولئك المكذبين فلا يرون فيها أحدًا ممن كان يسكنها ويعمرها، ذهبوا منها، فبيوتهم خاوية، ففي ذهاب أولئك القوم ودمارهم وما حل بهم بسبب تكذيبهم الرسل، ونجاة من آمن بهم آيات وعبرٌ ومواعظ ودلائل متظاهرة، أفلا يسمع هؤلاء المكذبون أخبار من تقدم كيف كان أمرهم، ومن لطف الله بخلقه، وإحسانه إليهم إرساله الماء إما من السماء أو مما تحمله الأنهار وينحدر من الجبال إلى الأراضي اليابسة التي لا نبات فيها، المحتاجة إليه في أوقاته؛ فيخرج منه الزروع تأكل منه الأنعام ويأكل منه البشر، فيبصرون ذلك ويشاهدونه، وفي ذلك دلالة على قدرة الباري ﷻ، والكفار يستعجلون وقوع بأس الله بهم، وحلول غضبه ونقمته عليهم، استبعادًا وتكذيبًا وعنادًا ويقولون متى تنصر علينا يا محمد؟ كما تزعم أن لك وقتًا تدال علينا، وينتقم لك منا، فمتى يكون هذا؟ ما نراك أنت وأصحابك إلا مختفين خائفين ذليلين، فجاءهم الرد أنه إذا حل بكم بأس الله وسخطه وغضبه في الدنيا وفي الأخرى لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولن يؤخروا، وأمر النبي ﷺ بالإعراض عن هؤلاء المشركين وتبليغ ما أنزل إليه من ربه، وانتظار وعد الله، فإن الله سينجز له ما وعده، وسينصره على من خالفه، إنه لا يخلف الميعاد، وهم ينتظرون، ويتربصون بالمؤمنين الدوائر، وسيرى النبي ﷺ عاقبة صبره عليهم وعلى أداء رسالة الله، في نصرة الله له وتأييده، وسيجدون غب ما ينتظرونه في الرسول وأصحابه، من وبيل عقاب الله لهم، وحلول عذابه بهم.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ﴿٦﴾



سورة الأحزاب

وهي سورة مدنية، سميت بذلك لذكر الأحزاب الذين تجمعوا على رسول الله في غزوة الأحزاب

أمر الله عبده ورسوله بتقوى الله وهي أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، مخافة عذاب الله، والأمر لأمته من بعده، ونهى الله نبيه ورسوله عن طاعة الكفار والمنافقين، فلا يسمع منهم ولا يستشيرهم، فإن الله عليم بعواقب الأمور، حكيم في أقواله وأفعاله، فهو أحق أن تتبع أوامره ويطيعه عباده، وذلك باتباع الوحي، فإن الله لا تخفى عليه خافية من أعمال العباد، وهو الذي يحفظ عباده ويؤيدهم وينصرهم، فليتوكلوا عليه حق التوكل في جميع أمورهم وأحوالهم، وكفى بالله وكيلًا لمن توكل عليه وأناب إليه، والادعاء لا يكون حقيقة، فكما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه، ولا تصير زوجة المظاهر أمّاً له، وإن قال أنت علي كظهر أمي، فكذلك لا يصير الدعي ولدًا للرجل إذا تبناه فدعاه ابنًا له، وقد كان زيد ابن حارثة مولى النبي ﷺ قد تبناه النبي ﷺ قبل النبوة، وكان يقال له زيد بن محمد فقطع الله تعالى هذا الإلحاق وهذه النسبة، لأن القول باللسان لا يقتضي أن يكون ابنًا حقيقيًا، فإنه مخلوق من صلب رجل آخر، فلا يمكن أن يكون له أبوان، كما لا يمكن أن يكون للبشر الواحد قلبان، والله قوله الحق العدل ويرشد إلى سبيل الحق وهو الصراط المستقيم، وأمر الله تعالى برد نسب الأدعياء إلى آبائهم في الحقيقة، وأن هذا هو العدل والقسط، وقد كانوا يعاملونهم معاملة الأبناء من كل وجه، في الخلوة بالمحارم وغير ذلك، فنسخ ذلك، وأباح تعالى زوجة الدعي وتزوج رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش زوجة زيد بن حارثة، فإن لم يعرف آباء الأدعياء فهم إخوان للمؤمنين في الدين ومواليهم، عوضًا عما فاتهم من النسب.

وإذا نسب بعضهم إلى غير أبيه في الحقيقة خطأ، بعد الاجتهاد واستفراغ الوسع؛ فإن الله قد وضع الحرج في الخطأ ورفع إثمه، وإنما الإثم على من تعمد الباطل، فما من أحد ادعى إلى غير أبيه، وهو يعلمه إلا كفر، وليس الكفر الأكبر، وإنما كفر دون كفر، وقد علم الله تعالى شفقة رسوله ﷺ على أمته، ونصحه لهم، فجعله أولى بهم من أنفسهم، وحكمه فيهم مقدمًا على اختيارهم لأنفسهم، ولا يؤمن أحدهم حتى يكون الرسول أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين، وهو بمنزلة الوالد لهم يرشدهم إلى ما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة، بأبي وأمي رسول ﷺ، وأزواجه أمهات المؤمنين في الحرمة والاحترام، والإكرام والتوقير والإعظام، ولكن لا تجوز الخلوة بهن، ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع، وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في حكم الله، فالقرابات أولى بالتوارث من المهاجرين والأنصار، وهذه ناسخة لما كان قبلها من التوارث بالحلف والمؤاخاة التي كانت بينهم، فقد كان المهاجري يرث الأنصاري دون قراباته وذوي رحمه للأخوَّة التي آخى بينهما رسول الله ﷺ، فذهب الميراث، وبقي النصر والبر والصلة والإحسان والوصية، فهذا حكم من الله مقدر مكتوب في الكتاب الأول، الذي لا يبدل ولا يغير.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ
وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾
لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا
﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ
جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ
مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ
وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟
زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم
مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ
مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ
مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا
فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ
لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟
ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾

أخذ على أولي العزم الخمسة وبقية الأنبياء العهد والميثاق في إقامة دين الله وإبلاغ رسالته والتعاون والتناصر والاتفاق، فهذا العهد والميثاق أخذ عليهم بعد إرسالهم، لكي يسأل الله النبيين عن تبليغهم الرسالة، والحكمة في سؤالهم مع علمه أنهم صادقون تبكيت من أرسلوا إليهم، وأعد للكافرين من أمم الأنبياء عذابًا موجعًا، وهذه الأمة المحمدية شاهدة أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم، ونصحوا الأمم وأفصحوا لهم عن الحق المبين الواضح الجلي الذي لا لبس فيه ولا شك ولا امتراء، وإن كذبهم من كذبهم من الجهلة والمعاندين، فما جاءت به الرسل هو الحق، ومن خالفهم فهو على الضلال كما جاء في القرآن، ومن نعمة الله وفضله وإحسانه إلى عباده المؤمنين صرفه أعداءهم وهزمه إياهم عام تألبوا عليهم وتحزبوا، وذلك عام الخندق، وذلك في شوال سنة خمس من الهجرة، وكان سبب قدوم الأحزاب أن نفرًا من أشراف يهود بني النضير الذين كانوا قد أجلوا من المدينة إلى خيبر خرجوا إلى مكة واجتمعوا بأشراف قريش، وألبوهم على حرب المسلمين، ووعدوهم من أنفسهم النصر والإعانة، فأجابوهم إلى ذلك، ثم خرجوا إلى غطفان فدعوهم فاستجابوا لهم، وخرجت قريش، وعددهم عشرة آلاف، فلما سمع رسول الله ﷺ بمسيرهم أمر المسلمين بحفر الخندق حول المدينة مما يلي الشرق وجاء المشركون فنزلوا شرقي المدينة، ونزلت طائفة في أعالي المدينة، وخرج رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين وهم ثلاثة آلاف، وجعل النساء في آطام المدينة، وكانت بنو قريظة لهم عهد من النبي ﷺ وذمة، فذهب إليهم حيي بن أخطب فلم يزل بهم حتى نقضوا العهد، فعظم الخطب واشتد الأمر، وضاق الحال، ومكثوا محاصرين للنبي ﷺ وأصحابه قريبًا من شهر، إلا أنهم لا يصلون إليهم، ولم يقع بينهم قتال، ثم أرسل الله ﷻ على الأحزاب ريحًا شديدة الهبوب قوية، حتى لم تبق لهم خيمة ولا شيء ولا توقد لهم نار، ولا قر لهم قرار حتى ارتحلوا خائبين خاسرين، فقد جاء الأحزاب من فوق، وبنو قريظة من أسفل، وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر من شدة الخوف والفزع، وظن بعض من كان مع رسول الله ﷺ أن الدائرة على المؤمنين، ونجم النفاق حتى قال بعض المنافقين: يعدنا محمد أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يقدر على أن يذهب إلى الغائط، فظن المنافقون أن محمدًا وأصحابه يُستأصلون وأيقن المؤمنون أن ما وعد الله ورسوله حق، وأنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون، في تلك الحال اختبر المؤمنون وزلزلوا زلزالًا شديدًا، وقال المنافقون لا مقام لنا عند النبي ﷺ في مقام المرابطة، وارجعوا إلى بيوتكم ومنازلكم، وقالوا بيوتنا نخاف عليها العدو، وليس دونها ما يحجبها عن العدو، وإنما يريدون هربًا من الزحف، ولو دخل عليهم الأعداء من كل جانب من جوانب المدينة، وقطر من أقطارها ثم سئلوا الفتنة -وهي الدخول في الكفر- لكفروا سريعًا، وهم لا يحافظون على الإيمان، ولا يستمسكون به مع أدنى خوف وفزع، وقد كانوا عاهدوا الله من قبل هذا الخوف ألا يولوا الأدبار ولا يفروا من الزحف، وسيسألهم الله عن ذلك العهد.

قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا
لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٦﴾ قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ
أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧﴾ ۞ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ
لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً
عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ
كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم
بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ
ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٩﴾ يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ
لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ
فِي ٱلۡأَعۡرَابِ يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم
مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢٠﴾ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ
حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾
وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ﴿٢٢﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٢

ظن المنافقون أن فرارهم يؤخر آجالهم، ويطيل أعمارهم، وما علموا أن الآجال مكتوبة، بل ربما يكون الفرار سببًا في تعجيل أخذهم غرة بعد هربهم وفرارهم، فمن يمنعهم من عذاب الله إن أراد هزيمتهم أو أراد نصرتهم فلا يجدون من دون الله قريبًا ينفعهم ولا ناصرًا يمنعهم، والله يعلم المثبطين للناس عن رسول الله ﷺ والقائلين ارجعوا إلينا ودعوا محمدًا فلا تشهدوا معه الحرب، فإنا نخاف عليكم الهلاك، وتعالوا إلى ما نحن فيه من الإقامة في الظلال والثمار، ولا يشهدون الحرب إلا وقتًا قليلًا مع خوفهم وجبنهم، رياء وسمعة من غير احتساب، وهم بخلاء بالنفقة في سبيل الله والنصرة، وبخلاء بالمودة، والشفقة والرحمة، ففي وقت القتال يجزعون ويخافون، ومن شدة خوفهم وجبنهم تدور أعينهم في رؤوسهم كدوران الذي يغشى عليه من الموت، فإذا كان الأمن تكلموا كلامًا بليغًا فصيحًا عاليًا، وادعوا لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة والنجدة، وهم يكذبون في ذلك.

وآذوا المؤمنين ورموهم بالنقيصة بألسنة حادة تقطع وتجرح، وفي وقت قسمة الغنيمة يقولون أعطونا فإنا قد شهدنا معكم القتال، فلستم أحق بالغنيمة منا، فهم عند الغنيمة أشح قوم، وعند البأس أجبن قوم، ليس فيهم خير، قد جمعوا الجبن والكذب وقلة الخير، وعدم الإيمان فأحبط الله أعمالهم، ومن جبنهم وخورهم أنهم لم يصدقوا برحيل الأحزاب وهزيمتهم، وظنوا أن لهم رجعة إلى المدينة، ويودون إذا جاءت الأحزاب أن يكونوا في البادية خارج المدينة يسألون عن أخبار المؤمنين وما كان من أمرهم مع عدوهم، ولو كانوا مع المؤمنين لم يقاتلوا إلا قليلًا؛ لكثرة جبنهم وذلتهم وضعف يقينهم.

وأمر الله المؤمنين بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب، في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه، ﷻ، صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين؛ وأُمر المؤمنون بالتأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله في جميع الأوقات، فهو قدوة المؤمنين وهو قائدهم دلهم على الخير والهدى والبر والتقوى، فمن كان يرجو ثواب الله ويخشى الله ويخشى يوم البعث الذي فيه جزاء الأعمال، وأكثر من ذكر الله في جميع المواطن على السراء والضراء، فليتخذ رسول ﷺ قدوة في جميع أحواله، والمؤمنون بصبرهم ويقينهم لما رأوا الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار والامتحان الذي يعقبه النصر القريب؛ ولم تزدهم تلك الحال والضيق والشدة إلا إيمانًا بالله، وانقيادًا لأوامره، وطاعة لرسوله.

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

المؤمنون الصادقون بقوا على العهد والميثاق وباعوا أنفسهم رخيصة في سبيل الله، لم يغيروا ولم يبدلوا، ولم ينقضوا عهد الله وميثاقه، فمنهم من استشهد في سبيل الله مقبلًا غير مدبر، ومنهم من ينتظر الشهادة ويتمناها، ويسعى لحصولها، وإنما يختبر الله عباده بالخوف والشدائد ليميز الخبيث من الطيب، فيظهر أمر هذا بالفعل، وأمر هذا بالفعل، مع أنه تعالى يعلم الشيء قبل كونه، ولكن لا يعذب الخلق بعلمه فيهم، حتى يعملوا بما يعلمه فيهم، فيجزي الله الصادقين بصبرهم على ما عاهدوا الله عليه، وقيامهم به، ومحافظتهم عليه، ويعذب المنافقين الناقضين لعهد الله، المخالفين لأوامره، فاستحقوا بذلك عقابه وعذابه، ولكنهم تحت مشيئته في الدنيا، إن شاء استمر بهم على ما فعلوا حتى يلقوه به فيعذبهم عليه، وإن شاء تاب عليهم بأن أرشدهم إلى النزوع عن النفاق إلى الإيمان، وعمل الصالح بعد الفسوق والعصيان، ولما كانت رحمته ورأفته بخلقه هي الغالبة لغضبه، بيّن لعباده رحمته ومغفرته.

ورد الله الأحزاب فأجلاهم عن المدينة، بما أرسل عليهم من الريح والجنود الإلهية، ولولا أن جعل الله رسوله رحمة للعالمين لكانت هذه الريح عليهم أشد من الريح العقيم على عاد، فسلط عليهم هواء فرَّق شملهم، كما كان سبب اجتماعهم من الهوى، وهم أخلاط من قبائل شتى، أحزابًا وآراء، فناسب أن يرسل عليهم الهواء الذي فرق جماعتهم، وردهم خائبين خاسرين بغيظهم وحنقهم، لم ينالوا خيرًا لا في الدنيا مما كان في أنفسهم من الظفر والمغنم، ولا في الآخرة بما تحملوه من الآثام في مبارزة الرسول صلوات الله وسلامه عليه بالعداوة وهمهم بقتله واستئصال جيشه.

ومن هَمَّ بشيء وصدق همه بفعله، فهو في الحقيقة كفاعله، وكفى الله المؤمنين القتال فلم يحتاجوا إلى منازلتهم ومبارزتهم حتى يجلوهم عن بلادهم، بل كفى الله وحده عباده، بحوله وقوته، وردهم خائبين لم ينالوا خيرًا، وأعز الله الإسلام وأهله وصدق وعده، ونصر رسوله وعبده، وهزم الأحزاب وحده، فلا شيء بعده.

وأمر الله جبريل أن يزلزل بني قريظة، فنهض رسول الله ﷺ من فوره، وأمر الناس بالمسير إلى بني قريظة، وحاصرهم وقذف الله في قلوبهم الرعب، ونزلوا على حكم الله تعالى فحكم عليهم سعد بن معاذ أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذريتهم وأموالهم، فخرجوا من حصونهم وقتلت المقاتلة وأبقي النساء والذرية، وأورث الله المؤمنين أرضهم وأرض مكة وخيبر بعدهم، وكان النبي صلوات الله وسلامه عليه في شظف من العيش وقلة ذات اليد، فطالبته نساؤه بالنفقة عليهن، فاعتزلهن رسول الله ﷺ شهرًا فجاءه الأمر من الله، بأن يخيّر نساءه بين أن يفارقهن فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال، ولهن عند الله في ذلك الثواب الجزيل، فاخترن -رضي الله عنهن وأرضاهن- الله ورسوله والدار الآخرة، فجمع الله لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة، وجعل لكل واحدة منهن أجرها مرتين، كما أن نشوز إحداهن يضاعف لها العذاب ضعفين في الدنيا والآخرة، وهذا على تقدير وقوعه وحاشهن من ذلك، وكان ذلك على الله سهلًا هينًا.

۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

أكرم الله أمهات المؤمنين الطاهرات بالمكانة العظيمة، فخصهن بالثواب الجزيل، فإنهن في منازل رسول الله ﷺ في أعلى عليين، فوق منازل جميع الخلائق، في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش، فالطاعة من إحداهن لها الأجر مرتين، لما لهن من الكرامة والرفعة، وأمر الله تعالى نساء النبي ﷺ، ونساء الأمة تبع لهن في ذلك، بأنهن إذا اتقين الله كما أمرهن فإنه لا يشبههن أحد من النساء، ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة، فتحافظ إحداهن على كرامتها بألا ترقق كلامها للأجنبي إذا خاطبته، فإن رقة الصوت سبب لفتنة الرجل وبالأخص ضعيف الإيمان الذي يطمع بالمرأة ويفتتن بصوتها، والأذن تزني وزناها السمع، وأمرهن بالقول الحسن الطيب المعروف في الخير، ليس فيه ترخيم، وأمرهن بلزوم بيوتهن فلا يخرجن لغير حاجة، ومن الحوائج الشرعية الصلاة في المسجد بشرطه، وهو عدم الزينة والطيب وبيوتهن خير لهن، والمرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان، وزينها في نظر الرجال، والأمر لأمهات المؤمنين وللمؤمنات بعدهن، وبذلك ندرك أن خروج المرأة من بيتها يكون في وقت الضرورة وقدر الحاجة، وقرارها بالبيت يبعدها عن الرجال والاختلاط بهم، ونهاهن عن التبرج وإظهار الزينة أمام الرجال، والمرأة إذا خرجت تمشي بين يدي الرجال، فذلك تبرج الجاهلية، فنهاهن أولًا عن الشر ثم أمرهن بالخير من إقامة الصلاة، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وإيتاء الزكاة، وهي الإحسان إلى المخلوقين، وطاعة الله في أوامره ونواهيه وطاعة رسوله فيما أمر وفيما نهى، وهذه الأومر والنواهي لأمهات المؤمنين وللنساء بعدهن سبب لتجنب الإثم ونجاسة المعصية، وسبب من أسباب طهارة العرض والعفة عن الحرام، والله لطيف بعباده ومن لطفه بالمرأة أن جعل لها تشريعًا يخصها، فيه حفظ عرضها وفيه طهارتها وهو سبحانه الخبير بعباده، شرع لهم ما فيه نجاتهم، ومن لطفه أن جعل أمهات المؤمنين بهذه المنزلة وجعلهن في بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة، وقد أعد الله لعباده من المنازل ما يصلونها بأعمالهم فالمسلمون والمسلمات لهم أجرهم وثوابهم، والإسلام الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك ومعاداة أهله، والمؤمنون والمؤمنات لهم أجورهم، والإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، والقنوت هو الطاعة في سكون، فمن قنت لله من ذكر أو أنثى فله أجره عند ربه، والصدق خلاف الكذب وهو في الأقوال والأفعال، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، ولا تزال المرأة تصدق وتتحرى الصدق حتى تكتب عند الله صديقة، والصبر حبس النفس عن الجزع والتسخط، والرضا بعد الصبر، والصبر أنواع؛ صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة، ومن صبر من مؤمن أو مؤمنة كان له الثواب بلا حد ولا عد، والخشوع السكون والطمأنينة، والتؤدة والوقار والتواضع، والحامل عليه الخوف من الله ومراقبته، فمن خشع لله في عبادته من الرجال والنساء نال منزلة الخشوع عند الله، والصدقة هي الإحسان إلى الناس المحاويج الضعفاء، الذين لا كسب لهم ولا كاسب، يعطون من فضول الأموال طاعة لله وإحسانًا إلى خلقه، والمتصدق والمتصدقة يجدون صدقاتهم يوم القيامة أحوج ما كانوا إليها، والصوم زكاة البدن، يزكيه ويطهره وينقيه من الأخلاط الرديئة طبعًا وشرعًا، وهو إمساك عن جميع المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ومن صام يومًا، ومن صامت يومًا، ابتغاء وجه الله باعدهم الله عن النار، وحفظ الفرج عن المحارم والمآثم إلا عن المباح من أجلِّ الطاعات، فمن حفظ ما بين لحييه وما بين فخذيه فليبشر بالجنة، والمرأة إذا حفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها، وذِكرُ الله أفضل من الجهاد في سبيل الله، وخير من إنفاق الأموال، فمن أكثر من ذكر الله أفلح وسبق، ومن أكثرت من ذكر الله فازت وسبقت غيرها، وكل هؤلاء هيأ الله لهم مغفرة لذنوبهم وأجرًا عظيمًا وهو الجنة.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ
لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا
مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ
أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ
مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ
مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ
أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا
﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى
ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ
يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ
بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن
رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً
وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم
مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

إذا حكم الله ورسوله بشيء، فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد، ولا رأي ولا قول، فالمؤمن والمؤمنة لا اختيار لهما أمام اختيار الله ورسوله، فلا يريدا غير ما أراد الله، أو يمتنعا مما أمر الله ورسوله به، ومن خالف أوامر الله وأوامر رسوله وأخذ باختياره فقد أخطأ خطأ ظاهرًا، وقد كان النبي صلوات الله وسلامه عليه قد زوج بنت عمته زينب بنت جحش لمولاه زيد بن حارثة ورضيت به لاختيار رسول الله ﷺ له، وقد أنعم الله عليه بالإسلام ومتابعة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام وأنعم عليه الرسول بالعتق من الرق، وجاء زيد بن حارثة إلى النبي ﷺ يشكوها فجعل رسول الله يقول له أمسك عليك زوجك واتق الله، وكان الله أعلم نبيه أنها ستكون من زوجاته، وكان النبي ﷺ يخفي في نفسه ذلك الأمر، وكان يخشى أن يتكلم الناس أنه تزوج امرأة ابنه بالتبني، فأبطل الله ذلك وزوَّجه زينب من فوق سبع سموات، بعدما طلقها زيد وقضى حاجته منها وفارقها، وكان ولي تزويجها منه هو الله ﷻ، وأوحى إليه أن يدخل عليها بلا ولي ولا مهر ولا عقد ولا شهود من البشر، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن، وأباح الله لرسوله ﷺ الزواج بها؛ لئلا يبقى حرج على المؤمنين في تزويج مطلقات الأدعياء، وكان هذا الأمر الذي وقع قد قدره الله تعالى وقضاه، وهو كائن لا محالة، وكانت زينب في علم الله ستصير من أزواج النبي ﷺ، وما كان على النبي ﷺ من حرج فيما أحل له وأمره به من تزويج زينب التي طلقها دعيه زيد بن حارثة، وهذا حكم الله في الأنبياء قبله، لم يكن ليأمرهم بشيء وعليهم في ذلك حرج، وكان أمره الذي يقدره كائنًا لا محالة وواقعًا لا محيد عنه ولا معدل، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فالأنبياء الذين يبلغون رسالات الله إلى خلقه ويؤدونها بأمانتها، ويخافونه ولا يخافون أحدًا سواه فلا تمنعهم سطوة أحدٍ عن إبلاغ رسالات الله، وكفى بالله ناصرًا ومعينًا لهم، وسيد الناس في هذا المقام محمد رسول الله ﷺ؛ فإنه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغارب، إلى جميع أنواع بني آدم، وأظهر الله كلمته ودينه وشرعه على جميع الأديان، فإنه قد كان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وأما هو صلوات الله وسلامه عليه فإنه بعث إلى جميع الخلق عربهم وعجمهم، ثم ورث مقام البلاغ عنه أمته من بعده أصحابه ﷺ بلغوا عنه كما أمرهم به، ثم ورثه كل خلف عن سلفهم إلى زماننا هذا، فبنورهم يقتدي المهتدون، وعلى منهجهم يسلك الموفقون، فنسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من خلفهم، ولم يكن النبي ﷺ له ابن ينسب له فإنه صلوات الله عليه وسلامه لم يعش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم؛ فإنه ولد له القاسم، وعبدالله، من خديجة فماتوا صغارًا، وولد له إبراهيم من مارية، فمات رضيعًا، وكان له من خديجة أربع بنات: زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، ﷺ أجمعين، فمات في حياته ثلاث وتأخرت فاطمة حتى أصيبت به صلوات الله وسلامه عليه، ثم ماتت بعده لستة أشهر، ولكنه رسول الله وخاتم النبيين لا نبي بعده فلا رسول بعده، فالرسالة والنبوة قد انقطعت بعده، فلا رسول بعده ولا نبي، ومن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد صلوات الله وسلامه عليه، إليهم، فمن ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك ضال مضل، وأمر الله عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تعالى، المنعم عليهم بأنواع النعم، لما لهم في ذلك من جزيل الثواب، فإن الله لم يجعل للذكر حدًّا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على تركه، والتسبيح والتهليل والتحميد من الذكر وإذا فعل العباد ذلك صلى الله عليهم وملائكته، والصلاة من الله ثناؤه على العبد عند الملائكة، وأما الصلاة من الملائكة، فبمعنى الدعاء للناس والاستغفار، وبسبب رحمة الله بعباده وثنائه عليهم ودعاء ملائكته لهم يخرجهم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهدى واليقين، وهو سبحانه رحيم بهم في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فإنه هداهم إلى الحق الذي جهله غيرهم، وبصرهم الطريق الذي ضل عنه وحاد عنه من سواهم، وأما رحمته بهم في الآخرة فأمنهم من الفزع الأكبر، وأمر ملائكته أن يتلقوهم بالبشارة بالفوز بالجنة والنجاة من النار، وما ذاك إلا لمحبته لهم ورأفته بهم.

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا
إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم
مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ
وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ
مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَاۖ
فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ
أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ
يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ
وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً
مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا
خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا
عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا
يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

تحية المؤمنين يوم القيامة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وهي تحية أهل الجنة، وهي تحية يوم المزيد، يحييهم رب العالمين، وأعد الله لهم الجنة وما فيها من المآكل والمشارب، والملابس والمساكن، والمناكح والملاذ والمناظر وما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وقد أرسل الله نبيه محمدًا ﷺ شاهدًا على أمته ومبشرًا بالجنة، وبشيرًا للمؤمنين بجزيل الثواب، ونذيرًا للكافرين من النار ووبيل العقاب، وداعيًا إلى شهادة أن لا إله إلا الله بإذنه، وسراجًا منيرًا بالقرآن، وحرزًا للأميين، ليس بفظ ولا غليظ، ولا في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله، فيفتح بها أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا.

ونهى الله نبيه عن طاعة الكافرين والمنافقين، وأن يترك أذاهم ولا يسمع منهم في الذي يقولونه، فيصفح ويتجاوز عنهم، ويكل أمرهم إلى الله، فإن فيه كفاية لهم، والله كافيه وناصره ومؤيده

وقد أرشد الله عباده المؤمنين إلى أحكام النكاح والطلاق والعدة، فالنكاح هو عقد الزوجية الصحيح، ولو لم يحصل مسيس ولا خلوة، والطلاق حل قيد النكاح أو بعضه، والعدة تربص محدود شرعًا بسبب طلاق أو وفاة، فإذا طلق الزوج بعد العقد، وقبل الدخول فإنه يترتب على هذا الطلاق أنه لا عدة لها، أما المتوفى عنها زوجها فإنها تعتد منه أربعة أشهر وعشرًا، وإن لم يكن دخل بها بالإجماع، فإن كان حدد المهر فلها نصف المهر، أما إذا لم يحدد المهر فلها المتعة وهي مال أو متاع يعطيه المطلق لمطلقته تطييبًا لخاطرها ولا يرتبط بأن يكون نصف المهر، وإنما على حسب يسر الزوج أو عسره، ولو أعطاها متعة أكثر من مهر مثيلاتها جاز، وبالمتعة يكون السراح الجميل.

وقد أحل الله لنبيه، صلوات الله وسلامه عليه من النساء أزواجه اللاتي أعطاهن مهورهن، وأباح له التسري مما أخذ من المغانم، وأباح له بنت العم والعمة، وبنت الخال والخالة، وأباح له من وهبت نفسها له وأراد نكاحها، بغير مهر، وتلك من خصائص النبي ﷺ، وليس لامرأة أن تهب نفسها لرجل بغير ولي ولا مهر إلا للنبي ﷺ، وأما المؤمنون فقد فرض الله عليهم في الزواج من حصرهم في أربع نسوة حرائر، وما شاءوا من الإماء، واشتراط الولي والمهر والشهود عليهم، وقد رخص الله لنبيه في ذلك، فلم يوجب عليه من ذلك شيئًا.

۞ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ
مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ
وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ
مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا ٥١ لَّا يَحِلُّ لَكَ
ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ
حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا
٥٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن
يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ
فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ
ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا
يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن
وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ
لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ
مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣ إِن
تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٥٤

جعل الله لنبيه ﷺ اختيار ما يشاء من الواهبات أنفسهن، وخيره في القسم بينهن، وفي القسم بين النساء اللاتي عنده، إن شاء قسم وإن شاء لم يقسم، وكان النبي ﷺ يقسم، وكان يستأذنهن في ذلك واستاذنهن أن يمرض عند عائشة في مرض موته، وإذا علمت أمهات المؤمنين أن الله قد وضع عن نبيه الحرج في القسم،، ثم كان مع هذا يقسم بينهن اختيارًا منه -لا على سبيل الوجوب- فرحن بذلك واستبشرن به وحملن جميل النبي ﷺ في ذلك، واعترفن بمنته عليهن في قسمه لهن وتسويته بينهن وإنصافه لهن وعدله فيهن، والله يعلم ما في القلوب من الميل إلى بعضهن دون بعض، مما لا يمكن دفعه، ولكن ذلك لا يمنع من العدل بين الضرائر، والله عليم بضمائر السرائر، يحلم ويغفر سبحانه وتعالى.

وقد أكرم الله زوجات النبي ﷺ ورضي عنهن على حسن صنيعهن في اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة، لما خيرهن رسول الله ﷺ فاخترن رسول الله ﷺ، وكان جزاؤهن أن الله قصره عليهن، وحرم عليه أن يتزوج بغيرهن، أو يستبدل بهن أزواجًا غيرهن، ولو أعجبه حسنهن إلا الإماء والسراري فلا حجر عليه فيهن، ثم إنه تعالى رفع عنه الحرج في ذلك ونسخ هذا الحكم، وأباح له التزوج، ولكن لم يقع منه بعد ذلك تزوج لتكون المنة للرسول ﷺ عليهن، ولما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش، دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون، فإذا هو كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، فلما قام، قام من قام، وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي ﷺ ليدخل، فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا فانطلق أنس، فجاء فأخبر النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل، فأدب الله المؤمنين بأن لا يدخلوا منازل رسول الله ﷺ بغير إذن، كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الإسلام، واستثنى من ذلك إذا دعوا إلى طعام، وحرم عليهم التطفل وهو انتظار نضج الطعام، حتى إذا قارب الاستواء تعرضوا للدخول، وعلمهم بآداب الوليمة، من إجابة الدعوة، والانتشار بعد أكل الطعام، وعدم الاسترسال في الحديث بعد الطعام، كما وقع لأولئك النفر الثلاثة الذين استرسل بهم الحديث، ونسوا أنفسهم، حتى شق ذلك على رسول الله ﷺ، وكان النبي يستحيي أن يطلب منهم الخروج، والله لا يستحي من الحق، والحياء صفة فعلية لله تبارك وتعالى على الوجه اللائق بالله تعالى، ونهى الله المؤمنين الدخول على أمهات المؤمنين، وما جعل الاستئذان إلا من أجل النظر، وأمرهن عند السؤال عن الحاجة أن يكون من وراء حجاب، وفي ذلك طهارة القلوب للجميع، وهذا من أصرح الأدلة في منع الاختلاط ووجوب الحجاب، فإن كان الكلام من وراء حجاب هو الطهارة لقلوب أمهات المؤمنين وللصحابة، فإن غيرهم من باب أولى وأحرى، وأجمع العلماء قاطبة على أن من توفي عنها رسول الله ﷺ من أزواجه أنه يحرم على غيره تزوجها من بعده؛ لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين، ويحرم إيذاء النبي ﷺ بأي أنواع الإيذاء، ومهما تكن ضمائر العباد وتنطوي عليه سرائرهم فإن الله يعلمه؛ فإنه لا تخفى عليه خافية، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

نصف الحزب ٤٣

لما أمر الله تعالى النساء بالحجاب من الأجانب، بيّن أن مِن الأقارب مَن لا يجب الاحتجاب منهم، وهم الآباء والأبناء والإخوان وأبناء الإخوان وأبناء الأخوات، والأعمام والأخوال، والنساء وأرقائهن من الذكور والإناث، وعلى المرأة خشية الله وخوفه في الخلوة والعلانية، فإنه شهيد على كل شيء، لا تخفى عليه خافية، فليراقبن الرقيب.

ومن تشريف الله لعبده ورسوله محمد ﷺ أن صلى الله عليه وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه وصلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء، فمنزلة عبد الله ونبيه ﷺ في الملأ الأعلى، بأن الله يثني عليه عند الملائكة المقربين، والملائكة تدعو له، ثم أمر الله تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعًا، وقد توعد الله من آذاه، بمخالفة أوامره وارتكاب نواهيه، وإصراره على ذلك، وآذى رسوله ﷺ بعيب أو تنقص، عياذًا بالله من ذلك، توعدهم بالطرد والإبعاد عن رحمته في الدنيا والآخرة، وفي الآخرة في العذاب المهين، ومن آذى رسول الله ﷺ فقد آذى الله، ومن أطاعه فقد أطاع الله، وكذلك الذين يؤذون المؤمنين، فينسبون إليهم ما هم برآء منه مما لم يعملوه ولم يفعلوه على سبيل العيب والتنقص لهم، ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد الكفرة بالله ورسوله، ثم الرافضة الذين يتنقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد برأهم الله منه، ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم؛ فإن الله ﷻ قد أخبر أنه قد رضي عنهم، ومن كانت تلك حالته فقد حمل إثم الكذب الواضح البين الظاهر، وأمر الله رسوله ﷺ أن يأمر النساء المؤمنات خاصة أزواجه وبناته لشرفهن بأن يدنين عليهن من جلابيبهن، ليتميزن عن سمات نساء الجاهلية وسمات الإماء، والجلباب هو الرداء فوق الخمار، فأمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب، ويبدين عينًا واحدة، فكانت نساء المؤمنين لما نزلت آية الحجاب كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة، وعليهن أكسية سود يلبسنها، فإذا فعلن ذلك عرفن أنهن حرائر، فلا يتعرض لهن فاسق بأذى ولا ريبة، فهذا حجاب المرأة التي أمرت به وهو تغطية جميع بدنها أمام الأجانب من الرجال، ولا يحل لها أن تظهر من جسمها شيئ أمام الأجانب، والوجه هو ما يعرف به كل شخص وهو مجمع الحسن والقبح فكان أولى ما يستر في المرأة، والله غفور على ما يقع من المرأة من تقصير في حجابها من دون قصد أو تعمد، رحيم بالمرأة فأوجب عليها الحجاب حفاظًا عليها، ورحيم بالرجال فأوجب الحجاب حتى يسلموا من فتنة النساء، وتوعد الله المنافقين، الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، الذين في قلوبهم مرض وهو الكفر والشك، الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا فينادون بخروج المرأة وتبرجها وسفورها ونزع حجابها واختلاطها بالرجال، ويفشون الأخبار الكاذبة، بأن يسلط الله عليهم رسوله والمؤمنون، فلا يكون لهم مقام في المدينة، فهم مطرودون مبعدون، أينما وجدوا وأدركوا، يأخذوا ويقتلوا لذلتهم وقلتهم، وتلك سنة الله في المنافقين -إذا مردوا على نفاقهم وكفرهم ولم يرجعوا عما هم فيه- أن أهل الإيمان يسلطون عليهم ويقهرونهم، وسنة الله في ذلك لا تبدل ولا تغير.

يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴿٧٣﴾

علم الساعة لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل، فلا يعلم الساعة إلا الله ﷻ، والساعة قريبة، فبعثة النبي ﷺ من علامات الساعة، والكفار مبعدين عن رحمة الله وأعد لهم في الدار الآخرة عذابًا أليمًا، ماكثين فيه لا خروج لهم منه، ولا زوال لهم عنه، وليس لهم مغيث ولا معين ينقذهم مما هم فيه، يسحبون في النار على وجوههم، وتلوى وجوههم على جهنم، يتمنون أن لو كانوا في الدار الدنيا ممن أطاع الله وأطاع الرسول، وكان سبب ضلالهم طاعتهم للسادة وهم الأمراء والكبراء، وخالفوا الرسل واعتقدوا أنهم على شيء فإذا هم ليسوا على شيء، فهم في النار يدعون ربهم على من أضلهم بأن يضاعف لهم العذاب، وأن يبعدوا عن رحمة ربهم بسبب كفرهم وإغوائهم لغيرهم، ونهى الله المؤمنين عن إيذاء الأنبياء والمؤمنين، فلا يكونوا كبني إسرائيل لما آذوا كليم الله موسى ﷺ، فإن موسى ﷺ كان رجلا حييًا ستيرًا، لا يرى من جلده شيء حياء منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا ما يتستر هذا التستر إلا من عيب بجلده، إما برص وإما أدرة وإما آفة، وإن الله ﷻ أراد أن يبرئه مما قالوا فخلا يومًا وحده، فخلع ثيابه على حجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل، فرأوه عريانًا أحسن ما خلق الله ﷻ وأبرأه الله مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربًا بعصاه، ولم ينقصه إيذاء بني إسرائيل فكانت له وجاهة وجاه عند ربه ﷻ وكان مستجاب الدعوة عند الله، ولم يسأل الله شيئًا إلا أعطاه، وأمر الله عباده المؤمنين بتقواه، وأن يعبدوه عبادة من كأنه يراه، وأن يقولوا قولًا مستقيمًا لا اعوجاج فيه ولا انحراف، ووعدهم أنهم إذا فعلوا ذلك أثابهم عليه بأن يوفقهم للأعمال الصالحة، وأن يغفر لهم الذنوب الماضية، وما قد يقع منهم في المستقبل يلهمهم التوبة منها، ومن يطع الله ورسوله فإنه يجار من النار، ويصير إلى النعيم المقيم، وقد عرض الله الفرائض على السموات والأرض والجبال، إن أدوها أثابهم، وإن ضيعوها عذبهم، فكرهوا ذلك وأشفقوا من غير معصية، ولكن تعظيمًا لدين الله ألا يقوموا به، ثم عرضها على ابن آدم فقبلها بما فيها، على ضعفه وجهله وظلمه، إلا من وفق الله، وبالله المستعان، وإنما حمل ابن آدم الأمانة وهي التكاليف ليعذب الله المنافقين منهم والمنافقات -وهم الذين يظهرون الإيمان خوفًا من أهله ويبطنون الكفر متابعة لأهله- والمشركين والمشركات، وهم الذين ظاهرهم وباطنهم على الشرك بالله ﷻ ومخالفة رسله، وليرحم المؤمنين من الخلق الذين آمنوا بالله، وملائكته وكتبه ورسله العاملين بطاعته.

سُورَةُ سَبَإٍ

ترتيبها ٣٤ — آياتها ٥٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾



سورة سبأ

وهي سورة مكية، وسميت بذلك لذكر قصة سبأ فيها

لله الحمد المطلق في الدنيا والآخرة؛ لأنه المنعم المتفضل على أهل الدنيا والآخرة، له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم، فالجميع ملكه وعبيده وتحت قهره وتصرفه، فهو المعبود أبدًا، المحمود على طول المدى، وهو الحكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره، وهو الخبير الذي لا تخفى عليه خافية، ولا يغيب عنه شيء، يعلم عدد القطر النازل في أجزاء الأرض، والحب المبذور والكامن فيها، ويعلم ما يخرج من ذلك، عدده وكيفيته وصفاته، وما ينزل من السماء من قطر ورزق، وما يصعد إلى السماء من الأعمال الصالحة وغير ذلك، وهو الرحيم بعباده فلا يعاجل عصاتهم بالعقوبة، الغفور عن ذنوب عباده التائبين إليه المتوكلين عليه.

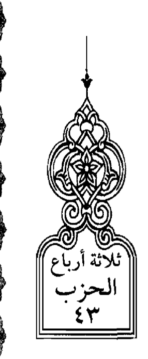
وأمر الله رسوله ﷺ أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد لما أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد، فهو عالم الغيب لا يغيب عنه شيء، فالجميع تحت علمه فلا يخفى عليه منه شيء، فالعظام وإن تلاشت وتفرقت وتمزقت فهو عالم أين ذهبت وأين تفرقت ثم يعيدها كما بدأها أول مرة، فإنه بكل شيء عليم.

والحكمة في إعادة الأبدان وقيام الساعة لينعم السعداء من المؤمنين، ويعذب الأشقياء من الكافرين، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم المغفرة والجنة، والذين سعوا في الصد عن سبيل الله وتكذيب رسله، وظنوا أن الله يعجزه عذابهم فلهم سوء العذاب يوم القيامة.

فالمؤمنون بما أنزل على الرسل إذا شاهدوا قيام الساعة ومجازاة الأبرار والفجار بالذي كانوا قد علموه من كتب الله في الدنيا رأوه حينئذ عين اليقين، فكان إيمانهم هداية لهم إلى الصراط المستقيم، وهو الطريق إلى الله العزيز المنيع الجناب، الذي لا يغالب ولا يمانع، بل قد قهر كل شيء، والحميد في جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره، وهو المحمود في ذلك كله.

أما المكذبون فيستبعدون قيام الساعة والبعث بعد الموت، فيستهزئون بالرسول ﷺ في إخباره بذلك بأن الله يحيي الأجساد بعد التفرق في الأرض والذهاب فيها كل مذهب، وقد تمزقت كل ممزق فكيف تعود إلى الحياة من جديد، وما علموا أن الله تعالى هو القادر على كل شيء سبحانه.

أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ
فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ
وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ
ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَةً لِّكُلِّ عَبۡدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلًاۖ
يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعۡمَلۡ
سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ
بَصِيرٞ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ
وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ
رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾
يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ
وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ
ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ
إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ
أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ﴿١٤﴾



رمى الكفار النبي ﷺ بالكذب على الله، أو بالجنون لما أخبرهم عن البعث بعد الموت، فجاء الرد عليهم ليس الأمر كما زعموا ولا كما ذهبوا إليه، بل محمد ﷺ هو الصادق البار الراشد الذي جاء بالحق، وهم الكذبة الجهلة، ففي الدنيا في ضلال عن الحق، وفي يوم القيامة في العذاب المهين، وكل ذلك الإنكار لما في قلوبهم من استبعاد إحياء العظام البالية والأجساد المتمزقة، وهم يرون حيثما توجهوا وذهبوا أن السماء مظللة عليهم، والأرض تحتهم، وهي تدل على قدرة الله تعالى، ولو شاء الله لخسف بهم الأرض أو أسقط عليهم قطعًا من السماء، ولكن الله يؤخر ذلك لحلمه وعفوه عن عباده، وإن في النظر إلى خلق السماء والأرض لدلالة لكل عبد فطن لبيب رجّاع إلى الله على قدرة الله على بعث الأجساد ووقوع المعاد؛ لأن من قدر على خلق هذه السموات في ارتفاعها واتساعها، وهذه الأرضين في انخفاضها وأطوالها وأعراضها، قادر على إعادة الأجسام ونشر الرميم من العظام، وقد أنعم الله على عبده ورسوله داود صلوات الله وسلامه عليه مما آتاه من الفضل المبين، وجمع له بين النبوة والملك المتمكن، والجنود ذوي العَدد والعُدد، وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم، الذي كان إذا سبح به تسبح معه الجبال الراسيات، الصم الشامخات، وتقف له الطيور السارحات، والغاديات والرائحات، وتجاوبه بأنواع اللغات، وألان له الحديد فكان لا يحتاج أن يدخله نارًا ولا يضربه بمطرقة، بل كان يفتله بيده مثل الخيوط؛ فيعمل به الدروع، وكانت صنعته دقيقة، وكانت مسامير الدروع على قدر حلقاتها وكان يعمل الدرع، فإذا اكتمل من عمله درع باعها، فتصدق بثلثها، واشترى بثلثها ما يكفيه وعياله، وأمسك الثلث يتصدق به يومًا بيوم إلى أن يعمل غيرها، يستعين بصناعتها على العمل الصالح، والله هو البصير بأعمال عباده وأقوالهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء، ومن ذلك ما أنعم الله به على سليمان ﷺ من تسخير الريح له تحمل بساطه، غدوها شهر ورواحها شهر، وأسال له عين النحاس، وسخر له الجن يعملون بين يديه بقدره الله وتسخيره لهم بمشيئته ما يشاء من البنايات وغير ذلك، ومن يعدل ويخرج منهم عن الطاعة يكون له عذاب الحريق، يعملون له ما يشاء من المحاريب وهي البناء الحسن، وهو أشرف شيء في المسكن وصدره، والتماثيل من النحاس، وكانت مباحة في شرعه، محرمة في شرعنا، ويصنعون الصحاف كالحوض الذي يجبى فيه الماء، والقدور الثابتات، في أماكنها لا تتحول ولا تتحرك عن أماكنها لعظمها، وهم مع هذه النعم يشكرون الله على نعمه وفضله وجزائه، وقليل من العباد من إذا أعطي شكر ربه، ومن الشكر العمل الصالح، فالصلاة شكر، والصيام شكر، وكل خير تعمله لله شكر، وأفضل الشكر الحمد، وقد عمى الله موت سليمان ﷺ على الجان المسخرين له في الأعمال الشاقة، فإنه مكث متوكئًا على عصاه مدة طويلة نحوًا من سنة، فلما أكلتها دابة الأرض، وهي الأرضة، ضعفت وسقط إلى الأرض، وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة، فتبينت الجن والإنس، أن الجن لا يعلمون الغيب، كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك، فأخرجوه، ووجدوا منسأته وهي العصا بلسان الحبشة، قد أكلتها الأرضة، ولم يعلموا منذ كم مات، فتيقنوا أنه لا يعلم الغيب إلا الله.

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ
كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ
﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ
جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ
﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً
وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾
فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ
أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا
فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ
إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ
عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى
ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

كانت سبأ ملوك اليمن وأهلها، وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم، وعيشهم واتساع أرزاقهم وزروعهم وثمارهم، وبعث الله إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه، ويشكروه بتوحيده وعبادته، فكانوا كذلك ما شاء الله ثم أعرضوا عما أمروا به، فعوقبوا بإرسال السيل والتفرق في البلاد، وقد كان الماء يأتيهم من بين جبلين وتجتمع إليه سيول أمطارهم وأوديتهم، فعمد ملوكهم، فبنوا بينهما سدًّا عظيمًا محكمًا حتى ارتفع الماء، فغرسوا الأشجار واستغلوا الثمار في غاية ما يكون من الكثرة والحسن، حتى إن المرأة كانت تمشي تحت الأشجار وعلى رأسها مكتل أو زنبيل، وهو الذي تخترف فيه الثمار، فيتساقط من الأشجار في ذلك ما يملؤه من غير أن يحتاج إلى كلفة ولا قطاف، لكثرته ونضجه واستوائه، وكان هذا السد بمأرب ولم يكن ببلدهم شيء من الذباب ولا البعوض ولا البراغيث، ولا شيء من الهوام، وذلك لاعتدال الهواء وصحة المزاج وعناية الله بهم، ليوحدوه ويعبدوه، وهو غفور لهم إن استمروا على التوحيد، فأعرضوا عن توحيد الله وعبادته وشكره على ما أنعم به عليهم، وعدلوا إلى عبادة الشمس، فأرسل الله عليهم سيل العرم وهو الماء الغزير، ولما أراد الله عقوبتهم بإرسال العرم عليهم، بعث على السد دابة من الأرض، يقال لها الجرذ نقبته حتى إذا ضعف ووهى، وجاءت أيام السيول، صدم الماء البناء فسقط، فانساب الماء في أسفل الوادي، وخرب ما بين يديه من الأبنية والأشجار وغير ذلك، ونضب الماء عن الأشجار التي في الجبلين عن يمين وشمال، فيبست وتحطمت، وتبدلت تلك الأشجار المثمرة الأنيقة النضرة، والمناظر الحسنة، والظلال العميقة والأنهار الجارية، إلى شجر الأراك والطرفاء والسدر ذي الشوك الكثير والثمر القليل، وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله، وتكذيبهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل، ولا يعاقب الله إلا الكفور، وقد كانوا في الغبطة والنعمة، والعيش الهنيء الرغيد، والأماكن الآمنة، والقرى المتواصلة المتقاربة، بعضها من بعض، مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها، بحيث إن مسافرهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء، بل حيث نزل وجد ماء وثمرًا، ويقيل في قرية ويبيت في أخرى، بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم؛ وكان الأمن حاصل لهم في سيرهم ليلًا ونهارًا، فكفروا وسألوا ربهم أن يباعد بين أسفارهم، فجعلهم الله حديثًا للناس، وسمرًا يتحدثون به من خبرهم، وكيف مكر الله بهم، وفرق شملهم بعد الاجتماع والألفة والعيش الهنيء تفرقوا في البلاد ها هنا وها هنا؛ وإن الذي حل بهؤلاء من النقمة والعذاب، وتبديل النعمة وتحويل العافية، عقوبة على ما ارتكبوه من الكفر، لعبرة ودلالة لكل عبد صبار على المصائب، شكور على النعم، وكان كل ذلك في اتباعهم الهوى والشيطان، وما كان له عليهم من حجة، فما ضربهم بعصا، ولا أكرههم على شيء، وما كان إلا غرورًا وأماني دعاهم إليها فأجابوه.

وإنما سلطه الله عليهم ليظهر أمر من هو مؤمن بالآخرة وقيامها والحساب فيها والجزاء، فيحسن عبادة ربه ﷻ في الدنيا، ممن هو منها في شك، والله على كل شيء حفيظ، ومع حفظه ضل من ضل من أتباع إبليس، وبحفظه وكلاءته سلم من سلم من المؤمنين أتباع الرسل، والله الإله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لا نظير له ولا شريك له، بل هو المستقل بالأمر وحده، من غير مشارك ولا منازع ولا معارض، فإن كان المشركون صادقين فليدعوا الآلهة التي عبدوها من دون الله فإنهم لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، لا يملكون شيئًا استقلالًا، ولا على سبيل الشركة، وليس لله من هذه الأنداد من ظهير يستظهر به في الأمور، بل الخلق كلهم فقراء إليه، عبيد لديه.

الحزب ٤٤

وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَۖ كَلَّاۚ بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴿٣١﴾

الشفاعة في القرآن شفاعتان، شفاعة منفية، وهي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، وشفاعة مثبتة وهي ما توفر فيها شرطان: إذن الله للشافع أن يشفع، ورضاه عن المشفوع، وأعظم الشفاعات الشفاعة العظمى لأهل الموقف، وهذه خاصة بالنبي ﷺ، ويختص بالشفاعة لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة، والشفاعة فيمن استحق النار أن يخفف عنه العذاب وهذه لعمه أبي طالب، وبقية أنواع الشفاعة يشفع فيها الأنبياء والشهداء والصالحون والأفراط وغيرهم، فاللهم لا تحرمنا شفاعة نبيك ﷺ ووالدينا وأهلينا وذرياتنا والمسلمين، ومن عظمة الله تعالى العظيم أنه تعالى إذا أراد أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة، ورعدة شديدة خوفًا من الله تعالى، فإذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدًا، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير، قال فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي حيث أمره الله، والله كما تفرد بالخلق والرزق فهو سبحانه، المنفرد بالإلهية، فكما كانوا يعترفون بأنه لا يرزقهم من السماء والأرض إلا الله، فكذلك فليعلموا أنه لا إله غيره، فالمشركون في ضلال كيف يفرقون بين توحيد الربوبية والألوهية؟ والمؤمنون على الهدى والحق لتحقيقهم توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، والمؤمنون يدعون غيرهم إلى الله وإلى توحيده وإفراد العبادة له، فإن أجابوا فهم من المؤمنين، وإن كذبوا فالمؤمنون برآء منهم، ويوم القيامة يجمع الله بين الخلائق في صعيد واحد، ثم يحكم بينهم بالعدل، فيجزي كل عامل بعمله، إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًّا فشرًّا، وسيعلمون يومئذ لمن العزة والنصرة والسعادة الأبدية، وهو سبحانه الحاكم العادل العالم بحقائق الأمور، فأين هذه الآلهة التي جعلوها لله أندادًا وصيروها له عدلًا؟ سبحانه ليس له نظير ولا نديد، ولا شريك ولا عديل، بل هو الله الواحد الأحد الذي لا شريك له، ذو العزة التي قد قهر بها كل شيء، وغلبت كل شيء، الحكيم في أفعاله وأقواله، وشرعه وقدره، تعالى وتقدس، وقد أرسل الله عبده ورسوله محمدًا صلوات الله وسلامه عليه إلى جميع الخلق من المكلفين، يبشر من أطاعه بالجنة، وينذر من عصاه بالنار، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون، والكفار يستبعدون قيام الساعة وما علموا أن لها ميعادًا مؤجلًا معدودًا، لا يزداد ولا ينتقص، فإذا جاء فلا يؤخر ساعة ولا يقدم، ومن تمادي الكفار في طغيانهم وعنادهم وإصرارهم عدم الإيمان بالقرآن وما أخبر به من أمر المعاد، فيوم القيامة يتخاصمون بينهم ويتحاجون فيقول الأتباع للقادة والسادة: لولا أنتم صددتمونا لكنا اتبعنا الرسل وآمنا بما جاؤونا به.

قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ
عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ
تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ
لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ
هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ
مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾
وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾
قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا
زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ
بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ
ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ
إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ
أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾

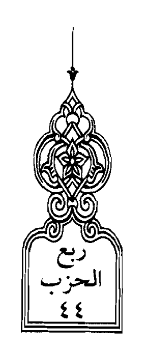
حين يكون التخاصم بين الأتباع والمتبوعين يوم القيامة، ويتهم الأتباع السادة والقادة أنهم صدوهم عن اتباع الرسل يقول لهم القادة والسادة نحن ما فعلنا بكم أكثر من أنا دعوناكم فاتبعتمونا من غير دليل ولا برهان، وخالفتم الأدلة والبراهين والحجج التي جاءت بها الأنبياء، لشهوتكم واختياركم لذلك، فيرد الأتباع بل كنتم تمكرون بنا ليلًا ونهارًا، وتغرونا وتمنونا، وتخبرونا أنا على هدى وأنا على شيء، فإذا جميع ذلك باطل وكذب.

و تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له نظراء وآلهة معه، وتقيموا لنا شبهًا لتضلونا بها، وأظهر الندامة لما رأوا العذاب السادة والأتباع، كلٌ ندم على ما سلف منه، حين وضعت السلاسل التي تجمع أيديهم مع أعناقهم في النار، ولا ساعة مندم، ولم يجازوا إلا بأعمالهم، كل بحسبه، للقادة عذاب بحسبهم، وللأتباع بحسبهم.

وما بعث الله نبيًا في قرية إلا كذبه أولو النعمة والثروة والرياسة، وجبابرتهم وقادتهم ورؤوسهم في الشر، وافتخروا بكثرة الأموال والأولاد، واعتقدوا أن ذلك دليل على محبة الله لهم واعتنائه بهم، وأنه ما كان ليعطيهم هذا في الدنيا، ثم يعذبهم في الآخرة، فجاء الرد عليهم ليست الأموال ولا الأولاد دليلًا على محبة الله لهم، فالله لا ينظر إلى صور العباد ولا أموالهم، ولكن ينظر إلى قلوبهم وأعمالهم، وإنما الذي يقرب إلى الله الإيمان والعمل الصالح، فلهؤلاء مضاعفة الحسنات، الحسنة بعشرة أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، وهم في منازل الجنة العالية آمنون من كل بأس وخوف وأذى، ومن كل شر يحذر منه، أما الذين يسعون في الصد عن سبيل الله واتباع الرسل والتصديق بآياته، فجميعهم مجزيون بأعمالهم في النار بحسبهم، والله له الحكمة البالغة، يبسط على هذا من المال كثيرًا، ويضيق على هذا ويقتر على هذا رزقه، وله في ذلك من الحكمة ما لا يدركها غيره، وكما هم متفاوتون في الدنيا هذا فقير مدقع، وهذا غني موسع عليه، فكذلك هم في الآخرة، هذا في الغرفات في أعلى الدرجات، وهذا في الغمرات في أسفل الدركات، وأطيب الناس في الدنيا من أسلم ورزق كفافًا، وقنعه الله بما آتاه.

وما أنفق العباد من شيء فيما يأمرهم الله به وأباحه لهم فهو يخلفه عليهم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب، ويقول الله تعالى يا ابن آدم أَنفِق أُنفِق عليك، وفي كل يوم ملكان يقول أحدهما اللهم أعط ممسكًا تلفًا، ويقول الآخر اللهم أعط منفقًا خلفًا، وما تصدق العبد من صدقة وأنفق في الخير من نفقة فالله يخلفه على المنفق، إما أن يعجله في الدنيا، وإما أن يدخره له في الآخرة، وما نقصت صدقة من مال، بل تزده بل تزده، والله خير من يعطي ويرزق.

وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٞ مُّفۡتَرٗىۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ﴿٤٦﴾ قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ﴿٤٧﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٤٨﴾



يُوبَّخ المشركون ويقرعون يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فيسأل الله الملائكة الذين كان المشركون يزعمون أنهم يعبدون الأنداد التي هي على صورة الملائكة ليقربوهم إلى الله زلفى، فيقول للملائكة: أأنتم أمرتم هؤلاء بعبادتكم؟ فتقول الملائكة: تعاليت وتقدست عن أن يكون معك إله، نحن عبيدك ونبرأ إليك من هؤلاء، بل كانوا يعبدون الشياطين؛ لأنهم الذين يزينون لهم عبادة الأوثان ويضلونهم، ففي ذلك اليوم لا يقع لهم نفع ممن كانوا يرجون نفعه من الأنداد والأوثان، فيذوقوا عذاب النار بسبب كفرهم وتكذيبهم؛ ولأنهم كانوا إذا تتلى عليهم آيات الله بينات يسمعونها غضة طرية من لسان رسوله ﷺ، فيردون على دعوتهم إلى الحق أنهم على دين آبائهم الحق، وما جاءهم به الرسول باطل، وأن هذا القرآن كذب واختلاق وسحر، وما أنزل الله على العرب من كتاب قبل القرآن، وما أرسل إليهم نبيًّا قبل محمد ﷺ، وقد كانوا يودون ذلك ويقولون لو جاءنا نذير أو أُنزِل علينا كتاب لكنا أهدى من غيرنا، فلما مَنَّ الله عليهم بذلك كذبوه وعاندوه وجحدوه.

وقد كذبت الأمم رسل الله، وهم عاد، وثمود، وقوم إبراهيم، وقوم لوط وغيرهم، وما بلغ المشركون عشر ما أعطيت الأمم الخالية من القوة والنعمة وطول العمر وما دفع ذلك عنهم عذاب الله ولا رده، بل دمر الله عليهم لما كذبوا رسله؛ فكيف كان نكال الله وعقابه وانتصاره لرسله.

وأمر الله نبيه ورسوله محمدًا ﷺ أن يقول لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنه مجنون، أن يقوموا قيامًا خالصًا لله، من غير هوى ولا عصبية، فيسأل بعضهم بعضًا هل بمحمد من جنون؟ فينصح بعضهم بعضًا، ثم ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد ﷺ، ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه، ويتفكر في ذلك؛ ليتبين لهم صدقه ونصحه لهم ولكنهم قوم يستكبرون عن الحق، والنبي نذير لهم بين يدي عذاب شديد إن كذبوا وكفروا وجحدوا رسالته، فالنبي لا يريد منهم مالًا ولا عطاء على أداء رسالة الله إليهم، ونصحه لهم، وأمرهم بعبادة الله، وإنما يطلب ثواب ذلك من عند الله، والله عالم بجميع الأمور، بما عليه الرسول من إخباره عن الله بإرسال الله إليهم، وما هم عليه من الكفر.

والله يرسل الملك إلى من يشاء من عباده من أهل الأرض، فيرسله إلى خلقه كما أرسل محمدًا ﷺ إليهم، وهو علام الغيوب، فلا تخفى عليه خافية في السموات ولا في الأرض.

قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾

سُورَةُ فَاطِرٍ

ترتيبها ٣٥ — آياتها ٤٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾

حَكَم الله تعالى وقضى وقدر بظهور الحق وأهله، وبذهاب الباطل وأهله مهما طال ليل الباطل فمآله للزوال، وقد جاء الحق من الله والشرع العظيم، وذهب الباطل وزهق واضمحل، فذهب الشرك وأهله، ولهذا لما دخل رسول الله ﷺ المسجد الحرام يوم الفتح، ووجد تلك الأصنام منصوبة حول الكعبة، جعل يطعن الصنم بقوسه، ويقرأ: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١) ﴾، والخير كله من عند الله، وفيما أنزله الله ﷻ من الوحي والحق المبين فيه الهدى والبيان والرشاد، ومن ضل فإنما يضل من تلقاء نفسه، والله سميع لأقوال عباده، قريب مجيب دعوة الداعي إذا دعاه، وفي يوم القيامة يفزع المكذبون فلا مفر لهم، ولا وزر ولا ملجأ أُخذوا من أول وهلة، حين خرجوا من قبورهم، فيقولون آمنا بالله وبكتبه ورسله، وكيف يؤمنون وقد انتقلوا من الدنيا وهي دار قبول الإيمان، وصاروا إلى الدار الآخرة، وهي دار الجزاء لا دار الابتلاء، فلو كانوا آمنوا في الدنيا لكان ذلك نافعهم، ولكن بعد مصيرهم إلى الدار الآخرة لا سبيل لهم إلى قبول الإيمان، كما لا سبيل إلى حصول الشيء لمن يتناوله من بعيد، فقد طلبوا الأمر من حيث لا ينال، تعاطوا الإيمان من مكان بعيد، وقد كفروا بالحق في الدنيا وكذبوا بالرسل، وكانوا يرمون بالظن، فتارة يقولون شاعر، وتارة يقولون كاهن، وتارة يقولون ساحر، وتارة يقولون مجنون، إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة، ويكذبون بالغيب والنشور والمعاد، وحيل بينهم وبين التوبة، وحيل بينهم وبين شهواتهم في الدنيا وبين ما طلبوه في الآخرة فمنعوا منه، كما جرى للأمم الماضية المكذبة للرسل، لما جاءهم بأس الله تمنوا أن لو آمنوا فلم يقبل منهم، وقد كانوا في الدنيا في شك وريبة، فلهذا لم يتقبل منهم الإيمان عند معاينة العذاب.

سورة فاطر

وهي سورة مكية سميت بذلك لذكر أن الله فاطر السموات والأرض

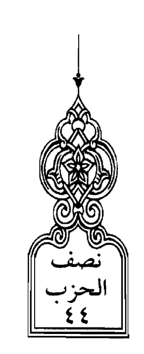
الحمد والثناء لخالق السماوات والأرض ومبدعهما على غير مثال سابق، خلق الملائكة ذوي أجنحة يطيرون بها ليبلغوا ما أمروا به سريعًا، بعضهم له جناحان، وبعضهم له ثلاثة أجنحة، وبعضهم له أربعة أجنحة، ويزيد فيها ما يشاء وجعلهم رسلًا بينه وبين رسله، وكان جبريل له ستمائة جناح، يزيد الله في خلق الإنسان ما يشاء، وهو حسن الصوت، وحسن الصورة، وحسن العقل والتدبير، وما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، فما يعطي الله من مطر ورزق فلا يستطيع أحد حبسه، وما يمنع فلا يستطيع أحد أن يعطيه وهو الحكيم فيما أعطى وفيما منع، فكما أنه المستقل بالخلق والرزق، فليفرد العباد ربهم بالعبادة، ولا يشركوا به غيره من الأصنام والأنداد والأوثان؛ فكيف بعد هذا البيان، ووضوح هذا البرهان، يصرفون عن الحق وهو توحيد الله وشكره، ويعبدون الأنداد والأوثان.

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

حال المكذبين للرسل العناد والاستكبار والصدود عن الحق، فلم تنفعهم الآيات والنذر والمعجزات، ولم يستجيبوا لنداء التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، ومرجع الجميع إلى الله تعالى وسيجزيهم على ذلك أوفر الجزاء، والمعاد كائن لا محالة، وعد الله والله لا يخلف الميعاد، فلا يغتر الإنسان بالدنيا فيكذب بآيات الله، فالدنيا دنيئة بالنسبة إلى ما أعد الله لأوليائه وأتباع رسله من الخير العظيم، فلا يلهى الإنسان عن ذلك الباقي بهذه الزهرة الفانية، ولا يفتننه الشيطان ويصرفه عن اتباع رسل الله وتصديق كلماته فإنه غرّار كذاب أفاّك، فعداوة إبليس لابن آدم ظاهرة، ومبارز لهم بالعداوة وقد أخذ على نفسه إغواء بني آدم فالإنسان يكون أشد عداوة له ومخالفة ويكذبه بما يغرُ به، لأن قصده أن يضلل الناس حتى يكونوا معه في عذاب السعير، فهذا هو العدو المبين، فنسأل الله القوي العزيز أن يجعلنا أعداء الشيطان وأن يرزقنا اتباع كتابه، والاقتفاء بطريق رسوله، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، ومن أطاع الشيطان وعصى الرحمن فله العذاب الموجع الأليم، وأما المؤمنون فلهم المغفرة من كل ذنب والأجر الكثير على ما عملوه من خير، ومن أشد العقوبات المعجلة للإنسان أن يزين له سوء عمله فيراه حسنًا، فالكفار والفجار يعملون أعمالًا سيئة، وهم في ذلك يعتقدون ويحسبون أنهم يحسنون صنعًا، فهؤلاء وأمثالهم قد أضلهم الله، فليس من حيلة لهدايتهم فمن يضل الله فما له من هادٍ، ومن يهدِ الله فما له من مضل، فلا أسف عليهم، فإن الله حكيم في قدره، إنما يضل من يضل ويهدي من يهدي، لما له في ذلك من الحجة البالغة، والعلم التام؛ ومن الدلائل الواضحات على المعاد إحياء الأرض بعد موتها، فإن الأرض تكون ميتة هامدة لا نبات فيها، فإذا أرسل إليها السحاب تحمل الماء وأنزله الله عليها اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، كذلك الأجساد، إذا أراد الله سبحانه بعثها ونشورها، أنزل من تحت العرش مطرًا يعم الأرض جميعًا فتنبت الأجساد في قبورها كما ينبت الحب في الأرض؛ فكل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب، منه خلق ومنه يركب.

ومن أحب أن يكون عزيزًا في الدنيا والآخرة فليلزم طاعة الله، فإنه يحصل له مقصوده؛ لأن الله مالك الدنيا والآخرة، وله العزة جميعها، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين، إلى الله تصعد أعمال العباد من الأقوال كالذكر والتلاوة والدعاء ومن الأعمال كالصلاة والصيام والصدقة والحج من فرائض ونوافل، فما من عبد إلا له مصلى في الأرض، ومصعد عمله من السماء، فله في السماء بابان باب يخرج منه رزقه، وباب يدخل منه عمله وكلامه، فإذا مات فقداه وبكيا عليه، والذين يراءون بأعمالهم، ويمكرون بالناس، ويوهمون أنهم في طاعة الله، وهم بغضاء إلى الله، فسيظهر الله زيفهم عن قريب لأولي البصائر والنهى، فإنه ما أسر عبد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه، وما أسر أحد سريرة إلا كساه الله رداءها، إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًّا فشرًّا، فالمرائي لا يروج أمره ويستمر إلا على الحمقى، أما المؤمنون المتفرسون فلا يروج ذلك عليهم، بل يكشف لهم عن قريب، وعالم الغيب لا تخفى عليه خافية، والله ابتدأ خلق آدم من تراب، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، فجعلهم من ذكر وأنثى، لطفًا منه ورحمة وجعل لهم أزواجًا من جنسهم ليسكنوا إليها، وهو سبحانه عالم الغيب، لا يخفى عليه شيء، فما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه، يعلم أعمارهم وآجالهم، فليس أحد قضى الله له طول عمر وحياة إلا بلغ ما قدر له من العمر، فإنما ينتهي إلى الكتاب الذي قدره الله لا يزاد عليه، وليس أحد قضى الله له قصر العمر والحياة إلا انتهى إلى الكتاب الذي كتب له، وذلك على الله سهل يسير لديه، فإن علمه شامل لجميع ذلك لا يخفى منه عليه شيء.

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾



من قدرة الله العظيمة خلقه الأشياء المختلفة، وخلق البحرين العذب الزلال، والملح المر، فهذه الأنهار الجارية بين الناس من كبار وصغار، بحسب الحاجة إليها في الأقاليم والأمصار، والعمران والبراري والقفار، عذبة سائغ شرابها، وهذا البحار الساكنة التي تسير فيها السفن الكبار، مالحة مرة، ومن كلها يستخرج السمك، واللؤلؤ والمرجان حلية تتزين بها النساء، والسفن تمخرها وتشقها بالأسفار للتجارة، من قطر إلى قطر، وإقليم إلى إقليم، فعلى العباد شكر نعمة الله على تسخيره لهم هذا الخلق العظيم، وهو البحر، يتصرفون فيه كيف شاءوا، ويذهبون أين أردوا، ولا يمتنع عليهم شيء منه، بل بقدرة الله قد سخر لعباده ما في السموات وما في الأرض، الجميع من فضله ومن رحمته، ومن قدرة الله التامة وسلطانه العظيم، تسخيره الليل بظلامه والنهار بضيائه، يأخذ من طول هذا فيزيده في قصر هذا فيعتدلان، ثم يأخذ من هذا في هذا، فيطول هذا ويقصر هذا، ثم يتقارضان صيفًا وشتاء، وسخر الشمس والقمر والنجوم السيارات، والثوابت الثاقبات بأضوائهن أجرام السموات، الجميع يسيرون بمقدار معين، وعلى منهاج مقنن، تقديرًا من عزيز عليم، فالذي خلق هذا هو الرب العظيم، الذي لا إله غيره، والذين يدعو المشركون من الأنداد والأصنام ما يملكون اللفافة التي تكون على نواة التمرة، فلا يملكون من السموات والأرض شيئًا، ولا بمقدار هذا اللفافة، وهذه الآلهة التي يدعونها من دون الله لا يسمعون دعاءهم؛ لأنها جماد لا أرواح فيها، ولو سمعوا لا يقدرون على ما يطلبون منها، ويوم القيامة يتبرءون منهم، ولا يخبر بعواقب الأمور ومآلها وما تصير إليه، مثل الله تبارك وتعالى، فإنه أخبر بالواقع لا محالة، وهو الغني عمن سواه، والمخلوقات كلها إليه مفتقرة، ومتذللة بين يديه، فالعباد محتاجون إليه في جميع الحركات والسكنات، وهو الغني عنهم بالذات؛ وهو المنفرد بالغنى وحده لا شريك له، وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقوله، ويقدره ويشرعه، ولو شاء لأذهب الناس وأتى بقوم غيرهم، وما هذا عليه بصعب ولا ممتنع؛ وعلى المسلم أن يحفظ نفسه من أن يكون داعية للفساد فيحمل أوزار الذين يضلهم، فإن من سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن شرًا فاستن به كان عليه وزره ومثل أوزار من تبعه غير منتقص من أوزارهم شيئًا، وويل لعبد جعله الله مفتاحًا للشر مغلاقًا للخير، والنفس المثقلة بأوزارها لو دعيت لحمل أوزار غيرها لا تحمل منه شيئًا، ولو كان قريبًا إليها، حتى ولو كان أباها أو ابنها، فالكل مشغول بنفسه وحاله، والذي يتعظ بما جاء به رسول الله ﷺ هم أولو البصائر والنهى، الخائفون من ربهم، الفاعلون ما أمرهم به، ومن عمل صالحًا فإنما يعود نفعه على نفسه، وإلى الله المرجع والمآب، وهو سريع الحساب، وسيجزي كل عامل بعمله، إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًّا فشرًّا.

وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ
﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنۡ
أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ
أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ
مِن قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ
ٱلۡمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذۡتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾
أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا
أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا
وَغَرَابِيبُ سُودٞ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ
مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ
إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ
وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ
يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ
وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴿٣٠﴾

الأشياء المتباينة المختلفة لا تستوي، ولا تتماثل، فالأعمى والبصير لا يستويان، بل بينهما فرق وبون كثير، ولا تستوي الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور، ولا الأحياء ولا الأموات، وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين وهم الأحياء، وللكافرين وهم الأموات، فالمؤمن سميع بصير في نور يمشي على صراط مستقيم في الدنيا والآخرة حتى يستقر به الحال في الجنات ذات الظلال والعيون، والكافر أعمى أصم في ظلمات يمشي لا خروج له منها، بل هو يتيه في غيه وضلاله في الدنيا والآخرة، حتى يفضي به ذلك إلى الحرور والسموم والحميم، والله هو الذي يهدي عباده إلى سماع الحجة وقبولها والانقياد لها، فكما لا ينتفع الأموات بعد موتهم وصيرورتهم إلى قبورهم، وهم كفار بالهداية والدعوة إليها، كذلك هؤلاء المشركون الذين كتب عليهم الشقاوة لا حيلة فيهم، ولا يستطيع أحد هدايتهم، وما على الرسول إلا البلاغ والإنذار، والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء.

فقد أرسل الله رسوله بشيرًا للمؤمنين ونذيرًا للكافرين، وما من أمة خلت من بني آدم إلا وقد بعث الله إليهم النذر: أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله، ومنهم من حقت عليه الضلالة، فلئن كذب الكفار رسول الله ﷺ فقد كذبت الأمم قبلهم جاءتهم رسلهم بالمعجزات الباهرات، والأدلة القاطعات، بالكتب الواضحة البينة، فكان إنكار الله عليهم عظيمًا شديدًا بليغًا، ومن كمال قدرة الله خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد، وهو الماء الذي ينزله من السماء، يخرج به ثمرات مختلفًا ألوانها، من أصفر وأحمر وأخضر وأبيض، إلى غير ذلك من ألوان الثمار، كما هو المشاهد من تنوع ألوانها وطعومها وروائحها، وخلق الجبال كذلك مختلفة الألوان، كما هو المشاهد أيضًا من بيض وحمر، وفي بعضها طرق مختلفة الألوان، ومنها الجبال الطوال السود، كذلك الناس والحيوانات، فالناس منهم بربر وحبش، وسود، وروم في غاية البياض، والعرب بين ذلك، وكذلك الدواب والأنعام مختلفة الألوان، حتى في الجنس الواحد، بل النوع الواحد منهن مختلف الألوان، بل الحيوان الواحد، فتبارك الله أحسن الخالقين، وإنما يخشى الله حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر، فالعالم بالرحمن من لم يشرك به شيئًا، وأحل حلاله، وحرم حرامه، وحفظ وصيته، وأيقن أنه ملاقيه ومحاسب بعمله، والعالم من خشي الرحمن بالغيب، ورغب فيما رغب الله فيه، وزهد فيما سخط الله فيه، وليس العلم عن كثرة الحديث، ولكن العلم عن كثرة الخشية، والعلم نور يجعله الله في القلب، والعلم الفقه والفهم للنصوص الشرعية، وليس كثرة المحفوظات، وجمع الأقوال والاختلافات، والعلماء هم الذين يتلون كتاب الله ويؤمنون به ويعملون بما فيه، من إقام الصلاة، والإنفاق مما رزقهم الله في الأوقات المشروعة ليلًا ونهارًا، سرًّا وعلانية، يرجون ثوابًا عند الله، يوفيهم الله يوم القيامة ثواب ما فعلوه ويضاعفه لهم بزيادات لم تخطر لهم، وهو الغفور لذنوبهم، الشكور للقليل من أعمالهم.

وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

القرآن كتاب الله الخالد الحق، أنزله الله على عبده ورسوله محمد ﷺ، صدقت به الكتب المتقدمة، وهو يصدقها، والله خبير بعباده، بصير بمن يستحق ما يفضله به على من سواه، ولهذا فضل الأنبياء والرسل على جميع البشر، وفضل النبيين بعضهم على بعض، ورفع بعضهم درجات، وجعل منزلة محمد ﷺ فوق منزلتهم جميعًا، صلوات الله عليهم أجمعين، وقد جعل الله القائمين بالكتاب العظيم المصدق لما بين يديه من الكتب الذين اصطفاهم الله من عباده وهم هذه الأمة إلى ثلاثة أنواع: منهم المفرط في فعل بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات، ومنهم المؤدي للواجبات، التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات، ومنهم الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات، فالسابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب، وأما المقتصد فيحاسب حسابًا يسيرًا، وأما الظالم لنفسه فيصيبه في ذلك المكان من الغم والحزن وهو تحت المشيئة إن شاء الله عذبه وأدخله الجنة، وإن شاء غفر له وأدخله الجنة.

والعلماء أغبط الناس بهذه النعمة، وأولى الناس بهذه الرحمة، ومأوى هؤلاء المصطفين من عباد الله الذين أورثوا الكتاب المنزل من رب العالمين يوم القيامة جنات الإقامة يدخلونها يوم معادهم وقدومهم على ربهم ﷻ يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤًا وتبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء، ولباسهم الحرير يقولون الحمد لله الذي أزاح عنا الحزن والخوف من المحذور، وأراحنا مما كنا نتخوفه، ونحذره من هموم الدنيا والآخرة، الذي أعطانا هذه المنزلة، وهذا المقام من فضله ومنته ورحمته، ولم يكن بأعمالنا، في تلك الدار لا يمسنا فيها عناء ولا إعياء، فلا تعب على الأبدان ولا الأرواح، لأنهم كانوا يدأبون أنفسهم في العبادة في الدنيا، فسقط عنهم التكليف بدخولها، وصاروا في راحة دائمة مستمرة، أما الأشقياء فهم في النار لا يموتون فيها ولا يحيون فهم في حال يرون موتهم راحة لهم، ولكن لا سبيل إلى ذلك، كلما خبت عليهم النار زداها الله عليهم سعيرًا، وهذا جزاء كل من كفر بربه وكذب بالحق، وهم ينادون فيها، يجأرون إلى الله ﷻ بأصواتهم، يسألون الرجعة إلى الدنيا، ليعملوا غير عملهم، وقد علم الرب ﷻ أنه لو ردهم إلى الدار الدنيا، لعادوا لما نهوا عنه، وإنهم لكاذبون، فلهذا لا يجيبهم إلى سؤالهم، وقد عاشوا في الدنيا أعمارًا لو كانوا ممن ينتفع بالحق لانتفعوا به في مدة أعمارهم، ومن أحياه الله حتى بلغ ستين أو سبعين سنة، فقد أعذر الله إليه، ومن جاءه الشيب فهو نذير الموت ومن جاءه الحق من ربه فليستجب، والظالمون لأنفسهم لهم عذاب النار جزاء على مخالفتهم للأنبياء في مدة أعمارهم، فما لهم يوم القيامة ناصر ينقذهم مما هم فيه من العذاب والنكال والأغلال، والله يعلم غيب السموات والأرض، ويعلم ما تكنه السرائر وتنطوي عليه الضمائر، وسيجازي كل عامل بعمله.

هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةًۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٤

خلق الله الخليقة وجعلهم في الأرض يخلف بعضهم بعضًا، فكل جيل يخلف الجيل الذي قبله فمن كفر فإنما يعود وبال ذلك على نفسه دون غيره، وكلما استمروا على كفرهم أبغضهم الله، وخسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، بخلاف المؤمنين فإنهم كلما طال عمر أحدهم وحسن عمله ارتفعت درجته ومنزلته في الجنة، وزاد أجره وأحبه خالقه وبارئه رب العالمين، والمشركون في عبادتهم لأصنامهم وأوثانهم يعبدون ما لا يخلق شيئًا، فضلًا عن أن يشتركوا في خلق السموات والأرض، بل هم أضعف وأقل، فهم مخلوقون، خلقهم الله فكيف يخلقون، فمن الذي أمر المشركين بعبادتهم؟! هل عندهم كتاب من الله يبيح لهم ما يعملونه من الشرك؟! بل اتبعوا الأهواء والآراء والأماني التي يتمنوها لأنفسهم، وهي غرور وباطل وزور.

فإن الله من قدرته العظيمة أن تقوم السماء والأرض عن أمره، وما جعل فيهما من القوة الماسكة لهما، فالله يمسك السموات والأرض أن تضطربا عن أماكنهما، ولا يقدر على دوامهما وإبقائهما إلا هو، وهو مع ذلك حليم غفور، يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه، وهو يحلم، فيؤخر وينظر ويؤجل ولا يعجل، ويستر آخرين ويغفر.

ومن كذب الكفار أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم قبل إرسال الرسول إليهم لئن جاءهم نبي ليكونن أهدى من جميع الأمم الذين أرسل إليهم الرسل.

فلما جاءهم محمد ﷺ بما أنزل معه من الكتاب العظيم ما ازدادوا إلا كفرًا إلى كفرهم، واستكبروا عن اتباع آيات الله، ومكروا بالناس في صدهم إياهم عن سبيل الله، وما يعود وبال المكر إلا على أنفسهم دون غيرهم.

وسيحل بهم ما حل بالأمم قبلهم من عقوبة الله لهم على تكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره، وتلك سنة الله في المكذبين لا تتغير ولا تتبدل، بل هي جارية كذلك في كل من كذب وجحد واستكبر.

ولْيسيروا في الأرض، فينظروا كيف كان عاقبة الذين كذبوا الرسل، كيف دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها، فخليت منهم منازلهم، وسلبوا ما كانوا فيه من النعم بعد كمال القوة، وكثرة العَدد والعُدد، وكثرة الأموال والأولاد، فما أغنى ذلك شيئًا، ولا دفع عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر الله لأنه تعالى لا يعجزه شيء إذا أراد كونه في السموات والأرض، فهو عليم بجميع الكائنات، قدير على مجموعها.

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾

سُورَةُ يسٓ

ترتيبها ٣٦ — آياتها ٨٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

الله رحيم بعباده لو يأخذهم بجميع ذنوبهم لأهلك جميع أهل الأرض، وما يملكونه من دواب وأرزاق، ولما سقاهم المطر، فماتت جميع الدواب، ولكن ينظرهم إلى يوم القيامة فيحاسبهم يومئذ، ويوفي كل عامل بعمله، فيجازي بالثواب أهل الطاعة، وبالعقاب أهل المعصية.

سورة يس

وهي سورة مكية، سميت بذكر الحرفين اللذين بدئت بهما السورة

ابتدأت السورة بالحروف المقطعة لبيان إعجاز القرآن وبلاغته الذي أعجز العرب بالإتيان بمثله، وهو مكون من الحروف التي يتكلمون بها، ذلك القرآن المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، الذي نزل على قلب محمد ﷺ فأرسل به ليكون للعالمين مبشرًا ونذيرًا، على منهج ودين قويم، وشرع مستقيم، منزل من رب العزة، الرحيم بعباده المؤمنين، فينذر من الشرك أقوامًا لم يرسل إليهم رسول قبله، وتعم دعوته أهل الأرض جميعًا إنسهم وجنهم، فبعثته في أرض العرب، ولكن دعوته لجميع أهل الأرض، في وقت كان العرب والعجم في جاهلية، وغفلة عن التوحيد، فبعث الله سيد ولد آدم ليدعوهم إلى توحيد الله ونبذ الشرك، وإن كان بعضهم قد كتبت عليه الشقاوة والضلالة، فلا يؤمنون بالله ولا يصدقون رسله، فمثلهم في وصولهم إلى الهدى كمن جعل في عنقه غل، فجمع يديه مع عنقه تحت ذقنه، فارتفع رأسه، فصار مقمحًا؛ والمقمح هو الرافع رأسه، فأيديهم موثقة إلى أعناقهم، لا يستطيعون أن يبسطوها بخير، فهم مغلولون عن كل خير، وجعل بينهم وبين الحق سدًّا من أمامهم ومن خلفهم، فهم يترددون في الضلالة، فلا يبصرون الحق لما على أعينهم من الغطاء الذي يمنعهم من رؤية الحق، فهم لا ينتفعون بخير ولا يهتدون إليه، فجعل الله هذا السد بينهم وبين الإسلام والإيمان، فهم لا يخلصون إليه، فقد ختم الله عليهم بالضلالة، فما يفيد فيهم الإنذار ولا يتأثرون به، وإنما ينتفع بإنذار الرسول ﷺ أهل الإيمان الذين يتبعون القرآن العظيم، ويخافون ربهم فيراقبون الله في كل أحوالهم، فلهم البشارة بمغفرة ذنوبهم، والأجر الكبير الواسع الحسن الجميل، والله قادر على أن يحيي قلوب من يشاء من الكفار الذين قد ماتت قلوبهم بالضلالة، فيهديهم بعد ذلك إلى الحق، وهو الذي يحيي الموتى يوم البعث والنشور، وقد كتبت أعمالهم التي عملوها في الدنيا فيجدون كل ذلك محضرًا، فيجدون أعمالهم التي باشروها بأنفسهم، وآثارهم التي أثروها من بعدهم، فيجزون عليها، إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًّا فشرًّا، لو كان الله تعالى مغفلًا شيئًا من شأن ابن آدم، أغفل ما تعفي الرياح من هذه الآثار، ولكن أحصى على ابن آدم أثره وعمله كله، حتى أحصى هذا الأثر فيما هو من طاعة الله أو من معصيته، فمن استطاع أن يكتب أثره في طاعة الله فليفعل.

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾
إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ
إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ
ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ
إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾
قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم
مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم
بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ
يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن
لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى
فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن
يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا
يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ
بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى
يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

أرسل الله سبحانه وتعالى رسله ليدعوا الناس لعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، فكان لهم مع أقوامهم قصص وعبر، قصها الله في كتابة لتكون عبرة وعظة، ومن ذلك قصة أصحاب القرية وهي مدينة أنطاكية، وكان بها ملك يقال له أنطيخس، وكان يعبد الأصنام، فبعث الله إليه ثلاثة من الرسل، وقد أرسل الله إليهم اثنين فبادروهما بالتكذيب، فأرسل الله إليها رسولًا ثالثًا يقويهما، ويشدد أزرهما، فقالوا لأهل تلك القرية، إنا إليكم مرسلون من ربكم الذي خلقكم، نأمركم بعبادته وحده لا شريك له، فقالوا لهم كيف أوحي إليكم وأنتم بشر ونحن بشر، فلم لا يوحى إلينا مثلكم؟ ولو كنتم رسلًا لكنتم من الملائكة، فكذبوهم، فأجابتهم رسلهم الثلاثة: الله يعلم أنا رسله إليكم، ولو كنا كذبة عليه لانتقم منا أشد الانتقام، ولكنه سيعزنا وينصرنا عليكم، وستعلمون لمن تكون له عاقبة الدار، وإنما علينا أن نبلغكم ما أرسلنا به إليكم، فإذا أطعتم كانت لكم السعادة في الدنيا والآخرة، وإن لم تجيبوا فستعلمون عاقبة ذلك، فعند ذلك قال لهم أهل القرية إنا لم نر على وجوهكم خيرًا في عيشنا، فتشاءموا منهم وقالوا: لئن لم تكفوا عن دعوتنا لنقتلنكم بالحجارة، ولنعاقبكم عقوبة شديدة، فقالت لهم رسلهم تطيركم مردود عليكم، من أجل أنا ذكرناكم، وأمرناكم بتوحيد الله وإخلاص العبادة له، قابلتمونا بهذا الكلام، وتوعدتمونا وتهددتمونا، بل أنتم قوم مسرفون على أنفسكم بالكفر والتكذيب، فهَمَّ أهل القرية بقتل رسلهم فجاءهم رجل من أقصى المدينة يسعى لينصرهم من قومه -وهو حبيب- وكان يعمل الحبال، وكان رجلًا مريضًا، وكان كثير الصدقة، يتصدق بنصف كسبه، وحث قومه على اتباع الرسل الذين أتوهم، فهم لا يأخذون أجرًا على إبلاغ الرسالة، وهم على الحق فيما يدعونهم إليه، من عبادة الله وحده لا شريك له، وقال: ما يمنعني من إخلاص العبادة للذي خلقني وحده لا شريك له، ويوم المعاد يجازيكم على أعمالكم، إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًّا فشرًّا.

فهل أعبد إلهًا غير الله لو أرادني الله بسوء فإن الآلهة التي تعبدونها من دونه لا تملك لي من الأمر شيئًا فإن عبدت تلك الأصنام التي لا تملك دفع ذلك ولا منعه فأنا في ضلال وجهل واضح، إني آمنت بالله الذي كفرتم به، فاسمعوا قولي، وقال للرسل: إني آمنت بربكم الذي أرسلكم، فاشهدوا لي بذلك عنده، فلما قال ذلك وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه، ولم يكن له أحد يمنع عنه، فجعلوا يرجمونه بالحجارة، وهو يقول: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون، فلم يزالوا به حتى قتلوه، فأدخله الله الجنة، وهو حي فيها يرزق، فلما أفضى إلى الجنة ورأى نعيمها تمنى أن قومه آمنوا ليجدوا ما وجد من النعيم والمغفرة، وتمنى أن يعلم قومه أن الله غفر له وأكرمه ليرغبوا في دين الرسل، اللهم لا تحرمنا الجنة ووالدينا وأهلينا وذرياتنا والمسلمين.

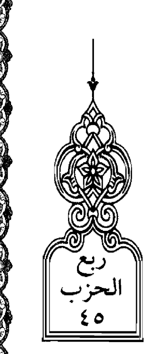
۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلّٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾

لما كذب أهل القرية الرسل، وقتلوا المؤمن، انتقم الله منهم فأنزل عليهم العذاب، أخذ جبريل بعضادتي باب المدينة، ثم صاح بهم صيحة واحدة، فإذا هم ميتون، فلم يبق منهم باقية، ولم يكن في إهلاكهم إنزال الملائكة عليهم؛ لأن الأمر أيسر من ذلك، فياحسرتهم وندامتهم يوم القيامة إذا عاينوا العذاب، كيف كذبوا رسل الله، وخالفوا أمر الله فإنهم كانوا في الدار الدنيا مكذبون، ما يأتيهم رسول إلا كذبوه واستهزءوا به، وجحدوا ما أرسل به من الحق، ألم يتعظوا بمن أهلك الله قبلهم من المكذبين للرسل؟! كيف لم تكن لهم إلى هذه الدنيا كرة ولا رجعة، ولم يكن الأمر كما زعم كثير من جهلتهم أنهم يعودون إلى الدنيا كما كانوا فيها، وجميع الأمم الماضية والآتية ستحضر للحساب يوم القيامة بين يدي الله ﷻ فيجازيهم بأعمالهم كلها خيرها وشرها، ومن الدلائل على قدرة الله، وعلى البعث بعد الموت، الأرض الميتة الهامدة ليس فيها شيء من النبات، إذا أنزل الله عليها الماء اهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج؛ فكان فيها رزق للعباد وللأنعام، وجعل فيها أنهارًا جارية، وعيونًا نابعة، منها يزرع الناس ويستقون، فتخرج لهم الزروع والثمار، وهذا من رحمة الله بهم، لا بسعيهم ولا كدهم، ولا بحولهم وقوتهم، فهلا يشكرون الله على ما أنعم به عليهم من هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى، فتنزه الله وتقدس وتعالى الخالق العليم الذي خلق الأنواع من الزروع والثمار والنبات، وخلق العباد فجعل منهم ذكرًا وأنثى، وخلق ما لا يعلمون من المخلوقات التي لا يعرفونها، ومن الدلائل على قدرة الله تعالى العظيمة خلق الليل والنهار، هذا بظلامه وهذا بضيائه، وجعلهما يتعاقبان، يجيء هذا فيذهب هذا، ويذهب هذا فيجيء هذا، فالليل يسلخ عنه ضياء النهار والأصل هي الظلمة والنهار داخل عليه فإذا غربت الشمس أزيل النهار من الليل فتظهر الظلمة، ومن الآيات جريان الشمس لمستقر لها وهو مستقرها المكاني، وهو تحت العرش تذهب حتى تسجد بين يدي ربها عز وجل، فتستأذن في الرجوع فيؤذن لها، ومستقرها الزماني منتهى سيرها، وهو يوم القيامة، يبطل سيرها وتسكن حركتها وتكور، وينتهي هذا العالم إلى غايته، وهو وقتها وأجلها الذي لا تعدوه، كل ذلك تقدير العزيز الذي لا يخالف ولا يمانع، العليم بجميع الحركات والسكنات، وقد قدر ذلك، لا اختلاف فيه ولا تعاكس، ومن الآيات القمر جعله الله يسير سيرًا يستدل به على مضي الشهور، كما أن الشمس يعرف بها الليل والنهار، وجعل الشمس لها ضوء يخصها، والقمر له نور يخصه، وفاوت بين سير هذه وهذا، فالقمر قدره منازل، يطلع في أول ليلة من الشهر ضئيلًا قليل النور، ثم يزداد نورًا، ويرتفع منزلة حتى يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشرة، ثم يشرع في النقص إلى آخر الشهر، حتى يصير كالعرجون القديم، وهو أصل العذق، وهو العنقود من الرطب إذا عتق وييبس وانحنى، لكل منهما حد لا يعدوه ولا يقصر دونه، إذا جاء سلطان هذا ذهب هذا، ولكل منهما سلطان، فلا ينبغي للشمس أن تطلع بالليل، ولا ينبغي إذا كان الليل أن يكون ليل آخر حتى يكون النهار، ولا يذهب الليل من ها هنا حتى يجيء النهار من ها هنا، ينسلخ أحدهما من الآخر، فلا انقطاع بين الليل والنهار، لأنهما مسخران دائبان، وكل من الليل والنهار والشمس والقمر يدورون في فلك السماء.

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا
لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ
وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾
وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ
﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ
﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾
وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ
﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ
وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً
وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

من الدلائل على قدرة الله تعالى، تسخيره البحر ليحمل السفن، فمن ذلك أول سفينة، سفينة نوح ﷺ التي أنجاه الله تعالى فيها بمن معه من المؤمنين الذين لم يبق على وجه الأرض من ذرية آدم غيرهم؛ فمن آيات الله أن حمل أصل هذه الخليقة وهم الذين نجوا من الطوفان في السفينة المملوءة من الأمتعة والحيوانات، التي أمره الله أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين، وجعل من بعد سفينة نوح سفنًا مثلها تحمل الناس، وخلق الله الإبل وهي سفن البر يحملون عليها ويركبونها، وإذا شاء الله أغرقهم فلا مغيث لهم مما هم فيه، ولا منقذ مما أصابهم، ولكن رحمة الله أن سيرهم في البر والبحر، وسلمهم إلى أجل مسمى ووقت معلوم عند الله، ومن تمادي المشركين في غيهم وضلالهم، وعدم اكتراثهم بذنوبهم التي أسلفوها، وما هم يستقبلون بين أيديهم يوم القيامة، إذا قيل لهم اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية فاعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته لعل الله يرحمكم ويؤمنكم من عذابه فلا يجيبون إلى ذلك ويعرضون عن التوحيد وتصديق الرسل فلا يتأملون الآيات ولا ينتفعون بها، وإذا أمروا بالإنفاق مما رزقهم الله على الفقراء والمحاويج من المسلمين قالوا: لو شاء الله لأغناهم ولأطعمهم من رزقه، فنحن نوافق مشيئة الله فيهم، ويستبعدون قيام الساعة تكذيبًا وعنادًا، وما ينتظرون إلا صيحة واحدة، وهي نفخة الفزع، ينفخ في الصور نفخة الفزع، والناس في أسواقهم ومعايشهم يختصمون ويتشاجرون على عادتهم، فبينما هم كذلك إذ أمر الله تعالى إسرافيل فنفخ في الصور نفخة يطولها ويمدها، فلا يبقى أحد على وجه الأرض إلا أصغى ليتًا، ورفع ليتًا -وهي صفحة العنق- يتسمع الصوت من قبل السماء، ثم يساق الموجودون من الناس إلى محشر القيامة بالنار، تحيط بهم من جوانبهم؛ فلا يوصون على ما يملكونه، فالأمر أهم من ذلك، ثم يكون بعد هذا نفخة الصعق، التي تموت بها الأحياء كلهم ما عدا الحي القيوم، ثم بعد ذلك نفخة البعث، وهي النفخة الثالثة نفخة البعث والنشور للقيام من القبور، يخرجون من القبور إلى ربهم يسرعون، فيقول المكذبون يا ويلنا من بعثنا من قبورنا؟ وقد كانوا يعتقدون أنهم لا يبعثون منها، فتقول لهم الملائكة هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون، نفخة واحدة فإذا جميع الخلائق محضرون، ففي ذلك اليوم لا تظلم نفس شيئًا من عملها، ولا تجزى إلا ما كانت تعمل.

إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ
فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم
مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ
أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا
تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ
هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ
أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ
﴿٦٣﴾ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ
عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ
يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ
ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ
عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ
﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۚ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٨﴾
وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ
﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾



نعيم أهل الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فإذا نزل أهل الجنة في روضات الجنات اشتغلوا بنعيمها، فهم في نعيم مقيم، وفوز عظيم، وهم منعمون مسرورون مع أهليهم من الأزواج والأولاد، في ظلال الأشجار على السرر متكئون، لهم من جميع أنواع الفاكهة ما يطلبون، وكتب لهم السلامة رب رحيم، وسلم عليهم وهم في الجنة أن سلام عليكم، فبينا أهل الجنة في نعيمهم، إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم، فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال السلام عليكم يا أهل الجنة، فينظر إليهم وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه، حتى يحتجب عنهم، ويبقى نوره وبركته عليهم وفي ديارهم، وأما الكفار المجرمون يوم القيامة فيتميزون عن المؤمنين في موقفهم، ويقال لهم: قد أمرتم في دار الدنيا بعصيان الشيطان، وأمرتم بعبادة الله، وهذا هو الصراط المستقيم، فسلكتم غير ذلك واتبعتم الشيطان فيما أمركم به، وقد أضل وأغوى خلقًا كثيرًا منكم، ألم يكن لكم عقل في مخالفة ربكم فيما أمركم به من عبادته وحده لا شريك له، وعدولكم إلى اتباع الشيطان، ويقال لهم: هذه النار التي حذرتكم الرسل فكذبتموهم، ادخلوها بسبب كفركم، فينكرون كفرهم وتكذيبهم للرسل، فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم، ويقال لها: انطقي فتنطق بعمله، ثم يخلى بينه وبين الكلام، فيقول بعدًا لَكُنَّ وسحقًا، فعنكن كنت أناضل، وأول عظم من الإنسان يتكلم يوم يختم على الأفواه، فخذه من الرجل اليسرى.

ولو شاء الله لطمس على أعينهم، فجعلهم عميًا يترددون، فيتبادروا إلى الطريق، فأنى يبصرون الحق، ولو شاء الله لجعلهم قردة وخنازير، فلا يستطيعون أن يتقدموا ولا يتأخروا، والإنسان كلما طال عمره رد إلى الضعف بعد القوة والعجز بعد النشاط، أفلا يتفكرون بعقولهم في ابتداء خلقهم ثم صيرورتهم إلى الشباب ثم إلى الشيخوخة؛ ليعلموا أنهم خلقوا لدار أخرى، لا زوال لها ولا انتقال منها، ولا محيد عنها، وهي الدار الآخرة، وقد أرسل الله رسوله ﷺ، وأوحى إليه القرآن هداية للبشرية، فكذبه المشركون، ووصفوا القرآن بالشعر، فجاء الرد عليهم أن النبي ﷺ لم يكن شاعرًا، وما هو في طبعه ولا يحسنه ولا يحبه، ولا تقتضيه جبلته، وإنما أرسله الله بالقرآن البين الواضح لمن تأمله وتدبره؛ لينذر بهذا القرآن البين كل حي على وجه الأرض، وإنما ينتفع بنذارته من هو حي القلب مستنير البصيرة، وهو رحمة للمؤمن، وحجة على الكافر.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

ترتيبها ٣٧ — سُورَةُ الصَّافَّاتِ — آياتها ١٨٢

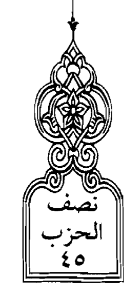
من نعم الله على خلقه هذه الأنعام التي سخرها لهم، وذللها لهم، لا تمتنع منهم، فمنها ما يركبونه في الأسفار، ويحملون عليه الأثقال إلى سائر الجهات والأقطار، ومن الحيوانات ما يأكلون لحومها ويشربون من ألبانها وأبوالها لمن يتداوى، وينتفعون من أوبارها وشعورها وأصوافها أثاثًا ومتاعًا، كل ذلك مستوجب شكر نعمة الله وتوحيد خالقها ومسخرها، ولا يشركون به غيره.

ومن ضلال المشركين اتخاذهم الأنداد آلهة مع الله، يبتغون بذلك أن تنصرهم تلك الآلهة وترزقهم وتقربهم إلى الله زلفى، وهي لا تقدر على نصر عابديها، بل هي أضعف من ذلك وأقل وأذل وأحقر وأدحر، بل لا تقدر على الانتصار لأنفسها ولا الانتقام ممن أرادها بسوء؛ لأنها جماد لا تسمع ولا تعقل، وهذه الأصنام محشورة مجموعة يوم القيامة، محضرة عند حساب عابديها؛ ليكون ذلك أبلغ في خزيهم، وأدل عليهم في إقامة الحجة عليهم.

وأمر النبي ﷺ بالصبر على تكذيبهم، وعدم الحزن على كفرهم بالله، فالله يعلم جميع ما هم عليه، وسيجزيهم وصفهم، يوم لا يفقدون من أعمالهم جليلًا ولا حقيرًا، ولا صغيرًا ولا كبيرًا، بل يعرض عليهم جميع ما كانوا يعملون قديمًا وحديثًا، والله خلق الإنسان من سلالة من ماء مهين، فخلقه من شيء حقير ضعيف مهين من أخلاط متفرقة، فالذي خلقه من هذه النطفة الضعيفة قادر على إعادته بعد موته، هذا الإنسان الذي استبعد إعادة الله تعالى ذي القدرة العظيمة التي خلقت السموات والأرض للأجساد والعظام الرميمة، ونسي نفسه، وأن الله خلقه من العدم، فعلم من نفسه ما هو أعظم مما استبعده وأنكره وجحده، وهو الذي بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خضرًا نضرًا ذا ثمر، ثم أعاده إلى أن صار حطبًا يابسًا توقد به النار، كذلك هو فعال لما يشاء، قادر على ما يريد لا يمنعه شيء، فالذي أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر على أن يبعثه، والذي خلق السموات السبع بما فيها من الكواكب السيارة والثوابت، والأرضين السبع وما فيها من جبال ورمال، وبحار وقفار، وما بين ذلك، قادرعلى إعادة الأجساد، يخلق خلقًا بعد خلق وهو العليم بجميع ما خلق، وإذا أراد شيئًا أمر بالشيء أمرًا واحدًا، لا يحتاج إلى تكرار، فتنزه وتقدس الحي القيوم، الذي بيده مقاليد السموات والأرض، وإليه يرجع الأمر كله، وله الخلق والأمر، وإليه يرجع العباد يوم القيامة، فيجازي كل عامل بعمله، وهو العادل المتفضل.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾
إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ
ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا
مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ
مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ
ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا
أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ
وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ
﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا
أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ
﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا
يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾
۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ
ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾





سورة الصافات

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر الصافات وهو وصف للملائكة

أقسم الله على إثبات وحدانيته بالملائكة، ولله أن يقسم بها يشاء من خلقه، أما الخلق فلا يقسمون إلا بالله، فالصافات الملائكة تصف عند ربها، يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف، والملائكة تزجر السحاب وتسوقه، والرعد ملك من الملائكة موكل بالسحاب في يده مخراق من نار يزجر به السحاب، والصوت الذي يسمع منه زجره السحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمره، والملائكة يتلون القرآن وذكر الله ﷻ، والمقسم عليه أنه تعالى لا إله إلا هو رب السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات، المالك المتصرف في الخلق بتسخيره بها فيه من كواكب ثوابت وسيارات تبدو من المشرق، وتغرب من المغرب، الذي زين السماء الدنيا للناظرين إليها من أهل الأرض بالكواكب السيارة والثوابت يثقب ضوءها جرم السماء الشفاف، فتضيء لأهل الأرض، وحفظ الله السماء، من استراق الشياطين، لئلا يصلوا إلى الملأ الأعلى، وهي السماوات ومن فيها من الملائكة، إذا تكلموا بها يوحيه الله مما يقوله من شرعه وقدره، فإن الشياطين تسترق السمع ويكون بعضهم فوق بعض، فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن؛ فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا؛ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء، وحفظ الله للسماء بإرسال الشهب المحرقة على الشياطين، من كل جهة يقصدون السماء منها رجمًا يدحرون به ويزجرون، ويمنعون من الوصول إلى ذلك، ولهم في الدار الآخرة عذاب دائم موجع مستمر إلا من اختطف من الشياطين الخطفة، وهي الكلمة يسمعها من السماء فيلقيها إلى الذي تحته، فيلبس بها الكهان على الناس، فقد تصيبهم الشهب المستنيرة والمحرقة وقد تخطئهم، فهل هؤلاء المنكرين للبعث أشد خلقًا، أم السماوات والأرض وما بينهما من الملائكة والشياطين والمخلوقات العظيمة؟ فقد خلقهم من طين يلتزق بعضه ببعض، بل عجبت يا محمد من تكذيب هؤلاء المنكرين للبعث، وأنت موقن مصدق بما أخبر الله به من الأمر العجيب، وهو إعادة الأجسام بعد فنائها، وهم بخلاف أمرك، من شدة تكذيبهم يسخرون مما تقول لهم من ذلك، وإذا رأوا دلالة واضحة على البعث يستهزئون، ويقولون سحر واضح، ويستبعدون البعث ويكذبون به، وأمر النبي ﷺ أن يقول لهم نعم تبعثون يوم القيامة بعد ما تصيرون ترابًا وعظامًا، وأنتم حقيرون تحت القدرة العظيمة، وإنما هو أمر واحد من الله ﷻ، يدعوهم دعوة واحدة أن يخرجوا من الأرض، فإذا هم قيام بين يديه، ينظرون إلى أهوال يوم القيامة، فيرجعون على أنفسهم بالملامة، ويعترفون بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم في الدار الدنيا، ويندمون حيث لا ينفعهم الندم، فتقول لهم الملائكة والمؤمنون هذا اليوم الذي يفصل فيه الله بين الخلائق وكنتم تكذبون به في الدنيا، ويأمر الله الملائكة أن تميز الكفار من المؤمنين في الموقف في محشرهم ومنشرهم، يحشر الكفار، وما كانوا يعبدون من الأصنام والأنداد تحشر معهم في أماكنهم، ويرشدون إلى طريق جهنم، ويقفون حتى يسألوا عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدار الدنيا.

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾

يوم القيامة، يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه، وزوجته وبنيه، لا ينفع أحد أحدًا، ولا ينصر أحد أحدًا، كل يقول نفسي نفسي، والجميع منقادون لأمر الله، لا يخالفونه ولا يحيدون عنه، والكفار يتلاومون في عرصات القيامة، كما يتخاصمون في دركات النار، فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعًا فهل أنتم مغنون عنا نصيبًا من النار، فقد كنتم تقهروننا بالقدرة منكم علينا؛ لأنا كنا أذلاء وكنتم أعزاء، وكنتم تنهونا عن الخير وتبطئونا عنه، وتزينون لنا الباطل، وتصدونا عن الحق، فيقول القادة من الجن والإنس للأتباع: ليس الأمر كما تزعمون، بل كانت قلوبكم منكرة للإيمان، قابلة للكفر والعصيان، وما كان لنا من حجة على صحة ما دعوناكم إليه، بل كان فيكم طغيان ومجاوزة للحق، فلهذا استجبتم لنا، وتركتم الحق الذي جاءتكم به الأنبياء، وأقاموا لكم الحجج على صحة ما جاءوكم به، فخالفتموهم، وقد حقت علينا كلمة الله إنا من الأشقياء الذائقين العذاب يوم القيامة، دعوناكم إلى الضلالة فاستجبتم لنا، فالجميع في النار، كل بحسبه، وذلك جزاء المجرمين لأنهم في الدار الدنيا إذا دعوا إلى التوحيد يستكبرون على قول كلمة التوحيد كما يقولها المؤمنون، ومن استكبار المشركين أنهم يقولون أنحن نترك عبادة آلهتنا وآلهة آبائنا عن قول هذا الشاعر المجنون؟ -يعنون رسول الله ﷺ- فجاء الرد عليهم تكذيبًا لهم أن رسول الله ﷺ جاء بالحق في جميع ما شرعة الله له من الإخبار والطلب وصدق الأنبياء قبله فيما أخبروا عنه من الصفات الحميدة، والمناهج السديدة، وأخبر عن الله في شرعه وقدره وأمره، والمكذبون له لهم العذاب الأليم يوم القيامة لكفرهم وعنادهم واستكبارهم عن قبول الحق، وأما الموحدون الذين أفردوا الله بالعبادة فلهم الجنة وما فيها من الفواكه المتنوعة يخدمون ويرزقون ويرفهون وينعمون في جنات النعيم، على سرر متقابلين لا ينظر بعضهم في قفا بعض، يدار عليهم بإناء فيه خمر جارية في الأنهار ظاهرة تراها العيون أشد بياضًا من اللبن، لذيذة لا تغتال عقولهم فتذهب بها، ولا يغلبهم على عقولهم ولا يسكرون، ولهم الحور حابسات الأعين غاضات الجفون، قصرن أعينهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم، حسان الأعين، كأنهن اللؤلؤ المحصون لم تمسه الأيدي، وأقبل أهل الجنة على بعض يتساءلون عن أحوالهم، وكيف كانوا في الدنيا، وماذا كانوا يعانون فيها وذلك من حديثهم على شرابهم واجتماعهم في تنادمهم وعشرتهم في مجالسهم، وهم جلوس على السرر، والخدم بين أيديهم، يسعون ويجيئون بكل خير عظيم من مآكل ومشارب وملابس، وغير ذلك مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فقال أحدهم أن لي صاحبًا يكذب بيوم القيامة.

يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

من نعيم الجنة اجتماع أهلها وتذاكرهم بأحوالهم في الدنيا، فيقول أحدهم إن له صديقًا يقول له في الدنيا: أأنت تصدق بالبعث والنشور والحساب والجزاء؟ وذلك على وجه التعجب والتكذيب والاستبعاد، والكفر والعناد، وإذا كنا ترابًا أإنا لمحاسبون ومجزيون بأعمالنا، ويقول المؤمن لأصحابه وجلسائه من أهل الجنة: هل أنتم مشرفون على النار، فاطلع فرآه في وسط الجحيم، فقال المؤمن مخاطبًا للكافر: والله إن كدت لتهلكني لو أطعتك، ولولا فضل الله علي لكنت مثلك في سواء الجحيم، محضر معك في العذاب، ولكنه تفضل علي ورحمني فهداني للإيمان، وأرشدني إلى توحيده، وأعطاني الله من الخلد في الجنة والإقامة في دار الكرامة، لا موت فيها ولا عذاب، فكل نعيم فإن الموت يقطعه، فلمثل هذا النعيم وهذا الفوز فليعمل العاملون في الدنيا، ليصيروا إليه في الآخرة، نسأل الله ألا يحرمنا الجنة ووالدينا وأهلينا وذرياتنا والمسلمين، فهل نعيم الجنة وما فيها من مآكل ومشارب ومناكح وغير ذلك من الملاذ خير ضيافة وعطاء؟ أم شجرة الزقوم التي في جهنم طعامًا لهم غذت من النار ومنها خلقت، وقد ذكرت شجرة الزقوم فافتتن بها أهل الضلالة، قال أبو جهل: إنما الزقوم التمر والزبد أتزقمه، وتلك الشجرة أصل منبتها في قرار النار، طلعها كأنه شعور الشياطين قائمة إلى السماء، يأكل أهل النار من هذه الشجرة التي لا أبشع منها، ولا أقبح من منظرها، مع ما هي عليه من سوء الطعم والريح والطبع، فإنهم ليضطرون إلى الأكل منها، لأنهم لا يجدون إلا إياها، ولو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم فكيف بمن يكون طعامه، ويشربون الحميم على الزقوم، يمزج لهم بصديد وغساق، مما يسيل من فروجهم وعيونهم، ثم إن مردهم بعد هذا إلى نار تتأجج، وجحيم تتوقد، وسعير يتوهج، فتارة في هذا وتارة في هذا، إنما جوزوا بذلك لأنهم وجدوا آباءهم على الضلالة فاتبعوهم فيها بمجرد ذلك، من غير دليل ولا برهان، وأكثر الأمم الماضية كانوا ضالين يجعلون مع الله آلهة أخرى، وقد أرسل الله فيهم منذرين، ينذرون بأس الله، ويحذرونهم سطوته ونقمته، ممن كفر به وعبد غيره، فتمادوا على مخالفة رسلهم وتكذيبهم، فأهلك الله المكذبين ودمرهم، ونجى المؤمنين ونصرهم وأظفرهم، فهذا نوح ﷺ لقي من قومه من التكذيب ولم يؤمن منهم إلا القليل مع طول المدة، فإنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، فلما طال عليه ذلك واشتد عليه تكذيبهم، وكلما دعاهم ازدادوا نفرة، فدعا ربه أني مغلوب فانتصر، فغضب الله لغضبه عليهم؛ فأجاب الله دعوته ونجاه وأهله من التكذيب والأذى.

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٥

لم يبق الله بعد الطوفان إلا ذرية نوح ﷺ، وجعل لنوح ﷺ ذكرًا حسنًا يذكر به فله الذكر الجميل والثناء الحسن، هذا هو جزاء الله لمن أحسن من العباد في طاعة الله، يجعل الله له لسان صدق يذكر به بعده بحسب مرتبته في ذلك، فهو من المصدقين الموحدين الموقنين، وأهلك الله قومه، فلم يبق منهم عين تطرف، ولا ذكر لهم ولا عين ولا أثر، ولا يعرفون إلا بهذه الصفة القبيحة، ومن أهل دينه وعلى منهاجه وسنته إبراهيم خليل الرحمن ﷺ، جاء ربه بقلب سليم من الشرك، ومليء بالتوحيد، فأنكر على قومه عبادة الأصنام والأنداد، وقال أتعبدون من دون الله آلهة كذبًا وهي ليست بآلهة، ولا تصلح للعبادة، فما تظنون برب العالمين، أن يفعل بكم وقد أشركتم في عبادته غيره؟ وهذا انتقاص لله أن جعلتم له أندادًا، وأراد إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن يختلي بآلهة قومه ليكسرها، وكان لهم من الغد عيد ومجمع، وكان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا؛ لئلا ينكروا عليه، فقالوا لإبراهيم: ألا تخرج غدًا معنا إلى عيدنا، فنظر إلى النجوم فقال إني مريض، وذلك أنه أراد أن يكايدهم في أصنامهم ليلزمهم الحجة في أنها غير معبودة، فذهبوا مدبرين إلى عيدهم، فذهب إبراهيم ﷺ إلى أصنامهم بعد أن خرجوا في سرعة واختفاء، فقال ألا تأكلون، وكانوا قد وضعوا بين أيديها طعامًا قربانًا لتبرك لهم فيه، فمال عليهم ضربًا باليمين، وتركها قطعًا إلا كبيرًا لهم لعلهم يسألونه إذا رجعوا، فلما رجعوا ما عرفوا من أول وهلة من فعل ذلك حتى كشفوا واستعلموا، فعرفوا أن إبراهيم ﷺ هو الذي فعل ذلك، فجاءوا يسرعون ليعاتبوه، فأخذ في تأنيبهم وعيبهم، وقال أتعبدون من دون الله من الأصنام ما أنتم تنحتونها وتصنعونها بأيديكم والله خلقكم والذي تعملونه؟! فقامت عليهم الحجة فعدلوا إلى أخذه باليد والقهر، فبنوا بنيانًا وألقوا فيه الحطب وأججوا نارًا عظيمة وألقوا إبراهيم ﷺ فيها، ونجاه الله من النار وكانت بردًا وسلامًا عليه، وأظهره الله عليهم، وأعلى حجته ونصرها، وبعدما نصره الله على قومه وأيس من إيمانهم بعدما شاهدوا من الآيات العظيمة، هاجر من بين أظهرهم، ودعا ربه أن يهب له أولادًا مطيعين عوضًا من قومه وعشيرته الذين فارقهم، فبشره الله بغلام حليم، وهو إسماعيل ﷺ، فإنه أول ولد بشر به إبراهيم ﷺ، فلما كبر الغلام وترعرع وصار يذهب مع أبيه ويمشي معه، وقد كان إبراهيم ﷺ يذهب في كل وقت يتفقد ولده وأم ولده بمكة وينظر في أمرهما، وقد أمره الله أن يجعلهما في مكة، ورأى رؤيا أنه يذبح ابنه -ورؤيا الأنبياء حق- وكان ذلك امتحانًا لإبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، فأعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه، وليختبر صبره وجلده وعزمه من صغره على طاعة الله تعالى، وطاعة أبيه، فقال الابن بلغة المستسلم لأمر ربه امض لما أمرك الله من ذبحي، وسأصبر وأحتسب ذلك عند الله ﷻ، وصدق صلوات الله وسلامه عليه فيما وعد.

فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾

لما أمر الخليل بذبح ابنه، استسلما وانقادا، إبراهيم امتثل أمر الله، وإسماعيل طاعة لله ولأبيه، وصرعه على وجهه ليذبحه من قفاه حتى لا يشاهد وجهه عند ذبحه؛ ليكون أهون عليه، وأوحى الله إليه يا إبراهيم قد حصل المقصود من رؤياك بإضجاعك ولدك للذبح، وكان جزاء المحسنين أن صرف الله عنهم المكاره والشدائد، وجعل لهم من أمرهم فرجًا ومخرجًا، وكان المقصود من ذلك إثابة الخليل على الصبر على ذبح ولده وعزمه على ذلك؛ فكان اختبارًا واضحًا جليًّا؛ حيث أمر بذبح ولده، فسارع إلى ذلك مستسلمًا لأمر الله، منقادًا لطاعته، وفداه الله بكبش أبيض أعين أقرن نزل من الجنة، وكانت سنة الأضاحي، أُمر المسلمون أن يضحوا ببهيمة الأنعام، ومن رحمة الله بعباده أنه لم يأمرهم بذبح أبنائهم، فتطيب نفس المؤمن بذبح الأضاحي تقربًا لله تعالى، وجعل الله للخليل في الآخرين ثناءً حسنًا، وبشره بعد ذلك بإسحاق نبيًّا جزاء لطاعته، وبارك الله على إبراهيم في أولاده، وعلى إسحاق بكون أكثر الأنبياء من نسله، ومن ذرية إبراهيم وإسحاق مؤمن وكافر ظاهر، وممن أنعم الله عليه نبي الله موسى ﷺ، ونبي الله هارون ﷺ، أنعم الله عليهما بالنبوة والنجاة بمن آمن معهما من قهر فرعون وقومه، وما كان يعتمده في حقهم من الإساءة العظيمة، من قتل الأبناء واستحياء النساء، واستعمالهم في أخس الأشياء، ثم بعد هذا كله نصرهم عليهم، وأقر أعينهم منهم، فغلبوهم وأخذوا أرضهم وأموالهم وما كانوا جمعوه طول حياتهم، ثم أنزل الله على موسى الكتاب العظيم الواضح الجلي المستبين وهو التوراة، وهداهما ربهما الصراط المستقيم في الأقوال والأفعال، وأبقى لهما ذكرًا جميلًا وثناء حسنًا، ومن أنبياء الله إلياس ﷺ، بعثه الله في بني إسرائيل وكانوا قد عبدوا صنمًا يقال له (بعل) فدعاهم إلى الله، ونهاهم عن عبادة ما سواه، وكان قد آمن به ملكهم ثم ارتد، واستمروا على ضلالتهم، ولم يؤمن به منهم أحد، فدعا الله عليهم، فحبس عنهم القطر ثلاث سنين، ثم سألوه أن يكشف ذلك عنهم، ووعدوه الإيمان به إن هم أصابهم المطر، فدعا الله لهم، فجاءهم الغيث فاستمروا على أخبث ما كانوا عليه من الكفر، فسأل الله أن يقبضه إليه.

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ
نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا
لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا
فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم
مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ
مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ
كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾
۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً
مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾
فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ
وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ
شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ
ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾



أهلك الله المكذبين من قوم إلياس، وأنجى الموحدين منهم، وجعل له ثناء جميلًا، وتحية من الله ومن عباده على إلياس، وفي لغة بعض العرب إل ياسين، ومن أنبياء الله عبده ورسوله لوط ﷺ بعثه إلى قومه، فكذبوه فنجاه الله من بين أظهرهم هو وأهله، إلا امرأته فإنها هلكت مع من هلك من قومها، فإن الله تعالى أهلكهم بأنواع من العقوبات، وجعل محلتهم من الأرض بحيرة منتنة قبيحة المنظر والطعم والريح، وجعلها بطريق يمر بها المسافرون ليلًا ونهارًا؛ حتى يعتبر الناس بهم كيف دمر الله عليهم.

ومن أنبياء الله يونس ﷺ غضب على قومه فانطلق حتى انتهى إلى قوم في سفينة فعرفوه فحملوه فلما ركب السفينة وقفت فقال: ما لسفينتكم قالوا: لا ندري قال لكني أدري فيها عبد آبق من ربه إنها والله لا تسير حتى تلقوه، فاقترعوا فمن وقعت عليه فليقع فاقترعوا فوقعت على يونس فأبوا أن يمكنوه من الوقوع فعادوا إلى القرعة حتى وقعت على يونس ثلاث مرات، فتجرد من ثيابه ليلقي نفسه وهم يأبون عليه ذلك، وأمر الله تعالى حوتًا من البحر أن يشق البحار وأن يلتقم يونس ﷺ، فلا يهشم له لحمًا، ولا يكسر له عظمًا، فجاء ذلك الحوت وألقى يونس ﷺ نفسه فالتقمه الحوت وذهب به فطاف به البحار كلها، ولما استقر يونس في بطن الحوت، حسب أنه قد مات ثم حرك رأسه ورجليه وأطرافه فإذا هو حي، فقام يصلي في بطن الحوت، فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجاب الله له فطرحه الحوت بالعراء، وأنبت الله عليه اليقطينة وهي شجرة الدباء وهو ضعيف البدن، وأرسله الله إلى مائة وثلاثين ألفًا، فصدقوه كلهم وآمنوا به.

وأمر النبي ﷺ أن يسأل المشركين الضالين الذين جعلوا الملائكة بنات الله، ولهم ما يشتهون من الذكور، كيف حكموا على الملائكة أنهم إناث وما شاهدوا خلقهم، فهم قالوا في الملائكة ثلاثة أقوال في غاية الكفر والكذب، فأولًا: جعلوهم بنات الله، فجعلوا لله ولدًا، وثانيًا: جعلوا ذلك الولد أنثى، وثالثًا: عبدوهم من دون الله، وكل منها كافٍ في التخليد في نار جهنم، وكيف يختار الله البنات دون البنين.

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

سُورَةُ صٓ

ترتيبها ٣٨ — آياتها ٨٨

من ضلال المشركين قولهم إن الملائكة بنات الله وذلك يدل أن ليس لهم عقول يتدبرون بها ما يقولون، وليس عندهم حجة على ما يقولونه، فليأتوا بالبرهان والدليل على ذلك يكون مستندًا إلى كتاب منزل من السماء عن الله، ومن كذبهم وافترائهم قولهم إن أمهات الملائكة من الجن، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا ومن قال ذلك فله العذاب يوم الحساب لكذبه في ذلك وافترائه، وقوله الباطل بلا علم، تعالى الله وتقدس وتنزه عن أن يكون له ولد، وعما يصفه به الظالمون الملحدون علوًّا كبيرًا.

أما المخلصون، المتبعون للحق المنزل على كل نبي ومرسل، فإنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ، وعبدة الأصنام هم وأصنامهم لن يضلوا إلا من قدر الله أنه من أهل النار، وكان في سابق علم الله أنه من أهل الشقاوة، وأما الملائكة فهم عباد مكرمون، لهم مواضع مخصصة في السماوات ومقامات للعبادة، فليس في السموات موضع قدم إلا عليه ملك راكع أو ساجد، ويقفون صفوفًا في الطاعة والعبادة والذكر والتسبيح، يسبحون الرب ويمجدونه ويقدسونه وينزهونه عن النقائص.

وقد كان المشركون يتمنون قبل أن تأتيهم رسالة محمد ﷺ لو كان عندهم من يذكرهم بأمر الله، وما كان من أمر القرون الأولى، ويأتيهم بكتاب الله، ليكونوا أهدى الأمم فلما جاءهم كذبوا بآيات الله وكفروا به، وسيجدون عاقبة كفرهم العذاب الأليم يوم القيامة.

وقد كتب الله في اللوح المحفوظ أن العاقبة للرسل وأتباعهم في الدنيا والآخرة، وأن جند الله لهم العاقبة والنصرة والظفر، وأما الكفار فهم منظرون للعذاب من الهزيمة في الدنيا، والعذاب والنكال في الآخرة على مخالفتهم وتكذيبهم؛ وهم لتكذيبهم وكفرهم يستعجلون العذاب، فإذا نزل العذاب بمحلتهم فبئس ذلك اليوم يومهم، بإهلاكهم ودمارهم، فتقدس الله وتعالى عما يقوله الظالمون المكذبون المعتدون علوًا كبيرًا، فهو سبحانه ذو العزة التي لا ترام، وسلام الله على رسل الله وأتباعهم في الدنيا والآخرة؛ لسلامة ما قالوه في ربهم، وصحته وحقيقته، ولله الحمد في الأولى والآخرة في كل حال.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾

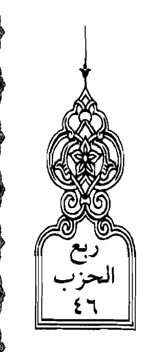


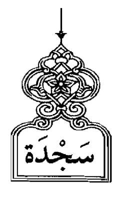
سورة ص

وهي سورة مكية، سميت بهذا الاسم باسم الحرف الذي بدئت به

ابتدأت السورة بالحروف المقطعة، الدالة على إعجاز القرآن وبلاغته، فهوكتاب الله، المشتمل على ما فيه ذكر للعباد ونفع لهم في المعاش والمعاد، فهو كتاب شريف مشتمل على التذكير والإعذار والإنذار، فهو ذكر لمن يتذكر، وعبرة لمن يعتبر، وإنما لم ينتفع به الكافرون لأنهم في استكبار عنه وحمية ومخالفة له ومعاندة ومفارقة، وكم من أمة مكذبة استغاثوا وجأروا إلى الله حين جاءهم العذاب وليس ذلك بمجدٍ عنهم شيئًا، ونادوا بالتوحيد حين تولت الدنيا عنهم، واستناصوا للتوبة حين تولت الدنيا عنهم، وليس الوقت وقت توبة، ولا عمل، ومن تعنت المشركين تعجبهم من بعثة الرسول بشرًا مثلهم، واتهموه بالسحر والكذب، وقالوا: أزعم أن المعبود واحد لا إله إلا هو، وتعجبوا من ترك الشرك بالله، فإنهم كانوا قد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان وأشربته قلوبهم فلما دعاهم الرسول ﷺ إلى خلع ذلك من قلوبهم وإفراد الله بالوحدانية أعظموا ذلك، وقال السادة والقادة والرؤساء استمروا على دينكم، ولا تستجيبوا لما يدعوكم إليه محمد من التوحيد، وإن هذا الذي يدعونا إليه محمد ﷺ من التوحيد لشيء يريد به الشرف عليكم والاستعلاء، وأن يكون له منكم أتباع ولسنا مجيبيه إليه، وما سمعنا بهذا الذي يدعونا إليه محمد من التوحيد في الملة الآخرة، ولو كان هذا القرآن حقًّا أخبرتنا به النصارى، إن هذا إلا كذب، واستبعدوا تخصيص النبي ﷺ بإنزال القرآن عليه من بينهم كلهم، وهذا يدل على جهلهم وقلة عقلهم في استبعادهم إنزال القرآن على الرسول من بينهم، وإنما يقولون هذا لأنهم ما ذاقوا إلى حين قولهم ذلك عذاب الله ونقمته، وسيعلمون غب ما قالوا، وما كذبوا به يوم يدعون إلى نار جهنم دَعًّا، والله سبحانه المتصرف في ملكه الفعال لما يشاء الذي يعطي من يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويهدي من يشاء ويضل من يشاء وينزل الروح من أمره على من يشاء من عباده ويختم على قلب من يشاء فلا يهديه أحد من بعد الله وإن العباد لا يملكون شيئًا من الأمر وليس إليهم من التصرف في الملك ولا مثقال ذرة وما يملكون من قطمير، وهو العزيز الذي لا يرام جنابه الوهاب الذي يعطي ما يريد لمن يريد، وإن كان لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليصعدوا في طرق السماء، وهؤلاء الجند المكذبون سيهزمون ويغلبون ويكبتون كما كبت الذين من قبلهم من الأحزاب المكذبين، وقد كذبت القرون الماضية، فحل بهم العذاب والنكال والنقمات لمخالفة الرسل وتكذيب الأنبياء، وكانوا أكثر من العرب، وأشد قوة وأكثر أموالًا وأولادًا فما دافع ذلك عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر الله، وما كان هلاكهم إلا تكذيبهم بالرسل، وما ينتظر المكذبون إلا الساعة، وقد اقتربت ودنت وأزفت، تفجأهم الصيحة، نفخة الفزع التي يأمر الله إسرافيل أن يطولها، فلا يبقى أحد من أهل السماوات والأرض إلا فزع إلا من استثنى الله ﷻ، ومن تعنت المشركين دعاؤهم على أنفسهم بتعجيل حظهم ونصيبهم من العذاب.

ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَـٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّـٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾





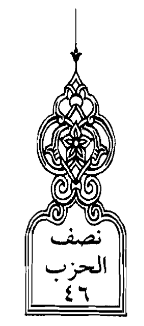
أُمر النبي ﷺ بالصبر على أذى المشركين القولي والفعلي، وقد سبق النبي عليه الصلاة والسلام من الأنبياء من لقوا في سبيل تبليغ الدعوة الأذى، ومنهم داود ﷺ فقد كان في العلم والعمل والدعوة، وقد أُعطي داود ﷺ قوة في العبادة، فقدكان يقوم ثلث الليل ويصوم نصف الدهر، وكان رجاعًا إلى الله ﷻ في جميع أموره وشئونه، سخر الله له الجبال تسبح معه عند إشراق الشمس وآخر النهار، وكانت الطير تسبح بتسبيحه وترجع بترجيعه إذا مر به الطير وهو سابح في الهواء فسمعه وهو يترنم بقراءة الزبور لا تستطيع الذهاب بل تقف في الهواء وتسبح معه وتجيبه الجبال الشامخات ترجع معه وتسبح تبعًا له، والطير محشورة محبوسة في الهواء، كل له مطيع يسبح تبعًا له.

وجعل الله له مُلكًا كاملًا من جميع ما يحتاج إليه الملوك، وكان أشد أهل الدنيا سلطانًا، وكان يحرسه في كل يوم أربعة آلاف، وآتاه الله النبوة والفهم والعقل والفطنة والعدل والصواب، والفصل في الخصومة ومن أسبابها الشهود والأيمان، وكان خطيبًا وهو أول من قال: أما بعد، وقد امتحن الله نبيه داود ﷺ بالخصمين اللذين اختصما عنده، فتسورا على داود مكان عبادته، فخاف من دخولهما عليه، فقالا له: إنما نحن خصمان اعتدى أحدنا على الآخر فاقض بيننا بالعدل، ولا تخف الحق في حكمك علينا، ودلنا إلى أحسن طريق، فقال أحدهما إن هذا أخي له تسع وتسعون من الضأن، وليس عندي إلا ضأن واحدة، وهي الشاة فطمع فيها، وقال أعطنيها، وغلبني بحجته، فقال داود ﷺ لقد ظلمك أخوك بسؤاله ضم نعجتك إلى نعاجه، وإن من الشركاء من يعتدي بعضهم على بعض إلا من يخاف الله ويتقيه، وحكم بحكمه ولم يسمع من الخصم الثاني، وأيقن داود أنه أخطأ في حكمه بهذه الخصومة، فاستغفر ربه، وسجد تقربًا لله، ورجع إليه وتاب، وإن لداود عند ربه يوم القيامة منزلة يقربه الله ﷻ بها وحسن مرجع وهو الدرجات العاليات في الجنة لتوبته وعدله التام في ملكه، وأنبياء الله هم القائمون بأمر الله، ومنهم داود ﷺ استخلفه الله في الأرض، فهو خليفة الأنبياء بالأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وأمره الله بالعدل الذي هو حكم الله بين عباده ونهاه عن اتباع هوى النفس في الحكم بين العباد لأنه سبب الضلال، وقد توعد الله تعالى من ضل عن سبيله وتناسى يوم الحساب، بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد، وهذه وصية من الله ﷻ لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيله.

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ
فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ
﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ
ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ
﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ
أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾
رُدُّوهَا عَلَىَّۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا
سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ
لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾
فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ
كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا
عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ
مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ
بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾

ما خلق الله الخلق عبثًا وإنما خلقهم ليعبدوه ويوحدوه ثم يجمعهم ليوم الجمع فيثيب المطيع ويعذب الكافر الذي يكذب بالبعث والمعاد وإنما يعتقد الحياة الدنيا، فويل له يوم معاده ونشوره من النار المعدة له، ومن عدل الله وحكمته ألا يساوي بين المؤمن والكافر فلا يستوون عند الله، وفي الدار الآخرة يميز بينهم يثيب فيها المطيع ويعاقب فيها الفاجر، وفي القرآن الهداية للبشرية، فمن تدبر القرآن وجد فيه الذكرى والعبرة ولا يكون ذلك لأصحاب العقول السليمة، ووهب الله لداود سليمان عليهما السلام نبيًّا فورثه في النبوة، وهو نعم العبد لأنه كثير الطاعة والعبادة والإنابة إلى الله ﷻ، إذ عرض على سليمان في حال مملكته وسلطانه الخيل الصافنات، التي تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة، فأشغلت سليمان عليه الصلاة والسلام عن الصلاة فعقرها لوجه الله، ولم يتركها عمدًا بل نسيانًا كما شُغل النبي ﷺ يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب، فقد شغل بإعداد الخيل للجهاد في سبيل الله، وقد ابتلى الله نبيه سليمان عليه السلام لأنه أقسم أن يطوف على نسائه في ليلة واحدة، وكلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل إن شاء الله، فطاف عليهن جميعًا، فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق ولد، فألقي على كرسيه شق ولد، فعلم سليمان عليه السلام أن الله امتحنه بذلك واختبره فرجع إلى ربه وتاب، وقال رب اغفر لي ذنبي، وأعطني ملكًا عظيمًا لا يكون مثله لأحد من البشر بعدي، فاستجاب الله له، لأنه سبحانه كثير الجود والعطاء فذلل له الريح تجري بأمره تطيعه في كل أمر يأمرها به، فإنه لما عقر الخيل غضبًا لله، ﷻ عوضه الله ما هو خير منها وأسرع الريح التي غدوها شهر ورواحها شهر، وسخر الله الشياطين فمنهم من هو مستعمل في الأبنية الهائلة من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات إلى غير ذلك من الأعمال الشاقة التي لا يقدر عليها البشر وطائفة غواصون في البحار يستخرجون مما فيها من اللآلئ والجواهر والأشياء النفيسة التي لا توجد إلا فيها، ومنهم الموثقون في الأغلال ممن قد تمرد وعصى وامتنع من العمل وأبى، وهذا العطاء من الملك التام والسلطان الكامل من الله، له أن يعطي من يشاء ويحرم من يشاء بلا حساب ولا جناح في الدار الآخرة، ومن أنبياء الله عبده ورسوله أيوب عليه السلام ابتلاه الله تعالى بالضر في جسده وماله وولده حتى لم يبق من جسده سليمًا سوى قلبه ولم يبق له من حال الدنيا شيء يستعين به على مرضه وما هو فيه غير أن زوجته حفظت وده لإيمانها بالله ورسوله فكانت تخدم الناس بالأجرة، وتطعمه وتخدمه نحوًا من ثماني عشرة سنة، وقد كان قبل ذلك في مال جزيل وأولاد وسعة طائلة من الدنيا فسلب جميع ذلك حتى آل به الحال إلى أن ألقي على مزبلة من مزابل البلدة هذه المدة بكمالها ورفضه القريب والبعيد سوى زوجته رضي الله عنها فإنها كانت لا تفارقه صباحًا ولا مساء إلا بسبب خدمة الناس ثم تعود إليه قريبًا، فلما اشتد الحال وانتهى القدر المقدور تضرع إلى رب العالمين، رب إني مسني الشيطان بتعب في بدني وعذاب في مالي وولدي، وكان الشيطان سُلِّط عليه ابتلاء وامتحانًا، وكان يوسوس له، ويذكره بأيام الرخاء، ونسب الأذى الذي أصابه للشيطان تأدبًا مع الله، فعند ذلك استجاب له أرحم الراحمين وأمره أن يقوم من مقامه وأن يضرب الأرض برجله، ففعل فأنبع الله عينًا وأمره أن يغتسل منها فأذهب جميع ما كان في بدنه من الأذى، ثم أمره فضرب الأرض في مكان آخر فأنبع له عينًا أخرى وأمره أن يشرب منها فأذهبت ما كان في باطنه من السوء وتكاملت العافية ظاهرًا وباطنًا.

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ
﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ
نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى
ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ
إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ
وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ
﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾
۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ
ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ
لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا
فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾
هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾
قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾
قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾



اغتسل أيوب ﷺ واستبطأته زوجته وهي تنتظره لتمسك بيده، فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو على أحسن ما كان، فلما رأته قالت بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى، فوالله ما رأيت رجلًا أشبه به منك إذ كان صحيحًا، قال فإني أنا هو، وكان له مخزنان للقمح وللشعير فبعث الله سحابتين فلما كانت إحداهما على مكان القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الأخرى في مكان الشعير حتى فاض، وأحيا الله تعالى أولاده بأعيانهم وزادهم مثلهم معهم، رحمة من الله به على صبره وثباته وإنابته وتواضعه واستكانته، فكان عبرة وعظة لذوي العقول ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرج والمخرج والراحة، وكانت زوجته باعت ضفيرتها بخبز فأطعمته إياه فلامها على ذلك وحلف إن شفاه الله ليضربنها مائة جلدة، فلما شفاه الله وعافاه ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامة والرحمة والشفقة والإحسان أن تقابل بالضرب فأفتاه الله ﷻ أن يأخذ شمراخًا فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة وقد برت يمينه وخرج من حنثه ووفى بنذره وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله وأناب إليه، ورجع إلى الحق، ومن أنبياء الله العابدين وعباده المرسلين إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي القوة في طاعة الله والعمل الصالح والعلم النافع والفقه في الدين، والبصيرة النافذة، ونزع الله من قلوبهم حب الدنيا وذكرها وأخلصهم بحب الآخرة وذكرها، يعملون للآخرة ليس لهم هَمٌّ غيرها، وهم من المختارين المجتبين الأخيار، ومن أنبياء الله إسماعيل واليسع وذا الكفل صبروا على الدعوة، وتحملوا الشدائد في دين الله، اختارهم الله لنبوّته، واصطفاهم من خلقه، وأمر الله رسوله ﷺ بأن يذكرهم؛ ليسلك مسلكهم في الصبر فلهم ذكر جميل في الدنيا، وشرف يذكرون به أبدًا، ومع هذا الذكر الجميل حسن المرجع في الآخرة، فهم يرجعون في الآخرة إلى مغفرة الله، ورضوانه ونعيم جنته، إذا جاءوها فتحت لهم أبوابها، متربعين فيها على سرر يدعون فيها بفاكهة كثيرة، مهما طلبوا وجدوا وحضر كما أرادوا، والشراب أي أنواعه شاءوا أتتهم به الخدام، وعندهم أزواجهم لا يلتفتن إلى غيرهم، متساويات في السن والعمر، فهذا وعد الله لعباده المتقين يصيرون إليه بعد نشورهم وقيامهم من قبورهم وسلامتهم من النار، ونعيم الجنة لا فراغ له ولا انقضاء ولا زوال ولا انتهاء، وأما حال الأشقياء، الذين خرجوا عن طاعة الله وخالفوا الرسل، لهم سوء المنقلب والمرجع، جهنم يدخلونها فتغمرهم من جميع جوانبهم، فبئس ما مهدوا لأنفسهم، وفرشوا لها، فشرابهم الحميم وهو الماء الحار الذي قد انتهى حره والغساق وهو البارد الذي لا يستطاع من شدة برده المؤلم، وأنواعًا من العذاب من مثل الحميم، والغساق والشيء وضده يعاقبون به، كالزمهرير والسموم، وهم في النار يتلاعنون ويتكاذبون، ويكفر بعضهم ببعض فتنقطع المودة بين الكفار، وهذه المودّة التي كانت بينهم تصير عداوة فالأتباع والقادة يتناظرون في النار، ويدعو الأتباع على قادتهم الذين قادوهم إلى النار وأوصلوهم إلى بئس المنزل والمستقر والمصير أن يضاعف الله عليهم العذاب.

وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾

الكفار في النار يفقدون رجالًا كانوا يعتقدون أنهم على الضلالة، وكانوا يستهزئون بهم، وهم المؤمنون، فهم يعتقدون أن المؤمنين يدخلون النار، فلما دخل الكفار النار افتقدوهم فلم يجدوهم، فيسلون أنفسهم أنهم لم تقع أبصارهم عليهم، فعند ذلك يعرفون أنهم في الدرجات العاليات، حين يناديهم أصحاب الجنة أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا، فهذا تخاصم أهل النار بعضهم في بعض ولعن بعضهم بعضًا وهو حق لا مرية فيه ولا شك، وهو واقع لا محالة.

والرسول ﷺ منذر للكفار بالله المشركين به المكذبين، ينذرهم ذلك اليوم وذلك الموقف، فليوحدوا الله تعالى حتى تكتب لهم النجاة، وليعبدوا الواحد الذي قهر كل شيء وغلبه، رب السموات والأرض وهو المالك والمتصرف الغفار لعباده مع عزته وعظمته، وإرسال الله لنبيه ﷺ خبر عظيم وشأن بليغ الكفار عنه غافلون، لأن فيه نجاتهم، ولولا وحي الله لعبده لم يدرِ باختلاف الملأ الأعلى، وذلك في شأن آدم وامتناع إبليس من السجود له، ومحاجته ربه في تفضيله عليه، وفي الكفارات وهي: نقل الأقدام إلى الجمعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء عند الكريهات، وفي الدرجات وهي: إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة والناس نيام، وقد أعلم الله الملائكة قبل خلق آدم ﷺ بأنه سيخلق بشرًا من صلصال من حمأ مسنون فإذا فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له إكرامًا وإعظامًا واحترامًا، وامتثالًا لأمر الله ﷻ، فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس ولم يكن منهم جنسًا كان من الجن فخانه طبعه وجبلته أحوج ما كان إليه فاستكبر عن السجود لآدم، الذي خلقه الله بيديه، وقد أجمع السلف على إثبات اليدين لله، فيجب إثباتها له بدون تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهما يدان حقيقيتان لله تعالى تليقان به، وخاصم إبليس ربه ﷻ في آدم، وادعى أنه خير منه، فإنه مخلوق من نار وآدم خلق من طين والنار خير من الطين في زعمه، فخالف أمر الله، وكفر بذلك فأبعده الله وأرغم أنفه وطرده عن رحمته، وسماه "إبليس" إعلامًا له بأنه قد أبلس من الرحمة وأنزله من السماء مذمومًا مدحورًا إلى الأرض فسأل الله البقاء إلى يوم البعث فأنظره الحليم الذي لا يعجل على من عصاه، فلما أمن الهلاك إلى يوم القيامة تمرد وطغى، فأقسم بعزّة الله أنه يضلّ بني آدم بتزيين الشهوات لهم وإدخال الشبه عليهم حتى يصيروا غاوين جميعًا، ثم لما علم أن كيده لا ينجح إلا في أتباعه وأحزابه من أهل الكفر والمعاصي، استثنى من لا يقدر على إضلاله ولا يجد السبيل إلى إغوائه، الذين أخلصهم الله لطاعته، وعصمهم من الشيطان الرجيم.

قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ الزُّمَرِ

ترتيبها ٣٩ — آياتها ٧٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴿٣﴾ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٥﴾



أقسم الله بالحق وقوله الحق ليملأن جهنم من إبليس وأتباعه من الجنة والناس أجمعين، والرسول ﷺ لا يسأل على البلاغ والنصح أجرًا من عرض الحياة الدنيا، وما يزيد على ما أرسله الله به، ولا يبتغي زيادة عليه بل ما أمر به أداه، لا يزيد عليه ولا ينقص منه، وإنما يبتغي بذلك وجه الله ﷻ والدار الآخرة، وما أمر بتبليغه ذكر لجميع المكلفين من الإنس والجن، وبعد الموت يعلم الإنسان خبر وصدق الرسول ﷺ

سورة الزمر

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر سوق أهل الجنة والنار زمرًا

هذا القرآن العظيم، منزل من الله تبارك وتعالى غير مخلوق، وهو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك، من الله المنيع الجناب، الحكيم في أقواله وأفعاله، وشرعه وقدره، أنزله الله بالحق يدعو إلى التوحيد ونبذ الشرك، يأمر الناس بعبادة الله وحده لا شريك له، والدعوة إلى التوحيد، فالعبادة لا تصلح إلا له وحده، ليس له شريك ولا عديل ولا نديد، ولا يقبل الله من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له، وعباد الأصنام من المشركين يقولون إنما يحملهم على عبادتهم للأصنام؛ أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين، فعبدوا تلك الصور تنزيلًا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة؛ ليشفعوا لهم عند الله، ويقربوهم عنده منزلة، وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه، وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بردها والنهي عنها، والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له، وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم، لم يأذن الله فيه ولا رضي به، بل أبغضه ونهى عنه، والله سيفصل بين الخلائق يوم معادهم، ويجزي كل عامل بعمله، والله لا يرشد إلى الهداية من قصده الكذب والافتراء على الله، وقلبه كفار يجحد بآياته، ومن جهل المشركين نسبة الولد إلى الله، فجاء الرد عليهم لو أراد الله الولد لكان الأمر على خلاف ما يزعمون، وهذا شرط لا يلزم وقوعه ولا جوازه، بل هو محال، وإنما قصد تجهيلهم فيما ادعوه وزعموه، تعالى وتنزه وتقدس عن أن يكون له ولد، فإنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي كل شيء عبد لديه، فقير إليه، وهو الغني عما سواه الذي قد قهر الأشياء فدانت له وذلت وخضعت، وهو الخالق لما في السموات والأرض، وما بين ذلك من الأشياء، وهو مالك الملك المتصرف فيه، يقلب ليله ونهاره، سخرهما يجريان متعاقبين، كل منهما يطلب الآخر طلبًا حثيثًا، وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى مدة معلومة عند الله ثم تنقضي يوم القيامة، وهو سبحانه غفار لمن عصاه ثم تاب وأناب إليه، مع عزته وعظمته وكبريائه.

خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم
مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ
خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ
ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ
ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ
لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾
۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ
نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا
لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ
ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ
ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ
لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ
وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٦

خلق الله خلقه من نفس واحدة، وهو آدم ﷺ، خلقهم مع اختلاف أجناسهم وأصنافهم وألسنتهم وألوانهم، وخلق من نفس آدم حواء عليها السلام وخلق لهم من ظهور الأنعام ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين، ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين، وقدَّر خلق العباد في بطون أمهاتهم بأن يكون أحدهم أولًا نطفة، ثم يكون علقة، ثم يكون مضغة، ثم يخلق فيكون لحمًا وعظمًا وعصبًا وعروقًا، وينفخ فيه الروح فيصير خلقًا آخر، في ظلمات ثلاث ظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، وظلمة البطن، وهو الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما وخلقهم وخلق آباءهم، وهو الرب له الملك والتصرف في جميع ذلك، لا تنبغي العبادة إلا له سبحانه فكيف يعبد العباد معه غيره، وأين تذهب عقولهم عن وحدانية الله، والله الغني عما سواه من المخلوقات، فلو أن أول العباد وآخرهم وإنسهم وجنهم، كانوا على أفجر قلب رجل منهم، ما نقص ذلك من ملك الله شيئًا، وهو سبحانه لا يحب الكفر من عباده ولا يأمر به، وإن كان قدره وقضاه، ويحب من عباده أن يوحدوه ويشكروه، فيزيدهم من فضله، ومحبة الله صفة من صفاته الفعلية، فيجب إثبات ذلك حقيقة من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، والله ﷻ موصوف بالرضا، وهو يرضى عن العمل، ويرضى عن العامل، ورضا الله صفة ثابتة لله ﷻ، وهي في نفسه، وليست شيئًا منفصلًا عنه كما يدعيه أهل التعطيل، والله لا يحاسب أحدًا عن أحد، ولا تحمل نفس عن نفس شيئًا، بل كل مطالب بأمر نفسه، والجميع مرجعهم إلى الله يوم القيامة، وهو العليم بهم، لا تخفى عليه خافية.

والإنسان عند الحاجة يضرع ويستغيث بالله وحده لا شريك له، وفي حال الرفاهية ينسى ذلك الدعاء والتضرع، فهو في حال العافية يشرك بالله، ويجعل له شركاء، فليتمتع بكفره في الدنيا، فهو من أهل النار، وهذا وعيد شديد، فمن أشرك بالله وجعل له أندادًا لا يستوي عند الله بمن حقق التوحيد وعبد الله، وأخلص العبودية لله، خاشعًا في صلاته آناء الليل وأطراف النهار في حال سجوده وفي حال قيامه، خائف من الله، راجٍ لثواب الله ولا بد في العبادة من هذا وهذا، وأن يكون الخوف في مدة الحياة هو الغالب؛ فإذا كان عند الاحتضار فليكن الرجاء هو الغالب عليه، فعند الموت لا يجتمعان في قلب عبد إلا أعطاه الله ﷻ الذي يرجو، وأمنه الذي يخافه، ولا يستوي أهل العلم الراسخين الذين يخشون ربهم، ويحملون العلم بشريعة الله، والذين يجهلون الأحكام، وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، ولا يعلم الفرق بين هذا وهذا إلا من له عقل، والمؤمنون الصادقون الذين استقاموا على طاعة ربهم وتقواه، وأحسنوا في أعمالهم، لهم في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، ومن تعسر عليه فعل الطاعات، والإحسان في وطنه، فليهاجر إلى حيث يمكنه طاعة الله والعمل بما أمر به، والترك لما نهى عنه، والصابرون على طاعة ربهم يوفيهم الله أجرهم في مقابلة صبرهم، بما لا يقدر على حصره حاصر، ولا يستطيع حسبانه حاسب.

قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ
أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ
﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ
قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ
وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾
وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ
فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾
أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾
لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي
مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمۡ تَرَ
أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ
يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ
يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢١﴾

أمر الرسول ﷺ بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، والأمر لأمته من بعده، فهو أول المسلمين من أمته ﷺ، والمعصية سبب لعذاب الله، ولئن كان النبي ﷺ يخاف من عقوبة الله، فغيره بطريق الأولى والأحرى أن يخاف، وأشد الذنوب الشرك بالله، والواجب إخلاص العبادة لله وحده لاشريك له، ومن أشرك فهو الخاسر يوم القيامة، يخسر نفسه فيوقعها في النار، ويخسر أهله فيتفارقون فلا التقاء لهم أبدًا، سواء ذهب أهلوهم إلى الجنة، وذهبوا هم إلى النار، أو أن الجميع أسكنوا النار، ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور، وهذا هو الخسار البين الظاهر الواضح، فالعذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم يظلهم، ويغطيهم من كل جانب، وذلك موجب للخوف، الذي يقود المسلم أن يتبرأ من المشركين وأعمالهم، فيحقق التوحيد ويعمل بطاعة الله، ويتقي الله في جميع أحواله، ومن اجتنب عبادة الأوثان وأناب إلى عبادة الرحمن لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، الذين يستمعون القول فيفهمونه ويعملون بما فيه، وهم الذين هداهم الله في الدنيا والآخرة، وهم أصحاب العقول الصحيحة، والفطر المستقيمة، ومن كتب الله عليه الشقاوة لا يقدر أحد أن ينقذه مما هو فيه من الضلال والهلاك، فلا يهديه أحد من بعد الله؛ لأنه من يضلل الله فلا هادي له، ومن يهده فلا مضل له والسعداء لهم غرف في الجنة، وهي القصور الشاهقة، طباق فوق طباق، مبنيات محكمات مزخرفات عاليات، يرى بطونها من ظهورها، وظهورها من بطونها، وأهل الجنة يتراءون تلك القصور كما يتراءى الكوكب في السماء، تسلك الأنهار بين خلال تلك القصور، كل ذلك وعد وعده الله عباده المؤمنين، وأصل الماء الذي في الأرض من السماء، يكمن في الأرض، ثم يصرفه الله في أجزاء الأرض كما يشاء، وينبعه عيونًا ما بين صغار وكبار، بحسب الحاجة إليها؛ فيخرج الله بالماء النازل من السماء والنابع من الأرض زرعًا، مختلفًا أشكاله وطعومه وروائحه ومنافعه، ثم بعد نضارته وشبابه ييبس ويصفر، فيعود يابسًا يتحطم، وفي ذلك ذكرى للذين يتذكرون فيعتبرون إلى أن الدنيا هكذا، تكون خضرة نضرة حسناء، ثم تعود عجوزًا شوهاء، والشاب يعود شيخًا هرمًا كبيرًا ضعيفًا قد خالطه اليبس، وبعد ذلك كله الموت، فالسعيد من كان حاله بعده إلى خير، وكثيرًا ما يضرب الله تعالى مثل الحياة الدنيا بما ينزل الله من السماء من ماء، وينبت به زروعًا وثمارًا، ثم يكون بعد ذلك حطامًا.

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ
لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾
ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ
جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ
إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن
يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ
ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ
﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ
ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى
هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ
شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ
﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

لا يستوي عند الله من وسع الله قلبه لقبول الحقّ، وفتحه للاهتداء إلى سبيل الخير، ففرح بالإسلام، واطمأن إليه ووجد السعادة في طاعة الله، فهو في أنوار الطاعة، ومن طبع على قلبه وغلظ وجفا عن قبول ذكر الله، وبعد عن الحق فلم يهتد لقسوته، فهو في ظلمات الكفر والشك والريب، والضلال البعيد عن الحق، والقرآن العظيم المنزل على رسوله الكريم ﷺ هو أعظم كتاب، أنزل الله فيه الهداية للبشرية، وهو المعجز بآياته، يشبه بعضه بعضًا في الإعجاز والبلاغة، وفي الآي والحروف، فالآية تشبه الآية، والكلمة تشبه الكلمة، والحرف يشبه الحرف، ويصدق بعضه بعضًا، فليس فيه اختلاف ولا تناقض، كررت فيه القصص والفرائض والحدود والثواب والعقاب، تقشعر جلود الأبرار عند سماعهم كلام الجبار، المهيمن العزيز الغفار، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد، والتخويف والتهديد، وإعظامًا له وتعجبًا من حسنه، وبلاغته ثم تسكن قلوبهم، وتطمئن إلى ذكر الله لينة غير منقبضة، لما يرجون ويؤملون من رحمة الله ولطفه، وهذه صفة من هداه الله، ومن كان على خلاف ذلك فهو ممن أضله الله، لا يستوي عند الله من يأتي آمنًا يوم القيامة، ومن يأتي يوم القيامة يقي نفسه بوجهه الذي هو أشرف أعضائه سوء العذاب لكون يده قد صارت مغلولة إلى عنقه، ويقرع فيقال له ولأمثاله من الظالمين: ذوقوا عقوبة ما كسبتم من الأعمال السيئة، فقد كذبت القرون الماضية المكذبة للرسل، فأهلكهم الله بذنوبهم، وما كان لهم من الله من واق، فأذاقهم الله الخزي في الدنيا بما أنزل بهم من العذاب والنكال وتشفي المؤمنين بهم، فليحذر الذين يكذبون أشرف الرسل وخاتم الأنبياء، والذي أعده الله لهم في الآخرة من العذاب الشديد أعظم مما أصابهم في الدنيا، ولقد بين الله للناس بضرب الأمثال في القرآن، لأن المثل يقرب المعنى إلى الأذهان، فهو قرآن بلسان عربي مبين، لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس، بل هو بيان ووضوح وبرهان، وأنزله لعل العباد يحذرون ما فيه من الوعيد، ويعملون بما فيه من الوعد، وضرب الله مثلًا رجلًا فيه شركاء متنازعون في ذلك العبد المشترك بينهم، ورجلًا خالصًا لرجل لا يملكه أحد غيره، لا يستويان، فكذلك لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة مع الله، والمؤمن المخلص الذي لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له، فأين هذا من هذا؟!

فالحمد لله، على إقامة الحجة عليهم، فإن أكثر الناس لا يعلمون، ولذلك يشركون بالله، وقد كتب الله الموت على كل نفس، فقد كتب الموت على أشرف نفس، وهي نفس الرسول ﷺ، فالجميع سينتقلون من هذه الدار لا محالة وسيجتمعون عند الله في الدار الآخرة، ويختصمون فيما هم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي الله ﷻ، فيفصل بينهم، ويفتح بالحق وهو الفتاح العليم، فينجي المؤمنين المخلصين الموحدين، ويعذب الكافرين الجاحدين المشركين المكذبين.

۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

لا أحد أظلم ممن كذب على الله، وكذَّبَ رسول الله ﷺ؛ لأنه جمع بين طرفي الباطل، قالوا الباطل وردوا الحق، فالمشركون افتروا على الله، وجعلوا معه آلهة أخرى، وادعوا أن الملائكة بنات الله، وجعلوا لله ولدًا تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا، ومع هذا كذَّبوا بالحق إذ جاءهم على ألسنة رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فالنار منزل ومقام الجاحدين المكذبين، والرسول ﷺ جاء بالصدق والحق وصدق المرسلين، وآمن بما أُنزل إليه من ربه، والمؤمنون يقولون الحق ويعملون به، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لهم في الجنة، مهما طلبوا وجدوا، يستر الله عليهم ذنوبهم بالمغفرة، ويجزيهم بالمحاسن من أعمالهم ولا يجزيهم بالمساوئ، والله سبحانه يكفي عبده إذا توكل عليه، واعتصم به، وقد كفى الله عبده ونبيه محمدًا ﷺ من كيد الكائدين، ومن كفاية الله لعباده كفايتهم في أرزاقهم، وقد كان المشركون يخوفون الرسول ويتوعدونه بأصنامهم وآلهتهم التي يدعونها من دون الله؛ جهلًا منهم وضلالًا؛ فكفاه الله وآواه، وهداه، ومن يهد الله فلا مضل له، ولو اجتمع عليه الخلق جميعًا، ومن أضله الله فلن تجد له هاديًا، فالله العزيز، من استند إلى جنابه ولجأ إلى بابه أعزه؛ لأنه العزيز الذي لا أعز منه، ولا أشد انتقامًا منه ممن كفر به وأشرك وعاند رسوله ﷺ، والمشركون يعترفون بأن الله هو الخالق للأشياء كلها، ومع هذا يعبدون معه غيره، مما لا يملك لهم ضرًّا ولا نفعًا؛ فما يعبد المشركون من دون الله لا يكشف الضر، ولا يجلب النفع ولا يستطيع شيئًا من الأمر.

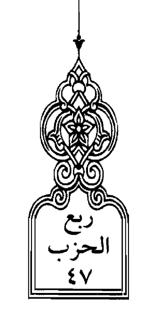
فالعبد المؤمن لا يسأل إلا الله، وإذا استعان لا يستعين إلا بالله، ولو أن الأمة اجتمعوا على أن يضروه بشيء لم يكتبه الله عليه لم يضروه، ولو اجتمعوا على أن ينفعوه بشيء لم يكتبه الله له لم ينفعوه، رفعت الأقلام وجفت الصحف، فالله كاف عبده، عليه يتوكل وعليه يتوكل المتوكلون، فمن أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يديه، ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله، والرسل يعملون ما أمروا به من البلاغ والدعوة، والمشركون مكذبون ومعاندون وسيعلم الفريقين يوم القيامة ما هم عليه وسيجني المكذبون عاقبة كفرهم وعنادهم في الدنيا ذلة وصغارًا وفي الآخرة عذابًا يذلهم ويخزيهم، وهو عذاب دائم مستمر، لا محيد له عنه، فقد جعل الله الذلة والصغار على من خالف هدي النبي ﷺ وكفر برسالته، ولو كان له نصيب من الدنيا، فهو في ذل مربوط بذل الآخرة.

إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ
فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم
بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي
لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ
وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ
لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ
قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾
قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ
إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ
قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن
دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ
فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ
مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

أنزل الله هذا القرآن على رسوله محمدٍ ﷺ لينذر جميع الخلق من الإنس والجن فمن كتبت له الهداية فإنما يعود نفع ذلك إلى نفسه، ومن كتبت عليه الضلالة؛ فإنما يرجع وبال ذلك على نفسه، والرسول ﷺ ليس بموكل بهدايتهم، إنما عليه البلاغ، كل نواصي العباد بيد الله، وهو المتصرف في الوجود بما يشاء، يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى، بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الأبدان، والوفاة الصغرى عند المنام، والمسلم إذا أوى الى فراشه قال "**باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**"، فالله يقبض أرواح الأموات إذا ماتوا، وأرواح الأحياء إذا ناموا، فيمسك أنفس الأموات عنده، ويرسل أنفس الأحياء، إلى بقية أجلها، وفي ذلك آيات لقوم يتفكرون في خلق الله ويعتبرون.

والمشركون اتخذوا شفعاء من دون الله، من الأصنام والأنداد، من تلقاء أنفسهم بلا دليل ولا برهان، وهي لا تملك شيئًا من الأمر، بل وليس لها عقل تعقل به، ولا سمع تسمع به، ولا بصر تبصر به، بل هي جمادات أسوأ حالًا من الحيوان بكثير، وزعموا أنهم اتخذوها شفعاء لهم عند الله، والشفاعة لا تنفع عند الله إلا لمن ارتضاه وأذن له، فمرجعها كلها إليه، وهو المتصرف في جميع خلقه، وإليه ترجع الخلائق يوم القيامة، فيحكم بينهم بعدله، ويجزي كلًّا بعمله، فهؤلاء المشركون إذا قيل لا إله إلا الله انقبضت ونفرت قلوبهم وكفرت واستكبرت عن المتابعة والانقياد لها، فقلوبهم لا تقبل الخير، ومن لم يقبل الخير يقبل الشر؛ وإذا ذكرت الأصنام والأنداد إذا هم يفرحون ويسرون، فهم يحبون الشرك وينفرون من التوحيد، وأما الموحدون المخلصون لله العبادة يشهدون أن الله وحده لا شريك له، الذي خلق السموات والأرض على غير مثال سبق، يعلم السر والعلانية، وهو الذي يحكم بين عباده في ما كانوا فيه يختلفون في دنياهم، ويفصل بينهم يوم معادهم ونشورهم، وقيامهم من قبورهم، والمسلم يدعو ربه، "**اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**"، فالهداية إلى الحق مطلب كل المتقين، يدعون ربهم للهداية إلى الطريق المستقيم والمنهج القويم، ولا سيما في وقت الفتن والاختلاف والنزاع، حين تعم فتن الشبهات والشهوات، ويعجب كل ذي رأي برأيه، يفزع المؤمن إلى ربه ليستلهم منه التوفيق للمنهج الحق، منهج محمد ﷺ، ويوم القيامة يتمنى المشركون أن لو كان لهم جميع ملك الأرض وضعفه معه، ليفتدوا بهذا الملك أنفسهم من العذاب الذي أوجبه الله لهم يوم القيامة، ومع هذا لا يتقبل منهم الفداء ولو كان ملء الأرض ذهبًا، وظهر لهم من الله من العذاب والنكال بهم ما لم يكن في بالهم ولا في حسابهم.

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ
نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ
عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ ۚ
وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ
وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ
لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾
۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن
رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ
﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ
ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ
إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ
بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ
عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾



يوم القيامة حين يبصر المشركون والمكذبون العذاب، يظهر لهم جزاء ما اكتسبوا في الدار الدنيا من المحارم والمآثم، ويحيط بهم من العذاب والنكال ما كانوا يستهزئون به في الدار الدنيا.

والإنسان في حال الضراء يضرع إلى الله ﷻ وينيب إليه ويدعوه، وإذا أعطاه الله نعمة بغى وطغى، وقال: يعلم الله أني استحق ذلك، ولولا أني عند الله تعالى كريم لما أعطاني هذا، وما علم المسكين أن ذلك فتنة واختبار، ليختبره فيما أنعم عليه، أيطيع أم يعصي، مع علم الله المتقدم بذلك، ولكن من جهل الإنسان أن يقول ما يقول، ويدعي ما يدعي، وقد قال هذه المقالة وزعم هذا الزعم وادعى هذه الدعوى كثير ممن سلف من الأمم، فما صح قولهم ولا منعهم جمعهم وما كانوا يكسبون، فأصابهم عاقبة سيئاتهم، وكذلك سيصيب كل من ظلم نفسه بالشرك كما أصاب أولئك، ولن يعجزوا الله، فهو القادر عليهم، وهو الذي خلقهم وأوجدهم، وهو الذي يوسع الرزق على قوم ويضيقه على آخرين، وفي ذلك عبرٌ وحججٌ لقوم يؤمنون، والله يدعو جميع عباده العصاة إلى التوبة والإنابة، وأعلمهم بأنه يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب منها ورجع عنها، مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر، والله ﷻ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها، والله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه ممن كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت عنه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح، ولا يقنط عبد من رحمة الله وإن عظمت ذنوبه وكثرت؛ فإن باب التوبة والرحمة واسع، فهو الذي يقبل التوبة عن عباده، وأمر الله عباده بالرجوع إليه وأن يستسلموا له، ويبادروا بالتوبة والعمل الصالح قبل حلول النقمة؛ فمن تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه، والله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر، وينزل به الموت، فالعبد يبادر للتوبة ويتبع هدي القرآن العظيم، من قبل أن يحل العذاب به من حيث لا يعلم، ومن قبل أن يتحسر المجرم المفرط في التوبة والإنابة، ويود لو كان من المحسنين المخلصين المطيعين لله ﷻ، ويتحسر على عمله في الدنيا كيف عاش ساخرًا مستهزئًا، غير موقن مصدق، فكل مكذب سيتحسر على عمله في الدنيا، فأهل النار يرون مقاعدهم من الجنة فيقولون لو أن الله هدانا فتكون عليهم حسرة، حتى العصاة من المؤمنين يتحسرون على فوات حياتهم بالمعصية، حتى أهل الجنة يتمنون، أن لو ازدادوا من العمل الصالح، ولا يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله تعالى فيها.

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

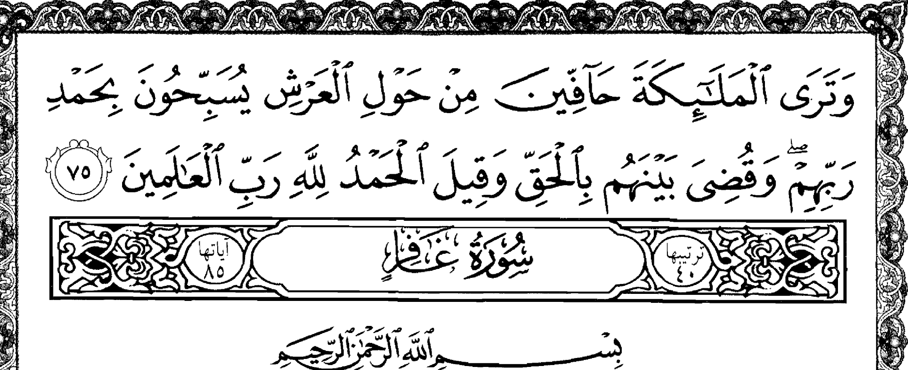


حين يحشر الخلائق يتمنى الكفار لو أن الله يردهم إلى الحياة الدنيا ليكونوا من المؤمنين المصدقين، وقد طلب منهم ذلك في الدنيا فكفروا وجحدوا؛ ففي ذلك اليوم يتمنون الهداية إلى الإسلام، ولا ينفعهم ذلك، ويتحسرون على عدم تصديق آيات الله واتباع رسله، فجاء الرد عليهم قد جاءتك أيها العبد النادم على ما كان منه آيات الله في الدار الدنيا، وقامت الحجج عليك، فكذبت بها واستكبرت عن اتباعها، وكنت من الكافرين بها، الجاحدين لها، وفي ذلك اليوم الذي تسود فيه وجوه، وتبيض فيه وجوه، تسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف، وتبيض وجوه أهل السنة والجماعة، فالذين كذبوا على الله في دعواهم أن له شريكًا وولدًا وجوههم مسودة بكذبهم وافترائهم، فجهنم كافية لهم سجنًا وموئلًا لهم فيها دار الخزي والهوان، بسبب تكبرهم وتجبرهم وإبائهم عن الانقياد للحق، فالمتكبرون عن الحق يحشرون يوم القيامة أشباه الذر في صور الناس، يعلوهم كل شيء من الصغار، حتى يدخلوا سجنًا من النار في واد يقال له (بولس) من نار الأنيار، ويسقون عصارة أهل النار، ومن طينة الخبال، وأما الذين سبقت لهم السعادة والفوز عند الله، فلهم الفوز في الآخرة لا يمسهم يوم القيامة عذاب ولا يحزنهم الفزع الأكبر، بل هم آمنون من كل فزع، مزحزحون عن كل شر، مؤملون كل خير؛ فالله خالق الأشياء كلها، وربها ومليكها، والمتصرف فيها، وكل تحت تدبيره وقهره، بيده خزائن السموات والأرض، وأزمَّة الأمور بيده، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير؛ والأشياء كلها موكولة إليه، فهو القائم بحفظها، وتدبيرها من غير مشارك له، والذين كفروا بالحجج والبراهين الدالة على استحقاق الله للعبادة هم الخاسرون في الآخرة، ومن جهل المشركين أنهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة آلهتهم، ويعبدون معه إلهه، فأمروه بالشرك، وهو الذي جاء بالتوحيد، وقد جاءه الوحي بتحريم الشرك وهو محبط للأعمال، وجاءت شرائع الأنبياء قبل النبي ﷺ بتحريم الشرك ووجوب التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده، لا شريك له، وما قدر المشركون الله حق قدره حين عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر على كل شيء، المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قهره وقدرته، ولو قدروه حق قدره ما كذَّبوه، فمن آمن أن الله على كل شي قدير، فقد قدر الله حق قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره، ففي يوم القيامة يقبض الله الأرض، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول أنا الملك، أين ملوك الأرض؟ وأهل السنة والجماعة يثبتون اليدين لله ﷻ، وكلتا يديه يمين، وقد أجمع السلف على إثبات اليدين لله، فيجب إثباتها له بدون تحريف ولا تعطيل، ولاتكييف، ولا تمثيل، وهما يدان حقيقيتان لله تعالى تليقان به، وقد فسرهما أهل التعطيل بالنعمة أو القدرة ونحوها، وهذا تعطيل للصفات.

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ
إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ
﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ
بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾
وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا
فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ
يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ
هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى
ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى
ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ
خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾
وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ
نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾

من أهوال يوم القيامة، ما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة، فالنفخ في الصور، ثلاث نفخات، نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث، ونفخة الصعق هي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض، إلا من شاء الله، ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت، وينفرد الحي القيوم الذي كان أولًا وهو الباقي آخرًا بالديمومة والبقاء، ويقول لمن الملك اليوم ثلاث مرات، ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول لله الواحد القهار الذي قد قهر كل شيء، وحكم بالفناء على كل شيء، ثم يحيي الله أول من يحيي إسرافيل، ويأمره أن ينفخ في الصور أخرى، وهي النفخة الثالثة نفخة البعث، فيصير الخلق أحياءً بعدما كانوا عظامًا ورفاتًا، ينظرون إلى أهوال يوم القيامة، وأضاءت الأرض يوم القيامة بتجلي الحق تبارك وتعالى للخلائق لفصل القضاء ووضع كتاب الأعمال، وجيء بالنبيين يشهدون على الأمم بأنهم بلَّغوهم رسالات الله إليهم، والشهداء من الملائكة الحفظة على أعمال العباد من خير وشر، وقضي بينهم بالعدل، فلا يظلم أحدٌ في ذلك اليوم، ويوفَّى كل عامل بعمله، من خير أو شر، ويساق الأشقياء الكفار إلى النار سوقًا عنيفًا بزجر وتهديد ووعيد، يدفعون إليها دفعًا، وهم في تلك الحال صم وبكم وعمي، منهم من يمشي على وجهه، وإذا وصلوا إليها فتحت لهم أبوابها سريعًا، لتعجل لهم العقوبة، ثم يقول لهم خزنتها من الزبانية على وجه التقريع والتوبيخ والتنكيل، ألم يأتكم رسل من جنسكم تتمكنون من مخاطبتهم والأخذ عنهم، يقيمون عليكم الحجج والبراهين على صحة ما دعوكم إليه، ويحذرونكم من شر هذا اليوم، فيقول الكفار لهم بلى جاءونا وأنذرونا، وأقاموا علينا الحجج والبراهين، ولكن كذبناهم وخالفناهم، لما سبق إلينا من الشقوة التي كنا نستحقها حيث عدلنا عن الحق إلى الباطل، فيرجعوا على أنفسهم بالملامة والندامة، وكل من رآهم وعلم حالهم يشهد عليهم بأنهم مستحقون للعذاب؛ فالكون شاهد عليهم بأنهم مستحقون ما هم فيه بما حكم به العدل الخبير عليهم؛ يدخلون أبواب جهنم ماكثين فيها لا خروج لهم منها، ولا زوال لهم عنها، فبئس المصير وبئس المقيل لهم، بسبب تكبرهم في الدنيا، وإبائهم عن اتباع الحق، فهو الذي صيرهم إلى ما هم فيه، فبئس الحال وبئس المآل، وأما السعداء المؤمنون يساقون على النجائب وفدًا إلى الجنة جماعة بعد جماعة، المقربون، ثم الأبرار، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم كل طائفة مع من يناسبهم، الأنبياء مع الأنبياء والصديقون مع أشكالهم، والشهداء مع أضرابهم، والعلماء مع أقرانهم، وكل صنف مع صنفهم، كل زمرة تناسب بعضها بعضًا، فإذا وصلوا إلى أبواب الجنة بعد مجاوزة الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لهم في مظالم كانت بينهم في الدنيا؛ حتى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أذن لهم في دخول الجنة، ورسول الله ﷺ أول من يقرع باب الجنة، وأول زمرة تدخل الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها، ولا يمتخطون فيها، ولا يتغوطون فيها، آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان، يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيًّا، ثم الذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دري في السماء إضاءة، وأهل الجنة أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم، ستون ذراعًا في السماء، تتلقاهم الملائكة الخزنة بالبشارة والسلام والثناء، وتقول لهم طابت أعمالكم وأقوالكم، وطاب سعيكم فطاب جزاؤكم، فادخلوها ماكثين فيها أبدًا، لا تبغون عنها حولًا، ويقول المؤمنون إذا عاينوا في الجنة ذلك الثواب الوافر، والعطاء العظيم، والنعيم المقيم، والملك الكبير، يقولون عند ذلك الحمد لله الذي صدقنا وعده الذي كان وعدنا على ألسنة رسله الكرام، كما دعوا في الدنيا، الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب، وأورثنا أرض الجنة نتخذ فيها من المنازل ما نشاء حيث نشاء، فنعم الأجر أجرنا على عملنا، نسأل الله أن يكتب لنا الجنة ووالدينا وأهلينا وذرياتنا والمسلمين.

وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾



سورة غافر

ترتيبها ٤٠ — آياتها ٨٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ
ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ
إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ
لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ
فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ
وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا
فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾

نصف الحزب ٤٧

إذا نزل أهل الجنة والنار كلًّا في المحل الذي يليق به ويصلح له والله هو العادل في ذلك الذي لا يجور ولا يظلم، والملائكة يسبحون بحمد ربهم، ويمجدونه ويعظمونه ويقدسونه وينزهونه عن النقائص والجور، وهم محدقون من حول عرشه المجيد وقد فصل بين العباد، وقضى الأمر، وحكم بالعدل؛ ونطق الكون أجمعه ناطقه وبهيمه لله رب العالمين، بالحمد في حكمه وعدله؛ فجميع المخلوقات تشهد له بالحمد، فافتتح الخلق بالحمد واختتم بالحمد.

سورة غافر

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر اسم الله تعالى غافر الذنب فيها

افتتحت السورة بالحروف المقطعة الدالة على إعجاز القرآن الكريم، الذي أنزله الله لهداية البشرية، فهو تنزيل من الله ذي العزة والعلم، فلا يرام جنابه، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

يغفر ما سلف من الذنب، ويقبل التوبة في المستقبل لمن تاب إليه وخضع لديه، وهو شديد العقاب لمن تمرد وطغى وآثر الحياة الدنيا، وعتا عن أوامر الله، وبغى، وهو ذو السعة والغنى والخير الكثير؛ فهو المتفضل على عباده، المتطول عليهم بما هو فيه من المنن والإنعام، التي لا يطيقون القيام بشكر واحدة منها، لا نظير له في جميع صفاته، فلا إله غيره، ولا رب سواه، وإليه المرجع والمآب، فيجازي كل عامل بعمله، ولا يدفع الحق ويجادل فيه بعد البيان وظهور البرهان، إلا الجاحدون لآيات الله وحججه وبراهينه؛ فهم وإن نعموا في الأموال وزهرة الحياة الدنيا، فهو متاع يسير، ووقت قصير، ومصيرهم بعد ذلك إلى النار، فالمكذبون للأنبياء والرسل كانت عاقبتهم الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة.

فقوم نوح كذَّبوا نبيهم وهو أول رسول بعثه الله ينهى عن عبادة الأوثان، والأحزاب من كل أمة كفروا وكذبوا، وحرصوا على قتل أنبيائهم بكل ممكن، ومنهم من قتل رسوله، وأثاروا الشبه ليردوا بها الحق الواضح الجلي، فأهلكهم الله على ما صنعوا من هذه الآثام والذنوب العظام، فكان عذاب الله لهم، ونكاله بهم شديدًا موجعًا مؤلمًا، ووجبت كلمة العذاب على الذين كفروا من الأمم السالفة، وكذلك على المكذبين ممن كذَّب بالنبي الخاتم محمد ﷺ وأما المؤمنون المصدقون فلهم البشرى في الدنيا والآخرة فإن الملائكة المقربين من حملة العرش، ومن حول العرش من الكروبيين، المسبحون بحمد ربهم، الذين يقرنون بين التسبيح الدال على نفي النقائص، والتحميد المقتضي لإثبات صفات المدح، والخاشعون لله، الأذلاء بين يديه، يستغفرون لأهل الإيمان من أهل الأرض ممن آمن بالغيب، فقد قيض الله سبحانه ملائكته المقربين بالدعاء لهم بظهر الغيب، ويقولون إذا استغفروا للذين آمنوا، ربنا إن رحمتك تسع ذنوبهم وخطاياهم، وعلمك محيط بجميع أعمالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم، فاصفح عن المسيئين، إذا تابوا وأنابوا وأقلعوا عما كانوا فيه، واتبعوا ما أمرتهم به، من فعل الخيرات وترك المنكرات، وزحزحهم عن عذاب الجحيم، وهو العذاب الموجع الأليم.

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

من دعاء الملائكة للمؤمنين: ربنا اجمعهم مع بنيهم، لتقر بذلك أعينهم بالاجتماع في منازل متجاورة، إنك أنت العزيز الذي لا يمانع ولا يغالب، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، الحكيم في أقوالك وأفعالك من شرعك وقدرك، وقهم وبال السيئات من العقوبات، ومن وقاه الله عقوبة السيئة يوم القيامة؛ فقد لطف به ونَّجاه من العقوبة، والكفار وهم في غمرات النيران يتلظُّون، وقد باشرهم من عذاب الله ما لا قبل لأحد به، فمقتوا أنفسهم وأبغضوها غاية البغض، بسبب ما أسلفوا من الأعمال السيئة، التي كانت سبب دخولهم إلى النار، تخبرهم الملائكة إخبارًا عاليًا، ينادونهم به نداءً، بأنَّ مقت الله لهم في الدنيا حين كان يعرض عليهم الإيمان، فيكفرون، أكبر مما مقتوا أنفسهم حين عاينوا عذاب الله يوم القيامة، فقالوا ربنا كنا عدمًا فأحييتنا وأوجدتنا، ثم أمتنا، ثم أحييتنا في الآخرة، فارجعنا للدنيا لنعمل صالحًا، فلا يجابون، ثم إذا رأوا النار وعاينوها ووقفوا عليها، ونظروا إلى ما فيها من العذاب والنكال، سألوا الرجعة أشد مما سألوا أول مرة، فلا يجابون، فإذا دخلوا النار وذاقوا مسها وحسيسها وأغلالها، كان سؤالهم للرجعة أشد وأعظم، فلا رجعة أبدًا، وقد تلطَّفوا في السؤال، وقدَّموا بين يدي كلامهم مقدمة، وهي اعترافهم بقدرة الله العظيمة، والاعتراف بالذنوب، فأجيبوا ألا سبيل إلى عودكم ومرجعكم إلى الدار الدنيا، لأن سجاياهم لا تقبل الحق ولا تقتضيه بل تجحده وتنفيه؛ فهم يكفرون بالله، ويجحدون التوحيد، ويشركون بالله، فالحكم لله الحاكم في خلقه، العادل الذي لا يجور، فيهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ويرحم من يشاء، ويعذب من يشاء، لا إله إلا هو، هو الذي يظهر قدرته لخلقه بما يشاهدونه في خلقه العلوي والسفلي من الآيات العظيمة الدالة على كمال خالقها ومبدعها ومنشئها، وينزل المطر الذي يخرج به من الزروع والثمار ما هو مشاهد بالحس، من اختلاف ألوانه وطعومه، وروائحه وأشكاله وألوانه، وهو ماء واحد، فبالقدرة العظيمة فاوت بين هذه الأشياء، وما يعتبر ويتفكر في هذه الأشياء ويستدل بها على عظمة خالقها، إلا من هو بصير منيب إلى الله، ﷻ، وأمر الله عباده بالإخلاص له وحده بالعبادة والدعاء، ومخالفة المشركين في مسلكهم ومذهبهم، فهو سبحانه رافع درجات الأنبياء والأولياء في الجنة، وهو خالق العرش ومالكه، والعرش العظيم أعلى المخلوقات كالسقف لها، وأعظمها، ينزل الوحي الذي تحيا به القلوب كما تحيا الأبدان بالأرواح على أنبيائه ورسله لينذروا بالوحي، يوم يلتقي أهل السماء وأهل الأرض، يتلاقى العباد، ويلتقي الظالم والمظلوم والخصوم، يوم يخرجون من قبورهم ويظهرون لا يسترهم شيء، لا يخفى على الله من أعمالهم وأحوالهم شيء، والملك له سبحانه الواحد القهار، الذي قهر الخلق بالموت.

ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ
لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ
يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾
وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ
بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ
كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ
بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ
قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا
وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ
فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ
عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟
نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٢٥﴾



من عدل الله في حكمه بين خلقه، أنه لا يظلم مثقال ذرة من خير ولا من شر، بل يجزي بالحسنة عشر أمثالها، وبالسيئة واحدة؛ ويقول: "**يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا، يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**"، والله يحاسب الخلائق كلهم، كما يحاسب نفسًا واحدة، وأمر الله نبيه ﷺ أن ينذر أمته يوم الآزفة وهو اسم من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك لاقترابها، يوم تقف القلوب في الحناجر من الخوف، فلا تخرج ولا تعود إلى أماكنها، ساكتين، لا يتكلم أحد إلا بإذنه باكين، ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم، ولا شفيع يشفع فيهم، بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير، قد أحصيت عليهم أعمالهم أحصاها العليم الخبير، فعلمه التام محيط بجميع الأشياء، جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها، دقيقها ولطيفها؛ فليحذر الناس علمه فيهم، فيستحيوا من الله حق الحياء، ويتقوه حق تقواه، ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراهم، فإنه تعالى يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة، ويعلم ما تنطوي عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر.

والله يحكم بالعدل، يجزي بالحسنة الحسنة، وبالسيئة السيئة، والأصنام والأوثان والأنداد لا تملك شيئًا ولا تحكم بشيء، والله سميع لأقوال خلقه، بصير بهم، فيهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وهو الحاكم العادل في جميع ذلك.

ألم ينظر المكذبون برسالة محمد ﷺ ما حل بالأمم المكذبة بالأنبياء، من العذاب والنكال مع أنهم كانوا أشد من هؤلاء قوة، وأثَّروا في الأرض من البنايات والمعالم والديار ما لا يقدر عليه هؤلاء.

ومع هذه القوة العظيمة والبأس الشديد، أخذهم الله بذنوبهم، وهي كفرهم برسلهم، وما دفع عنهم عذاب الله أحد، ولا رده عنهم راد، ولا وقاهم واق، فقد جاءتهم رسلهم بالدلائل الواضحات والبراهين القاطعات، فجحدوا، فأهلكهم الله ودمر عليهم وللكافرين أمثالها، فالله ذو قوة عظيمة وبطش شديد، وعقابه أليم شديد وجيع، أعاذنا الله منه، وقد أرسل الله موسى بن عمران عليه السلام بالآيات البينات، والدلائل الواضحات؛ والحجة والبرهان إلى فرعون ملك القبط بالديار المصرية، وهامان وزيره في مملكته، وقارون، وكان أكثر الناس في زمانه مالًا وتجارة، فكذبوه وجعلوه ساحرًا كذابًا بأن الله أرسله، فلما جاءهم بالبرهان القاطع الدال على أن الله تعالى أرسله إليهم، أمر فرعون بقتل ذكور بني إسرائيل، لإهانة هذا الشعب، ولكي يتشاءموا بموسى عليه السلام، وما مكرهم وقصدهم الذي هو تقليل عدد بني إسرائيل لئلا ينصروا عليهم إلا ذاهب وهالك.

وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ
أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٦﴾
وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ
لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ
فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ
ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا
فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي
يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوۡمِ
لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ
بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ
أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ
أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ
وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾
وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ
مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾

بعد دعوة موسى عليه السلام لفرعون، عزم فرعون على قتل موسى عليه السلام، وقال ليدع ربه وهذا في غاية الجحود والعناد، وخشي فرعون أن يضل موسى الناس ويغير رسومهم وعاداتهم، فقال موسى عليه السلام استجرت بالله وعذت به من شره وشر أمثاله؛ فهو متكبر عن الحق مجرم؛ وقال رجل مؤمن من آل فرعون، وهو ابن عم فرعون، وهو الذي نجا مع موسى، ولم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل وامرأة فرعون، وقد كان يكتم إيمانه عن قومه القبط، فلم يظهر إلا هذا اليوم حين قال فرعون ذروني أقتل موسى، فأخذت الرجل غضبة لله عز وجل، وقال أتقتلون رجلًا لأجل أن يقول ربي الله وقد أقام لكم البرهان على صدق ما جاءكم به من الحق، ثم تنزل معهم في المخاطبة فقال إذا لم يظهر لكم صحة ما جاءكم به، فمن العقل والرأي التام والحزم أن تتركوه ونفسه، فلا تؤذوه، فإن يك كاذبًا فإن الله سيجازيه على كذبه بالعقوبة في الدنيا والآخرة، وإن يك صادقًا وقد آذيتموه يصبكم بعض الذي يعدكم، فإنه يتوعدكم إن خالفتموه بعذاب في الدنيا والآخرة، فمن الجائز عندكم أن يكون صادقًا، فينبغي على هذا ألا تتعرضوا له، بل اتركوه وقومه يدعوهم ويتبعونه، ولو كان هذا الذي يزعم أن الله أرسله إليكم كاذبًا كما تزعمون، لكان أمره بَيِّنًا، يظهر لكل أحد في أقواله وأفعاله، وتكون في غاية الاختلاف والاضطراب، وهذا نرى أمره سديدًا ومنهجه مستقيمًا، ولو كان من المسرفين الكذابين لما هداه الله، وأرشده إلى ما ترون من انتظام أمره وفعله، وقال المؤمن محذرًا قومه زوال نعمة الله عنهم وحلول نقمة الله بهم، قد أنعم الله عليكم بهذا الملك والظهور في الأرض بالكلمة النافذة والجاه العريض، فراعوا هذه النعمة بشكر الله، وتصديق رسوله عليه السلام، واحذروا نقمة الله إن كذبتم رسوله، فلا تغني عنكم هذه الجنود وهذه العساكر، ولا ترد عنا شيئًا من بأس الله إن أرادنا بسوء، فقال فرعون لقومه، رادًّا على ما أشار به هذا الرجل الصالح البار الراشد الذي كان أحق بالملك من فرعون ما أقول لكم وأشير عليكم إلا ما أراه لنفسي وقد كذب فرعون، فإنه كان يتحقق صدق موسى فيما جاء به من الرسالة، فغشَّ رعيته وما نصحهم، وما دلهم إلى طريق الحق والصدق والرشد، بل دَّلهم إلى التكذيب والكفر، وحذر مؤمن آل فرعون قومه بأس الله في الدنيا والآخرة، فيصيبهم ما أصاب الذين كذبوا رسل الله في قديم الدهر، كقوم نوح وعاد وثمود، والذين من بعدهم من الأمم المكذبة، كيف حل بهم بأس الله، وما رده عنهم رادٌّ، ولا صده عنهم صادٌّ، وإنما أهلكهم الله بذنوبهم، وتكذيبهم رسله، ومخالفتهم أمره، فأنفذ فيهم قدره، وحذرهم يوم التناد يوم القيامة، يوم ينادي بعضهم بعضًا إذا جيء بجهنم ذهب الناس فرارًا، فتتلقاهم الملائكة فتردهم إلى مقام المحشر، يوم ينادي كل قوم بأعمالهم، ينادي أهلُ الجنة أهلَ الجنة، وأهلُ النار أهلَ النار، يوم يولي المجرمون ذاهبين هاربين، ما لهم مانع يمنعهم من بأس الله وعذابه، ومن يضله الله فلا هادي له غيره.

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ
مِّمَّا جَاءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ
مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ
أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ
يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ
وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ
وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ
ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾
يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ
دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ
وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

بعث الله في أهل مصر رسولًا من قبل موسى، وهو يوسف ﷺ، وكان عزيز أهل مصر، وكان رسولًا يدعو إلى الله أمته القبط، فما أطاعوه إلا لمجرد الوزارة والجاه الدنيوي، فكانوا في شك مما جاءهم به حتى إذا مات قالوا لن يبعث الله من بعده رسولًا، لكفرهم وتكذيبهم، فكفروا به في حياته، وكفروا بمن بعده من الرسل بعد موته، ولا يضلّ الله إلا من هو مسرف في معاصي الله مستكثر منها مرتاب في دين الله شاكّ في وحدانيته، ووعده، ووعيده، والله يبغض الذين يدفعون الحق بالباطل، ويجادلون الحجج بغير دليل وحجة معهم من الله، والمؤمنون يبغضون من تكون هذه صفته؛ فإنَّ من كانت هذه صفته، يطبع الله على قلبه، فلا يعرف بعد ذلك معروفًا، ولا ينكر منكرًا؛ وهو متكبر على اتباع الحق، ومن عتو فرعون وتمرده وافترائه في تكذيبه موسى ﷺ أنه أمر وزيره هامان أن يبني له قصرًا عاليًا من الآجر المضروب من الطين المشوي، لعله يصل أبواب السموات، فيطلع إلى إله موسى، فقد كَذَّبَ موسى في أن الله ﷻ أرسله إليه، وقد زُيِّن لفرعون سوء عمله بصنيعه هذا الذي أراد أن يوهم به الرعية أنه يعمل شيئًا يتوصل به إلى تكذيب موسى ﷺ وحرم الهداية، وصد الرعية عن الإيمان بالله، وسيكون مكره وكيده في خسار وهلاك.

وقال المؤمن لقومه ممن تمرد وطغى وآثر الحياة الدنيا، ونسي الجبار الأعلى، اقتدوا بي في الدين أهدكم طريق الجنة، فإن هذه الحياة الدنيا قليلة زائلة فانية عن قريب تذهب وتزول وتضمحل، والمؤمن في الدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها، ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها قطرة أبدًا، وخشي النبي ﷺ على أمته أن تبسط لهم الدنيا كما بسطت على من كان قبلهم فيتنافسوها كما تنافسوها وتهلكهم كما أهلكتهم، والمسلم يستعد للآخرة والعمل لها، فيكون في الدنيا كأنه غريب أو عابر سبيل، ويعد نفسه من أصحاب القبور، إذا أمسى لا ينتظر الصباح وإذا أصبح لا ينتظر المساء ويأخذ من صحته لمرضه ومن حياته لموته، ولن تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وماذا عمل فيما علم؟

والآخرة هي الدار التي لا زوال لها، ولا انتقال منها ولا ظعن عنها إلى غيرها، بل إما نعيم وإما جحيم، من عمل في دار الدنيا معصية من المعاصي كائنة ما كانت، فلا يجزى إلا مثلها، ولا يعذب إلا بقدرها، ومن عمل عملًا صالحًا مع كونه مؤمنًا بالله وبما جاءت به رسل الله يدخل الجنة يرزق فيها بغير تقدير، ومحاسبة، بل يثيبه الله ثوابًا كثيرًا لا انقضاء له ولا نفاد.

۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾

الأنبياء والرسل ومن بعدهم من الدعاة إلى الله يدعون الناس إلى النجاة، وهي عبادة الله وحده لا شريك له وتصديق رسله، وهذه دعوة مؤمن آل فرعون دعا قومه إلى الإيمان فدعوه إلى الشرك، دعاهم إلى العزيز في انتقامه ممن كفر، والغفار لذنب من آمن به وتاب إليه، فالحق الذي لا مرية فيه أن دعوتهم إلى الشرك باطلة، وليس لصاحبه حظ في الدنيا ولا في الآخرة، وليس للأصنام والأنداد استجابة دعوة تنفع، وليس لها دعوة توجب لها الألوهية في الدنيا، ولا في الآخرة، وليس لها شفاعة، والمرجع للجميع إلى الله في الدار الآخرة، فيجازي كلا بعمله؛ فالمشركون والمستكثرون من معاصي الله أصحاب النار خالدين فيها بإسرافهم، وشركهم بالله.

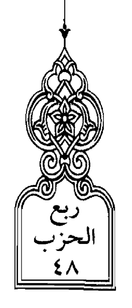
وذكَّرهم مؤمن آل فرعون أنهم سوف يعلمون صدق ما أمرهم به ونهاهم عنه، ونصحه لهم، وسيذكرونه، ويندمون حيث لا ينفعهم الندم، ثم أعلن توكله على الله واستعانته به، وقاطع قومه وباعدهم، والله بصير بالعباد فيهدي من يستحق الهداية، ويضل من يستحق الإضلال، وله الحجة البالغة، والحكمة التامة، والقدر النافذ.

فوقى الله مؤمن آل فرعون ما أرادوا به من المكر السيّىء، وما أرادوه به من الشرّ في الدنيا نجاه الله مع موسى ﷺ وأما في الآخرة فبالجنة، ونزل بآل فرعون العذاب بالغرق في اليم، ثم النقلة منه إلى الجحيم، فإن أرواحهم تعرض على النار صباحًا ومساء إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار؛ في أشد العذاب ألمًا وأعظمه نكالًا، وفي ذلك دلالة على عذاب البرزخ في القبور، وفي النار يتحاجُّ أهل النار، ويتخاصمون، وفرعون وقومه من جملتهم، فيقول الأتباع للقادة والسادة والكبراء إنا أطعناكم فيما دعوتمونا إليه في الدنيا من الكفر والضلال، فهل تتحملون عنا قسطًا من العذاب، فيقول السادة والكبراء لا نتحمل عنكم شيئًا، كفى بنا ما عندنا، وما حملنا من العذاب والنكال، إن الله قسم بيننا العذاب بقدر ما يستحقه كل منا، فيتبرأ المتبوع من التابع، وإن كان يحمل وزره يوم القيامة، فإن من سنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء، فمن سن شرًا فاستن به كان عليه وزره ومثل أوزار من تبعه غير منتقص من أوزارهم شيئًا، لأنه إمام ضلالة وغواية، وهم في العذاب مشتركون وماكثون لا يخفف عنهم، فهم يسألون الخزنة أن يدعوا لهم الله أن يخفف عنهم ولو يومًا واحدًا من العذاب، لما يجدونه من أليم العقاب والنكال والعذاب، وهم يعلمون أنهم مستحقون لذلك لكفرهم في الدنيا وشركهم وتماديهم في الباطل، وسخريتهم بالرسل وبدعوتهم إلى التوحيد.

قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾

لما علم أهل النار أن الله سبحانه، لا يستجيب منهم ولا يستمع لدعائهم، سألوا الخزنة، أن يدعوا لهم الله أن يخفف عنهم ولو يومًا واحدًا من العذاب، فقالت لهم الخزنة ردًّا عليهم، أو لم تقوم عليكم الحجج في الدنيا على ألسنة الرسل، قالوا بلى، قالوا فادعوا أنتم لأنفسكم، فنحن لا ندعو لكم ولا نسمع منكم ولا نود خلاصكم، ونحن منكم برآء، ثم نخبركم أنه سواء دعوتم أو لم تدعوا لا يستجاب لكم ولا يخفف عنكم؛ ودعاء الكافرين لا يتقبل ولا يستجاب، وكتب الله النصر لأنبيائه ورسله، والانتصار لهم ممن آذاهم، وسواء كان ذلك بحضرتهم أو في غيبتهم أو بعد موتهم، فإن من عادى وليًّا لله فقد بارز الله بالحرب؛ ولهذا أهلك تعالى قوم نوح وعاد وثمود، وأصحاب الرس، وقوم لوط، وأهل مدين، وأشباههم وأمثالهم ممن كذب الرسل وخالف الحق، وأنجى الله من بينهم المؤمنين، فلم يهلك منهم أحدًا وعذب الكافرين، فلم يفلت منهم أحدًا، ونصر الله نبيه محمدًا ﷺ وأصحابه على من خالفه وناوأه، وكذبه وعاداه، فجعل كلمته هي العليا، ودينه هو الظاهر على سائر الأديان، وأمره بالهجرة من بين ظهراني قومه إلى المدينة النبوية، وجعل له فيها أنصارًا وأعوانًا، ثم منحه أكتاف المشركين يوم بدر، فنصره عليهم وخذلهم له، وقتل صناديدهم، ثم بعد مدة قريبة فتح عليه مكة، فقرت عينه ببلده، وهو البلد المحرم الحرام المشرف المعظم، فأنقذه الله به مما كان فيه من الشرك والكفر، وفتح له اليمن، ودانت له جزيرة العرب بكمالها، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، ثم قبضه الله تعالى إليه لما له عنده من الكرامة العظيمة، فأقام الله أصحابه خلفاء بعده، فبلغوا عنه دين الله، ودعوا عباد الله إلى الله، ثم لا يزال هذا الدين قائمًا منصورًا ظاهرًا إلى قيام الساعة؛ وفي يوم القيامة تكون النصرة أعظم وأكبر وأجل، يوم لا يقبل من المشركين عذر ولا فدية، ولهم الإبعاد والطرد من الرحمة، ولهم النار بئس المنزل والمقيل، ولقد بعث الله موسى ﷺ بالهدى والنور، وجعل لبني إسرائيل العاقبة، وأورثهم بلاد فرعون وأمواله وأرضه بما صبروا على طاعة الله واتباع رسوله موسى ﷺ وفي الكتاب الذي أورثوه وهو التوراة هدى وذكرى لأولي العقول الصحيحة السليمة، ووعد الله نبيه محمدًا ﷺ بالنصر، وأمره بالصبر، ووعد الله بإعلاء كلمته، وجعل العاقبة له ولمن اتبعه، والله لا يخلف الميعاد، وأمره بالاستغفار، لأنه سبب الانتصار، وفي ذلك تنبيه للأمة بلزوم الاستغفار والتسبيح والحمد في أواخر النهار وأوائل الليل، وأوائل النهار وأواخر الليل، وأما الذين يدفعون الحق بالباطل، ويردون الحجج الصحيحة بالشبه الفاسدة بلا برهان ولا حجة من الله، فليس في صدورهم إلا كبر على اتباع الحق، واحتقار لمن جاءهم به، وليس ما يرومونه من إخماد الحق وإعلاء الباطل بحاصل لهم، بل الحق هو المرفوع، وقولهم وقصدهم هو الموضوع، فنعوذ بالله من حال مثل هؤلاء، والله السميع لأقوالهم البصير بأفعالهم لا تخفى عليه من ذلك خافية، وهو الذي يعيد الخلائق يوم القيامة، وذلك سهل عليه، يسير لديه؛ لأنه خلق السموات والأرض، وخلقهما أكبر من خلق الناس بدأة وإعادة، فمن قدر على ذلك فهو قادر على ما دونه بطريق الأولى والأحرى، ولكن الناس لا يتدبرون هذه الحجة ولا يتأملونها، كما كان كثير من العرب يعترفون بأن الله خلق السموات والأرض، وينكرون المعاد استبعادًا وكفرًا وعنادًا، وقد اعترفوا بما هو أولى مما أنكروا، وكما لا يستوي الأعمى الذي لا يبصر شيئًا، والبصير الذي يرى ما انتهى إليه بصره، بل بينهما فرق عظيم، كذلك لا يستوي المؤمنون الأبرار والكفرة الفجار، فما أقل ما يتذكر كثير من الناس.

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾



قضى الله تعالى وقدَّر بانتهاء هذا العالم الدنيوي، وأن الساعة كائنة وواقعة لا شك فيها ولكن أكثر الناس لا يصدقون بها، بل يكذبون بوجودها، لقصور أفهامهم، وضعف عقولهم عن إدراك الحجة، والمراد بأكثر الناس الكفار الذين ينكرون البعث، فعلى العباد الأخذ بالوسيلة الموصلة إلى السعادة في دار الخلود، فقد حث الله عباده إلى دعائه، وتكفل لهم بالإجابة، والدعاء هو العبادة، ومن لم يدع الله ﷻ غضب عليه، فلعل دعوة أن توافق رحمة فيسعد بها صاحبها سعادة لا يخسر بعدها أبدًا، ومن استكبر عن دعاء الله وتوحيده فإن مآله جهنم صاغرًا فيها، ومن نعم الله على خلقه أن جعل الليل يسكنون فيه ويستريحون من حركات ترددهم في المعايش بالنهار، وجعل النهار مضيئًا، ليتصرفوا فيه بالأسفار، وقطع الأقطار، والتمكن من الصناعات، وهذا من فضل الله على الناس الموجب لشكر نعمه، ولكن أكثر الناس لا يقومون بشكر نعم الله عليهم، ﷻ هو الله الواحد الأحد، خالق الأشياء، الذي لا إله غيره، ولا رب سواه، فكيف يعبدون غيره من الأصنام، التي لا تخلق شيئًا، بل هي مخلوقة منحوتة، وكما ضل هؤلاء بعبادة غير الله، كذلك كذب الذين من قبلهم، فعبدوا غيره بلا دليل ولا برهان بل بمجرد الجهل والهوى، وجحدوا حجج الله وآياته.

ومن نعم الله على عباده أن جعل لهم الأرض، بساطًا مهادًا يعيشون عليها، ويتصرفون فيها، ويمشون في مناكبها، وأرساها بالجبال لئلا تميد بهم، والسماء سقفًا للعالم محفوظًا، وخلقهم في أحسن الأشكال، ومنحهم أكمل الصور في أحسن تقويم، ورزقهم من المآكل والمشارب في الدنيا، خلق الدار، والسكان، والأرزاق فهو الخالق الرازق؛ فتعالى وتقدس وتنزه رب العالمين كلهم، وهو الحي أزلًا وأبدًا، لم يزل ولا يزال، وهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، لا نظير له ولا عديل له، مخلصين له الدين مقرين له بالتوحيد.

وقد أمر الله عباده بالتوحيد، ونهى أن يعبد أحد سواه من الأصنام والأنداد والأوثان، فقد جاءت الأدلة العقلية والنقلية، بوجوب التوحيد والاستسلام لله بالانقياد، والخضوع، فالتوحيد من أوجب الواجبات، وهو أول واجب على المكلفين، ومن فضل التوحيد أن من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل، ولا يخلد أحد في النار من أهل الإيمان بل يخرج من النار من في قلبه حبة من إيمان أو مثقال ذرة، ومن عمل ملء الأرض خطايا ثم لقي الله لا يشرك به جعل الله له مثلها مغفرة.

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ
يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟
شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى
وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا
قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾
فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ
مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ
نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾
ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ
تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ
مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا
نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾

الله خلق عباده من تراب، فخلق آدم ﷺ من تراب ثم جعل نسله من ماء مهين، يقلبهم الله في أطوار، من النطفة إلى العلقة، ثم يخرجهم الله أطفالًا، ثم ينقلهم من الضعف إلى القوّة والعقل، فيكبروا شيئًا فشيئًا، ثم يبلغوا غاية الكمال، ثم يبدأ بالضعف فمنهم من يموت من قبل الشيخوخة، ومنهم من يقضي الله له بعمر يبلغ أجله فيه، كل ذلك دال على وحدانية الله وحده لا شريك له، فيعقل العباد توحيد ربهم، وقدرته البالغة في خلقهم على هذه الأطوار المختلفة ويعقلوا أمر ربهم وتدبيره وتقديره القادر على الإحياء والإماتة المتفرد بذلك، لا يقدر على ذلك أحد سواه، وإذا قضى بالأمر فإنما يقول له كن فيكون، لا يخالف ولا يمانع، بل ما شاء كان لا محالة.

ومن ضلال المكذبين بآيات الله، والمجادلين في الحق والباطل، صرف عقولهم عن الهدى إلى الضلال، فكذبوا بالقرآن وبما أرسلت به الرسل من الهدى والبيان، فسيعلمون حين تكون الأغلال في أعناقهم والسلاسل متصلة بالأغلال، بأيدي الزبانية يسحبونهم على وجوههم، تارة إلى الحميم وتارة إلى الجحيم؛ ثم توقد عليهم النار، أعاذنا الله منها، ويقال لهم أين الأصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله؟ هل ينصرونكم اليوم؟ فيقولون ذهبوا فلم ينفعونا، وجحدوا عبادة الأصنام، فتقول لهم الملائكة: هذا الذي أنتم فيه جزاء على فرحكم في الدنيا بغير الحق، ومرحكم وأشركم وبطركم، واستكباركم على الحق، وتكذيبكم، فمن آثار فرحهم بالباطل تطاولهم على الرسول ﷺ ومن المرح بالباطل استهزاؤهم بالرسول ﷺ والمؤمنين، ويقال لهم ادخلوا أبواب جهنم السبعة المقسومة لهم خالدين فيها فبئس المنزل والمقيل الذي فيه الهوان والعذاب الشديد لمن استكبر عن آيات الله واتباع دلائله وحججه، وأمر الله رسوله صلوات الله وسلامه عليه بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه؛ فإن الله سينجز له ما وعده من النصر والظفر على قومه، وجعل العاقبة له ولمن اتبعه في الدنيا والآخرة، فإما يرى ذلك في الدنيا، أو بعد مماته وكذلك وقع، فإن الله أقر أعينهم من كبرائهم وعظمائهم، أبيدوا في يوم بدر، ثم فتح الله عليه مكة وسائر جزيرة العرب في أيام حياته ﷺ، وتوفاه الله وقد أقر عينه بنصرة الإسلام، وظهور دين الله، فخلفه أصحابه ونشروا دين الله تعالى، حتى امتدت دولة الإسلام في كل مكان، وسيبلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار، بعز عزيز أو بذل ذليل عزًّا يعز الله الإسلام وأهله، وذلًّا يذل الله به الكفر وأهله، وسيرجع الكفار إلى الله فيذيقهم العذاب الشديد في الآخرة.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين، منهم من أوحى الله إلى نبيه محمدٍ ﷺ خبرهم وقصصهم مع قومهم كيف كذبوهم ثم كانت للرسل العاقبة والنصرة، والأكثر منهم لم يوح للنبي ﷺ في خبرهم شيء، وقد قص الله في كتابه خبر خمسة وعشرين نبيًّا، ولم يكن لواحد من الرسل أن يأتي قومه بخارق للعادات، إلا أن يأذن الله له في ذلك، فيدل ذلك على صدقه فيما جاءهم به، فمهمة الأنبياء البلاغ، فإذا جاء عذاب الله ونكاله المحيط بالمكذبين أنجى الله المؤمنين، وكتب لهم الفوز في الدارين، وأهلك الكافرين؛ وجعل لهم الخسارة في الدارين، وإذا جاء الحق زهق الباطل وخسر المبطلون المكذبون المفسدون، وتلك حقيقة ثابتة، أن الحق يزهق الباطل ويزيله ويمحوه، ومن نعم الله على عباده ما خلق لهم من الأنعام، وهي الإبل والبقر والغنم، فالإبل تركب وتؤكل وتحلب، ويحمل عليها الأثقال في الأسفار والارتحال إلى البلاد النائية، والأقطار الشاسعة، والبقر تؤكل، ويشرب لبنها، وتحرث عليها الأرض، والغنم تؤكل، ويشرب لبنها، والجميع تجز أصوافها وأشعارها وأوبارها، فيتخذ منها الأثاث والثياب والأمتعة، يحملون على الإبل في البر وعلى السفن في البحر، ويُرِي الله عباده حججه وبراهينه في الآفاق وفي أنفسهم، والتفكر في مخلوقات الله من أعظم العبادات، وأنفس الطاعات، يزيد الإيمان، فتفكر ساعة خير من قيام ليلة، فلا يقدر أحد من العباد على إنكار شيء من آياته.

وقد أهلك الله الأمم المكذبة بالرسل في قديم الدهر، حل بهم من العذاب الشديد، مع شدة قواهم، وما أثروه في الأرض، وجمعوه من الأموال، فما أغنى عنهم ذلك شيئًا، ولا ردَّ عنهم ذرة من بأس الله؛ وذلك لأنهم لما جاءتهم الرسل بالبينات، والحجج القاطعات، والبراهين الدامغات لم يلتفتوا إليهم، ولا أقبلوا عليهم، واستغنوا بما عندهم من العلم في زعمهم عما جاءتهم به الرسل، وقالوا نحن أعلم منهم لن نبعث ولن نعذب، وأحاط بهم ما كانوا به يكذبون ويستبعدون وقوعه، فلما عاينوا وقوع العذاب بهم، وحدوا الله وكفروا بالطاغوت، ولكن حيث لا تقال العثرات، ولا تنفع المعذرة؛ فلم يقبل الله منهم، وهذا حكم الله في جميع من تاب عند معاينة العذاب أنه لا يقبل منه؛ فإن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر، فإذا غرغر وبلغت الروح الحلقوم، وعاين الملك فلا توبة حينئذ.

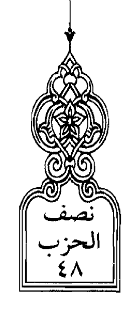
وماذا يغني إيمان قوم لم يبق فيهم إلا رمق ضعيف من الحياة، فإيمانهم حينئذٍ بمنزلة اعتراف أهل الحشر بذنوبهم وليست ساعة عمل، وكتبت الخسارة للكافرين المكذبين المعاندين، والكافر خاسر في كل وقت، ولكنهم يتبين لهم خسرانهم إذا رأوا العذاب.

سورة فصلت

ترتيبها ٤١ — آياتها ٥٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾





سورة فصلت

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر وصف آيات القرآن فيها

بدأت السورة بالحروف المقطعة الدالة على إعجاز القرآن وبلاغته، ذلك الكتاب الذي بينت معانيه وأحكمت أحكامه، لفظًا عربيًا، بينًا واضحًا، فمعانيه مفصلة، وألفاظه واضحة غير مشكلة، وهو المعجز من حيث لفظه ومعناه، ويعرف هذا البيان والوضوح العلماء الراسخون، يبشر المؤمنين، وينذر الكافرين، فأعرض أكثر المشركين، فلم يفهموا منه شيئًا مع بيانه ووضوحه، وقالوا قلوبنا غلف مغطاة، فلا تقبل دعوة التوحيد، وفي آذاننا صمم عن سماع الحق، وبيننا وبين توحيد الله حاجز لا يصل إلينا شيء من الحق، فاعمل أنت على طريقتك أيها النبي، ونحن على طريقتنا لا نتابعك، وهذا الحرمان من العقوبات المعجلة، فقد قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء فعوقبوا بالحرمان، وأمر الله نبيه محمدًا ﷺ أن يقول لهؤلاء المكذبين المشركين، إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي بالدعوة إلى التوحيد بأن إلهكم إله واحد، لا كما تعبدونه من الأصنام والأنداد والأرباب المتفرقين، إنما الله إله واحد، فأخلصوا له العبادة، واستغفروه لسالف الذنوب، فمن أصر على الشرك والوثنية، فالدمار لهم، والهلاك عليهم، فهم لا يشهدون أن لا إله إلا الله، ولم يطهروا أنفسهم من الشرك ومن الأخلاق الرذيلة، وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر لا مقطوع عنهم، وكيف يعبد المشركون مع الله غيره، وهو الخالق لكل شيء، القاهر لكل شيء، المقدر لكل شيء، فيجعلون له نظراء وأمثالًا يعبدونها معه، وهو الخالق للأشياء، رب العالمين كلهم.

خلق الأرض في يومين، ثم خلق السماء، فسواهن في يومين آخرين، ثم دحى الأرض، فأخرج منها الماء والمرعى، وخلق الجبال والجماد والآكام وما بينهما في يومين آخرين، فخلقت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخلقت السماوات في يومين، وجعل الأرض مباركة قابلة للخير والبذر والغراس، وجعل فيها ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق والأماكن التي تزرع وتغرس، وكان خلق السماء بعد الأرض، وكانت بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت الأرض، فقال الله لها وللأرض استجيبا لأمري طائعتين أو مكرهتين، قالتا بل نستجيب لك مطيعين بما فينا، مما تريد خلقه من الملائكة والإنس والجن جميعًا مطيعين لك، سمعنا وأطعنا لرب العالمين، فلئن كانت السموات والأرض أعلنتا الطاعة لرب العالمين، فالعبد الضعيف، عليه أن يستجيب لأمر الله، وينقاد ويذل لحكم الله، ويسلم ويذعن، ويرضى بشرع الله، وحكمه، وقدره.

فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ
وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ
عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً
فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ
عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ
لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى
ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ
﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ
أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ
عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

خلق الله السموات في يومين، وخلق في كل سماء خلقها من الملائكة وما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه إلا الله، وخلق فيها شمسها وقمرها ونجومها، وأوحى إلى كل سماء ما أراد من الأمر والنهي، وزين السماء الدنيا بالكواكب المنيرة المشرقة على أهل الأرض، وحرسًا من الشياطين أن تستمع إلى الملأ الأعلى، ذلك تقدير العزيز الذي قد عز كل شيء فغلبه وقهره، والعليم بجميع حركات المخلوقات وسكناتهم.

وأمر الله نبيه محمدًا ﷺ أن يقول لهؤلاء المشركين المكذبين بما جاء به من الحق، إن أعرضتم عما جئتكم به من عند الله فإني أنذركم حلول نقمة الله بكم كما حلت بالأمم الماضية من المكذبين بالمرسلين، هلاكًا مثل هلاك عاد وثمود، بعث الله إليهم الرسل يأمرونهم بعبادة الله وحده لا شريك له، ومبشرين ومنذرين ورأوا ما أحل الله بأعدائه من النقم، وما ألبس أولياءه من النعم، ومع هذا ما آمنوا ولا صدقوا، بل كذبوا وجحدوا، وقالوا لو أرسل الله رسلًا لكانوا ملائكة من عنده، فإنا بما أرسلتم به أيها البشر مكذبون وجاحدون لرسالتكم، وأما عاد فبغوا وعتوا في الأرض وعصوا، واغتروا بشدة تركيبهم وقواهم، واعتقدوا أنهم يمتنعون به من بأس الله، ولم يتفكروا أن الذي يبارزونه بالعداوة، هو العظيم الذي خلق قوتهم، فبارزوا الجبار بالعداوة، وجحدوا بآياته وعصوا رسوله؛ فأرسل الله عليهم الريح الشديدة الهبوب الباردة، في أيام متتابعات، فابتدئوا بالعذاب في يوم نحس عليهم، واستمر بهم هذا النحس سبع ليال وثمانية أيام حتى أبادهم عن آخرهم، واتصل بهم خزي الدنيا بعذاب الآخرة؛ فكما لم ينصروا في الدنيا، لم يكن لهم من الله من واق يقيهم العذاب ويدرأ عنهم النكال.

وأما ثمود، فقد بين الله لهم، ووضح لهم الحق على لسان نبيهم صالح ﷺ، فخالفوه وكذبوه، وعقروا ناقة الله التي جعلها آية وعلامة على صدق نبيهم، فبعث الله عليهم صيحة ورجفة وذلًا وهوانًا وعذابًا ونكالًا، بسبب تكذيبهم وجحودهم، وأنجى الله المؤمنين المتقين من بين أظهرهم، لم يمسهم سوء، ولا نالهم من ذلك ضرر، مع نبيهم صالح ﷺ بإيمانهم، وتقواهم لله ﷻ ويوم القيامة يجمع المشركون إلى النار، تجمعهم الزبانية أولهم على آخرهم، حتى إذا وقفوا على النار، شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بأعمالهم مما قدموه وأخروه، لا يكتم منه حرف، وشهادة جوارحهم وجلودهم عليهم، شهادة تكذيب وافتضاح لأنهم لما رأوا النار اعتذروا بإنكار بعض ذنوبهم طمعًا في تخفيف العذاب وإلا فقد علم الله ما كانوا يصنعون وشهدت به الحفظة، فما كانت شهادة جوارحهم إلا زيادة خزي لهم وتحسيرًا وتنديمًا على سوء اعتقادهم في سعة علم الله، وتخصيص السمع والأبصار والجلود بالشهادة على هؤلاء دون بقية الجوارح لأن للسمع اختصاصًا بتلقي دعوة النبي ﷺ وتلقي آيات القرآن، فسمعهم يشهد عليهم بأنهم كانوا يصرفونه عن سماع ذلك، ولأن للأبصار اختصاصًا بمشاهدة دلائل المصنوعات الدالة على انفراد الله تعالى بالخلق والتدبير فذلك دليل وحدانيته في إلهيته، وشهادة الجلود لأن الجلد يحوي جميع الجسد لتكون شهادة الجلود عليهم شهادة على أنفسها فيظهر استحقاقها للحرق بالنار لبقية الأجساد دون اقتصار على حرق موضع السمع والبصر.

وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ
أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾
وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ
وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم
مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن
يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ



قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ
ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ
كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ
وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا
شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ
أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ
وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

حين تشهد الجوارح على الانسان يوم القيامة، يلوم الانسان أعضاءه التي شهدت عليه، فتجيب الأعضاء، أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة، فهو لا يُخالَفُ سبحانه ولا يُمانعُ، والمرجع إليه سبحانه، وما كنتم تتكتمون منا الذي كنتم تفعلونه بل كنتم تجاهرون الله بالكفر والمعاصي، ولا تبالون منه في زعمكم؛ لأنكم كنتم لا تعتقدون أنه يعلم جميع أفعالكم؛ وهذا الذي أتلفكم وأرداكم عند ربكم، فكنتم في مواقف القيامة من الخاسرين لأنفسهم وأهليهم، فالناس على قدر ظنونهم بربهم، فأما المؤمن إذا أحسن الظن بربه أحسن العمل، وأما الكافر والمنافق أساء الظن بالله فأساء العمل، فلا يموت الانسان إلا وهو يحسن بالله الظن، فإن قومًا أرداهم سوء ظنهم بالله، وسواء صبر المشركون أو لم يصبروا فهم في النار، لا محيد لهم عنها، ولا خروج لهم منها، وإن طلبوا أن يستعتبوا ويبدوا أعذارًا فما لهم أعذار، ولا تقال لهم عثرات، وإن يسألوا الرجعة إلى الدنيا، فلا جواب لهم.

وهو سبحانه الذي أضل المشركين بمشيئته وكونه وقدرته، وهو الحكيم في أفعاله، بما قيض لهم من القرناء من شياطين الإنس والجن، فحسنوا لهم أعمالهم فيما مضى، وزينت لهم أعمالهم فظنوا أنفسهم على الهدى، فجليس السوء سبب للضلال والمرء على دين خليله، فمجالسة الفساق والعصاة سبب للضلالة، ومجالسة الصالحين والمتقين سبب للهداية والثبات على دين الله، وكل صداقة لغير الله فهي باطلة وتنقلب إلى عداوة يوم القيامة فحقت على المكذبين كلمة العذاب كما حق على أمم قد خلت من قبلهم، ممن فعل كفعلهم، من الجن والإنس، فقد استووا في الخسار والدمار، فقد تواصوا فيما بينهم ألا يطيعوا للقرآن، وألا ينقادوا لأوامره، وإذا تلي لا يسمعوا له، وعارضوه بالخرافات من الرجز والشعر والتصدية والمكاءِ، ورفعوا أصواتهم بها ليشوِّشوا على القارئ، لعلهم يغلبونه على قراءته، وأمر الله سبحانه عباده المؤمنين بخلاف ذلك وهو الإنصات عند سماع القرآن، تعظيمًا للقرآن، واحترامًا لكلام الله، وتدبرًا لآياته، وعملًا بأحكامه، واستشفاء بآياته.

وسيجزي الله أهل الكفر بكفرهم وصدهم عن سبيل الله العذاب الشديد وبِشَرِّ أعمالهم وسيئ أفعالهم لهم النار خالدين فيها بسبب جحودهم وتكذيبهم، وينادي المكذبون وهم في النار يقولون، ربنا أرنا إبليس وقابيل بن آدم الذي قتل أخاه لأنهما سنَّا المعصية، نجعلهما أسفل منا في العذاب ليكونا أشد عذابًا منا، ليكونا في الدرك الأسفل من النار، والله تعالى قد أعطى كلًّا منهم ما يستحقه من العذاب والنكال، بحسب عمله وإفساده.

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ
ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ
وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾
وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ
إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ
ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ
وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ
إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ
فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ
ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ
وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ
إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ
رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾



كتب الله السعادة لأهل الاستقامة، والاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي، من أداء الفرائض، والعمل بطاعة الله، واجتناب معصيته، والمستقيمون الذين وحدوا الله وحده لا شريك له ثم ثبتوا على التوحيد، ولم يلتفتوا إلى إله غير الله، تتنزل عليهم الملائكة تبشرهم بالجنة عند الموت، وتقول الملائكة لروح المؤمن، اخرجي أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب الذي كنت تعمرينه، اخرجي إلى روح وريحان، ورب غير غضبان، وتبشرهم في القبر وعند البعث؛ فإن العبد المؤمن حين يبعثه الله من قبره، يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا، فيقولان له لا تخف ولا تحزن، وتقول لهم الملائكة عند الاحتضار لا تخافوا على ما تقدمون عليه من أمر الآخرة، ولا تحزنوا على ما خلفتم من أهل وولد، فإنا نخلفكم في ذلك كله، ولا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم فإن الله يغفرها لكم، وتقول لهم الملائكة الذين تنزل عليهم بالبشارة، نحن أولياؤكم وأنصاركم وأحباؤكم، وقرناؤكم في الحياة الدنيا، نسددكم ونوفقكم، ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور، ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم، التي كنتم توعدون بها في الدنيا، فإنكم واصلون إليها مستقرّون بها خالدون في نعيمها، ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم، من الكرامات واللذات، ولكم في الجنة ما تتمنون ضيافةً وعطاءً وإنعامًا ورزقًا من غفور لذنوبكم، رحيم بكم رءوف حيث غفر وستر ورحم ولطف فبرحمته أدخلكم جنته، ولا أحسن منهجًا وطريقة من المؤمن الذي أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب إليه، وعمل صالحا في إجابته، وقال إنني من المسلمين، وفرق عظيم بين الحسنة والسيئة، فالحسنة هي الصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فمن أساء إليك فادفعه عنك بالإحسان إليه، فإذا أحسنت إلى من أساء إليك قادته تلك الحسنة إليه إلى مصافاتك ومحبتك، والحنو عليك، حتى يصير كأنه ولي لك قريب إليك من الشفقة عليك والإحسان إليك، وما يقبل هذه الوصية ويعمل بها إلا من صبر على ذلك، فإنه يشق على النفوس، وما يعطاها إلا ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة.

وأما شيطان الجن فإنه لا حيلة فيه إذا وسوس إلا الاستعاذة بخالقه الذي سلطه على الإنسان، فإذا استعاذ المؤمن بالله ولجأ إليه كفاه عنه ورد كيده، فهو السميع لاستعاذة عبده وأقواله، والعليم بأفعاله وأحواله، ومن قدرة الله العظيمة خلق الليل بظلامه والنهار بضيائه، وهما متعاقبان لا يقران، الشمس ونورها وإشراقها، والقمر وضياؤه وتقدير منازله في فلكه، واختلاف سيره في سمائه، ليعرف باختلاف سيره، وسير الشمس مقادير الليل والنهار، والجمع والشهور والأعوام، ويتبين بذلك حلول الحقوق، وأوقات العبادات والمعاملات، ثم لما كان الشمس والقمر أحسن الأجرام المشاهدة في العالم العلوي والسفلي نبه تعالى على أنهما مخلوقان عبدان من عبيده تحت قهره وتسخيره، ولما كان بعض المشركين يسجدون للشمس عند طلوعها وغروبها نهى الله عن عبادتها فهو من الشرك المحرم الذي لا يغفره الله فإنه سبحانه لا يغفر أن يشرك به؛ وأمر الله العباد بالتوحيد وتحقيق العبادة، فمن استكبر عن إفراد العبادة له وأبى إلا الشرك، فإن الملائكة، والموحدين من عباد الله ينزهون الله عن النقائص ومن أعظمها الشرك بالله، ويوحدون الله ليلًا ونهارًا، لا يتعبون من ذلك ولا يملون بل أنسهم وسعادتهم بالتوحيد.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

من آيات الله الدالة على قدرته على إعادة الموتى، الأرض تراها ميتة هامدة لا نبات فيها، يابسة جدبة، غبراء، فإذا أنزل عليها الماء، تحركت بالنبات، وأخرجت من جميل ألوان الزروع والثمار، فالذي أحيا الأرض بالمطر لمحيي الموتى بالبعث والنشور وهو قادر على ذلك، لا يعجزه شيء كائنًا ما كان، والذين يميلون عن التوحيد وعن الحق وعن الاستقامة ويميلون عن المعنى الحق في آيات الله وأسمائه وصفاته لا يخفون على الله، وهو عالم بمن يلحد في آياته وأسمائه وصفاته، وسيجزيه على ذلك بالعقوبة والنكال؛ فلا يستوي عند الله الملحد الذي يلقى في النار، ومن كتب له الأمن يوم القيامة وهم الموحدون، فليعمل المشركون ما شاءوا من عمل خير أو شر، فإن الله عليم بهم وبصير بأعمالهم؛ فالذين كفروا بالقرآن لما جاءهم يجازون بكفرهم، وإن القرآن الذي يلحدون فيه، ويكفرون به عزيز عن أن يعارض أو يطعن فيه الطاعنون، منيع عن كل عيب، فهو حق لا سبيل للباطل إليه بوجه من الوجوه، وهو محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه، أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه ولا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله، ولا يجيء من بعده كتاب فيبطله، ولا يستطيع الشيطان أن يزيد فيه، ولا ينقص منه، منزل من رب العالمين، الحكيم في أقواله وأفعاله، المحمود في جميع ما يأمر به وينهى عنه، وجاءت التسلية لرسول الله ﷺ عن ما كان يتأثر له من أذية الكفار، ما يقال لك من هؤلاء الكفار من وصفك بالسحر والكذب والجنون إلاّ مثل ما قيل للرسل من قبلك، فإن قومهم كانوا يقولون لهم مثل ما يقول لك هؤلاء، فكما قد كُذبت فقد كُذبوا، وكما صبروا على أذى قومهم لهم، فاصبر أنت على أذى قومك لك، والله ذو مغفرة لمن تاب إليه وأناب، وذو عقاب أليم لمن استمر على كفره وطغيانه وعناده وشقاقه ومخالفته، ولولا غفران الله وتجاوزه ما هنأ أحد بالعيش، ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد، ولو أنزل القرآن كله بلغة العجم، لقالوا على وجه التعنت والعناد: هلا أنزل مفصلًا بلغة العرب، ولأنكروا ذلك وقالوا كيف ينزل كلامٌ أعجميٌ على مخاطب عربي لا يفهمه، وجاءهم الرد أن هذا القرآن لمن آمن به هدى لقلبه وشفاء لما في الصدور من الشكوك والريب، وأما المكذبون فلا يفهمون ما فيه، لما جعل في أسماعهم من الصمم عن قبول الحق، وما على عيونهم من الغشاوة فلا يبصرون الحق فلا يهتدون إلى ما فيه من البيان، فهو بعيد من قلوبهم، وشبه حالهم باعتبار عدم فهمهم للقرآن بحال من ينادي من مسافة بعيدة لا يسمع صوت من يناديه، وقد أنزل الله التوراة على موسى ﷺ فكُذب وأوذي، ولولا ما قضاه الله وقدره بتأخير الحساب إلى يوم المعاد، لعجل لهم العذاب، بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلًا، وما كان تكذيبهم له عن بصيرة منهم، بل كانوا شاكين فيما قالوا، غير محققين لشيء كانوا فيه، فمن أطاع الله وآمن برسله ولم يكذبهم فثواب ذلك راجع إليه، ونفعه خاصّ به، ومن أساء فعقاب إساءته عليه لا على غيره، والله لا يعذب أحدًا إلاّ بذنبه، ولا يقع منه الظلم لأحد، ولا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه، وإرسال الرسول إليه.

۞ إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا
وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ
شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ
عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ مِن قَبۡلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٤٨﴾
لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ
قَنُوطٞ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ
لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ
رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ
وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ
أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ
﴿٥١﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم
بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمۡ
ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ
أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمۡ
فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ﴿٥٤﴾

اختص الله ﷻ بعلم الساعة، فلا أحد يعلم الساعة إلا الله، لا نبي مرسل ولا ملك مقرب، ولا يعلم ما في وعاء الثمرة إلا هو سبحانه، فعِلْمُ ما تُخرجه أكمام النخيل من الثمر بقدره وجودتِه وثباته أو سقوطه إلى الله تعالى، ولا يعلم حمل الأنثى من النّاس والحيوان، ولا يعلم التي تلقح من التي لا تلقح إلاّ الله، ولا يعلم وقت وضع الأجنة فإن الإناث تكون حوامل مثقلة ولا يعلم وقت وضعها باليوم والسّاعة إلا الله، فالجميع بعلمه، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ويوم القيامة ينادي الله المشركين على رؤوس الخلائق: أين شركائي الذين عبدتموهم معي؟ فيقولون أعلمناك، ليس أحد منا اليوم يشهد أن معك شريكًا، وذلك أنهم لما عاينوا القيامة تبرءوا من الشركاء، وتبرّأت منهم تلك الأصنام التي كانوا يعبدونها، وزال وبطل في الآخرة ما كانوا يعبدون في الدنيا من الأصنام، وأيقنوا وعلموا أنه لا مهرب لهم من العذاب، والإنسان بطبيعته لا يمل من دعائه ربه المال وصحة الجسم وغير ذلك، وإن مسه البلاء أو الفقر فيئوس من روح الله قنوط من رحمته، ويئوس من إجابة دعائه قنوط بسوء الظنّ بربه، ويئوس من زوال ما به من المكروه، وإذا أصابه خير ورزق بعدما كان في شدة ليقول: إني كنت أستحقه عند ربي، ويكفر بقيام الساعة لما أعطاه الله النعمة التي يفخر بها ويبطر ويقول لئن كان ثَمَّ معاد فسينعم علي ربي، كما أحسن إلي في هذه الدار، يتمنى على الله ﷻ مع إساءته العمل وعدم اليقين، فمن كان هذا عمله واعتقاده فسيجد خبر كفره وعناده وتكذيبه في العذاب الشديد، وإذا أنعم الله على الإنسان ترفع عن الانقياد للحق، وتجبر، وأعرض عن الطاعة، واستكبر عن الانقياد لأوامر الله ﷻ، وإذا مسته الشدة، أكثر من الدعاء والمسألة لله تعالى، ولما كان المشركون ينكرون صدق القرآن، وكان إنكارهم ليس صادرًا عن نظر وتمحيص يحصّل به اليقين، دعاهم القرآن إلى النظر والتأمل في الدّلائل، والتدبر حتى يكونوا على بينة من أمرهم في شأنه، وهم إذا تدبروه علموا صدقه، فاستدعاهم الله إلى النظر بطريق تجويز أن يكون القرآن من عند الله فإنه إذا جاز ذلك، وكانوا قد كفروا به دون تأمل كانوا قد قضوا على أنفسهم بالضلال الشديد، وإذا كانوا كذلك فقد حقّت عليهم كلمات الوعيد، وقد أظهر الله لهم الدلائل والحجج على كون القرآن حقًّا منزلًا من عند الله ﷻ على رسوله ﷺ بدلائل خارجية، من ظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان، ودلائل في أنفسهم، بما في الإنسان تركيب الانسان في أحسن تقويم وأحسن صورة، وما فيه من الجوارح والأعضاء التي تدل على عظمة الخالق جل وعلا، فيتبين بتلك الدلائل أن القرآن من عند الله حقًّا فلا يسعهم إلا الإيمان به، وكفى بالله شهيدًا على أفعال عباده وأقوالهم، وهو يشهد أن محمدًا صادق فيما أخبر به عنه، ولكن الكفار في شك من قيام الساعة؛ ولهذا لا يتفكرون في اليوم الآخر، ولا يعملون له، ولا يحذرون منه، والله على كل شيء قدير، وبكل شيء محيط، وإقامة الساعة لديه يسير، والمخلوقات كلها تحت قهره وفي قبضته، وتحت علمه، وهو المتصرف فيها كلها بحكمه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

سورة الشورى

ترتيبها ٤٢ — آياتها ٥٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِۚ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾



سورة الشورى

وهي سورة مكية، وسميت بذلك لذكر الشورى بين المؤمنين فيها

ابتدأت السورة بالحروف إشارة إلى التحدّي للكفار، بعجزهم عن معارضة القرآن وأن عجزهم عن معارضته دليل على أنه كلام الله المنزل منه، أوحاه الله إلى نبيه كما أوحى إلى الأنبياء قبله، وأنزل عليهم الكتب المشتملة على الدعوة إلى التوحيد، والله العزيز في انتقامه، والحكيم في أقواله وأفعاله، وقد كان الوحي يأتي رسول الله ﷺ أحيانًا مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليه فينقطع ويزول عنه، وقد وعى ما أوحي إليه، وأحيانًا يأتيه الملك رجلًا فيكلمه، فيفهم ما يقول، ومن عظمة الله أن له ما في السموات وما في الأرض، الجميع عبيد له وملك له، تحت قهره وتصريفه، وهو العلي العظيم، والعلو من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف، فقد أجمع السلف على إثبات العلو لله، فيجب إثباته له من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهو علو حقيقي يليق بالله، والعلو على قسمين، علو صفة بمعنى أن صفاته تعالى عليا ليس فيها نقص بوجه من الوجوه، وعلو ذات بمعنى أن ذاته تعالى فوق جميع مخلوقاته، والعظيم ذو العظمة، وهي القوة والكبرياء، ومن عظمة الله أن السموات والأرض يتشققن من عظمته وجلاله من فوقهنّ، والملائكة ينزهون الله عما لا يليق به ولا يجوز عليه، ويتعجبون من جراءة المشركين على الله، ويستغفرون لعباد الله المؤمنين ويسعون فيما يستدعي المغفرة للناس، من تأخير عقوبتهم طمعًا في إيمان الكافر، وتوبة الفاسق، والله كثير المغفرة والرحمة لأهل طاعته، وأوليائه، لجميع عباده، فإن تأخير عقوبة الكفار، والعصاة نوع من أنواع مغفرته ورحمته، والله شهيد على أعمال المشركين، يحصيها ويعدها عدًّا، وسيجزيهم بها أوفر الجزاء، والرسول ﷺ نذير والله على كل شيء وكيل، فقد أوحى الله لنبيه قرآنًا واضحًا جليًّا بينًا بلسان عربي، لينذر أهل مكة، وهي أصل الأرض، وسائر البلاد شرقًا وغربًا، وينذر يوم القيامة، الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين في صعيد واحد، ذلك اليوم الذي لا شك في وقوعه، وأنه كائن لا محالة، فينقسم الجميع إلى فريقين، فريق في الجنة وفريق في السعير، ولو أراد الله لجعلهم أمة واحدة إما على الهداية أو على الضلالة، ولكنه تعالى فاوت بينهم، فهدى من يشاء إلى الحق فيدخلهم رحمته وجنته، وأضل من يشاء عنه، فيدخلهم النار وله الحكمة والحجة البالغة؛ فقد اتخذ المشركون آلهة من دون الله، والله هو الولي الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده، فإنه القادر على إحياء الموتى وهو على كل شيء قدير، وعند الاختلاف فالمرجع إلى الله، فهو الحاكم فيه بكتابه، وسنة نبيه ﷺ، وهو الحاكم في كل شيء، وعليه يتوكل المؤمنون وإليه يرجعون في جميع الأمور.

فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا
وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ
وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ
يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٢﴾
۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ
إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ
يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا
تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ
سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾
فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ
وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ
بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ
لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾



الله ﷻ خالق السموات والأرض وما بينهما، خلق للبشر من جنسهم وشكلهم منة عليهم وتفضلًا للذكر الأنثى، وللأنثى الذكر، وخلق لهم من الأنعام ثمانية أزواج، يكثرهم الله ويخلقهم على هذه الصفة ذكورًا وإناثًا، خلقًا من بعد خلق، وجيلًا بعد جيل، ونسلًا بعد نسل، من الناس والأنعام، والله هو الفرد الصمد الذي لا نظير له، ولا ند ولا مثيل، فإن لله تعالى ذاتًا لا تماثل الذوات، وله صفات لا تماثل الصفات، ليس كمثله شيء في ذاته ولا صفاته، فقدم نفي المماثلة على الإثبات، لأجل أن يرد الإثبات على قلب خال من توهم المماثلة، ويكون الإثبات حينئذ على الوجه اللائق به تعالى، وأنه لا يماثل في صفاته، كما لا يماثل في ذاته، وكل ما وصف الله به نفسه ليس فيه احتمال للتمثيل، لأن تمثيل صفات الله تعالى بصفات المخلوقين كفر لأنه تكذيب للقرآن، وهو سبحانه السميع، وسمع الله تعالى من الصفات الثابتة له حقيقة على الوجه اللائق به وهو على قسمين بمعنى الإجابة وهذا من الصفات الفعلية، وبمعنى إدراك المسموع وهذا من الصفات الذاتية، وهو سبحانه البصير، وهو بمعنى المدرك للمرئيات والمبصرات، وصفة البصر من الصفات الثابتة لله حقيقة على الوجه اللائق به، فالله سبحانه يرى عباده ولا يخفى عليه شيء منهم، وهو سبحانه المتصرف الحاكم في السموات والأرض، يوسع على من يشاء، ويضيق على من يشاء، وله الحكمة والعدل التام، والعلم إدراك الشيء على حقيقته، والله قد أحاط بكل شيء علمًا، أحاط بكل شيء مما مضى، ومما هو حاضر، ومما هو مستقبل، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله ﷻ، أو بأفعال عباده، فهو محيط بها جملة وتفصيلًا بعلمه الذي هو موصوف به أزلًا وأبدًا، وقد بين الله لأمة محمد ﷺ وأوضح لهم من الدين ما وصى به نوحًا، من التوحيد، ودين الإسلام، وأصول الشرائع التي لم يختلف فيها الرسل، وتوافقت عليها الكتب، والذي أوحي إلى محمد ﷺ من القرآن، وشرائع الإسلام، والبراءة من الشرك، وما وصى به الأنبياء إبراهيم وموسى وعيسى مما تطابقت عليه الشرائع من توحيد الله، والإيمان به، وطاعة رسله، وقبول شرائعه، وأولوا العزم من الرسل وهم الذين أمرت الأمة بالأخذ بها وصاهم الله به وهم نوح، وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم عليهم السلام وآخرهم محمد ﷺ وقد عظم، وشق على المشركين ما يدعون إليه من التوحيد، ورفض الأوثان، والله يختار لتوحيده، والدخول في دينه من يشاء من عباده، ويوفق لدينه ويستخلص لعبادته من يرجع إلى طاعته، ويقبل إلى عبادته، وما تفرّق أهل الأديان المختلفة إلاّ عن علم بأن الفرقة ضلالة، ففعلوا ذلك التفرّق للبغي بينهم بطلب الرياسة، وشدّة الحمية، ولولا ما قضاه الله من تأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة لقضي بين من آمن وكفر بإنزال العذاب بالمكذبين في الدنيا، وإن اليهود والنصارى من بعد أنبيائهم لفي شك من محمد ﷺ ولأجل ما وقع من التفرّق والشكّ أمر النبي ﷺ بالدعوة إلى الله، وإلى توحيده، والاستقامة على ما يدعو إليه، ونهي عن اتباع الأهواء الباطلة، وتعصبات المشركين الزائغة، وأمر بالإيمان بجميع الكتب التي أنزلها الله على رسله، وأمر بالعدل في تبليغ الشرائعِ والأحكام وفصل القضايا عند المحاكمة والخصام، والله هو المعبود، لا إله غيره وهو الذي يجازي كلًّا بعمله، فلا خصومة بين المؤمنين وأهل الكتاب، فهو سبحانه يجمع الخلائق يوم القيامة، ويجازيهم فإليه المرجع والمآب يوم الحساب، وهذا كان قبل نزول آية القتال، وبعد آية القتال، أمر بمجاهدة المشركين من أهل الكتاب وغيرهم مع الوفاء بالعهود والمواثيق.

وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ
دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ
﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ
لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ﴿١٧﴾ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ
بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ
أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾
ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ
﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن
كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن
نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ
مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ
وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ
مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ
لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

الذين يجادلون المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله ليصدوهم عما سلكوه من طريق الهدى ويخاصمون في دين الله من بعد ما استجاب الناس له حجتهم باطلة عند الله، وعليهم غضب عظيم من الله لمجادلتهم بالباطل، ولهم عذاب شديد يوم القيامة، والكتب المنزلة من عنده على أنبيائه نزلت بالحق والعدل والإنصاف والعمل للآخرة والزهادة في الدنيا، فإن الدنيا سريعة الزوال، والساعة قريبة يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها، استهزاءً منهم بها، وتكذيبًا بمجيئها، والمؤمنون خائفون وجلون من مجيئها، لأنهم لا يدرون ما يقدمون عليه، ويعلمون أنهم محاسبون ومجزيون ويعلمون أنها آتية لا ريب فيها، فهم مستعدون لها عاملون من أجلها، والذين يحاجون في وجودها ويدفعون وقوعها، لفي في جهل بيّن؛ لأن الذي خلق السموات والأرض قادر على إحياء الموتى بطريق الأولى والأحرى، والله سبحانه لطيف بخلقه في رزقه إياهم عن آخرهم، لا ينسى أحدًا منهم، سواء في رزقه البر والفاجر فيجري لطفه على عباده في كل أمورهم، يوسع على من يشاء، وهو القوي العزيز لا يعجزه شيء، فمن كان يريد بأعماله، وكسبه ثواب الآخرة يضاعف الله له ذلك الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف، ويزيد الله في توفيقه، وإعانته، وتسهيل سبل الخير له، ومن كان يريد بأعماله، وكسبه ثواب الدنيا، ومتاعها، وما يرزق الله به عباده منها يعطه الله منها ما قضاه له، ويقدّر له ما قسم له، وليس له حظ في الآخرة، والمشركون لا يتبعون ما شرع الله لنبيه ﷺ من الدين القويم، بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس، من تحريم ما حرموا عليهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي، وتحليل الميتة والدم والقمار، إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة، التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم، من التحليل والتحريم، والعبادات الباطلة، والأقوال الفاسدة، ولولا ما قضاه الله من تأخير العقوبة لعوجلوا بها، والظالمون يوم القيامة خائفون وجلون مما كسبوا من السيئات، والعذاب نازل عليهم لا محالة أشفقوا أو لم يشفقوا، والمؤمنون في رياض الجنان، فأين من هو في عرصات القيامة في الذل والهوان والخوف، ممن هو في روضات الجنات فيها يشاء من مآكل ومشارب وملابس ومساكن ومناظر ومناكح وملاذ، فيها لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ذلك الفوز العظيم، والنعمة التامة السابغة الشاملة العامة، فالظالمون في إشفاق في حال أن الذين آمنوا يطمئنون في روضات الجنات، وهذا من تضاد شأني الفريقين في الآخرة على عكسه بما كانوا عليه في الدّنيا، فالمؤمنون مشفقون من يوم القيامة، والكفار مكذبون لم يخافوا ولم يعدوا لهذا اليوم عدته، ففي يوم القيامة، ينقلب إشفاق المؤمنين اطمئنانًا واطمئنان المشركين إشفاقًا، وشتّان بين الاطمئنانين والإشفاقين، نسأل الله الجنة ووالدينا وأهلينا وذرياتنا والمسلمين.

ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةً نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٣١﴾

نصف الحزب ٤٩

المؤمنون لهم البشرى في الحياة والآخرة، يبشرون بالحياة الطيبة في الدنيا، والنعيم الأبدي في الجنة، وأمر النبي ﷺ أن يقول للمشركين من كفار قريش، لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالًا، إن لم تنصروني فلا تؤذوني، وتحفظوا القرابة التي بيني وبينكم، وعليكم أن تعملوا بالطاعة التي تقربكم عند الله زلفى، ومن يعمل حسنة يريد بها وجه الله يزيده الله أجرًا وثوابًا، ويوفقه للحسنة بعدها، فإن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها، والله يغفر الكثير من السيئات، ويكثر القليل من الحسنات، فيستر ويغفر، ويضاعف فيشكر، والكفار يتهمون الرسول ﷺ بالكذب والافتراء على الله، فجاء الرد عليهم، أن افتراءه على الله لا يهمكم حتى تناصبوا محمدًا ﷺ العداء، فالله أولى منكم بأن يغار على انتهاك حرمة رسالته وبأن يذب عن جلاله فلا تجعلوا هذه الدعوى همكم، فإن الله لو شاء لختم على قلبه فسلبه القدرة على أن ينسب إليه كلامًا، والله يمحو باطل المشركين وبهتانهم ويحقق ما جاء به رسوله ﷺ وهو وعد من الله بإظهار الإسلام، ووعيد للمشركين بأن دينهم زائل، ويحق الله الحق بكلمات الوحي والقرآن، بالحجج والبراهين، والله عليم بما تكنه الضمائر، وتنطوي عليه السرائر، والله سبحانه هو الذي يقبل توبة عباده إذا تابوا ورجعوا إليه، وهذا من كرمه وحلمه فهو يعفو ويصفح ويستر ويغفر، يقبل التوبة في المستقبل ويعفو عن السيئات في الماضي، وهو عالم بجميع ما فعل العباد وصنعوا وقالوا ومع هذا يتوب على من تاب إليه، ويستجيب الله دعاء الذين آمنوا لأنفسهم ولأصحابهم وإخوانهم، ويزيدهم فوق ذلك مالم يسألوه، والكافرون لهم العذاب الشديد الموجع المؤلم يوم معادهم وحسابهم، ولو أعطى الله العباد فوق حاجتهم من الرزق لحملهم ذلك على البغي والطغيان من بعضهم على بعض أشرًا وبطرًا، ولكن يرزقهم من الرزق ما يختاره مما فيه صلاحهم، وهو أعلم بذلك فيغني من يستحق الغنى، ويفقر من يستحق الفقر، فإن من عباد الله من لا يصلحه إلا الغنى، ولو افتقر لفسد دينه، وإن من عباد الله من لا يصلحه إلا الفقر، ولو أغناه الله لفسد دينه، وهو الذي ينزل الغيث من بعد إياس الناس من نزول المطر، ينزله عليهم في وقت حاجتهم وفقرهم إليه، ويعم برحمته على أهل ذلك القطر وتلك الناحية، وهو المتصرف لخلقه بما ينفعهم في دنياهم وأخراهم، وهو المحمود العاقبة في جميع ما يقدره ويفعله، ومن الآيات الدالة على عظمة الله وقدرته العظيمة وسلطانه القاهر خلق السموات والأرض وما فرق ونشر فيهما من الملائكة والجن والإنس وسائر الحيوانات، على اختلاف أشكالهم وألوانهم ولغاتهم، وطباعهم وأجناسهم وأنواعهم، وقد فرقهم في أرجاء أقطار الأرض والسموات، ويوم القيامة يجمع الأولين والآخرين وسائر الخلائق في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، فيحكم فيهم بحكمه العدل الحق، وما أصاب الناس من المصائب فإنما هو عن سيئات تقدمت لهم، ويعفو عن كثير من السيئات، فلا يجازيهم عليها بل يعفو عنها، والعباد ليسوا بفائتين على الله هربًا في الأرض، ولا في السماء لو كانوا فيها، بل ما قضاه عليهم من المصائب واقع عليهم نازل بهم وما لهم من دون الله من ولي يواليهم، فيمنع عنهم ما قضاه الله، وما لهم من نصير ينصرهم من عذاب الله في الدنيا، ولا في الآخرة.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾

من الآيات الدالة على قدرة الله تعالى وسلطانه، تسخيره البحر لتجري فيه الفلك بأمره، وهي الجواري في البحر كالجبال، لو شاء الله لأسكن الريح التي تسير بالسفن حتى لا تتحرك السفن، بل تظل راكدة لا تجيء ولا تذهب، بل واقفة على وجه الماء، وفي ذلك عبرة وعظة لكل صبار في الشدائد، شكور لله في الرخاء، وعلى تسخيره البحر وإجرائه الهواء بقدر ما يحتاجون إليه لسيرهم، كل ذلك دلالة على نعمه تعالى على خلقه، ولو شاء الله لأهلك السفن وأغرقها بذنوب أهلها الذين هم راكبون عليها، ويعفو الله عن كثير من ذنوبهم، ولو أخذهم بجميع ذنوبهم لأهلك كل من ركب البحر، ولكن من لطف الله ورحمته أنه يرسل الريح بحسب الحاجة، كما يرسل المطر بقدر الكفاية، والذين يكذبون بالقرآن إذا صاروا إلى الله بعد البعث يعلمون أنه لا مهرب لهم من عذاب الله، ولا محيد لهم عن بأس الله ونقمته، فهم مقهورون بقدرة الله، والحياة الدنيا وزينتها وما فيها من الزهرة والنعيم الفاني حقيرة، مهما حصل الانسان منها وجمع فلا يغتر به، فإنما هو متاع الحياة الدنيا، وهي دار دنيئة فانية زائلة لا محالة، وثواب الله خير من الدنيا وهو باق سرمدي، فلا يقدم المؤمن الفاني على الباقي؛ فما عند الله من النعيم خير وأبقى للذين صبروا على ترك الملاذ في الدنيا، وعملوا بطاعة ربهم، وتوكلوا على الله ليعينهم على الصبر في أداء الواجبات وترك المحرمات، والذين يجتنبون كبائر الذنوب خوفًا من الله، وإذا غضبوا يحلمون ويكظمون الغيظ ويتجاوزون لأن سجيتهم وطبعهم تقتضي الصفح والعفو عن الناس، فليس سجيتهم الانتقام من الناس، والذين اتبعوا رسل الله وأطاعوا أمر الله، واجتنبوا زجره، وأقاموا الصلاة لأنها أعظم العبادات لله ﷻ، والذين لا يبرمون أمرًا حتى يتشاوروا فيه، ليتساعدوا بآرائهم في مثل الحروب وما جرى مجراها، والذين ينفقون الأموال عنهم بالإحسان إلى خلق الله الأقرب إليهم منهم فالأقرب، والذين فيهم قوة الانتصار ممن ظلمهم واعتدى عليهم، فليسوا بعاجزين ولا أذلة، يقدرون على الانتقام ممن بغى عليهم، وإن كانوا مع هذا إذا قدروا عفوا، والانتصار للنفس من الظالم جائز لكن مع العدل فلا يجوز التعدي والعفو أفضل، فمن عفا عمن ظلمه، وأصلح بالعفو بينه وبين ظالمه فإن الله سبحانه يأجره على ذلك، وأبهم الأجر تعظيمًا لشأنه، وحرم الله الاعتداء في القصاص لأنه نوع من الظلم، وليس في الانتصار من الظالم جناح، بشرط العدل وعدم الظلم، وإنما الحرج والعنت للذين يبدؤون الناس بالظلم، أو يجاوزون الحد في الانتصار والقصاص، ويعملون في الأرض المعاصي، فلهم العذاب الشديد الموجع، ومن صبر على الأذى وستر السيئة، فإن ذلك لمن حق الأمور التي أمر الله بها، وذلك من الأمور المشكورة والأفعال الحميدة التي عليها الثواب الجزيل والثناء الجميل، ولله تعالى المشيئة النافذة، فما شاء كان ولا رادَّ له، وما لم يشأ لم يكن فلا موجد له، ومن هداه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ويوم القيامة يتمنى المشركون بالله المكذبون بالبعث حين ينظرون إلى النار الرجعة إلى الدنيا.

وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ
مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ
خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ
فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنۡ أَوۡلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم
مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسۡتَجِيبُواْ
لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم
مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ ﴿٤٧﴾ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ
فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ
أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ
بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلۡكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا
وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ
وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ



لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ
رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴿٥١﴾

المشركون حين يعرضون على النار متذللين متضائلين مما دهاهم، ولما لحقهم من الذلّ والهوان يبتدئ نظرهم إلى النار من تحريك لأجفانِهم ضعيفٍ كالذي يراد بِه القصاص ينظر إلى السيفِ لما لحقه من الذلّ والخوف والوجل، ويقول المؤمنون يوم القيامة إن الخسار الأكبر للذين ذُهب بهم إلى النار فعدموا لذتهم في دار الأبد، وخسروا أنفسهم، وفُرِّق بينهم وبين أصحابهم وأحبابهم وأهاليهم وقراباتهم، فخسروهم، فهم في عذاب دائم سرمدي أبدي، لا خروج لهم منه، ولا محيد لهم عنه، وليس لهم أولياء ينقذونهم مما هم فيه من العذاب والنكال، ومن كتبت عليه الضلالة فليس له خلاص، وقد أمر الله عباده بالاستعداد لما يكون في يوم القيامة من الأهوال والأمور العظام الهائلة، ويكون ذلك بالاستجابة لأمر الله، وإلى الإيمان به وبكتبه ورسله من قبل أن يأتي يوم لا يقدر أحد على ردّه، إذا أمر الله بكونه فإنه كلمح البصر يكون، وليس له دافع ولا مانع.

وليس للعباد حصن يتحصنون فيه، ولا مكان يسترهم في القيامة، فهو يوم الاعتراف بالذنوب فلا أحد يستطيع الإنكار، فإن أعرض المشركون عن دعوة التوحيد، فالرسول ليس حافظًا يحفظ أعمالهم حتى يحاسبهم عليها، ولا موكلًا بهم رقيبًا عليهم، فما عليه إلاّ البلاغ لما أمر بإبلاغه، وليس عليه غير ذلك.

والإنسان بطبيعته إذا أصابه رخاء ونعمة فرح بذلك، وإن أصابته مصيبة، من جدب ونقمة وبلاء وشدة، جحد ما تقدم من النعمة، ولا يعرف إلا الساعة الراهنة، فإن أصابته نعمة أشر وبطر، وإن أصابته محنة يئس وقنط.

والله خالق السموات والأرض وهو مالكها والمتصرف فيهما، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ولا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ويخلق ما يشاء، يرزق من يشاء البنات فقط، ويرزق من يشاء البنين فقط، ويعطي من يشاء من الناس الزوجين الذكر والأنثى، ويجعل من يشاء لا يولد له، والله العليم بمن يستحق كل قسم من هذه الأقسام، وهو قدير على من يشاء، من تفاوت الناس في ذلك.

ولا يصح لفرد من أفراد البشر أن يكلمه الله بوجه من الوجوه في الدنيا، إلاّ بأن يوحي إليه، ووحي الله إذا أوحى به إلى رسله على أنواع، تارة يقذف في روع النبي ﷺ شيئًا لا يتمارى فيه أنه من الله ﷻ، أو يكلمه من وراء حجاب، كما كلم محمدًا وموسى عليهما الصلاة والسلام، وكما كلم عبد الله بن حرام الأنصاري بعد استشهاده في يوم أحد، أو ينزل جبريل ﷺ أو غيره من الملائكة على الأنبياء عليهم السلام، والله هو العلي العليم الخبير الحكيم.

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

سورة الزخرف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

القرآن وحي الله إلى عبده ورسوله محمد ﷺ، وهو حياة القلوب يحيي النفوس بالإيمان، وما كان النبي ﷺ يعرف الكتاب ولا الإيمان، قبل الوحي، ولكن الله تعالى جعل نبيه ﷺ نورًا لهداية البشرية، وجعل القرآن الذي أنزل عليه نورًا، وهدى وشفاء، والنبي ﷺ يهدي إلى صراط مستقيم، هداية دلالة وإرشاد، فهو يدل أمته، إلى شرع الله الذي أمر به الله، فإنه رب السموات والأرض، ومالكهما، والمتصرف فيهما، وهو الحاكم الذي لا معقب لحكمه، وإليه ترجع الأمور، فيفصلها ويحكم فيها.

سورة الزخرف

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر الزخرف فيها وأنه من متاع الدنيا

بدئت السورة بالحروف المقطعة الدالة على إعجاز القرآن الذي أنزله الله قرآنًا عربيًا واضحَ الدلالة فهو حقيق بأن يُصدِّقوا به لو كانوا غير مكابرين، فهو بلغتهم لغة العرب التي هي أفصح اللغات للتخاطب بين الناس، وهو في اللوح المحفوظ عند الله ذو مكانة عظيمة وشرف وفضل، وهو محكم بريء من اللبس والزيغ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أعجز البشر بأن يأتوا بمثله، ولو بآية من مثله.

والله تعالى من لطفه ورحمته بخلقه لا يترك دعاءهم إلى الخير والذكر الحكيم وهو القرآن، وإن كانوا مسرفين معرضين عنه، فلم يتركهم سدى، بل أمر بالإيمان بالقرآن ليهتدي من قدر الله هدايته، وتقوم الحجة على من كتب الله شقاوته، وكم أرسل الله من رسول في الأمم السابقة، فكذبهم الناس وسخروا بهم واستهزؤوا بهم، فأهلك الله المكذبين بالرسل، وقد كانوا أشد بطشًا من هؤلاء المكذبين من العرب وجعلهم الله عبرة لمن بعدهم من المكذبين أن يصيبهم ما أصابهم، وهؤلاء المشركون بالله العابدون معه غيره، يعترفون بأن الله هو الخالق للسموات والأرض، لا إله إلا هو وحده لا شريك له، وهم مع هذا يعبدون معه غيره من الأصنام والأنداد، الله الذي جعل الأرض فراشًا قرارًا ثابتة، يسيرون عليها ويقومون وينامون وينصرفون، مع أنها مخلوقة على تيار الماء، لكنه أرساها بالجبال لئلا تميد هكذا ولا هكذا، وجعل فيها طرقًا بين الجبال والأودية هداية لهم في السير من بلد إلى بلد، فبها يعرفون المسافات، وبها يعرفون الخالق جل وعلا، فالتفكر فيها يهدي إلى التوحيد الذي هو المقصد الأصلي.

وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾

من قدرة الله ﷻ الدالة على البعث والنشور، إنزال المطر بحسب الكفاية لزروع الناس وشربهم، لأنفسهم ولأنعامهم، يحيي الله الأرض الميتة بالمطر فإذا جاءها الماء اهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج، فكذلك إحياء الأجساد يوم المعاد بعد موتها، فهو سبحانه الذي خلق ما تنبت الأرض من سائر الأصناف، من نبات وزروع وثمار وأزهار، وغير ذلك من الحيوانات على اختلاف أجناسها وأصنافها، وجعل لعباده السفن، والأنعام ذللها لهم وسخرها ويسرها يأكلون لحومها، ويشربون ألبانها ويركبون ظهورها، أمرهم الله إذا تمكنوا منها واستعلوا عليها أن يتذكروا نعمة ربهم فيما سخر لهم ويقولوا ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝١٤﴾، فلولا تسخير الله لهم ما قدروا عليها، ولا ما استطاع العبد أن يركبها، والعباد صائرون إلى الله بعد مماتهم، وإليه سيرهم الأكبر، فسير الدنيا ينبه على سير الآخرة، كما نبه بالزاد الدنيوي على الزاد الأخروي وباللباس الدنيوي على الأخروي، ومن افتراء المشركين وكذبهم جعلهم لله ولدًا، وجعلوا لله من الأولاد البنات، والإنسان ظاهر الكفران والجحود، فهم مع افترائهم أساءوا الأدب مع الله وجعلوا له ما يكرهونه ولا يحبونه، فهم إذا بُشِّر أحدهم بما جعلوه لله من البنات يأنف من ذلك غاية الأنفة، وتعلوه كآبة من سوء ما بُشِّر به، ويتوارى من القوم من خجله من ذلك، فكيف يأنفون من ذلك، وينسبونه إلى الله ﷻ، والمرأة ضعيفة بطبيعتها، وفطرتها، ويكمل نقصها بلبس الحلي منذ طفولتها، وإذا خاصمت فلا عبارة لها، بل هي عاجزة عيية، فهي ضعيفة عاجزة عن الانتصار، وتلك أنوثة المرأة التي خلقت عليها، وهو من كمالها بصفتها امرأة، فعليها ألا تخالف فطرتها، وتبغي ما يكون للرجل من الصفات، ومن افتراء المشركين جعلهم الملائكة المكرمين إناثًا فهل شهدوا خلقهم، ستكتب هذه الشهادة التي شهدوا بها في ديوان أعمالهم، ليجازيهم الله عليها، ويسألون عن ذلك يوم القيامة، وهذا تهديد شديد، ووعيد أكيد، ومن افتراء المشركين قولهم لو أراد الله لحال بيننا وبين عبادة هذه الأصنام، التي هي على صور الملائكة التي هي بنات الله، فإنه عالم بذلك وهو يقرنا عليه، فجمعوا بين أنواع كثيرة من الخطأ؛ جعلهم لله ولدًا، تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوًّا كبيرًا، ودعواهم أنه اصطفى البنات على البنين، فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا، وعبادتهم للملائكة، بلا دليل ولا برهان ولا إذن من الله ﷻ، بل بمجرد الآراء والأهواء، والتقليد للأسلاف والكبراء والآباء، والخبط في الجاهلية الجهلاء، واحتجاجهم بتقدير الله ذلك عليهم، والحجة إنما تكون بالشرع، وقد جهلوا في هذا الاحتجاج جهلًا كبيرًا، فإنه تعالى قد أنكر ذلك عليهم أشد الإنكار، فإنه منذ بعث الله الرسل وأنزل الكتب يأمر بعبادته وحده لا شريك له، وينهى عن عبادة ما سواه، فهل أعطاهم الله كتابًا من قبل القرآن بأن يعبدوا غير الله فهم يأخذون بما فيه، ويحتجون به، ويجعلونه لهم دليلًا على شركهم، بل لا مستند لهم سوى تقليد آبائهم، فإنهم وجدوهم على طريقة، وهم على أمرهم متبعون لهم ومقتدون بهم.



وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ﴿٣٣﴾

المكذبون تتشابه قلوبهم وأفعالهم وأقوالهم وحججهم، فهم يحتجون بآبائهم، وأنهم على آثارهم مقتدون، فقد جاءت الرسل بما فيه هدايتهم ونجاتهم، جاءتهم بالتوحيد الذي هو أهدى طريقة مما وجدوا عليه آباءهم من الشرك، ولكن المكذبين كفروا لسوء قصدهم ومكابرتهم للحق وأهله، فأنزل الله عليهم أنواعًا من العذاب، كما فصله تعالى في قصصهم، فبادوا وهلكوا، ونجى الله المؤمنين، وقد قص الله خبر عبده ورسوله وخليله إمام الحنفاء، ووالد من بعث بعده من الأنبياء، الذي تنتسب إليه قريش في نسبها ومذهبها، أنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان، فقال إنني براء مما تعبدون، إلا الذي فطرني فإنه سيهدين، وهذا بمعنى لا إله إلا الله، نفي وإثبات، نفي العبادة الحقة عن غير الله وإثباتها لله، وجعل كلمة التوحيد كلمة باقية في ذريته وأتباعه من بعده، تلك الكلمة، التي هي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأوثان، جعلها دائمة في ذريته يقتدي به فيها من هداه الله من ذرية إبراهيم ﷺ.

وهؤلاء المشركون مُتعِّوا بطول الأعمار وكثرة الأموال وأنواع النعم هم وآباؤهم ولم يعاجلهم الله بالعقوبة فاغترّوا بالمهلة، وأكبوا على الشهوات، فتطاول عليهم العمر في ضلالهم، حتى جاءهم القرآن، والرسول محمد ﷺ ظاهر الرسالة يبين لهم ما يحتاجون إليه من أمر الدين، فلم يجيبوه، ولم يعملوا بما أنزل عليه.

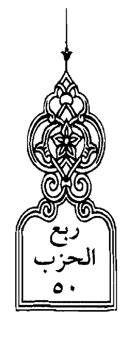
فلما جاءهم الحق كابروه وعاندوه، فسموا القرآن سحرًا، وجحدوه، واستحقروا رسول الله ﷺ وقالوا هلَّا كان إنزال هذا القرآن على رجل عظيم كبير من مكة أو الطائف، وأرادوا بذلك الوليد بن المغيرة، وعروة بن مسعود الثقفي، فجاءهم الرد ليس الأمر مردودًا إليهم، بل إلى الله ﷻ، والله أعلم حيث يجعل رسالاته، فإنه لا ينزلها إلا على أزكى الخلق قلبًا ونفسًا، وأشرفهم بيتًا وأطهرهم أصلًا، فالله هو الذي فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والعقول والفهوم، وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة، ولم يفوّض ذلك إليهم، وليس لأحد من العباد أن يتحكم في شيء بل الحكم لله وحده، وإذا كان الله سبحانه هو الذي قسم بينهم أرزاقهم، ورفع درجات بعضهم على بعض، فكيف لا يقنعون بقسمته في أمر النبوّة، وتفويضها إلى من يشاء من خلقه، فقد فاوت الله بين خلقه ليسخر بعضهم بعضًا في الأعمال، لاحتياج هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، ورحمة الله بخلقه خير لهم مما بأيديهم من الأموال ومتاع الحياة الدنيا، ولولا أن يعتقد كثير من الناس الجهلة أن إعطاء الله المال لأحد من خلقه دليل على محبة الله له فيجتمع الناس على الكفر لأجل المال لجعل الله للكفار لبيوتهم سُقُفًا من فضة، وسلالم ودرجًا من فضة عليها يصعدون.

وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾

لولا افتتان الناس بالمال لفتح الله المال على الكفار فتنة واستدراجًا، فيجعل لبيوتهم أبوابًا من فضة، وسررًا من فضة، ومن ذهب تحملهم، كل ذلك من متاع الدنيا الفانية الزائلة الحقيرة عند الله، يعجل الله لهم بحسناتهم التي يعملونها في الدنيا مآكل ومشارب ليوافوا الآخرة وليس لهم عند الله حسنة يجزيهم بها، والآخرة خاصة لمن اتقى الشرك، والمعاصي، وآمن بالله وحده، وعمل بطاعته لا يشاركهم فيها أحد غيرهم، ومن يتعامى ويتغافل ويعرض عن القرآن يهيئ الله له قرين من الشياطين يُضله عن الهدى ويُزين له الكفر والمعاصي، ويحول بينه وبين سبيل الحق ويمنعه منه، ويوسوس له أنه على الهدى، يلازمه لا ينفك عنه، فإذا وافى الله يوم القيامة يتبرم بالشيطان الذي وُكِّل به، ويتمنى أنه كان بينه وبينه في الدنيا بعد ما بين المشرق والمغرب، وإذا بعث الكافر من قبره يوم القيامة أخذ بيده شيطان لا يفارقه، حتى يصيرهما الله تعالى إلى النار، فيجتمعون في النار، بسبب ظلمهم لأنفسهم بالشرك، ولا يغني عنهم اجتماعهم في النار واشتراكهم في العذاب الأليم، فلا يخفف عنهم بسبب الاشتراك شيء من العذاب؛ لأن لكلّ أحد من الكفار والشياطين الحظ الأوفر من العذاب، ومن كتب الله عليه الضلالة والغواية لا يستطع أحد هدايته، والرسول ﷺ عليه البلاغ، وليس عليه هدايته، ولكن الله يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وهو الحكم العدل في ذلك، ومن كتبت ضلالته فهو بمنزلة الأصمّ الذي لا يعقل ما جاء به الرسول، وبمنزلة الأعمى الذي لا يبصر لإفراطه في الضلالة، وتمكنه من الجهالة، فستنزل بهم عقوبة الله في حياة النبي ﷺ أو بعد وفاته، ولم يقبض الله رسوله حتى أقر عينه من أعدائه، وحكَّمه في نواصيهم، وملَّكه ما تضمنته ديارهم، وأمر الله نبيه ﷺ بالتمسك بالقرآن المنزل على قلبه، فإنه الحق، وما يهدي إليه هو الحق المفضي إلى صراط الله المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم، والخير الدائم المقيم.

وهو شرف للنبي ﷺ ولقومه وأمته فقد أنزل بلغتهم، فهم أفهم الناس له، فينبغي أن يكونوا أقوم الناس به وأعملهم بمقتضاه، وهكذا كان خيارهم وصفوتهم من الخُلَّص من المهاجرين السابقين الأولين، ومن شابههم وتابعهم، وفي القرآن الذكرى والعظة والعبرة لمن أراد أن يتذكر، وسيسأل الله العباد عن هذا القرآن كيف كانوا في العمل به والاستجابة له، وجميع الرسل دعوا إلى ما دعا إليه النبي ﷺ الناس إليه من عبادة الله وحده لا شريك له، ونهوا عن عبادة الأصنام والأنداد، فكل نبي بعث في أمة أمر قومه بعبادة الله واجتناب الطاغوت، فقد بعث الله عبده ورسوله موسى ﷺ إلى فرعون وملائه من الأمراء والوزراء والقادة، والأتباع والرعايا، من القبط وبني إسرائيل، يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وينهاهم عن عبادة ما سواه، وبعث معه آيات عظامًا، كاليد والعصا، وما أرسل معه من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، ومن نقص الزروع والأنفس والثمرات، ومع هذا كله استكبروا عن اتباعها والانقياد لها، وكذبوها وسخروا منها، وضحكوا ممن جاءهم بها.

وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾



بعث الله موسى ﷺ بالآيات إلى فرعون وقومه، كل واحدة أكبر من التي قبلها، وأعظم قدرًا مع كون التي قبلها عظيمة في نفسها، فما رجعوا عن غيهم وضلالهم وجهلهم، وكلما جاءتهم آية من هذه الآيات يضرعون إلى موسى ﷺ ويتلطفون له في العبارة بقولهم يا أيها العالم، وكان علماء زمانهم هم السحرة، وفي كل مرة يَعِدُون موسى ﷺ إن كشف عنهم هذا أن يؤمنوا ويرسلوا معه بني إسرائيل، وفي كل مرة ينقضون ما عاهدوا عليه، وتمرد فرعون وعتى وكفر وعانده وجمع قومه فنادى فيهم مفتخرًا بملك مصر وتصرفه فيها، فلا ينازعه فيه أحد، ولا يخالفه مخالف، ونهر النيل يجري بين يديه، ومن تحت قصره، ففرق ممن هو في هذه العظمة والملك، وبين موسى الفقير الضعيف، الذي لا ملك له ولا سلطان ولا مال، ولا يكاد يفصح عن كلامه، فلا يفهم، كل ذلك أراد به التلبيس على رعيته، فإنهم كانوا جهلة، ومن تلبيسه قوله: هلا حُلِّي بأساورة الذهب إن كان عظيمًا، وكان الرجل فيهم إذا سوّدوه سوّروه بسوار من ذهب، وطوّقوه بطوق من ذهب، أو جاء معه الملائكة يكتنفونه خدمة له ويشهدون بتصديقه، فاستخف عقول قومه بهذا التلبيس، فدعاهم إلى الضلالة فاستجابوا له مع فسقهم وضلالهم، فلما أسخطوا الله وأغضبوه نزل بهم العذاب وهو الغرق، فجعلهم الله قدوة لمن عمل بعملهم من الكفار في استحقاق العذاب، وعبرة لمن بعدهم.

ومن تعنت قريش في كفرها وتعمدها العناد والجدل قولهم لما سمعوا قول الله: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾، أليست النصارى يعبدون المسيح، فالمسيح في جهنم، فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى، فأعرضوا عن الحق وصدوا عنه بهذه المقالة، وما ضربوا هذا المثل في عيسى إلا ليجادلوا النبي ﷺ، فهم قوم شديدو الخصومة، وكثيرو اللدد، وعظيمو الجدل، والجدل بغير الحق سبب الضلال والإضلال، وما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أورثوا الجدل، وما ضلت أمة بعد نبيها إلا أعطوا الجدل، أما المجادلة بالتي هي أحسن لبيان الحق والهدى فقد أمر الله بها، وحث عليها النبي ﷺ.

والمسيح عيسى ابن مريم عبد من عباد الله أكرمه الله بالرسالة والنبوة، وجعله آية، ودلالة وحجة وعبرة لبني إسرائيل يعرفون به قدرة الله سبحانه، فإنه كان من غير أب، وكان يحيي الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص وكل مريض، ولو شاء الله أهلك المكذبين وجعل بدلًا منهم ملائكة في الأرض يخلفونهم فيها، يعمرون الأرض بدلًا منهم.

وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ
مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ
﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ
وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ
﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ
﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن
تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ
عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ
تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍۖ
وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُۖ وَأَنتُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

من علامات الساعة نزول المسيح ابن مريم قبل يوم القيامة، وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بنزول عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة، مصدقًا بمحمد ﷺ على ملته إمامًا عادلًا وحكمًا مقسطًا، يكسر الصليب ويذبح الخنزير ويضع الجزية ويترك الصدقة فلا يسعى على شاة ولا بعير وتُرفع الشحناء والتباغض ويُنزع السم من كل ذات سم حتى يدخل الوليد يده في الحية فلا تضره، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، ويضع الحرب ويفيض المال حتى لا يقبله، فلا شك في وقوع الساعة وعلاماتها، تصديقًا بخبر الصادق المصدوق ﷺ، فاتباع خبره وأمره هو الطريق إلى الجنة، الذي يصد الشيطان عنه، ويغوي بني آدم ليقودهم إلى النار، فقد جاءت الرسل في بيان التوحيد والتحذير من الشرك، وقد اختلف بنو إسرائيل بعد موسى عليه السلام ووقعوا في الشرك، فبعث الله المسيح ابن مريم رسولًا إليهم وأنزل عليه الإنجيل، ليكون لهم هداية من الاختلاف، وأمرهم بطاعة الله، وتقواه، وألزمهم بإفراد الله بالعبادة، وهو التوحيد الذي من أجله أرسلت الرسل، فالجميع عباد الله، ويجب عليهم أن يوحدوه، ويخلصوا له العبادة فاختلفت بنو إسرائيل في عيسى عليه السلام، وصاروا شيعًا فيه، منهم من يقر بأنه عبد الله ورسوله وهو الحق ومنهم من يدعي أنه ولد الله، ومنهم من يقول إنه الله تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا فهل ينتظر المشركون المكذبون للرسل إلا الساعة فإنها كائنة لا محالة وواقعة، وهؤلاء غافلون عنها غير مستعدين وهم لا يشعرون بها، فحينئذ يندمون كل الندم، حيث لا ينفعهم ولا يدفع عنهم، فكل صداقة وصحبة لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة، يعادي بعضهم بعضًا، لأنها قد انقطعت بينهم العلائق واشتغل كل واحد منهم بنفسه، ووجدوا تلك الأمور التي كانوا فيها أخلاء أسبابًا للعذاب فصاروا أعداءً، إلا ما كان لله ﷻ فإنه دائم بدوامه، لأنهم أخلاء في الدنيا والآخرة، فتلك الخلة كانت بينهم في أسباب الخير والثواب فبقيت خلتهم على حالها، فيقال لهؤلاء المتقين المتحابين في الله لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون، فيذهب عند ذلك خوفهم ويرتفع حزنهم، لأن قلوبهم وبواطنهم آمنت، وانقادت لشرع الله جوارحهم وظواهرهم، ويبشرون بالجنة هم ومن مثلهم في العمل، ونساؤهم المؤمنات ينعمون ويسعدون، ويكرمون، ويفرحون، لهم في الجنة أطعمة يطاف عليهم بها في صحاف الذهب، ولهم فيها أشربة يطاف عليهم بها في الأكواب، مما تشتهيه أنفس أهل الجنة من فنون الأطعمة والأشربة ونحوهما مما تطلبه النفس وتهواه كائنًا ما كان، وتلذ الأعين من كل المستلذات التي تستلذّ بها وتطلب مشاهدتها، وفيها يخلدون لا يموتون، ولا يخرجون منها فقد صارت إليهم الجنة كما يصير الميراث إلى الوارث بما كانوا يعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحة، ولهم في الجنة سوى الطعام والشراب، فاكهة كثيرة الأنواع والأصناف، فلهم مع الطعام والشراب، الفاكهة لتتم النعمة والغبطة.

إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدۡ جِئۡنَٰكُم بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمۡ أَبۡرَمُوٓاْ أَمۡرٗا فَإِنَّا مُبۡرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبۡحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾

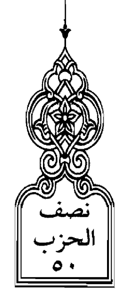
الأشقياء الذين كتبت عليهم الشقاوة فكذبوا الرسل وكفروا بربهم أعد الله لهم من العذاب الأليم في جهنم ما لا ينقطع عنهم ساعة واحدة، يخلدون فيه، ييأسون فيه من كل خير بسبب أعمالهم السيئة بعد قيام الحجج عليهم وإرسال الرسل إليهم، فَجُوزوا بذلك جزاء وفاقًا، وما ربك بظلام للعبيد، ومن شدة العذاب ينادون مالكًا خازن النار؛ ليقبض الله أرواحنا فيريحنا مما نحن فيه، فيجيبهم مالك بعد ألف سنة، إنكم ماكثون، لا خروج لكم منها ولا محيد لكم عنها، فقد جاءهم الحق فلم يقبلوه، وإنما انقادوا للباطل وعظموه، وصدوا عن الحق ورفضوه، وأحكموا كيدًا للنبي ﷺ، فكادهم الله جزاء وفاقًا، فلئن قضوا أمرًا، وتحايلوا في رد الحق بالباطل بحيل ومكر، فإن الله يقضي عليهم بالعذاب، فإن الله يسمع سرهم وعلانيتهم، والملائكة يكتبون أعمالهم، صغيرها وكبيرها، وأمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يقول للكفار قولًا يلزمهم به الحجة، ويقطع ما يوردونه من الشبهة، إن كان لله ولد في قولكم، وعلى زعمكم، فأنا أوّل من عبد الله وحده، لأن من عبد الله وحده، فقد دفع أن يكون له ولد، فتعالى الله وتقدس وتنزه خالق الأشياء عن أن يكون له ولد، فإنه فرد أحد صمد، لا نظير له ولا كفء له، فلا ولد له، فإن لم يستجيبوا للحق والهدى فليلهوا في دنياهم، ويخوضوا في أباطيلهم، وجهلهم وضلالهم حتى يوم القيامة، فسوف يعلمون كيف يكون مصيرهم، ومآلهم، وحالهم في ذلك اليوم، فهو سبحانه إله من في السماء، وإله من في الأرض، يعبده أهلهما، وكلهم خاضعون له، أذلاء بين يديه، فهو الحكيم في شرعه، والعليم بخلقه، فتنزه الله وتعالى وتقدس خالق السموات والأرض وما بينهما ومالكهما والمتصرف فيهما، بلا مدافعة ولا ممانعة، فهو الرب العلي العظيم، المالك للأشياء، الذي بيده أزمَّة الأمور نقضًا وإبرامًا، وعنده علم الساعة لا يجليها لوقتها إلا هو، وإليه ترجع الخلائق، فيجازي كلا بعمله، إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًّا فشرًّا، ولا يملك الذين يدعون من دونه من الأصنام والأوثان الشفاعة، لأن شفاعتهم باطلة، أما من شهد بالحق على بصيرة وعلم فإنه تنفع شفاعته عنده بإذن الله له، ولئن سألت هؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره مَنْ خلقهم لاعترفوا أن الله هو الخالق للأشياء جميعها، وحده لا شريك له في ذلك، ومع هذا يعبدون معه غيره، ممن لا يملك شيئًا ولا يقدر على شيء، فهم في غاية الجهل والسفاهة وسخافة العقل؛ كيف يصرفون عن الحق إلى الباطل، وشكا النبي ﷺ إلى ربه قومه الذين كذبوه أنهم قوم لا يؤمنون، فأمر ألا يجيبهم بمثل ما يخاطبونه به من الكلام السيئ، ولكن يتألفهم ويصفح عنهم فعلًا وقولًا، وسيجدون عاقبة تكذيبهم في يوم القيامة، وفي الدنيا على أيدي أوليائه، فأحل الله بهم بأسه الذي لا يرد، وأعلى دينه وكلمته، وشرع بعد ذلك الجهاد والجلاد، حتى دخل الناس في دين الله أفواجًا، وانتشر الإسلام في المشارق والمغارب.

ترتيبها ٤٤ | سورة الدخان | آياتها ٥٩

سُورَةُ الدُّخَانِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ
مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾
أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ
إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ
وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ
﴿٩﴾ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى
ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ
إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾
ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ
إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ
﴿١٦﴾ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ
كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾





سورة الدخان

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر الدخان فيها وأنه من علامات الساعة

ابتدأت السورة بالحروف المقطعة الدالة على بلاغة القرآن وإعجازه، أنزله الله في ليلة مباركة، وهي ليلة القدر، في شهر رمضان، فقد أُنزل جملة واحدة إلى بيت العزة في رمضان، وابتدأ نزوله مفرقًا على النبي ﷺ في رمضان في ليلة القدر منه في العشر الأواخر منه، أنزله الله بالنذارة من الشرك والبشارة بالتوحيد؛ لتقوم حجة الله على عباده، تلك الليلة المباركة التي تُقدر فيها المقادير، وتنسخ فيها الملائكة من اللوح المحفوظ أمر السنة، وما يكون فيها من الآجال والأرزاق، وما يكون فيها إلى آخرها أمرًا، محكمًا لا يبدل ولا يغير، قضاء الله وقدره.

فإن من رحمة الله بعباده قضاؤه وقدره بإرسال أفضل البشر وخير الرسل محمد ﷺ إلى الناس يتلو عليهم آيات الله مبينات، ليخرجهم من الظلمات إلى النور، فهو سبحانه السميع لمن دعاه، وسمعه وسع الأصوات كلها، وسمع الله تعالى من الصفات الثابتة له حقيقة على الوجه اللائق به، وهو بمعنى الإجابة وهذا من الصفات الفعلية، وبمعنى إدراك المسموع وهذا من الصفات الذاتية، وهو سبحانه العليم، وعلم الله تعالى كامل محيط بكل شيء جملة وتفصيلًا، والعلم إدراك الشيء على حقيقته، وهو سبحانه رب السموات والأرض وخالقهما ومالكهما وما فيهما، وإن كان المشركون يشكون في ذلك مع إقرارهم به، لأنهم لو كانوا موقنين بذلك لأفردوا العبادة لله وحده لاشريك له، الذي خلقهم ورزقهم وأوجدهم هم وآباؤهم الأولين وأماتهم ثم يبعثهم، ولكنهم في شكٍّ من التوحيد والبعث وفي إقرارهم بأن الله خالقهم وخالق سائر المخلوقات، وأن ذلك منهم على طريقة اللعب والاستهزاء، وأمر النبي صلى اله عليه وسلم أن ينتظر فيهم يوم تأتي السماء بدخان مبين، وهو ما أصاب قريشًا بدعاء النبي ﷺ حتى كان الرجل يرى بين السماء والأرض دخانًا من الجهد والجوع والقحط يشملهم الدخان، ويحيط بهم حتى قالوا هذا عذاب أليم، فأتوا النبي ﷺ وقالوا: إن كشف الله عنا هذا العذاب أسلمنا، وسيكون دخان آخر الزمان هو من أشراط الساعة، يمكث في الأرض أربعين يومًا، وهو من جملة العشر آيات التي تكون قبل قيام الساعة، والكفار مهما رأوا من الآيات لا يتذكرون، ولا يتعظون بما نزل بهم فقد جاءهم رسول يبين لهم كل شيء يحتاجون إليه من أمر الدين، والدنيا، فأعرضوا عن ذلك الرسول الذي جاءهم، ولم يكتفوا بمجرّد الإعراض عنه، بل جاوزوه، وقالوا إنما يُعلمه القرآن بشر، وقالوا إنه مجنون، فكيف يتذكر هؤلاء، ثم لما دعوا الله بأن يكشف عنهم العذاب، وأنه إذا كشفه عنهم آمنوا فكشف سبحانه عنهم العذاب زمانًا قليلًا، فلم ينزجروا عما كانوا عليه من الشرك، ولم يفوا بما وعدوا به من الإيمان، فبقوا على الشرك والكفر والعناد، فانتقم الله منهم بوقعة بدر، فقتل سادتهم وأشرافهم، ولهم يوم القيامة العقوبة الكبرى لتكذيبهم وكفرهم، وقد أرسل الله سبحانه إلى قوم فرعون موسى وهارون عليهما السلام، فأمروهم بما شرعه الله لهم، فكذبوهم، وطغوا وبغوا، وقد جاءهم موسى عليه السلام رسول كريم على الله كريم في قومه، فطلب منهم أن يسلموا إليه بني إسرائيل، ويطلقوهم من العذاب، فهو رسول من الله إليهم، أمين على الرسالة غير متهم.

وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ
بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا
رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ
تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ
كَانُوا۟ فِيهَا فَـٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَـٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾
فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ
نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ
كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَـٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى
ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَـٰتِ مَا فِيهِ بَلَـٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ
﴿٣٣﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا
نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ
خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَـٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ
﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾
مَا خَلَقْنَـٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

دعا موسى عليه السلام فرعون وقومه ونهاهم أن يستكبروا ويتعالوا على دعوة التوحيد عن اتباع آيات الله والانقياد لحججه والإيمان ببراهينه، فقد جاءهم بحجة ظاهرة واضحة، وهي ما أرسله الله به من الآيات البينات والأدلة القاطعة، واستعاذ بالله سبحانه لما توعدوه بالقتل أن يرجموه بالحجارة، ويشتمونه بألسنتهم، وإن لم يصدّقوه، ويقرّوا بنبوّته، فليتركوه، ولا يتعرّضوا له بأذى، وليدعوا الأمر بينه وبينهم مسالمة إلى أن يقضي الله بينهم؛ فلما طال مقامه بين أظهرهم، وأقام حجج الله عليهم، كل ذلك ما زادهم ذلك إلا كفرًا وعنادًا، دعا ربه عليهم دعوة نفذت فيهم، فعند ذلك أمره الله تعالى أن يخرج ببني إسرائيل من بين أظهرهم من غير أمر فرعون ومشاورته واستئذانه؛ فإن فرعون سيتبعه بجنوده، فلما جاوز موسى عليه السلام وبنو إسرائيل البحر، أراد موسى أن يضربه بعصاه حتى يعود كما كان، ليصير حائلًا بينهم وبين فرعون، فلا يصل إليهم، فأمره الله أن يتركه على حاله ساكنا، يبسًا كهيئته، وبشره بأنهم جند مغرقون فيه، وأنه لا يخاف دركًا ولا يخشى، وتركوا البساتين والأنهار والآبار، والمساكن الكريمة الأنيقة والأماكن الحسنة، فقد كانت الجنان بحافتي هذا النيل من أوله إلى آخره في الشقين جميعًا، متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء، وزروع ما بين الجبلين كله من أول مصر إلى آخر ما يبلغه الماء، وتركوا عيشة كانوا يتفكهون فيها فيأكلون ما شاؤوا ويلبسون ما أحبوا مع الأموال والحكم في البلاد، فَسُلبوا ذلك جميعه في صبيحة واحدة، وفارقوا الدنيا وصاروا إلى جهنم وبئس المصير، واستولى على البلاد المصرية وتلك الحواصل الفرعونية والممالك القبطية بنو إسرائيل، ولم تكن لهم أعمال صالحة تصعد في أبواب السماء فتبكي على فقدهم، ولا لهم في الأرض بقاع عبدوا الله فيها فتفقدهم؛ فلهذا استحقوا ألا ينظروا ولا يؤخروا لكفرهم وإجرامهم، وعتوهم وعنادهم، فما من عبد إلا وله في السماء بابان، باب يخرج منه رزقه، وباب يدخل منه عمله وكلامه، فإذا مات فقداه وبكيا عليه، وأنقذ الله بني إسرائيل مما كانوا فيه من إهانة فرعون وإذلاله لهم، وتسخيره إياهم في الأعمال المهينة الشاقة، فقد كان مستكبرًا جبارًا عنيدًا، فاختار الله بني إسرائيل على عالمي زمانهم على علم منه باستحقاقهم لذلك، وأعطاهم الله معجزات موسى عليه السلام، اختبارًا ظاهرًا، وامتحانًا واضحًا لينظر كيف يعملون، والآيات: إنجاؤهم من الغرق، وفلق البحر لهم، وتظليل الغمام عليهم، وإنزال المنّ والسلوى لهم، والشرّ الذي كفهم عنه، والخير الذي أمرهم به، ومن جهل المشركين إنكارهم البعث والمعاد، ولا حياة بعد الممات، ولا بعث ولا نشور، ويحتجون بآبائهم الماضين الذين ذهبوا فلم يرجعوا، وهذه حجة باطلة وشبهة فاسدة، فإن المعاد إنما هو يوم القيامة لا في هذه الدار، بل بعد انقضائها وذهابها وفراغها يعيد الله العالمين خلقًا جديدًا، ويجعل الظالمين لنار جهنم وقودًا، وجاء الوعيد والإنذار لهم أن يحل بهم بأس الله الذي لا يرد، كما حل بأشباههم ونظرائهم من المشركين والمنكرين للبعث، كقوم تبع وهم سبأ حيث أهلكهم الله وخرب بلادهم، وشردهم في البلاد، وفرقهم، والذين مِن قبلهم عاد، وثمود، أهلكوا بذنوبهم وكفرهم، والله سبحانه منزه في أفعاله عن اللعب والعبث والباطل، فلم يخلق عباده عبثًا، ولم يخلق السموات والأرض لعبًا، وإنما خلقهما بالحق والعدل ولحكم عظيمة، ولكن الناس لا يعلمون كثيرًا من حكم الله في خلقه.

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى
عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾
طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ
ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ
صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ
﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ
﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾
كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ
فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ
إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا
مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

سورة الجاثية

ترتيبها ٤٥ — آياتها ٣٧

يوم القيامة يوم يفصل الله فيه بين الخلائق، فيعذب الكافرين ويثيب المؤمنين، وهو ميقات لجميع الخلق يجمعهم الله كلهم أولهم وآخرهم، في ذلك اليوم لا ينصر قريب قريبًا، ولا يغني قريب عن قريب إلا المؤمنون، فإنهم يؤذن لهم في الشفاعة فيشفعون، ولا ينفع في ذلك اليوم إلا من رحمه الله ﷻ فهو العزيز ذو الرحمة الواسعة.

والكفار في النار ليس لهم طعام إلا شجرة الزقوم وهي طعام الفجار ليس لهم طعام غيرها، والزقوم لو وقعت منه قطرة في الأرض لأفسدت على أهل الأرض معايشهم، يغلي في بطون أهل النار كغلي الحميم من حرارتها ورداءتها، ويقال للزبانية خذوه؛ فيبتدره سبعون ألفًا منهم، ويسوقونه سحبًا ودفعًا على ظهره إلى وسط النار، ثم يصب الحميم على رأسه فينزل في بدنه، فيسلت ما في بطنه من أمعائه، حتى تمرق من كعبيه، أعاذنا الله تعالى من ذلك، ويقال له على وجه التهكم والتوبيخ ذق إنك أنت العزيز الكريم، إن هذا ما كنتم به تكذبون.

وأما السعداء في الآخرة في الجنة، قد أمنوا فيها من الموت والخروج، ومن كل هم وحزن وجزع وتعب ونصب، ومن الشيطان وكيده، وسائر الآفات والمصائب، في جنات وعيون، يلبسون رفيع الحرير، وما غلظ من الحرير، وما فيه بريق ولمعان، يتقابلون على السرر لا يجلس أحد منهم وظهره إلى غيره، وأعطاهم من الزوجات الحور العين الحسان اللاتي كأنهن الياقوت والمرجان، ومهما طلبوا من أنواع الثمار أُحضر لهم، وهم آمنون من انقطاعه وامتناعه، بل يحضر إليهم كلما أرادوا، لا يذوقون فيها الموت أبدًا، لأنه يؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يذبح، ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت.

ويقال لأهل الجنة، إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وأهل الجنة لا ينامون،؛ لأن النوم أخو الموت، ومع هذا النعيم العظيم المقيم قد وقاهم، وسلمهم ونجاهم وزحزحهم من العذاب الأليم في دركات الجحيم، فحصل لهم المطلوب، ونجاهم من المرهوب؛ كل ذلك بفضل الله عليهم وإحسانه إليهم، نسأل الله الجنة ووالدينا وأهلينا وذرياتنا والمسلمين.

وقد يسر الله هذا القرآن الذي أنزله سهلًا واضحًا بينًا جليًّا بلسان عربي مبين، الذي هو أفصح اللغات وأجلاها وأحلاها وأعلاها لعلهم يتفهمون ويعملون، ثم لما كان مع هذا البيان والوضوح، من الناس، من كفر ومن خالف وعاند، فسيعلمون في الدنيا وفي يوم القيامة لمن يكون النصر والظفر وعلو الكلمة في الدنيا والآخرة، فإنها لمحمد ولإخوانه من النبيين والمرسلين ومن اتبعهم من المؤمنين.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٧﴾ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـٔٗا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدٗىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾



۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾



سورة الجاثية

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر حال الأمم يوم القيامة فيها

ابتدأت السورة بالحروف المقطعة الدالة على إعجاز القرآن، الذي أنزله الله ليكون هداية للبشرية، وفيه الأمر بالتفكر في آلاء الله ونعمه، وقدرته العظيمة التي خلق بها السموات الأرض، وما فيهما من المخلوقات المختلفة الأجناس والأنواع من الملائكة والجن والإنس، والدواب والطيور والوحوش والسباع والحشرات، وما في البحر من الأصناف المتنوعة، واختلاف الليل والنهار في تعاقبهما دائبين لا يفتران، هذا بظلامه وهذا بضيائه، وما أنزل الله تعالى من السحاب من المطر في وقت الحاجة إليه، وسماه رزقًا؛ لأن به يحصل الرزق، فيحيي به الأرض بعدما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شيء، وتقليب الرياح، تهب تارة من جهة وتارة من أخرى، وتارة تكون حارّة وتارة تكون باردة، وتارة نافعة، وتارة ضارّة، كل ذلك آية وعظة وعبرة للمؤمنين الذين يعقلون آيات الله فتزيدهم يقينًا وإيمانًا، ويتدبرون القرآن فيجدون العظة والعبرة، فآيات القرآن فيها من الحجج والبينات، وتتضمن الحق من الله، فمن لم يؤمن بها ولم ينقد لها فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمن، فويل لكل كذاب حلاف مهين أثيم في فعله وقيله كافر بآيات الله، يسمع آيات الله تقرأ عليه، ثم يصر على كفره وجحوده استكبارًا وعنادًا، كأنه ما سمعها، فله عند الله يوم القيامة عذابٌ أليمٌ موجعٌ، وإذا حفظ شيئًا من القرآن كفر به واتخذه سخرية وهزوًا فله عذاب مهين في مقابلة ما استهان بالقرآن واستهزأ به؛ وذلك في جهنم يوم القيامة، ولا ينفعه ماله ولا أولاده، ولا تغني عنه الآلهة التي عبدها من دون الله شيئًا، فهذا القرآن هدى للبشرية ولكن من كتب عليه الشقاء فلا يجد لهداية القرآن طريقًا، فله عذاب مؤلم موجع بسبب كفره وعناده، ومن نعم الله على عبيده ما سخر لهم من البحر تجري السفن فيه بأمره تعالى، فإنه هو الذي أمر البحر أن يحملها فتحملهم في المتاجر والمكاسب لعلهم يشكرون الله على حصول المنافع المجلوبة إليهم من الأقاليم النائية والآفاق القاصية، وسخر لهم ما في السموات وما في الأرض من الكواكب والجبال، والبحار والأنهار، وجميع ما ينتفعون به، فالجميع من فضله وإحسانه وامتنانه؛ من عنده وحده لا شريك له في ذلك.

قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ
قَوْمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفْسِهِۦۖ
وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ
وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلْأَمْرِۖ
فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْۚ إِنَّ
رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ
شَيْـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ
﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحْمَةٞ لِّقَوْمٖ يُوقِنُونَ
﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْۚ سَآءَ
مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ
وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

أمر الله الذين آمنوا أن يصفحوا عن المشركين، ويتحملوا الأذى منهم، وهذا كان في ابتداء الإسلام، أمروا أن يصبروا على أذى المشركين وأهل الكتاب، ليكون ذلك لتأليف قلوبهم، ثم لما أصروا على العناد شرع الله للمؤمنين الجلاد والجهاد، فإذا صفحوا عنهم في الدنيا، فإن الله مجازيهم بأعمالهم السيئة في الآخرة؛ والجميع يعودون إلى الله يوم القيامة فيعرضون بأعمالهم عليه، فيجزيهم بأعمالهم خيرها وشرها، وقد أنعم الله على بني إسرائيل بإنزال الكتب عليهم وإرسال الرسل إليهم، وجعل الملك فيهم، ورزقهم من المآكل والمشارب، وفضلهم على العالمين في زمانهم، وأعطاهم الله الحجج والبراهين والأدلة القاطعات، فقامت عليهم الحجج ثم اختلفوا بعد ذلك بعد قيام الحجة، وإنما كان ذلك بغيًا منهم على بعضهم بعضًا، والله سيفصل بينهم بحكمه العدل، وهذا فيه تحذير لهذه الأمة أن تسلك مسلكهم، وأن تقصد منهجهم؛ وعليهم التمسك بشريعة محمد ﷺ التي أوحيت إليه من ربه لا إله إلا هو، ويجب عليهم الإعراض عن المشركين، وعدم اتباعهم في أهوائهم فإن اتباعهم ضلال وإفلاس، ودمار وهلاك، والمشركون أولياء بعض، والله ولي المتقين يخرجهم من الظلمات إلى النور، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات، وهذا القرآن براهين ودلائل للمؤمنين فيما يحتاجون إليه من أحكام الدين والدنيا، فهو بصائر للقلوب، ورشد وهداية إلى الطريق المؤدي إلى الجنة لمن عمل به، ورحمة من الله في الآخرة، يشفع لأهله، يقول القرآن رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفع، وينزلهم المنازل العالية في الجنة، يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها، ويلبس أهل القرآن الحلل يوم القيامة؛ فإذا جاء صاحب القرآن يوم القيامة يقول القرآن يا رب حَلِّه فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يا رب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول يا رب ارض عنه فيرضى عنه رب العالمين، فالقرآن شافع مشفع ومَاحِلٌ مصدق من جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار، والماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران، من ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم، فلا يستوي المؤمنون والكافرون، ولا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة؛ فالذين عملوا السيئات وكسبوها، لا يساوون بالذين آمنوا وعملوا الصالحات في الدنيا والآخرة، ومن ساوى بينهم فقد ساء ظنه بربه، وفسد حكمه أن يساوي بين الأبرار والفجار في الدار الآخرة وفي هذه الدار، فقد خلق الله السموات والأرض بالعدل، ولتُجزى النفوس بما عملت، وربك لا يظلم أحدًا.

أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾

الهوى أساس كل خطيئة، وباب كل فتنة، ومن اتخذ هواه إلهًا يأتمر به فما رآه حسنًا فعله وما رآه قبيحًا تركه فهو لا يهوى شيئًا إلا عبده، فقد ضل ضلالًا مبينًا، فقد أضله الله لعلمه أنه يستحق ذلك، وأضله الله بعد بلوغ العلم إليه، وقيام الحجة عليه، فلا يسمع ما ينفعه، ولا يعي شيئًا يهتدي به، ولا يرى حجة يستضيء بها؛ ومن جهل المشركين أنهم قالوا: ما الحياة إلاّ الحياة التي نحن فيها، يصيبنا الموت والحياة فيها، وليس وراء ذلك حياة، ونموت نحن، ويحيا فيها أولادنا، وما يهلكنا إلاَّ الموت، مع مرور الأيام والليالي إنكارًا للبعث وتكذيبًا بالآخرة، وليس عندهم علم بهذا وإنما يتبعون الظن، وإذا تُليت آيات القرآن على المشركين بينات واضحات ظاهرة المعنى تدل على البعث بعد الموت ما كان لهم حجة ولا متمسك إلاّ هذا القول الباطل: ائتوا بآبائنا، فليس في هذا القول من الحجة في شيء، وإنما سماه الله حجة تهكمًا بهم، ثم أمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يردّ عليهم، أن الله يحييهم في الدنيا، ثم يميتهم عند انقضاء آجالهم، ثم يجمعهم بالبعث والنشور؛ لا شك في ذلك لأن من قَدر على ابتداء الخلق قدر على إعادته، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، ولذلك ينكرون المعاد، ويستبعدون قيام الأجساد؛ لأنهم لم يقدروا الله حق قدره وهو مالك السموات والأرض، الحاكم فيهما في الدنيا والآخرة؛ ويوم تقوم القيامة يخسر الكافرون بالله الجاحدون بما أنزله على رسله من الآيات البينات والدلائل الواضحات، يوم تتميز الأمم، وتجثوا كل أمة على ركبها من الشدة والعظمة، إذا جيء بجهنم؛ فإنها تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا جثا لركبتيه، حتى إبراهيم الخليل، ويقول نفسي نفسي، لا أسألك اليوم إلا نفسي، وحتى إن عيسى ليقول، لا أسألك اليوم إلا نفسي، لا أسألك اليوم مريم التي ولدتني، كل أمة تُدعى إلى كتاب أعمالها، فيجازون بأعمالهم خيرها وشرها، فكتاب الأعمال يستحضر جميع أعمالهم من غير زيادة ولا نقص، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ووجدوا ما عملوا حاضرًا ولا يظلم ربك أحدًا، فقد كان الحفظة تكتب أعمالهم عليهم، تكتب الملائكة أعمال العباد، ثم تصعد بها إلى السماء، فيقابلون الملائكة الذين في ديوان الأعمال على ما بأيديهم مما قد أُبرز لهم من اللوح المحفوظ في كل ليلة قدر مما كتبه الله في الأزل على العباد قبل أن يخلقهم فلا يزيد حرفًا ولا ينقص حرفًا، فالذين آمنت قلوبهم وعملت جوارحهم الأعمال الصالحات، وهي الخالصة الموافقة للشرع، يدخلهم ربهم في الجنة، وذلك هو الفوز البين الواضح، والذين كفروا فيقال لهم تقريعًا وتوبيخًا: أما قُرئت عليكم آيات الرحمن فاستكبرتم عن اتباعها، وأعرضتم عند سماعها، وكنتم قومًا مجرمين في أفعالكم، مع ما اشتملت عليه قلوبكم من التكذيب، وإذا قال لكم المؤمنون أن الساعة حق والبعث بعد الموت حقيقة، قلتم لا نعرفها، إن نتوهم وقوعها إلا توهمًا، وما نحن بمتحققين.

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

سُورَةُ الأَحْقَافِ

ترتيبها ٤٦ — آياتها ٣٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾



يوم القيامة يظهر للمشركين عقوبة أعمالهم السيئة، ويحيط بهم ما كانوا به يستهزئون من العذاب والنكال، ويقال لهم اليوم نعاملكم معاملة الناسي لكم في نار جهنم كما نسيتم الآخرة فلم تعملوا لها لأنكم لم تصدقوا بها، فالنار مسكنكم ومستقرّكم الذي تأوون إليه وما لكم من ينصركم ويمنع عنكم العذاب، بسبب أنكم اتخذتم القرآن هزوًا ولعبًا، وخدعتكم الدنيا بزخارفها وأباطيلها، فظننتم أنه لا دار غيرها، ولا بعث ولا نشور، فاليوم لا يخرجون من النار، ولا يطلب منهم العتبى، بل يعذبون بغير حساب ولا عتاب، كما تدخل طائفة من المؤمنين الجنة بغير عذاب ولا حساب، فلله الحمد رب السموات ورب الأرض وما فيهما؛ وهو رب العالمين كلهم، وله السلطان العظيم الممجد، الذي كل شيء خاضع لديه فقير إليه، فالعظمة إزاره والكبرياء رداؤه، وهو العزيز الذي لا يغالب ولا يمانع، والحكيم في أقواله وأفعاله، وشرعه وقدره، تعالى وتقدس، لا إله إلا هو.

سورة الأحقاف

وهي سورة مكية ، وسميت بذلك لذكر الأحقاف فيها ، وهي أرض قوم عاد

بدئت السورة بالحروف المقطعة الدالة على إعجاز القرآن وبلاغته، الذي أنزله الله على عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه، فالله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما بالحق، لا على وجه العبث والباطل، وإلى مدة معينة مضروبة لا تزيد ولا تنقص، والذين كفروا، لاهون عما أنذروا، وقد أنزل إليهم كتابًا وأرسل إليهم رسولًا، وهم معرضون عن ذلك كله، وسيعلمون عاقبة شركهم وكفرهم وعنادهم وجحودهم يوم القيامة؛ فالذين يعبدون من دون الله من الأصنام والأوثان ماذا خلقوا، وأي مكان استقلوا بخلقه من الأرض، وهل لهم اشتراك في خلق السموات أو تدبيرها، والحق أنهم ما يملكون من قطمير، فإن الملك والتصرف كله إلى الله ﷻ فكيف يعبد العباد مع الله غيره ويشركون به، فمن أرشدهم إلى الشرك، ومَن دعاهم إليه، فليأتوا بكتاب من كتب الله المنزلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يأمرهم بعبادة الأصنام، أو دليل بيّن على الشرك، إن كانوا صادقين، فلا دليل لهم نقلي ولا عقلي على ذلك؛ فلا أضل ممن يدعو أصنامًا ويطلب منها ما لا تستطيعه إلى يوم القيامة، وهي غافلة عما يقول، لا تسمع ولا تبصر ولا تبطش؛ لأنها جماد حجارة صم.

وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَلَا تَمۡلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٩﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ ﴿١١﴾ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ لِّسَانًا عَرَبِيّٗا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾

إذا حشر الله الخلائق يوم القيامة تبرأت الأصنام من المشركين، وكانت أعداء لهم، وتكذبهم وتعاديهم بلسان الحال لا بلسان المقال، وأما الملائكة، والمسيح، وعزير، والشياطين، فإنهم يتبرّءون ممن عبدهم يوم القيامة، ومن كفر المشركين وعنادهم، أنهم إذا تليت عليهم آيات الله، واضحة المعاني ظاهرة الدلالة، قالوا هذا سحر واضح، وقد كذبوا وافتروا وضلوا وكفروا، واتهموا النبي ﷺ بالكذب، وما علموا أنه لو أن النبي كذب على الله لعاقبه الله أشد العقوبة، والله أعلم بما يقولون في القرآن، ويخوضون فيه من التكذيب له، والقول بأنه سحر وكهانة، والله يشهد أن القرآن من عنده، وأن النبي قد بلغه، ويشهد عليهم بالتكذيب والجحود، والله الغفور لمن تاب وآمن، وصدّق بالقرآن وعمل بما فيه، وهو رحيم بالمؤمنين، والرحمة صفة حقيقية ثابتة لله تعالى دل عليها اسم الرحيم، وليست إرادة الإحسان ولا الإحسان نفسه، وإنما إرادة الإحسان والإحسان نفسه من آثار هذه الرحمة، ومن أثر هذه الرحمة أنه يرحم بهذه الرحمة من يستحقها، وخاتم الأنبياء محمد ﷺ ليس بأول رسول، بل قد جاءت الرسل من قبله، فقد أرسل الله قبله جميع الأنبياء إلى الأمم، والرسول لا يدري ما يفعل به ولا بمن يدعوهم في الدنيا، هل يخرج كما أخرجت الأنبياء من قبله، أم يقتل كما قتلت الأنبياء من قبله، ولا يدري أيؤمنون أم يكفرون فيعذبون، ولا يدري أيخسف بهم أو يرمون بالحجارة، أما بالنسبة إلى الآخرة فإنه يصير إلى الجنة هو ومن اتبعه، وإنما النبي عليه الصلاة والسلام يتبع ما ينزله الله عليه من الوحي، وهو نذير بين النذارة، وأمره ظاهر لكل ذي لب وعقل، وهذا القرآن الذي أنزله الله على عبده ورسوله محمد ﷺ، وكفر به المشركون حقٌّ، فما ظن المشركين أن الله صانع بهم وقد كفروا وكذبوا بالكتاب الذي جاء به رسوله وأمره بإبلاغه لعباده، وقد شهدت بصدقه وصحته الكتب المتقدمة المنزلة على الأنبياء قبل محمد ﷺ، بشرت به وأخبرت بمثل ما أخبر هذا القرآن به فآمن من شهد بصدقه من بني إسرائيل لمعرفته بحقيقته، آمن بنبيه وبكتابه، وكفر المشركون بنبيهم وكتابهم وقد آمن بالقرآن من بني إسرائيل مثل عبد الله بن سلام وغيره، وقال الذين كفروا: لو كان القرآن خيرًا ما سبقنا هؤلاء إليه، يعنون بلالًا وعمارًا وصهيبًا وخبابًا وأشباههم وأقرانهم من المستضعفين والعبيد والإماء، وما ذاك إلا لأنهم عند أنفسهم يعتقدون أن لهم عند الله وجاهة وله بهم عناية، وقد غلطوا في ذلك غلطًا فاحشًا، وأخطأوا خطأً بينًا، فهم لما لم يهتدوا بالقرآن قالوا إنه كذب مأثور عن الأقدمين، وانتقصوا القرآن وأهله، ومن قبل القرآن التوراة كتاب يقتدى به في الدين، ورحمة من الله لمن آمن به قبل نزول القرآن، وهذا القرآن مصدق لما قبله من الكتب فصيحًا بينًا واضحًا، مشتمل على النذارة للكافرين والبشارة للمؤمنين، الذين جمعوا بين التوحيد والاستقامة على الشريعة، لا يخافون من وقوع مكروه بهم فيما يستقبلون، ولا يحزنون من فوات محبوب، وذلك مستمر دائم، وهم أصحاب الجنة دار المؤمنين، مخلدون فيها بسبب أعمالهم التي عملوها من الطاعات لله، وترك معاصيه.

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

الإحسان إلى الوالدين، قربة وطاعة وبر ووفاء، وقد أوصى الله عباده بالوالدين إحسانًا إليهما وحنوًا عليهما، فقد قاست الأم بسبب الولد في حال حمله مشقة وتعبًا من وحام وغشيان وثقل وكرب، إلى غير ذلك مما ينال الحوامل من التعب والمشقة، ووضعته بمشقة من الطلق وشدته، ولاقت في إرضاعه وحضانته آلامًا وتعبًا ومشقة، فمدة الرضاعة سنتان، ومع أقل الحمل ستة أشهر تكون المدة ثلاثين شهرًا، فإذا قوى وشب وبلغ أربعين سنة تناهى عقله وكمل فهمه وحلمه، فعليه أن يجدد التوبة والإنابة إلى الله ﷻ، ويعزم عليها، ويسأل ربه أن يلهمه شكر نعمته، وأن يوفقه لحسن العبادة وصلاح العمل، يرضي بذلك ربه وخالقه، ويدعو لوالديه ويستغفر لهما، ويدعو بصلاح نسله وعقبه، فاللهم ارحم والدينا وأصلح ذرياتنا، وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا، وأزواجنا، وذرياتنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، واجعلنا شاكرين لنعمك، مثنين بها عليك قابليها، وأتمها علينا، فالتائبون إلى الله المنيبون إليه، المستدركون ما فات بالتوبة والاستغفار، هم الذين يتقبل الله عنهم أحسن ما عملوا، ويتجاوز عن سيئاتهم، فيغفر لهم الكثير من الزلل، ويتقبل منهم اليسير من العمل، وهم في جملة أصحاب الجنة، وهذا حكمهم عند الله كما وعد الله من تاب إليه وأناب؛ ووعد الله هو الصدق لا يخلف الله الميعاد، وأما حال الأشقياء العاقين للوالدين الذين جحدوا الإحسان وبادروا إلى العقوق فقد توعدهم الله بالنار يوم القيامة، ووصف القرآن فئة من أبناء المشركين أسلم آباؤهم ودعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم، وأغلظوا لهم القول فضمّوا إلى الكفر شنيع عقوق الوالدين وهو أقبح الأفعال لمنافاته الفطرة التي فطر الله الناس عليها لأن حال الوالدين مع أبنائهما يقتضي معاملتهما بالحسنى، فهم ينكرون البعث بعد الموت ووالديهم يسألون الله فيهم أن يهديهم ويقولون لهم: ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول: ما هذا الذي تقولانه من البعث إلاّ أحاديث الأوّلين، وأباطيلهم التي سطّروها في الكتب، وهذا يعم العاقين الذين يعقون والديهم وهم ينتسبون للإسلام، فإن العقوق كبيرة من كبائر الذنوب فمن عق والديه فقد وجب عليه العذاب، كما وجب على كثير من الأمم المكذبة من الجن والإنس الذين خسروا الدنيا والآخرة، ولكلّ فريق من الفريقين المؤمنين، والكافرين من الجنّ والإنس مراتب عند الله يوم القيامة بأعمالهم فدرجات أهل النار تذهب سفلًا، ودرجات أهل الجنة تذهب علوًّا، وأعمالهم توفى لهم لا يظلمهم الله مثقال ذرة فما دونها، ويقال لهم يوم القيامة تقريعًا وتوبيخًا: اتبعتم الشهوات واللذات التي في معاصي الله سبحانه، ولم تبالوا بالذنب تكذيبًا منكم لما جاءت به الرّسل من الوعد بالحساب والعقاب والثواب فاليوم تجزون بالعذاب الذي فيه ذلّ لكم، وخزي عليكم، بسبب تكبركم عن عبادة الله، والإيمان به وتوحيده، وبما كنتم تخرجون عن طاعة الله، وتعملون بمعاصيه.

۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۖ بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢٨﴾

أرسل الله نبيه هودًا ﷺ إلى عادٍ الأولى، وكانوا يسكنون الأحقاف، وهي الجبال من الرمل، وتقع جنوب الجزيرة العربية، وقد أرسل الله إلى من حول بلادهم من القرى مرسلين ومنذرين، فقالوا لهودٍ ﷺ أجئتنا لتصدنا عن آلهتنا، وتعجلوا عذاب الله وعقوبته استبعادًا منهم لوقوعه، فقال لهم هود ﷺ الله أعلم بكم إن كنتم مستحقين لتعجيل العذاب، وأما أنا فمن شأني أني أبلغكم ما أرسلت به، ولكنكم قوم لا تعقلون ولا تفهمون، فلما رأوا العذاب مستقبلهم، اعتقدوا أنه سحاب ممطر، ففرحوا واستبشروا به، وقد كانوا ممحلين محتاجين إلى المطر، فكان العذاب الذي استعجلوه، ريحًا تخرب كل شيء من بلادهم مما من شأنه الخراب بإذن الله لها في ذلك، فأصبحوا وقد بادوا كلهم عن آخرهم ولم تبق لهم باقية، وهذا جزاء من كذب رسل الله، وخالف أمر الله، وكان النبي ﷺ إذا رأى الغيم يخاف، ويقول: "ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا".

ولقد مكن الله للأمم السالفة في الدنيا من الأموال والأولاد، وأعطاهم منها ما لم يعط من بعدهم، وقد أعرضوا عن قبول الحجة والتذكر مع ما أعطاهم الله من الحواسّ التي بها تدرك الأدلة، فما نفعهم ما أعطاهم الله من ذلك حيث لم يتوصلوا به إلى التوحيد، وصحة الوعد والوعيد، ولم ينتفعوا بوجه من وجوه النفع لأنهم كانوا يجحدون دعوة التوحيد، وقد أحاط بهم العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء، ويكذبون به ويستبعدون وقوعه، فليحذر كل إنسان أن يكون مثلهم، فيصيبه مثل ما أصابهم من العذاب في الدنيا والآخرة، وقد أهلك الله الأمم المكذبة بالرسل ممن حول مكة كعادٍ، وكانوا بالأحقاف بحضرموت عند اليمن، وثمود وكانت منازلهم بينهم وبين الشام، وكذلك سبأ وهم أهل اليمن، ومدين وكانت في طريقهم وممرهم إلى غزة، وكذلك بحيرة قوم لوط، كانوا يمرون بها، وقد بينت لهم الحجج ونوّعت؛ لكي يرجعوا عن كفرهم فلم يرجعوا، فلم ينصرهم من عذاب الله ناصر، لم تنصرهم آلهتهم التي يتقرّبون بها بزعمهم إلى الله لتشفع لهم، ولم تمنعهم من الهلاك الواقع بهم، بل ذهبوا عنهم أحوج ما كانوا إليها، وهذا من كذبهم وافترائهم في اتخاذهم إياهم آلهة، قد خابوا وخسروا في عبادتهم لها واعتمادهم عليها، وتلك نهاية كل مكذب وجاحد ومعاند، الزوال والهلاك، وفي ذلك عبرة وعظة لهذه الأمة، أن تعلم أن نهاية كل طاغوت ومجرم ومحاد لله ولرسوله الهلاك والذلة في الدنيا قبل ذل وهوان الآخرة، وأنه مهما طال عمر الباطل فإن مآله إلى الزهوق والزوال، وأن الحق سينتصر في النهاية، لا محالة، وتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلًا.

وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

سورة محمد

ترتيبها ٤٧ — آياتها ٣٨

كان رسول الله ﷺ يصلي العشاء الآخرة، بنخلة في طريقه إلى سوق عكاظ، فلما سمع الجن القرآن استمعوا له، فقالوا هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فرجعوا إلى قومهم وقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا، يهدي إلى الرشد فآمنا به، ولن نشرك بربنا أحدًا، ولم يشعر رسول الله ﷺ بأمرهم حتى أنزل الله عليه بخبرهم، ثم بعد ذلك وفدوا إليه أرسالًا قومًا بعد قوم، وفوجًا بعد فوج، وإنذار الجن لقومهم بالقرآن الذي أنزل بعد موسى عليه السلام، ولم يذكروا عيسى؛ لأن عيسى عليه السلام أنزل عليه الإنجيل فيه مواعظ وقليل من التحليل والتحريم، وهو في الحقيقة كالمتمم لشريعة التوراة، فالعمدة هو التوراة؛ ووصفوا القرآن أنه يصدق الكتب المنزلة قبله على الأنبياء، يهدي إلى الحق في الاعتقاد والإخبار، وإلى طريق الجنة والقرآن يشتمل على شيئين خبر وطلب، فخبره صدق، وطلبه عدل، ودعوا قومهم لتصديق رسالة محمد صلوات الله وسلامه عليه، لأن الله أرسله إلى الثقلين الإنس والجن، وتصديق الرسول ﷺ سبب لمغفرة الذنوب والوقاية من عذاب الله، وجزاء المؤمنين من الجن كمؤمني الإنس يدخلون الجنة، وقدرة الله شاملة على كل من كذب وتولى من الجن والإنس، لا يجيرهم من الله أحد، وليس لهم من دون الله أنصار يمنعونه من عذاب الله، فهم في ضلال ظاهر واضح، وهؤلاء المنكرون للبعث يوم القيامة، المستبعدون لقيام الأجساد يوم المعاد، ألم يعلموا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعجز عن خلقهن، بل قال لها: كوني، فكانت، بلا ممانعة ولا مخالفة، بل طائعة مجيبة خائفة وجلة، أفليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى، وهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، ويوم القيامة حين يعرض الكفار على النار، يقال لهم، أليس هذا العذاب حق، فلا يسعهم إلا الاعتراف، فيقال لهم، فذوقوا العذاب بما كنتم تجحدون عذاب النار وتنكرونه في الدنيا، وأمر الله رسوله ﷺ بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه كما صبر أولو العزم من الرسل على تكذيب قومهم لهم، وأولو العزم عليهم السلام نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وخاتم الأنبياء كلهم محمد ﷺ، وأمره ألا يستعجل لقومه حلول العقوبة بهم، فهم حين يعاينوا يوم القيامة وشدائده وطوله يستقصروا مدة لبثهم في الدنيا وفي البرزخ لما يشاهدونه من الهول العظيم والبلاء المقيم، وهذا القرآن بلاغ، ففيه النجاة والمخرج من الفتن، وفيه التوحيد، والإخلاص ولا يهلك بعذاب الله إلاّ القوم الخارجون عن الطاعة، الواقعون في معاصي الله ولا يهلك على الله إلاّ هالك مشرك، وهذا من عدله تعالى أنه لا يعذب إلا من يستحق العذاب.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن
رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ
ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ
إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ
أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم
بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ
وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾

نصف الحزب ٥١



سورة محمد

وهي سورة مدنية سميت بذلك لذكر اسم النبي ﷺ وتسمى سورة القتال لذكر أحكام القتال

الكفار الذين كذبوا بآيات الله، وصدوا غيرهم عن الإسلام، أبطل الله أعمالهم وأذهبها، ولم يجعل لها جزاءً ولا ثوابًا، فهي هباءٌ منثورٌ، وما يعملون من خير في الدنيا يعجل لهم جزاؤه في الحياة الدنيا، وأما الذين آمنت قلوبهم وسرائرهم، وانقادت جوارحهم وبواطنهم وظواهرهم، وأمنوا ببعثة محمد صلوات الله وسلامه عليه الذي جاءهم بالحق والهدى من ربهم يكفر الله عنهم سيئاتهم ويصلح شأنهم وحالهم وأمرهم.

وإنما أبطل الله أعمال الكفار، وتجاوز عن سيئات الأبرار، وأصلح شأنهم؛ لأن الذين كفروا اختاروا الباطل على الحق، والذين آمنوا بسبب اتباعهم للحقّ الذي أمر الله باتباعه من التوحيد والإيمان، وعمل الطاعات، والله يبين للناس مآل أعمالهم، وما يصيرون إليه في معادهم، وأمر الله المؤمنين في حال حروبهم مع المشركين أنهم إذا واجهوهم فليحصدوهم حصدًا بالسيوف، حتى إذا أهلكوهم قتلًا، فليشدوا وثاق الأسارى الذين يأسرونهم، ثم بعد انقضاء الحرب وانفصال المعركة مخيرون في أمرهم، إن شاءوا أطلقوهم، بدون فداء، وإن شاءوا أخذوا منهم الفداء، وإن شاءوا قتلوهم، وذلك إلى غاية هي أن لا يكون حرب مع الكفار، ولا يكون دين غير دين الإسلام، ولو شاء الله لانتقم من الكافرين بعقوبة ونكال من عنده، ولكن شرع الجهاد وقتال الأعداء للأمة ليقع الابتلاء والاختبار، والشهداء في سبيل الله لن تذهب أعمالهم بل يكثرها الله لهم وينميها ويضاعفها، ومنهم من يجري عليه عمله في طول برزخه، فيعطى الشهيد ست خصال عند أول قطرة من دمه، يكفر عنه كل خطيئة، ويرى مقعده من الجنة، ويزوج من الحور العين، ويؤمن من الفزع الأكبر، ومن عذاب القبر، ويحلى حلة الإيمان، ويهديهم إلى الجنة، وأهل الجنة يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم، وحيث قسم الله لهم منها، لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا، لا يستدلون عليها أحدًا، وإن أحدهم بمنزله في الجنة أهدى منه بمنزله الذي كان في الدنيا.

ويصلح الله أمرهم وحالهم، ويدخلهم الجنة عرفهم بها، وهداهم إليها، وبين الله طريق النصر للمؤمنين بأن ينصروا الله في أنفسهم، وعلى أرضهم بالعمل بطاعة الله وتحقيق التوحيد، فحينئذ ينزل عليهم نصر الله وتأييده، فإن الجزاء من جنس العمل؛ فيثبت الله أقدامهم، حين ملاقاة الأعداء، ويثبت أقدامهم على الصراط، وأما الكفار المكذبين فهلاكًا لهم وشقاء، أحبط الله أعمالهم وأبطلها؛ والسبب كرههم ما أنزل الله على رسوله من القرآن، لاشتماله على التوحيد والبعث، فهم في ضلال فلم يعتبروا ويتعظوا بمصارع الظالمين قبلهم، وكيف كانت عاقبة تكذيبهم وكفرهم، وكيف نجى الله المؤمنين من بين أظهرهم؛ لأن الله مولى المؤمنين والكافرين لا مولى لهم.

إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن
تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ
وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ
ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ
مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ
ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ
يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ
وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ
وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴿١٥﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ
حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ
ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا
ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ
ذِكۡرَىٰهُمۡ ﴿١٨﴾ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ
وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾

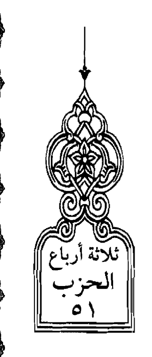
كتب الله للمؤمنين الجنة، يدخلهم في نعيمها وأنهارها، وقصورها، يتنعمون فيها كما حبسوا أنفسهم عن شهوات الدنيا، نسأل الله ألا يحرمنا ووالدينا وأهلينا وذرياتنا والمسلمين الجنة، وأما الكفار في دنياهم يتمتعون بها ويأكلون منها كأكل الأنعام، وليس لهم همة إلا في ذلك، يتمتعون بمتاع الدنيا وينتفعون به؛ كأنهم أنعام ليس لهم همّة إلاّ بطونهم وفروجهم، ساهون عن العاقبة لاهون بما هم فيه، والنار مقامهم يقيمون فيها، ومنزلهم الذي ينزلونه ويستقرّون فيه جزاء لهم، وقد أهلك الله الأمم الذين كذبوا الرسل بسبب كفرهم، وقد كانوا أشد قوة من هؤلاء، فماذا ظن هؤلاء أن يفعل الله بهم في الدنيا والآخرة، فإن الله رفع عن كثير منهم العقوبة في الدنيا لبركة وجود الرسول نبي الرحمة، فإن العذاب يضاعف على الكافرين به في معادهم، ولا يستوي عند الله من كان على بصيرة ويقين في أمر الله ودينه وبما أنزل الله في كتابه من الهدى والعلم وبما جبله الله عليه من الفطرة المستقيمة وبين من زين له سوء عمله، فكفر بالله وتعدى محارم على الله، واتبع هواه فكان من الغاوين، فأهل الإيمان مآلهم إلى الجنة التي وعدهم ربهم بها، فيها أنهار من ماء غير متغير، صافٍ لا كدر فيه، وأنهار من لبن في غاية البياض والحلاوة والدسومة، وأنهار من خمر ليست كريهة الطعم والرائحة كخمر الدنيا، بل هي حسنة المنظر والطعم والرائحة والفعل، لا تزيل العقل ولا تغطيه، وأنهار من عسل في غاية الصفاء، وحسن اللون والطعم والريح، ولهم في الجنة من كل الثمرات لهم من كل فاكهة زوجان، ولهم المغفرة والرضوان من الله، فلا يستوي هؤلاء الذين ذكرت منزلتهم من الجنة مع من هو خالد في النار، فهؤلاء، في الدرجات وهؤلاء في الدركات، وسقوا ماء النار ماء حارًّا شديد الحر، لا يستطاع، فقطع ما في بطونهم من الأمعاء والأحشاء، عياذًا بالله من ذلك، ولا يستوي المؤمنون الذين يفهمون كلام الله وكلام رسوله ﷺ ويعملون به والمنافقون في بلادتهم وقلة فهمهم حيث كانوا يجلسون إلى رسول الله ﷺ ويستمعون كلامه ولا يفهمون منه شيئًا، فإذا خرجوا من عنده قالوا للصحابة ماذا قال النبيّ الساعة على طريقة الاستهزاء، فإننا لم نلتفت إلى قوله، فقد طبع الله على قلوبهم فلا فهم صحيح، ولا قصد صحيح، وإنما يحكمون أهواءهم، والذين قصدوا الهداية وفقهم الله لها فهداهم إليها، وثبتهم عليها وزادهم منها، وألهمهم رشدهم، فهل ينتظر المكذبون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم غافلون عنها، فقد جاء أمارات اقترابها، فبعثة رسول الله ﷺ من أشراط الساعة؛ لأنه خاتم الرسل الذي أكمل الله به الدين، وأقام به الحجة على العالمين، وقد أخبر صلوات الله وسلامه عليه، بأمارات الساعة وأشراطها، وأبان عن ذلك وأوضحه بما لم يؤته نبي قبله،، فكيف للكافرين بالتذكر إذا جاءتهم القيامة، حيث لا ينفعهم ذلك، ولا ينفع إلا العلم بالتوحيد والعمل به وما تقتضيه كلمة الإخلاص لا إله إلا الله مع كثرة الاستغفار، والدعاء للمؤمنين والمؤمنات، والعلم يكون قبل القول والعمل، فلا ينفع العمل بلا علم، والله يعلم تصرف العباد في نهارهم ومستقرهم في ليلهم.

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ
مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ
﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ
لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ
فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ
أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم
مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ
لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ
ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ
﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ
وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ
ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾

المؤمنون الصادقون يتمنون نصرة الإسلام، وانتشاره في أرجاء المعمورة، ودخول الناس في دين الله، ومن طرق نشر الإسلام مجاهدة من يصد الناس عن الإسلام، فكانوا يتمنون شرعية الجهاد، فلما فرضه الله ﷻ، وأمر به ونزلت أحكام القتال؛ خاف المنافقون من الأعداء، ونظروا إلى رسول الله ﷺ نظر المغشي عليه من الموت، من فزعهم ورعبهم وجبنهم من لقاء الأعداء، ولو أنهم سمعوا وأطاعوا، حين سماعهم الآيات فإذا جد الحال، وحضر القتال، أخلصوا لله النية، لكان النصر حليفهم والأجر لهم، فهؤلاء إن تولوا عن الجهاد وتركوه انشغلوا بالإفساد في الأرض بإثارة الفتن، والخروج على ولاة أمرهم، وحاربوهم، وقطعوا أرحامهم بالبغي، والظلم، والقتل، فعادوا إلى الجاهلية الجهلاء، يسفكون الدماء ويقطعون الأرحام؛ وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عمومًا، وعن قطع الأرحام خصوصًا، بل قد أمر الله تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام، وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والأفعال وبذل الأموال، فما من ذنب أحرى أن يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم، فقد جاء في القرآن هدايتهم ونجاتهم، فلو تدبروا القرآن وفهموه، ولكن على قلوبهم أقفال، فهي مطبقة لا يخلص إليها شيء من معاني القرآن، فالذين فارقوا الإيمان ورجعوا إلى الكفر من بعدما تبين لهم الحق وعرفوا دين الله، فقد استحوذ عليهم الشيطان وزين لهم الكفر وحسنه، وغرهم وخدعهم، وسبب ذلك كرههم للإسلام والرسول والمسلمين، وأطاعوا الكفار ومالئوهم وناصحوهم في الباطن على الباطل، وهذه طريقة المنافقين يظهرون خلاف ما يبطنون؛ والله يعلم ما يسرون وما يخفون، وهو مطلع عليهم وعالم بهم، فكيف حالهم إذا جاءتهم الملائكة لقبض أرواحهم وتعصت الأرواح في أجسادهم، واستخرجتها الملائكة بالعنف والقهر والضرب، يقال لهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون، بسبب اتباعهم ما يسخط الله من الكفر والمعاصي، وكرهوا ما يرضاه الله من الإيمان والتوحيد والطاعة فأبطل أعمالهم التي صورتها صورة الطاعة، وإلاّ فلا عمل لكافر.

فهل يعتقد المنافقون أن الله لا يكشف أمرهم لعباده المؤمنين بل سيوضح أمرهم ويجليه حتى يفهمهم ذوو البصائر، وتلك حال أهل النفاق يظنون أن الله لا يعلم سرهم ونجواهم، ويظنون أنهم يخادعون الله وهو خادعهم، ويخادعون الرسول ﷺ والمؤمنين، ويراءون في أعمالهم، وإذا خلا بعضهم ببعض استهزؤوا بالمؤمنين، فهم قد خدعوا أنفسهم، بإبطان كفرهم وإظهار الإسلام ظنًّا منهم أن الله لا يعلم ما في ضمائرهم وما توسوس به صدروهم، وظنهم ذلك هو الذي أبقاهم على الكفر، وصدهم عن الحق.

وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾



المنافقون يتخفون بلباس الإسلام الظاهري ظنًّا منهم أنهم يخدعون المؤمنين، ولو شاء الله لأرى نبيه ﷺ أشخاصهم، فعرفهم عيانًا، ولكن لم يشأ ذلك في جميع المنافقين سترًا منه على خلقه، وحملًا للأمور على ظاهر السلامة، ورد السرائر إلى عالمها، ولكنهم يعرفون بعلامات منها ما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم، فما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه، وفلتات لسانه، والله شرع لعبادة الشرائع بالأوامر والنواهي ليختبرهم حتى يتبين المجاهد والصابر على دينه من غيره، ويظهر الله الأعمال ويكشفها بعصيان من يعصي الله، وبطاعة من يطيع الله، ومن كفر وصد عن سبيل الله، وخالف الرسول وشاقه، وارتد عن الإيمان من بعد ما تبين له الهدى، فإنه لن يضر الله شيئًا، وإنما يضر نفسه ويخسرها يوم معادها، وسيحبط الله عمله فلا يثيبه على سالف ما تقدم من عمله بل يحبطه ويمحقه بالكلية، كما أن الحسنات يذهبن السيئات، ويجب على عباد الله المؤمنين طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، التي هي سعادتهم في الدنيا والآخرة، وليحذروا من الردة عن دين الله بالقول أو الفعل، فهي مبطلة للأعمال؛ فمن مات على الشرك والكفر فلن يغفر له، وعلى المؤمنين ألا يضعفوا عن الأعداء، ويدعوا إلى المهادنة والمسالمة، ووضع القتال بينهم وبين الكفار في حال قوتهم وكثرة عددهم وعدتهم؛ وأما إذا كان الكفار فيهم قوة وكثرة بالنسبة إلى جميع المسلمين، ورأى الإمام في المعاهدة والمهادنة مصلحة، فله أن يفعل ذلك، كما فعل رسول الله ﷺ حين صده كفار قريش عن مكة ودعوه إلى الصلح ووضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين فأجابهم إلى ذلك، والله مع المؤمنين، وهذه بشارة عظيمة بالنصر والظفر على الأعداء، ولن يحبط الله أعمال المؤمنين ويبطلها ويسلبهم إياها، بل يوفيهم ثوابها ولا ينقصهم منها شيئًا، فهذه الحياة الدنيا لعب ولهو، وتفاخر في الأموال والأولاد، والسعيد من تزود فيها بالإيمان والتقوى، فسيجد ثوابها عند ربه، وأما ما وهبه الله لعباده من زينة الدنيا من الأموال، فإن الله لم يشرع الإنفاق لعباده إلا لما فيه خيرهم في الآخرة، والله غني عنهم لا يطلب منهم شيئًا، وإنما فرض عليهم الصدقات من الأموال مواساة لإخوانهم الفقراء ليعود نفع ذلك عليهم، ويرجع ثوابه إليهم، والله لم يأمر عباده بإخراج جميع أموالهم، فإن ذلك سبب لأن يبخلوا بها، ويمتنعوا من الامتثال، وقد علم الله أن في سؤال المال خروج الأضغان، فإن المال محبوب، ولا يصرف إلا فيما هو أحب إلى الشخص منه، والمؤمنون يدعون لينفقوا في الجهاد وفي طريق الخير، فمنهم من يبخل ويشح بما يطلب منه، ويدعى إليه من الإنفاق في سبيل الله، فإذا كان من الناس من يبخل باليسير من المال، فكيف لا يبخل بالكثير وهو جميع الأموال، ولذلك لم يكلف الله عباده بما لا يطيقون، وضرر البخل عائد على النفس يمنعها الأجر والثواب ببخله، والله الغني عن كل ما سواه، وكل شيء فقير إليه دائما؛ والعباد فقراء إليه، فوصفه بالغنى وصف لازم له، ووصف الخلق بالفقر وصف لازم لهم، لا ينفكون عنه، ومن أعرض عن الإيمان والتقوى، استبدل الله قوماً آخرين يكونون مكانهم، هم أطوع لله منهم ولا يكونوا أمثالهم في التولي عن الإيمان والتقوى، وفي البخل بالإنفاق في سبيل الله.

ترتيبها ٤٨ — سُورَةُ الفَتْح — آياتها ٢٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ
وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾
وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ
ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ
سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ
بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ
شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾



سورة الفتح

وهي سورة مدنية وسميت بذلك لذكر الفتح فيها

قضى الله وقدر الفتح لرسوله ﷺ والمؤمنين، وهو فتح الحديبية، فلم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الإسلام في قلوبهم، أسلم في ثلاث سنين خلق كثير، وكثر بهم سواد الإسلام، وفتح الحديبية توطئة لفتح مكة وكان الصلح من الفتح، فغفران الذنوب تشريف عظيم لرسول الله ﷺ، وهو في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه، لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو أكمل البشر على الإطلاق، وسيدهم في الدنيا والآخرة، فأتم الله عليه النعمة بالنبوة والحكمة، ودخول الناس دين الله أفواجًا، فاجتمع له مع الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية به إلى الصراط المستقيم وهو الإسلام، وبسبب خضوعه لأمر الله رفعه الله ونصره على أعدائه نصرًا غالبًا، وهو سبحانه الذي أنزل الطمأنينة والوقار في قلوب المؤمنين لئلا تنزعج نفوسهم لما يرد عليهم، فقد بعث الله رسوله بشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدقوه زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصيام ثم الحج ثم الجهاد، حتى أكمل لهم دينهم، فكلما أمروا بشيءٍ فصدقوه ازدادوا تصديقًا إلى تصديقهم، ويقينًا مع يقينهم، ولو شاء الله لانتصر من الكافرين، فلو أرسل عليهم ملكًا واحدًا لأباد خضراءهم، ولكنه تعالى شرع لعباده المؤمنين الجهاد والقتال، لما له في ذلك من الحكمة البالغة والحجة القاطعة، والبراهين الدامغة؛ والله العليم بعباده والحكيم في شرعه، ليدخل المؤمنين والمؤمنات المجاهدين والمجاهدات جنات تجري من تحتها الأنهار في النعيم المقيم، ويكفر عنهم ما سلف من سيئاتهم فلا يعاقبهم عليها، بل يعفو ويصفح ويغفر، ويستر ويرحم ويشكر، وهذا هو الفوز العظيم، وأما المنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات الذين يتهمون الله في حكمه، ويظنون بالرسول وأصحابه أن يقتلوا ويذهبوا بالكلية فإن العذاب والهلاك الذي يتوقعونه للمؤمنين واقعان عليهم نازلان بهم ويبعدهم الله من رحمته، وعليهم غضب الله وهو العذاب الأليم في جهنم، وفيها من جند الله الذين أعدهم لعذاب المكذبين الظالمين، فقد أرسل الله تعالى نبيه محمدًا صلوات الله وسلامه عليه شاهدًا على الخلق، ومبشرًا للمؤمنين، ونذيرًا للكافرين، ليحصل الإيمان بالله وبرسالة الله التي بعث بها رسوله ﷺ وتقوم الأمة بحقوق هذا النبي من الإعزاز والتعظيم والتوقير والاحترام والإجلال والإكرام، ويعظم الله بالتوحيد وتنزيه الله عن النقائص في جميع الأحوال أول النهار وآخره.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ
فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ
ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ
مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَاۚ يَقُولُونَ
بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ
شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢاۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ
أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ
وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ
أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ
يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ
مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟
كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُۖ
فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَاۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

لما خرج النبي ﷺ وأصحابه للعمرة وصدته قريش عن البيت الحرام، وبعث عثمان إلى مكة ليخبرهم أنه لم يرد إلا العمرة، وأشيع أن عثمان قد قتل، بايع الصحابة رسول الله ﷺ على الموت أن لا يفروا، فهم بايعوا رسول الله، وهم في الأصل يبايعون الله، لأنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة.

وكانوا أربع عشرة مائة، ويد الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق أيديهم، ويد الله فوق أيديهم على حقيقتها وظاهرها، وذلك لأن يد الله تعالى صفة من صفاته وهو سبحانه فوقهم على العرش استوى، فكانت يده فوق أيديهم، وهو سبحانه معهم يسمع أقوالهم ويرى مكانهم، ويعلم ضمائرهم وظواهرهم، فهو تعالى هو المبايع بواسطة رسوله ﷺ، فمن نقض البيعة، فإنما يعود وبال ذلك على الناكث، والله غني عنه، ومن أوفى بالعهد فله الثواب الجزيل وهو الجنة، وقد كان رسول الله ﷺ حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمرًا استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه حذرًا من قريش أن يعرضوا له بحرب، أو يصدوه عن البيت، فأحرم بالعمرة وساق معه الهدي ليعلم الناس أنه لا يريد حربًا، فتثاقل عنه كثير من الأعراب وتخلفوا واعتلّوا بالشغل بالنساء والذراري، وطلبوا من الرسول ﷺ أن يستغفر لهم عن تخلفهم عنه، فكذبهم الله ﷻ في اعتذارهم، فهم يقولون بألسنتهم من أمر الاستغفار، والحقيقة أنهم لا يبالون أستغفر لهم النبي ﷺ أو لا، وظنوا أن تخلفهم عن النبي ﷺ يدفع عنهم الضر، ويعجل لهم النفع بالسلامة في أنفسهم وأموالهم، وما علموا أنه لا يقدر أحد أن يرد ما أراده الله فيهم تعالى وتقدس، وهو العليم بسرائرهم وضمائرهم، وإن صانعوا المسلمين وتابعوهم، ولم يكن تخلفهم تخلف معذور ولا عاص، بل تخلف نفاق، لأنهم اعتقدوا أنهم يقتلون وتستأصل شأفتهم، وتستباد خضراؤهم، ولا يرجع منهم مخبر، فهم قوم هلكى لا يصلحون لخير، زين لهم الشيطان ذلك الظن في قلوبهم، ومن لم يخلص العمل في الظاهر والباطن لله، فإن الله تعالى سيعذبه في السعير، وإن أظهر للناس ما يعتقدون خلاف ما هو عليه في نفس الأمر، والله سبحانه هو الحاكم المالك المتصرف في أهل السموات والأرض، يغفر لمن تاب إليه وأناب، وخضع له، وسيقول الذين تخلفوا عن الحديبية إذا سرتم وذهبتم إلى غنائم خيبر نريد أن نخرج إلى المغنم، وقد تخلفوا عن وقت محاربة الأعداء ومجالدتهم ومصابرتهم، فأمر الله رسوله ﷺ ألا يأذن لهم في ذلك، معاقبة لهم من جنس ذنبهم، فإن الله تعالى قد وعد أهل الحديبية بمغانم خيبر وحدهم لا يشركهم فيها غيرهم من الأعراب المتخلفين، فلا يقع غير ذلك شرعًا وقدرًا، يريدون أن يغيروا وعد الله تعالى لأهل الحديبية بغنيمة خيبر خاصة، فغنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب، فسيقولون يمنعكم الحسد من أن نصيب معكم الغنائم، لأنهم لا يعلمون عن الله ما لهم وعليهم من الدين.

قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾



المتخلفون عن الحديبية، والراغبون في غنيمة خيبر، جاء القرآن ببيان أمرهم أنهم سيدعون لقتال قوم أقوياء أشداء يشرع لهم جهادهم وقتالهم، ولهم النصرة عليهم، أو يسلمون فيدخلون في الدين بلا قتال، وباختيار، فإن استجابوا ونفروا إلى الجهاد وأدوا الذي عليهم فيه، فلهم عند الله الأجر العظيم، والجنة، وإن تولوا كما تولوا زمن الحديبية، حيث دعوا فتخلفوا، فلهم العذاب الأليم في جهنم، وقد عذر الله في ترك الجهاد الأعمى والأعرج والمريض، ولم يعذر غيرهم من أهل القوة والجلد، فمن يطع الله ورسوله فيما أمراه به ونهياه عنه، يدخله الجنة، ومن يعرض عن الطاعة يعذبه الله عذابًا شديد الألم في الدنيا بالمذلة وفي الآخرة بالنار، فقد كتب الله الرضا للمبايعين تحت الشجرة بالحديبية على أن يناجزوا قريشًا ولا يفروا، وسميت تلك البيعة بيعة الرضوان، ولن يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة، فقد علم الله ما في قلوبهم من الصدق والوفاء، فأنزل الطمأنينة والرضا، عليهم وأثابهم فتح خيبر، ومغانم كثيرةً يأخذونها من أموال يهود خيبر، وكانت خيبر ذات عقار وأموال، فاقتسمها رسول الله ﷺ بينهم، والرضا من صفات الله الثابتة له بالكتاب، والسنة، وأجمع السلف على إثبات الرضا لله تعالى فيجب إثباته له من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهو رضًا حقيقي يليق بالله تعالى، وقد وعد الله المؤمنين المغانم الكثيرة من الفتوحات التي تفتح لهم إلى يوم القيامة، فعجل لهم خيبر، وكف أيدي الناس عنهم، وذلك أن النبي ﷺ لما قصد خيبر وحاصر أهلها همت قبائل من بني أسد وغطفان أن يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة، فكف الله أيديهم بإلقاء الرعب في قلوبهم، وقد كف أيدي الناس عنهم بالصلح مع قريش وهذا الكف آيةٌ وعبرةٌ للمؤمنين على صدق النبي ﷺ وليعلموا أن الله هو المتولي حياطتهم وحراستهم في مشهدهم ومغيبهم، ويثبتهم على الإسلام ويزيدهم بصيرة ويقينًا بصلح الحديبية، وفتح خيبر، وذلك أن رسول الله ﷺ لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج في بقية المحرم سنة سبع إلى خيبر، وعدهم الله فتح بلدان أخرى لم يقدروا عليها، من بلاد فارس والروم، وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم، بل كانوا خدمًا لهم حتى قدروا عليها بالإسلام، وهذه البلاد حفظها الله لهم ومنعها من غيرهم حتى يأخذوها، فيفتحها لهم، والله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء، ولو قاتل الكفار من أسد، وغطفان، وأهل خيبر، لانهزموا أمام المسلمين، ولا يجدون من ينصرهم ويؤيدهم، وهذه سنة الله في نصر أوليائه وقهر أعدائه، ولن تجد لسنة الله تبديلًا، وسنة الله وعادته في خلقه، ما تقابل الكفر والإيمان في موطن إلا نصر الله الإيمان على الكفر، فرفع الحق ووضع الباطل، كما فعل تعالى يوم بدر بأوليائه المؤمنين نصرهم على أعدائه من المشركين، مع قلة عدد المسلمين وعددهم، وكثرة المشركين وعددهم.

وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡهَدۡىَ مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ وَلَوۡلَا رِجَالٌ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤۡمِنَٰتٌ لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۖ لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

يمتن الله على عباده المؤمنين حين كف أيدي المشركين عنهم، فلم يصل إليهم منهم سوء، وكف أيدي المؤمنين من المشركين فلم يقاتلوهم عند المسجد الحرام، بل صان كلًا من الفريقين، وأوجد بينهم صلحًا فيه خيرٌ للمؤمنين، وعاقبة لهم في الدنيا والآخرة، والكفار الذين صدوا المؤمنين عن المسجد الحرام، والمؤمنون أحق به، وهم أهله في نفس الأمر، وصدوا الهدي أن يصل إلى محله، وهذا من بغيهم وعنادهم، وكان الهدي سبعين بدنة، ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات بين أظهرهم ممن يكتم إيمانه ويخفيه منهم خيفةً على أنفسهم من قومهم، لسلط الله المؤمنين عليهم فقتلوهم وأبادوا خضراءهم، ولكن بينهم من المؤمنين والمؤمنات أقوام لا يعرفهم المؤمنون فقد يصيبهم القتل؛ فيقع المسلمون في الإثم والغرامة، ومن ذلك نعلم أنه لا يجوز قتل الكفار إذا كان بينهم مسلمون، فكيف إذا كان الكفار مستأمنين ومعاهدين، فلا يجوز قتالهم ولو لم يكن بينهم مسلمون، فإن قتل المستأمن والمعاهد والذمي محرمٌ في شريعة رب العالمين، وعلى من قتله الإثم والكفارة والدية.

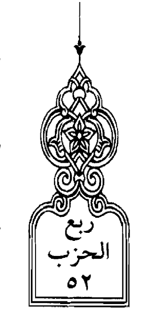
ولكن الله يؤخر عقوبة الكفار ليخلص من بين أظهرهم المؤمنين، وليرجع كثير منهم إلى الإسلام، ولو تميز الكفار من المؤمنين الذين بين أظهرهم لسلط الله عليهم أهل الإيمان فقتلوهم قتلًا ذريعًا، ومن حمية الكفار صدهم رسول الله ﷺ وأصحابه عن البيت، ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم، وأنكروا محمدًا رسول الله ﷺ، فأنزل الله الطمأنينة على رسوله وعلى المؤمنين حتى لا تدخل قلوبهم الحمية فيعصوا الله في قتالهم، وخصهم الله بكلمة التوحيد التي يتقى بها الشرك بالله، لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله، وهم أحق بها من كفار مكة، وهم أهلها في علم الله، لأن الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه أهل الخير، ولقد صدق الله رسوله الرؤيا، وذلك أن النبي ﷺ أُري في المنام بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام آمنين، ويحلقون رؤوسهم ويقصرون، فأخبر بذلك أصحابه، ففرحوا وحسبوا أنهم داخلو مكة عامهم ذلك، فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم، وكان تحقق الرؤيا في العام المقبل، فرؤيا الأنبياء صدقٌ وحقٌ، فكان الخير للأمة في الصلح وتأخير الدخول، فكان قبل تحقق الرؤيا فتح الحديبية، وقد أرسل الله رسوله بالعلم النافع والعمل الصالح؛ فإن الشريعة تشتمل على شيئين علم وعمل، فالعلم الشرعي صحيح، والعمل الشرعي مقبول، فإخباراتها حق وإنشاءاتها عدل، ليظهره على أهل جميع الأديان من سائر أهل الأرض، من عرب وعجم، وكفى بالله شهيدًا أنه رسوله، وهو ناصره.

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

ترتيبها ٤٩ — آياتها ١٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾

محمدٌ رسول الله، بعثه الله بالرحمة لجميع الخلق، واختار خير الخلق لصحبته، غلاظٌ على الكفار لا تأخذهم فيهم رأفة، يتعاطفون، ويتوادون فيما بينهم، تعلوا على وجوههم الابتسامة والبشاشة ولين الجانب للمؤمن،

يحافظون على صلاتهم ويداومون عليها، يبتغون الأجر من الله، ويطمعون أن يدخلهم الجنة، ويرغبون أن يرضى الله عنهم، علامتهم، في وجوههم من أثر السجود، وهو النور والبياض والبهاء في وجوههم يوم القيامة يعرفون به فتكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر، فالسجود أورثهم الخشوع والسمت الحسن والتواضع الذي يعرفون به، تلك صفتهم في التوراة، وأما صفتهم في الإنجيل، يكونون في الابتداء قليلاً، ثم يزدادون ويكثرون ويقوون كالزرع، فإنه يكون في الابتداء ضعيفًا، ثم يقوى حالاً بعد حال حتى يغلظ ساقه، فإنهم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ليكونوا غيظاً للكافرين، ووعدهم الله سبحانه مغفرة ذنوبهم، وأن يجزل أجرهم بإدخالهم الجنة التي هي أكبر نعمة وأعظم منّة.

سورة الحجرات

وهي سورة مدنية وسميت بذلك لذكر حجرات النبي ﷺ

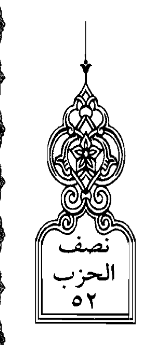
أدب الله عباده المؤمنين بآداب فيما يعاملون به الرسول ﷺ من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام، فلا يسرعوا في الأشياء قبله، بل يكونوا تبعًا له في جميع الأمور، ولا يقولوا خلاف الكتاب والسنة.

ولا يفتاتوا على رسول الله ﷺ بشيء، حتى يقضي الله على لسان نبيه ما يشاء، وأن يتقوا الله فيما يأمرهم به، وهو السميع لأقوالهم، والعليم بنياتهم، ومما أدب الله به المؤمنين ألا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي ﷺ فوق صوته، ونهى الله عن الجهر له بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبة غيره، بل يخاطب النبي ﷺ بسكينة ووقار وتعظيم؛ وسبب النهي عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك، فيغضب الله لغضبه، فيحبط الله عمل من أغضبه وهو لا يدري، ثم حث الله ﷻ المؤمنين، إلى خفض الصوت عنده، وأرشد إليه، ورغب فيه، فالذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين أخلص الله قلوبهم للتقوى، وجعلها أهلًا ومحلًا لها، ولهم المغفرة والأجر العظيم في الآخرة، وذم الله الذين ينادونه من وراء الحجرات، وهي بيوت نسائه، كما يصنع بعض الأعراب لغلبة الجهل عليهم، وكثرة الجفاء في طباعهم، فقد نادى الأقرع بن حابس رسول الله ﷺ من وراء الحجرات، فقال يا محمد، فلم يجبه، فقال يا رسول الله، إن مدحي لزين، وإن ذمي لشين، فقال الرسول ﷺ ذاك الله ﷻ.

وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾

من الآدب التي أمر الله تعالى المؤمنين بها في التأدب مع سيد البشر أن ينتظروا خروجه إليهم، ولا يعجلوا بالمناداة له، ففي ذلك صلاحٌ لهم في دينهم ودنياهم، لما في ذلك من رعاية حسن الأدب مع رسول الله ﷺ، ورعاية جانبه الشريف والعمل بما يستحقه من التعظيم والإجلال، والله كثير المغفرة والرحمة، لا يؤاخذ مثل هؤلاء فيما فرط منهم من إساءة الأدب مع رسول الله ﷺ، وأمر الله تعالى المؤمنين بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له لئلا يحكم بقوله فيكون كاذبًا أو مخطئًا، فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه، وقد نهى الله عن اتباع سبيل المفسدين، فيجب على المؤمن التعرّف والتفحص، والأناة وعدم العجلة والتبصر في الأمر الواقع والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر، لئلا يتهموا أحدًا بخبر غير صحيح، فيندموا على ما فعلوا، وأمر الله المؤمنين بتعظيم رسول الله ﷺ وتوقيره، والتأدب معه، والانقياد لأمره، فإنه الأعلم بمصالح المؤمنين، وأشفق عليهم من أنفسهم، ورأيه فيهم أتم من رأيهم لأنفسهم، فهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإن رأي الإنسان ضعيف بالنسبة إلى مراعاة مصالحه، ولو أن النبي أطاعهم في جميع ما يختارونه لأدى ذلك إلى عنتهم وحرجهم، ولكن الله حبب الإيمان إلى نفوسهم وحسنه في قلوبهم، وبغض إليهم الكفر والفسوق، من الكبائر، وجميع المعاصي وهذا تدرج لكمال النعمة، والمتصفون بهذه الصفة هم الراشدون، الذين قد آتاهم الله رشدهم، وهذا العطاء الذي أعطاه الله عباده هو فضل منه عليهم ونعمة من لدنه، والله عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية، وحكيم في أقواله وأفعاله، وشرعه وقدره، وأمر الله عباده بالإصلاح بين المسلمين الباغين بعضهم على بعض، فهم مؤمنون مع الاقتتال، وهذا يدل أن المؤمن لا يخرج من الإيمان بالمعصية وإن عظمت، فإن اعتدت إحدى الفئتين على الأخرى بعد الصلح، فليقاتلوا التي تعتدي حتى ترجع إلى أمر الله وتسمع للحق وتطيعه، فإن رجعت إلى الحق فيعدل بينهم فيما كان أصاب بعضهم لبعض بالعدل، والله يحب العادلين، ومحبته لهم تستلزم مجازاتهم بأحسن الجزاء، وجميع المؤمنين إخوة في الدين، فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، والمؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضًا، فإن حصل بين المؤمنين خلاف فليسعى بالصلح بينهم بعض المؤمنين ليحصل له الأجر والرحمة من الله، وليتقوا الله في الصلح وفي جميع أمورهم فإن ذلك سبب لرحمة الله، ونهى الله عباده المؤمنين عن السخرية بالناس، وهو احتقارهم والاستهزاء بهم، واستصغارهم، فإنه قد يكون المحتقَر أعظم قدرًا عند الله وأحب إليه من الساخر منه المحتقر له؛ وذلك في الرجال والنساء، ولا يطعن بعضهم ببعض، ولا يلعن بعضهم بعضًا ولا يلقب بعضهم بعضًا بلقب سيء، يسوء الشخص سماعه، فبئس الصفة والاسم الفسوق، والتنابز بالألقاب، كما كان أهل الجاهلية يفعلونه، ومن لم يتب عما نهى الله عنه فهم الظالمون، لارتكابهم ما نهى الله عنه، وامتناعهم من التوبة، فظلموا من لقبوه، وظلموا أنفسهم بما لزمها من الإثم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾



نهى الله عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله؛ لأن بعض ذلك يكون إثمًا محضًا، فليجتنب كثير منه احتياطًا، فالظن أكذب الحديث، ونهى الله عن التجسس، وهو غالبًا يطلق في الشر، ومنه الجاسوس، وهو البحث عما يخفى من عيوب المسلمين وعوراتهم، نهاهم الله سبحانه عن البحث عن معايب الناس ومثالبهم، وأما التحسس فيكون غالبًا في الخير، فإن في التجسس إظهار عورات المسلمين، واطلاع عليها، ونهى الله عباده عن الغيبة، وهي ذكر الإنسان أخاه بما يكره، والغيبة محرمة بالإجماع، وهي من كبائر الذنوب ولا يستثنى من ذلك إلا ما رجحت مصلحته، كما في الجرح والتعديل والنصيحة، ومثل الله سبحانه الغيبة بأكل الميتة؛ لأن الميت لا يعلم بأكل لحمه، كما أن الحيّ لا يعلم بغيبة من اغتابه، وعرض الإنسان كلحمه، فإنه كما يحرم أكل لحمه يحرم الاستطالة في عرضه، وفي هذا من التنفير عن الغيبة، والتوبيخ لفاعلها، والتشنيع عليه ما لا يخفى، فإن لحم الإنسان مما تنفر عن أكله الطباع الإنسانية، وتستكرهه الجبلة البشرية، فضلاً عن كونه محرّمًا، والتقوى اجتناب الغيبة، ومراقبة الله فيما يأمر به وينهى عنه، والله تواب على من تاب إليه، رحيم بمن رجع إليه، واعتمد عليه، وطريق المغتاب للناس في توبته أن يقلع عن ذلك، ويعزم على ألا يعود، وأن يتحلل من الذي اغتابه، إن قدر على ذلك وإلا فيثني عليه بما فيه في المجالس التي كان يذمه فيها، وأن يرد عنه الغيبة بحسب جهده وطاقته، فتكون تلك بتلك، والله خلق الناس من نفس واحدة، وجعل منها زوجها، وهما آدم وحواء، وجعلهم شعوبًا، فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء سواء، وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية، وهي طاعة الله ومتابعة رسوله ﷺ؛ وإنما جعلوا قبائل، ليحصل التعارف بينهم، كل يرجع إلى قبيلته، والتفاضل عند الله بالتقوى لا بالأحساب، وقد جاء الذم للأعراب الذين أول ما دخلوا في الإسلام ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان، ولم يتمكن الإيمان في قلوبهم بعد، وقد استفيد من هذه الآية الكريمة، أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، فهم قوم ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان، ولم يحصل لهم بعد، فأدبوا وأعلموا أنهم لم يصلوا إلى حقيقة الإيمان بعد، ومن يطع الله ورسوله، لا ينقص الله من أجره شيئًا، والله غفور رحيم لمن تاب إليه وأناب، وكاملو الإيمان الذين آمنوا بالله ورسوله ولم يشكوا بل ثبتوا على حال واحدة وهي التصديق المحض وبذلوا مهجهم ونفائس أموالهم في طاعة الله ورضوانه، فهم الصادقون في الاتصاف بصفة الإيمان، والدخول في عداد أهله، لا من عداهم ممن أظهر الإسلام بلسانه، وادّعى أنه مؤمن، ولم يطمئن بالإيمان قلبه، ولا وصل إليه معناه، ولا عمل بأعمال أهله، وهم الأعراب، وسائر أهل النفاق، فهل هم يخبرون الله بدينهم، والله يعلم ما في ضمائرهم، ويعلم ما في السموات وما في الأرض، ولا يخفى عليه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، وفي ذلك دليل على عدم مشروعية التلفظ بالنية لأن التلفظ بالنية بدعة، وهؤلاء الأعراب يمنون بإسلامهم ومتابعتهم ونصرتهم للرسول، فجاء الرد عليهم، لا تمنوا بإسلامكم، فإن نفع ذلك إنما يعود عليكم، ولله المنة عليكم فيه إن كنتم صادقين في دعواكم ذلك، والله عليم بجميع الكائنات، وبأعمال المخلوقات فهو يعلم غيب السموات والأرض.

سورة ق

ترتيبها ٥٠ — آياتها ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾

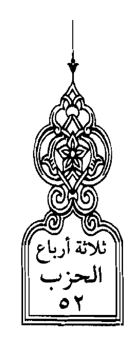


سورة ق

وهي سورة مكية، وسميت بذلك لافتتاحها بالحرف ق

ابتدأت السورة بالحروف المقطعة الدالة على إعجاز القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وقد تعجب الكفار من إرسال رسول إليهم من البشر، وليس هذا بعجيب؛ فإن الله يصطفي من الملائكة رسلًا ومن الناس، ومن عجبهم ما جاء به الرسول من إثبات المعاد، وقالوا: أإذا متنا وبلينا، وتقطعت الأوصال منا، وصرنا ترابًا، كيف يمكن الرجوع بعد ذلك إلى هذه البنية والتركيب، ذلك رجع بعيد الوقوع، ويستحيل إمكانه، والله تعالى يعلم ما تأكل الأرض من أجسادهم في البلى، ولا يخفى عليه أين تفرقت الأبدان، وأين ذهبت، وإلى أين صارت، وعنده كتاب حافظ لذلك، فالعلم شامل، والكتاب فيه كل الأشياء مضبوطة، وسبب كفرهم وعنادهم واستبعادهم ما ليس ببعيد أنهم كذبوا بالحق لما جاءهم، فهم في أمر مختلف مضطرب، والله قادر على كل شيء، ومن قدرته العظيمة التي أظهر بها ما هو أعظم مما تعجبوا مستبعدين لوقوعه، خلق السموات فوقهم كيف بنيت وزينت بالمصابيح وما لها من شقوق، وخلق الأرض ووسعها وفرشها، وجعل الجبال؛تثبتها لئلا تميد بأهلها وتضطرب؛ فإنها مقرة على تيار الماء المحيط بها من جميع جوانبها، وما أنبت فيها من جميع الزروع والثمار والنبات والأنواع حسن نضر، تلك الآيات العظيمة تبصرةٌ ودلالةٌ وذكرى لكل عبد خاضع خائف وجل رجاع إلى الله ﷻ، وأنزل الله من السماء من الماء النافع، فأنبت به حدائق من بساتين ونحوها، والزرع الذي يراد لحبه وادخاره، والنخل الطوال الشاهقات، لها طلع متراكب نضد بعضه على بعض، رزقًا للخلق، وأحيا الله بالماء الأرض الهامدة، فبعد الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج من أزاهير وغير ذلك مما يحار الطرف في حسنها، وذلك بعدما كانت لا نبات بها، فأصبحت تهتز خضراء، فهذا مثال للبعث بعد الموت والهلاك، كذلك يحيي الله الموتى، وهذا المشاهد من عظيم قدرته بالحس أعظم مما أنكره الجاحدون للبعث، وحال المكذبين، كقوم نوح، وأصحاب الرس، وثمود، وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة، وهم قوم شعيب ﷺ، وقوم تبع اليماني، كل هذه الأمم وهؤلاء القرون كذبت رسولها، ومن كذب رسولًا فكأنما كذب جميع الرسل، فحق عليهم ما أوعدهم الله، على التكذيب من العذاب والنكال فليحذر المخاطبون أن يصيبهم ما أصابهم فإنهم قد كذبوا رسولهم كما كذب أولئك، فلم يعجز الله ابتداء الخلق حتى يكونوا في شك من الإعادة، والإعادة أسهل منه.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾



خلق الله الخلق، وهم تحت قدرته ومشيئته، وقد أحاط بأعمالهم علمًا، يعلم ما توسوس به نفوس بني آدم من الخير والشر، وهو أقرب إليهم من حبل الوريد بعلمه وإحاطته، ومعيته، وملائكته الذين يقبضون الأرواح إذا حضروا لقبض الروح أقرب إلى الإنسان من حبل وريده، والملكان اللذان يكتبان عمل الإنسان، عن اليمين وعن الشمال يترصدان كل ما يصدر منه، فما يتكلم بكلمة، إلا ولها من يراقبها معتد لذلك يكتبها، لا يترك كلمة ولا حركة، ويكتب كل ما تكلم به من خير أو شر، حتى إنه ليكتب قوله، أكلت، شربت، ذهبت، جئت، رأيت، حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله، فأقر منه ما كان فيه من خير أو شر، وألقى سائره، وفي الساعة الحاسمة للإنسان ينزل الموت به، وتصيبه سكرات الموت وهي آلام النزع، وهو الوقت الذي يكشف فيه للإنسان أجله، فيكون على يقين بالموت، ويرى ملائكة الرحمن تلك الساعة التي كان الإنسان منها يفر قد جاءته، فلا محيد ولا مناص، ولا فكاك ولا خلاص، أسأل الله أن يهون علينا تلك الساعة وأن يكتب لنا حسن الختام، والنفخ في الصور ثلاث نفخات: الفزع والصعق والبعث وذلك يوم القيامة، تأتي كل نفس معها ملك يسوقها إلى المحشر وملك يشهد عليها بأعمالها، فالإنسان في غفلة عن هذا اليوم، وفي هذا اليوم ينكشف غطاء الغفلة ويحصل اليقين، فبصره نافذٌ يبصر به ما كان يخفى عليه في الدنيا، ويقول الملك الموكل بعمل ابن آدم، يا رب هذا ابن آدم الذي وكلتني به، قد أحضرته، وأحضرت ديوان عمله، فيحكم الله سبحانه تعالى في الخليقة بالعدل فيقول ألقيا في جهنم كل كثير الكفر والتكذيب بالحق، معاند للحق، معارض له بالباطل مع علمه بذلك، فهو لم يؤد ما عليه من الحقوق، ولا بر فيه ولا صلة ولا صدقة، وتجاوز الحد فيما ينفقه ويصرفه، ومعتد في منطقه وسيرته وأمره، وشاك في أمره، مريب لمن نظر في أمره، قد أشرك بالله فعبد معه غيره، فيلقى في العذاب الأليم، ويقول الشيطان الذي وكل به: ربنا ما أضللته، بل كان هو في نفسه ضالًا قابلًا للباطل معاندًا للحق، فيختصمان بين يدي الحق فيقول الإنسي يا رب هذا أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني، فيقول الرب ﷻ للإنسي وقرينه من الجن لا تختصموا عندي، قد أعذرت إليكم على ألسنة الرسل، وأنزلت الكتب، وقامت عليكم الحجج والبينات والبراهين، قد قضيت ما أنا قاض، لست أعذب أحدًا بذنب أحد، ولكن لا أعذب أحدًا إلا بذنبه، بعد قيام الحجة عليه، ويقال لجهنم يوم القيامة هل امتلأت، وذلك أنه وعدها أن سيملؤها من الجنة والناس أجمعين، فهو سبحانه يأمر بمن يأمر به إليها، ويلقى وهي تقول، هل بقي شيء تزيدوني، ولا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط، وعزتك وكرمك، وأدنيت وقربت الجنة من المتقين، في زمن غير بعيد، وذلك يوم القيامة، فهو واقع لا محالة، وكل ما هو آتٍ آتٍ، وهذا وعد الله لكل رجاع تائب مقلع، يحفظ العهد فلا ينقضه ولا ينكثه، الذي خاف الله في سره حيث لا يراه أحدٌ إلا الله، ولقي الله يوم القيامة بقلب سليم منيب إليه خاضع لديه، يقال لهم ادخلوا الجنة بسلام، سلموا من عذاب الله، وسلم عليهم ملائكة الله، يخلدون في الجنة فلا يموتون أبدًا، ولا يظعنون أبدًا، ولا يبغون عنها حولًا، مهما اختاروا وجدوا ومن أي أصناف الملاذ طلبوا أحضر لهم، وفيها المزيد وهي رؤية وجه الله الكريم، نسأل الله أن لا يحرمنا ووالدينا وأهلينا وذرياتنا والمسلمين رؤية الرب تبارك وتعالى، فالله ﷻ يرى بالعين رؤية حقيقية، ولكنه لا يدرك بهذه الرؤية، لأنه ﷻ أعظم من أن يحاط به، وهذا هو الذي ذهب إليه السلف، ويرون أن أكمل نعيم ينعم به الإنسان أن ينظر إلى وجه الله ﷻ.

وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ﴿٣٨﴾ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٤١﴾ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ﴿٤٤﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

ترتيبها ٥١ — آياتها ٦٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ﴿١﴾ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ﴿٢﴾ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ﴿٣﴾ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ﴿٦﴾

أهلك الله الأمم المكذبة، وقد كانوا أكثر من مشركي العرب وأشد قوة منهم، وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها؛ وضربوا في الأرض، وساروا في البلاد يبتغون الأرزاق والمتاجر والمكاسب أكثر مما طاف العرب، فلم يجدوا من قضاء الله وقدره مفرًا، ولم ينفعهم ما جمعوه، ولا رد عنهم عذاب الله إذ جاءهم لما كذبوا الرسل، وكذلك من كذب النبي الخاتم ﷺ لا مفر له من العقوبة ولا محيد ولا مناص، وفي ذلك عبرةٌ وعظةٌ، لمن كان له عقلٌ يعي به، واستمع الكلام فوعاه، وتعقله بقلبه وتفهمه بلبه، والله قادر على البعث والنشور فهو الذي خلق السموات والأرض من غير إعياء ولا نصب ولا تعب، وهو قادر على أن يحيي الموتى بطريق الأولى والأحرى، وأمر الله نبيه ﷺ بالصبر على أذى المكذبين، والاستعانة بالذكر وبالصلاة، قبل طلوع الشمس وقبل الغروب، والتزود من قيام الليل، وبكثرة التسبيح بعد الصلاة، والمؤمن الموقن بالبعث والنشور، يؤمن بالنفخ في الصور حين ينادي بها إسرافيل تلك النفخة التي تأتي بالحق الذي كان أكثرهم فيه يكذبون، وهو يوم الخروج من الأجداث، والله سبحانه هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، وهو أهون عليه، وإليه مصير الخلائق كلهم، فيجازي كلًّا بعمله، إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًّا فشرًّا، فينزل الله مطرًا من السماء تنبت به أجساد الخلائق في قبورها، كما ينبت الحب في الثرى بالماء، فإذا تكاملت الأجساد أمر الله إسرافيل فينفخ في الصور، فترجع كل روح إلى الجسد الذي كانت تعمره، فتدب فيه كما يدب السم في اللديغ وتنشق الأرض عنهم، فيقومون إلى موقف الحساب سراعًا، مبادرين إلى أمر الله ﷻ، تلك إعادة سهلة ويسيرة على الله، وعلم الله محيطٌ بما يقول المشركون من التكذيب والنبي ﷺ لا يجبر أحدًا على الهدى، وليس ذلك ما كلف به، وإنما هو مبلغ رسالة ربه، ويذكر بها من يخاف الله ووعيده ويرجو وعده، اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو موعودك يا رحيم.

سورة الذاريات

وهي سورة مكية، وسميت بذلك لذكر الذاريات فيها

أقسم الله بالذاريات وهي الريح، وبالحاملات وهي السحاب لأنها تحمل الماء، وبالجاريات يسرًا، وهي السفن تجري ميسرة في الماء جريًا سهلًا، وبالمقسمات أمرًا، وهي الملائكة تنزل بأوامر الله الشرعية والكونية، وهذا قسم من الله عز جل على وقوع المعاد؛ فما يوعد به الخلق، وهو خبر صدق، ويوم الحساب كائنٌ لا محالة.

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ﴿٨﴾ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ
أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ ﴿١١﴾
يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُواْ
فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ
وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ
﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ
﴿١٨﴾ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ
لِّلۡمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ
وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ
تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾
إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ
أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ
﴿٢٧﴾ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ
﴿٢٨﴾ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ
﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

أقسم الله بالسماء ذات البهاء والجمال والحسن والاستواء، شديدة البناء، متسعة الأرجاء، مكللة بالنجوم الثوابت والسيارات، موشحة بالشمس والقمر والكواكب الزاهرات، وجواب القسم أن المشركين المكذبين للرسل في قول مختلف مضطرب، لا يلتئم ولا يجتمع، فهم ما بين مصدق بالقرآن ومكذب به، وإنما يروج على من هو ضال في نفسه؛ لأنه قول باطل، وينقاد له ويضل بسببه ويؤفك عنه من هو مأفوك ضال، لا فهم له، لعن الكذابون المكذبون للبعث، وهم في الكفر والشك غافلون لاهون، يقولون متى يوم القيامة، تكذيبًا وعنادًا وشكًّا واستبعادًا، فجاء الرد عليهم يوم هم على النار يعذبون، ذوقوا عذابكم، هذا العذاب الذي استعجلتم عليه، يقال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخًا وتحقيرًا وتصغيرًا، وأما المتقون لله ﷻ، فإنهم يوم معادهم يكونون في جنات وعيون، بخلاف أولئك الأشقياء بما هم فيه من العذاب والنكال، والحريق والأغلال، فقد كانوا عاملين بما آتاهم الله من الفرائض، وكانوا قبل أن يفرض عليهم الفرائض كانوا محسنين في الأعمال، فهم في الجنات والعيون في النعيم والسرور والغبطة، فقد كانوا يكابدون قيام الليل، فلا ينامون من الليل إلا قليلًا، وكانوا يكثرون من الاستغفار في الأسحار.

وكانوا ينفقون النفقة الواجبة والمستحبة ففي أموالهم جزء مقسوم قد أخرجوه للسائل والمحروم، وهو الذي لا مال له بأي سبب كان، قد ذهب ماله، سواء كان لا يقدر على الكسب، أو قد هلك ماله بآفة أو نحوها، وفي الأرض من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة، مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات، والمهاد والجبال، والقفار والأنهار والبحار، واختلاف ألسنة الناس وألوانهم، وما جبلوا عليه من الإرادات والقوى، وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والحركات، والسعادة والشقاوة، وما في تركيبهم من الحكم في وضع كل عضو من أعضائهم في المحل الذي هو محتاج إليه فيه؛ فمن تفكر في خلق نفسه عرف أنه إنما خلق ولينت مفاصله للعبادة، وفي السماء المطر، وهو رزق العباد، وفي السماء الجنة التي وعد الله عباده بها، وما وعد الله به من أمر القيامة والبعث والجزاء، كائن لا محالة، وهو حق لا مرية فيه، فلا يشك أحد فيه كما لا يشك في نطقه حين ينطق، وفي قصة الخليل مع الملائكة عبرة وعظة، فهم ضيوف مكرمون، وأكرمهم بالضيافة، وحيوه بالسلام، فرد عليهم التحية بأحسن منها، وقد أنكر الخليل قدومهم بهذه الصورة، وذلك أن الملائكة وهم جبريل وإسرافيل وميكائيل قدموا عليه في صور شبان حسان عليهم مهابة عظيمة؛ فانسل خفية في سرعة، فجاء بعجل سمين من خيار ماله، مشوي على الحجر، فأدناه منهم، وقال ألا تأكلون على سبيل العرض والتلطف، فلما رأهم لا يريدون الطعام، خاف منهم، وبشروه بغلام عليم وهو إسحاق ﷺ، فضربت زوجة إبراهيم بيدها على جبينها تعجبًا كما تتعجب النساء من الأمر الغريب، وقالت كيف ألد وأنا عجوزٌ وقد كنت في حال الصبا عقيمًا لا ألد، فأخبروها أنه أمر الله وقضاؤه، وهو العليم بمن يستحق الكرامة، وهو الحكيم في أقواله وأفعاله.

۞ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾

لما علم إبراهيم الخليل ﷺ أن ضيوفه ملائكة، سألهم ما شأنهم وفيم جئتم؟ قالوا إنا أرسلنا إلى قوم لوط، لنرسل عليهم حجارة من طين معلمة، مكتتبة عند الله بأسمائهم، كل حجر عليه اسم صاحبه، بعدما تمادوا في الضلالة وجاوزوا الحدّ في الفجور، ولما أرد الله إهلاك قوم لوط أخرج من كان في قرى قوم لوط من قومه المؤمنين به، وهم أهل بيت شريف، وهم أهل بيت لوط، هم المسلمون المنقادون والمستسلمون لأمر الله سبحانه وكانت تلك القرى علامة ودلالة تدل على ما أصابهم من العذاب، وهي عبرة لكلّ من يخاف عذاب الله، ويخشاه من أهل ذلك الزمان ومن بعدهم، الذين يتعظون بالمواعظ، ويتفكرون في الآيات دون غيرهم ممن لا يخاف ذلك، وهم المشركون المكذبون بالبعث، والوعد والوعيد، وهذه الآية هي آثار العذاب في تلك القرى، فإنها ظاهرة بينة، وقد أرسل الله نبيه موسى ﷺ إلى فرعون بدليل باهر وحجة قاطعة، فأعرض فرعون عما جاءه به موسى من الحق المبين، استكبارًا، وعنادًا، وقال: لا يخلو أمرك فيما جئتني به من أن تكون ساحرًا، أو مجنونًا.

فأخذه الله وجنوده فأغرقهم في البحر، وهو ملوم كافر جاحد فاجر معاند، وأرسل الله إلى عاد لما كذبت الريح المفسدة التي لا تنتج شيئًا، ولا تأتي على شيء إلا جعلته كالشيء الهالك البالي، وثمود لما كذبوا وكفروا قيل لهم: تمتعوا إلى وقت فناء آجالكم، وذلك أنهم انتظروا العذاب ثلاثة أيام وجاءهم في صبيحة اليوم الرابع بكرة النهار، فما استطاعوا من هرب ولا نهوض، ولا يقدرون على أن ينتصروا مما هم فيه، وأهلك الله قوم نوح من قبل هؤلاء، وكانوا قومًا كافرين مكذبين بالرسل، قد خرجوا عن طاعة ربهم، وخلق الله السماء وبناها، وجعلها سقفًا محفوظًا رفيعًا بقوة، وأوسع أرجاءها ورفعها بغير عمد، حتى استقلت كما هي، والأرض جعلها فراشًا للمخلوقات، ومهدًا لأهلها، فما أعظم خلق الله وأكمله، ومن جميع المخلوقات أزواج: سماء وأرض، وليل ونهار، وشمس وقمر، وبر وبحر، وضياء وظلام، وإيمان وكفر، وموت وحياة، وشقاء وسعادة، وجنة ونار، حتى الحيوانات، جن وإنس، ذكور وإناث، والنباتات، كل ذلك يدل على أن الله هو الخالق وحده لا شريك له، فليلجأ العباد إلى ربهم خالقهم، ويعتمدوا في أمورهم عليه، ولا يشركوا بالله شيئًا، وما على الرسل إلا البلاغ والنذارة من الشرك.

ففي التوحيد نجاة العباد وصلاح أحوالهم في الدنيا والآخرة، فقد كتب الله لأهل التوحيد الجنة، ولو دخلوا النار فإنهم يخرجون منها، وحرم الله الجنة على كل مشرك، فالمؤمن يخاف من الشرك ووسائله وطرقه الموصلة إليه كما خاف ذلك سادات الأنبياء والمرسلين والصالحين.

كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

سورة الطور

ترتيبها ٥٢ — آياتها ٤٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ﴿٢﴾ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ﴿٣﴾ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ﴿٨﴾ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ﴿١٠﴾ فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾

كل المكذبين بالرسل المعاندين للحق كلما جاءهم رسول رموه بالسحر والجنون، فقد تشابهت قلوبهم بالكفر والجحود، فمثلهم كمثل المتواصين بهذه المقالة، ولكنه الطغيان، فقال المتأخرون كما قال المتقدمون، وأمر النبي ﷺ بالإعراض عنهم، وما يلومه أحد بذلك، وأمر بتذكير القلوب المؤمنة المصدقة فإن الذكرى لا تنفع إلا القلوب الحية بالإيمان، وما خلق الخلق من جن وإنس إلا ليوحدوا الله، ويفردوه بالعبادة وحده لا شريك له، فمن أطاع الله جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وسبحانه غير محتاج إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم، وهو القوي الشديد في قوته، الشديد في عزته، الشديد في جميع صفات الجبروت، الذي لا يعجزه شيء ﷻ ، فالذين أشركوا بالله لهم نصيب من العذاب، مثل نصيب المشركين قبلهم فلا يستعجلوا ذلك، فإنه واقع بهم لا محالة، ففي يوم القيامة يأتيهم ما يوعدون من العذاب.

سورة الطور

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر الطور فيها

أقسم الله تعالى بمخلوقاته الدالة على قدرته العظيمة، أن عذابه واقع بأعدائه، وأنه لا دافع له عنهم، فالطور هو الجبل الذي يكون فيه أشجار، مثل الذي كلم الله عليه موسى، وأرسل منه عيسى، وأقسم باللوح المحفوظ، المبسوط في أديم الصحف، والبيت المعمور في السماء السابعة حيال الكعبة يدخله في كل يوم سبعون ألفًا لا يعودون إليه آخر ما عليهم، يتعبدون فيه ويطوفون، وأقسم بالسقف المرفوع وهو السماء، وأقسم بالبحر المسجور، وهو الماء الذي تحت العرش، الذي ينزل الله منه المطر الذي يحيى به الأجساد في قبورها يوم معادها، وهو يوقد يوم القيامة نارًا، وجواب القسم: إن العذاب واقع بالكافرين، ليس له دافع يدفعه عنهم ويرده عن أهل النار إذا أراد الله بهم ذلك، في ذلك اليوم تتحرك السماء تحريكًا، وتشقق، وتدور دورًا، وتذهب الجبال وتزول عن أماكنها، وتسير عن مواضعها كسير السحاب، فتصير هباء منبثًا، وتنسف نسفًا..

فويل للكافرين والمشركين في ذلك اليوم من عذاب الله ونكاله بهم، وعقابه لهم، الذين كانو في الدنيا يخوضون في الباطل، ويتخذون دينهم هزوًا ولعبًا، وهم في تردّد في الباطل، واندفاع فيه يلهون لا يذكرون حسابًا، ولا يخافون عقابًا، ويخوضون في أمر محمد ﷺ بالتكذيب والاستهزاء، يوم يدفعون ويساقون إلى نار جهنم دفعًا، وتقول لهم الزبانية ذلك تقريعًا وتوبيخًا هذه النار التي كنتم بها تكذبون .

أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾ وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٢٤﴾ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾

ربع الحزب ٥٣

حين يدخل الكفار النار، ويشاهدونها حقيقة يقال لهم هل هذه سحر أم لا تبصرونها؟ توبيخًا لهم وتقريعًا، ادخلوها دخول من تغمره النار من جميع جهاته، سواء صبرتم على عذابها ونكالها أم لم تصبروا، لا محيد لكم عنها ولا خلاص لكم منها، ولا يظلم الله أحدًا، بل يجازي كلًّا بعمله، وأما حال السعداء الأتقياء فهم في جنات ونعيم، يتفكهون بما آتاهم الله من النعيم، من أصناف الملاذ، من مآكل ومشارب وملابس ومساكن ومراكب وغير ذلك، ونجاهم من عذاب النار، وتلك نعمة مستقلة بذاتها وحدها، مع ما أضيف إليها من دخول الجنة، التي فيها من السرور ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، يتكئون على سرر وجوه بعضهم إلى بعض متقابلين، وجعل لهم قرينات صالحات، وزوجات حسانًا من الحور العين، ومن فضل الله وكرمه، وامتنانه ولطفه بخلقه وإحسانه أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يلحقهم بآبائهم في المنزلة وإن لم يبلغوا عملهم، لتقر أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه، بأن يرفع الناقص العمل، بكامل العمل، ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته، للتساوي بينه وبين ذاك، ومن العدل ألا يؤاخذ أحدًا بذنب أحد، بل كل مرتهن بعمله، لا يحمل عليه ذنب غيره من الناس، سواء كان أبًا أو ابنًا، ومن نعيم أهل الجنة، الفواكه واللحوم من أنواع شتى، مما يستطاب ويشتهى، يتعاطون في الجنة كأسًا من الخمر لا إثم ولا فحش ولا باطل، فنزه الله خمر الآخرة عن قاذورات خمر الدنيا وأذاها، فنفى عنها صداع الرأس، ووجع البطن، وإزالة العقل بالكلية، ولا تحملهم على الكلام السيئ الفارغ عن الفائدة المتضمن للهذيان والفحش، مع حسن منظرها، وطيب طعمها ومخبرها، وأما خدمهم وحشمهم في الجنة فهم ولدان كأنهم اللؤلؤ الرطب، المكنون في حسنهم وبهائهم، ونظافتهم وحسن ملابسهم، يتحادثون ويتساءلون عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا، كما يتحادث أهل الشراب على شرابهم إذا أخذ فيهم الشراب بما كان من أمرهم، فقالوا قد كنا في الدار الدنيا ونحن بين أهلنا خائفين من ربنا مشفقين من عذابه وعقابه، فتصدق الله علينا وأجارنا مما نخاف، وكنا نتضرع إليه فاستجاب الله لنا وأعطانا سؤلنا، إنه هو البر الرحيم.

وأمر الله رسوله صلوات الله وسلامه عليه، بأن يبلغ رسالته إلى عباده، وأن يذكرهم بما أنزل الله عليه، ثم نفى عنه ما يرميه به أهل البهتان والفجور من الكهانة والجنون والشعر، وما ينتظرون بالنبي ﷺ من قوارع الدهر، أو يأتيه الموت فيستريحون منه فجاء الرد عليهم، انتظروا فإني منتظر معكم، وستعلمون لمن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة.

أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآۚ أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَۣيۡطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمۡ لَهُ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗاۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلۡمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطٗا يَقُولُواْ سَحَابٞ مَّرۡكُومٞ ﴿٤٤﴾ فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوۡمَ لَا يُغۡنِي عَنۡهُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

سُورَةُ النَّجۡمِ

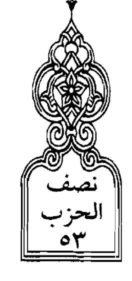
ترتيبها ٥٣ — آياتها ٦٢

المكذبون بالرسل لا يفكرون بالحق ويتوصلون إليه بعقولهم التي أنعم الله بها عليهم، لكن من ضعف رأيهم وقلة بصيرتهم هدتهم عقولهم إلى التكذيب والكفر لأنهم قوم ضلال معاندون، فمن جهلهم قولهم أن القرآن اختلاق من النبي ﷺ، وما حملهم على ذلك إلا كفرهم فإن كانوا صادقين في قولهم فليأتوا بمثل ما جاء به محمد ﷺ من هذا القرآن، فإنهم لو اجتمعوا هم وجميع أهل الأرض من الجن والإنس، ما جاءوا بمثله، ولا بعشر سور من مثله، ولا بسورة من مثله، ولا بآية، فهل أوجدوا من غير موجد، أم هم أوجدوا أنفسهم؟! لا هذا ولا هذا، بل الله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئًا مذكورًا، أم هم خلقوا السموات والأرض، وهذا إنكار عليهم في شركهم بالله، وهم يعلمون أنه الخالق وحده لا شريك له، ولكن عدم إيقانهم هو الذي يحملهم على ذلك، أهم يتصرفون في الملك وبيدهم مفاتيح الخزائن، أم هم المحاسبون للخلائق؟! بل الله ﷻ هو المالك المتصرف الفعال لما يريد، أم لهم سلم يرقون به إلى الملأ الأعلى؟ فليأت الذي يستمع لهم بحجة ظاهرة على صحة ما هم فيه من الفعال والمقال، ولا يستطيعون ذلك، فليسوا على شيء، ولا لهم دليل.

وكيف يفترون على الله ويجعلون الملائكة بنات الله، ويعبدونهم مع الله، ولم يجعل الله الرسل جباة يأخذون على من يبلغونهم الأموال فهؤلاء المشركون يتبرمون من أدنى شيء، ويثقلهم ويشق عليهم، أن تؤخذ منهم الأموال وهل عندهم علم الغيب فهم يكتبون المقادير، بل لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب إلا الله، أم يريدون الكيد لدين الإسلام وللرسول وأصحابه، فكيدهم إنما يرجع وباله على أنفسهم، فالذين كفروا هم المكيدون، أم لهم إله حق غير الله سبحان الله عما يقولون ويفترون ويشركون، ومن عناد المشركين ومكابرتهم للمحسوس أنهم لو نزل عليهم قطعًا من السماء لم يصدقوا ولم يوقنوا، بل قالوا سحاب متراكم، وليس لهم موعد إلا يوم القيامة، حين يهلكهم العذاب، يوم لا ينفعهم كيدهم ومكرهم الذي استعملوه في الدنيا، ولا يجدي عنهم يوم القيامة شيئًا، ولهم من العذاب في الدار الدنيا من الذلة والصغار، ولكنهم في غفلة، يعذبون في الدنيا، ويبتلون فيها بالمصائب، لعلهم يرجعون وينيبون، فلا يفهمون ما يراد بهم، بل إذا جلي عنهم مما كانوا فيه، عادوا إلى أسوأ ما كانوا عليه، وأمر الله النبي ﷺ بالصبر على أذاهم، فالله حافظ رسوله ومؤيده وناصره، وعاصمه من الناس، وأمره بالتسبيح عند الصلوات وفي الخلوات وأدبار المكتوبات، والأمر للدعاة بعد النبي ﷺ بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر، وتحمل أذى الناس، وتبليغ دين الله، وبذل الغالي والنفيس في سبيل الله، وفي تبيلغ الدعوة.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ
عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴿٥﴾
ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾
فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴿١٠﴾
مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ
نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾
إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدۡ رَأَىٰ
مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ
ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ
ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ
وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ
ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي
شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾





سورة النجم

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر النجم فيها

أقسم الله بالنجم إذا سقط مع الفجر، ولله أن يقسم بما شاء من خلقه، والمخلوق لا يجوز له أن يقسم إلا بالخالق والمقسم عليه هو الشهادة للرسول صلوات الله وسلامه عليه بأنه بار راشد تابع للحق، ليس بضال، فنزه الله ﷻ رسوله وشرعه عن مشابهة أهل الضلال كالنصارى وطرائق اليهود، وعن علم الشيء وكتمانه والعمل بخلافه، بل هو صلوات الله وسلامه عليه، وما بعثه الله به من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد، وما يقول قولًا عن هوى وغرض، وإنما يقول ما أمر به، يبلغه إلى الناس كاملًا موفرًا من غير زيادة ولا نقصان، وكلامه ﷺ وحي من الله، نزل به جبريل ﷺ ذو المنظر الحسن، والقوة الشديدة، على عبد الله ورسوله محمد ﷺ، ولم ير جبريل رسول الله ﷺ في صورته إلا مرتين، هبط عليه جبريل ﷺ، وتدلى إليه، فاقترب منه وهو على الصورة التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناح، ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرى عند سدرة المنتهى، يعني ليلة الإسراء، وكانت الرؤية الأولى في أوائل البعثة بعدما جاءه جبريل ﷺ أول مرة، فاقترب جبريل إلى محمد لما هبط عليه إلى الأرض، حتى كان بينه وبين محمد ﷺ قاب قوسين، بعد ما بين وتر القوس إلى كبدها، أو أقرب، فأوحى الله إلى عبده محمد ما أوحى بواسطة جبريل، ليلة المعراج، وما أخطأ قلب محمد بما رأى من أحداث الإسراء والمعراج، ورؤيته لجبريل على صورته التي خلقه الله بها، وله ستمائة جناح قد سد الأفق، ينتثر من ريشه التهاويل والدر والياقوت، عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى يغشاها فراش من ذهب، على كل ورقة من ورقها ملكٌ قائمٌ يسبح الله ﷻ ما ذهب بصر النبي ﷺ يمينًا ولا شمالًا، وما جاوز ما أمر به، وهذه صفة عظيمة في الثبات والطاعة، فإنه ما فعل إلا ما أمر به، ولا سأل فوق ما أعطي، ورأى من آيات ربه الدالة على قدرة الله وعظمته، وبهاتين الآيتين استدل من ذهب من أهل السنة أن الرؤية تلك الليلة لم تقع، ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك، ولقال ذلك للناس، ومن جهل المشركين عبادتهم الأصنام والأنداد والأوثان، واتخاذهم لها البيوت مضاهاة للكعبة التي بناها خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام ومنها اللات، وهي صخرة بيضاء منقوشة، وعليها بيت بالطائف له أستار وسدنة، وحوله فناء معظم عند أهل الطائف، وهم ثقيف ومن تابعها، يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش، وقد اشتقوا اسمها من اسم الله تعالى، واللات رجل يلت للحجيج في الجاهلية السويق، فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه، ومنها العزى من العزيز، وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة، وهي بين مكة والطائف، كانت قريش يعظمونها، ومنها مناة، وكانت بين مكة والمدينة وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها، ويهلون منها للحج إلى الكعبة، وقد كانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيت أخر تعظمها العرب كتعظيم الكعبة غير هذه الثلاثة، ومن قبح المشركين وسفاهة عقولهم أنهم يجعلون لله ولدًا، ويجعلون ولده أنثى، ويختارون لأنفسهم الذكور، فلو اقتسموا هذه القسمة مع مخلوق مثلهم، لكانت هذه القسمة جورًا باطلة، فكيف يقاسمون ربهم هذه القسمة التي لو كانت بين مخلوقين كانت جورًا وسفهًا؟! ومن جهلهم ما ابتدعوه وأحدثوه من الكذب والافتراء والكفر من عبادة الأصنام وتسميتها آلهة سموها من تلقاء أنفسهم، ما أنزل الله بها من حجة، وليس لهم مستند، ولقد أرسل الله إليهم الرسل بالحق المنير والحجة القاطعة، ومع هذا ما اتبعوا ما جاؤوهم به، ولا انقادوا له، وليس كل من تمنى خيرًا حصل له، وما كل من زعم أنه مهتد يكون كما قال، ولا كل من ود شيئًا يحصل له، وإنما الأمر كله لله، مالك الدنيا والآخرة، والمتصرف في الدنيا والآخرة، فهو الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، والملائكة المقربون لا تنفع شفاعتهم إلا بشرطين إذن الله للشافع أن يشفع، ورضاه عن المشفوع، فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين، فكيف يرجون شفاعة هذه الأصنام والأنداد عند الله، وهو لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها، بل قد نهى عنها على ألسنة جميع رسله، وأنزل بالنهي عن ذلك في جميع كتبه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴿٢٨﴾ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ﴿٤٤﴾

من جهل المشركين تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى، وجعلهم بنات الله، وليس لهم علم صحيح يصدق ما قالوه، بل هو كذب وزور وافتراء، وكفر شنيع، وإنما هو اتباع الظن والظن لا يجدي شيئًا، ولا يقوم أبدًا مقام الحق، وأمر الرسول ﷺ بالإعراض عن الذين أعرضوا عن الحق وهجروه، وإنما أكثر همهم ومبلغ علمهم الدنيا، فذاك هو غاية ما لديهم، طلب الدنيا والسعي لها، والله هو الخالق لجميع المخلوقات، والعالم بمصالح عباده، وهو الذي يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وذلك كله عن قدرته وعلمه وحكمته، وهو العادل الذي لا يجور أبدًا، لا في شرعه ولا في قدره، وهو مالك السموات والأرض، وهو الغني عما سواه، الحاكم في خلقه بالعدل، وخلق الخلق بالحق، يجازي كلًّا بعمله، إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًّا فشرًّا، فيجازي المحسنين بالجنة، الذين يجتنبون المحرمات والكبائر، وإن وقع منهم بعض الصغائر ومحقرات الأعمال فإن الله يغفر لهم ويستر عليهم.

و رحمة الله وسعت كل شيء، ومغفرته تسع الذنوب كلها لمن تاب منها، وهو البصير بعباده، العليم بأحوالهم وأفعالهم وأقوالهم التي تصدر عنهم وتقع منهم، حين أنشأ أباهم آدم من الأرض، واستخرج ذريته من صلبه أمثال الذر، ثم قسمهم فريقين، فريقًا للجنة وفريقًا للسعير، وقد كتب الملك الذي يوكل به رزقه وأجله وعمله، وشقي أم سعيد، فلا يمدح الإنسان نفسه ويمن بعمله، فالله أعلم بمن اتقى، فتزكية النفس واعتقاد كمالها يورث الغرور والعجب والكبر، فبئس من تولى عن طاعة الله وهجر عبادة الله تعالى، وانقطع عن العمل الصالح والإنفاق في سبيل الله، أعنده علم الغيب بأن ما في يده سينفد، فأمسك عن معروفه، فهو يرى الفقر بعينه، وليس الأمر كذلك، وإنما أمسك عن الصدقة والمعروف والبر والصلة بخلًا وشحًّا وهلعًا؛ وقد أنزل الله تعالى من كتبه صحف موسى وإبراهيم من الحكم والمواعظ ما فيه عبرة وعظة للأمة، فإبراهيم الخليل ﷺ وفَّى طاعة الله، وأدَّى رسالته إلى خلقه، فقام بجميع الأوامر، وترك جميع النواهي، وبلغ الرسالة على التمام والكمال، فاستحق بهذا أن يكون للناس إمامًا يُقتدى به في جميع أحواله وأفعاله وأقواله، ومما أوحاه الله في صحف إبراهيم وموسى، أن كل نفس ظلمت نفسها بكفر أو شيء من الذنوب فإنما عليها وزرها، لا يحمله عنها أحد، وكما لا يحمل عليه وزر غيره، كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه، وأن عمل الإنسان سيراه يوم القيامة، فيجزيه عليه أتم الجزاء، إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًّا فشرًّا، وأن المعاد إلى الله يوم القيامة إلى الجنة أو إلى النار، وهو سبحانه خلق في عباده الضحك، والبكاء وسببهما وهما مختلفان، أضحك أهل الجنة في الجنة، وأبكى أهل النار في النار، وأضحك من شاء في الدنيا بأن سرّه، وأبكى من شاء بأن غمه، وأضحك المطيعين بالرحمة، وأبكى العاصين بالسخط

وهو سبحانه الذي خلق الموت والحياة، وقضى بأسباب الموت والحياة، ولا يقدر على ذلك غيره، وأمات الآباء وأحيا الأبناء، وأمات في الدنيا وأحيا للبعث، وأمات بعدله وأحيا بفضله، أمات الكافر وأحيا المؤمن.

وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوۡمَ نُوحٍ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضۡحَكُونَ وَلَا تَبۡكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِۤ وَٱعۡبُدُواْ۩ ﴿٦٢﴾



سُورَةُ القَمَرِ

ترتيبها ٥٤ — آياتها ٥٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةً يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٌ مُّسۡتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٍ مُّسۡتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٌۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ﴿٦﴾

الله ﷻ خلق الذكر والأنثى، من ماء الرجل وماء المرأة، وهو كما خلق البداءة، قادر على الإعادة، وهي النشأة الآخرة يوم القيامة، وهو الذي أعطى عباده المال، وجعله لهم قنية مقيمًا عندهم، لا يحتاجون إلى بيعه، وهو تمام النعمة عليهم، وهو سبحانه الغني وأفقر الخلائق إليه، وهو رب الشعرى وهو نجم وقاد، كانت طائفة من العرب يعبدونه، وهو سبحانه أهلك قوم هود، كانوا من أشد الناس وأقواهم وأعتاهم على الله وعلى رسوله، فأهلكهم الله، ودمر ثمود قوم صالح ﷺ فلم يبق منهم أحدًا، وهو الذي أغرق قوم نوح من قبل هؤلاء، وكانوا أشد تمردًا من الذين من بعدهم، ومدائن لوط قلبها عليهم جعل عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود، فألبسها ما ألبسها من الحجارة التي وقعت عليها، فبأي نعم ربك أيها الإنسان المكذب تشكك وتمتري فهذا النبي محمد ﷺ من جنس الأنبياء قبله، أرسل كما أرسلوا، وهو أفضلهم وخاتمهم

فقد اقتربت القريبة، وهي القيامة، لا يدفعها من دون الله أحد، ولا يطلع على علمها سواه، أفيعجب المشركون في صحة القرآن ويضحكون منه استهزاء وسخرية، ولا يبكون كما يفعل الموقنون به، قد ألهاهم الغناء فاستعاضوا به عن القرآن، وأمر الله عباده بالسجود له والعبادة، والمتابعة لرسوله ﷺ والتوحيد والإخلاص.

سورة القمر

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر القمر فيها

الساعة حق ووقوعها قد اقترب، واقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضاؤها قد دنا، والناس في غفلة معرضون ومن علامات الساعة انشقاق القمر، وكان هذا في زمان رسول الله ﷺ، وهو إحدى المعجزات الباهرات، انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين، كل فرقة على جبل، فقال المشركون سحرنا محمد، وسحره باطل مضمحل لا دوام له، وكذبوا بالحق لما جاءهم، واتبعوا ما أمرتهم به آراؤهم وأهواؤهم من جهلهم وسخافة عقلهم، والخير واقع بأهل الخير، والشر واقع بأهل الشر، ولقد جاء المشركون من الأخبار عن قصص الأمم المكذبين بالرسل وما حل بهم من العقاب والنكال والعذاب مما يتلى عليهم في هذا القرآن ما فيه واعظ لهم عن الشرك والتمادي على التكذيب، وحكمة الله في هدايته تعالى لمن هداه وإضلاله لمن أضله، وما تغني النذر عمن كتب الله عليه الشقاوة، وختم على قلبه، فمن الذي يهديه من بعد الله؟

وأمر النبي ﷺ بالإعراض عن المشركين والانتظار فيهم يوم القيامة، حين يدعون إلى شيء منكر فظيع، وهو موقف الحساب وما فيه من البلاء، والزلازل والأهوال.

ثلاثة أرباع الحزب ٥٣

خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ﴿٧﴾
مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ ﴿٨﴾ ۞ كَذَّبَتۡ
قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا
رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ﴿١٠﴾ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ
﴿١١﴾ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ﴿١٢﴾
وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ﴿١٣﴾ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ
كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿١٥﴾ فَكَيۡفَ كَانَ
عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ
﴿١٧﴾ كَذَّبَتۡ عَادٞ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ
رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ
نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ﴿٢٠﴾ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ
لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا
مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ
مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ ﴿٢٥﴾ سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ
ٱلۡأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ ﴿٢٧﴾

في يوم القيامة حين يحشر الكفار ذليلة أبصارهم، يخرجون من القبور، كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم إلى موقف الحساب إجابة للداعي جراد منتشر في الآفاق؛ مسرعين إلى الداعي، لا يخالفون ولا يتأخرون، يقول الكافرون هذا يوم شديد الهول، وقد كذب قوم نوح ﷺ رسولهم، وصرحوا له بالتكذيب واتهموه بالجنون، وانتهروه وزجروه وأوعدوه، فدعا ربه إني ضعيف عن هؤلاء وعن مقاومتهم، فانتصر يا رب لدينك ففتح الله أبواب السماء بماء كثير، ونبعت جميع أرجاء الأرض، فالتقى الماء من السماء ومن الأرض على أمر مقدر، وحمل الله نوحًا والذين آمنوا معه في السفينة من الخشب والمسامير، تجري بأمر الله، يراهم ويحوطهم، كل ذلك كان جزاء لهم على كفرهم بالله وانتصارًا لنوح ﷺ وقد أبقى الله السفن تذكرة وعبرة، فهل من يتذكر ويتعظ، فكيف كان عذاب الله لمن كفر به وكذب رسله ولم يتعظ بما جاءت به نذر الله؟ وكيف انتصر لأنبيائه، وأخذ لهم بالثأر؟ وقد سهل الله القرآن لفظه ومعناه؛ ليتذكر الناس، ولولا أن الله يسره على لسان الآدميين، ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله ﷻ، وقد جعل الله القرآن شفيعًا لأصحابه يوم القيامة، العاملين به المتدبرين لآياته وعظاته، ففي القرآن من العبر والعظات والدروس ما هو منهج أمة، ونظام حياة، من أخذ به أفلح ونجح، ووفق في الدنيا والآخرة، وقاريء القرآن الماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأه وهو عليه شاق له أجران، وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته، الذين كتبت لهم الرفعة في الدنيا والآخرة.

وقد كذبت عاد قوم هود رسولهم، كما صنع قوم نوح، فأرسل الله عليهم الريح الباردة الشديدة البرد، في يوم مستمر عليهم نحسه ودماره؛ لأنه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوي بالأخروي، وكانت الريح تأتي أحدهم فترفعه حتى تغيبه عن الأبصار، ثم تنكسه على أم رأسه، فيسقط إلى الأرض، فينثلغ رأسه فيبقى جثة بلا رأس، فكانوا كأعجاز نخل منقطع، ومن بعد عاد ثمود كذبوا رسولهم صالحًا ﷺ، فقالوا لقد خبنا وخسرنا إن سلمنا قيادنا لواحد منا، ثم تعجبوا من إلقاء الوحي عليه خاصة من دونهم، ثم رموه بالكذب وتجاوز في حد الكذب، وسيعلمون حين ينزل عليهم العذاب من هو الكذاب الأشر، وأرسل الله الناقة بعدما طلبوها اختبارًا لهم، فأخرج الله لهم ناقة عظيمة عشراء من صخرة صماء لتكون حجة الله عليهم في تصديق صالح ﷺ فيما جاءهم به، وأمر الله عبده ورسوله صالحًا ﷺ أن ينتظر ما يؤول إليه أمرهم، ويصبر عليهم، فإن العاقبة له والنصر له في الدنيا والآخرة.

وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ
فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ
صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ
لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا
عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ﴿٣٤﴾ نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ
كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ
بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ
عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً عَذَابٞ مُّسۡتَقِرّٞ ﴿٣٨﴾
فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ
﴿٤٠﴾ وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذۡنَٰهُمۡ
أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمۡ خَيۡرٞ مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ أَمۡ لَكُم بَرَآءَةٞ
فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ ﴿٤٤﴾ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ
وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ
﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ﴿٤٧﴾ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ
عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾

أمر الله تعالى نبيه صالحًا ﷺ أن يخبر قومه أن لهم يومًا يشربون فيه، وللناقة يوم تشرب فيه، فإذا غابت حضروا الماء، وإذا جاءت حضروا اللبن، فاتفقوا على قتل الناقة وكان عاقر الناقة قدار بن سالف، وكان أشقى قومه، فاجترأ على تعاطي العقر، فأنزل الله عليهم العقوبة على كفرهم بالله، وتكذيبهم رسول الله، فأرسل الله عليهم صيحة واحدة، فبادوا عن آخرهم لم تبق منهم باقية، وخمدوا وهمدوا كالمرعى بالصحراء حين ييبس ويحترق وتنسفه الريح، وكذب قوم لوط رسولهم وخالفوه، وارتكبوا المكروه من إتيان الذكور، وهي الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين؛ ولهذا أهلكهم الله هلاكًا لم يهلكه أمة من الأمم، فإنه تعالى أمر جبريل ﷺ فحمل مدائنهم حتى وصل بها إلى عنان السماء، ثم قلبها عليهم وأرسلها، وأتبعت بحجارة من سجيل منضود؛ إلا آل لوط، خرجوا من آخر الليل فنجوا مما أصاب قومهم، ولم يؤمن بلوط من قومه أحد ولا رجل واحد حتى ولا امرأته، أصابها ما أصاب قومها، وخرج نبي الله لوط وبنات له من بين أظهرهم سالمًا لم يمسسه سوء؛ كذلك جزاء من آمن بالله تعالى وشكره على نعمه، وكان قبل حلول العذاب بهم قد أنذرهم نبيهم بأس الله وعذابه، فما التفتوا إلى ذلك، ولا أصغوا إليه، بل شكوا فيه وتماروا به، وفي ليلة مجيء الملائكة إليه: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل في صورة شباب مرد حسان محنة من الله بهم، فأضافهم لوط ﷺ، وبعثت امرأته العجوز السوء إلى قومها، فأعلمتهم بأضياف لوط، فأقبلوا يهرعون إليه من كل مكان، فأغلق لوط دونهم الباب، فجعلوا يحاولون كسر الباب، وذلك عشية، ولوط ﷺ يدافعهم ويمانعهم دون أضيافه، ويقول لهم النساء أطهر لكم، فقالوا ليس لنا فيهن حاجة، وإنك لتعلم ما نريد، فلما اشتد الحال وأبوا إلا الدخول، خرج عليهم جبريل ﷺ، فضرب أعينهم بطرف جناحه، فانطمست أعينهم، ولم تبق لهم عيون بالكلية، فرجعوا على أدبارهم يتحسسون بالحيطان، ويتوعدون لوطًا ﷺ إلى الصباح، فصبحهم العذاب الذي لا محيد لهم عنه، ولا انفكاك لهم منه، وقد كذب فرعون وقومه رسول الله موسى وأخاه هارون فقد جاءوا بالبشارة إن آمنوا، والنذارة إن كفروا، وأيدهما الله بمعجزات عظيمة وآيات متعددة، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، فأبادهم الله ولم يبق منهم مخبرًا ولا عينًا ولا أثرًا، أفيكون كفار قريش خير من الذين تقدم ذكرهم ممن أهلكوا بسبب تكذيبهم الرسل، وكفرهم بالكتب، أم معهم من الله براءة ألا ينالهم عذاب ولا نكال، أم يعتقدون أنهم مناصرون بعضهم بعضًا، وأن جمعهم يغني عنهم من أرادهم بسوء، فسيتفرق شملهم ويغلبون، وموعد عذابهم الأخرويّ، وليس عذاب الدنيا، وعذاب الدنيا بالقتل والأسر والقهر، وهو تمام ما وعدوا به من العذاب، وعذاب الساعة أعظم في الضرّ وأفظع، وأشد مرارة من عذاب الدنيا، فالمجرمون المكذبون في ضلال عن الحق، وسعر مما هم فيه من الشكوك والاضطراب في الآراء، وهذا يشمل كل من اتصف بذلك من كافر ومبتدع من سائر الفرق، فأورثهم الله النار، يسحبون فيها على وجوههم، لا يدرون أين يذهبون، ويقال لهم تقريعًا وتوبيخًا ذوقوا عذاب النار، وكل شيء من الأشياء خلقه الله سبحانه بقدر قدّره، وقضاء قضاه سبق في علمه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه.

وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾

سُورَةُ الرَّحۡمَٰن

ترتيبها ٥٥ — آياتها ٧٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾

أمر الله تعالى يكون بكلمة واحدة كلمح البصر في اليسر والسرعة، وقد أهلك أمثال الكفار وما سلفهم من الأمم السابقة المكذبين بالرسل، فهل من متعظ بما أخزى الله أولئك، وقدر لهم من العذاب، وكل شيء فعلوه مكتوب عليهم في الكتب التي بأيدي الملائكة عليهم السلام، من صغير وكبير مجموع عليهم، ومسطر في صحائفهم، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، والمتقون الأبرار في دار كرامة الله ورضوانه وفضله، وامتنانه وجوده وإحسانه، عند الملك العظيم الخالق للأشياء كلها ومقدرها، وهو مقتدر على ما يشاء مما يطلبون ويريدون، اللهم اجعلنا منهم ووالدينا وأهلينا وذرياتنا والمسلمين.

سورة الرحمن

وهي سورة مكية سميت بذلك لافتتاحها باسم الله الرحمن

أنكر أهل مكة الرحمن، وقالوا: وما الرحمن، فجاء الرد عليهم الرحمن، علم القرآن محمدًا، وخلق آدم عليه السلام، وعلمه أسماء كل شيء، وعلم جميع الناس النطق والكتابة والفهم والإفهام، حتى عرف ما يقول وما يقال له، وعلم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به، والشمس والقمر يجريان متعاقبين بحساب مقنن لا يختلف ولا يضطرب.

والنجم والشجر يسجدان لله تعالى وينقادان لله تعالى انقياد الساجدين من المكلفين، ولله يسجد من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس، ورفع الله السماء، وضع في الأرض العدل، فلا يتجاوز الناس العدل، ولا يبخسون الوزن، بل يزنون بالحق والقسط، ووضع الله الأرض ومهدها، وأرساها بالجبال الراسيات الشامخات، لتستقر لما على وجهها من الخلائق المختلفة أنواعهم وأشكالهم وألوانهم وألسنتهم، في سائر أقطارها وأرجائها، وفي الأرض الفاكهة مختلفة الألوان والطعوم والروائح، وفيها النخل فيها أوعية الطلع، الذي يطلع فيه القنو ثم ينشق عن العنقود، فيكون بسرًا ثم رطبًا، ثم ينضج ويتناهى ينعه واستواؤه.

وفي الأرض جميع ما يقتات من الحبوب، وما يخرج منه كالتبن طعامًا للحيوان، وما له رائحة طيبة، ونعم الله على عباده من الجن والإنس كثيرة، لا يمكن أن يجحدوها ويكذبوا بها، وهم متنعمون بها، فقد خلق الله آدم، من الطين اليابس الذي يسمع له صلصلة، يشبه في يبسه الخزف الذي طبخ بالنار، وخلق أبا الجنّ من مارج من نار، والمارج اللهب الصافي من النار، فهل يكذب العباد نعمة ربهم في خلقهم وإيجادهم؟!

رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾

خلق الله تعالى مشرقي الصيف والشتاء، ومغربي الصيف والشتاء، وفي اختلاف هذه المشارق والمغارب، مصالح للخلق من الجن والإنس، فهي من نعم الله التي تستحق الشكر من العباد، ومن نعم الله الماء المالح والماء الحلو لا يلتقيان ولا يختلطان، فهذا عذب فرات وهذا ملح أجاج، وجعل بينهما برزخًا حاجزًا يفصل بينهما، يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان، والمرجان هو صغار اللؤلؤ، ولما كان اتخاذ هذه الحلية نعمة على أهل الأرض، امتن بها عليهم وأمرهم بشكرها، ومن نعم الله السفن المخلوقات التي تجري في البحر كالجبال في كبرها، وما فيها من المتاجر والمكاسب المنقولة من قطر إلى قطر، وإقليم إلى إقليم، مما فيه من صلاح للناس في جلب ما يحتاجون إليه من سائر أنواع البضائع؛ مما يستحق الشكر من العباد لخالقهم ورازقهم، وجميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون، وأهل السموات إلا من شاء الله، ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم؛ فإن الرب تعالى وتقدس لا يموت، بل هو الحي الذي لا يموت أبدًا، فكل شيء هالك إلا وجهه، ذو العظمة والكبرياء، فهو أهل أن يجل فلا يعصى، وأن يطاع فلا يخالف، والوجه ثابت لله تعالى بدلالة الكتاب والسنة وإجماع السلف، فيجب إثباته له بدون تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهو وجه حقيقي يليق بالله، وهو سبحانه الغني عما سواه وافتقار الخلائق إليه في جميع الحالات، وهم يسألونه بلسان حالهم ومقالهم، وأنه كل يوم هو في شأن، فمن شأنه أن يجيب داعيًا، أو يعطي سائلًا أو يفك عانيًا، أو يشفي سقيمًا، ويكشف كربًا، ويجيب مضطرًّا ويغفر ذنبًا، ولا يستغني عنه أهل السموات والأرض، يحيي ميتًا، ويميت حيًّا، ويربي صغيرًا، وهو منتهى حاجات الصالحين وصريخهم، ومنتهى شكواهم، وهو سبحانه يحاسب عباده من الجن والإنس، لا يشغله شيء عن شيء، والجن والإنس لا يستطيعون هربًا من أمر الله وقدره، بل هو محيط بهم، لا يقدرون على التخلص من حكمه فيهم، أينما ذهبوا أحيط بهم، وهذا في مقام المحشر، فالملائكة محدقة بالخلائق، سبعة صفوف من كل جانب، فلا يقدر أحد على الذهاب إلا بأمر الله، فلو ذهبوا هاربين يوم القيامة لردتهم الملائكة والزبانية بإرسال اللهب من النار والنحاس المذاب عليهم ليرجعوا، فلا يقدرون على الامتناع من عذاب الله، ففي يوم القيامة، تشقق السماء وتذوب كما يذوب الذهب والفضة والحديد في السبك، وتتلون كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها، فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء، وذلك من شدة الأمر وهول يوم القيامة العظيم، فيؤمر بالمجرمين إلى النار من الإنس والجن، فذلك الوقت لا يسألون عن ذنوبهم، بل يقادون إليها ويلقون فيها، فيختم على أفواه القوم، وتتكلم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، ولا يسألهم الله هل عملتم كذا وكذا، لأنه أعلم بذلك منهم.

يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ
﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٖ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٤٥﴾ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيۡنَانِ
تَجۡرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ
زَوۡجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ
بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ
وَلَا جَآنّٞ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ
وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلۡ جَزَآءُ
ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٦٣﴾ مُدۡهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا
عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾

في يوم القيامة يعرف الكفار بعلامات تظهر عليهم، ومنها اسوداد الوجوه وزرقة العيون، كما يعرف المؤمنون بالغرة والتحجيل من آثار الوضوء، فتجمع الزبانية ناصية الكافر مع قدميه، في سلسلة من وراء ظهره، ويلقونه في النار ويقال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخًا وتصغيرًا وتحقيرًا: هذه النار التي كنتم تكذبون بوجودها ها هي حاضرة تشاهدونها عيانًا، تارة يعذبون في الجحيم، وتارة يسقون من الحميم، وهو الشراب الذي هو كالنحاس المذاب، يقطع الأمعاء والأحشاء، حار قد بلغ الغاية في الحرارة، لا يستطاع من شدة ذلك.

معاقبة العصاة المجرمين وتنعيم المتقين من فضله ورحمته وعدله ولطفه بخلقه، وكان إنذاره لهم عذابه وبأسه مما يزجرهم عما هم فيه من الشرك والمعاصي وغير ذلك، نعمة يستحق شكر الله تعالى من العباد

وأما من خاف مقامه بين يدي الله ﷻ يوم القيامة، ونهى النفس عن الهوى، ولم يطغ، ولا آثر الدنيا، وعلم أن الآخرة خير وأبقى، فأدى فرائض الله، واجتنب محارمه، فله يوم القيامة عند ربه جنتان، من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، جنتان من ذهب للمقربين، وجنتان من فضة لأصحاب اليمين وهذا عام في الإنس والجن، فهي من أدل دليل على أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا واتقوا، ولهذا امتن الله تعالى على الثقلين بهذا الجزاء، ومن صفات الجنتين فيهما أغصان نضرة حسنة، تحمل من كل ثمرة نضيجة فائقة، وظل الأغصان على الحيطان، وفيهما فنون من الملاذ، وفيهما عينان تسرحان لسقي تلك الأشجار والأغصان فتثمر من جميع الألوان، إحداهما يقال لها تسنيم، والأخرى السلسبيل، وفيهما من جميع أنواع الثمار مما يعلمون وخير مما يعلمون، ومما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء، فبين ذلك فرق بين في التفاضل، ويضجطع أهل الجنة، ويجلسون على فرش بطائنها من إستبرق، وهو ما غلظ من الديباج، وظواهرها من نور، وثمرها قريب إليهم، متى شاءوا تناولوه على أي صفة كانوا، دانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلًا، وفي الفرش حور غضيضات البصر عن غير أزواجهن، فلا يرين شيئًا أحسن في الجنة من أزواجهن، أبكار عرب أتراب، لم يطأهن أحد قبل أزواجهن من الإنس والجن، كأنهن في صفاء الياقوت وبياض المرجان، فالمرأة من نساء أهل الجنة يرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من الحرير، حتى يرى مخها، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحًا، ولطاب ما بينهما، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها، وهذا جزاء من أحسن في الدنيا العمل، فله الإحسان في الدار الآخرة، فهل جزاء ما أنعم الله عليه بالتوحيد إلا الجنة؟ فاللهم لا تحرمنا الجنة ووالدينا وأهلينا وذريانا والمسلمين، وهذه نعم عظيمة لا يقاومها عمل، بل مجرد تفضل وامتنان، تستوجب الاعتراف بنعم الله والعمل على شكرها.

وأما جنتي أصحاب اليمين وهي دون اللتين قبلهما في المرتبة والفضيلة والمنزلة بنص القرآن، وهما جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، ومن صفات هاتين الجنتين أنهما قد اسودتا من الخضرة، من شدة الري من الماء، فهما خضراوان، ممتلئتان من الخضرة، ناعمتان، فيهما عينان فياضتان، تفيض على وجه الأرض، ممتلئتان لا تنقطعان.

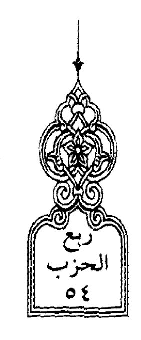
فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخۡلٌ وَرُمَّانٞ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾
فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٞ
مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾
لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

ترتيبها ٥٦ — آياتها ٩٦

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ
﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ﴿٥﴾
فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ﴿٦﴾ وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ﴿٧﴾ فَأَصۡحَٰبُ
ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ
ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾
فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ
﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾



وفي جنتي أصحاب اليمين من كل الفواكة، ونخل ورمان، ونخل الجنة سعفها كسوة لأهل الجنة، منها مقطعاتهم، ومنها حللهم، وكربها ذهب أحمر، وجذوعها زمرد أخضر، وثمرها أحلى من العسل، وألين من الزبد، وليس له عجم، والرمانة من رمانها كمثل البعير، وفيهن خيرات كثيرة حسنة في الجنة، ومنها المرأة الصالحة الحسنة الخلق الحسنة الوجه، من الحور مستورات في الخيام، لم يمسهن قبل أزواجهن إنس ولا جان، والخيمة في الجنة من لؤلؤة مجوفة، عرضها ستون ميلًا في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمنون، وأدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم، واثنتان وسبعون زوجة، وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت، يتكئون على الوسائد والفرش والبسط الخضر وكل غالٍ ونفيس وجليل من المجالس الجميلة، نسأل الله الكريم الوهاب أن يجعلنا من أهل الجنة ووالدينا وأهلينا وذرياتنا والمسلمين، تعالى اسم الله وتقدس ذي العظمة والكبرياء، هو أهل أن يجل فلا يعصى، وأن يعظم فيعبد، ويشكر فلا يكفر، وأن يذكر فلا ينسى.

سورة الواقعة

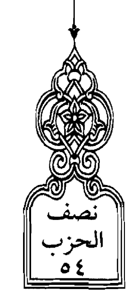
وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر الواقعة فيها

الواقعة من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك لتحقق كونها ووجودها، ليس لوقوعها إذا أراد الله صارف يصرفها، ولا دافع يدفعها، فلا بد أن تكون، تخفض أقوامًا إلى أسفل سافلين إلى الجحيم، وإن كانوا في الدنيا أعزاء، وترفع آخرين إلى أعلى عليين، إلى النعيم المقيم، وإن كانوا في الدنيا وضعاء، في ذلك اليوم تزلزل الأرض زلزالًا شديدًا فتهتز وتضطرب بطولها وعرضها، وتفتت الجبال فتا، فتكون كرهج الغبار يسطع ثم يذهب، فلا يبقى منه شيء، وتكون كالهباء الذي يطير من النار، إذا اضطرمت يطير منه الشرر، فإذا وقع لم يكن شيئًا، وينقسم الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أصناف قوم عن يمين العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيمن، ويؤتون كتبهم بأيمانهم، ويؤخذ بهم ذات اليمين، وهم جمهور أهل الجنة، وآخرون عن يسار العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيسر، ويؤتون كتبهم بشمائلهم، والعرب تسمي اليد اليسرى الشؤمى، ويؤخذ بهم ذات الشمال، وهم عامة أهل النار، وطائفة سابقون بين يدي الله وهم أخص وأحظى وأقرب من أصحاب اليمين الذين هم سادتهم، فيهم الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء، وهم أقل عددًا من أصحاب اليمين؛ وهم المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمروا، وهم المقرّبون إلى جزيل ثواب الله، وعظيم كرامته، والذين قربت درجاتهم، وأعليت مراتبهم عند الله فهم مقرّبون عند الله في جنات النعيم، منهم جماعة من صدر هذه الأمة، وقليل من آخر هذه الأمة، وأمة محمد ﷺ هم الأولون يوم القيامة وهم نصف أهل الجنة والسابقون في الجنة على سرر منسوجة بالذهب، ومشبكة بالدر والياقوت، وجوه بعضهم إلى بعض، ليس أحد وراء أحد.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ
﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ
﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ
ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا
تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ
﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا
مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ
أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ
وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ
عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ
ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾

السابقون من أهل الجنة يطوف عليهم في الجنة ولدان على صفة واحدة، لا يكبرون عنها ولا يشيبون ولا يتغيرون، بأكواب وهي الكيزان التي لا خراطيم لها ولا آذان، وبالأباريق، وهي التي جمعت الوصفين، والكؤوس المليئة من خمر من عين جارية معين، لا تصدع رؤوسهم ولا تنزف عقولهم، بل هي ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة، ويطوفون عليهم بما يتخيرون من الثمار، وإذا نزع ثمرة في الجنة، عادت مكانها أخرى، ومما يشتهون من لحوم الطير، وطير الجنة كأمثال الإبل، يرعى في شجر الجنة، فطيرها ناعمة كما أهلها ناعمون، ويطاف عليهم بحور عين في القصور والخيام، كأنهن اللؤلؤ الرطب في بياضه وصفائه، مجازاة لهم على ما أحسنوا من العمل، لا يسمعون في الجنة كلامًا غثًّا خاليًا عن المعنى، أو مشتملًا على معنى حقير أو ضعيف، ولا كلامًا فيه قبح، إلا التسليم منهم بعضهم على بعض، وكلامهم سالم من اللغو والإثم، وأما أصحاب اليمين وهم الأبرار وحالهم ومآلهم في سدر لا شوك فيه موقر بالثمر، قد جعل مكان كل شوكة ثمرة، فإنها تنبت ثمرًا تفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونًا من الطعام، ما فيها لون يشبه الآخر، وفي طلح منضود وهو الموز المتراكب المصفوف، وفي ظل ممدود، ففي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، وظل الجنة لا ينقطع، ليس فيها شمس ولا حر، مثل قبل طلوع الفجر، وفي ماء يجري في غير أخدود، وهي أنهار الجنة، وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة في الألوان ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، كلما رزقوا منها من ثمرة رزقًا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل، يشبه الشكل الشكل، ولكن الطعم غير الطعم، لا تنقطع شتاء ولا صيفًا، بل أكلها دائم مستمر أبدًا، مهما طلبوا وجدوا، لا يمتنع عليهم بقدرة الله شيء، ولا يمنعهم من تناولها عود ولا شوك ولا بعد، وفرشهم في الجنة عالية وطيئة ناعمة، ارتفاعها كما بين السماء والأرض، ونساؤهم في الدنيا يرجعن أبكارًا، حسنة التبعل، والتحبب للأزواج، وحسنة الكلام، في سن واحدة، ثلاث وثلاثين سنة، خلقن لأصحاب اليمين، وادخرن لأصحاب اليمين، وأصحاب اليمين من هذه الأمة جماعة من الأولين وجماعة من الآخرين، وأما أصحاب الشمال، فهواء حار، وماء حار، وفي ظل الدخان الأسود، ليس طيب الهبوب ولا حسن المنظر، ولا كريم المنظر لأنهم كانوا في الدار الدنيا منعمين مقبلين على لذات أنفسهم، لا يقبلون ما جاءتهم به الرسل، وكانوا يصممون على الكفر بالله، وجعل الأوثان والأنداد أربابًا من دون الله، وكانوا يكذبون بالبعث، ولا ينوون توبة، ويقولون مكذبين به مستبعدين لوقوعه أئذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا أئنا لمبعوثون وما علموا أن الأولين والآخرين من بني آدم سيجمعهم الله إلى عرصات القيامة، لا يغادر منهم أحدًا، في وقت محدد، لا يتقدم ولا يتأخر، ولا يزيد ولا ينقص.

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾
فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ
شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا
تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ
ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾
عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ
عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ
﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ
حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ
﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ
أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ
﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ
نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ
﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ
بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾



جزاء الضالين المكذبين يوم القيامة في النار الأكل من شجر الزقوم حتى يملئوا منها بطونهم، فيشربون عليه من الماء الحار كأنهم في شربهم شرب الإبل العطاش، فلا يروون من الحميم أبدًا، هذا ضيافتهم عند ربهم يوم حسابهم.

فالله هو الذي ابتدأ خلق الإنسان بعد أن لم يكن شيئًا مذكورًا، أفليس الذي قدر على البداءة بقادر على الإعادة بطريق الأولى والأحرى؛ فهل يصدقون بالبعث، فالمني الذي يخرج من الرجل والمرأة ومنه يخلق الانسان هو خلق الله، وليس خلق الإنسان، وهو سبحانه الذي قدر الأعمار، وكتب الآجال، وساوى فيها بين أهل السماء والأرض، ولم يعجزه ذلك، فيكتب الموت على الصغير والكبير والشريف والوضيع، والذكر والأنثى، وهو القادر على أن يخلق غيرهم بعد موتهم ويجعل لهم من الصفات والأحوال، وقد تيقن العباد أن الله أنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئًا مذكورًا، فخلقهم وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة، فهلا يتذكرون ويعرفون أن الذي قدر على هذه النشأة، قادر على النشأة الأخرى، وهي الإعادة بطريق الأولى والأحرى، والعباد عاجزون عن تحصيل مصالحهم من الحراثة والزراعة، فشق الأرض وإثارتها والبذر فيها فعل الإنسان فمن الذي هداه لذلك، هو الله ﷻ، وهل يستطيع الإنسان إخراج الثمرة، فهو سبحانه الذي يخرج ثمرتها، فهو الذي أنبتها بلطفه ورحمته، وأبقاها لعباده رحمة بهم، ولو شاء الله لأيبسها قبل استوائها وحصادها، ولأصبح العباد يتعجبون فيما نزل بهم في زرعهم، ويقولون لقد ذهب المال بفساد الزرع، وحرمنا رزقنا بذهاب زروعنا، ومن عجز الإنسان وقلة حيلته هذا الماء الذي يشرب منه وهو قوام حياته، هل هو الذي أنزله من السحاب أم الله ﷻ، ولو شاء الله لجعله مرًّا لا يصلح لشرب ولا زرع، فهل يشكر العباد نعمة الله عليهم في إنزاله المطر عليهم عذبًا زلالًا، وهذا الشجر الذي يوقد الناس عليه طعامهم ومصالحهم، متاع للحاضر والمسافر، لكل طعام لا يصلحه إلا النار، وما يستخرج منه النار، وللعرب شجرتان: إحداهما المرخ، والأخرى العفار، إذا أخذ منهما غصنان أخضران فحك أحدهما بالآخر، تناثر من بينهما شرر النار، فهل الإنسان هو الذي خلقها وأوجدها أم الله الواحد القهار؟ هذه النار التي تذكر النار الكبرى، وهي جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم، فسبحان الذي بقدرته خلق هذه الأشياء المختلفة المتضادة الماء العذب الزلال البارد، ولو شاء لجعله ملحًا أجاجًا كالبحار المغرقة، وخلق النار المحرقة، وجعل ذلك مصلحة للعباد، وجعل هذه منفعة لهم في معاش دنياهم، وزاجرًا لهم في المعاد، وأقسم الله بمواقع النجوم مطالعها ومشارقها ومنازلها، وهذا القسم الذي أقسم الله به قسم عظيم، لو يعلمون عظمته لعظموا المقسم به عليه، وهو القرآن العظيم.

إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا
ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ
أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوۡلَآ
إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ
إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ
﴿٨٦﴾ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ
﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ
ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ
ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٩٣﴾ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ
﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سُورَةُ الحَدِيدِ

ترتيبها ٥٧ — آياتها ٢٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلۡكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٢﴾
هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

أقسم الله بمواقع النجوم على شرف القرآن وعظمته، فهو كتاب معظم في كتاب معظم محفوظ موقر، ومن تعظيمه أنه لا يمسه إلا الطاهر، فلا يمس القرآن إلا طاهر، وهو منزل من الله رب العالمين، فما يكذب بهذا القرآن إلا كافر أو منافق، ومن الكفر عدم شكر الله على نعمه فمن يقول مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بالله مؤمن بالكواكب، فنسبة النعمة إلى غير المنعم بها كفر وجحود، وفي الساعة الحاسمة والنهاية الفاصلة حين تبلغ الروح الحلق، وذلك وقت الاحتضار، وأهله حوله ينظرون، إلى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت، والملائكة الذين يقبضون روحه أقرب إلى الميت منهم، ولكن لا يرونهم، فإن كانوا غير مصدقين أنهم يدانون ويبعثون ويجزون، ويحاسبون فليردوا هذه النفس، التي قد بلغت الحلقوم إلى مكانها الأول، ومقرها في الجسد، وأحوال الناس عند احتضارهم على ثلاثة أحوال إما أن يكون من المقربين، أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين، وإما أن يكون من المكذبين الضالين عن الهدى، الجاهلين بأمر الله؛ فالمقربون الذين فعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات، لهم روح وريحان، وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت، وتقول لهم ملائكة الرحمة أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب الذي كنت تعمرينه، اخرجي إلى روح وريحان، ورب غير غضبان، راحة وريحان، وجنة ورخاء، فمن مات من المقربين حصل له الرحمة والراحة والاستراحة، والفرح والسرور والرزق الحسن، فإذا بشر بذلك أحب لقاء الله ﷻ، والله ﷻ للقائه أحب، نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم ووالدينا وأهلينا وذرياتنا والمسلمين، وأما إن كان المحتضر من أصحاب اليمين، تبشرهم الملائكة بالسلامة، وتسلم عليهم، وأما إن كان المحتضر من المكذبين بالحق، الضالين عن الهدى، فضيافتة الحميم الذي يصهر به ما في بطونهم والجلود، وتغمره النار من جميع جهاته، فهذا الخبر الحق اليقين الذي لا مرية فيه، ولا محيد لأحد عنه، فسبحان الله العظيم.

سورة الحديد

وهي سورة مدنية، سميت بذلك لذكر الحديد فيها

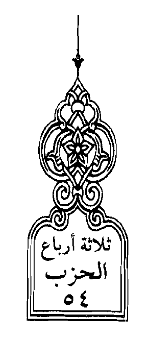
يسبح لله ما في السموات والأرض، من الحيوانات والنباتات، وكل شيء يسبح بحمده ولكن لا نفقه تسبيحهم.

وهو سبحانه العزيز الذي قد خضع له كل شيء، والحكيم في خلقه وأمره وشرعه، وهو المالك المتصرف في خلقه فيحيي ويميت، ويعطي من يشاء ما يشاء، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو الأول فليس قبله شيء وهو الآخر فليس بعده شيء، وهو الظاهر فليس فوقه شيء وهو الباطن فليس دونه شيء، وهذه الأسماء الأربعة متقابلة في الزمان والمكان، تفيد إحاطة الله ﷻ بكل شيء أولًا وآخرًا وكذلك في المكان ففيه الإحاطة الزمانية والإحاطة المكانية، وهو سبحانه المحيط بعلمه بكل شيء جملة وتفصيلًا.

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

الله ﷻ هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش بعد خلقهن، يعلم عدد ما يدخل في الأرض من حب وقطر، وما يخرج منها من زرع ونبات وثمار، ويعلم ما ينزل من السماء من الأمطار، والثلوج والبرد، والأقدار والأحكام مع الملائكة الكرام، وما يصعد إليها من الملائكة والأعمال، فيرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، وهو مع عباده رقيب عليهم، شهيد على أعمالهم حيثما كانوا، من بر أو بحر، في ليل أو نهار، في البيوت أو القفار، الجميع في علمه على السواء، وتحت بصره وسمعه، فيسمع كلامهم ويرى مكانهم، ويعلم سرهم ونجواهم، وهو سبحانه المالك للدنيا والآخرة، وهو المحمود على ذلك، فجميع ما في السماوات والأرض ملك له، وأهلهما عبيد أرقاء أذلاء بين يديه وإليه المرجع يوم القيامة، فيحكم في خلقه بما يشاء، وهو العادل الذي لا يجور ولا يظلم مثقال ذرة، بل إن يكن أحدهم عمل حسنة واحدة يضاعفها إلى عشرة أمثالها، وهو سبحانه المتصرف في الخلق، يقلب الليل والنهار ويقدرهما بحكمته كما يشاء، فتارة يطول الليل ويقصر النهار، وتارة بالعكس، وتارة يكونان معتدلين، وتارة يكون الفصل شتاء ثم ربيعًا ثم قيظًا ثم خريفًا، وكل ذلك بحكمته وتقديره لما يريده بخلقه، وهو العالم بالسرائر وإن دقت، وإن خفيت، والمؤمنون يؤمنون بالله ورسوله على الوجه الأكمل، ويسألون ربهم الدوام والثبات على ذلك والاستمرار، وينفقون من الأموال التي استخلفهم الله عليها فهي عارية الله عندهم، فإن المال قد كان في أيدي من قبلهم ثم صار إليهم، فيستعمل المؤمن المال في طاعة الله، فإن لم يفعل حاسبه الله عليه، والذي ينفق المال ابتغاء وجه الله وفي مرضاة الله له الأجر العظيم والجزاء الجزيل من الله تعالى، ومن الذي يمنع المشركين من الإيمان والرسول بين أظهرهم، يدعوهم إلى ذلك ويبين لهم الحجج والبراهين على صحة ما جاءهم به، وقد أخذ الله عليهم الميثاق وهم في صلب آدم، بالإيمان بالله وحده لا شريك له، وقد أنزل الله على عبده الحجج الواضحات، والدلائل الباهرات، والبراهين القاطعات، لتكون سببًا في إخراج العباد من ظلمات الجهل والكفر والآراء المتضادة إلى نور الهدى واليقين والإيمان، وهو سبحانه رءوف رحيم بعباده في إنزاله الكتب وإرساله الرسل لهداية الناس، وإزاحة العلل وإزالة الشبه، والإنفاق ابتغاء مرضاة الله سبب للعيش الرغيد والحياة الطيبة والفوز بمرضاة الله فالمؤمنون ينفقون ولا يخشون الفقر والإقلال، فيما أنفقوه في سبيله، وهو مالك السموات والأرض، وبيده مقاليدهما، وعنده خزائنهما، فمن توكل على الله أنفق، ولم يخش من ذي العرش إقلالًا، وعلم أن الله سيخلفه عليه، ولا يستوي من أنفق قبل فتح مكة، وكانت الحال شديدة، وكان في نفقتهم نصرة للإسلام، ومن أنفق بعد الفتح، لأنه بعد الفتح ظهر الإسلام ظهورًا عظيمًا، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وقد وعد الله الجميع من أنفق قبل الفتح وبعده الثواب على ما عملوا، ووعدهم بالجنة وإن كان بينهم تفاوت في تفاضل الجزاء، والله عليم خبير، فاوت بين ثواب من أنفق من قبل الفتح وقاتل، ومن فعل ذلك بعد ذلك، وما ذلك إلا لعلمه بقصد الأول وإخلاصه التام، وإنفاقه في حال الجهد والقلة والضيق، ومن أنفق في سبيل الله بنية خالصة وعزيمة صادقة، سواء نفقة واجبة أو مستحبة فقد تقرب إلى الله تعالى، له بذلك مضاعفة الحسنات.

يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾



المؤمنون يوم القيامة يسعى نورهم بين أيديهم في عرصات القيامة، بحسب أعمالهم، يمرون على الصراط، منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نورًا من نوره في إبهامه يتقد مرة ويطفأ مرة، وكل الناس يعطون نورًا يوم القيامة، فإذا انتهوا إلى الصراط طفئ نور المنافقين، فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم كما طفئ نور المنافقين، فيقولون: ربنا، أتمم لنا نورنا، ويعرف النبي ﷺ أمته بنورهم يسعى بين أيديهم، وبأيمانهم كتبهم، ويقال لهم: لكم البشارة بجنات تجري من تحتها الأنهار، ماكثين فيها أبدًا، وحين ينطفيء نور المنافقين والمنافقات وينظرون للمؤمنين يسرع بهم نورهم إلى الجنة يقولون: انتظرونا نستضيء بنوركم فتقول لهم الملائكة: ارجعوا إلى الدنيا، فالتمسوا النور الذي وجده المؤمنون، وهو الإيمان، والأعمال الصالحة، فيضرب بينهم بسور له باب، باطنه فيه نور المؤمنين وظاهره ظلمة المنافقين، فينادي المنافقون المؤمنين: أما كنا معكم في الدار الدنيا، نشهد معكم الجمعات، ونصلي معكم الجماعات، ونقف معكم بعرفات، ونحضر معكم الغزوات، ونؤدي معكم سائر الواجبات، فأجاب المؤمنون المنافقين قائلين لهم: بلى، قد كنتم معنا، ولكنكم فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي والشهوات وأخرتم التوبة من وقت إلى وقت، وتربصتم بالحق وأهله، وشككتم بالبعث بعد الموت وغرتكم الدنيا، وما زلتم في هذا حتى جاء الموت وغركم بالله الشيطان، فكنتم على خدعة من الشيطان، وما زالوا عليها حتى قذفهم الله في النار، فكانوا معهم بأبدان لا نية لها ولا قلوب معها، وإنما كانوا في حيرة وشك فكانوا يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلًا، فلو جاء أحدهم اليوم بملء الأرض ذهبًا ومثله معه ليفتدى به من عذاب الله، ما قبل منه، ومصيرهم النار وإليها منقلبهم، وهي أولى بهم من كل منزل على كفرهم وارتيابهم، وبئس المصير، ودعوة من الله لعباده المؤمنين أن تلين قلوبهم عند الذكر والموعظة وسماع القرآن، فتفهمه وتنقاد له وتسمع له وتطيعه، ولا يتشبهون بالذين حملوا الكتاب قبلهم من اليهود والنصارى لما تطاول عليهم الأمد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم واشتروا به ثمنًا قليلًا ونبذوه وراء ظهورهم، وأقبلوا على الآراء المختلفة، وقلدوا الرجال في دين الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، فعند ذلك قست قلوبهم، فلا يقبلون موعظة، ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد، فخرجوا عن طاعة ربهم، فقلوبهم فاسدة، وأعمالهم باطلة، فالله تعالى يلين القلوب بعد قسوتها، ويهدي النفوس بعد ضلالها، ويفرج الكروب بعد شدتها، فكما يحيي الأرض الميتة المجدبة الهامدة بالغيث، كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل، ويولج إليها النور بعدما كانت مقفلة لا يصل إليها الواصل، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الإضلال، والمضل لمن أراد بعد الكمال، الذي هو لما يشاء فعال، وهو الحكم العدل في جميع الفعال، اللطيف الخبير الكبير المتعال، والذين ينفقون الأموال على أهل الحاجة والفقر والمسكنة، ويتصدقون بها ابتغاء وجه الله بنية خالصة لا يريدون جزاء ممن أعطوه ولا شكورًا يضاعف الله لهم أموالهم في الدنيا، والأجور في الآخرة، يقابل لهم الحسنة بعشر أمثالها، ويزداد على ذلك إلى سبعمائة ضعف وفوق ذلك، ولهم ثواب جزيل حسن، ومرجع صالح ومآب كريم.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ
عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ
بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٩ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ
ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ
وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ
مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ
مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠
سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ
وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ
ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١ مَآ أَصَابَ
مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ
مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا
تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ
لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ
ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٤

وصف المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون، يصدقون بموعود الله ويؤمنون بما أخبر به رسول الله ﷺ من الأمور الغيبية المستقبلية، وصدّقوا جميع رسل الله، والقائمون لله سبحانه بالتوحيد، والشهداء وهم الذين قتلوا في سبيل الله عند ربهم في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى قناديل تحت العرش، ولهم عند ربهم أجر جزيل ونور عظيم يسعى بين أيديهم، وهم في ذلك يتفاوتون بحسب ما كانوا في الدار الدنيا من الأعمال، والذين جمعوا بين الكفر وتكذيب الآيات في النار يعذبون بها، ولا أجر لهم ولا نور، بل عذاب مقيم وظلمة دائمة، فهم يعيشون في الباطل وغفلة عن الآخرة، وتزين بمتاع الدنيا من دون عمل للآخرة، وتفاخر فيما بين الناس بالخلقة والقوّة، والمال والجاه، والأنساب والأحساب، وتكاثر بالأموال والأولاد، والحياة الدنيا حقيرة لا تساوي عند الله شيئًا فهي زهرة فانية ونعمة زائلة، كالمطر الذي يأتي بعد قنوط الناس، يعجب الزراع نبات هذا المطر ثم يجف ذلك الزرع فتراه مصفرًا بعدما كان خضرًا نضرًا، ثم يكون يبسًا متحطمًا، وهكذا الحياة الدنيا تكون أولًا شابة، ثم تكتهل، ثم تكون عجوزًا شوهاء، والإنسان كذلك في أول عمره وعنفوان شبابه غضًا طريًا لين الأعطاف، بهي المنظر، ثم إنه يشرع في الكهولة فتتغير طباعه وتضعف قواه، ثم يكبر فيصير شيخًا كبيرًا، ضعيف القوى، قليل الحركة، يعجزه الشيء اليسير، فلا عيش إلا عيش الآخرة، وليس في الآخرة إلا عذاب شديد، أو مغفرة من الله ورضوان، والحياة الدنيا متاع فإنها تغر من ركن إليها، فتعجبه حتى يعتقد أنه لا دار سواها ولا معاد وراءها، وهي حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة، والمؤمنون الصادقون هم الذين يبادرون إلى الخيرات، من فعل الطاعات، وترك المحرمات، التي تكفر عنهم الذنوب والزلات، وتحصل لهم الثواب والدرجات، فيتسابق الصادقون في مضمار الطاعة، ليصلوا إلى المغفرة، وإلى جنة عرضها كعرض السماء والأرض، وهي فضل الله ومنته على عباده وإحسانه إليهم، نسأل الله أن لا يحرمنا فضله ووالدينا وأهلينا وذرياتنا والمسلمين.

فما يصيب الانسان من مصيبة في الآفاق وفي نفسه، إلا في كتاب من قبل أن يخلق الله الخليقة ويبرأ النسمة، فكل في كتاب، وعلم الله تعالى الأشياء قبل كونها وكتابته لها وفق ما يوجد في حينها سهل على الله ﷻ؛ لأنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وذلك ليعلم العباد أن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، فلا يأسوا على ما فاتهم، فإنه لو قدر شيء لكان، ولا يسروا بما جاءهم، ولا يفخروا على الناس بما أنعم الله به عليهم، فإن ذلك ليس بسعيهم ولا كدهم، وإنما هو عن قدر الله ورزقه لهم، فلا يتخذوا نعم الله أشرًا وبطرًا، يفخرون بها على الناس؛ فالله لا يحب كل مختال في نفسه متكبر فخور على غيره، وليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن يجعل الفرح شكرًا والحزن صبرًا، والذين يبخلون بأداء حقوق الله عليهم، ولا ينفقون ما أمرهم الله به، ويحضون الناس على التفريط في حق الله، ومنع ما أمر الله به من النفقة، فإن الله غني عنه، وعن إنفاقه، وهو سبحانه المحمود في ذاته، لا يضره الإعراض عن شكره.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ
بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ
بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ
وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم
بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ
وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً
ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا
رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ
نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ
أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ
ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

أرسل الله الرسل بالمعجزات، والحجج الباهرات، والدلائل القاطعات، وأنزل معهم الكتاب هداية للناس، وشرع لهم العدل، ليتبعوا ما أمروا به من العدل، فيتعاملوا فيما بينهم بالعدل، ومن العدل اتباع الرسل فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا به، فإن الذي جاءوا به هو الحق الذي ليس وراءه حق، وجعل الله الحديد رادعًا لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه؛ ولهذا أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية، وكلها جدال مع المشركين، وبيان وإيضاح للتوحيد، وتبيان ودلائل، فلما قامت الحجة على من خالف، شرع الله الهجرة، وأمرهم بالقتال بالسيوف، وضرب الرقاب لمن خالف القرآن وكذب به وعانده، ففي الحديد من السلاح كالسيوف، والحراب، والسنان، والنصال، والدروع، وما استجد من صناعة السلاح قوة للحق، ومنافع للناس في معايشهم مما لا قوام للناس بدونه، والله يعلم من نيته في حمل السلاح نصرة الله ورسله، وهو القوي العزيز، ينصر من نصره من غير احتياج منه إلى الناس، وإنما شرع الجهاد ليبلو الناس ببعض، فمنذ أن بعث الله نوحًا ﷺ لم يرسل بعده رسولًا ولا نبيًّا إلا من ذريته، وكذلك إبراهيم ﷺ خليل الرحمن، لم ينزل من السماء كتابًا ولا أرسل رسولًا ولا أوحى إلى بشر من بعده إلا وهو من سلالته، حتى كان آخر أنبياء بني إسرائيل عيسى ابن مريم الذي بشر من بعده بمحمد صلوات الله وسلامه عليهما وأوحى الله إليه الإنجيل، وجعل في قلوب الحواريين خشية لله، ورحمة بالخلق، ومبالغة في العبادة، والانقطاع عن الناس وهي بدعة ابتدعها النصارى لم تشرع لهم، ولذلك حذر من البدع سيد ولد آدم محمد ﷺ ولو قصد بها التقرب، فإن النصارى قصدوا ببدعهم ابتغاء مرضاة الله، فما قاموا بها التزموه حق القيام، وقد ذمهم الله من وجهين: الابتداع في دين الله مما لم يأمر به الله، والثاني في عدم قيامهم بها التزموه مما زعموا أنه قربة يقربهم إلى الله ﷻ.

فالذين آمنوا بعيسى، وثبتوا على دينه حتى آمنوا بمحمد ﷺ لما بعثه الله، لهم الأجر العظيم من الله تبارك وتعالى، وأكثر النصارى خارجون عن الإيمان بما أمروا أن يؤمنوا به، ومن آمن من أهل الكتاب برسالة محمد ﷺ له أجره مرتين أجر بإيمانه برسوله، وبإيمانه بمحمد ﷺ وتصديقه.

ولما افتخر أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين وعد الله المؤمنين من هذه الأمة إذا آمنوا واتقوا، فلهم ما لأهل الكتاب من الأجر، فيجعل لهم ضعفين، من الأجر وزادهم، بأن يجعل لهم هدى يتبصرون به من العمى والجهالة، ويغفر لهم، ففضلهم بالنور والمغفرة، ليتحقق أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على رد ما أعطاه الله، ولا على إعطاء ما منع الله، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.



سُورَةُ المُجَادلَة

ترتيبها ٥٨ — آياتها ٢٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ
وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ
مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى
وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ
ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ
لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ
بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ
مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ
وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟
كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا
عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾



سورة المجادلة

وهي سورة مدنية، وسميت بذلك لذكر قصة المجادلة فيها

كانت خولة بنت ثعلبة زوجة لأوس بن الصامت، فقال لها: أنت علي كظهر أمي، ثم ندم على ما قال، وأتت رسول الله ﷺ، وعائشة ﵂ تغسل شق رأسه، فقالت: يا رسول الله إن زوجي أوس بن الصامت ظاهر مني وقد ندم، فقال رسول الله ﷺ: حرمت عليه، فقالت: إن لي صبية صغارًا إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إليَّ جاعوا، فسمع الله سبحانه كلامها مع رسوله فأنزل حكم الظهار.

قالت عائشة: تبارك الذي وسع سمعه الأصوات كلها إن المرأة لتحاور رسول الله ﷺ وأنا في ناحية البيت أسمع بعض كلامها ويخفى علي بعض، فسمع الله صوت التي تخاصم نبيه وتحاوره وتراجعه في زوجها وتشتكي إلى الله حالها، والله سميع لمن يناجيه ويتضرع إليه، وبصير بمن يشكو إليه، وصورة الظهار أن يقول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي، أو أنت مني أو معي أو عندي كظهر أمي، وكذلك لو قال: أنت علي كبطن أمي أو كرأس أمي أو كيد أمي، أو قال: بطنك أو رأسك أو يدك علي كظهر أمي أو شبه عضوًا منها بعضو آخر من أعضاء أمه فيكون ظهارًا، والظهار كذب وزور، ومنكر لأنه على غير حقيقته، فالذين يجعلون زوجاتهم كأمهاتهم الحقيقة أنهن لسن بأمهات لهم، وما أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم، وقد عفا الله عن المظاهر وغفر له بإيجاب الكفارة عليه، وحكم الظهار أنه يحرم على الزوج مجامعة زوجته بعد الظهار ما لم يكفِّر، والكفارة تجب قبل العود للجماع، وهي: إعتاق رقبة مؤمنه من قبل أن يمسها بالجماع، فمن لم يجد الرقبة، فيجب عليه صيام شهرين متتابعين، فمن لم يستطع الصوم أطعم ستين مسكينًا لكل مسكين نصف صاع من الطعام.

وكفارة الظهار مرتبة يجب عليه عتق رقبة مؤمنة، فإن لم يجد فعليه صيام شهرين متتابعين، فإن أفطر يومًا متعمدًا يجب عليه استئناف الشهرين، فإن عجز عن الصوم يجب عليه أن يطعم ستين مسكينًا، وهذه الأحكام أتى بها الرسول ﷺ من الله ﷻ، يجب تصديقها والعمل بها، وهي حدود الله يحرم ارتكابها، ويحرم تجاوزها، وأما من كفر بالأحكام، وجحد فله العذاب الأليم في الآخرة، والذين يعادون الله ورسوله ويشاقون ويخالفون أمرهما أذلهم الله وأخزاهم، وأهانهم كما أذل الله من قبلهم وقد أنزل الله آيات واضحات لا يخالفها ولا يعاندها إلا كافر فاجر مكابر، وله يوم القيامة عذاب يهينه لأنه استكبر عن اتباع شرع الله، والانقياد له، والخضوع لديه، ويوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيخبرهم بالذي صنعوا من خير وشر حفظه الله عليهم، وهم قد نسوا ما كانوا عليه، والله لا يغيب عنه شيء ولا يخفى ولا ينسى شيئًا.

أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾

الله سبحانه علمه محيط بخلقه يراهم ويسمع كلامهم، ولا يخفى عليه شيء منهم حيث كانوا وأين كانوا، فما يكون من سر ثلاثة إلا هو رابعهم بعلمه، ولا خمسة إلا هو سادسهم بعلمه، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم بعلمه، أين ما كانوا يطلع عليهم يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم، والملائكة يكتبون ما يتناجون به، مع علم الله وسمعه لهم، وكان بين النبي ﷺ وبين اليهود موادعة، وكانوا إذا مر بهم رجل من أصحاب النبي ﷺ جلسوا يتناجون بينهم، حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله، أو بما يكره المؤمن، فإذا رأى المؤمن ذلك خشيهم، فترك طريقه عليهم، فنهاهم النبي ﷺ عن النجوى، فلم ينتهوا وعادوا إلى النجوى، وتحدثوا فيما بينهم بالإثم وبالعدوان، وهو ما يتعلق بغيرهم، ومنه معصية الرسول ومخالفته، يصرون عليها ويتواصون بها، وإذا جاءوا إلى رسول الله ﷺ قالوا السام عليك يا أبا القاسم، فيقول رسول الله ﷺ: وعليكم، ويقولون في أنفسهم: لو كان هذا نبيًا حقًا لعذبنا الله بما نقول له في الباطن؛ لأن الله يعلم ما نسره، ولأوشك أن يعاجلنا الله بالعقوبة في الدنيا، فكانت عقوبتهم أن جهنم كفايتهم في الدار الآخرة يدخلونها فبئس المرجع، ونهى الله عباده المؤمنين أن يكونوا مثل الكفرة والمنافقين يتناجون بأسباب الإثم والاعتداء على الآخرين، وأمرهم بالتناجي بأسباب البر والعمل الصالح، وملازمة تقوى الله الذي يجمع العباد يوم القيامة فيخبرهم بجميع أعمالهم وأقوالهم التي أحصاها عليهم، والمسارة بين الناس من تسويل الشيطان وتزيينه، ليحزن المؤمن ويسوءه، وليس ذلك بضاره شيئًا إلا بإذن الله، ومن أحس من ذلك شيئًا فليستعذ بالله وليتوكل على الله، فإنه لا يضره شيء بإذن الله، والواجب على المؤمنين إذا كانوا ثلاثة ألا يتناجى اثنان دون الثالث، فإن هذا الأمر يحزنه، ومن الآداب التي أمر بها المؤمنون التفسح في المجالس، والتوسعة في المجلس، وعدم التضايق فيه ومن امتثل الأمر وفعل ما أمر به وسع الله له في الجنة، وفي كلّ ما يريد التفسح فيه من المكان والرزق وغيرهما، ومن الآداب أنه إذا قيل لهم انهضوا إلى أمر من الأمور الدينية، فلينهضوا ولا يتثاقلوا، فينهضون إلى الصلاة، والجهاد، وعمل الخير، فيجيبون إذا دعوا إلى أمر بمعروف، ويرفع الله الذين آمنوا على من لم يؤمن درجات، ويرفع الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا درجات، فمن جمع بين الإيمان والعلم رفعه الله بإيمانه درجات، ثم رفعه بعلمه درجات، والعلم فضيلة يهبها الله من شاء من عباده، وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، والعلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر، والله سبحانه لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد من خير وشرّ، فهو مجازيهم بالخير خيرًا وبالشر شرًّا.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٦﴾ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢١﴾

ربع الحزب ٥٥

أمر الله عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم أن يسار رسول الله ﷺ فيما بينه وبينه أن يقدم بين يدي ذلك صدقة تطهره وتزكيه وتؤهله لأن يصلح لهذا المقام؛ إلا من عجز عن ذلك لفقده فالله غفور رحيم بعباده لا يكلف نفسًا إلا وسعها، ونسخ هذا الحكم، وأمروا إن كان وقع منهم التثاقل عن امتثال الأمر بتقديم الصدقة بين يدي النجوى، فليثبتوا على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله، فيما يؤمرون به وينهون عنه، ونهى الله المؤمنين من موالاة الكافرين، فإن المنافقين يوالون الكفار في الباطن، وهم في نفس الأمر لا معهم ولا مع المؤمنين، ويحلفون على الكذب وهم عالمون بأنهم كاذبون فيما حلفوا، وهي اليمين الغموس، ولا سيما في مثل حالهم، عياذًا بالله منه، فإنهم كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، وإذا جاءوا الرسول حلفوا بالله له إنهم مؤمنون، وقد أرصد الله لهم على هذا الصنيع العذاب الأليم على أعمالهم السيئة، وهي موالاة الكافرين ونصحهم، ومعاداة المؤمنين وغشهم؛ فهم أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، واستتروا بالأيمان الكاذبة، فظن كثير ممن لا يعرف حقيقة أمرهم صدقهم فاغتر بهم، فحصل بهذا صد عن سبيل الله لبعض الناس، فلهم في يوم القيامة العذاب الذي يهينهم ويخزيهم، ولن يدفع عنهم العذاب الأموال والأولاد إذا جاءهم، وهم أصحاب النار لا يفارقونها، ويوم يحشرهم الله يوم القيامة عن آخرهم فلا يغادر منهم أحدًا، فيحلفون بالله ﷻ، أنهم كانوا على الهدى والاستقامة، كما كانوا يحلفون للناس في الدنيا؛ لأن من عاش على شيء مات عليه وبعث عليه، ويعتقدون أن ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم عند الناس، فيجرون عليهم الأحكام الظاهرة؛ وقد غلب عليهم واستعلى واستولى الشيطان على قلوبهم حتى أنساهم ذكر الله ﷻ، وكذلك يصنع بمن استولى عليه، فهم جنود الشيطان وأتباعه ورهطه، وهم الكاملون في الخسران؛ لأنهم باعوا الجنة والهدى بالضلالة، وكذبوا على الله وعلى نبيه وحلفوا الأيمان الفاجرة في الدنيا والآخرة، والذين يجانبون الحق ويشاقون أحكام الله، هم الأشقياء المبعدون المطرودون عن الصواب، الأذلون في الدنيا والآخرة، وقد كتب الله الذلة والصغار لمن خالف أمره، وقد حكم القوي العزيز أنه الغالب لأعدائه، وكتب في كتابه الأول وقدره الذي لا يخالف ولا يمانع ولا يبدل، بأن النصرة له ولكتابه ولرسله ولعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة، وأن العاقبة للمتقين، وهذا قدر محكم وأمر مبرم، وهي سنة الله في نصر المؤمنين، وخذلان الكافرين؛ لأن الله أراد أن يكون رسوله ﷺ غالبًا لأعدائه وذلك من آثار قدرة الله التي لا يغلبها شيء وقد كتب الله لجميع رسله الغلبة على أعدائهم، فغلبتهم من غلبة الله، ولا يشك المؤمن في أنَّ وعد الله حق، وأن الذين يحادون الله ورسوله هم الأذلون، وأن الله ورسله هم الغالبون، وأن هذا كائن لا محالة.

لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

سورة الحشر

ترتيبها ٥٩ — آياتها ٢٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾

الولاء والبراء أوثق عرى الإيمان، فالمؤمنون الصادقون هم الذين لا يجدون في قلوبهم محبة للكفار، ولو كان هؤلاء الكفار آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم، وقد كتب الله لهم السعادة وقررها في قلوبهم وزين الإيمان في بصيرتهم، وقواهم في الحق، فلهم الجنات التي تجري الأنهار من خلالها لا يبغون عنها حولًا، وكتب الله لهم الرضوان.

لأنهم لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله عوضهم الله بالرضا عنهم، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم، والفوز العظيم، والفضل العميم، فهم عباد الله وأهل كرامته، لهم الفلاح والسعادة والنصرة في الدنيا والآخرة.

سورة الحشر

وهي سورة مدنية، سميت بذلك لذكر الحشر فيها، وتسمى سورة بني النضير

جميع ما في السموات وما في الأرض من شيء يسبح لله ويمجده ويقدسه، ويصلي له ويوحده، ولكن لا نفقه تسبيحهم والله هو العزيز والحكيم في قدره وشرعه، وهو سبحانه الذي أخرج يهود بني النضير من ديارهم لأول أرض المحشر وهي الشام، وقد كان رسول الله ﷺ لما قدم المدينة هادنهم وأعطاهم عهدًا وذمة، على ألا يقاتلهم ولا يقاتلوه، فنقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه، وأرادوا أن يقتلوه، فأحل الله بهم بأسه الذي لا مرد له، وأنزل عليهم قضاءه الذي لا يصد، فأجلاهم النبي ﷺ وأخرجهم من حصونهم الحصينة التي ما طمع فيها المسلمون، وظن اليهود أن حصونهم مانعتهم من بأس الله، فما أغنى عنهم من الله شيئًا، وجاءهم ما لم يكن ببالهم، فقذف الله في قلوبهم الخوف والهلع والجزع، وسيرهم رسول الله وأجلاهم من المدينة، فكان منهم طائفة ذهبوا إلى أذرعات من أعالي الشام، وهي أرض المحشر والمنشر، ومنهم طائفة ذهبوا إلى خيبر، وكان قد أنزلهم منها على أن لهم ما حملت إبلهم، فكانوا يخربون ما في بيوتهم من المنقولات التي لا يمكن أن تحمل معهم؛ وفي ذلك عبرة وفكرة في عاقبة من خالف أمر الله وخالف رسوله وكذب كتابه، كيف يحل به من بأسه المخزي له في الدنيا، مع ما يدخره له في الآخرة من العذاب الأليم، ولولا أن كتب الله عليهم النفي من ديارهم وأموالهم، لكان لهم عند الله عذاب آخر من القتل والسبي ونحو ذلك، وإنما قدر الله لهم الجلاء دون التعذيب في الدنيا لمصلحة اقتضتها حكمته، وهي أن يأخذ المسلمون أرضهم وديارهم وحوائطهم دون إتلاف من نفوس المسلمين مما لا يخلو منه القتال لأن الله أراد استبقاء قوة المسلمين لما يستقبل من الفتوح، فليس تقدير الجلاء لهم لقصد اللطف بهم وكرامتهم وإن كانوا قد آثروه على الحرب، وإنما لمصلحة المؤمنين، ولهم في الآخرة العذاب الأليم في النار.

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

سلط الله على يهود بني النضير رسوله ﷺ وعباده المؤمنين؛ لأنهم خالفوا الله ورسوله، وكذبوا بما أنزل الله على رسله المتقدمين في البشارة بمحمد ﷺ، وهم يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم، وكذا الميل مع الكفار، ونقض العهد، ومن يعادي الله ورسله والمؤمنين فله العذاب الشديد، ولما حاصرهم رسول الله ﷺ أمر بقطع نخيلهم إهانة لهم، وإرهابًا وإرعابًا لقلوبهم، فبعث بنو النضير يقولون لرسول الله ﷺ: إنك تنهى عن الفساد، فما بالك تأمر بقطع الأشجار، فجاء الرد عليهم في القرآن: ما قطع وما ترك من الأشجار فالجميع بإذن الله ومشيئته وقدرته ورضاه، وفيه نكاية بالعدو، وخزي لهم، وإرغام لأنوفهم، والتحريق والقطع راجع إلى ولي الأمر إن كان ينكي في العدو فيشرع وإن كان لا يضر العدو فتركه أولى، ومما شرع الله أخذه من الكفار من الأموال غير الغنائم الفيء، وهو كل مال أخذ من الكفار بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب، كأموال بني النضير، فإنها لم يقاتل المسلمون الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة، بل نزل أولئك من الرعب الذي ألقى الله في قلوبهم من هيبة رسول الله ﷺ، فأفاءه الله على رسوله؛ ولهذا تصرف فيه كما شاء، فرده على المسلمين في وجوه البر والمصالح، والله على كل شيء قدير لا يغالب ولا يمانع، بل هو القاهر لكل شيء، وما أفاء الله على رسوله من جميع البلدان التي تفتح هكذا، فحكمها حكم أموال بني النضير: فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، فهذه مصارف أموال الفيء ووجوهه.

وكانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله، فكانت لرسول الله ﷺ خالصة فكان ينفق على أهله منها نفقة سنته، وما بقي يجعله في الكراع والسلاح في سبيل الله ﷻ، وقد جعل الله هذه المصارف لمال الفيء لئلا يبقى مأكلة يتغلب عليها الأغنياء ويتصرفون فيها بمحض الشهوات والآراء، ولا يصرفون منها شيئًا إلى الفقراء، والواجب على المسلمين امتثال أوامر الرسول ﷺ واجتناب ما نهى عنه، فإنه إنما يأمر بالخير، وينهى عن الشر، وعلى المسلم التزام التقوى في امتثال أوامرالله وترك زواجره؛ فإنه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأباه، وارتكب ما عنه زجره ونهاه، والفقراء المستحقين لمال الفيء، هم الذين خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه، ونصروا الله ورسوله، فصدقوا قولهم بفعلهم، وهؤلاء هم سادات المهاجرين، والذين سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم، من كرمهم وشرف أنفسهم، يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم، ولا يجدون في أنفسهم حسدًا للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف، والتقديم في الذكر والرتبة، ويقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم، ويبدءون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك، فآثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه، ومن سلم من الشح فقد أفلح وأنجح.

نصف الحزب ٥٥

وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا
وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا
غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى
ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ
ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ
أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ
﴿١١﴾ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ
وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾
لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ
لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى
مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۢۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ
جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴿١٤﴾
كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ
أَلِيمٞ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ
قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾

القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفيء هم المهاجرون ثم الأنصار، ثم التابعون بإحسان، المتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة، الداعون لهم في السر والعلانية؛ يحبون أصحاب محمد ﷺ ويترضون عنهم، ويترحمون عليهم ويذكرون محاسنهم، ويكفون عما شجر بينهم فيما هم فيه مجتهدون، ولا يحملون على مؤمن غلًّا، ولا حسدًا، ولا حقدًا، فقلوبهم سليمة طاهرة نقية، فأفضل الناس كل مخموم القلب التقي النقي؛ لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد، وأما المنافق الخائن الغادر حامل الحقد والحسد، الذي يتربص بالمؤمنين الدوائر، فهم في الأزمات ينحازون إلى الكفار، فهذا عبد الله بن أبي ومن معه من المنافقين، بعثوا إلى يهود بني النضير يعدونهم النصر من أنفسهم، والخروج معهم إن أُخرجوا، وهم كاذبون فيما وعدوهم به إما أنهم قالوا لهم قولًا من نيتهم ألا يفوا لهم به، وإما أنهم لا يقع منهم الذي قالوه؛ لأنهم من أجبن الناس وأخوفهم من المسلمين، والمنافقون واليهود يخافون من المسلمين أكثر من خوفهم من الله، فهم من جبنهم وهلعهم لا يقدرون على مواجهة جيش الإسلام بالمبارزة والمقابلة، بل إما في حصون أو من وراء جدر محاصرين، فيقاتلون للدفع عنهم ضرورة، وعداوتهم فيما بينهم شديدة، يراهم المسلم مجتمعين فيحسبهم مؤتلفين، وهم مختلفون غاية الاختلاف، فأهل الباطل مختلفة آراؤهم مختلفة شهاداتهم، مختلفة أهواؤهم، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحقّ وهذا الاختلاف والتشتت بسبب أنهم قوم لا يعقلون شيئًا، ولو عقلوا؛ لعرفوا الحقّ واتبعوه، وتلك طبيعة أهل النفاق، الخيانة والغدر، والاجتماع على محاربة أهل الحق، فالمنافقون على مر التاريخ، يضعون أيديهم بأيدي الأعداء ضد المسلمين، فهم يعدون الخطط في طمس الإسلام والقضاء على أهله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، والواجب على أهل الحق أن يرفعوا بدين الإسلام رأسًا، ولا يستسلموا لأعدائهم من المنافقين والكفار، فإن الله قضى وحكم بنصرة جنده وحزبه، وقد نصر الله أولياءه، وهزم أعداءه، كمثل ما أصاب كفار قريش يوم بدر، ويهود بني قينقاع، وقد أجلاهم رسول الله ﷺ قبل بني النضير، فذاقوا سوء عاقبة كفرهم في الدنيا، بالقتل والإجلاء من ديارهم، وفي الآخرة لهم العذاب الأليم، ومثل هؤلاء اليهود في اغترارهم بالذين وعدوهم النصر من المنافقين كمثل الشيطان إذ سول للإنسان والعياذ بالله الكفر، فإذا دخل فيما سوله تبرأ منه وتنصل، فيعتبر المسلم فلا يستسلم للشيطان، ويأخذ حذره منه، ويسد جميع طرقه إليه بالإغواء والإغراء.

ويتسلح بالالتجاء إلى ربه، بأن يحفظه من الشيطان الرجيم، ويكثر من الأخذ بأسباب الحفظ من الشيطان الرجيم التي أرشد إليها الرسول الكريم صلوات ربي وسلامه عليه.

فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

سورة الممتحنة

ترتيبها ٦٠ — آياتها ١٣

الشيطان عدو الإنسان، لا يزال به حتى يكفر بالله تعالى، فتكون عاقبة الآمر بالكفر والفاعل له أنهما في نار جهنم خالدين فيها، وهذا جزاء كل ظالم لنفسه بالشرك، والمسلم الحق هو من يلتزم تقوى الله تعالى في السر والعلن، ويعد نفسه للمستقبل الأخروي فيحاسب نفسه قبل أن تحاسب، وينظر ماذا ادخر لنفسه من الأعمال الصالحة ليوم معاده وعرضه على ربه، والله عالم بجميع أعمال العباد وأحوالهم لا تخفى عليه منهم خافية، ولا يغيب عنه من أمورهم جليل ولا حقير، وعلى العباد ألا ينسوا ذكر الله، فينسيهم الله العمل لمصالح أنفسهم التي تنفعهم في معادهم، فإن الجزاء من جنس العمل؛ ومن يفعل ذلك فهو من الخارجين عن طاعة الله، الهالكين يوم القيامة، الخاسرين يوم معادهم، فلا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة في حكم الله يوم القيامة، فأصحاب الجنة هم الناجون المسلمون من عذاب الله، ﷻ، الذين آمنوا بالقرآن وخشعت قلوبهم له وذرفت عيونهم عند سماعه، هذا القرآن الذي تتصدع منه الجبال الراسيات، فإن الجبل في غلظته وقساوته، لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه، لخشع وتصدع من خوف الله ﷻ، فكيف يليق بالبشر ألا تلين قلوبهم وتخشع وتتصدع من خشية الله، وقد فهموا عن الله أمره وتدبروا كتابه، فهو الله الذي لا إله إلا هو فلا رب غيره، ولا إله بحق في الوجود سواه، وكل ما يعبد من دونه باطل، يعلم جميع الكائنات المشاهدات للعباد والغائبات عنهم فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء من جليل وحقير وصغير وكبير، حتى الذر في الظلمات، وهو ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات، فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، وهو المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة، وهو القدوس الطاهر الذي تقدس وتنزه عن النقائص والعيوب، والسلام الذي سلم من جميع العيوب والنقائص؛ بكماله في ذاته وصفاته وأفعاله، وهو المؤمن الذي أمن خلقه من أن يظلمهم، وصدق عباده المؤمنين في إيمانهم به، وهو المهيمن الشاهد على خلقه بأعمالهم، والرقيب عليهم، وهو العزيز الذي قد عز كل شيء فقهره، وغلب الأشياء فلا ينال جنابه؛ لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه؛ الجبار الذي لا تليق الجبرية إلا له، ولا التكبر إلا لعظمته، وهو المصلح لأمور خلقه، المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم، وهو المتكبر عن كل سوء، تنزه الله عما يقوله أهل التعطيل والإلحاد والإشراك، وهو الخالق الذي أوجد عباده من العدم، وهو البارئ الذي خلق الخلق على صفة وفطرهم عليها، وهو المصور الذي صور خلقه كيف شاء على صور مختلفة، له الأسماء الحسنى البالغة في الحسن غايته؛ لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه ينزهه ويقدسه ما في السماوات والأرض، وهو العزيز الذي لا يرام جنابه والحكيم في شرعه وقدره.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١ إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ٢ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٤ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٥



سورة الممتحنة

وهي سورة مدنية، وسميت بذلك لذكر امتحان النساء في إيمانهن فيها

نهى الله عباده المؤمنين عن اتخاذ الكافرين المحاربين لله ولرسوله وللمؤمنين أولياء وأصدقاء وأخلاء، يوصلون بالمودّة والمحبة، وشرع الله عداوتهم ومصارمتهم، وقد كفروا بالقرآن وأخرجوا الرسول من مكة والمؤمنين بسبب إيمانهم، وكراهة ما هم عليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده؛ فمن خرج مجاهدًا في سبيل الله، مبتغيًا لمرضاته، مهاجرًا إلى الله ورسوله، فلا يوال أعداء الله، وقد أخرجوا المؤمنين من ديارهم وأموالهم، والله هو العالم بالسرائر والضمائر والظواهر، فمن يوال أعداء الله، ويلق إليهم بالمودّة، فقد أخطأ طريق الحق والصواب، وضلّ عن قصد السبيل، فإنهم لو قدروا على المؤمنين لم يسلم المؤمنون من آذاهم بالمقال والفعال، وتمنوا ارتدادهم، وودّوا رجوعهم إلى الكفر وحرصوا على ألا ينالوا خيرًا، ولن ينفع المؤمن أقاربه من الكفار ولا أولاده الذين يوالي الكفار لأجلهم، بل الذي ينفعه هو ما أمره الله به من معاداة الكفار وترك موالاتهم، وفي يوم القيامة لا تنفع الأرحام ولا الأولاد، فكلّ منهم يفرّ من الآخر من شدّة الهول، وفي يوم القيامة يفرّق بينهم، فيدخل أهل الطاعة الجنة، وأهل المعصية النار، والله لا يخفى عليه شيء من أقوال العباد وأفعالهم، فهو مجازيهم على ذلك، وللمؤمنين قدوة في إبراهيم وأتباعه الذين آمنوا معه، إذ تبرءوا من قومهم، ومن دينهم وطريقتهم، وأعلنوا لهم العداوة والبغضاء ما داموا على كفرهم إلى أن يوحدوا الله فيعبدوه وحده لا شريك له، ويخلعوا ما يعبدون معه من الأنداد والأوثان، وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه وقد نُهي المؤمنون عن الاستغفار للمشركين، ولو كانوا قرباتهم لأنهم ماتوا على الشرك، والشرك محبط للأعمال وهنا يتحقق الولاء للمؤمنين والبراءة من المشركين، والبراءة من المشركين لا تعني ظلمهم وبخسهم حقوقهم من المعاهدين والمستأمنين وغيرهم؛ لأن لهم ذمة وعهدًا، ولا يعني معاهدة الكافر حبه ومودته، وإنما يعاهد ويتعامل معه في التجارة مع البغض والكراهية، والمؤمن يلجأ إلى الله فهو وليه وناصره كما قال إبراهيم والذين معه حين فارقوا قومهم وتبرءوا منهم لجئوا إلى الله وتضرعوا إليه بالتوكل عليه في جميع أمورهم، وسلموا أمورهم إليه، فإليه المرجع والمعاد في الدار الآخرة، وسألوا ربهم ألا يظهر الكفار عليهم، ولا يسلطهم عليهم، فيصدوا عن دين الله، وأن يستر ذنوبهم عن غيره، ويعف عنها فيما بينهم وبينه، إنه العزيز الذي لا يضام من لاذ بجنابه، والحكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ
وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم
مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ
﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم
مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ
مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ
فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم
مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ
وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ
ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ
شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ
أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

الاقتداء بالأنبياء وأتباعهم، طريق المتقين، الذين يرجون ثواب الله ويخافون عقابه، ومن تولى عن الاقتداء بهم، فإن الله غني عنه وعن عمله، فهو الغني الذي كمل في غناه، ليس له كفء، وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهار، وهو المحمود في جميع أفعاله وأقواله، لا إله غيره، ولا رب سواه، وهو القادر على هداية الكفار فتنقلب البغضاء إلى محبة والنفرة إلى ألفة، وهو سبحانه الذي يغفر للكافرين كفرهم إذا تابوا منه وأنابوا إلى ربهم وأسلموا له، وهو الغفور الرحيم لكل من تاب إليه من أي ذنب كان، والإحسان إلى الكفار المسالمين الذين لا يقاتلون المسلمين، كالنساء والضعفة منهم جائز شرعًا، فيحسن إليهم، والعدل فيما بينهم وبين المسلمين من الوفاء بالعهد فالهدية للكافر المسالم وصلته بالمال مما أباحه الإسلام، وإنما ينهى الله عن موالاة الذين ناصبوا العداوة للمؤمنين فقاتلوهم وأخرجوهم، وعاونوا على إخراجهم، ومن تولاهم فهو ظالم لنفسه، والمولاة كبيرة من كبائر الذنوب والتولي كفر وهو مظاهرة المشرك ومعونته على المؤمن، وليعلم أن من ظاهر المشركين لا يكفر، بل ينظر في أمره فقد يكون مكرهًا مرغمًا على ذلك، وكان من شرط صلح الحديبية الذي وقع بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش، ألا يأتي المسلمين من أهل مكة أحد وإن كان على دين الإسلام إلا رده الرسول ﷺ، فأمر الله عباده المؤمنين إذا جاءهم النساء مهاجرات أن يمتحنوهن، فإن علموهن مؤمنات فلا يرجعوهن إلى الكفار، لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن، وكان اختبارهن أن يستحلفن بالله ما أخرجكن النشوز وما أخرجكن إلا حب الإسلام وأهله، فإذا قلن ذلك قبل ذلك منهن، ولا ترجع إلى الكفار لأنها لا تحل للكافر، ويعطى زوجها الكافر مهره الذي قد أعطاه للمؤمنة، وأباح الله نكاحهن للمسلمين، وإن كان لهن أزواج في دار الكفر لأن الإسلام فرق بينهن وبين أزواجهن الكفار، ونهى الله المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات، فمن كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها، فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما، وإن لحقت امرأة من المسلمين بالمشركين مرتدة فليسأل زوجها المسلم المهر ممن تزوجها منهم، وليسأل المشركون الذين لحقت أزواجهم بالمسلمين ما دفعوا من المهر ممن تزوجها من المسلمين، وهذا هو حكم الله في الصلح واستثناء النساء منه، يحكم به بين خلقه، وهو عليم بما يصلح عباده حكيم في ذلك، وأما الكفار الذين ليس لهم عهد، إذا فرت إليهم امرأة ولم يدفعوا إلى زوجها شيئًا، فإذا جاءت منهم امرأة لا يدفع إلى زوجها شيء، حتى يدفع إلى زوج الذاهبة إليهم مثل نفقته عليها.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ
بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ
بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ
فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ
﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ
قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الصَّفِّ

ترتيبها ٦١ — آياتها ١٤

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ
﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾
كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم
بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴿٤﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ
تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا
زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾

بايع النبي ﷺ المؤمنات بالكلام ولم يصافحهن لأن مصافحة المرأة الأجنبية لا تجوز، شرط عليهن ألا يشركن بالله شيئًا، لأن الشرك ظلم عظيم، ولا يسرقن لأن السرقة لا تليق بالمسلمة، ولا يزنين لأن الزنا من كبائر الذنوب، ولا يقتلن أولادهن لأن ذلك من أمر الجاهلية، ولا يلحقن بأزواجهنّ ولدًا ليس منهم، ولا يعصين رسول الله ﷺ فلا يمزقن الثياب ويخدشن الوجوه، ويقطعن الشعور، ويدعون بالثبور، وألا يحدثن الرجال إلا أن تكون ذات محرم، وبالأخص إذا كان في خضوع من القول، ونهى الله عباده عن موالاة الكافرين من اليهود والنصارى وسائر الكفار، ممن غضب الله عليهم ولعنهم واستحق من الله الطرد والإبعاد، فكيف يوالونهم ويتخذونهم أصدقاء وأخلاء وقد يئسوا من ثواب الآخرة ونعيمها في حكم الله ﷻ، كما يئس الكفار أن يرجع إليهم أصحاب القبور الذين ماتوا.

سورة الصف

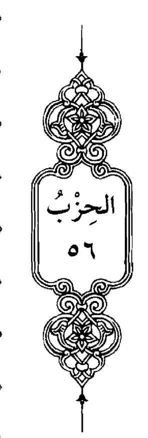
وهي سورة مدنية سميت بذلك لوصف حال المؤمنين فيها عند القتال

كل من في السماوات ومن في الأرض ينزهون الله ويقدسونه عن النقائص، وهو سبحانه العزيز الحكيم، وأرشد الله عباده المؤمنين بأدب موافقة القول العمل، ولا يخلف عمل المؤمن قوله، ومن ذلك الوفاء بالعهد والوعد، فإن الله يبغض بغضًا شديدًا أن يقول الإنسان ما لا يعمل، أو يتحدث الإنسان عن نفسه أنه عمل وهو لم يعمل، والله يحب عباده المؤمنين إذا اصطفوا مواجهين لأعداء الله، يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله، لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه هو الظاهر العالي على سائر الأديان أن يكون صفهم ملتصق بعضه في بعض، كأنهم بنيان مثبت، لا يزول، ملصق بعضه ببعض، ويخبر الله عن عبده ورسوله وكليمه موسى بن عمران ﷺ أنه قال لقومه، لم توصلون الأذى إلي وأنتم تعلمون صدقي فيما جئتكم به من الرسالة، فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به، أزاغ الله قلوبهم عن الهدى، وأسكنها الشك والحيرة والخذلان، وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ فيما أصاب من الكفار من قومه وغيرهم، وأمر له بالصبر؛ وفيه نهي للمؤمنين أن ينالوا من النبي ﷺ أو يوصلوا إليه أذى، فإن إيذاء النبي ﷺ من أسباب غضب الله، سواء كان بالقول والفعل، فمن آذى النبي ﷺ فقد آذى الله، ومن أطاعه فقد أطاع الله، ومن آذى أصحاب رسول الله ﷺ فقد آذى رسول الله ﷺ، ومن آذى رسول الله ﷺ فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه.

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَـٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

أرسل الله نبيه وعبده عيسى ابن مريم إلى بني إسرائيل مصدقًا لما بين يديه من التوراة التي قد بشرت به، وهو مبشر بمن بعده، وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي المدني أحمد، الذي لا رسالة بعده ولا نبوة، وما بعث الله نبيًا إلا أخذ عليه العهد لئن بعث محمد وهو حي ليتبعنه، وأخذ عليه أن يأخذ على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليتبعنه وينصرنه.

ولما جاءهم أحمد، المبشر به في العصور المتقدمة، المنوه بذكره في القرون السالفة، وظهر أمره وجاء بالبينات قال الكفرة والمخالفون، ما جاء به سحر، فلا أحد أظلم ممن يفتري الكذب على الله، ويجعل له أندادًا وشركاء، وهو يدعى إلى التوحيد والإخلاص؛ ويحاول أن يرد الحق بالباطل، ويريد إبطال القرآن والإسلام، بأقواله الخارجة من فيه، والله متم نور الإسلام والقرآن بإظهاره في الآفاق وإعلائه على غيره، ولوكره الكفار ظهور الإسلام، والله أرسل رسوله محمدًا بالملة الحقة، ملة الإسلام؛ ليجعله ظاهرًا على جميع الأديان عاليًا عليها غالبًا لها، ولو كره المشركون ذلك، فإنه كائن لا محالة، وليبلغن هذا الدين ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزًّا يعز الله به الإسلام، وذلًا يذل الله به الكفر، وأعظم التجارة المتاجرة في العمل الصالح وهي التجارة العظيمة التي لا تبور، والتي هي محصلة للمقصود ومزيلة للمحذور، فالإيمان بالله والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس، ومنه جهاد النفس وجهاد المنافقين، وذلك خير من تجارة الدنيا، وهذه التجارة سبب لمغفرة السيئات والزلات، ودخول الجنات، والمساكن الطيبات، والدرجات العاليات، وهذا أعظم فوز يناله الإنسان، ويزيد الله أهل التجارة الرابحة العلو في الدنيا بالنصر على الأعداء والتمكين في الأرض، والفتوحات المتتابعة العاجلة فتلك الزيادة هي خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة، لمن أطاع الله ورسوله، ونصر الله ودينه؛ وهذا أعظم ما تقرُّ به عيون المؤمنين الموحدين الذين ينصرون دين الله، تلك وصية الله لعباده المؤمنين بأن يكونوا أنصار الله في جميع أحوالهم، بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم، وأن يستجيبوا لله ولرسوله، كما استجاب الحواريون لعيسى حين طلب منهم من يعينه في الدعوة إلى الله ﷻ، فقال أتباع عيسى ﵇ نحن أنصارك على ما أرسلت به ومؤازروك على ذلك؛ ولهذا بعثهم دعاة إلى الناس في بلاد الشام في الإسرائيليين واليونانيين، وهكذا كان رسول الله ﷺ يقول في أيام الحج من رجل يؤويني حتى أبلغ رسالة ربي، فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي، حتى قيض الله ﷻ له الأوس والخزرج من أهل المدينة، فبايعوه وآزروه، ومنعوه من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم، فلما هاجر إليهم بمن معه من أصحابه وفوا له بما عاهدوا الله عليه؛ ولهذا سماهم الله ورسوله الأنصار، وصار ذلك علمًا عليهم ﵃ وأرضاهم، ولما بلغ عيسى ابن مريم ﵇ رسالة ربه إلى قومه، ونصره من ناصره من الحواريين، اهتدت طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم به، وضلت طائفة فخرجت عما جاءهم به، وجحدوا نبوته، ورموه وأمه بالعظائم، وهم اليهود، وغلت فيه طائفة ممن اتبعه، حتى رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة، وافترقوا فرقًا وشيعًا، فمن قائل منهم إنه ابن الله، وقائل إنه ثالث ثلاثة: الأب، والابن، وروح القدس، ومن قائل إنه الله، فنصر الله من آمن به على من عاداه من فرق النصارى، فأصبحوا ظاهرين عليهم، وأيد الله أتباع محمد ﷺ على جميع الملل والنحل.



سُورَةُ الجُمُعَةِ

ترتيبها ٦٢ — آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾



سورة الجمعة

وهي سورة مدنية ، سميت بذلك لذكر الجمعة فيها

ينزه الله ويقدسه كل ما في السموات وما في الأرض، من جميع المخلوقات ناطقها وجامدها، وهو مالك السموات والأرض المتصرف فيهما بحكمه، وهو القدوس المنزه عن النقائص، الموصوف بصفات الكمال، العزيز الحكيم، وهو الذي بعث في الأميين وهم العرب، من كان يحسن الكتابة منهم ومن لا يحسنها؛ لأنهم لم يكونوا أهل كتاب، والأميّ في الأصل الذي لا يكتب ولا يقرأ المكتوب، وكان غالب العرب كذلك، وتخصيص الأميين بالذكر لا ينفي من عداهم، ولكن المنة عليهم أبلغ وآكد، ولا ينافي عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه إلى جميع الخلق أحمرهم وأسودهم، وبعثة النبي الخاتم ﷺ إجابة الله لخليله إبراهيم حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولًا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، فبعثه الله ﷻ وله الحمد والمنة، على حين فترة من الرسل، واشتداد الحاجة إليه، وقد مقت الله أهل الأرض عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب، ممن تمسك بما بعث الله به عيسى ابن مريم ؛ فقد كان العرب قديمًا، متمسكين بدين إبراهيم الخليل فبدلوه وغيروه، واستبدلوا بالتوحيد شركًا، وباليقين شكًّا، وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله، وكذلك أهل الكتابين قد بدلوا كتبهم وحرفوها، فبعث الله محمدًا صلوات الله وسلامه عليه بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق، فيه هدايتهم، والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم، والدعوة لهم إلى ما يقربهم إلى الجنة ورضا الله عنهم، والنهي عما يقربهم إلى النار وسخط الله، وهو فاصل لجميع الشبهات والريب في الأصول والفروع، ويطهرهم من الشرك والوثنية، ويهذب نفوسهم وطبائعهم، ويعلمهم القرآن والسنة، وجمع له تعالى جميع المحاسن ممن كان قبله، وأعطاه ما لم يعط أحدًا من الأولين، فصلوات الله وسلامه عليه، وأرسله إلى العرب وغيرهم من الأعاجم وجميع الأمم ولهذا كتب ﷺ كتبه إلى فارس والروم وغيرهم من الأمم، يدعوهم إلى الله ﷻ، وهو عليه الصلاة والسلام نبي إلى قيام الساعة، والله ذو العزة والحكمة في شرعه وقدره، وما أعطاه الله محمدًا ﷺ من النبوة العظيمة، وما خص به أمته من بعثته ﷺ إليهم فضل الله من فضله به وفضل أمته، وقد أعطى الله اليهود التوراة لتكون هداية لهم، فلم يعملوا بها، فمثلهم في ذلك، كمثل الحمار إذا حمل كتبًا لا يدري ما فيها، فهو يحملها حملًا حسيًّا ولا يدري ما عليه، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه، حفظوه لفظًا ولم يفهموه ولا عملوا بمقتضاه، بل أولوه وحرفوه وبدلوه، فهم أسوأ حالًا من الحمير؛ لأن الحمار لا فهم له، وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها؛ فبئس مثلهم أن شبهوا بالحمار بل هم أضل والله لا يوفق للهداية من ظلم نفسه بالإعراض عن هداية الله، وقد كان اليهود يدَّعون لأنفسهم الهداية، فقيل لهم: إن كنتم تزعمون أنكم على هدى، وأن محمدًا وأصحابه على ضلالة، فادعوا بالموت على الضال من الفئتين، إن كنتم صادقين فيما تزعمونه، ولأن من علم أنه من أهل الجنة أحبّ الخلوص من هذه الدار فيصير إلى الكرامة، ولن يتمنوا الموت أبدًا لعلمهم، ما هم عليه من الكفر والظلم والفجور، والله عليم بهم، ولن يتمنوا الموت لأنهم أحرص الناس على الحياة، والموت الذي يفرون منه يلاقيهم في طريق الفرار، وكل شيء تفر منه تبعد عنه إلا الموت فإنك تفرعنه إليه لأنك في فرارك تقرب إليه وهو قدر الله عليك، فاليهود مهما فروا من الموت فلن يؤخر ذلك من عذابهم، فإنهم سيصيرون إلى الله الذي يعلم سرهم وجهرهم، فيجدون ما عملوا من الأعمال القبيحة، أمامهم، ويجازيهم عليها.

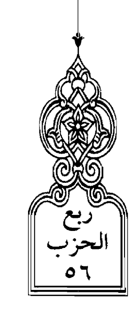
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

ترتيبها ٦٣ — آياتها ١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾



أمر الله تعالى عباده بإقامة صلاة الجمعة، وسميت الجمعة جمعة؛ لأنها مشتقة من الجمع، فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مرة، وفيه كمل جميع الخلائق، فإنه اليوم السادس من الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض، وفيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها خيرًا إلا أعطاه إياه، والأمم قبلنا أمروا به فضلوا عنه، واختار اليهود يوم السبت الذي لم يقع فيه خلق، واختار النصارى يوم الأحد الذي ابتدئ فيه الخلق، واختار الله لهذه الأمة يوم الجمعة الذي أكمل الله فيه الخليقة، فنحن الآخرون السابقون يوم القيامة، وقد أمر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجمعة، فيقصد المسلم الصلاة ويعمد إليها ويهتم بها، ويسعى بقلبه وعمله، ويستحب لمن جاء الجمعة أن يغتسل قبل مجيئه إليها، ويستحب له أن يلبس أحسن ثيابه، ويتطيب ويتسوك، ويتنظف ويتطهر، ويبكر إليها، فإذا نودي إليها النداء الثاني الذي كان يفعل بين يدي رسول الله ﷺ إذا خرج فجلس على المنبر حرم البيع الشراء، وقد اتفق العلماء رحمهم الله على تحريم البيع بعد النداء الثاني، ويؤمر بحضور الجمعة الرجال الأحرار دون النساء والعبيد والصبيان، ويعذر المسافر والمريض وقيم المريض، وما أشبه ذلك من الأعذار، وترك البيع والإقبال إلى ذكر الله وإلى الصلاة خير للمسلم في الدنيا والآخرة، فإذا فرغ من الصلاة، جاز البيع والشراء والتكسب والانتشار في الأرض، ولا ينس المسلم ذكر الله حال بيعه وشرائه، وأخذه وعطائه، ولا تشغله الدنيا عن الذي ينفعه في الدار الآخرة، وقد وقع من الصحابة الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التي قدمت المدينة، وكان معها طبل، فانصرفوا إليها وتركوا رسول الله ﷺ قائمًا على المنبر إلا القليل منهم، والذي عند الله من الثواب في الدار الآخرة، خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين لمن توكل عليه، وطلب الرزق في وقته، فمنه سبحانه يطلب الرزق، وإليه يتوسل بعمل الطاعة، فإن ذلك من أسباب تحصيل الرزق وأعظم ما يجلبه.

سورة المنافقون

وهي سورة مدنية وسميت بذلك لذكر المنافقين فيها

يخبر الله عن المنافقين إنهم إنما يتكلمون بالإسلام إذا جاءوا النبي ﷺ وحضروا عنده واجهوه بذلك، وأظهروا له ذلك فأما في باطن الأمر فليسوا كذلك، بل على الضد من ذلك، وهم كاذبون فيما أخبروا به، والله يعلم كذبهم وسيجازيهم، فهم يلبسون على الناس بالأيمان الكاذبة والحلف الآثم، ليصدقوا فيما يقولون، فاغتر بهم من لا يعرف جلية أمرهم، فاعتقدوا أنهم مسلمون، وتصديقهم الظاهر تقية يتقون به القتل، ويصدون عن الإسلام، وإنما قدر عليهم النفاق لرجوعهم عن الإيمان إلى الكفران، واستبدالهم الضلالة بالهدى فختم على قلوبهم فلا يصل إلى قلوبهم هدى، ولا يخلص إليها خير، فلا تعي ولا تهتدي، وهم وإن كانوا ذوي أشكالٍ حسنة وذوي فصاحة وألسنة، إذا سمعهم السامع يصغي إلى قولهم لبلاغتهم، فهم في غاية الضعف والخور والهلع والجزع والجبن، كلما وقع أمر أو كائنة أو خوف يعتقدون لجبنهم أنه نازل بهم فهم أشكال وصور بلا معانٍ، وهم الأعداء الحقيقون للإسلام، يجب على المسلمين أن يأخذوا حذرهم منهم، لعنهم الله وأخزاهم كيف يصرفون عن الهدى إلى الضلال.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ
وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ
لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ
خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ
﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ
مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ
ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ
أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ
ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم
مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ
إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن
يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

سُورَةُ التَّغَابُنِ

ترتيبها ٦٤ — آياتها ١٨



المنافقون بها في قلوبهم من الشك والشرك والكفر والاستهزاء، إذا دعوا أن يطلبوا من النبي ﷺ أن يستغفر لهم ويطلب الرحمة لهم من رب العالمين، ويدعو لهم صدوا وأعرضوا عما قيل لهم، استكبارًا عن ذلك، واحتقارًا وحولوا وجههم على اليمين، ونظروا بأعينهم شزرًا، فحرموا بركة استغفار النبي ﷺ لهم، فالاستغفار وعدمه سواء لا ينفعهم ذلك لإصرارهم على النفاق، واستمرارهم على الكفر، ومن خبث المنافقين قولهم لا تنفقوا عند الرسول، وفقراء المهاجرين عنده حتى يتفرّقوا عنه، وما علموا أن الله هو الرزاق لهؤلاء المهاجرين؛ لأن خزائن الرزق له فيعطي من شاء ما شاء، ويمنع من شاء ما شاء، ولكن المنافقين لا يعلمون أن خزائن الأرزاق بيد الله ﷻ، وأنه الباسط القابض المعطي المانع، ومن خبثهم قول عبد الله بن أبيّ رأس المنافقين، لئن رجعنا إلى المدينة بعد الغزو ليخرجن الأعز من المدينة الأذل، وعنى بالأعزّ نفسه ومن معه، وبالأذلّ رسول الله ﷺ ومن معه، وما علموا أن القوّة والغلبة لله وحده ولمن أفاضها عليه من رسله وصالحي عباده لا لغيرهم، ولكن المنافقين لا يعلمون ما فيه النفع فيفعلونه، وبما فيه الضرّ فيجتنبونه، بل هم كالأنعام لفرط جهلهم ومزيد حيرتهم، والطبع على قلوبهم، وجاء عبدالله بن عبدالله بن أبي إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلًا فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني، إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس، فأقتله، فأقتل مؤمنًا بكافر، فأدخل النار، فقال رسول الله ﷺ بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا، فوقف عبد الله بن عبد الله هذا على باب المدينة، واستل سيفه، فجعل الناس يمرون عليه، فلما جاء أبوه عبد الله بن أبي قال له ابنه، وراءك، فقال: ما لك ويلك، فقال: والله لا تجوز من ها هنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ، فإنه العزيز وأنت الذليل، فلما جاء رسول الله ﷺ، وكان يسير آخر الجيش فشكا إليه عبد الله بن أبي ابنه، فقال ابنه عبد الله، والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له، فأذن له رسول الله ﷺ، فقال أما إذ أذن لك رسول الله ﷺ فجز الآن، وأمر الله عباده المؤمنين بكثرة ذكره ونهاهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك، فإن من أشغلته الحياة الدنيا وزينتها عما خلق له من طاعة ربه وذكره، فإنه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، وأن الإنفاق في طاعة الله هو التجارة الرابحة ما دام في ساعة المهلة، فكل مفرط يندم عند الاحتضار، ويسأل طول المدة ولو شيئًا يسيرًا، يستعتب ويستدرك ما فاته، وهيهات، كان ما كان، وأتى ما هو آتٍ، وكل بحسب تفريطه، ولن يُنظر الله أحدًا بعد حلول أجله، وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقًا في قوله وسؤاله ممن لو رد لعاد إلى شر مما كان عليه.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ
وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾
يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ
فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ
رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى
ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى
لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ
وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ
يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ
صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾



سورة التغابن

وهي سورة مدنية، وقيل مكية، وسميت بذلك لذكر التغابن فيها

كل المخلوقات تسبح لبارئها ومالكها؛ المتصرف في جميع الكائنات، والمحمود على جميع ما يخلقه ويقدره، وهو على كل شيء قدير، مهما أراد كان بلا ممانع ولا مدافع، وما لم يشأ لم يكن، خلق عباده: كافر ومؤمن وتلك مشيئته وقدره، وجود مؤمن وكافر، وهو البصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلال، وهو شهيد على أعمال عباده، وسيجزيهم بها أتم الجزاء، خلق السماوات والأرض بالعدل والحكمة، وصور المخلوقات بأحسن الأشكال، وهو العالم بجميع الكائنات السماوية والأرضية والنفسية، في السر والعلن، وما تخفي الصدور، فتلك الأمم الماضية حل بها العذاب والنكال في مخالفة الرسل والتكذيب بالحق، فذاقوا عاقبة تكذيبهم ورديء أفعالهم، هذا في الدنيا من العقوبة والخزي، وفي الدار الآخرة العذاب الأليم فقد جاءتهم الرسل بالحجج والدلائل والبراهين، فاستبعدوا أن تكون الرسالة في البشر، وأن يكون هداهم على يدي بشر مثلهم، فكذبوا بالحق ونكلوا عن العمل، واستغنى الله عنهم وهو الغني عن عباده وهو المحمود على كل حال، ومن إفك المشركين والكفار والملحدين إنكارهم البعث بعد الموت، فأمر الله نبيه ﷺ أن يقسم بربه على بعثهم ثم يخبرون بجميع أعمالهم، جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها، والبعث والمجازة يسيرة على الله تعالى فما بعث العباد كلهم ومجازاتهم إلا كبعث نفس واحدة ومجازاتها، وأمر الله العباد بالإيمان برسوله ﷺ وبالقرآن وهو النور والضياء لمن آمن به واهتدى بهداه، والله لا تخفى عليه من أعمال العباد خافية، وفي يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، فيغبن فيه بعض أهل المحشر بعضًا، فيغبن فيه أهل الحق أهل الباطل، ويغبن فيه أهل الإيمان أهل الكفر، وأهل الطاعة أهل المعصية، ولا غبن أعظم من غبن أهل الجنة أهل النار عند دخول هؤلاء الجنة وهؤلاء النار، ونزولهم منازلهم التي كانوا سينزلونها لو لم يفعلوا ما يوجب النار، فأهل النار استبدلوا الخير بالشرّ، والجيد بالرديء، والنعيم بالعذاب، وأهل الجنة على العكس من ذلك، فلا خسارة أعظم من هذه الخسارة، وبيان ذلك أن المؤمنين بالله تعالى يكفِّر الله عنهم سيئاتهم ويغفرها لهم، ويدخلهم الجنات التي فيها الأنهار والنعيم يخلدون فيها أبد الآباد، وذلك هو الفوز والفلاح والنجاة التي هي أمنية المتقين، اللهم إنا نسألك الجنة ووالدينا وأهلينا وذرياتنا والمسلمين.

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾

سُورَةُ الطَّلَاقِ

ترتيبها ٦٥ — آياتها ١٢

الكفار الجاحدون المكذبون مصيرهم إلى جهنم بئس النزل نزلهم، وبئست النهاية نهايتهم، وذلك أعظم الخسران.

وكل ما يقع في الكون من المصائب هي قدر الله ومشيئته، ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله هدى الله قلبه، وعوضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه ويقينًا صادقًا،، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه، أو خيرًا منه.

ومن هداية الله لعبده أن يوفقه للاسترجاع فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون، فإذا مات ولد العبد قال الله لملائكته قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون نعم، فيقول قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون نعم، فيقول ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسموه بيت الحمد، وما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها إلا أخلف الله له خيرًا منها، وأمر الله بطاعته وطاعة رسوله فيما شرع، وفعل ما به أمر، وترك ما عنه نهى وزجر، فمن ترك العمل فما على الرسول إلا البلاغ، وعلى العباد ما حملوا من السمع والطاعة، فمن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم، والله هو الأحد الصمد، الذي لا إله غيره، وعلى العباد أن يوحدوه ويخلصوا العبادة له، ويتوكلوا عليه حق التوكل، ومن الأزواج والأولاد من هو عدو للإنسان يلهيه عن العمل الصالح، فليحذر المؤمن أن يصده أحد عن دينه، والأموال والأولاد اختبار وابتلاء من الله لخلقه، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، والله عنده يوم القيامة أجر عظيم، فيتقي الله المسلم فيهم ما استطاع، ويجعلهم عونًا له في طاعة الله إذا أحسن تربيتهم وتنشئتهم على الخير، والمسلم يبذل جهده وطاقته في القيام بما أمر به، وينقاد لما يأمره الله به ورسوله، ولا يحيد عنه يمنة ولا يسرة، ولا يتقدم بين يدي الله ورسوله، ولا يتخلف عما به أمر، ولا يرتكب ما عنه زجر، ويبذل ما رزقه الله على الأقارب والفقراء والمساكين وذوي الحاجات، والإحسان إلى خلق الله كما أحسن الله إليه، فيكون ذلك خيرًا له في الدنيا والآخرة.

ومن وقاه الله البخل فقد فاز وأفلح، ومهما أنفق الإنسان من شيء فإن الله يخلفه، ومهما تصدق بشيء فله جزاؤه، وهو بمنزلة القرض له، وهو سبب لتكفير السيئات، والله يشكر عباده فيجزي على القليل بالكثير وهو حليم يعفو ويصفح ويغفر ويستر، ويتجاوز عن الذنوب والزلات والخطايا والسيئات، يعلم غيب العباد وسرهم، كما يعلم علانيتهم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾



سورة الطلاق

وهي سورة مدنية، وسميت بذلك لذكر أحكام الطلاق فيها

الطلاق في الشرع حل قيد النكاح أو بعضه، وقد أمر الله النبي ﷺ والأمر لأمته أن يطلقوا النساء لعدتهن، والعدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه، أو حاملًا، فلا يطلقها وهي حائض ولا في طهر قد جامعها فيه، ولا يطلقها وهي نفساء، والطلاق ينقسم إلى طلاق سنة وطلاق بدعة، فطلاق السنة أن يطلقها طاهرًا من غير جماع، أو حاملًا قد استبان حملها، والبدعي أن يطلقها في حال الحيض، أو في طهر قد جامعها فيه، وطلاق ثالث لا سنة فيه ولا بدعة، وهو طلاق الصغيرة والآيسة، وغير المدخول بها، وقد أمر الله بحفظ عدة المطلقة في ابتدائها وانتهائها؛ لئلا تطول العدة على المرأة فتمتنع من الأزواج، مع تقوى الله في ذلك فلا تضار المطلقة، ولا تخبر المرأة بانتهاء عدتها وهي لم تنتهِ، ولا يخرجن من بيوتهن في مدة العدة، فلها حق السكنى على الزوج ما دامت معتدة منه، فليس للرجل أن يخرجها، ولا يجوز لها أيضا الخروج لأنها معتقلة لحق الزوج، وهذا في حق المطلقة الرجعية، ولا يخرجن من بيوتهن إلا أن ترتكب المرأة فاحشة مبينة، فتخرج من المنزل، والفاحشة المبينة هي الزنا، وتلك شرائع الله ومحارمه، ومن يخرج عنها ويتجاوزها إلى غيرها ولا يأتمر بها، فقد ظلم نفسه بفعل ذلك، وإنما شرع بقاء المطلقة الرجعية في منزل الزوج في مدة العدة، لعل الزوج يندم على طلاقها ويخلق الله في قلبه رجعتها، فيكون ذلك أيسر وأسهل، فإذا شارفت المعتدة على انقضاء العدة وقاربت ذلك، ولكن لم تفرغ العدة بالكلية، فحينئذ إما أن يعزم الزوج على إمساكها، وهو رجعتها إلى عصمة نكاحه والاستمرار بها على ما كانت عليه عنده، محسنًا إليها في صحبتها، وإما أن يعزم على مفارقتها، من غير مقابحة ولا مشاتمة ولا تعنيف، بل يطلقها على وجه جميل وسبيل حسن، ويشهد على الرجعة ذوي عدل إذا عزم عليها.

وما يأتمر بهذا إلا من يؤمن بالله وأنه هو الذي شرع هذا، ومن يخاف عقاب الله في الدار الآخرة، ومن يتق الله فيما أمره به وترك ما نهاه عنه، يجعل له من أمره مخرجًا، ويرزقه من جهة لا تخطر بباله، وينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة، ومن طلق كما أمره الله يجعل الله له مخرجًا، ومن أحسن التوكل على الله، فإن الله يكفيه ما أهمه ويسدده ويعينه، وقضاء الله في عباده نافذ يحكم بما يريد ويشاء، فكل شيء بقضاء الله وقدره، والمعتدات على أقسام: فمنهن من تعتد بالأشهر وهن الآيسة التي قد انقطع عنها الحيض لكبرها، والصغيرة التي لم تبلغ سن الحيض، فعدتهن ثلاثة أشهر، وكذلك المتوفى عنها زوجها تعتد أربعة أشهر وعشرة أيام، ومن المعتدات من تكون نهاية عدتها وضع حملها، وهي الحامل المطلقة أو الحامل المتوفى عنها، فمن كانت حاملًا فعدتها بوضعه، ومن المعتدات من تعتد بالحيض، وهي ثلاث حيض وهي المرأة المطلقة، وهي لا تزال تحيض، فهي ليست صغيرة ولا آيسة، ومن يلزم تقوى الله في جميع أموره يسهل له أمره، وييسره عليه، ويجعل له فرجًا قريبًا ومخرجًا عاجلًا، وهذا حكم الله وشرعه أنزله إلى عباده بواسطة رسول الله ﷺ، والتقوى سبب لتكفير السيئات ورفعة الدرجات، وذهاب المحذور، وجزيل الثواب.

أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ
عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ
فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن
تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ٦ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ
وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا
إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ٧ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ
عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا
عَذَابٗا نُّكۡرٗا ٨ فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا ٩
أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ
قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا ١٠ رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ
لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ
وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا
ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا ١١ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ
سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ
ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢

أمر الله عباده إذا طلق أحدهم المرأة أن يسكنها في منزله حتى تنقضي عدتها، ويكون ذلك المنزل على حسب طاقته وجهده ولا يضيق عليها لتفتدي منه بمالها أو تخرج من مسكنه، ولا يطلقها، فإذا بقي يومان من عدتها راجعها، وإن كانت المطلقة البائن حاملًا أنفق عليها حتى تضع حملها، فإذا وضعت المرأة المطلقة حملها، فقد بانت بانقضاء عدتها، ولها حينئذ أن ترضع الولد، ولها أن تمتنع منه، ولكن بعد أن تغذيه باللبأ، وهو باكورة اللبن الذي لا قوام للولد غالبًا إلا به، فإن أرضعت استحقت أجر مثلها، ولها أن تعاقد أباه أو وليه على ما يتفقان عليه من أجرة؛ بشرط أن تكون هذه الأمور فيما بينهم بالمعروف، من غير إضرار ولا مضارة، وإن اختلف الرجل والمرأة فطلبت المرأة أجرة الرضاع كثيرًا ولم يجبها الرجل إلى ذلك، أو بذل الرجل قليلًا ولم توافقه عليه، فليسترضع له غيرها، فلو رضيت الأم بما استؤجرت عليه الأجنبية فهي أحق بولدها، ولينفق على المولود والده أو وليه، بحسب قدرته، ومن ضيق عليه رزقه ولم يجد ما ينفق به على المولود فلا حرج عليه، لأن الله لا يكلف النفس بما لا تطيق، وبعد العسر يأتي اليسر وعدٌ من الله تعالى، ووعده حق لا يخلفه، وقد حل بالأمم السالفة العقوبات العظيمة لما خالفت أمر الله، وكذبت رسله، وسلكت غير ما شرعه، وتمردت وطغت واستكبرت عن اتباع أمر الله ومتابعة رسله، فذاقت عاقبة مخالفتها، وندموا حيث لا ينفعهم الندم، وكان أمرهم إلى الخسران والبوار في الدنيا، وفي الدار الآخرة، وفي ذلك عبرة لذوي الأفهام المستقيمة، لا يكونون مثلهم فيصيبهم ما أصابهم، فالمؤمنون يتعظون ويعتبرون بما قص الله في القرآن من العبر، ويتبعون الرسول المبلغ عن رب العالمين آياته البينات الواضحات، فيخرجهم الله من ظلمات الجهل والشرك إلى نور الإسلام باتباع الرسول صلوات الله وسلامه عليه، فللمؤمنين العاقبة الحميدة والوعد الحسن بدخول الجنات التي تجري تحتها الأنهار يخلدون فيها أبد الآباد، وقد وسع الله عليهم أرزاقهم في الجنة، والله سبحانه له القدرة التامة والسلطان العظيم خلق سبع سماوات طباقًا بعضها فوق بعض، وخلق سبع أرضين، ومماثلة الأرض للسماوات في خلقها دلالة على عظيم قدرة الله تعالى، وخلق الأرض ليس أضعف دلالة على القدرة من خلق السماوات لأن لكل منهما خصائص دالة على عظيم القدرة، يتنزل الأمر من السموات السبع إلى السبع الأرضين، وما يدبر فيهنّ من عجيب تدبير الله، فينزل المطر ويخرج النبات، ويأتي بالليل والنهار والصيف والشتاء، ويخلق الحيوانات على اختلاف أنواعها وهيئاتها، فينقلهم من حال إلى حال، ليعلم العباد كمال قدرة الله، وإحاطته بالأشياء، فالله قد أحاط بكل شيء علمًا، فلا يخرج عن علمه شيء منها كائنًا ما كان، فلا تخفى عليه خافية، في الأرض ولا في السماء.



سُورَةُ التَّحْرِيمِ

ترتيبها ٦٦ — آياتها ١٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ
وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا
فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍۖ
فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ
﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ
فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا
خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ
ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ
نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ
لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾



سورة التحريم

وهي سورة مدنية، وسميت بذلك لذكر تحريم النبي ﷺ على نفسه العسل

كان النبي ﷺ يشرب عسلًا عند زينب بنت جحش، ويمكث عندها، فتواطأت عائشة وحفصة على أيتهن دخل عليها، فلتقل له أكلت مغافير، إني أجد منك ريح مغافير، والمغافير شئ شبيه بالصمغ يكون في الرمث وشجر فيه حلاوة، قال: لا، ولكني كنت أشرب عسلًا عند زينب بنت جحش فلن أعود له، وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدًا، فحرم العسل على نفسه، فعاتب الله نبيه محمدًا ﷺ كيف يحرم الحلال ابتغاء رضاء زوجاته؟ وأمر الله نبيه أن يُكَفِّر عن يمينه، وكفارة اليمين، عتق رقبة أو إطعام عشرة مساكين لكل مسكين نصف صاع، أو كسوة عشرة مساكين كسوة تسترهم في الصلاة فمن لم يجد فيصوم ثلاثة أيام، وأظهرت المرأة التي أسر لها النبي ﷺ -وهي حفصة- أنه شرب العسل، لعائشة أمر العسل، فأطلع الله نبيه على ذلك، فأخبرها ببعض خبر إفشاء السر وأعرض عن بعضه، قالت حفصة من أخبرك به، قال رسول الله ﷺ أخبرني الذي لا يخفى عليه خافية، إن تتوبا إلى الله فقد وجد منكما ما يوجب التوبة فقد عدلت قلوبكما ومالت عن الحقّ، فقد أحبتا ما كره رسول الله ﷺ، وهو إفشاء الحديث، وإن تتعاضدا وتتعاونا في الغيرة عليه منكما وإفشاء سرّه فإن الله يتولى نصره وكذلك جبريل، ومن صلح من عباده المؤمنين، فلن يعدم ناصرًا ينصره، وجميع الملائكة أعوان له يظاهرونه، فإن أراد النبي ﷺ طلاقكن فإن الله يعطيه بدلكنّ أزواجًا أفضل منكنّ، قائمات بفرائض الإسلام مصدّقات بالله وملائكته، وكتبه ورسله، والقدر خيره وشرّه، مسلمات لأمر الله ورسوله، مطيعات لله، تائبات من الذنوب عابدات لله متذللات له، صائمات، ثيبات وأبكارًا، والثيبة هي المرأة التي قد تزوّجت، والبكر التي لم تتزوج، وأمر الله المؤمنين بأن يقوموا بواجب التربية لأهليهم من زوجات وبنين وبنات يأدبوهم، ويعلموهم، ويأمروهم بالذكر والطاعة التي تنجيهم من النار، فحق على المسلم أن يعلم أهله من قرابته ما فرض الله عليهم، وما نهاهم الله عنه، فيسعون بهذه التربية أن يقوهم من نار حطبها الذي يلقى فيها جثث بني آدم، وحجارة الكبريت، وعلى النار ملائكة طباعهم غليظة، قد نزعت من قلوبهم الرحمة بالكافرين بالله، وتركيبهم في غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، مهما أمرهم به تعالى يبادروا إليه، لا يتأخرون عنه طرفة عين، وهم قادرون على فعله ليس بهم عجز عنه، وهؤلاء هم الزبانية عياذًا بالله منهم، ويقال للكفرة يوم القيامة، لا تعتذروا فإنه لا يقبل منكم، وإنما تجزون اليوم بأعمالكم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ
أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي
مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ
أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ
وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا
لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ
عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا
مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾
وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ
قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ
وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ
عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا
وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

أمر الله عباده المؤمنين بالتوبة الصادقة الجازمة، التي تمحو ما قبلها من السيئات، والتوبة النصوح هي أن يقلع الإنسان عن الذنب في الحاضر، ويندم على ما سلف منه في الماضي، ويعزم على ألا يفعل في المستقبل، ثم إن كان الحق لآدمي رده إليه بأي طريقة، والتوبة تكفر السيئات، وتدخل العباد الجنات التي تجري من تحتها الأنهار في يوم يكتب فيه الخزي على أعداء الله، والفوز والنجاة للنبي وأتباعه على الحق، نور إيمانهم من بين أيديهم وبأيمانهم، ويسألون ربهم أن يتم نورهم، حين يرون نور المنافقين ينطفئ، ويسألون ربهم المغفرة، وأمر الله رسوله ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين، هؤلاء بالسلاح والقتال، وهؤلاء بالحجة والبيان، والتشديد عليهم في الدعوة، واستعمال الخشونة في أمرهم بالشرائع وبإقامة الحدود عليهم، فإنهم كانوا يرتكبون موجبات الحدود، ومصيرهم في الآخرة النار فبئس المرجع الذي يرجعون إليه، ولا ينفع عند الله مخالطة الكفار والمنافقين للمسلمين ومعاشرتهم لهم، إن لم يكن الإيمان حاصلًا في قلوبهم، ومن ذلك امرأة نوح وامرأة لوط كانتا زوجتي نبيين من أنبياء الله يؤاكلانهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط فخانتاهما في الإيمان، ولم يوافقاهما على الإيمان، ولا صدقاهما في الرسالة، فلم يجد ذلك كله شيئًا، ولا دفع عنهما العذاب؛ فلم يغنِ النبي عن زوجته من الله شيئًا لكفرها بالله، ويقال لهما يوم القيامة ادخلا النار مع الداخلين، والمؤمن لا تضره مخالطة الكافرين إذا كان محتاجًا إليهم، أما إن كان لا يحتاج فإن مخالطة المشرك تضر في الدين، وتنقص الإيمان لما تورث المخالطة من المحبة والمودة، وأما المؤمن المضطهد في دينه إذا صبر وثبت على دين الله، كانت له العاقبة الحميدة، فقد كان فرعون أعتى أهل الأرض وأبعدهم عن الله، فما ضر امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها وهي آسية بنت مزاحم رضي الله عنها، لأن الله حكم عدل، لا يؤاخذ أحدًا إلا بذنبه، وكانت امرأة فرعون تعذب في الشمس، فإذا انصرف الجنود عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها، وسألت ربها بيتًا عنده في الجنة، فاختارت الجار قبل الدار، وكانت ترى بيتها في الجنة، وسألت ربها أن يخلصها من فرعون وعمله، وأن ينجيها من فعل القوم الظالمين، ومن المؤمنات الصادقات، مريم ابنة عمران التي حفظت فرجها وصانته، فبعث الله جبريل إليها فتمثل لها في صورة بشر سوي، وأمره الله تعالى أن ينفخ بفيه في جيب درعها، فنزلت النفخة فولجت في فرجها، فكان منه الحمل بعيسى عليه السلام، وصدقت بقدر الله وشرعه، وكانت من العابدات الطاهرات، فأفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم ابنة عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون.



سُورَةُ المُلْكِ

ترتيبها ٦٧ — آياتها ٣٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ
ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾
ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن
تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ
يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ
ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ
ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ
﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ
مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾
قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ
إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ
ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾



سورة الملك

وهي سورة مكية ، سميت بذلك لذكر أن الملك بيد الله فيها

تعالى الله وتعاظم وتقدس عن صفات المخلوقين، الذي بيده ملك السموات والأرض في الدنيا والآخرة، فهو يعزّ من يشاء ويذل من يشاء، ويرفع من يشاء ويضع من يشاء، ومن تعظيم الله إثبات الصفات له سبحانه وتعالى كما أثبتها لنفسه، وكما أثبتها رسوله عليه الصلاة والسلام، وقد أجمع السلف على إثبات اليدين لله، فيجب إثباتها له بدون تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهما يدان حقيقيتان لله تعالى تليقان به، فالله تعالى وحده هو المالك الملك المطلق العام الشامل، ونسبة الملك إلى غيره نسبة إضافية، وهو سبحانه بليغ القدرة لا يعجزه شيء من الأشياء يتصرّف في ملكه كيف يريد من إنعام وانتقام، ورفع ووضع، وإعطاء ومنع، وهو المتصرف في جميع المخلوقات بما يشاء لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل لقهره وحكمته وعدله، أوجد الخلائق من العدم، ليختبرهم أيهم أحسن عملًا، والعمل الحسن ما توفر فيه شرطان: الإخلاص والمتابعة للرسول ﷺ، والله العزيز العظيم المنيع الجناب، وهو غفور لمن تاب إليه وأناب بعدما عصاه وخالف أمره، خلق سبع سماوات طباقًا طبقة بعد طبقة، ليس في خلق الرحمن من اختلاف ولا تنافر ولا مخالفة، ولا نقص ولا عيب ولا خلل؛ فلينظر الإنسان إلى السماء فيتأملها، هل يرى فيها عيبًا أو نقصًا أو خللًا أو شقوقًا؟ وليكرر النظر مرات، يرجع البصر صاغرًا ذليلًا منقطعًا عن أن يرى عيبًا أو خللًا وهو كليل قد انقطع من الإعياء من كثرة التكرار، ولا يرى نقصًا، فقد زين الله السماء الدنيا بالكواكب التي تضيء كإضاءة السراج، وقد جعلت رجومًا يرجم بها الشياطين الذين يسترقون السمع، وللشياطين هذا الخزي في الدنيا، وفي الآخرة عذاب السعير، وإنما خلقت النجوم لثلاث خصال؛ خلقها الله زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يُهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به، ومصير الذين كفروا عذاب جهنم بئس المآل والمنقلب، إذا طرحوا فيها كما يطرح الحطب في النار سمعوا للنار صوتًا كصوت الحمير عند أوّل نهيقها، وهو أقبح الأصوات، وهي تغلي بهم كما يغلي الحب القليل في الماء الكثير، يكاد ينفصل بعضها من بعض، من شدة غيظها عليهم وحنقها بهم، كلما ألقي في جهنم جماعة من الكفار سألهم خزنتها من الملائكة سؤال توبيخ وتقريع ألم يأتكم في الدنيا رسول ينذركم هذا اليوم، ويحذركم منه؟ فيقولون: بلى قد جاءنا نذير، فأنذرنا وخوّفنا وأخبرنا بهذا اليوم فكذبنا ذلك النذير، وقلنا ما أنتم أيها الرسل فيم تدّعون أن الله نزل عليكم آيات تنذرونا بها إلاّ في ذهاب عن الحق، وبعد عن الصواب كبير، وعادوا على أنفسهم بالملامة، وندموا حيث لا تنفعهم الندامة، فقالوا: لو كانت لنا عقول ننتفع بها أو نسمع ما أنزله الله من الحق، لما كنا على ما كنا عليه من الكفر بالله والاغترار به، ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل، ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم، فاعترفوا بذنبهم وجرمهم الذي استحقوا به عذاب النار، وهو الكفر وتكذيب الأنبياء، فبعدًا لهم من الله ومن رحمته، وأما الذين يخشون عذاب الله ولم يروه، فيؤمنون به خوفًا من عذابه، ويخشون ربهم في السر، وفي حال الخلوة والبعد عن أعين الناس، فلهم المغفرة العظيمة يغفر الله بها ذنوبهم ولهم الجنة.

وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾

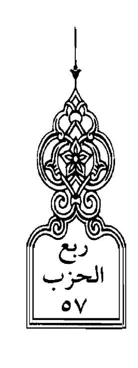
لا تخفى على الله خافيه، فهو سبحانه يرى عباده، ولا يخفى عليه شيء منهم، فهو مطلع على الضمائر والسرائر، والسر والعلانية عنده سواء فهو عليم بما يخطر في القلوب، ألا يعلم الله خلقه الذي خلقهم وأوجدهم ووهبهم جميع الجوارح، وهو اللطيف الذي لطف علمه بما في القلوب، والذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا، والخبير بما تسرّه النفوس وتضمره من الأمور، لا تخفى عليه من ذلك خافية، سخر لعباده الأرض وجعلها قارة ساكنة لا تمتد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال، وأنبع فيها من العيون، وسلك فيها من السبل، وهيأ فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار، يسافر الناس حيث شاءوا في أقطارها، ويترددون في أقاليمها وأرجائها وأطرافها وفجاجها ونواحيها، في أنواع المكاسب والتجارات، وسعيهم لا يجدي عليهم شيئًا، إلا بعد تيسير الله لهم، والأخذ بالأسباب من التوكل على الله فهو المسخر المسير المسبب، وإليه المرجع يوم القيامة، ومن لطف الله ورحمته بخلقه أنه قادر على تعذيبهم بسبب كفر بعضهم به، وعبادتهم معه غيره وهو مع هذا يحلم ويصفح، ويؤجل ولا يعجل، فهو قادر على أن يخسف بهم الأرض فإذا هي تتحرك وتجيء وتضطرب، وقادر على أن يرسل ريحًا فيها حصباء تدمغهم، فإذا عاينوا العقوبة علموا صدق الرسول الذي أنذرهم، وقد كذبت الأمم السالفة والقرون الخالية، فكيف كانت عقوبة الله لهم، لقد كانت عظيمة شديدة أليمة، ومن قدرة الله تعالى الطير تطير في السماء، تارة يصففن أجنحتهن في الهواء، وتارة تجمع جناحًا وتنشر جناحًا ما يمسكهن في الجو إلا الرحمن بما سخر لهن من الهواء من رحمته ولطفه، فهو البصير بما يصلح كل شيء من مخلوقاته، فالمشركون الذين عبدوا مع الله غيره، يبتغون عندهم نصرًا ورزقًا، ليس لهم من دون الله من ولي ولا واق، ولا ناصر لهم غيره؛ ولكن الكفار في غرور، غرهم الشيطان فاتبعوه، ومن الذي إذا قطع الله رزقه عنهم يرزقهم بعده، فلا أحد يعطي ويمنع ويخلق ويرزق، وينصر إلا الله ﷻ وحده لا شريك له، والمشركون يعلمون ذلك، ويعبدون مع الله غيره، وهم مستمرون في طغيانهم وإفكهم وضلالهم وعنادهم واستكبارهم ونفورهم على أدبارهم عن الحق، لا يسمعون له ولا يتبعونه، فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشي منحنيًا لا يدري أين يسلك ولا كيف يذهب بل تائه حائر ضال، والمؤمن يمشي منتصب القامة على طريق واضح بيّن، وهو في نفسه مستقيم، وطريقه مستقيمة، هذا مثلهم في الدنيا، وكذلك يكونون في الآخرة، فالمؤمن يحشر يمشي سويًا على صراط مستقيم، مفضٍ به إلى الجنة الفيحاء، وأما الكافر فإنه يحشر يمشي على وجهه إلى نار جهنم، فالذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم، فأيهم أهدى سبيلا؟! وهو سبحانه الذي ابتدأ خلق العباد بعد أن لم يكونوا شيئًا مذكورًا، وجعل لهم العقول والإدراك، والقليل من الناس من يستعمل هذه القوى التي أنعم الله بها عليه، في طاعة الله وامتثال أوامره وترك زواجره، وهو سبحانه الذي بث العباد ونشرهم في أقطار الأرض وأرجائها، مع اختلاف ألسنتهم في لغاتهم وألوانهم، وأشكالهم وصورهم، وإليه يجمعون بعد التفرق والشتات، يجمعهم كما فرقهم ويعيدهم كما بدأهم، والكفار المنكرون للمعاد يقولون متى يقع الاجتماع بعد التفرق؟ فأمر النبي ﷺ أن يقول لهم: لا يعلم وقت ذلك على التعيين إلا الله ﷻ لكنه أمرني أن أخبركم أن هذا كائن وواقع لا محالة فاحذروه، وما علي إلا البلاغ.

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ القَلَمِ

ترتيبها ٦٨ — آياتها ٥٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾

إذا قامت القيامة وشاهدها الكفار، ورأوا أن الأمر كان قريبًا؛ لأن كل ما هو آتٍ آت وإن طال زمنه، فلما وقع ما كذبوا به ساءهم ذلك، لما يعلمون بما لهم هناك من الشر، فأحاط بهم ذلك، وجاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال ولا حساب، فيقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ: هذا الذي كنتم به تستعجلون، وقد كان الكفار يتمنون هلاك النبي ﷺ والمؤمنين معه فأمر النبي ﷺ أن يقول لهم: أخبروني إن أهلكني الله بموت أو قتل ومن معي من المؤمنين أو أخر ذلك إلى أجل، فمن ينجيكم مع كفركم من العذاب، فخلصوا أنفسكم، فإنه لا منقذ لكم من الله إلا التوبة والإنابة، والرجوع إلى دينه، ولا ينفعكم وقوع ما تتمنون لنا من العذاب والنكال، سواء عذبنا الله أو رحمنا، فلا مناص لكم من نكاله وعذابه الأليم الواقع بكم، فالمؤمنون يؤمنون بالله وعليه يتوكلون في جميع أمورهم، ويوم القيامة يعلمون لمن تكون العاقبة في الدنيا والآخرة، وأمر النبي ﷺ أن يسأل الكفار لو أن ماءكم ذاهبٌ في الأرض، لا ينال بالفؤوس الحداد، ولا السواعد الشداد، فمن يأتي العباد بالماء النابع السائح الجاري على وجه الأرض؟ إنه الله الذي لا يقدر على ذلك غيره، فمن فضله وكرمه أن أنبع لعباده المياه وأجراها في سائر أقطار الأرض، بحسب ما يحتاج العباد إليه من القلة والكثرة، فلله الحمد والمنة.

سورة القلم

وهي سورة مكية وقيل مدنية وسميت بذلك لذكر القلم فيها وتسمى سورة ن

ابتدأت السورة بالحروف المقطعة الدالة على إعجاز القرآن الكريم وبلاغته، وأقسم الله بالقلم، وهو قسم منه تعالى تنبيه لخلقه على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم؛ فالكتابة قيد العلم، وخلق الله القلم الذي أجراه الله بالقدر فكتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرضين بخمسين ألف سنة، ومما قضاه الله وقدره إرسال خير البشر محمد ﷺ الذي رماه قومه بالجنون، فنفى الله عنه الجنون، وجعل له الأجر العظيم، والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبيد على إبلاغه رسالة ربه إلى الخلق، وصبره على أذاهم مع ما جبله الله عليه من الأخلاق العظيمة، فقد كان خلقه القرآن، وأرسله بالدين العظيم وهو الإسلام، وسيعلم النبي ﷺ يوم القيامة وسيعلم مخالفوه ومكذبوه من المفتون الضال، ومن هو أولى بالشيطان، فالله تعالى يعلم من المهتدي من الفريقين، ومن هو الضال عن الحق، ونهى الله نبيه ﷺ عن طاعة المكذبين، فإنهم يودون لو يركن إلى آلهتهم ويترك ما هو عليه من الحق، ونهاه عن طاعة كثير الحلف بالباطل الذي يغتاب الناس ويمشي بين الناس، بالنميمة ويحرش بينهم وينقل الحديث لفساد ذات البين، وهو الحقير عند الله والوضيع والذليل، يمنع ما عليه وما لديه من الخير، يتعدى حدود ما أحل الله له، ويتجاوز فيها الحد المشروع ويتناول المحرمات، فهو فظ غليظ، جموع منوع، وتلك صفة أهل النار، فمن كانت تلك صفته لا يطاع ولا يتبع حتى لو كانت له الأموال الطائلة والأولاد، والجاه والسلطان، فهو إذا تليت عليه آيات الله كذب بها، ونسبها إلى أخبار الماضين.

سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمۡ لَكُمۡ كِتَٰبٞ فِيهِ تَدۡرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمۡ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلۡهُمۡ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

المكذب بآيات الله تعالى يبيّن الله أمره بيانًا واضحًا، حتى يعرف ولا يخفى على الناس، كما لا تخفى السمة على الخراطيم فكما أن السمة شين لا يفارق الإنسان فكذلك كل من كذب بآيات الله فلأهل النار سمة لا تفارقهم، يعرفون بها من سواد الوجوه يوم القيامة، والذلة والمهانة، ولأهل المعاصي سمة في وجوههم في الدنيا من سواد الوجوه، وذل المعصية، وقد ضرب الله تعالى لكفار قريش مثلًا فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة، وأعطاهم من النعم الجسيمة، وهي بعثه محمدًا ﷺ إليهم، فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة؛ فقد كان ذلك اختبارًا لهم كما كان لأصحاب البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه، اختبرهم الله، إذ حلفوا فيما بينهم ليجذن ثمر بستانهم ليلًا لئلا يعلم بهم فقير ولا سائل، ليتوفر ثمره عليهم ولا يتصدقوا منه بشيء، ولم يستثنوا في حلفهم، ولهذا حنثهم الله في أيمانهم، فأصابته آفة سماوية، فأصبح كالليل الأسود، هشيمًا يبسًا، قد حرموا خير بستانهم بذنبهم، فلما كان وقت الصبح نادى بعضهم بعضًا ليذهبوا إلى الجذاذ، وأوصى بعضهم بعضًا، في الذهاب أول النهار إن كانوا يريدون الصرام، فذهبوا وهم يتناجون فيما بينهم بحيث لا يسمعون أحدًا كلامهم، ويقول بعضهم لبعض: لا تمكنوا اليوم فقيرًا يدخلها عليكم، وذهبوا أول النهار بقوة وشدة وجد وغيظ على المساكين، وهم يظنون بأنفسهم أنهم قادرون على تنفيذ ما يريدون، فلما وصلوا إليها وأشرفوا عليها، وهي على الحالة التي قال الله ﷻ قد استحالت عن تلك النضارة والزهرة وكثرة الثمار إلى أن صارت سوداء مدلهمة، لا ينتفع بشيء منها، فاعتقدوا أنهم قد أخطئوا الطريق، ثم رجعوا عما كانوا فيه، وتيقنوا أنها هي فقالوا بل هذه هي، ولكن نحن لا حظ لنا ولا نصيب، وقال أعدلهم وخيرهم: ألم أقل لكم لولا تستثنون، وكان استثناؤهم في ذلك الزمان تسبيحًا، وهو قول القائل إن شاء الله، وقال خيرهم: لولا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم به عليكم، خير مما تمنعون الفقراء، فسبحوا الله بعد ذلك، واعترفوا بالذنب، وأتوا بالطاعة حيث لا تنفع، وندموا واعترفوا حيث لا ينفع؛ فلام بعضهم بعضًا على ما كانوا أصروا عليه مِن منع المساكين من حق الجذاذ، فما كان جواب بعضهم لبعض إلا الاعتراف بالخطيئة والذنب، وأنهم اعتدوا وبغوا وطغوا وجاوزوا الحد حتى أصابهم ما أصابهم، واحتسبوا الثواب في الدار الآخرة،وهذا عذاب الله لمن خالف أمر الله، وبخل بما آتاه الله وأنعم به عليه، ومنع حق المسكين والفقراء وذوي الحاجات، وبدل نعمة الله كفرًا، وعذاب الآخرة أشق.

وأما من اتقى الله وأطاعه، فله في الدار الآخرة جنات النعيم التي لا تبيد ولا تفرغ ولا ينقضي نعيمها، فهل يساوى بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء؟! كلا ورب الأرض والسماء، فلا يظن ظان أن الله يسوي بينهم، وهل بأيديهم كتاب منزل من السماء يدرسونه ويحفظونه أن الله يساوي بين المؤمن والكافر والمطيع والعاصي؟ وهل معهم عهود من الله ومواثيق مؤكدة، على ذلك، أم يريدون أن يحصل لهم ما يشتهون؟ فمن هو المتضمن المتكفل بهذا، أم أن ما يعبدون من الأصنام والأنداد يجعلونهم مثل المسلمين في الآخرة، فليأتوا بهذه الأصنام يوم القيامة تضمن لهم ما يدعون لأنفسهم إن كانوا صادقين، ففي يوم القيامة وما يكون فيه من الأهوال والزلازل والبلاء والامتحان والأمور العظام يكشف الله عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا، والقول في الساق كالقول في سائر الصفات نثبتها من غير تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تشبيه.

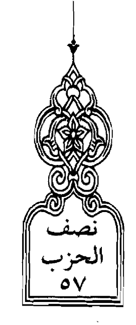
خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ
﴿٤٣﴾ فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ
لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم
مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصۡبِرۡ
لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ
أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ
فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ
لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ الحَاقَّةِ

ترتيبها ٦٩ — آياتها ٥٢

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ
وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا
عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ
سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ
كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴿٧﴾ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ﴿٨﴾



في يوم القيامة تغشى الكفار ذلة شديدة وحسرة وندامة لإجرامهم وتكبرهم في الدنيا، فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه، ولما دعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة، إذا تجلى الرب ﷻ يسجد له المؤمنون، ولا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجد، بل يعود ظهر أحدهم طبقًا واحدًا، كلما أراد أحدهم أن يسجد خر لقفاه عكس السجود، كما كانوا في الدنيا، بخلاف ما عليه المؤمنون، فمن كذب بالقرآن فله عقوبة الاستدراج، ثم يأخذه الله أخذ عزيز مقتدر، فلا يعتقد أن إمهال الكافر من الله كرامة، بل هو إهانة، بل يؤخرهم وينظرهم ويمدهم، وهذا من كيد الله ومكره بهم؛ وكيد الله عظيم لمن خالف أمره، وكذب رسله، واجترأ على معصيته، والرسول ﷺ يدعو إلى الله ﷻ بلا أجر يأخذه من الكفار، بل يرجو ثواب ذلك عند الله ﷻ، وهم يكذبون بما جاء به بمجرد الجهل والكفر والعناد، وأمر الله نبيه محمدًا ﷺ بالصبر على أذى قومه له وتكذيبهم، فإن الله سيحكم له عليهم، ويجعل العاقبة له ولأتباعه في الدنيا والآخرة، ولا يستعجل على قومه كيونس بن متى ﷺ حين ذهب مغاضبًا على قومه، فكان من أمره ما كان، من ركوبه في البحر والتقام الحوت له، وشرود الحوت به في البحار وظلمات غمرات اليم، وسماعه تسبيح البحر بما فيه للعلي القدير، الذي لا يرد ما أنفذه من التقدير، فحينئذ نادى في الظلمات، وهو مغموم ومكروب أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجاب الله له ونجاه من الغم، وجعله من الكاملين في الصلاح، وعصمه من الذنب، ومن شدّة إبغاض الكفار وعداوتهم للرسول ﷺ يكادون بنظرهم نظر البغضاء أن يصرعوه ويعينونه، حسدًا من عند أنفسهم، ولولا وقاية الله له، وحمايته إياه منهم لأصابه ما يريدون، وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله ﷻ وهم يزدرونه بأعينهم ويؤذونه بألسنتهم، ويقولون إنه لمجنون لأنه أتى بالقرآن، وما علموا أن القرآن ذكر للعالمين.

سورة الحاقة

وهي سورة مكية، وسميت بذلك لذكر الحاقة فيها

الحاقة من أسماء يوم القيامة؛ لأن فيها يتحقق الوعد والوعيد؛ ولهذا عظم الله تعالى أمرها، وقد أهلك الله الأمم المكذبة بالحاقة، الذين أنكروا البعث بعد الموت فأهلك الله ثمود بالصيحة التي أسكتتهم، وعاد أهلكوا بريح باردة، شديدة الهبوب، عتت عليهم حتى نقبت عن أفئدتهم، بغير رحمة ولا بركة، سلطها الله عليهم، سبع ليال وثمانية أيام كوامل متتابعات، وجعلت الريح تضرب بأحدهم الأرض فيخر ميتًا على أم رأسه، فينشدخ رأسه وتبقى جثته هامدة كأنها قائمة النخلة إذا خرت بلا أغصان، ولم يبق أحد منهم ينتسب إليهم، بل بادوا عن آخرهم ولم يجعل الله لهم خلفًا.

وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴿١٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ﴿١٦﴾ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَآۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣٤﴾

كذب فرعون وقومه رسول الله موسى ﷺ، ومن قبله من الأمم، كمثل قوم لوط، فقد فعلوا فعلتهم الخاطئة، وهي التكذيب بما أنزل الله، فكلهم كذب رسول الله إليهم، ومن كذب رسول الله فقد كذب بالجميع، لأن الواجب الإيمان بجميع الرسل فأخذهم الله أخذة عظيمة شديدة أليمة مهلكة، فأهلك قوم نوح ﷺ بالغرق، فإنه لما زاد الماء على الحد بإذن الله وارتفع على الوجود أغرقهم الله، وذلك بسبب دعوة نوح ﷺ على قومه حين كذبوه وخالفوه، فعبدوا غير الله فاستجاب الله له وعم أهل الأرض بالطوفان إلا من كان مع نوح في السفينة، حملهم الله على السفينة الجارية على وجه الماء، فالناس كلهم من سلالة نوح وذريته، وأبقى الله السفن من جنس سفينة نوح ﷺ، يركب الناس عليها على تيار الماء في البحار، فيدركوا نعمة الله عليهم، ولا يدرك ذلك إلا الأذن الواعية الحافظة السامعة، التي عقلت عن الله فانتفعت بما سمعت من كتاب الله، فاستعدت بالعمل الصالح والإعداد لليوم الآخر، وقد أخبر الله عن أهوال يوم القيامة، وأول ذلك نفخة الفزع، ثم يعقبها نفخة الصعق حين يصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم بعدها نفخة القيام لرب العالمين والبعث والنشور نفخة واحدة، فيحيا الناس جميعًا، فتمد الجبال وتبدل الأرض غير الأرض، ففي ذلك اليوم قامت القيامة، وانشقت السماء بنزول ما فيها من الملائكة فهي في ذلك اليوم ضعيفة مسترخية، والملائكة على أطرافها وجوانبها، ويوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة، وهم حملة العرش، وهم الأوعال، ما بين شحمة أذن الملك منهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام، في ذلك اليوم يعرض العباد على الله لا يخفى عليه شيء من أمورهم، فهو عالم بالظواهر والسرائر والضمائر، يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، عرضتان، معاذير وخصومات، والعرضة الثالثة تطير الصحف في الأيدي، فمن أوتي كتابه يوم القيامة بيمينه، من شدة فرحه يقول لكل من لقيه خذوا اقرؤوا كتابيه؛ لأنه يعلم أن الذي فيه خير وحسنات محضة؛ لأنه ممن بدل الله سيئاته حسنات، فالمؤمن يعطى كتابه بيمينه في ستر من الله، فيقرأ سيئاته، فكلما قرأ سيئة تغير لونه حتى يمر بحسناته فيقرؤها، فيرجع إليه لونه، ثم ينظر فإذا سيئاته قد بدلت حسنات، لأنه كان موقنًا في الدنيا أن هذا اليوم كائن لا محالة، فهو اليوم في عيشة مرضية، في جنة رفيعة قصورها، حسان حورها، نعيمة دورها، دائم حبورها، ثمارها قريبة، يتناولها أحدهم وهو نائم على سريره، ويقال لهم تفضلًا عليهم، وامتنانًا وإنعامًا وإحسانًا: تنعموا بنعيم الجنة من الأكل والشرب وفي عيشة هنية لما قدمتم من الأعمال لصالحة التي كانت سببًا لرحمة الله بكم وإلا فالعمل لا يدخل الجنة، فلن يدخل أحد عمله الجنة، إلا أن يتغمده الله برحمة منه وفضل، وأما الأشقياء إذا أعطي أحدهم كتابه في يوم القيامة بشماله، فحينئذ يندم غاية الندم.

ويحزن غاية الحزن لما رأى فيه من سيئاته فيتمنى أنه لم يعط كتابه، ولم يدر أيّ شيء حسابه ويتمنى أن الموتة التي ماتها كانت القاطعة للحياة، ولم يحي بعدها، لما شاهد من سوء عمله وما يصير إليه من العذاب، فتمنى الموت، ولم يكن شيء في الدنيا أكره إليه منه، فلم يدفع عنه ماله ولا جاهه عذاب الله وبأسه، بل خلص الأمر إليه وحده، فلا معين له ولا مجير، فيأمر الله ﷻ الزبانية أن يأخذوه عنفًا من المحشر، فيبتدره سبعون ألف ملك، أيهم يجعل الغل في عنقه، فتوضع الأغلال في عنقه، ثم توره إلى جهنم فتغمره فيها، فتدخل الأغلال في دبره ثم تخرج من فيه، ينظمون فيها كما ينظم الشواء في العود حين يشوى، لأنه كان لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته، ولا ينفع خلقه ويؤدي حقهم، فإن لله على العباد أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئًا، وللعباد بعضهم على بعض حق الإحسان والمعاونة على البر والتقوى؛ ولهذا أمر الله بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ المَعَارِج

ترتيبها ٧٠ — آياتها ٤٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

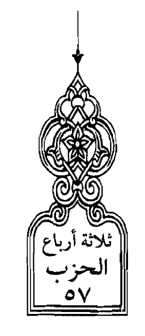
سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾

في يوم القيامة، حين يدخل أهل النار النار فلا يجدون فيها أحدًا ينقذهم من عذاب الله، لا قريب، ولا شفيع يطاع، ولا طعام له في النار إلا شجر الزقوم، والدم والماء يسيل من لحومهم وهو صديد أهل النار، ويقسم الله لخلقه بما يشاهدونه من آياته في مخلوقاته الدالة على كماله في أسمائه وصفاته، وما غاب عنهم مما لا يشاهدونه من المغيبات عنهم على أن القرآن كلامه ووحيه وتنزيله على عبده ورسوله الذي اصطفاه لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة، فما هو بشاعر ولا بكاهن، وإنما مبلغ عن الله ما استأمنه عليه من وحيه وكلامه، ولو كان كما يزعمون مفتريًا على الله، فزاد في الرسالة أو نقص منها، أو قال شيئًا من عنده فنسبه إلى الله، وليس كذلك لعاجله الله بالعقوبة، فأخذت منه يمينه، ولقطع وتينه -وهو نياط القلب- عرق علق القلب فيه، فما يقدر أحد من الناس على أن يحجز بين الله وبينه إذا أرد الله به شيئًا من ذلك، ولكنه صادق بار راشد؛ لأن الله ﷻ مقرر له ما يبلغه عنه، ومؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات، وهذا القرآن تذكرة وموعظة، وهدى وشفاء، وبيان للحق، ومع هذا البيان والوضوح، كذب بالقرآن من الكفار من كذب، وإن التكذيب لحسرة وندامة على الكافرين يوم القيامة، وهذا القرآن هو الخبر الصدق الحق الذي لا مرية فيه ولا شك ولا ريب، فسبحان الله الذي أنزل هذا القرآن العظيم.

سورة المعارج

وهي سورة مكية وسميت بذلك لذكر المعارج فيها

سأل سائل من الكفار وهو النضر بن الحارث عن عذاب الله، وهو عذاب نازل على الكافرين معد لهم، ليس له مانع يمنع من وقوعه لأنه من الله ذي الدرجات والفواضل والنعم، تصعد الملائكة وجبريل عليه السلام إليه في يوم القيامة الذي مقداره خمسين ألف سنة من سني الدنيا، فموقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس خمسون ألف سنة وهو على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة، ويخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا، وأمر الله نبيه محمدًا بالصبر على أذى قومه وتكذيبهم وهذا قبل أن يؤمر بالقتال، فهم يرون العذاب بعيدًا وهو قريب لأن ما هو آتٍ قريب، ففي يوم القيامة تكون السماء كالفضة إذا أذيبت، تذوب وتتشقق وتكون أبوابًا، والجبال تكون كالصوف المصبوغ المنفوش، ولا يسأل القريب عن حاله، وهو يراه في أسوأ الأحوال، فتشغله نفسه عن غيره.



يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾
وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ
جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟
مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا
﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا
ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ
أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ
بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ
رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ
أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ
ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ
﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ
﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ
﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ
أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

في موقف القيامة، يعرف الناس بعضهم بعضًا، ويتعارفون بينهم، ثم يفر بعضهم من بعض بعد ذلك، لكل واحد منهم يومئذ شأن يغنيه عن الآخر، يتمنى المكذب أن يفدي نفسه من العذاب إذا رأى الأهوال، ولا يقبل منه فداء ولو جاء بأهل الأرض، وبأعز ما يجده من المال، ولو بملء الأرض ذهبًا، أو بولده الذي كان في الدنيا حشاشة كبده، أو بقبيلته وبعشيرته أو بأمه، فلا نجاة من النار التي تلتهب على أهلها تنزع جلدة الرأس، وتنزع الجلود، وما دون العظم من اللحم، وأطراف اليدين والرجلين، فتحرق كل شيء فيه، ويبقى فؤاده يصيح، وتدعو النار إليها أبناءها الذين خلقهم الله لها، وقدر لهم أنهم في الدار الدنيا يعملون عملها، فتدعوهم يوم القيامة بلسان طلق ذلق، ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر كما يلتقط الطير الحب، ممن كذب بقلبه، وترك العمل بجوارحه، وجمع المال بعضه على بعض، ومنع حق الله منه من الواجب عليه في النفقات ومن إخراج الزكاة، فالإنسان شديد الحرص، إذا أصابه الضر فزع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب، وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير، وإذا حصلت له نعمة من الله بخل بها على غيره، ومنع حق الله فيها، إلا من عصمه الله ووفقه، وهداه إلى الخير ويسر له أسبابه، وهم المصلون الذين يحافظون على أوقاتهم وواجباتهم وفرائضهم، ويخشعون في صلاتهم وإذا عملوا عملًا داوموا عليه وأثبتوه، والذين في أموالهم نصيب مقرر لذوي الحاجات من الذين يسألون الناس المال، والذين حرموا المال وهم الفقراء، والذين يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء، فهم يعملون عمل من يرجو الثواب ويخاف العقاب، فهم خائفون وجلون، من عذاب الله الذي لا يأمنه أحد ممن عقل عن الله أمره إلا بأمان من الله تبارك وتعالى، والذين يكفون فروجهم عن الحرام ويمنعونها أن توضع في غير ما أذن الله فيه، من الزواج ومما ملكت اليمين، فإن الله لم يجعل عليهم حرجًا في التمتع بما أباح الله لهم، بل جعل لهم قضاء الشهوة فيما أباحه لهم أجرًا وثوابًا، والذين إذا اؤتمنوا لم يخونوا، وإذا عاهدوا لم يغدروا، وهذه صفات المؤمنين، وضدها صفات المنافقين، والذين يحافظون على الشهادة لا يزيدون فيها، ولا ينقصون منها ولا يكتمونها، والذين يحافظون على الصلاة في مواقيتها، ويأتون بأركانها وواجباتها ومستحباتها، فجزاؤهم الجنات يكرمون فيها بأنواع الملاذ والمسار، والكفار الذين كانوا في زمن النبي ﷺ يشاهدونه، وبما أرسله الله به من الهدى وما أيده الله به من المعجزات الباهرات، مع ذلك فروا منه، وتفرقوا عنه، يمينًا وشمالًا فرقًا فرقًا، وشيعًا شيعًا، لا يرغبون في كتاب الله، ولا في نبيه ﷺ، أيطمع هؤلاء وهم في هذه الحالة، من فرارهم عن الرسول ﷺ ونفورهم من الحق، وفرارهم عنه أن يدخلوا جنات النعيم، كلا بل مأواهم الجحيم، فقد خلقهم الله من المني الضعيف وهو قادر على إعادتهم.

فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرًا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

سُورَةُ نُوحٍ

ترتيبها ٧١ — آياتها ٢٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ﴿٥﴾ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴿٩﴾ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾

أقسم الله تعالى الذي خلق السموات والأرض، وجعل مشرقًا ومغربًا، وسخر الكواكب تبدو من مشارقها وتغيب في مغاربها، على قدرته على البعث والنشور، فالعباد قد شاهدوا من عظيم قدرة الله تعالى ما هو أبلغ من إقامة القيامة، وهو خلق السموات والأرض، وتسخير ما فيهما من المخلوقات من الحيوانات والجمادات، وسائر صنوف الموجودات، ففي يوم القيامة يعيد الناس بأبدان خير من أبدانهم، وما يعجزه ذلك سبحانه، فليكذب هؤلاء بالبعث وليستمروا بالكفر والعناد، حتى يأتيهم اليوم الموعود يوم يقومون من القبور إذا دعاهم الرب تبارك وتعالى لموقف الحساب، ينهضون سراعًا كأنهم إلى علم يسعون ويسرعون خاضعة أبصارهم ذليلة نفوسهم، تغشاهم وتحوطهم ذلة الكفر والمعاصي فقد استكبروا في الدنيا عن الطاعة.

سورة نوح

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر قصة نوح ﷺ فيها

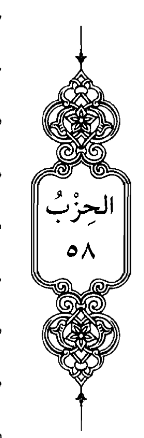
أرسل الله نوحًا ﷺ إلى قومه آمرًا له أن ينذرهم بأس الله قبل حلوله بهم، فإن تابوا وأنابوا رفع الله عنهم؛ فهو نذير من الشرك، بيّن النذارة، ظاهر الأمر، وأمرهم بتوحيد الله، وترك محارمه واجتناب المآثم، فيطيعون رسولهم فيما يأمرهم به وينهاهم عنه، فإذا فعلوا ذلك غفر الله لهم ذنوبهم، وأمد في أعمارهم ودرأ عنهم العذاب لأن الطاعة والبر وصلة الرحم تزيد في العمر حقيقة؛ فإذا جاء الموت لا يؤخر سواء كان بعذاب أو بغير عذاب.

فليبادروا بالطاعة قبل حلول النقمة، فإن الله إذا أمر بكون ذلك لا يرد ولا يمانع، فإنه العظيم الذي قهر كل شيء، العزيز الذي دانت لعزته جميع المخلوقات، فصد قوم نوح ﷺ عن دعوته وكذبوه، فاشتكى إلى ربه ﷻ ما لقي من قومه، وما صبر عليهم في تلك المدة الطويلة التي هي ألف سنة إلا خمسين عامًا، وما بيّن لقومه ووضح لهم ودعاهم إلى الرشد والسبيل الأقوم، فلم يترك دعوتهم في ليل ولا نهار، امتثالًا لأمر الله وابتغاء لطاعته، فكلما دعاهم ليقتربوا من الحق فروا منه وحادوا عنه، وسدوا آذانهم لئلا يسمعوا ما يدعوهم إليه، وتنكروا له لئلا يعرفهم، وغطوا رءوسهم لئلا يسمعوا ما يقول، واستمروا على ما هم فيه من الشرك والكفر العظيم، واستنكفوا عن اتباع الحق والانقياد له، فقد دعاهم جهرة بين الناس، وأظهر دعوته بصوت عال، وأسر بدعوته فيما بينه وبينهم، لتكون الدعوة أنجح فيهم، وأمرهم بالرجوع عما هم فيه من الشرك وبالتوبة، فإنه من تاب إلى الله تاب عليه، ولو كانت ذنوبه مهما كانت في الكفر والشرك.

يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾

أمر نوح ﷺ قومه بالتوبة والاستغفار، وهو أمر من الله لجميع عباده لأن الاستغفار، سبب لنزول الأمطار المتواصلة، وسبب لكثرة الرزق ونبات بركات الأرض، وسبب لزيادة الأموال والأولاد، وذلك وعد من الله لعبادة إن حققوا التوحيد، ولزموا العمل الصالح والاستغفار والتوبة.

أما من لم يعظم الله حق تعظميه، ولم يخف من بأسه ونقمته، فليس له إلا العذاب لأنه لم يشكر نعمة الله عليه فقد خلقه الله من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، وخلق الله السموات المتطابقه بعضها فوق بعض، التي هي أكبر من خلق الناس، وجعل القمر فيهن نورًا وجعل الشمس سراجًا، ففاوت بينهما في الاستنارة فجعل كلًا منهما أنموذجًا على حدة، ليعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها، وقدر القمر منازل وبروجًا، وفاوت نوره، فتارة يزداد حتى يتناهى ثم يشرع في النقص حتى يستسر، ليدل على مضي الشهور والأعوام، والإنسان في أصل خلقته، خلق من التراب، ثم يموت ويدفن في الأرض، ثم يخرجه الله منها يوم القيامة، وهو سبحانه الذي بسط الأرض ومهدها، وثبتها بالجبال الراسيات الشم الشامخات، ليسلك الناس فيها أين شاءوا من نواحيها وأرجائها وأقطارها، وكل هذا مما ينبههم به نوح ﷺ على قدرة الله وعظمته في خلق السموات والأرض، ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية والأرضية، فهو الخالق الرزاق، جعل السماء بناء، والأرض مهادًا، وأوسع على خلقه من رزقه، فهو الذي يجب أن يعبد ويوحد ولا يشرك به أحد؛ لأنه لا نظير له ولا عديل له، ولا ند ولا كفء، ولا صاحبة ولا ولد، بل هو العلي الكبير، ومع هذا البيان والدعوة المتنوعة المشتملة على الترغيب تارة والترهيب أخرى، فقد عصوا نبيهم وكذبوه وخالفوه، واتبعوا أبناء الدنيا ممن غفل عن أمر الله، ومتع بمال وأولاد، وهي في نفس الأمر استدراج وإنظار لا إكرام؛ ومكروا مكرًا عظيمًا، وكبيرًا، بقول كبرائهم لا تتركوا عبادة إلهتكم، وهي الأصنام والصور التي كانت لهم، ثم عبدتها العرب من بعدهم، وظنهم أنهم على الحق والهدى، وتواصوا على عبادة الأصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله، وتلك الأصنام أسماء رجل صالحين بين آدم ونوح، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر، فعبدوهم، فكانت عبادة الأصنام، وقد ضل في عبادة الأصنام التي اتخذوها خلقًا كثيرًا، فإنه استمرت عبادتها في القرون إلى زماننا هذا في العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم، ودعا نوح ﷺ على قومه لتمردهم وكفرهم وعنادهم، وقد استجاب الله له في قومه، وأغرق أمته بتكذيبهم لما جاءهم به، فبسبب كثرة ذنوبهم وعتوهم وإصرارهم على كفرهم ومخالفتهم رسولهم نقلوا من تيار البحار إلى حرارة النار، ومن الغرق إلى الحرق، ولم يكن لهم معين ولا مغيث ولا مجير ينقذهم من عذاب الله، ودعا نوح ﷺ الله ألا يترك على وجه الأرض منهم أحدًا يسكن الدار، فإن بقاء الكفار سبب لإضلال العباد، وذريتهم مثلهم في الفجور والإضلال، فاستجاب الله له، فأهلك جميع من على وجه الأرض من الكافرين حتى ولد نوح لصلبه الذي اعتزل عن أبيه، ودعا نوح ﷺ لأتباعه من المؤمنين بالمغفرة، وابتدأ بوالديه، وهو دعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات، يعم الأحياء منهم والأموات؛ ولهذا يستحب الدعاء بمثل هذا الدعاء اقتداء بنوح ﷺ، ودعا على الظالمين المكذبين ألا يزيدهم الله إلا هلاكًا وخسارًا في الدنيا والآخرة.



ترتيبها ٧٢ — سُورَةُ الجِنِّ — آياتها ٢٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾



سورة الجن

وهي سورة مكية سميت بذلك لذكر الجن فيها

الجن من مخلوقات الله خلقهم من النار، وكلفهم بالأعمال والتوحيد والإخلاص واتباع الرسل، وقد استمعوا للقرآن فآمنوا به وصدقوا رسالة النبي ﷺ، وقالوا لقومهم لما رجعوا إليهم إنا سمعنا كلامًا مقروءًا عجبًا في فصاحته وبلاغته، وعجبًا في مواعظه وفي بركته، يهدي إلى مراشد الأمور، وهي الحقّ والصواب، وإلى توحيد الله، فصدّقنا به بأنه من عند الله ولن نتخذ مع الله إلهًا آخر؛ لأنه المتفرّد بالربوبية، فهو المتفرد بالألوهية وفي هذا توبيخ للكفار من بني آدم حيث آمنت الجنّ بسماع القرآن مرّة واحدة، وانتفعوا بسماع آيات يسيرة منه، وأدركوا بعقولهم أنه كلام الله وآمنوا به، ولم ينتفع كفار الإنس لا سيما رؤساؤهم وعظماؤهم بسماعه مرّات متعدّدة، وتلاوته عليهم في أوقات مختلفة مع كون الرسول منهم ويتلوه عليهم بلسانهم.

فأفرد الجن ربهم بالعبادة وعظموه وقالوا ارتفعت عظمة ربنا وجلاله، وآلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه، وتعالى عن اتخاذ الصاحبة والأولاد، فنزهوا الله تعالى ﷻ وعظموه حين أسلموا وآمنوا بالقرآن، ونزهوه عن اتخاذ الصاحبة والولد، وأنه كان يقول إبليس على الله جورًا، وظلمًا كبيرًا، وقد كانوا قبل إسلامهم يقولون على الله باطلًا وزورًا؛ وقالوا ما حسبنا أن الإنس والجن يتمالئون على الكذب على الله في نسبة الصاحبة والولد إليه، فلما سمعنا هذا القرآن وآمنا به، علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله في ذلك، وقد كانوا يرون أن لهم فضلًا على الإنس؛ لأنه كانوا يعوذون بهم، فقد كان من عادة العرب في جاهليتها أنهم يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسوؤهم، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم، زادوهم خوفًا وإرهابًا وذعرًا، حتى يبقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذًا بهم، وقد كان الجن يخافون من الإنس كما يخاف الإنس منهم أو أشد، وكان الإنس إذا نزلوا واديًا هرب الجن، فيقول سيد القوم نعوذ بسيد أهل هذا الوادي، فقال الجن نراهم يخافون منا كما نخاف منهم، فدنوا من الإنس فأصابوهم بالخبل والجنون، وقد ظن الجن كما ظن الإنس أن لن يبعث الله بعد هذه المدة رسولًا، وحين بعث الله رسوله محمدًا ﷺ وأنزل عليه القرآن، وكان من حفظ الله له أن السماء ملئت حرسًا شديدًا، وحفظت من سائر أرجائها، وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك؛ لئلا يسترقوا شيئًا من القرآن، فيلقوه على ألسنة الكهنة، فيلتبس الأمر ويختلط ولا يدرى من الصادق، وهذا من لطف الله بخلقه ورحمته بعباده، وحفظه لكتابه العزيز، فمن يريد أن يسترق السمع يجد له شهابًا مرصدًا له، لا يتخطاه ولا يتعداه، بل يمحقه ويهلكه، وكانت الجن لا تدري ما سبب هذا الأمر الذي حدث في السماء، أشر أريد بمن في الأرض، أم أراد بهم ربهم رشدًا؟ وهذا من أدبهم في العبارة حيث أسندوا الشر إلى غير فاعل، والخير أضافوه إلى الله ﷻ، فكان هو السبب الذي حملهم على طلب السبب، فأخذوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فوجدوا رسول الله ﷺ يقرأ بأصحابه في الصلاة، فعرفوا أن هذا هو الذي حفظت من أجله السماء، فآمن من آمن منهم، وتمرد في طغيانه من بقي، فمنهم المؤمنون الصالحون ومنهم الكفار فصاروا طرائق متعددة مختلفة وآراء متفرقة، وهم يعلمون أن قدرة الله حاكمة عليهم وأنهم لا يعجزونه في الأرض، ولو أمعنوا في الهرب، فإنه عليهم قادر لا يعجزه أحد منهم، وأنهم بادروا بعد سماع الحق على الإجابة، وهذا شرف رفيع وصفة حسنة، ومن يؤمن بربه فلا يخاف أن ينقص من حسناته أو يحمل عليه غير سيئاته.

وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾
وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ
فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ
ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ
يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ
بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى
لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا
مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ
مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ
مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا
يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ
يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟
رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

من الجن المسلم ومنهم الجائر عن الحق الناكب عنه، فمن أسلم منهم فقد طلب لنفسه النجاة، وأما الكافرون فهم وقود جهنم تسعر بهم، ولو أنهم آمنوا واستقاموا على الإسلام لوسع الله عليهم أرزاقهم، ولأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ولفتحت عليهم بركات السماء والأرض، وهذا العطاء اختبارٌ وامتحانٌ لهم، وكذلك يمتحن الله الكفار فينعم عليهم بالأرزاق استدراجًا لهم، وقد كتب الله للمعرضين عن الإيمان والقرآن العذاب الشاق الشديد الموجع المؤلم، والواجب على العباد أن يوحدوا الله في عبادته، ولا يدعى معه أحد ولا يشرك به، ويجب تعظيم الله تعالى بالتوحيد، وتطهير أماكن العبادة من الشرك، فلا تجوز الصلاة عند القبور، ولا العبادة من الدعاء والذبح وقراءة القرآن لا الدعاء للميت، ولا تجوز الصلاة في المسجد الذي فيه قبر، فإن كان القبر قبل المسجد هدم المسجد، وإن كان المسجد قبل نبش القبر، ولما دعا النبي ﷺ إلى التوحيد، اجتمعت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه، فأبى الله إلا أن ينصره ويمضيه ويظهره على من ناوأه، وأمره الله أن يقول لمن آذاه وخالفه وكذبه وتظاهر عليه؛ ليبطل ما جاء به من الحق واجتمع على عداوته، إنما أعبد ربي وحده لا شريك له، وأستجير به وأتوكل عليه، وإنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي، وعبد من عباد الله ليس إلي من الأمر شيء في هدايتكم ولا غوايتكم، بل المرجع في ذلك كله إلى الله ﷻ، وإني لو عصيت ربي فإنه لا يقدر أحد على إنقاذي من عذابه، ولا يجيرني منه ويخلصني إلا إبلاغي الرسالة التي أوجب أداءها علي، وأبلغكم رسالة الله، فمن يعص بعد ذلك فله جزاء على ذلك نار جهنم خالدًا فيها أبدًا، لا محيد له عنها، ولا خروج له منها، وفي يوم القيامة حين يرى هؤلاء المشركون من الجن والإنس ما يوعدون، فسيعلمون يومئذ من أضعف ناصرًا وأقل عددًا، هم أم المؤمنون الموحدون لله ﷻ؟ بل المشركون لا ناصر لهم بالكلية، وهم أقل عددًا من جنود الله ﷻ، والرسول ﷺ لا علم له بوقت الساعة، ولا يدري أقريب وقتها أم بعيد؟ ولا يعلمها إلا من يعلم الغيب والشهادة، ولا يطلع أحد من خلقه على شيء من علمه إلاّ من اصطفاه من الرسل، أو من ارتضاه منهم لإظهاره على بعض غيبه؛ ليكون ذلك دالًّا على نبوّته.

ويحفظ الله ذلك الغيب الذي يطلع عليه الرسول فيجعل بين يدي الرسول ومن خلفه حرسًا من الملائكة يحرسونه من تعرّض الشياطين لما أظهره عليه من الغيب، أو يجعل بين يدي الوحي وخلفه حرسًا من الملائكة يحوطونه من أن تسترقه الشياطين، فتلقيه إلى الكهنة، ليعلم الله أن رسله قد أبلغوا رسالاته، ليعلم ذلك واقعًا كما علمه غيبًا، فإن تعالى يعلم الأشياء قبل كونها قطعًا لا محالة؛ والله قد أحاط بما لديهم من الأحوال وأحصى كل فرد من مخلوقاته على حدة.

سورة المزمل

ترتيبها ٧٣ — آياتها ٢٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

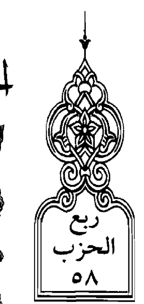
يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦) إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (٧) وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨) رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٩) وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (١٠) وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا (١١) إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (١٣) يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا (١٤) إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا (١٦) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا (١٧) ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا (١٨) إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا (١٩)



سورة المزمل

وهي سورة مكية سميت بذلك لذكر المزمل فيها

أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يترك التزمل، وهو التغطي في الليل، وينهض إلى القيام لربه ﷻ، فامتثل رسول الله ﷺ ما أمره الله تعالى به من قيام الليل، وقد كان واجبًا عليه وحده، فأمره أن يقوم نصف الليل بزيادة قليلة أو نقصان قليل، لا حرج عليه في ذلك، وأن يقرأ القرآن على تمهل، فإنه يكون عونًا له على فهم القرآن وتدبره، وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه، فيستحب للمؤمن الترتيل وتحسين الصوت بالقراءة، لا ينثره نثر الدقل ولا يهذه هذ الشعر، يقف عند عجائبه، ويحرك به القلوب، ولا يكن همه آخر السورة، وأمر الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ بقيام الليل ليكون عونًا له لتحمل نزول القرآن عليه، وليتحمل أعباء الرسالة، فإن القرآن ثقيل وقت نزوله من عظمته، وثقيل في العمل به عند النفوس الضعيفة، وقد كان الوحي إذا نزل على رسول الله ﷺ في اليوم الشديد البرد ينقطع عنه وإن جبينه ليتفصد عرقًا، وإذا نزل عليه وهو على راحلته بركت، فما تستطيع أن تتحرك حتى يسرى عنه، وهو ثقيل يوم القيامة في الموازين، وساعات الليل وأوقاته أشد مواطأة بين القلب واللسان، وأجمع على التلاوة؛ وأجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار؛ لأنه وقت انتشار الناس ولغط الأصوات وأوقات المعاش، وللمسلم في النهار الكثير من النوافل، وأمر الله نبيه محمدًا ﷺ، والأمر لأمته من بعده بالإكثار من ذكر الله، والانقطاع إليه، والتفرغ لعبادته إذا فرغ من أشغاله، وما يحتاج إليه من أمور دنياه، وأن يخلص له العبادة، والاجتهاد في العبادة دون انقطاع، فإن الله هو المالك المتصرف في المشارق والمغارب لا إله إلا هو، وكما يفرده العباد بالعبادة فليفردوه بالتوكل، وأمر الله رسوله ﷺ بالصبر على ما يقوله من كذبه من سفهاء قومه، وأن يهجرهم هجرًا جميلًا وهو الذي لا عتاب معه، وتوعد الله الكفار وهو العظيم الذي لا يقوم لغضبه شيء، وبالأخص المكذبين المترفين أصحاب الأموال، فإنهم على الطاعة أقدر من غيرهم وهم يطالبون من الحقوق بما ليس عند غيرهم، فإن لهم مهلة ثم يصيرون إلى العذاب والجحيم، وطعامهم في النار يعترض في الحلق فلا يدخل ولا يخرج، يوم تزلزل الأرض، وتكون الجبال ككثبان الرمل بعدما كانت حجارة صماء، ثم إنها تنسف نسفًا فلا يبقى منها شيء إلا ذهب، حتى تصير الأرض قاعًا صفصفًا، لا ترى فيها واديًا، ولا رابية، وقد أرسل الله لكفار قريش، رسولًا شاهدًا عليهم بأعمالهم، كما أرسل موسى ﷺ إلى فرعون فأخذه الله أخذًا شديدًا، فليحذر من يكذب محمدًا ﷺ أن يصيبه ما أصاب فرعون، حيث أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، وهم أولى بالهلاك والدمار إن كذبوا؛ لأن رسولهم أشرف وأعظم من موسى بن عمران، فكيف يحتمل من كفر يومًا تشيب فيه الولدان، من شدة أهواله وزلازله، وذلك حين يقول الله لآدم: ابعث بعث النار، فيقول: من كم، فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد إلى الجنة، كيف يتحمل هول هذا اليوم وكربته من أعرض عن الله؟ فبسبب شدته وهوله تتشقق السماء، ذلك اليوم الموعود يقع فيه كل موعود لا محالة، ولا محيد عنه، فهذا القرآن وما فيه من الآيات تذكرة، يتذكر بها أولو الألباب؛ ممن شاء الله هدايتهم، فاتخذوا من الأعمال الصالحة سفنًا إلى الآخرة.



۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًاۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ المُدَّثِّرِ

ترتيبها ٧٤ — آياتها ٥٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾

أوجب الله على نبيه محمدًا ﷺ قيام الليل، وكان المؤمنون يصلون في الليل، فكانوا يقومون أقلّ من ثلثي الليل، وأقلّ من نصفه، وأقلّ من ثلثه، من غير قصد منهم، وهم لا يقدرون على المواظبة على ما أمرهم الله به من قيام الليل؛ لأنه يشق عليهم؛ ولا يستطيعون معرفة قدر الليل والنهار، لأنهما تارة يعتدلان، وتارة يأخذ هذا من هذا، أو هذا من هذا، فأمرهم الله أن يقوموا من الليل ما تيسر، وعبر عن الصلاة بالقراءة، فالله سبحانه يعلم أن سيكون من هذه الأمة ذوو أعذار في ترك قيام الليل، من مرضى لا يستطيعون ذلك، ومسافرين في الأرض يبتغون من فضل الله في المكاسب والمتاجر، وآخرين مشغولين بما هو الأهم في حقهم من الغزو في سبيل الله فيقومون من الليل ما تيسر عليهم منه، ولو بركعة، وليقيموا صلاتهم الواجبة عليهم، ويخرجوا الزكاة المفروضة ولينفقوا في سبيل الله من الصدقات، فإن الله يجازي على ذلك أحسن الجزاء وأوفره، وجميع ما يقدمه العباد بين أيديهم يجدون أجره عند ربهم، وهو خير مما أبقوه لأنفسهم في الدنيا، وليكثر العباد من ذكرالله واستغفاره في أمورهم كلها؛ فإنه غفور رحيم لمن استغفره.

سورة المدثر

وهي سورة مكية وسميت بذكر المدثر فيها

لما نزل القرآن على النبي ﷺ تغطى بغطاء، فأنزل الله عليه يا أيها المتغشي بثيابه قم، فشمر عن ساق العزم، وأنذر الناس، وبهذا حصل الإرسال، كما حصل باقرأ النبوة، وربك فعظمه بالتوحيد، ونفسك طهرها من المعاصي والأصنام، فاهجرها وأهلها، ولا تعط العطية تلتمس أكثر منها، ولا تمنن بعملك على ربك تستكثره، ولا تضعف أن تستكثر من الخير، واجعل صبرك على أذى قومك لوجه ربك ﷻ، فإذا نفخ في الصور، فذلك يومئذ يوم شديد على الكافرين غير سهل، وقد توعد الله الوليد بن المغيرة ومن شابهه في الجحود، الذي أنعم الله عليه بنعم الدنيا، فكفر بأنعم الله، وبدلها كفرًا، وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها، وجعلها من قول البشر، فقد خرج من بطن أمه وحده لا مال له ولا ولد، ثم رزقه الله مالًا واسعًا كثيرًا، وجعل له بنين حضورًا عنده لا يسافرون في التجارات، بل مواليهم وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم وهم قعود عند أبيهم، يتمتع بهم، وكانوا ثلاثة عشر، ومكن الله له من صنوف المال والأثاث وغير ذلك، ثم يطمع بالزيادة وهو معاند، كافر بنعم الله عليه، ففي يوم القيامة يكلف أن يصعد جبلًا في النار من نار، فإذا وضع يده ذابت، وإذا رفعها عادت، فإذا وضع رجله ذابت، وإذا رفعها عادت، ويعيش في مشقة من العذاب لا راحة فيه، لبعده عن الإيمان.

إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةًۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًاۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾

كان المشركون يصفون القرآن بالسحر والشعر، وسمع الوليد بن المغيرة القرآن وأعجب بأسلوبه، ولكن كفار قريش ألحوا عليه أن يقول في القرآن قولًا فقال أمهلوني، ففكر ماذا يقول في القرآن وماذا يختلق من المقال؟

فلعنه الله وعذبه كيف قدر من الكلام؟ ثم تدبر بأيّ شيء يدفع القرآن ويقدح فيه؟ ثم أعاد النظرة والتروي، ثم قبض بين عينيه وقطب، وكلح وجهه وتغير، ثم أعرض عن الحق، ورجع القهقرى مستكبرًا عن الانقياد للقرآن، وقال إن هذا سحر ينقله محمد عن غيره عمن كان قبله ويحكيه عنهم، وهو ليس بكلام الله، إنما هو قول الناس، فمآله النار، وسقر من أسماء النار، ومن دركات جهنم، وسقر لا تبقي للكفار لحمًا ولا تذر لهم عظمًا ولا تبقي من فيها حيًا ولا تذره ميتًا، مغيرة للكفار، ومحرقة لجلودهم، ومسوّدة لهم مما يصيبهم من حرها وزمهريرها، وزبانية النار تسعة عشر من الملائكة، وما جعل الله خزنة النار إلا زبانية غلاظًا شدادًا، لا يقاومون ولا يغالبون، وما ذكر عددهم أنهم تسعة عشر إلا اختبارًا من الله للناس؛ ليعلم اليهود والنصارى أن هذا الرسول حق؛ فإنه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء قبله، ويزداد إيمان المؤمنين بما يشاهدون من صدق إخبار نبيهم محمد ﷺ، ويوقن أهل الكتاب والمؤمنون بنبوة محمد ﷺ ويقول الكفار ومن في قلبه شك وحيرة: ما الحكمة في ذكر عدد زبانية النار؟ كذلك يضلّ الله عن الجنة من يشاء، ويهدي إليها من يشاء، وما يعلم عدد خلق الله، ومقدار الملائكة، وغيرهم إلا هو وحده، ولايعلم عدد الملائكة الذين خلقهم الله لتعذيب أهل النار إلاّ الله، وإن كان خزنة النار تسعة عشر، فلهم من الأعوان والجنود من الملائكة ما لا يعلمه إلاّ الله سبحانه، وما ذكر عدد خزنة النار إلاّ تذكرة وموعظة للعالمين، وليعلموا كمال قدرة الله، وأقسم الله تعالى بالقمر والليل إذا تولى ذاهبًا، والصبح إذا أضاء وتبين وجواب القسم أنّ سقر إحدى الأمور العظام، وهي نذير للبشر، وما أنذر الله بشيء أدهى منها، وهي نذير لمن شاء أن يقبل النذارة ويهتدي للحق، أو يتأخر عنها ويولي ويردها، فكل نفس معتقلة بعملها يوم القيامة، إلا أصحاب اليمين فإنهم لا يرتهنون بذنوبهم في النار ولكن يغفرها الله لهم فهم في جنات يتساءلون، يسألون المجرمين وهم في الغرفات وأولئك في الدركات قائلين لهم ما أدخلكم النار؟ فيجيبونهم ما عبدنا ربنا ولا أحسنا إلى خلقه من جنسنا، وكنا نتكلم فيما لا نعلم، وكنا نكذب بيوم البعث والنشور، حتى أتانا الموت.

فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

سورة القيامة

ترتيبها ٧٥ — آياتها ٤٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾

نصف الحزب ٥٨

في يوم القيامة لا تنفع المشركين شفاعة شافع فيهم؛ لأن الشفاعة لا تنفع إلا من رضي الله عنه، فأما من وافى الله كافرًا يوم القيامة فإن له النار لا محالة خالدًا فيها، فما لهؤلاء الكفرة الذين يدعون إلى الله، وقد أعرضوا عن الذكرى كأنهم في نفورهم عن الحق، وإعراضهم عنه حمر من حمر الوحش إذا فرت من الأسد، وقالوا ليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله أنك لرسوله نؤمر فيه باتباعك، وكل ذلك من المكابرة والعناد، وإنما أفسدهم عدم إيمانهم وتكذيبهم، والقرآن تذكرة لمن أراد أن يتذكر ويعتبر، وما يعتبر ويتعظ إلا من أراد الله هدايته، والله أهل أن تتقى محارمه، وهو أهل أن يخاف منه وأهل أن يغفر لمن اتقاه، وهو أهل أن يغفر ذنب من تاب إليه وأناب.

سورة القيامة

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر القيامة فيها

أقسم الله بيوم القيامة وأقسم بالنفس اللوامة، وهي النفس التي تلوم على الخير والشر، وتندم على ما فات، وجواب القسم، أيظن الإنسان ألا يقدر الله على إعادة عظامه وجمعها من أماكنها المتفرقة، بلى سيجمعها الله، ولو شاء الله لبعثه أزيد مما كان، فيجعل أطراف أصابعه مستوية، والإنسان يمضي به الأمل، فيسوف بالتوبة، ونفسه تقوده إلى معصية الله قدمًا قدمًا، إلا من عصمه الله، ويقول متى يكون يوم القيامة؟ وهو سؤال استبعاد لوقوعه، وتكذيب لوجوده، ويوم القيامة حين تشخص الأبصار وتنبهر وتخشع وتحار وتذل من شدة الأهوال من عظم ما تشاهده يوم القيامة من الأمور، وذهب ضوء القمر، وكور الشمس والقمر، فإذا عاين ابن آدم هذه الأهوال يوم القيامة، حينئذ يريد أن يفر ويقول أين المفر؟ هل من ملجأ أو موئل؟ فلا نجاة اليوم، وليس لهم مكان يعتصمون فيه، إلى الله المرجع والمصير، يخبر الإنسان بجميع أعماله قديمها وحديثها، أولها وآخرها، صغيرها وكبيرها، وهو شهيد على نفسه، عالم بما فعله ولو اعتذر وأنكر، ويشهد عليه سمعه وبصره ويداه ورجلاه وجوارحه، وعلم الله ﷻ رسوله ﷺ كيفية تلقيه الوحي من الملك، فإنه كان يبادر إلى أخذه، ويسابق الملك في قراءته، فأمره الله ﷻ إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له، وتكفل له أن يجمعه في صدره، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه، فالحالة الأولى جمعه في صدره، والثانية تلاوته، والثالثة تفسيره وإيضاح معناه؛ وتبيين حلاله وحرامه.

كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴿٤٠﴾

سكتة لطيفة على النون

سُورَةُ الإِنسَانِ

ترتيبها ٧٦ — آياتها ٣١

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

ما حمل الكفار على التكذيب بيوم القيامة ومخالفة ما أنزله الله ﷻ على رسوله ﷺ من الوحي الحق والقرآن العظيم إلا محبتهم الدار الدنيا العاجلة، فهم متشاغلون فيها عن الآخرة، والمؤمنون الذين آثروا الآخرة يوم القيامة وجوههم حسنة بهية مشرقة مسرورة، ترى ربها عيانًا، وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله ﷻ في الدار الآخرة، فما أعطي أهل الجنة شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم وهي الزيادة، أسأل الله ألا يحرمنا ووالدينا وأهلينا وذرياتنا والمسلمين تلك الرؤية، وأما وجوه الفجار يوم القيامة فهي كالحة وعابسة، قد أيقنت أنها هالكة، والمؤمن يعد العدة، وأول تلك الأهوال ساعة الاحتضار ثبتنا الله بالقول الثابت، حين تبلغ الروح الحلقوم، وتنزع حتى تبلغ عظام الترقوة، وطُلب الراقي ليرقيه، والطبيب ليصف له الدواء، واجتمع عليه آخر يوم في الدنيا، وأول يوم من أيام الآخرة، فتلتقي الشدة بالشدة إلا من رحم الله، واجتمع عليه أمران: الناس يجهزون جسده، والملائكة يجهزون روحه، إلى الله المرجع والمآب، وذلك أن الروح ترفع إلى السماوات، فيقول الله ﷻ ردوا عبدي إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، فالكافر الذي كان في الدار الدنيا مكذبًا للحق بقلبه، متوليًا عن العمل بقالبه، فلا خير فيه باطنًا ولا ظاهرًا، فلم يصدق بآيات الله ولم يصلِّ لله ركعة واحدة، وإنما كذب بالحق، وأعرض أشرًا بطرًا كسلانًا، لا همة له ولا عمل، يختال ويتبختر، فليختل وليتبختر وليتكبر فإن مصيره العذاب، وهل يظن الإنسان أن الله خلقه عبثًا وتركه لا يؤمر ولا ينهى، ويترك في قبره سدى لا يبعث، بل هو مأمور منهي في الدنيا، محشور إلى الله في الدار الآخرة، فقد كان الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين، يمنى ويراق من الأصلاب في الأرحام، فصار علقة ثم مضغة، ثم شكل ونفخ فيه الروح، فصار خلقًا آخر سويًا سليم الأعضاء، ذكرًا أو أنثى بإذن الله وتقديره، فالذي أنشأ هذا الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة قادر على أن يعيده كما بدأه

سورة الإنسان

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر الإنسان فيها

خلق الله الإنسان وأوجده بعد أن لم يكن شيئًا يذكر لحقارته وضعفه، خلقه من ماء الرجل وماء المرأة، إذا اجتمعا واختلطا، ثم ينتقل بعد من طور إلى طور، وحال إلى حال، ولون إلى لون، خلقه ليختبره، وأنعم عليه بالسمع والبصر ليتمكن بهما من الطاعة والمعصية، وبيّن الله له ووضح طريق الخير وطريق الشر، فإما يشكر النعمة بالتوحيد، أو يكفرها بالشرك، فكل الناس غاد، فمبتاع نفسه فمعتقها، وبائع نفسه فمهلكها، وأعد الله للكافرين من خلقه به من السلاسل والأغلال اللهب والحريق في نار جهنم، وأما ما أعده الله لعباده المؤمنين في الجنة فهم يشربون من خمر الجنة مخلوط بالكافور.

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ
يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا
وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا
﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ
ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا
﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾
وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ
مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾
وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا
﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا
﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ
خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا
طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ
مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب
٥٨

يسقى المؤمنون من عين الكافور يجرونها إلى حيث يريدون، وينتفعون بها كما يشاءون، ويتبعهم ماؤها إلى كل مكان يريدون وصوله إليه، وتتبعهم حيث مالوا مالت معهم، فقد كانوا في الدنيا يتعبدون لله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع، وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر، ويتركون المحرمات التي نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد، وهو اليوم الذي شره منتشر عام على الناس إلا من رحم الله، ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له المسكين واليتيم والأسير، وقد كانوا يكرمون الأسارى، ويقدمونهم على أنفسهم عند الغداء، يطلبون في هذا الإطعام ثواب الله ورضاه، لا يطلبون مجازاة من أحد ولا شكرًا من الناس.

ويسألون ربهم أن يرحمهم ويلطف بهم في اليوم الضيق الطويل، يوم يعبس الكافر حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران، ففي يوم القيامة يؤمنهم الله من الخوف، ويعلو وجوههم البشر والنور، وتسر قلوبهم وتبتهج لما يرون من نعيم الله، وبسبب صبرهم أعطاهم الله وبوأهم الجنة منزلًا رحبًا، وعيشًا رغدًا، ولباسًا حسنًا، يضطجعون ويجلسون على السرر تحت الحجال، ليس عندهم حر مزعج، ولا برد مؤلم، بل هي مزاج واحد دائم سرمدي، قريبة إليهم أغصان الأشجار، لا يرد أيديهم عنها شوك ولا بعد، إن قام ارتفعت بقدره، وإن قعد تدلت له حتى ينالها، وإن اضطجع تدلت له حتى ينالها، ويطوف عليهم الخدم بأواني الطعام، وهي من فضة، وأكواب الشراب وهي الكيزان التي لا عرى لها ولا خراطيم، في بياض الفضة وصفاء الزجاج، والقوارير لا تكون إلا من زجاج، وهذه الأكواب هي من فضة، وهي مع هذا شفافة يرى ما في باطنها من ظاهرها، وهذا مما لا نظير له في الدنيا، على قدر ريهم، لا تزيد عنه ولا تنقص، بل هي معدة لذلك، مقدرة بحسب ري صاحبها، على قدر أكف الخدام، ويسقون الأبرار في هذه الأكواب خمرًا، ممزوجًا بالزنجبيل، فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور، وهو بارد، وتارة بالزنجبيل وهو حار، ليعتدل الأمر، وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة، وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منهما خالصًا، وعين الزنجبيل في الجنة تسمى سلسبيلًا، سميت بذلك لسلاسة سيلها وحدة جريها.

ويطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان الجنة، على حالة واحدة مخلدون عليها لا يتغيرون عنها، لا تزيد أعمارهم عن تلك السن، إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة وفي كثرتهم، وفي صباحة وجوههم، وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم حسبتهم لؤلؤًا منثورًا، ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن، وما من أهل الجنة من أحد إلا يسعى عليه ألف خادم، كل خادم على عمل ما عليه صاحبه، ففي الجنة ونعيمها وسعتها وارتفاعها وما فيها من الحبرة والسرور، وهي النعيم المقيم والملك العظيم، ولباس أهل الجنة فيها الحرير، ومنه السندس، وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي أبدانهم، والإستبرق منه ما فيه بريق ولمعان، وهو مما يلي الظاهر، كما هو المعهود في اللباس، وحليهم الأساور من الفضة، وهذه صفة الأبرار، وأما المقربون لباسهم فيها الحرير ويحلون فيها الأساور من الذهب واللؤلؤ، ومع زينة الظاهر بالحرير والحلي، طهر الله بواطنهم من الحسد والحقد والغل والأذى وسائر الأخلاق الرديئة، هذا التكريم لهم والإحسان إليهم بما كانوا يعملون في الدنيا، فقد جازاهم الله على القليل بالكثير، وقد امتن الله على رسوله ﷺ بما نزله عليه من القرآن العظيم فكرمه بالرسالة، وأمره بالصبر على قضائه وقدره، ونهاه عن طاعة الكافرين والمنافقين إن أرادوا صده عما أنزل إليه، بل عليه البلاغ والتوكل على الله؛ فإن الله عاصمه من الناس، وأمره بالإكثار من ذكر الله في أول النهار وآخره.

وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾

سُورَةُ المُرسَلات

ترتيبها ٧٧ — آياتها ٥٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

أمر النبي ﷺ بقيام الليل، ورغب المصطفى عليه الصلاة والسلام أمته بالقيام والصلاة بالليل تسبيح وتنزيه لله، وتعظيم ودعاء واستغفار، واستعداد للدار الآخرة، والكفار ومن أشبههم يؤثرون الدنيا والإقبال عليها والإنصباب إليها، على الدار الآخرة، ويتركون الاستعداد ليوم القيامة، وما فيه من الشدائد والأهوال، وهو سبحانه الذي ابتدأ خلق عباده من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة إلى أن كمل خلقهم، وقوّى خلقهم، وإذا شاء الله بعثهم يوم القيامة، فأعادهم خلقًا جديدًا، وهو سبحانه قادر أن يأتي بقوم آخرين غيرهم.

فهذا القرآن عبرة وذكرى لمن اتخذ إلى الله طريقًا ومسلكًا ممن شاء الله هدايته، ولا يقدر أحد أن يهدي نفسه، ولا يدخل في الإيمان، ولا يجر لنفسه نفعًا إلا أن يشاء الله فهو العليم بمن يستحق الهداية فييسرها له، ويقيض له أسبابها، ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى، وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة؛ يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ومن يهده فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

سورة المرسلات

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر المرسلات فيها

أقسم الله بالملائكة المرسلة بوحيه وأمره ونهيه، التي أرسلت بالمعروف، وأقسم الله بالرياح الشديدة الهبوب، وأقسم الله بالرياح اللينة، التي يرسلها الله بُشرًا بين يدي رحمته، وأقسم الله بالملائكة التي تأتي بما يفرق بين الحق والباطل، وأقسم الله بالملائكة التي تلقي إلى الرسل وحيًا فيه إعذار إلى الخلق، وإنذار لهم عقاب الله إن خالفوا أمره.

وجواب القسم: إن ما وعد الله به الناس من قيام الساعة، والنفخ في الصور، وبعث الأجساد وجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، ومجازاة كل عامل بعمله، إن خيرًا فخيرًا وإن شرًّا فشرًّا، كله كائن لا محالة، ففي ذلك اليوم يذهب ضوء النجوم، والسماء تنفطر وتنشق، وتتدلى أرجاؤها، وتوهى أطرافها، والجبال تذهب، فلا يبقى لها عين ولا أثر، وتجمع الرسل لميقات يوم معلوم، وهو يوم القيامة ليشهدوا على الأمم، فقد أخروا، وضرب لهم الأجل لجمعهم ليوم الفصل، يوم يفصل الله بين الناس بأعمالهم إلى الجنة والنار، يوم يكون الهلاك لمن كذب الرسل، فقد أهلك الله المكذبين للرسل المخالفين لما جاؤوهم به، ومن شابههم ممن كذب الرسل بعدهم، وتلك سنن الله في المجرمين الذين كذبوا الرسل، وكفروا بآيات الله.

أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

خلق الله الإنسان من طين ثم جعله نسله من ماء ضعيف حقير بالنسبة إلى قدرة البارئ ﷻ، وجمعه الله في الرحم، وهو قرار الماء من الرجل والمرأة، والرحم معد لذلك، حافظ لما أودع فيه من الماء، إلى مدة معينة من ستة أشهر أو تسعة أشهر؛ وذلك تقدير الله، وهو القادر على الخلق والإيجاد، فلا أحد يقدر كقدرته سبحانه وتعالى.

وهو الذي جعل الأرض بطنها للأموات، وظهرها للأحياء، وجعل في الأرض الجبال، أرسى بها الأرض لئلا تميد وتضطرب، وهو الذي أسقى عباده ماءً عذبًا زلالًا من السحاب، ومما أنبعه الله من عيون الأرض، فويل لمن تأمل هذه المخلوقات الدالة على عظمة خالقها، ثم بعد هذا يستمر على تكذيبه وكفره، وفي يوم القيامة يقال للكفار المكذبين بالمعاد والجزاء والجنة والنار، أسرعوا إلى عذاب جهنم الذي كنتم تكذبون به في الحياة الدنيا، أسرعوا واستظلوا بظل جهنم وهو دخان جهنم إذا ارتفع انشعب وافترق ثلاث فرق، وظل الدخان ليس ظلًّا في نفسه، ولا يقيهم حر اللهب، ويتطاير من النار شرر كالحصون، في عظمه وكبره، ولونه كالإبل السود، التي تميل إلى الصفرة، نسأل الله السلامة من النار، والنجاة منها ووالدينا وأهلينا وذرياتنا والمسلمين، ففي ذلك الموقف لا يتكلم الكفار، ولا يقدرون على الكلام، ولا يؤذن لهم فيه ليعتذروا، بل قد قامت عليهم الحجة، ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون، فقد جمعهم الله بقدرته في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، فلا يقدرون على التخلص من قبضة الله، ولا ينجون من حكمه، فأين جبروتهم وتكبرهم على عبادة الله في الدنيا؟ وأما عباد الله المتقين الذين عبدوا الله بأداء الواجبات، وترك المحرمات، فهم يوم القيامة في جنات وعيون، لهم من سائر أنواع الثمار، مهما طلبوا وجدوا، يقال لهم كلوا واشربوا في عيشة هنيئة في الجنة بما كنتم تعملون في الدنيا، وهذا جزاء الله لمن أحسن العمل، وأما المكذبون الضالون يتمتعون في الدنيا بشهواتهم مدة قليلة قريبة قصيرة، ثم يساقون إلى نار جهنم، فقد كانوا إذا أمروا بأن يكونوا من المصلين مع الجماعة، امتنعوا من ذلك واستكبروا عنها؛ وفي ذلك دلالة على وجوب صلاة الجماعة، التي أوجبها الله في حال الأمن والخوف، والتي تفضل على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة، وقد همَّ النبي ﷺ بتحريق المتخلفين عن صلاة الجماعة، وصلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل وما كثر فهو أحب إلى الله تعالى

فمن لم يؤمن بهذا القرآن، فبأي كلام يؤمن به، ومن لم يهتدِ بالقرآن فبماذا يهتدي؟ ومن لم يتأثر بالقرآن فبأي شيء يتأثر، ومن لم يتعظ بزواجر القرآن فبأي شيء ينزجر.

سُورَةُ النَّبَإِ

ترتيبها ٧٨ آياتها ٤٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾
كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾
وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا
﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا
مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ
أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ
فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ
ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ
مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا
﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ
أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾



سورة النبأ

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر النبأ فيها

يتساءل المشركون عن القيامة إنكارًا لوقوعها، فهم يتساءلون عن الساعة والبعث بعد الموت، وهو الخبر الهائل المفظع الباهر، الذي اختلف الناس فيه على قولين، مؤمن به وكافر، فأما المؤمن، فيزداد يقينًا واستعدادًا وبصيرة في دينه، وأما الكافر فيزداد استهزاء وسخرية، وسيعلمون حقيقة ذلك عند الاحتضار وفي القبر، وسيعلمون عند البعث، والله سبحانه قادر على البعث والنشور كما خلقهم أول مرة، وما خلق الله من السماء والأرض وغيرها إلا دليل على قدرته على ما يشاء من أمر المعاد وغيره، فقد خلق الله الأرض ممهدة للخلائق ذلولًا لهم، قارة ساكنة ثابتة، وجعل لها أوتادًا أرساها بها وثبتها وقررها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها، وخلق بني آدم من جنسين ذكر وأنثى يستمتع كل منهما بالآخر، ويحصل التناسل بذلك، وجعل النوم سكنًا، وقطعًا للحركة لتحصل الراحة من كثرة الترداد والسعي في المعايش في النهار، وجعل الليل غطاء يغشى الناس ظلامه وسواده، وجعل النهار مشرقًا منيرًا مضيئًا، ليتمكن الناس من التصرف فيه والذهاب والمجيء للمعاش والتكسب والتجارات، وغير ذلك، وخلق الله السموات السبع في اتساعها وارتفاعها وإحكامها وإتقانها، وتزيينها بالكواكب الثوابت والسيارات؛ وجعل فيها الشمس المنيرة على جميع العالم التي يتوهج ضوؤها لأهل الأرض كلهم، وأنزل من السحاب ماء منصبًا، متتابعًا، كثيرًا، فأخرج الله بهذا الماء الكثير الطيب النافع المبارك من الحبوب يدخرها الناس طعامًا لهم وللأنعام، ويخرج منه خضرًا يؤكل رطبًا، ويخرج منه بساتين وحدائق من ثمرات متنوعة، وألوان مختلفة، وطعوم وروائح متفاوتة، وإن كان ذلك في بقعة واحدة من الأرض مجتمعًا، ويوم القيامة مؤقت بأجل معدود، لا يزاد عليه ولا ينقص منه ولا يعلم وقته على التعيين إلا الله ﷻ، حين ينفخ إسرافيل في الصور وهي النفخة الثالثة فيقوم الناس من قبورهم جماعات، تأتي كل أمة مع رسولها، وتفتح السماء فتكون طرقًا ومسالك لنزول الملائكة، وتذوب الجبال فيخيل إلى الناظر أنها شيء، وليست بشيء، فتذهب بالكلية، فلا عين ولا أثر، وتعد جهنم للمردة العصاة المخالفين للرسل، ترصدهم فتأخذهم فهي المرجع والمنقلب والمصير والنزل، ويلبثون في النار أزمنة لا نهاية لها، وأما أهل التوحيد فيمحصون في النار على قدر ذنوبهم ثم يدخلون الجنة، لا يجد الكفار في جهنم بردًا لقلوبهم، ولا شرابًا طيبًا يتغذون به، فشرابهم الحميم وهو الماء الحار الذي قد انتهى حره، والغساق وهو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم، فهو بارد لا يستطاع من برده، ولا يواجه من نتنه أجارنا الله من ذلك بمنه وكرمه كل ذلك عقوبة على أعمالهم الفاسدة التي كانوا يعملونها في الدنيا، فلم يكونوا يعتقدون البعث والنشور والجزاء والحساب، وكانوا يكذبون بحجج الله ودلائله على خلقه التي أنزلها على رسله، فيقابلونها بالتكذيب والمعاندة، وقد أحصى الله أعمال العباد كلهم وكتبها عليهم، وسيجزيهم على ذلك، إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًّا فشرًّا، ويقال لأهل النار ذوقوا ما أنتم فيه، فلن نزيدكم إلا عذابًا من جنسه.

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا
دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً
حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ
مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ
إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن
شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ
يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

ترتيبها ٧٩ — آياتها ٤٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا
﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ
﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا
خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا
عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ
وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾

أعد الله تعالى لعباده المتقين من الكرامة والنعيم المقيم، فقد كتب لهم الفوز، وهو النجاة من النار، ودخول الجنة فلهم في الجنة البساتين من النخيل والأعناب، ولهم من الحور العين الأبكار في سن واحدة، قد صار ثديهنّ كالكعب في صدورهن، ولهم فيها من الشراب كؤوس من الخمر ممتلئة، لا يسمعون فيها كلام لغو ولا فاحش، ولا إثم ولا كذب، بل هي دار السلام، وكل ما فيها سالم من النقص، جازاهم الله بذلك وأعطاهم بفضله ومنه وإحسانه ورحمته؛ عطاء كافيًا وافرًا شاملًا كثيرًا، فهو سبحانه رب السموات والأرض وما فيهما وما بينهما، وهو الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء، لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا بإذنه، في ذلك اليوم يقوم جبريل ﷺ والملائكة صفًّا لا يتكلمون، إلا من أذن له الرحمن بالكلام، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ولا يقولون إلا حقًّا، ومن الحق لا إله إلا الله، فذلك يوم كائن لا محالة، فمن أراد نجاة نفسه فليتخذ إلى الله مرجعًا وطريقًا يهتدي إليه ومنهجًا يمر به عليه، وهو العمل الصالح، فيوم القيامة قريب لتأكد وقوعه، يوم تعرض فيه جميع أعمال العباد عليهم، خيرها وشرها، قديمها وحديثها، ويود الكافر يومئذ أنه كان في الدار الدنيا ترابًا، ولم يكن خلقًا، ولا خرج إلى الوجود، وذلك حين يعاين عذاب الله، وينظر إلى أعماله الفاسدة قد سطرت عليه بأيدي الملائكة السفرة الكرام البررة، وحين يحكم الله بين الحيوانات التي كانت في الدنيا، فيفصل بينها بحكمه العدل الذي لا يجور، حتى إنه ليقتص للشاة الجماء من القرناء، فإذا فرغ من الحكم بينها قال الله لها كوني ترابًا، فتصير ترابًا، فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت حيوانًا فأرجع إلى التراب.

سورة النازعات

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر النازعات فيها

أقسم الله بالملائكة، التي تنزع أرواح الكفار، فتأخذ أروحهم بعنف فتغرق في نزعها، كما ينزع السفود الكثير الشُعب من الصوف المبتل، فتخرج نفسه كالغريق في الماء، وأقسم الله بالملائكة التي تأخذ أرواح المؤمنين بسهولة وتحلها حلًّا رفيقًا فتقبضها، كما ينشط العقال من يد البعير يحل برفق.

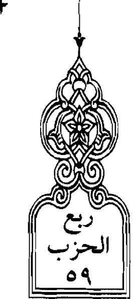
وأقسم الله بالشمس والقمر والكواكب والنجوم السابحة في الفضاء الدالة على قدرة الله تعالى، وأقسم الله بالخيل في سبيل الله التي تسبق على الجهاد وإعلاء كلمة الله، وأقسم الله بالملائكة التي تدبر الأمر من السماء إلى الأرض، بأمر ربها ﷻ، وجواب القسم وقوع الراجفة وهي الصيحة العظيمة، وهي النفخ في الصور وهي نفخة الصعق والثانية التي تردف الأولى نفخة البعث، فقلوب العباد عند نفخة البعث خائفة، أبصارها ذليلة حقيرة؛ مما عاينت من الأهوال، يستبعدون وقوع البعث بعد المصير إلى القبور، بعد تمزق أجسادهم وتفتت عظامهم ونخورها؛ ووقوع البعث بعد موتهم خسارة للكفار، والبعث أمر من الله يأمر إسرافيل فينفخ في الصور نفخة البعث، فإذا الأولون والآخرون قيام بين يدي الرب ﷻ ينظرون، فهي صيحة واحدة، فإذا هم على وجه الأرض بعد أن كانوا في بطنها، ويخبر الله رسوله محمدًا ﷺ عن عبده ورسوله موسى ﷺ أنه ابتعثه إلى فرعون، وأيده بالمعجزات، ومع هذا استمر على كفره وطغيانه، حتى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر.

إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾
فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ
ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ
فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ
﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا
﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾
وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾
وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ
ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ
لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ
هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ
﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا
﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ
مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

سُورَةُ عَبَسَ

ترتيبها ٨٠ — آياتها ٤٢

لما رجع موسى ﷺ من مدين، كلمه الله نداء، بوادي طوى المطهر، وأرسله رسولًا إلى فرعون وقومه فقد تجبر وتمرد وعتا، وأمره الله أن يدعو فرعون بالقول اللين، وأن يقول له، هل لك أن تجيب إلى طريقة ومسلك تسلم وتطيع وأدلك إلى عبادة ربك، فيصير قلبك خاضعًا له مطيعًا خاشيًا بعدما كان قاسيًا خبيثًا بعيدًا من الخير، فلم يستجب، فأظهر له موسى مع هذه الدعوة الحق حجة قوية، ودليلًا واضحًا على صدق ما جاءه به من عند الله، وهي العصا واليد، فكذب بالحق وخالف ما أمره به من الطاعة، وأسرع في مقابلة الحق بالباطل، وهو جمعه السحرة ليقابلوا ما جاء به موسى ﷺ من المعجزة الباهرة، فحشر جنده وسحرته، ونادى في قومه فقال أنا ربكم الأعلى، فانتقم الله منه انتقامًا جعله به عبرة ونكالًا لأمثاله من المتمردين في الدنيا والآخرة، وفي إهلاك فرعون عبرة لمن يتعظ وينزجر، والذين ينكرون البعث وإعادة الخلق، هل هم أعظم خلقًا من السماء؟ بل السماء أشد خلقًا منهم، جعلها الله عالية البناء، بعيدة الفناء، مستوية الأرجاء، مكللة بالكواكب في الليلة الظلماء، وجعل ليلها مظلمًا أسود حالكًا، ونهارها مضيئًا مشرقًا نيرًا واضحًا، ومن عظيم قدرة الله خلق الأرض ودحوها، وهو إخراج الماء منها والمرعى، وشق الأنهار فيها، وإنباع عيونها، وإظهار مكنونها، وإجراء أنهارها، وإنبات زروعها وأشجارها وثمارها، وخلق الجبال والرمال والسبل والآكام فيها، وبالجبال قررها وأثبتها وأكدها في أماكنها، وهو الحكيم العليم، الرءوف بخلقه الرحيم، كل ذلك متاعًا لخلقه ولما يحتاجون إليه من الأنعام التي يأكلونها ويركبونها مدة احتياجهم إليها في هذه الدار إلى أن ينتهي الأمد، وينقضي الأجل، فإذا جاءت القيامة، التي تطم على كل أمر هائل مفظع، حينئذ يتذكر ابن آدم جميع عمله خيره وشره، وأظهرت النار للناظرين فرآها الناس عيانًا، فأما من تمرد وعتا، وقدم الدنيا على أمر دينه وأخراه، فإن مصيره إلى الجحيم وإن مطعمه من الزقوم، ومشربه من الحميم، وأما من خاف القيام بين يدي الله ﷻ، وخاف حكم الله فيه، ونهى نفسه عن هواها، وردها إلى طاعة مولاها، فإن منقلبه ومصيره ومرجعه إلى الجنة الفيحاء، اللهم اجعلنا منهم ووالدنيا وأهلينا وذرياتنا والمسلمين، ويتساءل الكفار عن الساعة متى تكون، فأمر النبي ﷺ أن يقول ليس علمها إلي ولا إلى أحد من الخلق، بل مردها ومرجعها إلى الله ﷻ، فهو الذي يعلم وقتها على التعيين، وإنما النبي ﷺ بعث لينذر الناس ويحذرهم من بأس الله وعذابه، فمن خشي الله وخاف مقامه ووعيده، اتبعه فأفلح وأنجح، والخيبة والخسار على من كذبه وخالفه، فهم إذا قاموا من قبورهم إلى المحشر يستقصرون مدة الحياة الدنيا، حتى كأنها عندهم عشية من يوم أو ضحى من يوم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾



سورة عبس

وهي سورة مكية ، سميت بذلك لذكر عبوس النبي فيها

كان رسول الله ﷺ يومًا يخاطب أحد عظماء قريش، وقد طمع في إسلامه، فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابن أم مكتوم، وكان ممن أسلم قديمًا، فجعل يسأل رسول الله ﷺ عن شيء ويلح عليه، وود النبي ﷺ أن لو كف ساعته تلك ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل؛ طمعًا ورغبة في هدايته، وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه، وأقبل على الآخر، فعاتبه الله في ذلك، وما يعلم النبي ﷺ لعل في جوابه لابن أم مكتوم تحصل له الزكاة والطهارة في نفسه، أو يحصل له اتعاظ وانزجار عن المحارم، أما الغني فأنه يتعرض له لعله يهتدي، ما هو بمطالب به إذا لم يحصل له زكاة، وأما من يقصده ويؤمه ليهتدى بما يقول له، فهو يتشاغل عنه، وأمر الله ﷻ رسوله ﷺ ألا يخص بالإنذار أحدًا، بل يساوى فيه بين الشريف والضعيف، والفقير والغني، والسادة والعبيد، والرجال والنساء، والصغار والكبار، ثم الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، فالقرآن تذكرة وعبرة وعظة، فمن رغب فيها اتعظ بها، وحفظها وعمل بموجبها، ومن رغب عنها، كما فعله من استغنى، فلا حاجة إلى الاهتمام بأمره، والقرآن في صحف معظمة موقرة، مرفوعة القدر، والذكر، ومرفوعة عن الشبه والتناقض، مطهرة من الدنس والزيادة والنقص، بأيدي الملائكة، وهم السفرة بين الله وبين خلقه، خلقهم كريم حسن شريف، وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة، فينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد، والإنسان حين يضل عن الطريق يكذب، فلعن الإنسان ما أكثر تكذيبه بلا مستند، بل بمجرد الاستبعاد وعدم العلم، وما أشد كفره، فقد خلقه الله من نطفة حقيرة، وهو قادر على إعادته كما بدأه، وهو الذي قدر أجله ورزقه وعمله وشقي أو سعيد، ثم يسر عليه خروجه من بطن أمه، وبعد خلقه له هو الذي يميته ويقبره، فهو سبحانه الذي شرع لعباده القبر للميت كرامة له، ثم إذا أراد الله بعثه بعد موته بعثه، فالإنسان الكافر الذي يزعم أنه أدى حق الله عليه في نفسه وماله، فهو في الحقيقة لم يؤد حق الله لأنه لم يؤد ما فرض عليه من الفرائض لربه عز وجل، وأعظمها التوحيد، فقد خلق الله للإنسان طعامه بإحياء النبات من الأرض الهامدة بإنزال الماء من السماء على الأرض، فأسكنه فيها فدخل في تخومها وتخلل في أجزاء الحب المودع فيها فنبت وارتفع وظهر على وجه الأرض، فنبتت الحبوب، والأعناب، والعلف للأنعام، ونبت الزيتون والنخيل، يؤكل بلحًا بسرًا، ورطبًا، وتمرًا، ونيئًا، ومطبوخًا، وأنبت البساتين فيها الشجر الذي يستظل به، وفيها الفاكهة، وهي ما يتفكه به من الثمار، وفيها الأب وهو ما أنبتت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس، كل ذلك عيشة للإنسان وللأنعام في هذه الدار إلى يوم القيامة، فإذا جاءت صيحة القيامة، التي تصخ الأسماع، فتبالغ في إسماعها حتى تكاد تصمها، يفر الإنسان من أقاربه، يراهم ويفر منهم، ويبتعد عنهم؛ لأن الهول عظيم، والخطب جليل، فلكل إنسان يوم القيامة شأن يشغله عن الأقرباء، ويصرفه عنهم، يفرّ عنهم حذرًا من مطالبتهم إياه بما بينهم فالجميع في شغل شاغل عن غيره، ويكون الناس فريقين وجوه مستنيرة، مسرورة فرحة من سرور قلوبهم، قد ظهر البشر على وجوههم، وهؤلاء أهل الجنة، ووجوه يعلوها ويغشاها السواد، وهم الكفرة قلوبهم، الفجرة في أعمالهم.

سورة التكوير
ترتيبها ٨١ — آياتها ٢٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ
سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ
﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا
ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ
﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ
أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾
ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾
إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ
ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ
﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾
فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن
يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

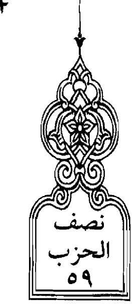
سورة الانفطار
ترتيبها ٨٢ — آياتها ١٩



سورة التكوير

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر تكوير الشمس فيها

في يوم القيامة تظلم الشمس وتضمحل وتذهب، ويجمع بعضها إلى بعض، ثم تلف فيرمى بها، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها، والنجوم تنتثر، وتزول الجبال عن أماكنها وتنسف، وتكون الأرض قاعًا صفصفًا، وتهمل عشار الإبل وتترك، وتختلط الدواب والطير والوحوش وتجمع، وتوقد البحار، وتصير نارًا تتأجج، ويقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح، ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار، وذلك تزويج الأنفس، والموءودة التي كان أهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية البنات، تسأل على أي ذنب قتلت، ليكون ذلك تهديدًا لقاتلها، فإذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذًا، وأعطى كل إنسان صحيفته بيمينه أو بشماله، فصحيفة ابن آدم يُملى فيها أعماله، ثم تطوى، ثم تنشر عليه يوم القيامة، فلينظر رجل ماذا يملي في صحيفته؟ والسماء تذهب، والجحيم توقد، والجنة تقرب إلى أهلها، فإذا وقعت هذه الأمور حينئذ تعلم كل نفس ما عملت وأحضر ذلك لها، وأقسم الله بالنجوم التي تخنس بالنهار، وتظهر بالليل، وتجرى تستقبل المشرق، وأقسم الله بالليل في إقباله بظلامه، وإذا ذهب فتولى، وبالصبح إذا طلع، وأضاء وأقبل، وجواب القسم: إن هذا القرآن تبليغ رسول كريم، ملك شريف حسن الخلق، بهي المنظر، وهو جبريل ﵇ شديد الخلق، شديد البطش والفعل، له مكانة عند الله ﷻ ومنزلة رفيعة، وله وجاهة، وهو مسموع القول مطاع في الملأ الأعلى، وهو أمين الله على وحيه، وأما محمد ﷺ فهو رسول رب العالمين، ليس بمجنون ولا بشاعر ولا بكاهن ولا بساحر، ولقد رأى محمد جبريل الذي يأتيه بالرسالة عن الله ﷻ على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح بالأفق البين، وهي الرؤية الأولى التي كانت بالبطحاء، وما محمد على ما أنزله الله إليه بمتهم، وما هو ببخيل، بل يبذله لكل أحد، فقد كان القرآن غيبًا، فأنزله الله على محمد، فما ضن به على الناس، بل بلغه ونشره وبذله لكل من أراده، وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم لا يقدر على حمله ولا يريده ولا ينبغي له، فأين تذهب عقول المشركين في تكذيبهم بهذا القرآن، مع ظهوره ووضوحه، وبيان كونه جاء من عند الله ﷻ، وأين تذهب عقولهم عن كتاب الله وعن طاعته، فهذا القرآن ذكر لجميع الناس، يتذكرون به ويتعظون، فمن أراد الهداية فعليه بهذا القرآن، فإنه منجاة له وهداية، ولا هداية فيما سواه، وليست المشيئة موكولة إلى العباد، فمن شاء اهتدى ومن شاء ضل، بل ذلك كله تابع لمشيئة الله ﷻ رب العالمين.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

سُورَةُ المُطَفِّفِين

ترتيبها ٨٣ — آياتها ٣٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾



سورة الانفطار

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر انفطار السماء فيها

في يوم القيامة تنشق السماء، وتتساقط الكواكب، والبحار يفجر الله بعضها في بعض، فيذهب ماؤها، والقبور تتحرك فيخرج من فيها، فإذا حصل هذا، تعلم كل نفس، ما تقدم من عملها وما تأخر، فيا ابن آدم ما غرك بربك العظيم حتى أقدمت على معصيته، وقابلته بما لا يليق؟! غره جهله بربه، وغره العدو الشيطان، فالرب الكريم لا ينبغي أن يقابل بالأفعال القبيحة، وأعمال السوء، الذي جعل الإنسان سويًّا معتدل القامة، في أحسن الهيئات والأشكال.

فالله ﷻ قادر على خلق النطفة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة الخلق، ولكن بقدرته ولطفه وحلمه يخلقه على شكل حسن مستقيم معتدل تام، حسن المنظر والهيئة، وإنما يحمل العباد على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي تكذيب في قلوبهم بالمعاد والجزاء والحساب، وجعل الله على عباده ملائكة حفظة كرامًا، فلا يقابلوهم بالقبائح، فإنهم يكتبون عليهم جميع أعمالهم، وينقسم العباد إلى فريقين، الأبرار إلى النعيم، وهم الذين أطاعوا الله ﷻ، ولم يقابلوه بالمعاصي، والفجار إلى الجحيم والعذاب المقيم، يعاقبون بذلك يوم الحساب والجزاء والقيامة، لا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة، ولا يخفف عنهم من عذابها، ولا يجابون إلى ما يسألون من الموت أو الراحة، ولو يومًا واحدًا، ففي يوم الدين تدان الخلائق بأعمالها، وهو يوم لا يقدر أحد على نفع أحد ولا خلاصه مما هو فيه، إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى، والأمر والملك لله تعالى.

سورة المطففين

وهي سورة مدنية، سميت بذلك لذكر الوعيد للمطففين فيها

توعد الله الذين ينقصون المكيال في بيعهم، ويزيدون في شرائهم واقتضائهم، ووعدهم الله بالخسارة والهلاك فهم يأخذون حقهم بالوافي والزائد، وإذا باعوا بالكيل ينقصون، وقد أمر الله تعالى عباده بالوفاء في الكيل والميزان، أفلا يخاف المطففون من يوم البعث والقيام بين يدي من يعلم السرائر والضمائر، في يوم عظيم الهول، كثير الفزع، جليل الخطب، من خسر فيه أدخل نارًا حامية، يوم يقوم الناس حفاة عراة غرلًا في موقف صعب حرج ضيق ضنك على المجرم، ويغشاهم من أمر الله ما تعجز القوى والحواس عنه.

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ
مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾
وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ
عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ
هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ
﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ
﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى
وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾
خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ
مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ
يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾
وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ
حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾

سكتة لطيفة على اللام

مصير الكفار ومأواهم سجين، وهي النار سجن مقيم وعذاب أليم، وسجين تحت الأرض السابعة، كتاب مكتوب مفروغ منه أنهم في النار، لا يزاد فيه أحد ولا ينقص منه أحد، فإذا صار الكفار يوم القيامة إلى ما أوعدهم الله من السجن والعذاب المهين، وجدوا الهلاك والدمار، لأنهم لا يصدقون بوقوع البعث، ولا يعتقدون كونه، ويستبعدون أمره، وإذا سمعوا كلام الله من الرسول ﷺ كذبوا به، وظنوا به ظن السوء، واعتقدوا أنه مفتعل مجموع من كتب الأوائل، وليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا: إن هذا القرآن أساطير الأولين، بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله ﷺ، وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الران الذي قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا، ويوم القيامة يحجبون عن رؤية ربهم وخالقهم، وأما المؤمنون يرون ربهم ﷻ يوم القيامة، ورؤية المؤمنين ربهم ﷻ في الدار الآخرة، رؤية بالأبصار في عرصات القيامة، وفي روضات الجنان الفاخرة، ومع هذا الحرمان لأهل النيران عن رؤية الرحمن يحرقون في النار ويعذبون فيها ويقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ والتصغير والتحقير ذوقوا العذاب الذي كنتم تكذبون به في الدنيا.

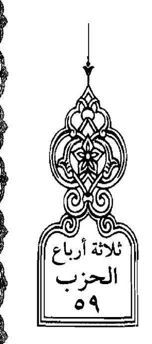
وأما كتاب الأبرار في الجنة في السماء السابعة، وفيها أرواح المؤمنين، وعليون مأخوذ من العلو، وكلما علا الشيء وارتفع عظم واتسع، كتاب مكتوب ومفروض يشهده من كل سماء مقربوها، فهم في نعيم مقيم، وجنات فيها فضل عميم، على السرر تحت الحجال، ينظرون في ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يبيد، وينظرون إلى الله ﷻ تعرف إذا نظرت إليهم في وجوههم نضرة النعيم، صفة الترفه والحشمة والسرور والدعة والرياسة؛ مما هم فيه من النعيم العظيم، يسقون من خمر الجنة مخلوط بالمسك، فقد طيب الله لهم الخمر، فكان آخر شيء وجعل فيها مسكًا، ففي مثل هذا الحال فليتفاخر المتفاخرون، وليتباهى ويكاثر ويستبق إلى مثله المستبقون، ومزاج هذا الرحيق شراب يقال له تسنيم، وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه، وهو عين يشربها المقربون صرفًا، وتمزج لأصحاب اليمين مزجًا، وأما المجرمون الذين كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين، ويستهزئون بهم ويحتقرونهم وإذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم، محتقرين لهم، وإذا رجع هؤلاء المجرمون إلى منازلهم، انقلبوا إليها فرحين مسرورين باحتقارهم للمؤمنين، ووصفوا المؤمنين بالضلال لأنهم على غير دينهم، وما بُعث هؤلاء المجرمون حافظين على المؤمنين أعمالهم وأقوالهم، ولا كلفوا بهم، ففي يوم القيامة يضحك المؤمنون على الكفار، جزاء وفاقًا فكما كانوا يضحكون منهم في الدنيا فهم في الآخرة يضحكون من الكفار وما صاروا إليه من النهاية المؤلمة.

عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾

سُورَةُ الانشِقَاقِ

ترتيبها ٨٤ — آياتها ٢٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ﴿٣﴾ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ﴿١١﴾ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَۤ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ﴿٢٥﴾

سَجۡدَة

المؤمنون يوم القيامة يضحكون على الكفار، وهم على السرر ينظرون إلى الله ﷻ، في مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون، وهم أولياء الله المقربون، ينظرون إلى ربهم في دار كرامته، فقد جزى الله الكفار على ما كانوا يقابلون به المؤمنين من الاستهزاء والتنقص، بأن يضحك منهم المؤمنون، وذلك أوفر الجزاء وأتمه وأكمله.

سورة الانشقاق

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر انشقاق السماء فيها

في يوم القيامة تنشق السماء وتكون أبوابًا وطرقًا للملائكة، والله سبحانه هو الذي أمرها فاستمعت لربها وأطاعت أمره فيما أمرها به من الانشقاق، وحق لها أن تطيع أمره؛ لأنه العظيم الذي لا يمانع ولا يغالب، بل قد قهر كل شيء وذل له كل شيء، والأرض تبسط، وتفرش وتوسع، وتلقي ما في بطنها من الأموات، وتخلت منهم، كل ذلك استجابة لأمر ربها فاستمعت لربها وأطاعت أمره فيما أمرها به من الاتساع والبسط، وحق لها أن تطيع أمره، والإنسان ساع إلى ربه سعيًا، وعامل عملًا وسيلقى ما عمل من خير أو شر، وسيلاقي ربه فيجازيه بعمله ويكافئه على سعيه، فمن أعطي كتابه بيمينه فسيكون حسابه سهلًا بلا تعسير، ولا يحقق عليه جميع دقائق أعماله؛ فإن من نوقش الحساب يوم القيامة عذب، والحساب اليسير أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه، ويرجع إلى أهله في الجنة فرحان مغتبطًا بما أعطاه الله ﷻ، وأما من أعطي كتابه بشماله من وراء ظهره، تثنى يده إلى ورائه ويعطى كتابه بها كذلك، فيدعو على نفسه بالخسار والهلاك، ويحرق في نار جهنم فقد كان في الدنيا فرحًا لا يفكر في العواقب، ولا يخاف مما أمامه، فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل، وكان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله ولا يعيده بعد موته، والله سيعيده كما بدأه، ويجازيه على أعماله خيرها وشرها، فإنه كان به عليمًا خبيرًا، وأقسم الله بالشفق وهو حمرة الأفق إما قبل طلوع الشمس، وإما بعد غروبها، وأقسم الله بالنهار مدبرًا، وبالليل مقبلًا، وما جمع من نجم ودابة، وأقسم بالقمر إذا اجتمع واستوى، وتكامل نوره وأبدر، وجواب القسم: إن الإنسان ينتقل من حال إلى حال، فقوم كانوا في الدنيا ضعيف أمرهم فارتفعوا في الآخرة، وآخرون كانوا أشرافًا في الدنيا فاتضعوا في الآخرة، وفي الدنيا ينتقل من حال إلى حال، فطيمًا بعدما كان رضيعًا، وشيخًا بعدما كان شابًا، ورخاء بعد شدة وشدة بعد رخاء، وغنى بعد فقر، وفقرًا بعد غنى، وصحة بعد سقم، وسقمًا بعد صحة، فماذا يمنع الناس من الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر؟ وما لهم إذا قرئت عليهم آيات الرحمن وكلامه، لا يسجدون إعظامًا وإكرامًا واحترامًا، ولكن الكفار من صفتهم التكذيب والعناد والمخالفة للحق، والله أعلم بما يكتمون في صدورهم، فلهم العذاب الأليم يوم القيامة، وأما الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم لهم أجر في الدار الآخرة غير منقوص وغير مقطوع، والله ﷻ له المنة على أهل الجنة في كل حال وآن ولحظة، وإنما دخلوها بفضله ورحمته لا بأعمالهم، فله عليهم المنة دائمًا سرمدًا، نسأل الله ألا يحرمنا الجنة ووالدينا وأهلينا وذرياتنا والمسلمين.

ترتيبها ٨٥ سورة البروج آياتها ٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾

ترتيبها ٨٦ سورة الطارق آياتها ١٧



سورة البروج

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر البروج فيها

أقسم الله بالسماء وبروجها، النجوم العظام، وأقسم الله باليوم الموعود، وهو يوم القيامة وبالشاهد وهو يوم الجمعة وبالمشهود وهو يوم عرفة، وجواب القسم: لعن أصحاب الأخدود، وهوالشقّ العظيم المستطيل في الأرض، وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله ﷻ، فقهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم، فأبوا عليهم، فحفروا لهم في الأرض أخدودًا وأججوا فيه نارًا، وأعدوا لها وقودًا يسعرونها به، وقعدوا على النار يعرضون عليهم الكفر فمن لم يقبل منهم قذفوه فيها، والملك وحاشيته يشاهدون ما يفعل بالمؤمنين، وكان ذنبهم إيمانهم بالله العزيز الذي لا يضام من لاذ بجنابه، المنيع الحميد في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره، وإن كان قد قدر على عباده هؤلاء هذا الذي وقع بهم بأيدي الكفار، فهو العزيز الحميد، وإن خفي سبب ذلك على كثير من الناس، وهو المالك لجميع السموات والأرض وما فيهما وما بينهما، لا يغيب عنه شيء في جميع السموات والأرض، ولا تخفى عليه خافية، فالذين حرقوا المؤمنين، وفتنوهم في دينهم، ولم يقلعوا عما فعلوا، ويندموا على ما أسلفوا، فلهم العذاب في جهنم بالزمهرير، ثم يعذبون بعذاب الحريق، فالأوّل عذاب ببردها، والثاني عذاب بحرّها، وأما عباد الله المؤمنين ممن حرقوا في الأخدود فلهم الجنة بسبب إيمانهم، وثباتهم على الإيمان، ومن اتصف بهاتين الصفتين الإيمان وعمل الصالحات فله الجنات التي تجري خلالها الأنهار وذلك هو الفوز الحقيقي لا فوز الدنيا وزينتها، وأخذ الله للظلمة بالعذاب شديد، وانتقامه من أعدائه الذين كذبوا رسله وخالفوا أمره عظيم قوي، فإنه تعالى ذو القوة المتين، الذي ما شاء كان كما يشاء في مثل لمح البصر، أو هو أقرب؛ فمن قوته وقدرته التامة أنه يبدئ الخلق ثم يعيده كما بدأه، بلا ممانع ولا مدافع، وهو الذي يغفر ذنب من تاب إليه وخضع لديه، ولو كان الذنب من أي شيء كان، والود خالص المحبة فالله ﷻ واد وموود، واد لأوليائه، وأولياؤه يودونه ويحبونه، ويحبون الوصول إليه وإلى جنته ورضوانه، وهو سبحانه صاحب العرش المعظم العالي على جميع الخلائق، وهو أعظم المخلوقات وأعلاها وهو سبحانه المجيد الكبير العظيم الجليل الموصوف بصفات المجد والكبرياء والعظمة والجلال، إذا أراد شيئًا فعله، لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل؛ لعظمته وقهره وحكمته وعدله، وقد أهلك الله الجموع الكافرة المكذبة لأنبيائهم ومنهم فرعون وقومه، وثمود قوم صالح ﷺ، فقد كفروا وعاندوا، فوقع عليهم العذاب، والكفار في شك وريب وكفر وعناد، والله قادر عليهم، قاهر لهم لا يفوتونه ولا يعجزونه، وهذا القرآن الذي كذبوا به عظيم كريم، وهو في الملأ الأعلى محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

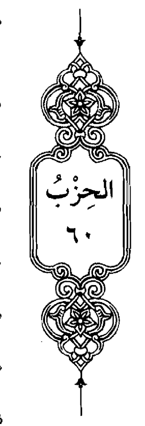
وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

سورة الأعلى

ترتيبها ٨٧ — آياتها ١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾





سورة الطارق

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر الطارق فيها

أقسم الله تعالى بالسماء وما جعل فيها من الكواكب النيرة وسمي النجم طارقًا؛ لأنه إنما يرى بالليل ويختفي بالنهار، وهو المضيء، يثقب الشياطين إذا أرسل عليها، وجواب القسم: إن كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات، وقد خلق الله الإنسان من مني يخرج دفقًا من الرجل ومن المرأة، فيتولد منهما الولد بإذن الله ﷻ يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة، وهو صدرها، والله سبحانه قادر على رجع الإنسان، وإعادته وبعثه إلى الدار الآخرة ؛ لأن من قدر على البدء قدر على الإعادة، يعيدهم في يوم تظهر فيه السرائر وتبدو، ويبقى السر علانية والمكنون مشهورًا، فما للإنسان يوم القيامة من قوة في نفسه، ولا ناصر من خارج منه، فلا يقدر على أن ينقذ نفسه من عذاب الله، ولا يستطيع له أحد ذلك، وأقسم الله بالسماء ذات المطر، وأقسم الله بالأرض التي تنصدع عن النبات، وجواب القسم أن القرآن حق، وحكم عدل، يفصل بين الحق والباطل، وهو حق، لم ينزل باللعب، فهو جدّ ليس بالهزل، والكفار يمكرون بالناس في دعوتهم إلى خلاف القرآن، والله ينظرهم ويمهلهم قليلًا، وسيرون ماذا يحل بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك.

سورة الأعلى

وهي سورة مكية سميت بذلك لذكر اسم الله الأعلى فيها

أمر الله بتنزيهه عن كل ما لا يليق به وتعظيمه، الذي خلق الخليقة وسوى كل مخلوق في أحسن الهيئات، والذي هدى الإنسان للشقاوة والسعادة، وهدى الأنعام لمراتعها، والذي أخرج المرعى من جميع صنوف النباتات والزروع، فجعله هشيمًا متغيرًا، ووعد الله نبيه محمدًا ﷺ بأنه سيقرئه قراءة لا ينساها، إلا ما شاء الله رفعه فلا عليه أن يتركه، فهو يعلم ما يجهر به العباد وما يخفونه من أقوالهم وأفعالهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء، ووعده بأن يسهل عليه أفعال الخير وأقواله، ويشرع له شرعًا سهلًا سمحًا مستقيمًا عدلًا، لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر، وأمره بالتذكير حيث تنفع التذكرة، ومن ذلك يؤخذ الأدب في نشر العلم، فلا يضعه عند غير أهله، فلا يحدث الناس حديثًا لا تبلغه عقولهم فيكون فتنة لبعضهم، وسيتعظ من يخشى الله ويعلم أنه ملاقيه، ويتجنب الذكرى الأشقى الذي كتبت عليه الشقاوة، فهو في النار لا يموت فيستريح ولا يحيا حياة تنفعه، بل هي مضرة عليه، وقد كتب الله الفوز لمن طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة، وتابع ما أنزل الله على رسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وأقام الصلاة في أوقاتها؛ ابتغاء رضوان الله وطاعة لأمر الله وامتثالًا لشرع الله، ويفلح من أدَّى زكاة الفطر وصلى صلاة العيد لأنها من شعائر الإسلام.

بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿١٦﴾ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

سورة الغاشية

ترتيبها ٨٨ — آياتها ٢٦

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ﴿٣﴾ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ﴿٤﴾ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ﴿٥﴾ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ﴿٦﴾ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ﴿٧﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ﴿٨﴾ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴿١٠﴾ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ ﴿١١﴾ فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ﴿١٣﴾ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

الناس يقدمون الحياة الدنيا على أمر الآخرة، ويفضلون الدنيا، على ما فيه نفعهم وصلاحهم في معاشهم ومعادهم، وثواب الله في الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى، فإن الدنيا دنية فانية، والآخرة شريفة باقية، فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى، ويهتم بما يزول عنه قريبًا، ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد؟ فهذه الوصايا في صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام.

سورة الغاشية

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر الغاشية فيها

جاء خبر يوم القيامة، للنبي ﷺ، والقيامة؛ تغشى الخلائق بأهوالها وتعمهم، وفي القيامة ينقسم الناس إلى فريقين، وجوه ذليلة، عملت عملًا كثيرًا، وتعبت فيه، وصليت يوم القيامة نارًا حارة شديدة الحر، شرابهم من عين قد انتهى حرها وغليانها، وطعامهم شجر من نار، من شر الطعام وأبشعه وأخبثه، لا يحصل به مقصود، ولا يندفع به محذور، ووجوه يعرف النعيم فيها، صارت وجوههم ناعمة لما شاهدوا من عاقبة أمرهم، وما أعدّه الله لهم من الخير الذي يفوق الوصف، وهي لعملها الذي عملته في الدنيا راضية، لأنها قد أعطيت من الأجر ما أرضاها وقرّت به عيونها، فهم في جنة رفيعة بهية في الغرفات آمنون، لا يسمعون في الجنة كلمة لغو، فيها عيون تجري مياهها، وتتدفق بأنواع الأشربة المستلذة، فيها سرر عالية ناعمة كثيرة الفرش، مرتفعة السمك، عليها الحور العين ولهم أواني الشرب معدة موضوعة بين أيديهم يشربون منها، ووسائد مصفوفة بعضها إلى بعض وبسط مبسوطة متفرقة ها هنا وها هنا لمن أراد الجلوس عليها، وأمر الله عباده بالنظر في مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته فالإبل خلق عجيب، وتركيبها غريب، فإنها في غاية القوة والشدة، وهي مع ذلك تلين للحمل الثقيل، وتنقاد للقائد الضعيف، وتؤكل، وينتفع بوبرها، ويشرب لبنها، ونبهوا بذلك لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل، والسماء كيف رفعها الله ﷻ عن الأرض؟ والجبال جعلت منصوبة قائمة ثابتة راسية لئلا تميد الأرض بأهلها، وجعل فيها ما جعل من المنافع والمعادن، والأرض بسطت ومدت ومهدت، فنبه المسلم على الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذي هو راكب عليه، والسماء التي فوق رأسه، والجبل الذي تجاهه، والأرض التي تحته على قدرة خالق ذلك وصانعه، وأنه الرب العظيم الخالق المتصرف المالك، وأنه الإله الذي لا يستحق العبادة سواه، وأمر الله نبيه محمدًا ﷺ أن يذكر الناس بما أرسل به إليهم، فإنما عليه البلاغ وعلى الله الحساب؛ والنبي ﷺ لا يكره الناس على الإيمان، وليس عليهم بجبار، فمن تولى عن العمل بأركانه، وكفر بالحق بجنانه ولسانه، فله العذاب الأكبر الدائم في جهنم، فإلى الله مرجع العباد ومنقلبهم والله يحاسبهم على أعمالهم ويجازيهم بها، إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًّا فشرًّا.

سورة الفجر

ترتيبها ٨٩ — آياتها ٣٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾



سورة الفجر

وهي سورة مكية، سميت بذلك لإقسام الله بالفجر فيها

أقسم الله بالفجر وهو الصبح، وسمي فجرًا لأنه وقت انفجار الظلمة عن النهار من كل يوم، وفيه صلاة الفجر من الصلوات المفروضة، وأقسم الله بالليالي العشر وهي عشر ذي الحجة، التي العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من غيرهن من الأيام، وهي أفضل أيام الدنيا، وأقسم الله بالشفع والوتر، والشفع يوم النحر لكونه العاشر، وهو أفضل الأيام عند الله، وهو يوم العج والثج، والوتر يوم عرفة، لكونه التاسع، وأقسم الله بالليل إذا ذهب، وهذا القسم من الله تعالى لذي عقل ولب ودين، وإنما سمي العقل حجرًا لأنه يمنع الإنسان من تعاطي ما لا يليق به من الأفعال والأقوال، وهذا القسم بأوقات العبادة، وبنفس العبادة من حج وصلاة وغير ذلك من أنواع القرب التي يتقرب بها إليه عباده المتقون المطيعون له، الخائفون منه، المتواضعون لديه، الخاشعون لوجهه الكريم، ولما ذكر هؤلاء وعبادتهم وطاعتهم، ذكر بعدهم المتمردين العتاة الجبارين، الخارجين عن طاعته المكذبين لرسله، الجاحدين لكتبه، فذكر تعالى كيف أهلكهم ودمرهم، وجعلهم أحاديث وعبرًا، فأهلك الله عادًا الأولى، وهم الذين بعث الله فيهم رسوله هودا ﷺ، فكذبوه وخالفوه، فأنجاه الله من بين أظهرهم ومن آمن معه منهم، وأهلكهم بريح صرصر عاتية، وقد ذكر الله قصتهم في القرآن ليعتبر بمصرعهم المؤمنون، فقد كانوا يسكنون بيوت الشعر التي ترفع بالأعمدة الشداد، وقد كانوا أشد الناس في زمانهم خلقة وأقواهم بطشًا، ولهذا ذكرهم هود بتلك النعمة وأرشدهم إلى أن يستعملوها في طاعة ربهم الذي خلقهم، فهم قبيلة لم يخلق الله مثلها في بلادهم، لقوتهم وشدتهم وعظم تركيبهم، وأهلك الله ثمودًا الذين يقطعون الصخر بالوادي، ينحتونها ويخرقونها ونبيهم صالح ﷺ أهلكهم الله بالصيحة، وأهلك الله فرعون صاحب الجنود الذين يشدون له أمره، كان فرعون يوتد أيديهم وأرجلهم في أوتاد من حديد يعلقهم بها، وقد ضرب لامرأته أربعة أوتاد، ثم جعل على ظهرها رحى عظيمة حتى ماتت، فهذه الأمم تمردوا وعتوا وعاثوا في الأرض بالإفساد والأذية للناس، فأنزل الله عليهم عذابًا من السماء، وأحل بهم عقوبة لا يردها عن القوم المجرمين، والله سبحانه يسمع ويرى، خلقه فيما يعملون، ويجازي كلًّا بسعيه في الدنيا والآخرة، وسيعرض الخلائق كلهم عليه، فيحكم فيهم بعدله، ويقابل كلًّا بما يستحقه، وهو المنزه عن الظلم والجور، والإنسان إذا وسع الله عليه في الرزق ليختبره في ذلك اعتقد أن ذلك من الله إكرام له وليس كذلك، بل هو ابتلاء وامتحان، فلا يغتر بما أعطاه الله، فقد يكون استدراجًا، وفي الجانب الآخر إذا ابتلاه وامتحنه وضيق عليه في الرزق، اعتقد أن ذلك من الله إهانة له، فليس الأمر كما زعم، لا في هذا ولا في هذا، فإن الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ويضيق على من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا من يحب، وعلى من كان غنيًّا أن يشكر الله على ذلك، ومن كان فقيرًا أن يصبر، وأمر الله بإكرام اليتيم، فخير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه، وكافل اليتيم في الجنة مع رسول الله ﷺ، وأمر الله تعالى عباده بالإحسان إلى الفقراء والمساكين، والتواصي في ذلك والتعاون، ونهى الله عباده عن أكل ميراث اليتامى وميراث النساء والصغار، فمن طبيعة الإنسان حب المال، لكن لا يزيد حبه في قلبه فيأخذه عن طريق الحرام، والمسلم يعد للدار الآخرة، ففي يوم القيامة من الأهوال العظيمة، ما يشيب منه الولدان، ففي يوم القيامة تتزلزل الأرض وتتحرك وتسوى الأرض والجبال، وتقوم الخلائق من قبورهم لربهم، ويجيء الرب تعالى لفصل القضاء كما يشاء، والمجيء من صفات الله الفعلية وهو ثابت لله على الوجه اللائق به، وأجمع السلف على ثبوت المجيء لله تعالى، فيجب إثباته له من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهو مجيء حقيقي يليق بالله تعالى، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفًا صفوفًا، ويؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها، ففي ذلك اليوم يتذكر الإنسان عمله وما كان أسلفه في قديم دهره وحديثه، وكيف تنفعه الذكرى.

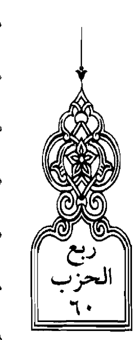
يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

سورة البلد

ترتيبها ٩٠ — آياتها ٢٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴿٢٠﴾



سورة الشمس

ترتيبها ٩١ — آياتها ١٥

في يوم القيامة يندم الإنسان على ما كان سلف منه من المعاصي إن كان عاصيًا ويود لو كان ازداد من الطاعات إن كان طائعًا، ففي ذلك اليوم ليس أحد أشد عذابًا من تعذيب الله من عصاه،، وليس أحد أشد قبضًا ووثقًا من الزبانية لمن كفر بربه ﷻ هذا في حق المجرمين من الخلائق والظالمين، وأما النفس الزكية المطمئنة وهي الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق، الموقنة بالإيمان وتوحيد الله، الواصلة إلى ثلج اليقين بحيث لا يخالطها شكّ، ولا يعتريها ريب، والراضية بقضاء الله التي علمت أن ما أخطأها لم يكن ليصيبها، وأن ما أصابها لم يكن ليخطئها يقال لها ارجعي إلى جوار ربك وثوابه وما أعد لعباده في جنته، راضية بالثواب الذي أعطيت، وقد رضيت عن الله ورضي عنها وأرضاها، فادخلي في جملة عباد الله الصالحين وهذا أعظم وسام وأشرفه، وادخلي جنة الله التي أعدت للمتقين وهذا يقال لها عند الاحتضار وفي يوم القيامة، كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره، وكذلك ها هنا.

سورة البلد

وهي سورة مكية، سميت بذلك لإقسام الله بالبلد فيها

أقسم الله ﷻ بمكة أم القرى لعظم قدرها، وهي بلد حرام بحرمة الله، ووعد الله نبيه ﷺ أن يحلها له حتى يقاتل فيها ويفتحها على يده، وقد أحلها الله له ساعة من نهار في يوم الفتح، وأقسم الله بآدم أبي البشر وولده، وجواب القسم: إن الله خلق الإنسان سويًا مستقيمًا، وهو في الدنيا في شدة وطلب معيشة ومشقة، يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة، فهل يظن الإنسان أن لن يقدر عليه أحد؟يأخذ ماله، ويسأله من أين اكتسبه؟ وأين أنفقه؟والله هو القادر عليه وعلى ماله، ولا يستكثر المسلم المال الذي ينفقه ابتغاء مرضاة الله فإن الله يخلفه، فلا يقول أنفقت مالا كثيرًا، فإن ما ينفقه الإنسان هو الذي يبقى له في الآخرة، فإن الله يرى عباده ويطلع على سرائرهم وقصدهم، فقد جعل الله للإنسان عينين يبصر بهما، ولسانًا ينطق به، فيعبر عما في ضميره، وشفتين يستعين بهما على الكلام وأكل الطعام، وجمالًا لوجهه وفمه، ودله الله إلى طريق الخير والشر، فعلى المسلم الاستعداد بالعمل لصالح، ومجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البر، فالمجاهد لنفسه كالذي يتكلف صعود العقبة، وفي النار عقبة، سبعون درجة في جهنم، فيسلك المسلم الطريق التي فيها النجاة والخير، من إعتاق الرقاب، فإن من أعتق رقبة مسلمة كانت فكاكه من النار، عضوًا بعضو، وإطعام الطعام في أوقات المجاعة للأيتام من الأقارب وغيرهم، والمساكين الذين لا يجدون ما يأكلون، وهذه الأعمال تنفع مع الإيمان، واحتساب ثواب ذلك عند الله ﷻ، والصبر على الأعمال الصالحة وأذى الخلق والتواصي على ذلك، ورحمة الخلق سبيل المؤمنين أصحاب اليمين، فمن لا يَرحَم، لا يُرحم، والراحمون يرحمهم الرحمن، وأما الكفار فهم أصحاب الشمال، لهم النار المطبقة عليهم، فلا محيد لهم عنها، ولا خروج لهم منها.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾

سُورَةُ اللَّيْلِ

ترتيبها ٩٢ — آياتها ٢١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾



سورة الشمس

وهي سورة مكية، سميت بذلك لإقسام الله بالشمس فيها

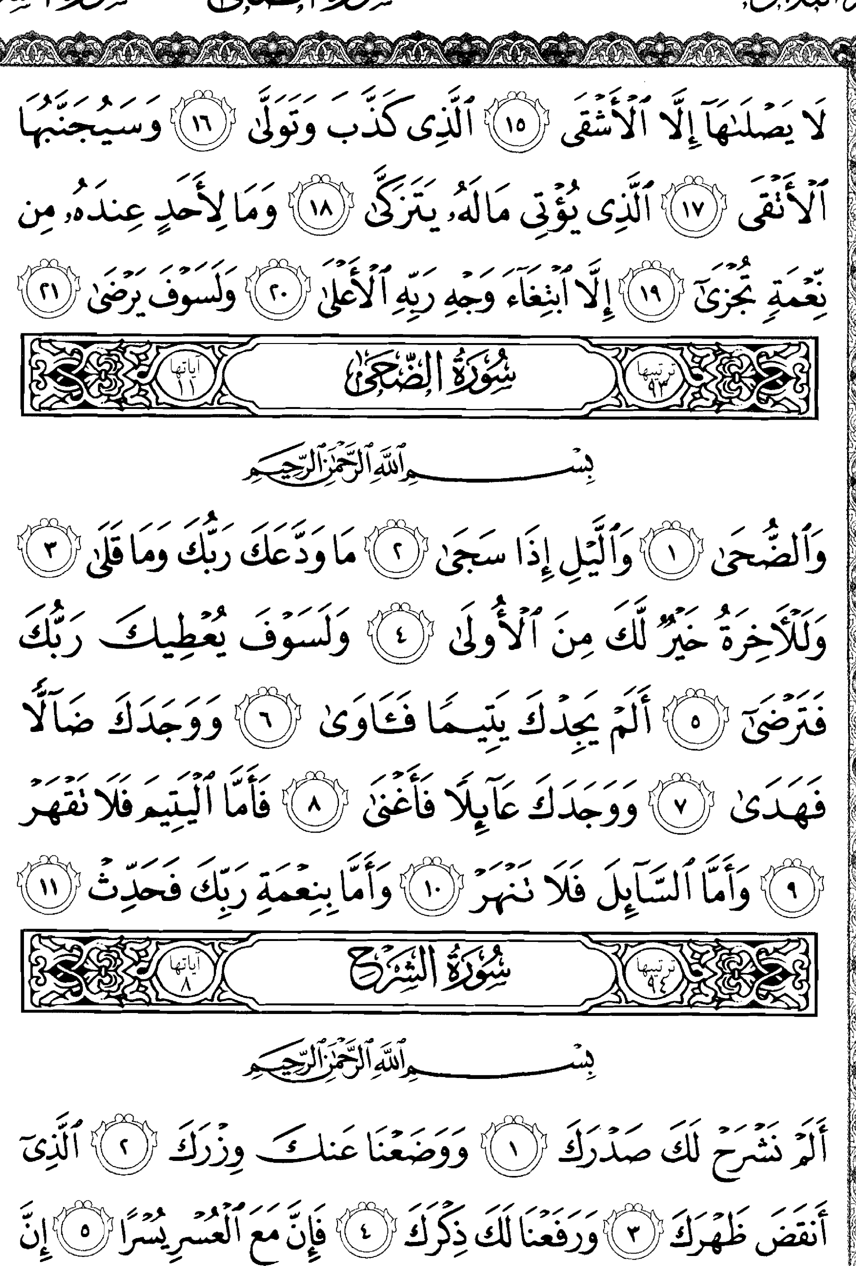
أقسم الله بالشمس ونهارها؛ لأن ضوء الشمس الظاهر هو النهار، وأقسم الله بالقمر إذا تبع الشمس، وأقسم بالنهار إذا أضاء وجلىَّ الظلمة، وأقسم بالليل يغشى الشمس حين تغيب، فتظلم الآفاق، وأقسم بالسماء وبنائها، وأقسم بالأرض وبسطها، ومهدها، وأقسم بالنفس خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة، فأرشدها إلى الخير والشر وبيّن لها ذلك، وهداها إلى ما قدر لها، فقد كتب الله الفوز والنجاة لمن زكى نفسه، بطاعة الله، وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل، وكتب الله الخسارة لمن أضل نفسه وأغواها، فركب المعاصي وترك طاعة الله ﷻ.

فقد خسرت ثمود لما كذبوا رسولهم، لما كانوا عليه من الطغيان والبغي، فقد قام أشقى القبيلة، وهو قدار بن سالف عاقر الناقة ليقتل الناقة فقال لهم صالح ﵇ احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء، ولا تعتدوا عليها في سقياها، فإن لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم، فكذبوه فيما جاءهم به فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقة التي أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم، فغضب الله عليهم، وأنزل عليهم العقوبة جميعًا، ولا يخاف الله من أحد تبعة في إنزال العقوبة عليهم.

سورة الليل

وهي سورة مكية، سميت بذلك لإقسام الله بالليل فيها

أقسم الله تعالى بالليل إذا غشي الخليقة بظلامه، وأقسم بالنهار إذا تجلى بضيائه وإشراقه، وأقسم بالذي خلق الذكر والأنثى، وجواب القسم: إن أعمال العباد التي اكتسبوها متضادة ومتخالفة، فمن فاعل خيرٍ ومن فاعل شرٍ، فمنهم الذي أعطى ما أمر بإخراجه، واتقى الله في أموره، وصدق بالثواب، وبالخلف، فثوابه في الدنيا أن ييسر الله له طرق الخير، ويقوده ذلك إلى الجنة، فمن ثواب الحسنة الحسنة بعدها، وأما الذي بخل بماله، واستغنى عن ربه ﷻ، وكذب بالجزاء في الدار الآخرة، فمن العقوبة المعجلة أن ييسر الله له طرق الشر، فمن جزاء السيئة السيئة بعدها؛ فالإنسان لا يغني عنه شيئًا ماله الذي بخل به، وأي شيء يغني عنه إذا هلك وتركه، فالله ﷻ يجازي من قصد الخير بالتوفيق له، ومن قصد الشر بالخذلان، وكل ذلك بقدر مقدر، فكل ميسر لما خلق له، فمن كان من أهل السعادة فإنه يعمل للسعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء، فالله سبحانه يبين لعباده الحلال والحرام، والدنيا والآخرة ملك الله وهو المتصرف فيهما، وقد حذر الله عباده وخوّفهم من نار تتوقد وتتوهج.



لَا يَصْلَاهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

سُورَةُ الضُّحَىٰ

ترتيبها ٩٣ — آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

سُورَةُ الشَّرْحِ

ترتيبها ٩٤ — آياتها ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾

نصف الحزب ٦٠

النار لا تحرق إلا من كتبت عليه الشقاوة، الذي كذب بالحق الذي جاءت به الرسل، وأعرض عن الطاعة، وسيزحزح عن النار التقي النقي الأتقى، الذي ينفق ماله في طاعة ربه؛ ليزكي نفسه وماله وما وهبه الله من دين ودنيا، وليس بذله مكافأة لمن أسدى إليه معروفًا، وإنما بذل ماله طمعًا في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات، ولهذا وأمثاله الثواب الذي يرضى به عن ربه.

سورة الضحى

وهي سورة مكية، سميت بذلك لإقسام الله بالضحى فيها

لما أبطأ الوحي عن النبي ﷺ فقال الكفار ودع محمد، فأقسم الله بالضحى وما جعل فيه من الضياء، وأقسم بالليل إذا سكن فأظلم وادلهم، أن الله تعالى لم يترك نبيه ولم يبغضه وأن الدار الآخرة خير للنبي ﷺ من هذه الدار، ولهذا كان رسول الله ﷺ أزهد الناس في الدنيا، ولما خير ﷺ في آخر عمره بين الخلد في الدنيا إلى آخرها ثم الجنة، وبين الصيرورة إلى الله ﷻ، اختار ما عند الله على هذه الدنيا الدنية، ووعده الله في الدار الآخرة أن يعطيه حتى يرضيه في أمته، وفيما أعده له من الكرامة، فقد أنعم الله على عبده ورسوله محمد، صلوات الله وسلامه عليه فقد كان يتيم الأبوين فحفظه الله ورعاه وشرفه بالنبوة والرسالة، وهداه الله بالوحي فكان إمام المهتدين، وكان فقيرًا ذا عيال، فأغناه الله عمن سواه، فجمع له بين مقامي الفقير الصابر والغني الشاكر صلوات الله وسلامه عليه وجعل غناه في قلبه، فاختار الفقر على الغنى، وأمر الله نبيه محمدًا ﷺ ألا يذل اليتيم وينهره ويهينه، وأمره بالإحسان إليه، والتلطف به، ونهاه عن زجر السائل والإغلاظ له، ولكن يبذل له اليسير، أو يردّه بالجميل، ونهاه عن نهر السائل في العلم المسترشد.

وأمره الله بالتحدث بنعمة الله عليه، فالتحدث بنعمة الله شكر لله، واعتراف بنعمة الخالق جل جلاله.

سورة الشرح

وهي سورة مكية سميت بذلك لذكر شرح صدر النبي فيها

من الفضائل والخصائص للنبي ﷺ أن الله نور صدره وجعله فسيحًا رحيبًا واسعًا، وجعل شرعه فسيحًا واسعًا سمحًا سهلًا لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق، وقد شرح الله صدر النبي ﷺ حسًّا مرتين: في وقت رضاعته في بادية بني سعد، وفي ليلة الإسراء، ومن فضائله أن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فغفر له الذنوب التي تثقل الظهور، ورفع الله ذكره في العالمين فلا يذكر الله إلا ذكر معه كما في الشهادتين

وإذا وجد العسر وجد اليسر، ولا يغلب عسر واحد يسرين اثنين، فالفرج مع اليسر، وأمر الله نبيه محمدًا ﷺ إذا فرغ من أمور الدنيا وأشغالها وقطع علائقها، أن ينصب لله في العبادة، ويقوم إليها نشيطًا فارغ البال، ويخلص لربه النية، والرغبة والأمر له ولأمته.

سورة التين

ترتيبها ٩٥ — آياتها ٨

بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ﴿٣﴾
لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ
﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٦﴾
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾

سورة العلق

ترتيبها ٩٦ — آياتها ١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ
ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ
ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيۡتَ
ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ﴿٩﴾ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوۡ أَمَرَ
بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن
لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ﴿١٦﴾ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ
﴿١٧﴾ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡۤ وَٱقۡتَرِب ۩ ﴿١٩﴾





سورة التين

وهي سورة مكية، وسميت بذلك لإقسام الله بالتين فيها

أقسم الله بالتين وبالزيتون وبجبل طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى، وأقسم بمكة، وهذه محال ثلاثة، بعث الله في كل واحد منها نبيًّا مرسلًا من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار، فالأول محلة التين والزيتون، وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى ابن مريم، والثاني طور سينين، وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران، والثالث مكة، وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمنًا، وهو الذي أرسل فيه محمدًا ﷺ، والمقسم عليه: إن الله تعالى خلق الإنسان في أحسن صورة، وشكل منتصب القامة، سوي الأعضاء حسنها، فبعد هذا الحسن والنضارة مصيره إلى النار إن لم يطع الله ويتبع الرسل؛ ويؤمن بالله ويعمل صالحًا، والعمل الصالح ما كان خالصًا، وموافقًا لشريعة محمد ﷺ، فمن اتصف بذلك فله الأجر غير المقطوع في الجنة، فأي شيء يحمل الإنسان على التكذيب بالمعاد وقد عرف أن الله هو الذي خلقه وأوجده فمن قدر على البداءة، قادر على الرجعة بطريق الأولى، فمن حكمة أحكم الحاكمين الذي لا يجور ولا يظلم أحدًا ومن عدله أن يقيم القيامة فينصف المظلوم في الدنيا ممن ظلمه.

سورة العلق

وهي سورة مكية سميت بذلك لذكر العلق فيها

أمر الله عباده أن يبتدئوا القراءة باسم الله الذي خلق الخلائق كلها، فخلق ابن آدم من علق، والعلقة الدم الجامد وأمر الله نبيه محمدًا ﷺ بالقراءة لما اعتذر أنه ليس من أهل القراءة، فإن الله هو الحليم عن جهل العباد لا يعجل عليهم بالعقوبة، علم الإنسان الخط والكتابة، علمه ما لم يعلم من أنواع الهدى والبيان، وهذه الآيات أول رحمة رحم الله بها العباد، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم، والإنسان إذا رأى نفسه استغنى وكثر ماله، فرح وأشر وبطر وطغى، وإلى الله المصير والمرجع، وسيحاسبه على ماله من أين جمعه؟ وفيم أنفقه؟ وقد لقي النبي ﷺ في سبيل تبليغ الدعوة الأذى والتضييق ومن ذلك ما توعد به أبو جهل النبي ﷺ على الصلاة عند البيت، والذي ينهاه خير منه على الطريق المستقيمة في فعله، وهو يزجره ويتوعده على صلاته؛ وما علم الناهي لهذا المهتدي أن الله يراه ويسمع كلامه، وسيجازيه على فعله أتم الجزاء، فإن لم يرجع عما هو فيه من الشقاق والعناد، ليأخذن الله بناصيته إلى النار فتوسم بالسواد يوم القيامة، تلك الناصية الكاذبة في مقالها الخاطئة في فعالها، فحينئذ فلينادي قومه وعشيرته، ويستنصر بهم، كما كان يفعل بالدنيا، فإن الله يوكل به ملائكة العذاب، وأمر الله نبيه محمدًا ﷺ ألا يستجيب إلى ما ينهاه عنه، وليداوم على العبادة وكثرتها، وليصلِّ حيث شاء ولا يبالي به وليتقرب إلى الله بالأعمال الصالحة، فإن الله حافظه وناصره، وعاصمه من الناس.

سورة القدر

ترتيبها ٩٧ — آياتها ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾
لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ
فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

سورة البينة

ترتيبها ٩٨ — آياتها ٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ
حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾
فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ
بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ
لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ
ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ
فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾



سورة القدر

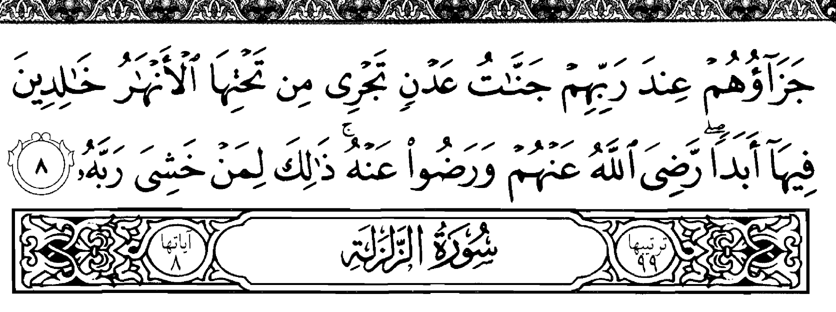
وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر ليلة القدر فيها

أنزل الله القرآن في ليلة القدر، وهي الليلة المباركة، وهي من شهر رمضان، فقد أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل مفصلًا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ، وكان ابتداءه في ليلة القدر، ومن شرف هذه الليلة أن العبادة فيها تعدل عبادة ألف شهر، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ويكثر نزول الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم تعظيمًا له، وينزل جبريل ﷺ في هذه الليلة، وفيها تقدر المقادير، وتقضى فيها الأمور، وتقدر الآجال والأرزاق وهي سالمة، لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءًا، أو يعمل فيها أذى، وتسلم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد، حتى يطلع الفجر، وليلة القدر في العشر البواقي من رمضان، من قامهن ابتغاء ليلة القدر، فإن الله يغفر له ما تقدم من ذنبه، وهي ليلة وتر، تاسعة أو سابعة، أو خامسة، أو ثالثة، ومن علاماتها أنها صافية بلجة، ليلة سمحة طلقة، لا حارة ولا باردة، كأن فيها قمرًا ساطعًا، ساكنة سجية، لا برد فيها ولا حر، والشمس صبيحتها تخرج مستوية، ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر.

سورة البينة

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر البينة فيها

لم يكن أهل الكتاب والمشركون لينتهوا عن كفرهم وشركهم بالله حتى أتاهم محمد ﷺ بالقرآن، فبيّن لهم ضلالتهم وجهالتهم، ودعاهم إلى الإيمان، وهذا بيان عن النعمة، والإنقاذ به من الجهل والضلالة، وهذا فيمن آمن من الفريقين، فجاءهم محمد ﷺ، بالهدى ودين الحق، وما أنزل عليه من القرآن العظيم، الذي هو مكتوب في الملأ الأعلى، في صحف مطهرة، وفي هذه الصحف المطهرة كتب من الله عادلة مستقيمة، ليس فيها خطأ؛ لأنها من عند الله ﷻ وأهل الكتب المنزلة على الأمم قبلنا، تفرقوا واختلفوا بعدما أقام الله عليهم الحجج والبينات، وقد أمرهم بالتوحيد وتحقيق العبودية لله وحده لا شريك له، مائلين عن الشرك إلى التوحيد، ويقيموا الصلاة المفروضة وهي أشرف عبادات البدن، ويخرجوا الزكاة وهي إحسان إلى الفقراء، وتلك الملة القائمة العادلة، المستقيمة المعتدلة، ومآل الفجار، من كفرة أهل الكتاب، والمشركين المخالفين لكتب الله المنزلة وأنبياء الله المرسلة يوم القيامة في نار جهنم ماكثين فيها، لا يحولون عنها ولا يزولون لأنهم شر الخليقة التي برأها الله وذرأها، وأما الأبرار الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بأبدانهم فهم خير من خلق الله وفي ذلك دليل على تفضيل المؤمنين من البرية على الملائكة.



جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ الزَّلۡزَلَةِ

ترتيبها ٩٩ — آياتها ٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا
﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ﴿٤﴾
بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا
لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٦﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا
يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ العَادِيَاتِ

ترتيبها ١٠٠ — آياتها ١١

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ﴿١﴾ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ﴿٢﴾ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا
﴿٣﴾ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ﴿٤﴾ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ
لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ
ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٩﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٦٠



ثواب المؤمنين عند خالقهم جنات عدن، وهي أوسط الجنات وأفضلها، لا يخرجون منها، ولا يظعنون عنها، بل هم دائمون في نعيمها مستمرّون في لذاتها رضي الله عنهم ومقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوه من النعيم المقيم، ورضوا عن ربهم فيما منحهم من الفضل العميم، وهذا الجزاء حاصل لمن خشي الله واتقاه حق تقواه، وعبده كأنه يراه، وقد علم أنه إن لم يره فإنه يراه.

سورة الزلزلة

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر الزلزلة فيها

في يوم القيامة تتحرك الأرض حركة شديدة لقيام الساعة، وتخرج موتاها وكنوزها فتلقيها على ظهرها، فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول، في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئًا، ويستنكر الإنسان أمرها بعدما كانت قارة ساكنة ثابتة، وهو مستقر على ظهرها، ثم تغير حالها، فصارت متحركة مضطربة، لأنه جاءها من أمر الله ما قد أعد لها من الزلزال الذي لا محيد لها عنه، وتشهد الأرض على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها فتقول: عمل علي يوم كذا وكذا، كذا وكذا؛ لأن الله أمرها بالكلام وأذن لها بأن تخبر بما عمل عليها، ويرجع الناس عن موقف الحساب بعد العرض، متفرقين فآخذ ذات اليمين إلى الجنة وآخذ ذات الشمال إلى النار، ليروا جزاء أعمالهم، فمن عمل مثقال وزن نملة صغيرة من الخير يره في ذلك الموقف وير ثوابه، ومن عمل مثقال وزن نملة صغيرة من الشر يراه في ذلك الموقف وير عقوبته، فليس مؤمن ولا كافر عمل خيرًا أو شرًّا في الدنيا إلا أراه الله إياه يوم القيامة، فأما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته فيغفر الله سيئاته، ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فترد حسناته ويعذبه بسيئاته.

سورة العاديات

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر العاديات فيها

أقسم الله بالخيل إذا أجريت في سبيله فعدت وضبحت، وهو الصوت الذي يسمع من الفرس حين تعدو، وإذا اصطك نعلها بالصخر فتقدح منه النار، وإذا أغارت وقت الصباح، فأظهرت الغبار عند عدوها، واجتمعت في وسط مكان القتال، وكل ما أقسم الله به من صفات الخيل مما يرهب أعداء الله، والمقسم عليه: إن الإنسان جحود كفور لنعم ربه، وقد شهد على ذلك لسان حاله، فظهر ذلك في أقواله وأفعاله، وهو شديد المحبة للمال، وبخيل في إنفاقه، والمؤمن يزهد في الدنيا، ويرغب في الآخرة، فما هي حاله إذا أخرج ما في القبور من الأموات؟



وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾

سُورَةُ القَارِعَةِ

ترتيبها ١٠١ — آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

ترتيبها ١٠٢ — آياتها ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾



في يوم القيامة يظهر الله ما في نفوس الناس، فيصير السر علانية، وهو سبحانه العالم بجميع ما كانوا يصنعون ويعملون، مجازيهم عليه أوفر الجزاء، ولا يظلم مثقال ذرة.

سورة القارعة

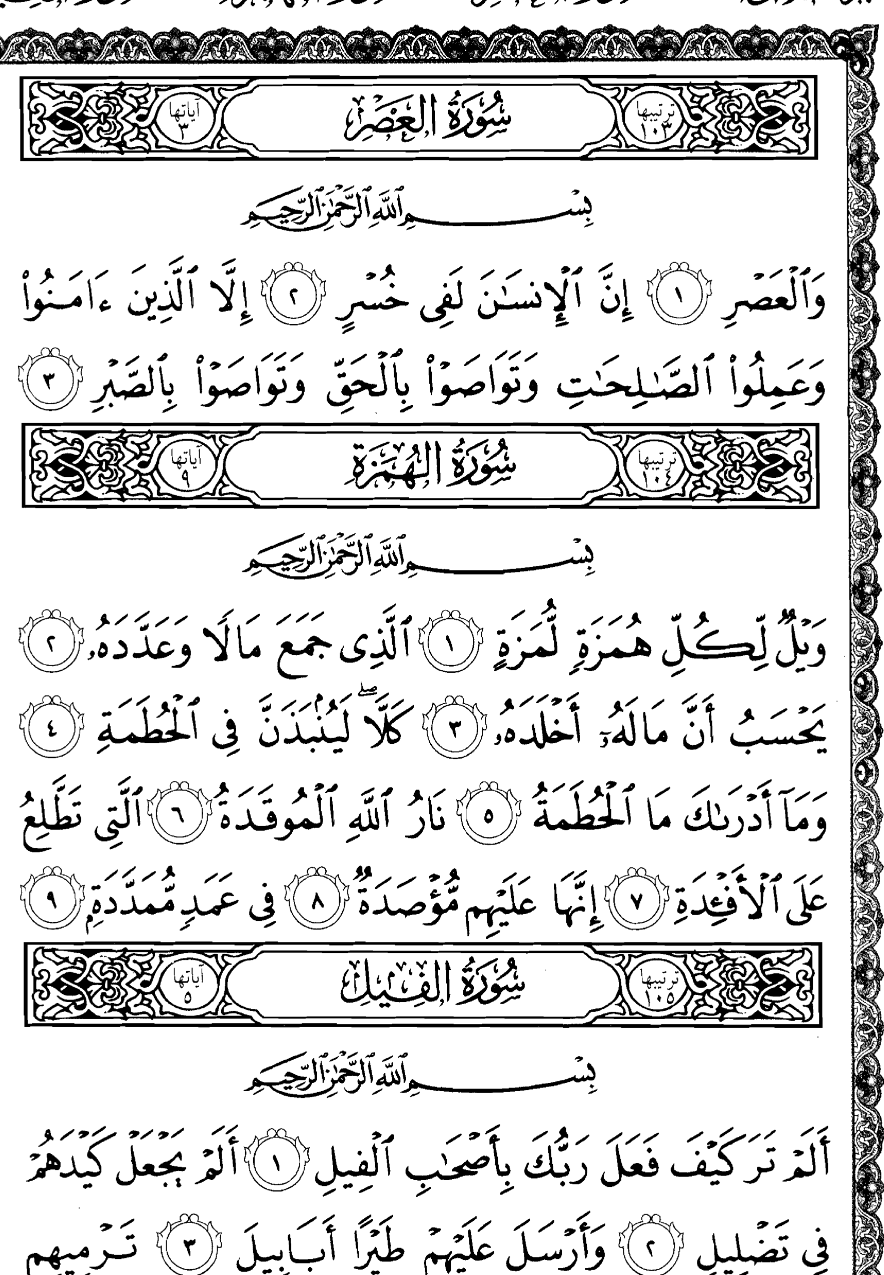
وهي سورة مكية، وسميت بذلك لذكر القارعة فيها

القارعة اسم من أسماء يوم القيامة، وسميت بذلك لأنها تقرع القلوب بالفزع، وتقرع أعداء الله بالعذاب في ذلك اليوم يكون الناس كالفراش في انتشارهم وتفرقهم، وذهابهم ومجيئهم، من حيرتهم مما هم فيه، كأنهم فراش متفرق منتشر، وتكون الجبال كالصوف المنفوش، الذي قد شرع في الذهاب والتمزق، في ذلك اليوم ينقسم الناس، وما يصيرون إليه من الكرامة أو الإهانة، بحسب أعمالهم، فمن رجحت حسناته على سيئاته، فهو في عيشة راضية مرضية يرضاها صاحبها ومن رجحت سيئاته على حسناته، فهو ساقط على دماغه في نار جهنم، فيكون مسكنه جهنم، وسماها أمه؛ لأنه يأوي إليها كما يأوي إلى أمه، والهاوية من أسماء جهنم، وهي نار حارة شديدة الحر، قوية اللهيب والسعير.

سورة التكاثر

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر التكاثر فيها

الإنسان بطبيعته يشغله حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها، ويتمادى به، حتى يأتيه الموت ويزور المقابر، ويصير من أهلها، فهو للقبور زائر ينتقل بعدها، وابن آدم يقول: مالي مالي، وهل له من ماله إلا ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو تصدق فأمضى، وسيعلم العباد الغافلون إذا نزل بهم الموت وفي القبر حقيقة غفلتهم وإعراضهم، وسيعلمون يوم القيامة، ولو كانوا يعلمون الأمر علمًا يقينًا لشغلهم ذلك عن التكاثر والتفاخر، ولفعلوا ما ينفعهم من الخير من الأعمال الصالحة التي تقربهم إلى الله، فهي الباقيات الصالحات التي يجدونها يوم القيامة، وسيرون النار التي إذا زفرت زفرة خرَّ كل ملك مقرب، ونبي مرسل على ركبتيه من المهابة والعظمة ومعاينة الأهوال، ويسألون عن شكر ما أنعم الله به عليهم، من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك، والله سبحانه سائل كل ذي نعمة عما أنعم عليه.



سورة العصر

ترتيبها ١٠٣ آياتها ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

سورة الهمزة

ترتيبها ١٠٤ آياتها ٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

سورة الفيل

ترتيبها ١٠٥ آياتها ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾



سورة العصر

وهي سورة مكية، سميت بذلك لإقسام الله بالعصر فيها

أقسم الله بالعصر، وهو الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم، من خير وشر، ولأن فيه عبرة للناظر، وهو عمر الإنسان وهو خزانة الأعمال، وفيه دلالة بينة على الله ﷻ، وعلى توحيده، وجواب القسم: إن الإنسان في خسارة وهلاك، واستثنى الله من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم، وتواصوا في أداء الطاعات، وترك المحرمات، من الإيمان بالله والتوحيد، والقيام بما شرعه الله، واجتناب ما نهى عنه، والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتواصوا بالصبر على المصائب والأقدار، وأذى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر.

سورة الهمزة

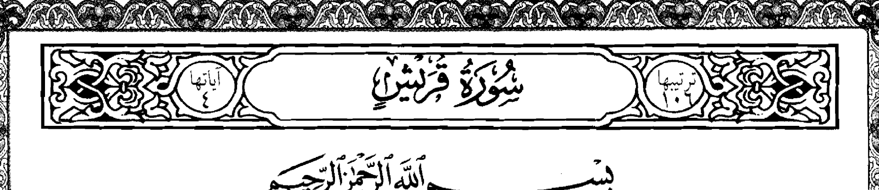
وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر الهمزة فيها

كتب الله الهلاك لكل من يطعن في الناس ويعيبهم ويزدريهم وينتقصهم بالقول والفعل، ويغتابهم، والغالب بمثل من اتصف بهذه الخلاق الدنيئة إعجابه بما جمع من المال، وظنه أن الفضل له، فلأجل ذلك ينتقص غيره، فهو يجمع المال بعضه على بعض، ويحصي عدده لئلا ينقص لبخله وشحه فيلهيه ماله بالنهار، فإذا كان الليل نام كأنه جيفة، ويظن أن جمعه المال يخلده في هذه الدار، وليس الأمر كما زعم ولا كما حسب، فإن هذا المال لم يؤد فيه حق الله كان سببًا في دخوله النار، وفي إلقائه في تلك النار التي يحطم بعضها بعضًا وتحطم كل من يلقى فيها فهي نار أوقد عليه آلاف السنين تحرقهم إلى الأفئدة وهم أحياء، فتأكل كل شيء من أجسادهم، حتى إذا بلغت أفئدتهم حذو حلوقهم ترجع على أجسدتهم، فهي عليهم مطبقة، أطبقت الأبواب عليهم، ثم شدّت بأوتادٍ من حديد، فلا يفتح عليهم باب، ولا يدخل عليهم روح.

سورة الفيل

وهي سورة مكية سميت بذلك لذكر الفيل فيها

من النعم التي امتن الله بها على قريش، أن صرف عنهم أصحاب الفيل، الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود، فأرسل الله عليهم خراطيم كخراطيم الطير، وأكف كأكف الكلاب، تحمل ثلاثة أحجار حجرين في رجليها وحجرًا في منقارها، فجاءت حتى صفت على رءوسهم، ثم صاحت وألقت ما في أرجلها ومناقيرها، فما يقع حجر على رأس رجل إلا خرج من دبره، ولا يقع على شيء من جسده إلا وخرج من الجانب الآخر، وبعث الله ريحًا شديدة فضربت الحجارة فزادتها شدة فأهلكوا جميعًا، فصاروا كورق زرع قد أكلت منه الدّواب وبقي منه بقايا، فأبادهم الله، وأرغم آنافهم، وخيب سعيهم، وأضل عملهم، وردهم بشر خيبة.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾

سُورَةُ المَاعُونِ

ترتيبها ١٠٧ — آياتها ٧

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

سُورَةُ الكَوْثَرِ

ترتيبها ١٠٨ — آياتها ٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾



سورة قريش

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر قريش فيها

حفظ الله البيت الحرام من أصحاب الفيل لائتلاف قريش واجتماعهم في بلدهم آمنين، وقد كانوا يألفون الرحلة في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام في المتاجر وغير ذلك، ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين في أسفارهم؛ لعظمتهم عند الناس، لكونهم سكان حرم الله، فمن عرفهم احترمهم، وتلك نعمة عظيمة تحتاج إلى شكر وشكرها توحيد الله بالعبادة، فقد تفضل الله عليهم بالأمن من الخوف والإطعام من الجوع، فوجب عليهم أن يفردوا الله بالعبادة وحده لا شريك له، ولا يعبدوا من دونه صنمًا ولا ندًّا ولا وثنًا، فمن استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن عصاه سلبهما منه.

سورة الماعون

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر الماعون فيها

الإيمان بالبعث والجزاء هو الوازع الذي يغرس في النفس جذور الإقبال على الأعمال الصالحة حتى يصير ذلك لها خلقًا إذا نشأت عليه، فالمكذب بيوم المعاد والجزاء والثواب، هو الذي يقهر اليتيم ويظلمه حقه، ولا يطعمه ولا يحسن إليه، ولا يحث على إطعام الفقراء والمساكين لأنه لا يرجو ثوابًا ولا يخشى عقابًا، ولا يقوم بفرائض الله وأعظمها الصلاة المفروضة، لأنه لا يرجو ما عند الله من الأجر ولا يخاف العقاب، فلا يصليها في وقتها، وإذا صلى صلاة راءى بها الناس، لأنه يرجو مدح الناس وثناءهم، فهو لم يحسن عبادة ربه، ولا أحسن إلى خلقه حتى ولا بإعارة ما ينتفع به ويستعان به، مع بقاء عينه ورجوعه إليه، فهذا لمنع الزكاة وأنواع القربات أولى وأولى.

سورة الكوثر

وهي سورة مكية، وسميت بذلك لذكر الكوثر فيها

من الفضائل والخصائص التي خص بها سيد ولد آدم محمد ﷺ الكوثر، وهو نهر يجري، ولم يشق شقًا، وحافتاه قباب اللؤلؤ، تربته مسك أذفر، وحصاه اللؤلؤ، ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، ترده طير أعناقها مثل أعناق الجزر، والكوثر من الكثرة، وهو الخير الكثير، ومن ذلك النهر، وأمر الله نبيه ﷺ بإخلاص العبادة له وحده لا شريك له والأمر لأمته، ومن العبادات الصلاة المكتوبة والنافلة، والنحر، والذبح عبادة، فلا يذبح إلا لله، ولا يذكر غير اسم الله عند الذبح والنحر، ومبغض النبي ﷺ هو مبغض لما جاء به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين، فهو الأقل الأذل المنقطع ذكره، وقد أبقى الله ذكر النبي ﷺ على رءوس الأشهاد، وأوجب شرعه على رقاب العباد، مستمرًا على دوام الآباد، إلى يوم الحشر والمعاد صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم التناد.



سورة الكافرون

ترتيبها ١٠٩ — آياتها ٦

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾

سورة النصر

ترتيبها ١١٠ — آياتها ٣

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾

سورة المسد

ترتيبها ١١١ — آياتها ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾



سورة الكافرون

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر الكافرين فيها

من جهل المشركين أنهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة، ويعبدون معبوده سنة، فأمر الله رسوله ﷺ أن يتبرأ من دينهم بالكلية، من عبادة الأصنام والأنداد، فهؤلاء المشركون لن يعبدوا الله وحده لا شريك له، وأمر النبي ﷺ أن يعبد الله وحده لا شريك له والأمر لأمته أن يعبدوا الله على الوجه الذي يحبه الله ويرضاه، فالرسول وأتباعه يعبدون الله بما شرعه؛ ولهذا كانت كلمة الإسلام لا إله إلا الله محمد رسول الله معناها لا معبود بحق إلا الله ولا طريق إليه إلا بما جاء به الرسول ﷺ، والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله؛ فهم على الكفر، والمؤمنون على التوحيد، وهذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، وهي آمرة بالإخلاص فيه، وتشمل كل كافر على وجه الأرض.

سورة النصر

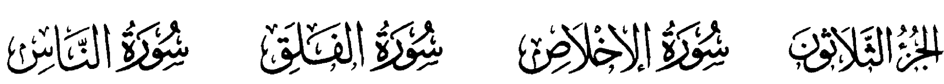
وهي سورة مدنية، سميت بذلك لذكر النصر فيها

أرسل الله سبحانه نبيه محمدًا ﷺ، فعاداه الناس وأذوه، حتى هاجر إلى المدينة، فكانت دار إسلام فأعز الله جنده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، وفتح الله لنبيه مكة، وأذل الله المشركين وأعز المؤمنين، ودخل الناس في دين الله جماعات وقبائل، من غير قتال، وتلك علامة لقرب أجل النبي ﷺ فأمر بتنزيه الله وتقديسه وبالاستغفار، وكان رسول الله ﷺ يكثر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه، فأمر بالتسبيح والتوبة، ليختم له بالزيادة في العمل الصالح، وقد عاش النبي ﷺ بعد نزول هذه السورة سنتين، وفي ذلك أمر للمؤمنين أن يكثروا من التسبيح والاستغفار والتوبة.

سورة المسد

وهي سورة مكية، سميت بذلك لذكر المسد فيها

جمع النبي ﷺ قريشًا، فقال: أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم، أكنتم تصدقوني؟ قالوا نعم، قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب ألهذا جمعتنا، تبًّا لك، وأبو لهب أحد أعمام رسول الله ﷺ، واسمه عبد العزى بن عبد المطلب، وإنما سمي أبا لهب لإشراق وجهه، فجاء القرآن بأن الخاسر والهالك، والذي ضل عمله وسعيه، هو أبو لهب فلن ينفعه ماله وولده، وسيحرق بنار ذات شرر ولهيب وإحراق شديد، هو وزوجته أم جميل، واسمها أروى بنت حرب بن أمية، وكانت عونًا لزوجها على كفره وجحوده وعناده؛ فلهذا تكون يوم القيامة عونًا عليه في عذابه في نار جهنم، فهي تحمل الحطب فتلقي على زوجها، ليزداد على ما هو فيه، وهي مهيأة لذلك مستعدة له، في عنقها حبل من مسد النار، وكانت تمشي بالنميمة بين الناس فهي تنقل النار التي تفرق بين الأحبة.



سُورَةُ الإخلاص
ترتيبها ١١٢ — آياتها ٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ
وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾

سُورَةُ الفلق
ترتيبها ١١٣ — آياتها ٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن
شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى
ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

سُورَةُ الناس
ترتيبها ١١٤ — آياتها ٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ
ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى
يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾
مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾



سورة الإخلاص

وهي سورة مكية ، سميت بذلك لأنها تدعوا إلى الإخلاص

الله سبحانه هو الواحد الأحد، الذي لا نظير له، ولا نديد ولا شبيه ولا عديل، وهو الكامل في جميع صفاته وأفعاله، إليه تصمد الخلائق في حوائجهم ومسائلهم، وهو السيد الذي قد انتهى سؤدده، ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة، وليس له مثيل ﷻ، وهذه السورة تعدل ثلث القرآن، وحبها يدخل الجنة، فهي صفة الرحمن.

سورة الفلق

وهي سورة مدنية ، سميت بذلك لذكر الفلق فيها

أمر الله نبيه ﷺ أن يتعوذ برب الفلق، وهو الصبح لأنه يفلق عنه الليل، والاستعاذة هي الالتجاء والاعتصام بالله تعالى، من شر جميع المخلوقات، ومن شر الليل إذا أقبل بظلامه، ومن شر السواحر إذا رقين ونفثن في العقد، فهن ينفثن في عقد الخيوط حين يسحرن بها، ومن شر الحاسد، والحسد تمني زوال النعمة التي أنعم الله بها على المحسود، فأمرنا أن نستعيذ من شر الحاسد إذا أظهر ما في نفسه من الحسد، وعمل بمقتضاه، وحمله الحسد على إيقاع الشرّ بالمحسود، ومن الحسد العين، وهي حق يستعاذ منها، فهي تدخل الرجل القبر والجمل القدر.

سورة الناس

وهي سورة مدنية سميت بذلك لذكر الناس فيها

أمر النبي ﷺ بالاستعاذة برب الناس، الذي ربى عباده ونقلهم من حال إلى حال إلى حد التمام، وهو مالكهم ومصلحهم، والناس مأخوذ من النوس وهو الحركة فكل ما يتحرك فهو من الناس، فهو سبحانه رب العالمين، وهو سبحانه الإله الحق الذي يجب أن تصرف له العبادة له وحده لا شريك له، من شر الوسواس الخناس، وهو الشيطان الموكل بالإنسان، فإنه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يزين له الفواحش، ولا يألوه جهدًا في الخبال، والمعصوم من عصم الله، وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم، وهو الخناس الذي يهرب عند الذكر، فالشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإن ذكر الله خنس، وإن نسي التقم قلبه، فهو الوسواس الخناس.

فهو يوسوس في صدور الناس فيستعاذ بالله، من شياطين الإنس والجن، وشياطين الإنس أعظم جرمًا وأشد خطرًا، فإن شيطان الإنس إذا ذكر الله لا يفر، بل يبقى يجلب بإغوائه البشر، نسأل الله السلامة من شياطين الجن والإنس.



الخاتمة

من نعم الله علي أن هداني للإسلام وسلك بي طريق الحكمة والقرآن، ومَنَّ علي بالهداية للصراط المستقيم الذي أسأل الله أن يثبتي عليه إلى الممات، وأحمد الله على أن وفقني ويسر لي كتابة هذا التفسير، ومنحني الصحة والعافية فمكنني من العيش مع القرآن العظيم، فأسأل الله أن يتم علي النعمة بالعلم النافع والعمل الصالح والحياة في سبيل الله، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتكتمل المكرمات، وتنال بفضله الدرجات والحسنات، فالحمد لله أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، وأسأله تعالى أن يجعل عملي خالصًا لوجه الكريم أرجو بره وإحسانه إنه هو البر الرحيم، كما أسأله تعالى أن ينفع بهذا التفسير عموم المسلمين الذين يحرصون على التدبر والتفكر والعمل، فهم الذين أردت أن أقرب لهم معاني القرآن العزيز بأوضح كلمة وأخصر عبارة، فيقتبسوا من أنواره وهدايته العلم والعمل والنور والهداية، كما أدعو الله لكل من شجعني على كتابة هذا التفسير، بأن يوفق الأحياء منهم لكل خير، وأن يرحم الأموات بواسع رحمته، وأن يسكنهم فسيح جنته، وأن يشرك الجميع في الأجر والثواب ورحمة العلي الوهاب، وأخص بالذكر أم صالح حفظها الله وبارك في عمرها وأولادي أصلحهم الله ووفقهم لكل خير، ومن رأى خللًا فليحسن الظن بكاتبه، فإن ذلك من نفسي والشيطان وأستغفر الله منه، وما كان من توفيق وصواب فمن الله وحده لا شريك له، له الحمد والمنة، علَّم عبده الضعيف، وأسبل عليه نعمه ظاهرة وباطنة، فلك اللهم الحمد والشكر وحدك لا شريك لك.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وكتبه العبد الفقير إلى رحمة الله ورضوانه

أحمد بن صالح بن إبراهيم الطويان

مكة المكرمة – ١٤٣١/٨/١٥هـ



الفهرس

ميزات تيسير التفسير

١. تقريب معاني الآيات إجمالا دون التوسع في تفاصيل دقائق التفسير؛ لأن القصد تقريب المعاني.

٢. اعتماد التفسير على المصحف كل وجه يقابله تفسيره دون زيادة أو نقصان.

٣. اعتماد كتب أئمة التفسير كالطبري يرحمه الله وابن كثير يرحمه الله فقد تضمن هذا الكتاب زبدة تفسيره.

٤. عرض منهج السلف في العقيدة والتوحيد والأسماء والصفات.

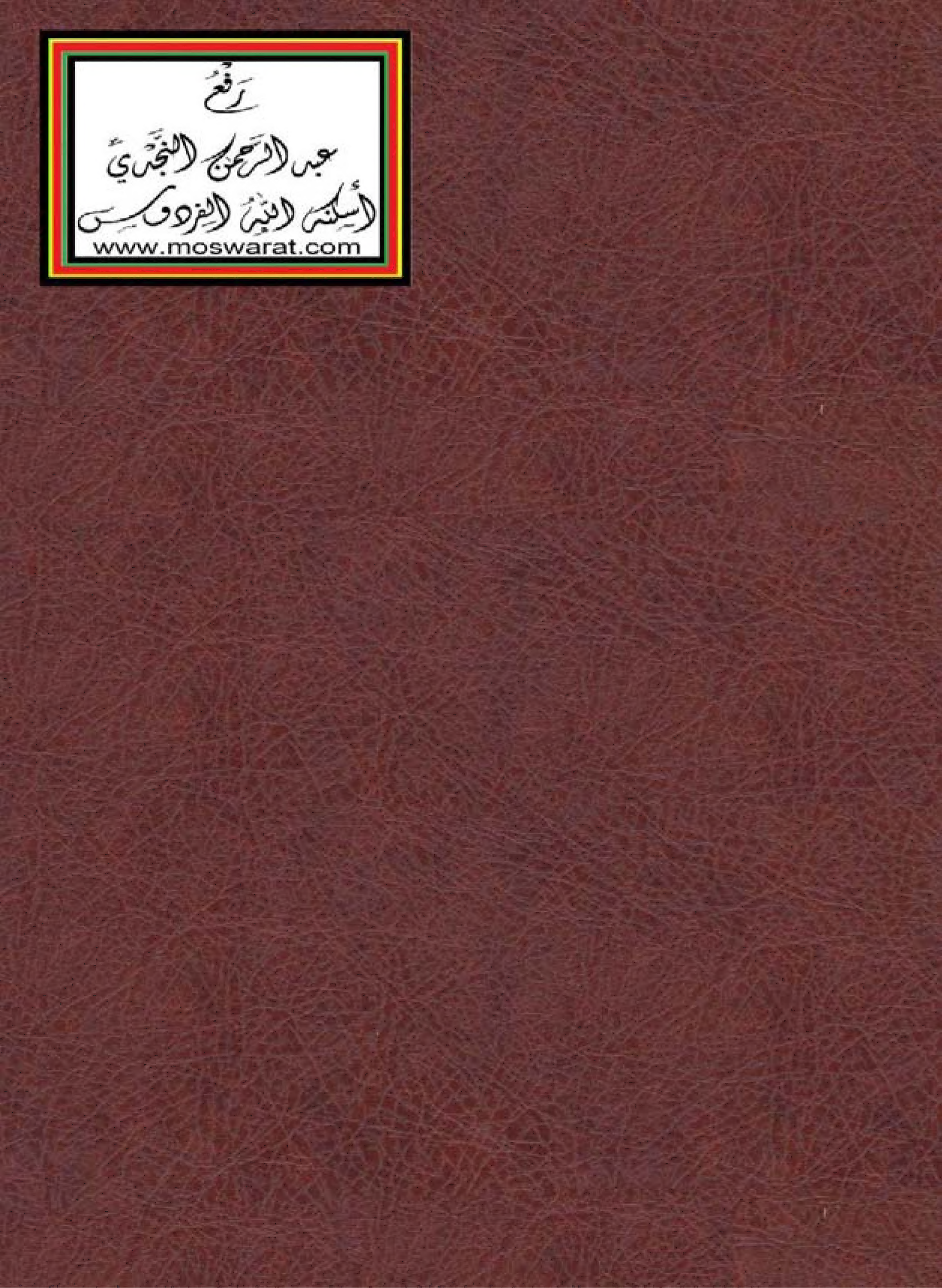
٥. ربط معاني القرآن بالواقع.

٦. وضوح العبارة، وشموليتها.

٧. التركيز على الدروس والعبر والعظات من الآيات.




رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com